

القطعة من تفسير كشاف

عربي ٣٥

ابا حوطه

٢٥٠

بو كتاب

٢٥٤ ورقدر

٢٥

٢٥٠

[illegible]

هذا الجزء المبارك من الكشاف في كتب العبد الفقير أحمد بن إبراهيم بن محمد الطغاري
عارية عندي بعلم كتبه ... عليه بتاريخ شهر شعبان الكريم ٩٧٩
كتبه العبد الراجي عفو ربه القدير

لطف الله تعالى ... ومن ... حسن الخاتمة
... لنطقه ...

عن متروكات خسرو
پاشا تفسير كشاف
١٠١٦

قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الأعظم والخاقان المعظم مالك البرين
والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان ابن السلطان السلطان الغازي محمود خان
وقفا صحيحا شرعيا لمن طالع وأكرمه الله تعالى بالرأفة والحسنى
حرره الفقير أحمد شيخ زاده المفتش بأوقاف
الحرمين الشريفين غفر لهما

سورة هود مكية وهي مائة وثلاث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم **أحكمت آياته** نظمت نظماً رصيناً محكماً
لا يقع فيه نقض ولا خلل كالبناء المحكم المرصف ويجوز أن يكون نقلاً بالهمزة من
حكم بضم الكاف إذا صار حكيماً أي جعلت حكيمة كقوله آيات الكتاب الحكيم وقيل
منعت من الفساد من قولهم أحكمت الدابة إذا وضعت عليها الحكمة لتمنعها من
الجماح قال جرير أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم إني أخاف عليكم أن أغضبا
وعن قتادة أحكمت من الباطل **ثم فصلت** كما تفصل القلائد بالفرائد من دلائل
التوحيد والأحكام والمواعظ والقصص أو جعلت فصولاً سورة سورة
وآية آية أو فرقت في التنزيل ولم تنزل جملة واحدة أو فصل فيها ما يحتاج إليه
العباد أي بين ولخص وقرئ أحكمتُ آياته ثم فصّلتُ أي أحكمتها أنا ثم فصلتها
وعن عكرمة والضحاك ثم فصَلت أي فرقت بين الحق والباطل فإن قلت
ما معنى ثم قلت ليس معناها التراخي في الوقت ولكن في الحال كما تقول
هي محكمة أحسن الإحكام ثم مفصلة أحسن التفصيل وفلان كريم الأصل
ثم كريم الفعل و**كتاب** خبر مبتدأ محذوف وأحكمت صفة له وقوله
من لدن حكيم خبير صفة ثانية ويجوز أن يكون خبراً بعد خبر وأن يكون
صلة لأحكمت وفصلت أي من عنده سبحانه أحكامها وتفصيلها وفيه طباق
حسن لأن المعنى أحكمها حكيم وفصلها أي بينها وشرحها خبير عالم بكيفيات
الأمور **ألا تعبدوا** مفعول له على معنى لئلا تعبدوا أو تكون أن مفسرة
لأن في تفصيل الآيات معنى القول كأنه قيل قال لا تعبدوا إلا الله أو أمركم
أن لا تعبدوا إلا الله **وأن استغفروا** أي أمركم بالتوحيد والاستغفار
ويجوز أن يكون كلاماً مبتدأ منقطعاً عما قبله على لسان النبي صلى الله عليه
إغراء منه على اختصاص الله تبارك وتعالى بالعبادة ويدل عليه قوله إنني
لكم منه نذير وبشير كأنه قال ترك عبادة غير الله إنني لكم منه نذير كقوله
تعالى فضرب الرقاب والضمير في منه لله عز وجل أي إنني لكم نذير وبشير
من جهته كقوله رسول من الله أو هي صلة لنذير أي أنذركم منه ومن
عذابه إن كفرتم وأبشركم بثوابه إن آمنتم فإن قلت ما معنى ثم في قوله
ثم توبوا إليه قلت معناه استغفروا من الشرك ثم ارجعوا إليه بالطاعة
أو استغفروا والاستغفار توبة ثم أخلصوا التوبة واستقيموا عليها كقوله
ثم استقاموا **يمتعكم** يطول نفعكم في الدنيا بمنافع حسنة مرضية من
عيشة واسعة ونعمة متتابعة **إلى أجل مسمى** إلى أن يتوفاكم كقوله
فلنحيينه حياة طيبة **ويؤت كل ذي فضل فضله** ويعط في الآخرة
كل من كان له فضل في العمل وزيادة فيه جزاء فضله لا يبخس منه أو فضله
في الثواب والدرجات تتفاضل في الجنة على قدر تفاضل الطاعات
وإن تولوا وإن تتولوا **عذاب يوم كبير** هو يوم القيامة وصف بالكبر
كما وصف بالعظم والثقل و[illegible] عذاب اليوم الكبير أن مرجعهم إلى

مطاعان فأرادان يزوجهما إياهم وقرأ ابن مروان **هن أطهرَ لكم** بالنصب
وضعفه سيبويه وقال ابن جني ابن مروان في لحنه وعن أبي عمرو بن العلاء
من قرأ هن أطهرَ بالنصب فقد تربع في لحنه وذلك أن انتصابه على أن
يجعل حالاً قد عمل فيها ما في هؤلاء من معنى الفعل كقوله هذا بعلي
شيخاً أو ينصب هؤلاء بفعل مضمر كأنه قيل خذوا هؤلاء وبناتي بدل
ويعمل هذا المضمر في الحال وهن فصل وهذا لا يجوز لأن الفصل مختص بالوقوع
بين جزأي الجملة ولا يقع بين الحال وذي الحال وقد خرج له وجه لا يكون
هن فيه فصلاً وذلك أن يكون هؤلاء مبتدأ وبناتي هن جملة في موضع
خبر المبتدأ كقولك هذا أخي هو ويكون أطهر حالاً **فاتقوا الله**
بإيثارهن عليهم **ولا تخزون** ولا تهينوني ولا تفضحوني من الخزي أو ولا
تخجلوني من الخزاية وهي الحياء **في ضيفي** في حق ضيوفي فإنه إذا خزي
ضيف الرجل أو جاره فقد خزي الرجل وذلك من عراقة الكرم وأصالة
المروءة **أليس منكم رجل رشيد** رجل واحد يهتدي إلى سبيل الحق وفعل
الجميل والكف عن السوء وقرئ ولا تخزونِ بطرح الياء ويجوز أن يكون
عرض البنات عليهم مبالغة في تواضعه لهم وإظهاراً لشدة امتعاضه
مما أوردوا عليه طمعاً في أن يستحيوا منه ويرقوا له إذا سمعوا ذلك
فيتركوا له ضيوفه مع ظهور الأمر واستقرار العلم عنده وعندهم أن
لا مناكحة بينه وبينهم ومن ثم قالوا **لقد علمت** مستشهدين بعلمه
ما لنا في بناتك من حق لأنك لا ترى مناكحتنا وما هو إلا عرض سابري
وقيل لما اتخذوا إتيان الذكران مذهباً وديناً لتواطئهم عليه كان
عندهم أنه هو الحق وأن نكاح الإناث من الباطل فلذلك قالوا ما لنا في
بناتك من حق قط لأن نكاح الإناث أمر خارج من مذهبنا الذي نحن
عليه ويجوز أن يقولوه على وجه الخلاعة والغرض نفي الشهوة **وإنك لتعلم
ما نريد** عنوا إتيان الذكور وما لهم فيه من الشهوة جواب لو محذوف
كقوله تعالى ولو أن قرآناً سيرت به الجبال يعني لو أن لي بكم قوة
لفعلت بكم وصنعت يقال ما لي به قوة وما لي به طاقة ونحوه لا قبل لهم بها
وما لي به يدان لأنه في معنى لا أضطلع به ولا أستقل به والمعنى لو قويت
عليكم بنفسي **أو آوي** إلى قوي أستند إليه وأمتنع به فيحميني منكم
فشبه القوي العزيز بالركن من الجبل في شدته ومنعته ولذلك قالت
الملائكة وقد وجدت عليه إن ركنك لشديد وقال النبي صلى الله عليه
رحم الله أخي لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد وقرئ أو آوي
بالنصب بإضمار أن كأنه قيل لو أن لي بكم قوة أو أوياً كقولها للبس عباءة
وتقر عيني وقرئ إلى ركن بضمتين وروي أنه أغلق بابه حين
جاؤوا وجعل يرادهم ما حكى الله عنه ويجادلهم فتسوروا الجدار فلما
رأت الملائكة ما لقي لوط من الكرب قالوا يا لوط إن ركنك لشديد

انا رسل ربك لن يصلوا اليك فافتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب
فدخلوا فاستاذن جبريل عليه السلام ربه في عقوبتهم فاذن له فقام
في الصورة التي يكون فيها فنشر جناحه وله جناحان وعليه وشاح
من در منظوم وهو براق الثنايا فضرب بجناحه وجوههم فطمس
اعينهم فاعماهم كما قال الله عز وجل فطمسنا اعينهم فصاروا لا يعرفون
الطريق فخرجوا وهم يقولون النجا النجا فان في بيت لوط قوما سحرة لن
يصلوا فاسر بالقطع والوصل والا امراتك بالرفع والنصب وروى
انه قال لهم متى موعد هلاكهم قالوا الصبح فقال اريد اسرع من ذلك
فقالوا اليس الصبح بقريب وقرى الصبح بضمتين فان قلت ما وجه
قراءة من قرا الا امراتك بالنصب قلت استثناها من قوله فاسر
باهلك والدليل عليه قراءة عبد الله رضي الله عنه فاسر باهلك
بقطع من الليل الا امراتك ويجوز ان ينتصب عن لا يلتفت على اصل
الاستثناء وان كان الفصيح هو البدل اعني قراءة من قرا بالرفع
فابدلها عن احد وفي اخراجها مع اهله روايتان روي انه اخرجها
معهم وامر ان لا يلتفت منهم احد الا هي فلما سمعت هدة العذاب
التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها وروي انه امر
بان يخلفها مع قومها فان هواها اليهم فلم يسر بها واختلاف القراءتين
لاختلاف الروايتين جعلنا عاليها سافلها جعل جبريل عليه السلام
جناحه في اسفلها ثم رفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح
الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم واتبعوا الحجارة من فوقهم
من سجيل قيل هي كلمة معربة من سنككل بدليل قوله حجارة
من طين وقيل هي من اسجله اذا ارسله لانها ترسل على الظالمين
ويدل عليه قوله لنرسل عليهم حجارة من طين وقيل مما كتب الله عز وجل
ان يعذب به من السجل وسجلت لفلان منضود نضد في السماء نضدا
معدا للعذاب وقيل يرسل بعضه في اثر بعض متتابعا مسومة
معلمة للعذاب وعن الحسن كانت معلمة ببياض وحمرة وقيل عليها
سيما يعلم بها انها ليست من حجارة الارض وقيل مكتوب على كل واحد اسم
من يرمى به وما هي من الظالمين ببعيد وفيه وعيد لاهل مكة
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سال جبريل فقال يعني ظالمي امتك
ما من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة
وقيل الضمير للقرى اي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون عليها بها
في مسايرهم سعيد بشي بعيد ويجوز ان يراد وما هي بمكان بعيد
لانها وان كانت في السماء فهي مكان بعيد الا انها اذا هوت
منها فهي اسرع شي لحوقا بالمرمى فكانها بمكان قريب منه اني اراكم
بخير يريد بثروة وسعة تغنيكم عن التطفيف او اراكم بنعمة من الله

حقها ان تقابل بغير ما تفعلون او اراكم بخير فلا تزيلوه عنكم بما انتم عليه
كقول مؤمن آل فرعون يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض فمن
ينصرنا من باس الله ان جاءنا يوم محيط مهلك من قوله واحيط بثمره
واصله من احاطة العدو فان قلت وصف العذاب بالاحاطة ابلغ ام وصف
اليوم بها قلت بل وصف اليوم لان اليوم زمان يشتمل على الحوادث
فاذا احاط بعذابه فقد اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه منه كما اذا
احاط بنعمه فان قلت النهي عن النقصان امر بالايفاء فما فائدة قوله
اوفوا قلت نهوا اولا عن عين القبيح الذي كانوا عليه من نقص المكيال
والميزان لان في التصريح بالقبيح نعيا على المنهي وتعييرا له ثم ورد الامر
بالايفاء الذي هو حسن في العقول مصرحا بلفظه لمزية ترغيب فيه وبعث
عليه وجي به مقيدا بالقسط اي ليكن الايفاء على وجه العدل والتسوية
من غير زيادة ولا نقصان امرا بما هو الواجب لان ما جاوز العدل فضل
وامر مندوب اليه وفيه توقيف على ان الموفي عليه ان ينوي بالوفاء
القسط لان الايفاء وجه حسنه انه قسط وعدل فهذه ثلاث فوائد
البخس الهضم والنقص ويقال للمكس البخس قال زهير وفي كل ما باع
امرؤ بخس درهم وروي مكس درهم وكانوا ياخذون من كل شي يباع شيا
كما تفعل السماسرة او كانوا يمكسون الناس او كانوا ينقصون من
اثمان ما يشترون من الاشياء فنهوا عن ذلك ولا تعثوا في الارض نحو
السرقة والغارة وقطع السبيل ويجوز ان يجعل التطفيف والبخس عيثا
منهم في الارض بقية الله ما يبقي لكم من الحلال بعد التنزه عما
هو حرام عليكم خير لكم ان كنتم مؤمنين بشرط ان تؤمنوا وانما
خوطبوا بترك التطفيف والبخس والفساد في الارض وهم كفرة بشرط
الايمان ويجوز ان يريد ما يبقى لكم عند الله من الطاعات خير لكم
كقوله والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا واضافة البقية
الى الله من حيث انها رزقه الذي يجوز ان يضاف اليه واما الحرام
فلا يضاف الى الله ولا يسمى رزقا واذا اريد بها الطاعة فكما تقول
طاعة الله وقرى تقية الله بالتاء وهي تقواه ومراقبته التي تصرف عن
المعاصي والقبائح وما انا عليكم بحفيظ وما بعثت لاحفظ عليكم
اعمالكم واجازيكم عليها وانما بعثت ~~بترك التطفيف~~ مبلغا ومنبها
على الخير وناصحا وقد اعذرت حين انذرت كان شعيب عليه الصلوة والسلام
كثير الصلوات وكان قومه اذا راوه يصلي تغامزوا وتضاحكوا فقصدوا
بقولهم اصلواتك تامرك السخرية والهزء والصلوة وان جاز ان
تكون امرة على طريق المجاز كما كانت ناهية في قوله ان الصلوة تنهى
عن الفحشاء والمنكر وان يقال ان الصلوة يامر بالجميل والمعروف كما
يقال تدعو اليه وتبعث عليه الا انهم ساقوا الكلام مساق الطنز

وجعلوا الصلوة آمرة على سبيل التهكم بصلاته وارادوا ان هذا الذي يأمر
به من ترك عبادة الاوثان باطل لا وجه لصحته وان مثله لا يدعوك اليه
داعي عقل ولا يأمرك به آمر وطبع فلم يبق الا ان يأمرك به آمر هذيان
ووسوسة شيطان وهو صلواتك التي تداوم عليها في ليلك ونهارك
وعندهم انها من باب الجنون ومما يتولع به المجانين والموسوسون من
بعض الافعال والاقوال ومعنى تأمرك ان نترك تأمرك بتكليف ان نترك
ما يعبد آباؤنا فحذف المضاف الذي هو التكليف لان الانسان لا يؤمر بفعل
غيره وقرئ اصلاتك بالتوحيد وقرأ ابن ابي عبلة او ان تفعل في اموالنا ما
نشاء بالخطاب فيهما وهو ما كان يأمرهم به من ترك التطفيف والبخس
والاقناع بالحلال القليل من الحرام الكثير وقيل كان ينهاهم عن حذف
الدراهم والدنانير وتقطيعها وارادوا بقولهم انك لانت الحليم الرشيد
نسبته الى غاية السفه والغي فعكسوا ليتهكموا به كما يتهكم بالشحيح الذي
لا يبض حجره فيقال له لو ابصرك حاتم لسجد لك وقيل معناه انك للمتواصف
بالحلم والرشد في قومك يعنون ان ما تأمر به لا يطابق حالك وما شهرت به
ورزقني منه اي من لدنه رزقا حسنا وهو ما رزقه من النبوة والحكمة وقيل
رزقا حسنا حلالا طيبا من غير بخس ولا تطفيف فان قلت اين جواب ارأيتم
وما له لم يثبت كما اثبت في قصة نوح ولوط وصالح قلت جوابه محذوف وانما لم
يثبت لان اثباته في القصص دل على مكانه ومعنى الكلام ينادي عليه والمعنى
اخبروني ان كنت على حجة واضحة ويقين من ربي وكنت نبيا على الحقيقة ايصح
لي ان لا آمركم بترك عبادة الاوثان والكف عن المعاصي والانبياء لا
يبعثون الا لذلك يقال خالفني فلان الى كذا اذا قصده وانت مول عنه
وخالفني عنه اذا ولى عنه وانت قاصده ويلقاك الرجل صادرا عن الماء فتسأله
عن صاحبه فيقول خالفني الى الماء يريد انه قد ذهب اليه واردا وانا ذاهب
عنه صادرا ومنه قوله تعالى وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه
يعني ان اسبقكم الى شهواتكم التي نهيتكم عنها لاستبد بها دونكم ان اريد
الا الاصلاح ما اريد الا ان اصلحكم بموعظتي ونصيحتي وامري بالمعروف ونهيي عن
المنكر ما استطعت ظرف اي مدة استطاعتي للاصلاح وما دمت متمكنا منه
لا آلو فيه جهدا او بدل من الاصلاح اي المقدار الذي استطعته منه
ويجوز ان يكون على تقدير حذف المضاف على قولك الا الاصلاح اصلاح ما
استطعت او مفعول له كقوله ضعيف النكاية اعداءه اي ما اريد الا
ان اصلح ما استطعت اصلاحه من فاسدكم وما توفيقي الا بالله وما كوني
موفقا لاصابة الحق فيما آتي واذر ووقوعه موافقا لرضا الله الا بمعونته
وتأييده والمعنى انه استوفق ربه في امضاء الامر على سننه وطلب منه
التأييد والاظهار على عدوه وفي ضمنه تهديد للكفار وحسم لاطماعهم
فيه جرم مثل كسب في تعديه الى مفعول واحد والى مفعولين يقول جرم زيدا

من هو قادر على كل شيء فكان قادرا على اشد ما اراد من عذابهم لا يعجزه
وقرئ وان تولوا من ولي الا انهم يثنون صدورهم يزورون عن الحق
وينحرفون عنه لان من اقبل على الشيء استقبله بصدره ومن ازور عنه
وانحرف ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه ليستخفوا منه يعني ويريدون
ليستخفوا من الله فلا يطلع رسوله والمؤمنين على ازورارهم ونظير اضمار
يريدون لعود المعنى الى اضماره الاضمار في قوله تعالى ان اضرب بعصاك
البحر فانفلق معناه فضرب فانفلق ومعنى الا حين يستغشون ثيابهم
ويريدون الاستخفاء حين يستغشون ثيابهم ايضا كراهة لاستماع كلام الله
كقول نوح عليه السلام جعلوا اصابعهم في اذانهم واستغشوا ثيابهم قال
يعلم ما يسرون وما يعلنون يعني انه لا تفاوت في علمه بين اسرارهم
واعلانهم فلا وجه لتوصلهم الى ما يريدون من الاستخفاء والله مطلع على
ثنيهم صدورهم واستغشائهم ثيابهم ونفاقهم غير نافق عنده روي انها
نزلت في الاخنس بن شريق وكان يظهر لرسول الله المحبة وله منطق
حلو وحسن سياق للحديث وكان يعجب رسول الله مجالسته ومحادثته
وهو يضمر خلاف ما يظهر وقيل نزلت في المنافقين وقرئ تثنوني
صدورهم واثنوني افعوعل من الثني كاحلولى من الحلاوة وهو بناء مبالغة
وقرئ بالتاء والياء وعن ابن عباس لتثنوني وقرئ تثنون واصله تثنونن
تفعوعل من الثن وهو ما هش وضعف من الكلأ يريد مطاوعة صدورهم
للثني كما ينثني الهش من النبات او اراد ضعف ايمانهم ومرض قلوبهم
وقرئ تثنئن من اثنان افعال منه ثم همز كما قيل ابياضت وادهامت
وقرئ تثنوي بوزن ترعوي فان قلت كيف قال على الله رزقها
بلفظ الوجوب وانما هو تفضل قلت هو تفضل الا انه لما ضمن ان يتفضل
به عليهم رجع التفضل واجبا كنذور العباد والمستقر مكانه من الارض
ومسكنه والمستودع حيث كان مودعا قبل الاستقرار من صلب او رحم
او بيضة كل كل واحد من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها
في اللوح يعني ذكرها مكتوب فيه مبين وكان عرشه على الماء اي ما
كان تحته خلق قبل خلق السموات والارض وارتفاعه فوقها الا الماء
وفيه دليل على ان العرش والماء كانا مخلوقين قبل السموات والارض
وقيل وكان الماء على متن الريح والله اعلم بذلك وكيف ما كان فالله
ممسك كل ذلك بقدرته وكلما ازدادت الاجرام كانت احوج اليه
والى امساكه سبحانه وتعالى ليبلوكم متعلق بخلق اي خلقهن لحكمة بالغة
وهي ان يجعلها مساكن لعباده وينعم عليهم فيها بفنون النعم ويكلفهم
الطاعات واجتناب المعاصي فمن شكر واطاع اثابه ومن كفر وعصى
عاقبه ولما اشبه ذلك اختبار المختبر قال ليبلوكم يريد ليفعل بكم
ما يفعل المبتلي لاحوالكم كيف تعملون فان قلت كيف جاز تعليق فعل

البلوى قلت لما في الاختبار من معنى العلم لانه طريق اليه فهو
ملابس له كما تقول انظر ايهم احسن وجها واسمع ايهم احسن صوتا
لان النظر والاستماع من طرق العلم فان قلت كيف قيل ايكم احسن
عملا واعمال المومنين هي التي تتفاوت الى حسن واحسن واما اعمال
المومنين والكافرين فتفاوتها الى حسن وقبيح قلت الذين هم احسن
عملا هم المتقون وهم الذين استبقوا الى ما هو غرض الله من عباده
فخصهم بالذكر واطرح ذكر من وراهم تشريفا لهم وتنبيها على مكانهم منه
وليكون ذلك لطفا للسامعين وترغيبا في حيازة فضلهم وعن
النبي صلى الله عليه وسلم ليبلوكم ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله
واسرع في طاعة الله قرى ولئن قلت انكم مبعوثون بفتح الهمزة
ووجهه ان يكون من قولهم ائت السوق انك تشتري لحما وانك تشتري
بمعنى علك اي ولئن قلت لهم لعلكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم
وظنوه ولا تبتوا القول بانكاره لقالوا ان هذا الا سحر مبين بانين
القول ببطلانه ويجوز ان تضمن قلت معنى ذكرت ومعنى قولهم ان
هذا الا سحر ان البعث امر باطل وان بطلانه كبطلان السحر تشبيها
له به او اشاروا بهذا الى القران لان القران هو الناطق بالبعث فاذا
جعلوه سحرا فقد اندرج تحته انكار ما فيه من البعث وغيره وقرى
ان هذا الا ساحر يريدون الرسول صلى الله عليه والساحر كاذب مبطل
العذاب عذاب الاخرة وقيل عذاب يوم بدر وعن ابن عباس قتل جبريل
عليه السلام المستهزين الى امة الى جماعة من الاوقات ما يحبسه ما
يمنعه من النزول استعجالا له على وجه التكذيب والاستهزا ويوم يأتيهم
منصوب بخبر ليس ويستدل به من يستجيز تقديم خبر ليس على ليس وذلك
انه اذا جاز تقديم معمول خبرها عليها كان ذلك دليلا على جواز تقديم
خبرها اذ المعمول تابع للعامل فلا يقع الا حيث يقع العامل وحاق
بهم واحاط بهم ما كانوا به يستهزءون العذاب الذي كانوا به يستعجلون
وانما وضع يستهزءون موضع يستعجلون لان استعجالهم كان على جهة
الاستهزا والمعنى ويحيق بهم الا انه جا على عادة الله في اخباره الانسان
للجنس رحمة نعمة من صحة وامن وجدة ثم نزعناها منه ثم سلبناه تلك
النعمة انه ليؤس شديد الياس من ان تعود اليه تلك النعمة مثل المسلوبة
قاطع رجاه من سعة فضل الله من غير صبر ولا تسليم لقضائه ولا
استرجاع كفور عظيم الكفران لما سلف له من التقلب في نعمة الله
نساله ذهب السيات عني اي المصائب التي ساءتني انه لفرح اشر
بطر فخور على الناس بما اذاقه الله من نعمائه قد شغله الفرح والفخر
عن الشكر الا الذين صبروا الا الذين امنوا فان عادتهم ان نالتهم رحمة
ان يشكروا وان زالت عنهم نعمة ان يصبروا كانوا يقترحون عليه

ايات تعنتا لا استرشادا لانهم لو كانوا مسترشدين لكانت اية واحدة
مما جا به كافية في رشادهم ومن اقتراحاتهم لولا انزل عليه كنز او جا معه
ملك وكانوا لا يعتدون بالقران ويتهاونون به وبغيره مما جا به من البينات
فكان يضيق صدر رسول الله ان يلقي اليهم ما لا يقبلونه ويضحكون
منه فحركه الله منه وهيجه لادا الرسالة وطرح المبالاة بردهم
واستهزايهم واقتراحهم بقوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك
اي لعلك تترك ان تلقيه اليهم وتبلغه اياهم مخافة ردهم له وتهاونهم
به وضائق به صدرك بان تتلوه عليهم ان يقولوا مخافة ان يقولوا
لولا انزل عليه كنز اي هلا انزل عليه ما اقترحنا نحن من الكنز والملائكة
ولم ينزل عليه ما لا نريده ولا نقترحه ثم قال انما انت نذير
اي ليس عليك الا ان تنذرهم بما اوحي اليك وتبلغهم ما امرت بتبليغه ولا
عليك ردوا او تهاونوا او اقترحوا والله على كل شي وكيل يحفظ ما
يقولون وهو فاعل بهم ما يجب ان يفعل فتوكل عليه وكل امرك اليه
وعليك بتبليغ الوحي بقلب فسيح وصدر منشرح غير ملتفت الى استكبارهم
ولا مبال بسفههم واستهزايهم فان قلت لم عدل عن ضيق الى
ضائق قلت ليدل على انه ضيق عارض غير ثابت لان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان افسح الناس صدرا ومثله قولك زيد سيد وجواد تريد السيادة
والجود الثابتين المستمرين فاذا اردت الحدوث قلت سائد وجائد
ونحوه كانوا قوما عامين في بعض القراءات وقول السمهري العكلي
بمنزلة اما اللئيم فسامن بها وكرام الناس باد شحوبها ام منقطعة
والضمير في افتراه لما يوحى اليك تحداهم اولا بعشر سور ثم بسورة واحدة كما
يقول المخاير في الخط لصاحبه اكتب عشرة اسطر نحو ما اكتب فاذا تبين له العجز
عن مثل خطه قال قد اقتصرت منك على سطر واحد مثله بمعنى امثاله ذهابا الى
مماثلة كل واحدة منها له مفتريات صفة لعشر سور لما قالوا افترى القران
واختلقه من عند نفسه وليس من عند الله قاودهم على دعواهم وارخى معهم العنان
وقال هبوا اني اختلقته من عند نفسي ولم يوح الي وان الامر كما
قلتم فاتوا انتم ايضا بكلام مثله مختلق من عند انفسكم فانتم عرب فصحا
مثلي لا تعجزون عن مثل ما اقدر عليه من الكلام فان قلت كيف يكون
ما ياتون به مثله وما ياتون به مفترى وهذا غير مفترى قلت معناه مثله في حسن النظم
والبيان وان كان مفترى فان قلت ما وجه جمع الخطاب بعد افراده وهو قوله
لكم فاعلموا بعد قوله قل قلت معناه فان لم يستجيبوا لك وللمومنين لان رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمومنين كانوا يتحدونهم وقد قال في موضع اخر فان لم يستجيبوا لك
فاعلموا ويجوز ان يكون الجمع لتعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله فان شئت
حرمت النسا سواكم ووجه اخر وهو ان يكون الخطاب للمشركين والضمير في لم
يستجيبوا لمن استطعتم يعني فان لم يستجب لكم من تدعونه من دون الله الى المظاهرة

من

بالقران

ان ينذرهم

زعم

على معارضته لعلمهم بالعجز عنه وان طاقتهم اقصر من ان تبلغه فاعلموا
انما انزل بعلم الله اى انزل ملتبسا بما لا يعلمه الا الله من نظم معجز
للخلق واخبار بغيوب لا سبيل لهم اليه واعلموا عند ذلك ان لا اله الا
هو وحده وان توحيده واجب والاشراك به ظلم عظيم فهل انتم مسلمون
متابعون بالاسلام بعد هذه الحجة القاطعة وهذا وجه حسن مطرد
ومن جعل الخطاب للمسلمين فمعناه فاثبتوا على العلم الذي انتم عليه
وازدادوا يقينا وثبات قدم على انه منزل من عند الله وعلى التوحيد
ومعنى فهل انتم مسلمون فهل انتم مخلصون نوف اليهم نوصل اليهم اجور
اعمالهم وافية كاملة من غير بخس في الدنيا وهو ما يرزقون فيها
من الصحة والرزق وقيل هم اهل الرياء يقال للقراء منهم اردت ان
يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك ولمن وصل الرحم وتصدق فعلت
حتى يقال فقد قيل ولمن قاتل فقتل قاتلت حتى يقال فلان جرئ فقد قيل
وعن انس بن مالك هم اليهود والنصارى ان اعطوا سائلا او وصلوا
رحما عجل لهم جزاء ذلك بتوسعة في الرزق وصحة في البدن وقيل هم الذين جاهدوا
من المنافقين مع رسول الله فأسهم لهم في الغنائم وقرئ يوف بالياء
على ان الفعل لله عز وجل وتوف اليهم اعمالهم بالتاء على البناء للمفعول
وفي قراءة الحسن نوفي اليهم بالتخفيف واثبات الياء لان الشرط وقع
ماضيا كقوله يقول لا غائب مالي ولا حرم وحبط ما صنعوا فيها
وحبط في الآخرة ما صنعوه او صنيعهم يعني انه لم يكن له ثواب لانهم
لم يريدوا به الآخرة انما ارادوا الدنيا وقد وفي اليهم ما ارادوا وباطل
ما كانوا يعملون اي كان عملهم في نفسه باطلا لانه لم يعمل لوجه صحيح
والعمل الباطل لا ثواب له وقرئ وبطل على الفعل وعن عاصم وباطلا
بالنصب وفيه وجهان ان تكون ما ابهامية وينتصب بيعملون ومعناه
وباطلا اي باطل كانوا يعملون وان تكون بمعنى المصدر على وبطل
بطلانا ما كانوا يعملون افمن كان على بينة معناه امن كان يريد
الحياة الدنيا فمن كان على بينة اي لا يعقبونهم في المنزلة ولا يقاربونهم
يريد ان بين الفريقين تفاوتا بعيدا وتباينا بينا واراد بهم من آمن
من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره كان على بينة من ربه اي على
برهان من الله وبيان ان دين الاسلام حق وهو دليل العقل ويتلوه
ويتبع ذلك البرهان شاهد منه اي شاهد يشهد بصحته وهو القرآن
منه من الله او شاهد من القرآن فقد تقدم ذكره آنفا ومن قبله ومن
قبل القرآن كتاب موسى وهو التوراة اي ويتلو ذلك البرهان ايضا من
قبل القرآن كتاب موسى وقرئ كتاب موسى بالنصب ومعناه كان على
بينة من ربه وهو الدليل على ان القرآن حق ويتلوه ويقرأ القرآن
شاهد منه شاهد ممن كان على بينة كقوله وشهد شاهد من بني اسرائيل

على مثله قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ومن قبله
كتاب موسى ويتلوه من قبل القرآن التوراة اماما كتابا مؤتما به في الدين
قدوة فيه ورحمة ونعمة عظيمة على المنزل اليهم اولئك يعني من كان
على بينة يؤمنون به يؤمنون بالقرآن ومن يكفر به من الاحزاب يعني
اهل مكة ومن ضامهم من المتحزبين على رسول الله فالنار موعده فلا تك
في مرية وقرئ مرية بالضم وهما الشك منه من القرآن او من الموعد
يعرضون على ربهم يحبسون في الموقف وتعرض اعمالهم ويشهد عليهم
الاشهاد من الملائكة والنبيين بانهم الكاذبون على الله بانه اتخذ
ولدا وشريكا ويقال الا لعنة الله على الظالمين فواخزياه ووافضيحتاه
والاشهاد جمع شاهد او شهيد كاصحاب واشراف ويبغونها عوجا
يصفونها بالاعوجاج وهي مستقيمة او يبغون اهلها ان يعوجوا بالارتداد
وهم الثانية لتأكيد كفرهم بالآخرة واختصاصهم به اولئك لم يكونوا
معجزين في الارض اي ما كانوا يعجزون الله في الدنيا ان يعاقبهم لو
اراد عقابهم وما كان لهم من سواهم ينصرهم منه ويمنعهم من عقابه ولكنه
اراد انظارهم وتأخير عقابهم الى هذا اليوم وهو من كلام الاشهاد
يضاعف لهم العذاب وقرئ يضعف ما كانوا يستطيعون السمع
اراد انهم لفرط تصامهم عن استماع الحق وكراهتهم له كانهم لا
يستطيعون السمع ولعل بعض المجبرة يتوثب اذا عثر عليه فيوعوع به
على اهل العدل كانه لم يسمع الناس يقولون في كل لسان هذا الكلام
لا استطيع ان اسمعه وهذا مما يمجه سمعي ويحتمل ان يريد بقوله
وما كان لهم من اولياء انهم جعلوا آلهتهم اولياء من دون الله وولايتها
ليست بشيء فما كان لهم في الحقيقة من اولياء ثم بين نفي كونهم اولياء بقوله
ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون فكيف يصلحون للولاية
وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض بوعيد خسروا انفسهم اشتروا
عبادة الآلهة بعبادة الله فكان خسرانهم في تجارتهم ما لا خسران
اعظم منه وهو انهم خسروا انفسهم وضل عنهم وبطل عنهم وضاع ما
اشتروه وهو ما كانوا يفترون من الآلهة وشفاعتها لا جرم فيه
في مكان آخر انهم هم الاخسرون لا ترى احدا ابين خسرانا منهم واخبتوا
الى ربهم واطمأنوا اليه وانقطعوا الى عبادته بالخشوع والتواضع
من الخبت وهي الارض المطمئنة ومنه قولهم للشيء الدني الخبيث قال
ينفع الطيب القليل من الرزق ولا ينفع الكثير الخبيث وقيل التا
فيه بدل من الثاء شبه فريق الكافرين بالاعمى والاصم وفريق
المؤمنين بالبصير والسميع وهو من اللف في الطباق وفيه معنيان
ان يشبه الفريق تشبيهين اثنين كما شبه امرؤ القيس قلوب الطير
بالحشف والعناب وان يشبهه بالذي جمع بين العمى والصمم او الذي
في تشبيه

والذى جمع بين التصرح السمع على ان يكون الواو فى والاصم وفى السميع
لعطف الصفة على الصفة كقوله الصابح فالغانم فالايب هل يستويان
يعنى العريقين مثلا تشبيها اى ارسلنا نوحا بانى لكم نذير ومعناه ارسلنا
ملتبسا بهذا الكلام وهو قوله انى لكم نذير مبين بالكسر فلما اتصل به
الجار فتح كما فتح فى كأن والمعنى على الكسر وهو قولك ان زيدا
كالاسد وقرى بالكسر على اراده القول ان لا تعبدوا الا الله بدل من انى لكم
نذير اى ارسلناه بان لا تعبدوا او يكون ان مفسره متعلقه بارسلنا او بنذير ووصف
اليوم بالاليم من الاسناد المجازى لوقوع الالم فيه فان قلت فاذا وصف
به العذاب قلت مجازى مثله لان الاليم فى الحقيقه هو المعذب
ونظيرهما قولك نهارك صائم وجد جدك الملا الاشراف من قولهم
فلان ملئ بكذا اذا كان مطيقا له وقد ملؤا بالامر لانهم ملؤا
بكفايات الامور واضطلعوا بها وبتدبيرها او لانهم يتمالؤن اي
يتظاهرون ويتساندون او لانهم يملؤن القلوب هيبة والمجالس
ابهه او لانهم ملاء بالاحلام والاراء الصائبه ما نراك الا بشرا مثلنا تعريض
بانهم احق منه بالنبوة وان الله لو اراد ان يجعلها فى احد من البشر
لجعلها فيهم فقالوا هب انك واحد من الملا وموازٍ لهم فى المنزله فما
جعلك احق منهم الا ترى الى قولهم وما نرى لكم علينا من فضل او ارادوا
انه كان ينبغى ان يكون ملكا لا بشرا والاراذل جمع الارذل كقوله
اكابر مجرميها احاسنكم اخلاقا وقرى بادى الراى بالهمزه وغير الهمزه
بمعنى اتبعوك اول الراى او ظاهر الراى وانتصابه على الظرف
اصله وقت حدوث اول رايهم او وقت حدوث ظاهر رايهم فحذف
ذلك واقيم المضاف اليه مقامه ارادوا ان اتباعهم لك انما هو
شئ عن لهم بديهة من غير رويه ونظر وانما استرذلوا المومنين
لفقرهم وتاخرهم فى الاسباب الدنيويه لانهم كانوا جهالا ما كانوا
يعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا فكان الاشرف عندهم من له
جاه ومال كما ترى اكثر المتسمين بالاسلام يعتقدون ذلك ويبنون
عليه اكرامهم واهانتهم ولقد زل عنهم ان التقدم فى الدنيا لا يقرب
احدا من الله وانما يبعده ولا يرفعه بل يضعه فضلا ان يجعله سببا
فى الاختيار للنبوه والتاهيل لها على ان الانبيا بعثوا مرغبين فى
طلب الاخره ورفض الدنيا مزهدين فيها مصغرين لشانها وشان
من اخلد اليها فما ابعد حالهم من الاتصاف بما يبعد من الله والتشرف
بما هو ضعه عند الله من فضل من زياده شرف علينا تؤهلكم للنبوه
بل نظنكم كاذبين فيما تدعونه ارايتم اخبرونى ان كنت على بينة على برهان
من ربى وشاهد منه يشهد بصحه دعواى واتانى رحمة من عنده
بايتاء البينه على ان البينه فى نفسها هى الرحمه ويجوز ان يريد بالبينه

المعجزه وبالرحمه النبوه فان قلت فقوله فعميت ظاهر على الوجه الاول
فما وجهه على الوجه الثانى وحقه ان يقال فعميتا قلت الوجه ان يقدر
فعميت بعد البينه وان يكون حذفه للاقتصار على ذكره مره ومعنى
عميت خفيت وقرى فعُميت بمعنى اخفيت وفى قراءه ابى فعماها عليكم
فان قلت فما حقيقته قلت حقيقته ان الحجه كما جعلت بصيره
ومبصره جعلت عمياء لان الاعمى لا يهتدى ولا يهدى غيره فمعنى
فعميت عليكم البينه فلم تهدكم كما لو عمى على القوم دليلهم فى المفازه
بقوا بغير هاد فان قلت فما معنى قراءه ابى قلت المعنى انهم
صمموا على الاعراض عنها فخلاهم الله وتصميمهم فجعلت تلك التخليه
تعميه منه والدليل عليه قوله انلزمكموها وانتم لها كارهون يعنى
انكرهكم على قبولها ونقسركم على الاهتداء بها وانتم تكرهونها ولا
تختارونها ولا اكراه فى الدين وقد جئ بضميرى المفعولين متصلين
جميعا ويجوز ان يكون الثانى منفصلا كقولك انلزمكم اياها ونحوه
فسيكفيكهم الله ويجوز فسيكفيك اياهم وحكى عن ابى عمرو اسكان الميم
ووجهه ان الحركه لم تكن الا خلسه خفيفه فظنها الراوى سكونا
والاسكان الصريح لحن عند الخليل وسيبويه وحذاق البصريين
لان الحركه الاعرابيه لا يسوغ طرحها الا فى ضروره الشعر والضمير فى
قوله لا اسألكم عليه اجرا للقول فى قوله انى لكم نذير مبين الا تعبدوا الا الله
وقرى وما انا بطارد الذين امنوا بالتنوين على الاصل فان قلت ما معنى قوله
انهم ملاقوا ربهم قلت معناه انهم يلاقون ربهم فيعاقب من طردهم
او يلاقونه فيجازيهم على ما فى قلوبهم من ايمان صحيح ثابت كما ظهر لى
منهم وما اعرف غيره منهم او على خلاف ذلك مما تعرفونهم به من
بناء ايمانهم على بادى الراى من غير نظر وتفكر وما على ان اشق على
قلوبهم واتعرف سر ذلك منهم حتى اطردهم ان كان الامر كما تزعمون
ونحوه ولا تطرد الذين يدعون ربهم الايه او هم مصدقون بلقاء ربهم
موقنون به عالمون انهم ملاقوه لا محاله تجهلون تتسافهون على المومنين
وتدعونهم اراذل من قوله الا لا يجهلن احد علينا او تجهلون لقاء ربكم
او تجهلون انهم خير منكم من ينصرنى من الله من يمنعنى من انتقامه ان
طردتهم وكانوا يسئلونه ان يطردهم ليومنوا به انفه من ان يكونوا معهم
على سواء اعلم الغيب معطوف على عندى خزائن الله اى لا اقول عندى
خزائن الله ولا اقول انا اعلم الغيب ومعناه لا اقول لكم عندى خزائن الله
فادعى فضلا عليكم فى الغنى حتى تجحدوا فضلى بقولكم وما نرى لكم علينا
من فضل ولا ادعى علم الغيب حتى تنسبونى الى الكذب والافتراء او حتى
اطلع على ما فى نفوس اتباعى وضمائر قلوبهم ولا اقول انى ملك حتى تقولوا

لي ما انا الا بشر مثلكم ولا احكم على من استرذلتم من المومنين لفقرهم
ان الله لن يوتيهم خيرا في الدنيا والاخرة لهوانهم عليه كما تقولون
مساعدة لكم ونزولا على هواكم اني اذن لمن الظالمين ان قلت شيا من ذلك
والازدرا افتعال من زرى عليه اذا عابه وازرى به قصر به يقال
ازريت به وازدريته عبته واحتقرته جادلتنا فاكثرت جدالنا معناه اردت جدالنا وشرعت
فيه فاكثرته كقولك جاد فلان فاكثر واطاب فاتنا بما تعدنا من العذاب
المعجل انما ياتيكم به الله اي ليس الاتيان بالعذاب الي انما هو الى من كفرتم به
وعصيتموه ان شا يعني ان اقتضت حكمته ان يعجله لكم وقرا ابن عباس
رضي الله عنه فاكثرت جدلنا فان قلت ما وجه ترادف هذين الشرطين
قلت قوله ان كان الله يريد ان يغويكم جزاوه ما دل عليه قوله لا ينفعكم
نصحي وهذا الدال في حكم ما دل عليه فوصل بشرط كما وصل الجزا بالشرط
في قولك ان احسنت الي احسنت اليك ان امكنني فان قلت فما معنى قوله
ان كان الله يريد ان يغويكم قلت اذا عرف الله من الكافر الاصرار
فخلاه وشانه ولم يلجئه سمي ذلك اغوا واضلالا كما انه اذا عرف منه انه
يتوب ويرعوي فلطف به سمي ارشادا وهداية وقيل ان يغويكم ان
يهلككم من غوى الفصيل غوى اذا بشم فهلك ومعناه انكم اذا كنتم من
التصميم على الكفر بالمنزلة التي لا ينفعكم نصائح الله ومواعظه وسائر
الطافه كيف ينفعكم نصحي فعلي اجرامي واجرامي بلفظ المصدر والجمع
كقوله والله يعلم اسرارهم واسرارهم ونحو جرم واجرام قفل واقفال وتنصره
الجمع اي قراءة الاولين اثامي والمعنى ان صح وثبت اني افتريته فعلي
عقوبة اجرامي اي افترائي وكان حقي حينئذ ان تعرضوا عني وتتالبوا
علي وانا بري يعني ولم يثبت ذلك وانا بري منه ومعنى مما تجرمون
من اجرامكم في اسناد الافترا الي فلا وجه لاعراضكم ومعاداتكم لن يومن
اقناط من ايمانهم وانه كالمحال الذي لا تعلق به للتوقع الا من قد امن
الا من وجد منه ما كان يتوقع من ايمانه وقد للتوقع وقد اصاب
محزها فلا تبتئس فلا تحزن حزن بائس مستكين قال
ما يقسم الله اقبل غير مبتئس منه واقعد كريما ناعم البال والمعنى
فلا تحزن بما فعلوه من تكذيبك وايذايك ومعاداتك فقد حان
وقت الانتقام لك منهم باعيننا في موضع الحال بمعنى اصنعها محفوظا
وحقيقته ملتبسا باعيننا كان لله معه اعينا تكلاه ان يزيغ في
صنعته عن الصواب وان لا يحول بينه وبين عمله احد من اعدايه
ووحينا وانا نوحي اليك ونلهمك كيف تصنع عن ابن عباس رضي الله عنه
لم يعلم كيف صنعة الفلك فاوحى الله اليه ان يصنعها مثل جوجو
الطاير ولا تخاطبني في الذين ظلموا ولا تدعني في شان قومك واستدفاع العذاب

عنهم بشفاعتك انهم مغرقون انهم محكوم عليهم بالاغراق قد وجب ذلك
وقضي به القضا وجف القلم فلا سبيل الى كفه كقوله تعالى يا ابرهيم
اعرض عن هذا انه قد جا امر ربك وانهم اتيهم عذاب غير مردود
ويصنع الفلك حكاية حال ماضية سخروا منه ومن عمله السفينة
وكان يعملها في برية بهما بعيدة من الما في موضع من الما في وقت عز الما فيه عزة
شديدة فكانوا يتضاحكون ويقولون له يا نوح صرت نجارا بعد ما كنت
نبيا فانا نسخر منكم كما تسخرون منا الساعة اي نسخر
منكم سخرية مثل سخريتكم اذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق
في الاخرة وقيل ان تستجهلونا فيما نصنع فانا نستجهلكم فيما انتم عليه
من الكفر والتعرض لسخط الله وعذابه فانتم اولى بالاستجهال منا
او ان تستجهلونا فانا نستجهلكم لانكم لا تستجهلون الا عن جهل بحقيقة
الامر وبنا على ظاهر الحال كما هو عادة الجهلة في البعد عن الحقايق
وروي ان نوحا عليه السلام اتخذ السفينة في سنتين وكان طولها ثلاثمائة
ذراع وعرضها خمسون ذراعا وطولها في السما ثلثون ذراعا وكانت من
خشب الساج وجعل لها ثلثة بطون فحمل في البطن الاسفل الوحوش
والسباع والهوام وفي البطن الاوسط الدواب والانعام وركب هو
ومن معه في البطن الاعلى مع ما يحتاج اليه من الزاد وحمل معه
جسد ادم عليه السلام وجعله معترضا بين الرجال والنسا وعن
الحسن رضي الله عنه كان طولها الفا ومايتي ذراع وعرضها ستمايه
وقيل ان الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة
يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى الى كثيب من تراب فاخذ كفا من
ذلك التراب فقال اتدرون من هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال
هذا كعب بن حام قال فضرب الكثيب بعصاه فقال قم باذن الله
فاذا هو قايم ينفض التراب عن راسه وقد شاب فقال له عيسى اهكذا
هلكت قال لا مت وانا شاب ولكني ظننت انها الساعة فمن ثم
شبت فقال حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها الف ذراع ومايتي
ذراع وعرضها ستمايه ذراع وكانت ثلث طبقات طبقة للدواب
والوحش وطبقة للانس وطبقة للطير ثم قال له عد باذن الله كما
كنت فعاد ترابا من ياتيه في محل النصب بتعلمون اي فسوف تعلمون
الذي ياتيه عذاب يخزيه ويعني به اياهم ويريد بالعذاب عذاب الدنيا
وهو الغرق ويحل عليه حلول الدين والحق اللازم الذي لا انفكاك له عنه
عذاب مقيم وهو عذاب الاخرة حتى هي التي يبتدا بعدها الكلام دخلت
على الجملة من الشرط والجزا فان قلت وقعت غاية لماذا قلت لقوله
ويصنع الفلك اي وكان يصنعها الى ان جا وقت الموعد فان قلت
فاذا اتصلت حتى بيصنع فما تصنع بما بينهما من الكلام قلت هو حال

من تصنع كانه قال تصنعها والحال انه كلما مر عليه ملأ من قومه
سخروا منه فان قلت ما جواب كلما قلت ان فيه امرين اما ان تجعل
سخروا جوابا وقال استئنافا على تقدير سؤال سائل او تجعل سخروا
بدلا من مر او صفة لملأ وقال جوابا واهلك عطف على اثنين وكذلك
ومن آمن يعني واحمل اهلك والمؤمنين من غيرهم واستثنى من اهله
من سبق عليه القول انه من اهل النار وما سبق عليه القول بذلك الا
للعلم بانه يختار الكفر لا لتقديره عليه وارادته تعالى الله عن ذلك
قال الضحاك اراد ابنه وامرأته الا قليل روي عن النبي صلى الله عليه
انه قال كانوا ثمانية نوح واهله وبنوه الثلاثة ونساؤهم وعن محمد
بن اسحق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وقيل كانوا اثنين
وسبعين رجلا وامرأة واولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم
فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء ويجوز ان يكون
كلاما واحدا وكلامين فالكلام الواحد ان يتصل بسم الله باركبوا
حالا من الواو بمعنى اركبوا فيها مسمين الله او قائلين باسم الله وقت
اجرائها ووقت ارسائها اما لان المجرى والمرسى للوقت واما لانهما
مصدران كالاجراء والارساء حذف منهما الوقت المضاف كقولهم
خفوق النجم ومقدم الحاج ويجوز ان يراد مكان الاجراء والارساء
وانتصابهما بما في باسم الله من معنى الفعل او بما فيه من ارادة القول
والكلامان ان يكون باسم الله مجراها ومرساها
جملة من مبتدأ وخبر مقتضبة اي بسم الله اجراؤها وارساؤها
يروى انه كان اذا اراد ان تجري قال باسم الله فجرت واذا اراد
ان ترسو قال باسم الله فرست ويجوز ان يقحم الاسم كقوله ثم اسم السلام
عليكما ويراد بالله اجراؤها وارساؤها اي بقدرته وامره وقرئ
مجراها ومرساها بفتح الميم من جرى ورسا اما مصدرين او وقتين
او مكانين وقرأ مجاهد مجريها ومرسيها بلفظ اسم الفاعل مجروري
المحل صفتين لله فان قلت ما معنى قولك جملة مقتضبة قلت معناه
ان نوحا عليه السلام امرهم بالركوب ثم اخبرهم بان مجراها ومرساها
بذكر اسم الله او بامره وقدرته ويحتمل ان تكون غير مقتضبة بان
تكون في موضع الحال كقوله وجاؤا بهم سكر علينا فلا يكون كلاما
براسه ولكن فضلة من فضلات الكلام الاول وانتصاب هذه الحال
عن ضمير الفلك كانه قيل اركبوا فيها مجراة ومرساة باسم الله بمعنى
التقدير كقوله ادخلوها خالدين ان ربي لغفور رحيم لولا مغفرته لذنوبكم
ورحمته اياكم لما نجاكم فان قلت بما اتصل قوله وهي تجري بهم
قلت بمحذوف دل عليه اركبوا فيها باسم الله كانه قيل فركبوا فيها
يقولون بسم الله وهي تجري بهم اي تجري وهم فيها في موج كالجبال

يريد موج الطوفان شبه كل موجة منه بالجبل في تراكمها وارتفاعها
فان قلت الموج ما يرتفع فوق الماء عند اضطرابه وزخيره وكان الماء
قد التقى وطبق ما بين السماء والارض وكانت الفلك تجري في جوف
الماء كما تسبح السمكة فما معنى جريها في الموج قلت كان ذلك قبل التطبيق
وقبل ان تغمر الطوفان الجبال الا ترى الى قول ابنه ساوي الى جبل يعصمني
من الماء قيل كان اسم ابنه كنعان وقيل يام وقرأ علي رضي الله عنه
ابنها والضمير لامرأته وقرأ محمد بن علي وعروة بن الزبير رضي الله عنهما
ابنه بفتح الهاء يريدان ابنها فاكتفيا بالفتحة عن الالف وبه ينصر مذهب
الحسن رضي الله عنه قال قتادة سألته فقال والله ما كان ابنه فقلت
ان الله حكى عنه ان ابني من اهلي وانت تقول لم يكن ابنه واهل الكتاب
لا يختلفون في انه كان ابنه فقال ومن يأخذ دينه من اهل الكتاب
واستدل بقوله من اهلي ولم يقل مني ولنسبته الى امه وجهان
احدهما ان يكون ربيبا له كعمر بن ابي سلمة لرسول الله صلى الله عليه
وان يكون لغير رشدة وهذه غضاضة عصمت منها الانبياء عليهم السلام
ونادى نوح ابنه على الندبة والترثي اي قال يا ابناه والمعزل مفعل
من عزله عنه اذا نحاه وابعده يعني وكان في مكان عزل فيه نفسه
عن ابيه وعن مركب المؤمنين وقيل كان في معزل عن دين ابيه يا بني
قرئ بكسر الياء اقتصارا عليه من ياء الاضافة وبالفتح اقتصارا عليه
من الالف المبدلة من ياء الاضافة في قولك يا بنيا او سقطت الياء
والالف لالتقاء الساكنين لان الراء بعدها ساكنة الا من رحم الا
الراحم وهو الله تعالى او لا عاصم اليوم من الطوفان الا من رحم الله
اي الا مكان من رحم الله من المؤمنين وكان لهم عصرا رحيما في قوله
ان ربي لغفور رحيم وذلك انه لما جعل الجبل عاصما من الماء قال له
لا يعصمك اليوم معتصم قط من جبل ونحوه سوى معتصم واحد وهو
مكان من رحمهم الله ونجاهم يعني السفينة وقيل لا عاصم بمعنى
لا ذا عصمة الا من رحمه الله كقولك ماء دافق وعيشة راضية وقيل
الا من رحم استثناء منقطع كانه قيل ولكن من رحمه الله فهو المعصوم
كقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن وقرئ الا من رحم على البناء للمفعول
ندا الارض والسماء بما ينادى به الحيوان المميز على لفظ التخصيص
والاقبال عليهما بالخطاب من بين سائر المخلوقات وهو قوله
يا ارض ويا سماء ثم امرهما بما يؤمر به اهل التمييز والعقل من قوله
ابلعي ماءك واقلعي من الدلالة على الاقتدار العظيم وان السموات
والارض وهذه الاجرام العظام منقادة لتكوينه فيها ما يشاء
غير ممتنعة عليه كانها عقلاء مميزون قد عرفوا عظمته وجلالته

وجلاله

وثوابه وعقابه وقدرته على كل شيء مقدور وتبيينوا تحتم طاعته
عليهم وانقيادهم له وهم يهابونه ويفزعون من التوقف دون
الامتثال له والنزول على مشيئته على الفور من غير ريث فكما يرد
عليهم امره كان المامور به مفعولا لا حبس ولا ابطاء والبلع عبارة
عن النشف والاقلاع الامساك يقال اقلع المطر واقلعت الحمى
وغيض الماء من غاضه اذا نقصه وقضي الامر وانجز ما وعد الله نوحا من
اهلاك قومه واستوت واستقرت السفينة على الجودي وهو جبل بالموصل
وقيل بعدا يقال بعد بعدا وبعدا اذا ارادوا البعد البعيد من
حيث الهلاك والموت ونحو ذلك ولذلك اختص بدعاء السوء ومجيء
اخباره على الفعل المبني للمفعول للدلالة على الجلال والكبرياء وان تلك
الامور العظام لا تكون الا بفعل فاعل قادر وتكوين مكون قاهر
وان فاعلها فاعل واحد لا يشارك في افعاله فلا يذهب الوهم الى ان
يقول غيره يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي ولا ان يقضي ذلك الامر
الهائل غيره ولا ان تستوي السفينة على متن الجودي وتستقر عليه
الا بتسويته واقراره ولما ذكرنا من المعاني والنكت استفصح علماء
البيان هذه الآية ورقصوا لها رؤوسهم لا لتجانس الكلمتين وهو قوله
ابلعي واقلعي وذلك وان كان لا يخلي الكلام من حسن فهو كغير الملتفت
اليه بازاء تلك المحاسن التي هي اللب وما عداها قشور وعن قتادة
استقلت بهم السفينة لعشر خلون من رجب وكانت في الماء خمسين
ومائة يوم واستقرت بهم على الجودي شهرا وهبط بهم يوم عاشوراء
وروي انها مرت بالبيت فطافت به سبعا وقد اعتقه الله من الغرق
وروي ان نوحا عليه السلام صام يوم الهبوط وامر من معه فصاموا
شكرا لله تعالى نداؤه ربه دعاؤه له وهو قوله رب مع ما بعده من
اقتضاء وعده في نجاة اهله فان قلت فاذا كان النداء هو قوله
رب فكيف عطف فقال رب على نادى بالفاء قلت اريد بالنداء
ارادة النداء ولو اريد النداء نفسه لجاء كما جاء قوله اذ نادى ربه نداء
خفيا قال رب بغير فاء ان ابني من اهلي اي بعض اهلي لانه كان ابنه
من صلبه او كان ربيبا له فهو بعض اهله وان وعدك الحق وان كل
وعد تعده فهو الحق الثابت الذي لا شك في انجازه والوفاء به وقد وعدتني
ان تنجي اهلي فما بال ولدي وانت احكم الحاكمين اي اعلم الحكام واعدلهم لانه
لا فضل لحاكم على غيره الا بالعلم والعدل ورب غريق في الجهل والجور
من متقلدي الحكومة في زمانك قد لقب اقضى القضاة ومعناه احكم
الحاكمين فاعتبر واستعبر ويجوز ان يكون من الحكمة على ان يبنى من الحكمة
حاكم بمعنى النسبة كما قيل دارع من الدرع وحائض وطالق على النسب

مذهب الخليل انه عمل غير صالح تعليل لانتفاء كونه من اهله وفيه ايذان
بان قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وان نسيبك في دينك ومعتقدك
من الاباعد في المنصب وان كان حبشيا وكنت قرشيا لصيقك وخصيصك
ومن لم يكن على دينك وان كان امس اقاربك رحما فهو ابعد بعيد منك
وجعلت ذاته عملا غير صالح مبالغة في ذمه كقولها فانما هي اقبال وادبار
وقيل الضمير لنداء نوح عليه السلام اي ان نداءك هذا عمل غير صالح وليس بذاك
فان قلت فهلا قيل انه عمل فاسد قلت لما نفاه عن اهله نفى عنه
صفتهم بكلمة النفي التي يستبقى معها لفظ المنفي واذن بذلك انه انما انجى
من انجى من اهله لصلاحهم لا لانهم اهلك واقاربك وان هذا لما انتفى
عنه الصلاح لم تنفعه ابوتك كقوله كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين
فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقرئ عَمِلَ غيرَ صالحٍ اي عمل عملا
غير صالح وقرئ فلا تسألن بكسر النون بغير ياء الاضافة وبالنون الثقيلة
بياء وبغير ياء يعني فلا تلتمس مني ملتمسا او التماسا لا تعلم اصواب هو ام غير
صواب حتى تقف على كنهه وذكر المسألة دليل على ان النداء كان قبل ان
يغرق حين خاف عليه فان قلت لم سمي نداءه سؤالا ولا سؤال فيه قلت
قد تضمن دعاؤه معنى السؤال وان لم يصرح به لانه اذا ذكر الموعد
بنجاة اهله في وقت مشارفة ولده الغرق فقد استنجز وجعل سؤال ما
لا يعرف كنهه جهلا وغباوة ووعظه ان لا يعود اليه والى امثاله من افعال
الجاهلين فان قلت قد وعد ان ينجي اهله وما كان عنده ان ابنه ليس
منهم دينا فلما اشفى على الغرق تشابه عليه الامر لان العدة قد سبقت
له وقد عرف الله حكيما لا يجوز عليه فعل القبيح وخلف الميعاد فطلب
اماطة الشبهة وطلب اماطة الشبهة واجب فلم زجر وسمي سؤاله جهلا
قلت ان الله عز وعلا قدم له الوعد بانجاء اهله مع استثناء من سبق
عليه القول منهم فكان عليه ان يعتقد ان في جملة اهله من هو مستوجب
للعذاب لكونه غير صالح وان كلهم ليسوا بناجين وان لا تخالجه شبهة
حين شارف ولده الغرق في انه من المستثنين لا من المستثنى منهم
فعوتب على ان اشتبه عليه ما يجب ان لا يشتبه ان اسألك من ان
اطلب منك في المستقبل ما لا علم لي بصحته تأدبا بادبك واتعاظا
بموعظتك والا تغفر لي ما فرط مني من ذلك وترحمني بالتوبة علي اكن من
الخاسرين اعمالا وقرئ يا نوح اهبط بضم الباء بسلام منا مسلما محفوظا
من جهتنا او مسلما عليك مكرما وبركات عليك ومباركا عليك والبركات
الخيرات النامية وقرئ وبركة عليك على التوحيد وعلى امم ممن معك
يحتمل ان تكون من للبيان فتراد الامم الذين كانوا معه في السفينة
لانهم كانوا جماعات او قيل لهم امم لان الامم تتشعب منهم وان تكون لابتداء
الغاية اي على امم ناشئة ممن معك وهي الامم الى اخر الدهر وهو الوجه

وقوله وأمم رفع بالابتداء وسنمتعهم صفة والخبر محذوف تقديره وممن
معك أمم سنمتعهم وإنما حذف لأن قوله ممن معك يدل عليه والمعنى
أن السلام منا والبركات عليك وعلى أمم مؤمنين ينشؤون ممن معك
وممن معك أمم ممتعون بالدنيا منقلبون إلى النار وكان نوح عليه السلام
أبا الأنبياء والخلق بعد الطوفان منه وممن كان معه في السفينة
وعن محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة إلى يوم
القيامة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر وعن ابن زيد هبطوا
والله عنهم راض ثم أخرج منهم نسلا منهم من رحم ومنهم من عذب وقيل
المراد بالأمم الممتعة قوم هود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام تلك
إشارة إلى قصة نوح عليه السلام ومحلها الرفع على الابتداء والجمل بعدها
أخبار أي تلك القصة بعض أنباء الغيب موحاة إليك مجهولة عندك
وعند قومك من قبل هذا من قبل إيحائي إليك وإخباري لك بها أو من قبل
هذا العلم الذي كسبته بالوحي أو من قبل هذا الوقت فاصبر على تبليغ
الرسالة وأذى قومك كما صبر نوح وتوقع في العاقبة لك ولمن
كذبك نحو ما قيض لنوح ولقومه إن العاقبة في الفوز والنصر والغلبة
للمتقين وقوله ولا قومك معناه أن قومك الذين أنت منهم على كثرتهم
ووفور عددهم إذا لم يكن ذلك شأنهم ولا سمعوه ولا عرفوه فكيف
برجل منهم كما تقول لم يعرف هذا عبد الله ولا أهل بلده أخاهم واحدا
منهم وانتصابه للعطف على أرسلنا نوحا وهودا عطف بيان وغيره بالرفع
صفة على محل الجار والمجرور وقرئ غيره بالجر صفة على اللفظ إن أنتم
إلا مفترون تفترون على الله الكذب باتخاذكم الأوثان له شركاء ما من
رسول إلا واجه قومه بهذا القول لأن شأنهم النصيحة والنصيحة
لا يمحضها ولا يمحصها إلا حسم المطامع وما دام يتوهم شيء منها لم تنجع
ولم تنفع أفلا تعقلون إذ تردون نصيحة من لا يطلب عليها أجرا إلا من الله
وهو ثواب الآخرة ولا شيء أنفى للتهمة من ذلك قيل استغفروا ربكم آمنوا به
ثم توبوا إليه من عبادة غيره لأن التوبة لا تصح إلا بعد الإيمان والمدرار
الكثير الدرور كالمغزار وإنما قصد استمالتهم إلى الإيمان وترغيبهم
فيه بكثرة المطر وزيادة القوة لأن القوم كانوا أصحاب زروع و
بساتين وعمارات حراصا عليها أشد الحرص فكانوا أحوج شيء
إلى الماء وكانوا مدلين بما أوتوا من شدة القوة والبطش والبأس والنجدة
مستحرزين بها من العدو مهيبين في كل ناحية وقيل أراد القوة
في المال وقيل القوة على النكاح وقيل حبس عنهم القطر ثلاث سنين
وعقمت أرحام نسائهم وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه وفد على
معاوية فلما خرج تبعه بعض حجابه فقال إني رجل ذو مال ولا يولد لي
فعلمني شيئا لعل الله يرزقني ولدا فقال عليك بالاستغفار فكان يكثر

الأوثان
الدرور

الاستغفار ح
حتى ربما استغفر في يوم واحد سبعمائة مرة فولد له عشرة بنين فبلغ ذلك
معاوية فقال هلا سألته مم قال ذلك فوفد وفدة أخرى فسأله الرجل
فقال ألم تسمع قول هود ويزدكم قوة إلى قوتكم وقول نوح ويمددكم بأموال
وبنين ولا تتولوا ولا تعرضوا عني وعما أدعوكم إليه وأرغبكم فيه
مجرمين مصرين على إجرامكم وآثامكم ما جئتنا ببينة كذب منهم وجحود كما
قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أنزل عليه آية من ربه مع
فوت آياته الحصر عن قولك حال من الضمير في تاركي آلهتنا كأنه قيل وما
نترك آلهتنا صادرين عن قولك وما نحن لك بمؤمنين وما يصح من أمثالنا
أن يصدقوا مثلك فيما تدعوهم إليه إقناطا له من الإجابة اعتراك مفعول
نقول وإلا لغو والمعنى ما نقول إلا قولنا اعتراك بعض آلهتنا بسوء أي خبلك
ومسك بجنون لسبك إياها وصدك عنها وعداوتك لها مكافأة لك
منها على سوء فعلك بسوء الجزاء فمن ثم تتكلم بكلام المجانين وتهذي بهذيان
المبرسمين وليس بعجب من أولئك أن يسموا التوبة والاستغفار خبلا
وجنونا وهم عاد أعلام الكفر وأوتاد الشرك وإنما العجب من قوم
من المتظاهرين بالإسلام سمعناهم يسمون التائب عن ذنوبه مجنونا
والمنيب إلى ربه مخبلا ولم نجدهم معه على عشر مما كانوا عليه في أيام
جاهليته من المؤاذاة وما ذاك إلا لعرق من الإلحاد إلى الآن ينبض
وضب من الزندقة أراد أن يطلع رأسه وفيه دلالة على أن أجوبتهم المتقدمة
على أن القوم كانوا جفاة غلاظ الأكباد لا يبالون بالبهت ولا يلتفتون
إلى النصح ولا تلين شكيمتهم للرشد وهذا الأخير دال على جهل مفرط
وبله متناه حيث اعتقدوا في حجارة أنها تنتصر وتنتقم ولعل حين أجازوا
العقاب كانوا يجيزون الثواب من أعظم الآيات أن يواجه بهذا الكلام
رجل واحد أمة عطاشا إلى إراقة دمه يرمونه عن قوس واحدة وذلك
لثقته بربه وأنه يعصمه منهم فلا تنشب فيه مخالبهم ونحو ذلك قال نوح
عليه السلام لقومه ثم اقضوا إلي ولا تنظرون أكد براءته من آلهتهم
وشركهم ووثقها بما جرت به عادة الناس من توثيقهم الأمور بشهادة
الله وشهادة العباد فيقول الرجل الله شهيد على أني لا أفعل
كذا ويقول لقومه كونوا شهداء علي أني لا أفعله فإن قلت هلا قيل
إني أشهد الله وأشهدكم قلت لأن إشهاد الله على البراءة من الشرك إشهاد
صحيح ثابت في معنى تثبيت التوحيد وشد معاقده وأما إشهادهم
فما هو إلا تهاون بدينهم ودلالة على قلة المبالاة بهم فحسب فعدل
به عن لفظ الأول لاختلاف ما بينهما وجيء به على لفظ الأمر بالشهادة
كما يقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه اشهد علي أني لا أحبك
تهكما به واستهانة بحاله مما تشركون من دونه من إشراككم آلهة من
دونه أو مما تشركونه من آلهة من دونه أي أنتم تجعلونها شركاء له ولم

ولم تجعلها هو شركا ولم ينزل بذلك سلطانا فكيدوني جميعا انتم
والهتكم اعجل ما تفعلون من غير انظار فاني لا ابالي بكم وبكيدكم ولا
اخاف معرتكم وان تعاونتم علي وانتم الاقوياء الشداد فكيف تضرني
الهتكم وما هي الا جماد لا تبصر ولا تسمع وكيف تنتقم مني اذا نلت منها
وصددت عن عبادتها بان تخبلني وتذهب بعقلي ولما ذكر توكله
على الله عز وجل وثقته بحفظه وكلاءته من كيدهم وصفه بما يوجب
التوكل عليه من اشتمال ربوبيته عليه وعليهم ومن كون كل دابة
في قبضته وملكته وتحت قهره وسلطانه والاخذ بنواصيها تمثيل لذلك
ان ربي على صراط مستقيم يريد انه على طريق الحق والعدل في ملكه لا يفوته
ظالم ولا يضيع عنده معتصم به فان تولوا فان تتولوا فان قلت الابلاغ
كان قبل التولي فكيف وقع جزاء للشرط قلت معناه فان تتولوا لم
اعاتب على تفريط في الابلاغ وكنتم محجوجين بان ما ارسلت به اليكم قد
بلغكم فابيتم الا تكذيب الرسالة وعداوة الرسول ويستخلف كلام مستانف
يريد ويهلككم الله ويجيء بقوم اخرين يخلفونكم في دياركم واموالكم
ولا تضرونه بتوليكم شيئا من ضرر قط لانه لا يجوز عليه المضار والمنافع
وانما تضرون انفسكم وفي قراءة عبد الله ويستخلف بالجزم وكذلك ولا
تضروه عطفا على محل فقد ابلغتكم والمعنى ان تتولوا يعذرني ويستخلف
قوما غيركم ولا تضروا الا انفسكم على كل شيء حفيظ اي رقيب عليه مهيمن فما
تخفى عليه اعمالكم ولا يغفل عن مؤاخذتكم او من كان رقيبا على الاشياء
كلها حافظا لها وكانت مفتقرة الى حفظه من المضار لم يضر مثله
مثلكم والذين امنوا معه قيل كانوا اربعة الاف فان قلت ما معنى
تكرير التنجية قلت ذكر اولا انه حين اهلك عدوهم نجاهم ثم
قال ونجيناهم من عذاب غليظ على معنى وكانت تلك التنجية من
عذاب غليظ وذلك ان الله عز وعلا بعث عليهم السموم فكانت
تدخل في انوفهم وتخرج من ادبارهم فتقطعهم عضوا عضوا
وقيل اراد بالثانية التنجية من عذاب الاخرة ولا عذاب اغلظ
منه واشد وقوله برحمة منا يريد بسبب الايمان الذي انعمنا
عليهم بالتوفيق له وتلك عاد اشارة الى قبورهم واثارهم كانه قال
سيحوا في الارض فانظروا اليها واعتبروا ثم استانف وصف
احوالهم فقال جحدوا بايات ربهم وعصوا رسله لانهم اذا عصوا
رسولهم فقد عصوا جميع رسل الله لا نفرق بين احد من رسله
وقيل لم يرسل اليهم الا هود وحده كل جبار عنيد يريد رؤساءهم
وكبراءهم ودعاتهم الى تكذيب الرسل ومعنى اتباع امرهم
طاعتهم ولما كانوا تابعين لهم دون الرسل جعلت اللعنة تابعة
لهم في الدارين تكبهم على وجوههم في عذاب الله والا وتكرارها مع

النداء

النداء على كفرهم والدعاء عليهم تهويل لامرهم وتفظيع له وبعث على الاعتبار
بهم والحذر من مثل حالهم فان قلت بعدا دعاء بالهلاك فما معنى الدعاء به
عليهم بعد هلاكهم قلت معناه الدلالة على انهم كانوا مستاهلين
له الا ترى الى قوله اخوتي لا تبعدوا ابدا وبلى والله قد بعدوا ه قوم
هود عطف بيان لعاد فان قلت ما الفائدة في هذا البيان والبيان
حاصل بدونه قلت الفائدة فيه ان يوسموا بهذه الدعوة وسما ويجعل فيهم امرا
محققا لا شبهة فيه بوجه من الوجوه ولان عادا عادان الاولى القديمة
التي هي قوم هود والقصة فيهم والاخرى ارم هو انشاكم من الارض لم ينشئكم
منها الا هو ولم يستعمركم فيها غيره وانشاؤهم منها خلق ادم من التراب
واستعمركم وامركم بالعمارة والعمارة متنوعة الى واجب وندب ومباح
ومكروه وكان ملوك فارس قد اكثروا من حفر الانهار وغرس الاشجار
وعمروا الاعمار الطوال مع ما كان فيهم من عسف الرعايا فسال نبي
من انبيائهم ربه عن سبب تعميرهم فاوحى اليه انهم عمروا بلادي ه
فعاش فيها عبادي وعن معوية ابن ابي سفيان انه اخذ في احياء ارض
في اخر امره فقيل له فقال ما حملني عليه الا قول القائل ه ليس الفتى بفتى
لا يستضاء به ولا يكون له في الارض اثار ه وقيل استعمركم من العمر
نحو استبقاكم من البقاء وقد جعل من العمرى وفيه وجهان احدهما
ان يكون استعمر في معنى اعمر كقولك استهلكه في معنى اهلكه والمعنى
اعمركم فيها دياركم ثم هو وارثها منكم عند انقضاء اعماركم والثاني ان
يكون بمعنى جعلكم معمرين دياركم فيها لان الرجل اذا ورث داره من
بعده فكانما اعمره اياها لانه يسكنها عمره ثم يتركها لغيره قريب داني
الرحمة سهل المطلب مجيب لمن دعاه وساله فينا فيما بيننا مرجوا كانت
تلوح فيك مخايل الخير وامارات الرشد فكنا نرجوك لننتفع بك وتكون مشاورا
في الامور ومسترشدا في التدابير فلما نطقت بهذا القول انقطع ه
رجاؤنا عنك وعلمنا ان لا خير فيك وعن ابن عباس رضي الله عنه فاضلا
خيرا نقدمك على جميعنا وقيل كنا نرجوا ان تدخل في ديننا وتوافقنا
على ما نحن عليه تعبد ما يعبد اباؤنا حكاية حال ماضية مريب من ارابه اذا
اوقعه في الريبة وهي قلق النفس وانتفاء الطمانينة باليقين او من اراب
الرجل اذا كان ذا ريبة على الاسناد المجازي قيل ان كنت على بينة من ربي
حرف الشك وكان على يقين انه على بينة لان خطابه للجاحدين فكانه
قال قدروا اني على بينة من ربي واني نبي على الحقيقة وانظروا ان
تابعتكم وعصيت ربي في اوامره فمن يمنعني من عذاب الله فما تزيدونني
اذن حينئذ غير تخسير يعني تخسرون اعمالي وتبطلونها او فما
تزيدونني بما تقولون لي وتحملونني عليه غير ان اخسركم اي انسبكم
الى الخسران واقول لكم انكم خاسرون اية نصب على الحال قد عمل
فيها ما دل عليه اسم الاشارة من معنى الفعل فان قلت فبم يتعلق لكم

ومندوب

عمر

ورا

قلت آية حال منها متقدمة لأنها لو تأخرت لكانت صفة لها فلما تقدمت
انتصبت على الحال عذاب قريب عاجل لا يستأخر عن مسكم لها بشيء
إلا يسيرا وذلك ثلاثة أيام ثم يقع عليكم فعقروها تمتعوا استمتعوا بالعيش في
داركم في بلدكم وتسمى البلاد الديار لأنه يدار فيها أي يتصرف
يقال ديار بكر لبلادهم وتقول العرب الذين حوالي مكة نحن من
عرب الدار يريدون من عرب البلد وقيل في دار الدنيا وقيل عقروها
يوم الأربعاء وهلكوا يوم السبت غير مكذوب غير مكذوب فيه فاتسع
في الظرف بحذف الحرف وإجرائه مجرى المفعول به كقوله ويوم مشهود
من قوله ويوم شهدناه أو على المجاز كأنه قيل للوعد نفي بك فإذا وفي
به فقد صدق ولم يكذب أو وعد غير كذب على أن المكذوب مصدر
كالمجلود والمعقول وقد بمعنى الصدق ومن خزي يومئذ وقرئ
مفتوح الميم لأنه مضاف إلى إذ وهو غير متمكن كقوله على حين عاتبت
المشيب على الصبا فإن قيل علام عطف قلت على نجينا لأن تقديره
ونجيناهم من خزي يومئذ كما قال ونجيناهم من عذاب غليظ على
وكانت التنجية من خزي يومئذ أي من ذلة ومهانة وفضيحة ولا خزي
أعظم من خزي من كان هلاكه بغضب الله وانتقامه ويجوز أن يريد بيومئذ
يوم القيامة كما فسر العذاب الغليظ بعذاب الآخرة وقرئ ألا إن ثمودا
ولثمود كلاهما بالصرف وامتناعه فالصرف للذهاب إلى الحي أو الأب
الأكبر ومنعه للتعريف والتأنيث بمعنى القبيلة رسلنا يريد الملائكة
عن ابن عباس جاء جبريل وملكان معه وقيل جبريل وميكائيل وإسرافيل
وقيل كانوا تسعة وعن السدي أحد عشر بالبشرى هي البشارة بالولد
وقيل بهلاك قوم لوط والظاهر الولد سلاما سلمنا عليك سلاما سلام
أمركم سلام وقرئ فقالوا سلما قال سلم بمعنى السلم وقيل سلم وسلام
كحرم وحرام وأنشد مررنا فقلنا إيه سلم فسلمت كما اكتل بالبرق
الغمام اللوائح فما لبث أن جاء فما لبث في المجيء بل عجل فيه أو فما لبث مجيئه
بعجل ولد البقرة ويسمى الحسيل والخنش بلغة أهل السراة وكان
مال إبراهيم البقر حنيذ مشوي بالرضف في أخدود وقيل حنيذ
يقطر دسمه من حنذت الفرس إذا ألقيت عليها الجل حتى تقطر عرقا
ويدل عليه بعجل سمين نكرهم وأنكرهم واستنكرهم ومنكور قليل في
كلامهم وكذلك أما أنكرتك ولكن منكر ومستنكر وأنكرتك وقال
الأعشى: وأنكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث إلا الشيب
والصلعا قيل كان ينزل في طرف من الأرض فخاف أن يريدوا به
مكروها وقيل كانت عادتهم أنه إذا مس من يطرقهم طعامهم أمنوه
وإلا خافوه والظاهر أنه أحس بأنهم ملائكة ونكرهم لأنه تخوف
أن يكون نزولهم لأمر أنكره الله عليه أو لتعذيب قومه ألا ترى إلى
قولهم لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط وإنما يقال هذا لمن عرفهم ولم يعرف

فيم أرسلوا فأوجس فأضمر وإنما قالوا لا تخف لأنهم رأوا أثر الخوف والتغير
في وجهه أو عرفوه بتعريف الله عز وجل أو علموا أن علمه بأنهم ملائكة موجب
للخوف لأنهم كانوا لا ينزلون إلا بعذاب وامرأته قائمة قيل كانت قائمة وراء
الستر تسمع تحاورهم وقيل كانت قائمة على رؤوسهم تخدمهم وفي مصحف
عبد الله رضي الله عنه وامرأته قائمة وهو قاعد فضحكت سرورا بزوال
الخيفة أو بهلاك أهل الخبائث أو كان ضحكها ضحك إنكار لغفلتهم وقد أظلهم
العذاب وقيل كانت تقول لإبراهيم اضمم لوطا ابن أخيك إليك فإني أعلم
أنه ينزل بهؤلاء القوم عذاب فضحكت سرورا لما أتى الأمر على ما توهمت
وقيل فضحكت فحاضت وقرأ محمد بن زياد الأعرابي فضحكت بفتح الحاء يعقوب
رفع بالابتداء كأنه قيل ومن وراء إسحق يعقوب مولود أو موجود أي من
بعده وقيل الوراء ولد الولد وعن الشعبي أنه قيل له أهذا ابنك فقال نعم
من الوراء وكان ولد ولده وقرئ يعقوب بالنصب كأنه قيل ووهبنا لها إسحق
ومن وراء إسحق يعقوب على طريقة قوله: ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب
الألف في يا ويلتا مبدلة من ياء الإضافة وكذلك في يا لهفا ويا عجبا وقرأ
الحسن يا ويلتي بالياء على الأصل وشيخا نصب بما دل عليه اسم الإشارة وقرئ
شيخ على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هذا بعلي هو شيخ أو بعلي بدل من
المبتدأ وشيخ خبر أو يكونان معا خبرين قيل بشرت ولها ثمان وتسعون سنة
ولإبراهيم عليه السلام مائة وعشرون إن هذا لشيء عجيب أن يولد ولد من
هرمين وهو استعجاب من حيث العادة التي أجراها الله وإنما أنكرت
عليها الملائكة تعجبها فقالوا أتعجبين من أمر الله لأنها كانت في بيت
الآيات ومهبط المعجزات والأمور الخارقة للعادات فكان عليها
أن توقر ولا يزدهيها ما يزدهي سائر النساء الناشئات في غير بيوت
النبوة وأن تسبح الله وتمجده مكان التعجب وإلى ذلك أشارت الملائكة
صلوات الله عليهم في قولهم رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت
أرادوا أن هذه وأمثالها مما يكرمكم به رب العزة ويخصكم بالإنعام به يا أهل
بيت النبوة فليست بمكان تعجب وأمر الله قدرته وحكمته وقوله رحمة الله
وبركاته عليكم كلام مستأنف علل به إنكار التعجب كأنه قيل إياك
والتعجب فإن أمثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة من الله عليكم وقيل
الرحمة النبوة والبركات الأسباط من بني إسرائيل لأن الأنبياء منهم
وكلهم من ولد إبراهيم حميد فاعل ما يستوجب به الحمد من عباده مجيد
كريم كثير الإحسان إليهم وأهل البيت نصب على النداء أو على الاختصاص
لأن أهل البيت مدح لهم إذ المراد أهل بيت خليل الرحمن الروع
ما أوجس من الخيفة حين نكر أضيافه والمعنى أنه لما اطمأن قلبه
بعد الخوف وملئ سرورا بسبب البشرى بدل الغم فرغ للمجادلة
فإن قلت أين جواب لما قلت هو محذوف كما حذف في قوله فلما
ذهبوا به وأجمعوا أو قوله يجادلنا كلام مستأنف دال على الجواب

وتقديره اجترأ على خطابنا او فطن لمجادلتنا او قال كيت وكيت ثم ابتدأ
فقال يجادلنا في قوم لوط وقيل يجادلنا هو جواب لما وانما جيء به
مضارعا لحكاية الحال وقيل ان لما ترد المضارع الى معنى الماضي كما ترد
ان الماضي الى معنى الاستقبال وقيل معناه اخذ يجادلنا او اقبل يجادلنا
والمعنى يجادل رسلنا ومجادلته اياهم انهم قالوا انا مهلكوا اهل هذه
القرية فقال ارأيتم لو كان فيها خمسون رجلا من المؤمنين اتهلكونها
قالوا لا قال فاربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا حتى بلغ العشرة
قالوا لا قال ارأيتم ان كان فيها رجل واحد مسلم اتهلكونها قالوا لا
فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله
في قوم لوط في معناهم وعن ابن عباس قالوا له ان كان فيها خمسة
يصلون رفع عنهم العذاب وعن قتادة ما قوم لا يكون فيهم عشرة فيهم
خير وقيل كان فيها اربعة الاف الف انسان ان ابراهيم لحليم
غير عجول على كل من اساء اليه اواه كثير التأوه من الذنوب منيب
تائب راجع الى الله بما يحب ويرضى وهذه الصفات دالة على رقة
القلب والرأفة والرحمة فبين ان ذلك مما حمله على المجادلة فيهم
رجاء ان يرفع عنهم العذاب ويمهلوا لعلهم يحدثون التوبة والانابة
كما حمله على الاستغفار لابيه يا ابراهيم على ارادة القول اي قالت له
الملائكة اعرض عن هذا الجدال وان كانت الرحمة ديدنك فلا فائدة
فيه انه قد جاء امر ربك وهو قضاؤه وحكمه الذي لا يصدر الا عن
صواب وحكمة والعذاب نازل بالقوم لا محالة لا مرد له بجدال ولا دعاء
ولا غير ذلك كان مساءة لوط وضيق ذرعه لانه حسب انهم انس فخاف
عليهم خبث قومه وان يعجز عن مقاومتهم ومدافعتهم وروي ان الله
قال لهم لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات فلما مشى
معهم منطلقا بهم الى منزله قال لهم اما بلغكم امر هذه القرية قالوا
وما امرهم قال اشهد بالله انها لشر قرية في الارض عملا يقول
ذلك اربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك احد فخرجت
امرأته فاخبرت بهم قومها يوم عصيب وعصوصب اذا كان
شديدا من قولك عصبه اذا شده يهرعون يسرعون كانما
يدفعون دفعا ومن قبل كانوا يعملون السيئات ومن قبل ذلك
الوقت كانوا يعملون الفواحش ويكثرونها فضروا بها ومرنوا
عليها وقل عندهم استقباحها فلذلك جاءوا يهرعون مجاهرين لا
يكفهم حياء وقيل معناه وقد عرف لوط عادتهم في عمل الفواحش
قبل ذلك هؤلاء بناتي اراد ان يقي اضيافه ببناته وذلك غاية الكرم
واراد هؤلاء بناتي فتزوجوهن وكان تزويج المسلمات من الكفار
جائزا كما زوج رسول الله صلى الله عليه ابنتيه الى عتبة بن ابي لهب ومن
ابي العاص بن الربيع قبل الوحي وهما كافران وقيل كان لهم سيدان

وكسبته وحرمته ذنبا وكسبته اياه قال جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا
ومنه قوله تعالى لا يجرمنكم شقاقي ان يصيبكم اي لا يكسبنكم شقاقي اصابة
العذاب وقرأ ابن كثير بضم الياء من اجرمته ذنبا اذا جعلته جارما له
اي كاسبا له وهو منقول من جرم المتعدي الى مفعول واحد كما نقل اكسبه المال
من كسب المال وكما لا فرق بين كسبته مالا واكسبته اياه فكذلك لا فرق بين
جرمته ذنبا واجرمته اياه والقراءتان مستويتان في المعنى لا تفاوت بينهما
الا ان المشهورة افصح لفظا كما ان كسبته مالا افصح من اكسبته والمراد
بالفصاحة انه على السنة الفصحاء من العرب الموثوق بعربيتهم اذ ورودهم له
اكثر استعمالا وقرأ ابو حيوة ورويت عن نافع مثل ما اصاب بالفتح لاضافته الى
غير متمكن كقوله لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت وما قوم لوط منكم ببعيد
يعني انهم اهلكوا في عهد قريب من عهدكم فهم اقرب الهالكين منكم او لا يبعدون
منكم في الكفر والمساوي وما يستحق به الهلاك فان قلت ما لبعيد لم يرد على
ما يقتضيه قوم من حمله على لفظه او معناه قلت اما ان يراد وما اهلاكهم ببعيد
او وما هم بشيء بعيد او بزمان او مكان بعيد ويجوز ان يسوى في بعيد وقريب
وقليل وكثير بين المذكر والمؤنث لورودها على زنة المصادر التي هي الصهيل
والنهيق ونحوهما رحيم ودود عظيم الرحمة للتائبين فاعل بهم ما يفعل البليغ المودة
بمن يوده من الاحسان والاجمال ما نفقه ما نفقه كثيرا مما تقول لانهم كانوا لا
يلقون اليه اذهانهم رغبة عنه وكراهية له كقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة
ان يفقهوه او كانوا يفقهونه ولكنهم لم يقبلوه فكانهم لم يفقهوه او قالوا ذلك
على وجه الاستهانة به كما يقول الرجل لصاحبه اذا لم يعبأ بحديثه ما ادري
ما تقول او جعلوا كلامه هذيانا وتخليطا لا ينفعهم كثير منه وكيف لا ينفعهم كلامه
وهو خطيب الانبياء وقيل كان الثغ فينا ضعيفا لا قوة لك ولا عز فيما بيننا
فلا تقدر على الامتناع منا ان اردنا بك مكروها وعن الحسن رضي الله عنه ضعيفا
مهينا وقيل ضعيفا اعمى وحمير تسمي المكفوف ضعيفا كما يسمى ضريرا وليس بسديد
لان فينا يأباه الا ترى انه لو قيل انا لنراك فينا اعمى لم يكن كلاما لان الاعمى اعمى فيهم
وفي غيرهم ولذلك قللوا قومه حيث جعلوهم رهطا والرهط من الثلاثة الى
العشرة وقيل الى السبعة وانما قالوا ولولا رهطك احتراما لهم واعتدادا بهم
لانهم كانوا على ملتهم لا خوفا من شوكتهم وعزتهم لرجمناك لقتلناك شر قتلة
وما انت علينا بعزيز اي لا تعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك من القتل ونرفعك
عن الرجم وانما يعز علينا رهطك لانهم من اهل ديننا لم يختاروك علينا ولم
يتبعوك دوننا وقد دل ايلاء ضميره حرف النفي على ان الكلام واقع في الفاعل لا
في الفعل كانه قيل وما انت علينا بعزيز بل رهطك هم الاعزة علينا ولذلك قال
في جوابهم ارهطي اعز عليكم من الله ولو قيل وما عززت علينا لم يصح هذا
الجواب فان قلت فالكلام واقع فيه وفي رهطه وانهم الاعزة عليهم دونه فكيف

فى قوله أرهطي أعز عليكم من الله قلت تهاونهم به وهو نبي الله تهاون بالله عز وجل
حين عز عليهم رهطه دونه كان رهطه أعز عليهم من الله
ألا ترى إلى قوله من يطع الرسول فقد أطاع الله واتخذتموه وراءكم ظهريا
ونسيتموه وجعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر لا يعبأ به والظهري منسوب إلى
الظهر والكسر من تغييرات النسب ونظيره قولهم في النسبة إلى الأمس إمسي
بما تعملون محيط قد أحاط بأعمالكم علما فلا يخفى عليه شيء منها على مكانتكم
لا تخلو المكانة من أن تكون بمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة
أو تكون مصدرا من مكن مكانة فهو مكين والمعنى اعملوا قارين على جهتكم التي
أنتم عليها من الشرك والشنآن لي أو اعملوا متمكنين من عداوتي مطيقين لها
إني عامل على حسب ما يؤتيني الله من النصرة والتأييد ويمكنني من يأتيه يجوز أن
تكون من استفهامية معلقة لفعل العلم عن عمله فيها كأنه قيل سوف تعلمون أينا
يأتيه عذاب يخزيه وأينا هو كاذب وأن تكون موصولة قد عمل فيها كأنه قيل سوف
تعلمون الشقي الذي يأتيه عذاب يخزيه والذي هو كاذب فإن قلت أي فرق بين
إدخال الفاء ونزعها في سوف تعلمون قلت إدخال الفاء وصل ظاهر بحرف موضوع
للوصل ونزعها وصل خفي تقديري بالاستئناف الذي هو جواب لسؤال مقدر كأنهم
قالوا فماذا يكون إذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت أنت فقال سوف تعلمون فوصل
تارة بالفاء وتارة بالاستئناف للتفنن في البلاغة كما هو عادة بلغاء العرب وأقوى
الوصلين وأبلغهما الاستئناف وهو باب من أبواب علم البيان تتكاثر محاسنه وارتقبوا
وانتظروا العاقبة وما أقول لكم إني معكم رقيب أي منتظر والرقيب بمعنى الراقب
من رقبه كالضريب والصريم بمعنى الضارب والصارم أو بمعنى المراقب كالعشير والنديم
أو بمعنى المرتقب كالفقير والرفيع بمعنى المفتقر والمرتفع فإن قلت قد ذكر عملهم على
مكانتهم وعمله على مكانته ثم أتبعه ذكر عاقبة العاملين منه ومنهم فكان القياس
أن يقول من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو صادق حتى ينصرف من يأتيه عذاب يخزيه إلى
الجاحدين ومن هو صادق إلى النبي المبعوث إليهم صلوات الله عليه وسلم قلت القياس
ما ذكرت ولكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب يعني في زعمكم ودعواكم
تجهيلا لهم فإن قلت ما بال ساقتي قصة عاد وقصة مدين جاءتا بالواو والساقتان
الوسطيان بالفاء قلت قد وقعت الوسطيان بعد ذكر الوعد وذلك قوله إن موعدهم
الصبح ذلك وعد غير مكذوب فجيء بالفاء الذي هو للتسبيب كما تقول وعدته فلما جاء الميعاد
كان كيت وكيت وأما الأخريان فلم تقعا تلك الوقعة وإنما وقعتا مبتدأتين فكان حقهما
أن تعطفا بحرف الجمع على ما قبلهما كما تعطف قصة على قصة الجاثم اللازم لمكانه لا
يريم كاللابد يعني أن جبريل عليه السلام صاح بهم صيحة فزهق روح كل واحد منهم
بحيث هو قعصا كأن لم يغنوا كأن لم يقيموا في ديارهم أحياء متصرفين مترددين البعد
بمعنى البعد وهو الهلاك كالرشد بمعنى الرشد ألا ترى إلى قوله كما بعدت وقرأ السلمي
بعدت بضم العين والمعنى في البناءين واحد وهو نقيض القرب إلا أنهم أرادوا التفرقة

بين البعد من جهة الهلاك وبين غيره فغيروا البناء كما فرقوا بين ضماني
الخير والشر فقالوا وعد وأوعد وقراءة السلمي جاءت على الأصل اعتبارا لمعنى
البعد من غير تخصيص كما يقال ذهب فلان ومضى في معنى الموت وقيل معناه
بعدا لهم من رحمة الله كما بعدت ثمود منها بآياتنا وسلطان مبين فيه وجهان
أن يراد أن هذه الآيات فيها سلطان مبين لموسى عليه السلام على صدق نبوته
وأن يراد بالسلطان المبين العصا لأنها أبهرها وما أمر فرعون برشيد تجهيل
لمتبعيه حيث شايعوه على أمره وهو ضلال مبين لا يخفى على من فيه أدنى مسكة
من العقل وذلك أنه ادعى الإلهية وهو بشر مثلهم وجاهر بالعسف والظلم
والشر الذي لا يأتي إلا من شيطان مارد فمثله بمعزل من الإلهية ذاتا
وأفعالا فاتبعوه وسلموا له دعواه وتتابعوا على طاعته والأمر الرشيد الذي
فيه رشد أي وما في أمره رشد إنما هو غي صريح وضلال ظاهر مكشوف
وإنما يتبع العقلاء من يرشدهم ويهديهم لا من يضلهم ويغويهم وفيه أنهم عاينوا
الآيات والسلطان المبين في أمر موسى عليه السلام وعلموا أن معه الرشد والحق
ثم عدلوا عن اتباعه إلى اتباع من ليس في أمره رشد قط يقدم قومه أي كما
كان قدوة لهم في الضلال كذلك يتقدمهم إلى النار وهم يتبعونه ويجوز أن يريد
بقوله وما أمر فرعون برشيد وما أمره بصالح حميد العاقبة ويكون قوله يقدم
قومه تفسيرا لذلك وإيضاحا أي كيف يرشد أمر من هذه عاقبته والرشد
يستعمل في كل ما يحمد ويرتضى كما استعمل الغي في كل ما يذم ويستقبح ويقال قدمه
بمعنى تقدمه ومنه قادمة الرحل كما يقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه مقدمة
الجيش وأقدم بمعنى تقدم ومنه مقدم العين فإن قلت هلا قيل يقدم
قومه فيوردهم ولم جيء بلفظ الماضي قلت لأن الماضي يدل على أمر موجود
مقطوع به فكأنه قيل يقدمهم فيوردهم النار لا محالة والورد المورود والورد
الذي يردونه شبه بالفارط الذي يتقدم الواردة إلى الماء وشبه أتباعه
بالواردة ثم قيل بئس الورد الذي يردونه النار لأن الورد إنما يراد لتسكين
العطش وتبريد الأكباد والنار ضده وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة أي يلعنون
في الدنيا ويلعنون في الآخرة بئس الرفد المرفود رفدهم أي بئس العون المعان
وذلك أن اللعنة في الدنيا رفد للعذاب ومدد له وقد رفدت باللعنة في
الآخرة وقيل بئس العطاء المعطى ذلك مبتدأ من أنباء القرى نقصه عليك
خبر بعد خبر أي ذلك النبأ بعض أنباء القرى المهلكة مقصوص عليك
منها الضمير للقرى أي بعضها باق وبعضها عافي الأثر كالزرع القائم
على ساقه والذي حصد فإن قلت ما محل هذه الجملة قلت هي مستأنفة
لا محل لها وما ظلمناهم بإهلاكنا إياهم ولكن ظلموا أنفسهم بارتكاب
ما به أهلكوا فما أغنت عنهم آلهتهم فما قدرت أن ترد عنهم بأس الله
يدعون يعبدون وهي حكاية حال ماضية ولما منصوب بما أغنت أمر
ربك عذابه ونقمته تتبيب تخسير يقال تب إذا خسر وتببه غيره أوقعه

في المحرابي محل الكاف الرفع تقديره ومثل ذلك الاخذ اخذ ربك والنصب فيمن قرأ وكذلك اخذ ربك بلفظ الفعل وقرئ اذ اخذ القرى وهي ظالمة حال من القرى اليم شديد وجيع صعب على الماخوذ وهذا تحذير من وخامة عاقبة الظلم لكل اهل قرية ظالمة من كفار مكة وغيرها بل لكل من ظلم غيره او نفسه بذنب يقترفه فعلى كل من اذنب ان يحذر اخذ ربه الاليم الشديد فيبادر التوبة ولا يغتر بالامهال ان في ذلك اشارة الى ما قص الله من قصص الامم الهالكة بذنوبهم لاية لمن خاف لعبرة له لانه ينظر الى ما احل الله بالمجرمين في الدنيا وما هو الا انموذج مما اعد لهم في الاخرة فاذا راى عظمه وشدته اعتبر به عظم العذاب الموعود فيكون له عبرة وعظة ولطفا في زيادة التقوى والخشية من الله عز وجل ونحوه ان في ذلك لعبرة لمن يخشى ذلك اشارة الى يوم القيمة لان عذاب الاخرة دل عليه والناس رفع باسم المفعول الذي هو مجموع كما يرفع بفعله اذا قلت يجمع له الناس فان قلت لاي فائدة اوثر اسم المفعول على فعله قلت لما في اسم المفعول من دلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه يوم لا بد من ان يكون ميعادا مضروبا لجمع الناس له وانه الموصوف بذلك صفة لازمة وهو اثبت ايضا لاسناد الجمع الى الناس وانهم لا ينفكون منه ونظيره قول المتهدد انك لمنهوب مالك محروب قومك فيه من تمكن الوصف وثباته ما ليس في الفعل وان شئت فوازن بينه وبين قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع تعثر على صحة ما قلت لك ومعنى يجمعون له يجمعون لما فيه من الحساب والثواب والعقاب يوم مشهود مشهود فيه فاتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول به كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا اي يشهد فيه الخلائق الموقف لا يغيب عنه احد والمراد بالمشهود الذي كثر شاهدوه ومنه قولهم لفلان مجلس مشهود وطعام محضور قال في محفل من نواصي الناس مشهود فان قلت ما منعك ان تجعل اليوم مشهودا في نفسه دون ان تجعله مشهودا فيه كما قال الله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه قلت الغرض وصف ذلك اليوم بالهول والعظم وتميزه من بين الايام فان جعلته مشهودا في نفسه فسائر الايام كذلك مشهودات ولكن يجعل مشهودا فيه حتى يحصل التميز كما تميز يوم الجمعة عن ايام الاسبوع بكونه مشهودا فيه دونها ولم يجز ان يكون مشهودا في نفسه لان سائر ايام الاسبوع مثله يشهدها كل من يشهده وكذلك قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه الشهر منتصب ظرفا لا مفعولا به وكذلك الضمير في فليصمه والمعنى فمن شهد منكم في الشهر فليصم فيه يعني من كان منكم مقيما حاضرا لوطنه في شهر رمضان فليصم فيه ولو نصبته مفعولا فالمسافر والمقيم كلاهما يشهدان الشهر لا يشهده المقيم ويغيب عنه المسافر الا لاجل يطلق على مدة التاجيل كلها وعلى منتهاها فيقولون انتهى الاجل وبلغ الاجل اخره ويقولون حل الاجل فاذا جاء اجلهم يراد اخر مدة الاجل والعد انما هو للمدة لا لغايتها ومنتهاها فمعنى
الا لاجل معدود الا لانتهاء مدة معدودة بحذف المضاف وقرئ

قوله وما نؤخره الا لاجل معدود الا لانتهاء مدة معدودة بحذف المضاف وقرئ وما يؤخره بالياء يوم يات بغير ياء ونحوه قولهم لا ادر حكاه الخليل وسيبويه وحذف الياء والاجتزاء عنها بالكسرة كثير في لغة هذيل فان قلت فاعل ياتي ما هو قلت الله عز وجل كقوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله او ياتي ربك وجاء ربك ويعضده قراءة من قرأ وما يؤخره بالياء وقوله باذنه ويجوز ان يكون الفاعل ضمير اليوم كقوله ان تاتيهم الساعة فان قلت بم انتصب الظرف قلت اما ان ينتصب بلا تكلم واما باضمار اذكر واما بالانتهاء المحذوف في قوله الا لاجل معدود اي ينتهي الاجل يوم ياتي فان قلت فاذا جعلت الفاعل ضمير اليوم فقد جعلت اليوم وقتا لاتيان اليوم وحددت الشيء بنفسه قلت المراد اتيان هوله وشدائده لا تكلم لا تتكلم وهو نظير قوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن فان قلت كيف يوفق بين هذا وبين قوله يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون قلت ذلك يوم طويل له مواقف ومواطن ففي بعضها يجادلون عن انفسهم وفي بعضها يكفون عن الكلام فلا يؤذن لهم وفي بعضها يؤذن لهم فيتكلمون وفي بعضها يختم على افواههم وتكلم ايديهم وتشهد ارجلهم فمنهم الضمير لاهل الموقف ولم يذكروا لان ذلك معلوم ولان قوله لا تكلم نفس يدل عليه وقد مر ذكر الناس في قوله مجموع له الناس والشقي الذي وجبت له النار لاساءته والسعيد الذي وجبت له الجنة باحسانه وقراه العامة بفتح السين وعن الحسن سعدوا بالضم كما قرئ سعدوا والزفير اخراج النفس والشهيق رده قال الشماخ بعيد مدى التطريب اول صوته زفير ويتلوه شهيق محشرج ما دامت السموات والارض فيه وجهان احدهما ان يراد سموات الاخرة وارضها وهي دائمة مخلوقة للابد والدليل على ان لها سموات وارضا قوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وقوله واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء ولانه لا بد لاهل الاخرة مما يقلهم ويظلهم اما سماء يخلقها الله او يظلهم العرش وكل ما اظلك فهو سماء والثاني ان يكون عبارة عن التابيد ونفي الانقطاع كقول العرب ما دام تعار وما اقام ثبير وما لاح كوكب وغير ذلك من كلمات التابيد فان قلت فما معنى الاستثناء في قوله الا ما شاء ربك وقد ثبت خلود اهل الجنة والنار في الابد من غير استثناء قلت هو استثناء من الخلود في عذاب النار ومن الخلود في نعيم الجنة وذلك ان اهل النار لا يخلدون في عذاب النار وحده بل يعذبون بالزمهرير وبانواع من العذاب سوى عذاب النار وبما هو اغلظ منها كلها وهو سخط الله عليهم وخسؤه لهم واهانته اياهم وكذلك اهل الجنة لهم سوى الجنة ما هو اكبر منها واجل موقعا منهم وهو رضوان الله كما قال وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر ولهم ما يتفضل الله به عليهم سوى ثواب الجنة مما لا يعرف كنهه الا هو فهو المراد بالاستثناء والدليل عليه قوله عطاء غير مجذوذ ومعنى قوله في مقابلته ان ربك فعال لما يريد انه يفعل باهل النار ما يريد من العذاب كما يعطي اهل الجنة عطاءه الذي لا انقطاع له فتامله

كما يعطي اهل الجنة عطاءه الذي لا انقطاع له فتامله فان القرآن يفسر بعضه
بعضا ولا يخدعنك عنه قول المجبرة ان المراد بالاستثناء خروج اهل الكبائر
من النار بالشفاعة فان الاستثناء الثاني ينادي على تكذيبهم ويسجل بافترائهم وما
ظنك بقوم نبذوا كتاب الله لما روى لهم بعض النوابت عن عبد الله بن عمرو بن
العاص ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه ابوابها ليس فيها احد وذلك بعد ما يلبثون
فيها احقابا وقد بلغني ان من الضلال من اغتر بهذا الحديث فاعتقد ان الكفار
لا يخلدون في النار وهذا ونحوه والعياذ بالله من الخذلان المبين زادنا الله
هداية الى الحق ومعرفة بكتابه وتنبيها على ان نعقل عنه ولئن صح هذا عن ابن
العاص فمعناه انهم يخرجون من حر النار الى برد الزمهرير فذلك خلو جهنم
وصفق ابوابها واقول ما كان لابن عمرو [العاصي] في سيفيه ومقاتلته بهما علي بن ابي طالب
رضوان الله عليه ما يشغله عن تسيير هذا الحديث **عطاء غير مجذوذ** غير مقطوع
ولكنه ممتد الى غير نهاية كقوله لهم اجر غير ممنون لما قص قصص عبدة
الاوثان وذكر ما احل بهم من نقمه وما اعد لهم من عذابه قال **فلا تك في مرية مما
يعبد هؤلاء** اي فلا تشك بعد ما انزل عليك من هذه القصص في سوء عاقبة عبادتهم
وتعرضهم بها لما اصاب امثالهم قبلهم تسلية لرسول الله وعدة بالانتقام منهم
ووعيدا لهم ثم قال **ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم** [من قبل] يريد ان حالهم في الشرك
مثل حال ابائهم من غير تفاوت بين الحالين وقد بلغك ما نزل باباءهم فسينزل
بهم مثله وهو استئناف معناه تعليل النهي عن المرية وما في مما وكما يجوز ان يكون
مصدرية وموصولة اي من عبادتهم وكعبادتهم او مما يعبدون من الاوثان ومثل
ما يعبدون منها **وانا لموفوهم نصيبهم** اي حظهم من العذاب كما وفينا اباءهم انصباءهم
فان قلت كيف نصب **غير منقوص** حالا عن النصيب الموفى قلت يجوز ان يوفى وهو
ناقص ويوفى وهو كامل الا تراك تقول وفيته شطر حقه وثلث حقه
وحقه كاملا وناقصا **فاختلف فيه** امن به قوم وكفر به قوم كما اختلف في القرآن
ولولا كلمة يعني كلمة الانظار الى يوم القيامة **لقضي بينهم** بين قوم موسى او قومك
وهذه من جملة التسلية ايضا **وان كلا** التنوين عوض من المضاف اليه يعني وان
كلهم وان جميع المختلفين فيه **ليوفينهم** جواب قسم محذوف واللام في لما موطئة
للقسم وما مزيدة والمعنى وان جميعهم والله ليوفينهم **ربك اعمالهم** من حسن
وقبيح وايمان وجحود وقرئ وان كلا بالتخفيف على اعمال المخففة عمل الثقيلة
اعتبارا لاصلها الذي هو التثقيل وقرأ أبي وان كل لما ليوفينهم على ان ان
نافية ولما بمعنى الا وقراءة عبد الله مفسرة لها وان كل الا ليوفينهم وقرأ
الزهري وسليمان بن ارقم وان كلا لما ليوفينهم بالتنوين كقوله اكلا لما والمعنى
وان كلا ملمومين بمعنى مجموعين كانه قيل وان كلا جميعا كقوله فسجد الملائكة
كلهم اجمعون **فاستقم كما امرت** فاستقم استقامة مثل الاستقامة التي امرت بها
على جادة الحق غير عادل عنها **ومن تاب معك** معطوف على المستتر في استقم
وانما جاز العطف عليه ولم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه والمعنى فاستقم

انت وليستقم من تاب عن الكفر وامن معك **ولا تطغوا** ولا تخرجوا عن حدود
الله **انه بما تعملون بصير** عالم فهو مجازيكم به فاتقوه وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع القرآن اية كانت اشد ولا اشق
عليه من هذه الاية ولهذا قال صلى الله عليه وسلم شيبتني هود والواقعة واخواتهما
وروي ان اصحابه قالوا له لقد اسرع فيك الشيب فقال شيبتني هود وعن بعضهم
رايت رسول الله في المنام [النوم] فقلت له روي عنك انك قلت شيبتني هود فقال نعم
فقلت ما الذي شيبك منها اقصص الانبياء وهلاك الامم قال لا ولكن قوله
فاستقم كما امرت وعن جعفر الصادق رضي الله عنه فاستقم كما امرت قال
افتقر الى الله بصحة العزم قرئ **ولا تركنوا** بفتح الكاف وضمها مع فتح التاء عن
ابي عمرو وبكسر التاء وفتح الكاف على لغة تميم في كسرهم حروف المضارعة الا
الياء في كل ما كان من باب علم يعلم ونحوه قراءة من قرأ فتمسكم النار بكسر التاء
وقرأ ابن ابي عبلة ولا تركنوا على البناء للمفعول من اركنه اذا اماله والنهي متناول
للانحطاط في هواهم والانقطاع اليهم ومصاحبتهم ومجالستهم وزيارتهم
ومداهنتهم والرضا باعمالهم والتشبه بهم والتزيي بزيهم ومد العين الى
زهرتهم وذكرهم بما فيه تعظيم لهم وتامل قوله ولا تركنوا فان الركون هو
الميل اليسير وقوله **الى الذين ظلموا** اي الى الذين وجد منهم الظلم ولم يقل
الى الظالمين وحكي ان الموفق صلى خلف الامام فقرا بهذه الاية فغشي عليه
فلما افاق قيل له فقال هذا فيمن ركن الى من ظلم فكيف بالظالم وعن الحسن
رحمه الله جعل الله الدين بين لاءين ولا تطغوا ولا تركنوا ولما خالط
الزهري السلاطين كتب اليه اخ له في الدين عافانا الله واياك ابا بكر
من الفتن فقد اصبحت بحال ينبغي لمن عرفك ان يدعو لك الله ويرحمك اصبحت
شيخا كبيرا وقد اثقلتك نعم الله بما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه
وليس كذلك اخذ الله الميثاق على العلماء قال الله سبحانه لتبيننه للناس
ولا تكتمونه واعلم ان ايسر ما ارتكبت واخف ما احتملت انك انست وحشة الظالم
وسهلت سبيل الغي بدنوك ممن لم يؤد حقا ولم يترك باطلا حين ادناك
اتخذوك قطبا تدور عليك رحى باطلهم وجسرا يعبرون عليك الى بلائهم
وسلما يصعدون فيك الى ضلالهم ويدخلون الشك بك على العلماء
ويقتادون بك قلوب الجهلاء فما ايسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا
عليك وما اكثر ما اخذوا منك فيما افسدوا عليك من دينك فما
يؤمنك ان تكون ممن قال الله تعالى فيهم فخلف من بعدهم خلف اضاعوا
الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا فانك تعامل من لا
يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل فداو دينك فقد دخله سقم وهيئ زادك
فقد حضر السفر البعيد وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء
والسلام وقال سفيان في جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزائرون للملوك
وعن الاوزاعي ما من شيء ابغض الى الله من عالم يزور عاملا وعن محمد بن مسلمة

ويرحمك

اثقلتك

الذباب على العذرة أحسن من قارئ على باب هؤلاء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله في أرضه ولقد سئل سفيان
عن ظالم أشرف على الهلاك في برية هل يسقى شربة ماء فقال لا فقيل له يموت
فقال دعه يموت **وما لكم من دون الله من أولياء** حال من قوله فتمسكم
النار أي فتمسكم النار وأنتم على هذه الحال ومعناه وما لكم من دون الله من
أنصار يقدرون على منعكم من عذابه لا يقدر على منعكم منه غيره **ثم لا تنصرون**
ثم لا ينصركم هو لأنه وجب في حكمته تعذيبكم وترك الإبقاء عليكم فإن قلت فما
معنى ثم قلت معناها الاستبعاد لأن النصرة من الله مستبعدة مع استيجابهم
العذاب واقتضاء حكمته له **طرفي النهار** غدوة وعشية **وزلفا من الليل**
وساعات من الليل من آخر النهار من أزلفه إذا قربه وازدلف إليه وصلاة
الغدوة الفجر وصلاة العشية الظهر والعصر لأن ما بعد الزوال عشي
وصلاة الزلف المغرب والعشاء وانتصاب طرفي النهار على الظرف لأنهما
مضافان إلى الوقت كقولك أقمت عنده جميع النهار وأتيته نصف
النهار وأوله وآخره تنصب هذا كله على إعطاء المضاف حكم المضاف إليه
ونحوه وأطراف النهار وقرئ وزلفا بضمتين وزلفا بسكون اللام وزلفى
بوزن قربى فالزلف جمع زلفة كظلم في ظلمة والزلف بالسكون نحو بسرة
وبسر والزلف بضمتين نحو بسر في بسر والزلفى بمعنى الزلفة كما أن القربى
بمعنى القربة وهو ما يقرب من آخر النهار من الليل وقيل وزلفا من الليل
وقربا من الليل وحقها على هذا التفسير أن تعطف على الصلاة أي أقم
الصلاة طرفي النهار وأقم زلفا من الليل على معنى وأقم صلوات يتقرب
بها إلى الله عز وجل في بعض الليل **إن الحسنات يذهبن السيئات**
فيه وجهان أحدهما أن يراد تكفير الصغائر بالطاعات وفي الحديث
أن الصلاة إلى الصلاة كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر والثاني أن الحسنات
يذهبن السيئات بأن يكن لطفا في تركها كقوله إن الصلاة تنهى عن الفحشاء
والمنكر وقيل نزلت في أبي اليسر عمرو بن غزية الأنصاري كان يبيع التمر
فأتته امرأة فأعجبته فقال لها إن في البيت أجود من هذا التمر فذهب بها
إلى بيته فضمها إلى نفسه وقبلها فقال لها اتق الله فتركها وندم فأتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بما فعل فقال أنتظر أمر ربي فلما
صلى صلاة العصر نزلت فقال نعم اذهب فإنها كفارة لما عملت وروي
أنه أتى أبا بكر فأخبره فقال استر على نفسك وتب إلى الله فأتى عمر
فقال له مثل ذلك ثم أتى رسول الله فنزلت فقال عمر أهذا له خاصة أم
للناس عامة فقال بل للناس عامة وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال له توضأ وضوءا حسنا وصل ركعتين إن الحسنات يذهبن السيئات
ذلك إشارة إلى قوله فاستقم فما بعده **ذكرى للذاكرين** عظة للمتعظين
ثم كر إلى التذكير بالصبر بعدما جاء بما هو خاتمة للتذكير وهذا الكرور

لفضل خصوصية ومزية وتنبيه على مكان الصبر ومحله كأنه قال وعليك
بما هو أهم مما ذكرت به وأحق بالتوصية وهو الصبر على امتثال ما أمرت به
والانتهاء عما نهيت عنه فلا يتم شيء منه إلا به **فإن الله لا يضيع أجر المحسنين**
جاء بما هو مشتمل على الاستقامة وإقامة الصلوات والانتهاء عن الطغيان
والركون إلى الظالمين والصبر وغير ذلك من الحسنات **فلولا كان من القرون**
فهلا كان وقد حكوا عن الخليل كل لولا في القرآن فمعناها هلا إلا التي في
الصافات وما صحت هذه الحكاية ففي غير الصافات لولا أن تداركه نعمة من ربه
لنبذ بالعراء ولولا رجال مؤمنون ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم **أولوا
بقية** أولو فضل وخير وسمي الفضل والجودة بقية لأن الرجل يستبقي مما يخرجه
أجوده وأفضله فصار مثلا في الجودة والفضل ويقال فلان من بقية القوم
أي من خيارهم وبه فسر بيت الحماسة إن تذنبوا ثم تأتيني بقيتكم ومنه قولهم
في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا ويجوز أن تكون البقية بمعنى البقوى كالتقية
بمعنى التقوى أي فهلا كان منهم ذوو إبقاء على أنفسهم وصيانة لها من سخط
الله وعقابه وقرئ أولو بقية بوزن لقية من بقاه يبقيه إذا راقبه وانتظره
ومنه بقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم والبقية المرة من مصدره والمعنى فلولا
كان منهم أولو مراقبة وخشية من انتقام الله كأنهم ينتظرون إيقاعه بهم
لإشفاقهم **إلا قليلا** استثناء منقطع معناه ولكن قليلا **ممن أنجينا منهم** من القرون
نهوا عن الفساد وسائرهم تاركون للنهي ومن في ممن أنجينا حقها أن تكون للبيان
لا للتبعيض لأن النجاة إنما هي للناهين وحدهم بدليل قوله عز وجل أنجينا الذين
ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا فإن قلت هل لوقوع هذا الاستثناء متصلا
وجه يحمل عليه قلت إن جعلته متصلا على ما عليه ظاهر الكلام كان المعنى
فاسدا لأنه يكون تحضيضا لأولي البقية على النهي عن الفساد إلا القليل من
الناجين منهم كما تقول هلا قرأ قومك القرآن إلا الصلحاء منهم تريد استثناء
الصلحاء من المحضضين على قراءة القرآن وإن قلت في تحضيضهم على النهي عن الفساد
إلا قليلا من الناجين لأن معنى بقية عنهم فكأنه قيل ما كان من القرون أولو بقية
إلا قليلا كان استثناء متصلا ومعنى صحيحا وكان انتصابه على أصل الاستثناء وإن
كان الأفصح أن يرفع على البدل **واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه** أراد بالذين
ظلموا تاركي النهي عن المنكرات أي لم يهتموا بما هو ركن عظيم من أركان الدين
وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعقدوا هممهم بالشهوات واتبعوا ما عرفوا
فيه التنعم والترف من حب الرياسة والثروة وطلب أسباب العيش الهنيء ورفضوا
ما وراء ذلك ونبذوه وراء ظهورهم وقرأ أبو عمرو في رواية الجعفي واتبع الذين ظلموا
يعني واتبعوا جزاء ما أترفوا فيه ويجوز أن يكون المعنى في القراءة المشهورة أنهم
اتبعوا جزاء إترافهم وهذا معنى قوي لتقدم الإنجاء كأنه قيل إلا قليلا ممن أنجينا منهم
وهلك السائر فإن قلت علام عطف قوله واتبع الذين ظلموا قلت إن كان معناه
واتبعوا الشهوات كان معطوفا على مضمر لأن المعنى إلا قليلا ممن أنجينا منهم نهوا
عن الفساد واتبع الذين ظلموا شهواتهم فهو عطف على نهوا وإن كان معناه واتبعوا

جرام المترفين والواو للحال كأنه قيل أنجينا القليل وقد اتبع الذين ظلموا جزاءهم
فإن قلت علام عطف قوله وكانوا مجرمين قلت على أترفوا أي اتبعوا الإتراف وكونهم مجرمين
لأن تابع الشهوات مغمور بالآثام أو أريد بالإجرام إغفالهم للشكر أو على اتبعوا أي
اتبعوا شهواتهم وكانوا مجرمين بذلك ويجوز أن يكون اعتراضا وحكما عليهم بأنهم
قوم مجرمون وما كان بمعنى صح واستقام واللام لتأكيد النفي ليهلك القرى بظلم حال من الفاعل
والمعنى واستحال في الحكمة أن يهلك الله القرى ظالما لها وأهلها قوم مصلحون تنزيها
لذاته تعالى عن الظلم وإيذانا بأن إهلاك المصلحين من الظلم وقيل الظلم الشرك ومعناه أنه
لا يهلك القرى بسبب شرك أهلها وهم مصلحون يتعاطون الحق فيما بينهم ولا يضمون إلى شركهم
فسادا آخر ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة يعني لاضطرهم إلى أن يكونوا أهل أمة
واحدة أي ملة واحدة وهي ملة الإسلام كقوله إن هذه أمتكم أمة واحدة وهذا الكلام يتضمن نفي
الاضطرار وأنه لم يضطرهم إلى الاتفاق على دين الحق ولكنه مكنهم من الاختيار الذي هو
أساس التكليف فاختار بعضهم الحق وبعضهم الباطل فاختلفوا فلذلك قال ولا يزالون مختلفين
إلا من رحم ربك إلا ناسا هداهم الله ولطف بهم فاتفقوا على دين الحق غير مختلفين فيه ولذلك خلقهم
ذلك إشارة إلى ما دل عليه الكلام الأول وتضمنه يعني ولذلك من التمكين والاختيار الذي كان عنه
الاختلاف خلقهم ليثيب مختار الحق بحسن اختياره ويعاقب مختار الباطل بسوء اختياره وتمت كلمة
ربك وهي قوله للملائكة لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين لعلمه بكثرة من يختار الباطل
وكلا التنوين فيه عوض من المضاف إليه كأنه قيل وكل نبأ نقص عليك ومن أنباء الرسل بيان
لكل وما نثبت به فؤادك بدل من كلا ويجوز أن يكون المعنى وكل اقتصاص نقص عليك على
معنى وكل نوع من أنواع الاقتصاص نقص عليك يعني على الأساليب المختلفة وما نثبت مفعول
نقص ومعنى تثبيت فؤاده زيادة يقينه وما فيه طمأنينة قلبه لأن تكاثر الأدلة أثبت للقلب
وأرسخ للعلم وجاءك في هذه الحق أي في هذه السورة أو في هذه الأنباء المقتصة فيها ما هو
حق وموعظة وذكرى للمؤمنين وقل للذين لا يؤمنون من أهل مكة وغيرهم اعملوا على مكانتكم
على جهتكم التي أنتم عليها إنا عاملون وانتظروا بنا الدوائر إنا منتظرون أن ينزل بكم
نحو ما اقتص الله من النقم النازلة بأشباهكم ولله غيب السموات والأرض لا تخفى عليه
خافية مما يجري فيهما فلا تخفى عليه أعمالكم وإليه يرجع الأمر كله فلا بد أن يرجع إليه أمرهم
وأمرك فينتقم لك منهم فاعبده وتوكل عليه فإنه كافيك وكافلك وما ربك بغافل
عما يعملون وقرئ تعملون بالتاء أي أنت وهم على تغليب المخاطب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة هود أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب به وهود
وصالح وشعيب ولوط وإبراهيم وموسى وكان يوم القيامة من السعداء إن شاء الله تعالى

سورة يوسف مكية وهي مائة وإحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم تلك إشارة إلى آيات السورة والكتاب المبين
السورة أي تلك الآيات التي أنزلت إليك في هذه السورة آيات السورة الظاهر أمرها
في إعجاز العرب وتبكيتهم أو التي تبين لمن تدبرها أنها من عند الله لا من عند البشر
أو الواضحة التي لا تشتبه على العرب معانيها لنزولها بلسانهم أو قد أبين فيها
ما سألت عنه اليهود من قصة يوسف فقد روي أن علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين
سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر وعن قصة يوسف إنا أنزلناه أنزلنا

هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف في حال كونه قرآنا عربيا وسمي بعض القرآن قرآنا
لأن القرآن اسم جنس يقع على كله وبعضه لعلكم تعقلون إرادة أن تفهموه وتحيطوا
بمعانيه ولا يلتبس عليكم ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته القصص على
وجهين يكون مصدرا بمعنى الاقتصاص تقول قص الحديث يقصه قصصا كقولك شله
يشله شللا إذا طرده ويكون فعلا بمعنى مفعول كالنقض والحسب ونحوه النبأ والخبر
في معنى المنبأ والمخبر به ويجوز أن يكون من تسمية المفعول بالمصدر كالخلق والصيد فإن
أريد المصدر فمعناه نحن نقص عليك أحسن الاقتصاص بما أوحينا إليك هذا القرآن أي
بإيحائنا إليك هذه السورة على أن يكون أحسن منصوبا نصب المصدر لإضافته إليه
ويكون المقصوص محذوفا لأن قوله بما أوحينا إليك هذا القرآن مغن عنه ويجوز أن
ينتصب هذا القرآن بنقص كأنه قيل نحن نقص عليك أحسن الاقتصاص هذا القرآن
بإيحائنا إليك والمراد بأحسن الاقتصاص أنه اقتص على أبدع طريقة وأعجب أسلوب
ألا ترى أن هذا الحديث مقتص في كتب الأولين وفي كتب التواريخ ولا ترى اقتصاصه
في كتاب منها مقاربا لاقتصاصه في القرآن وإن أريد بالقصص المقصوص فمعناه
نحن نقص عليك أحسن ما يقص من الأحاديث إنما كان أحسنه لما يتضمن من العبر والنكت
والحكم والعجائب التي ليست في غيرها والظاهر أنه أحسن ما يقص في بابه كما يقال في
الرجل هو أعلم الناس وأفضلهم يراد في فنه فإن قلت مم اشتقاق القصص قلت من
قص أثره إذا اتبعه لأن الذي يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئا فشيئا كما يقال
تلا القرآن إذا قرأه لأنه يتلو أي يتبع ما حفظ منه آية بعد آية وإن كنت إن مخففة
من الثقيلة واللام هي التي تفرق بينها وبين النافية والضمير في قبله راجع إلى
قوله بما أوحينا والمعنى وإن الشأن والحديث كنت من قبل إيحائنا إليك لمن الغافلين
عنه أي من الجاهلين به أي ما كان لك فيه علم قط ولا طرق سمعك طرف منه إذ
قال يوسف بدل من أحسن القصص وهو من بدل الاشتمال لأن الوقت مشتمل على القصص
وهو المقصوص فإذا قص وقته فقد قص أو بإضمار اذكر ويوسف اسم عبراني وقيل
عربي وليس بصحيح لأنه لو كان عربيا لانصرف لخلوه عن سبب آخر سوى التعريف فإن
قلت فما تقول فيمن قرأ يوسف بكسر السين أو يوسف بفتحها هل يجوز على قراءته أن
يقال هو عربي لأنه على وزن المضارع المبني للفاعل أو المفعول من آسف وإنما منع
الصرف للتعريف ووزن الفعل قلت لا لأن القراءة المشهورة قامت بالشهادة
على أن الكلمة أعجمية فلا تكون عربية تارة وعجمية أخرى ونحو يوسف يونس رويت فيه
هذه اللغات الثلاث ولا يقال هو عربي لأنه في لغتين منها بوزن المضارع من آنس
وأونس وعن النبي صلى الله عليه وسلم إذا قيل من الكريم فقولوا الكريم ابن الكريم
ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم لأبيه يا أبت قرئ
بالحركات الثلاث فإن قلت ما هذه التاء قلت تاء تأنيث وقعت عوضا من ياء الإضافة والدليل
على أنها تاء تأنيث قلبها هاء في الوقف فإن قلت كيف جاز إلحاق تاء التأنيث بالمذكر
قلت كما جاز نحو قولك حمامة ذكر وشاة ذكر ورجل ربعة وغلام يفعة فإن
قلت فلم ساغ تعويض تاء التأنيث من ياء الإضافة قلت لأن التأنيث والإضافة يتناسبان
في أن كل واحد منهما زيادة مضمومة إلى الاسم في آخره فإن قلت فما هذه الكسرة قلت

هي الكسرة التي كانت قبل الياء في قولك يا أبي قد زحلقت الى التاء لاقتضاء تاء التأنيث
ان يكون ما قبلها مفتوحا فان قلت فما بال الكسرة لم تسقط بالفتحة التي اقتضتها
التاء وبقي التاء ساكنة قلت امتنع ذلك فيها لانها اسم والاسماء حقها التحريك لاصالتها
في الاعراب وانما جاز تسكين الياء واصلها ان تحرك تخفيفا لانها حرف لين واما التاء
فحرف صحيح نحو كاف الضمير فلزم تحريكها فان قلت يشبه الجمع بين التاء وبين هذه
الكسرة الجمع بين العوض والمعوض منه لانها في حكم الياء اذا قلت يا غلام فكما لا تجوز
يا ابتي فلا تجوز يا ابت قلت الياء والكسرة قبلها شيئان والتاء عوض من احد الشيئين
وهو الياء والكسرة غير متعرض لها فلا يجمع بين العوض والمعوض منه الا اذا اجمع
بين الياء والتاء لا غير الا ترى الى قولهم يا ابتا مع كون الالف فيه بدلا من الياء كيف
جاز الجمع بينها وبين التاء ولم يعد ذلك جمعا بين العوض والمعوض منه فالكسرة
ابعد من ذلك فان قلت فقد دلت الكسرة في يا غلام على الاضافة لانها قرينة الياء
ولصيقتها فان دلت على مثل ذلك في يا ابت فالتاء المعوضة لغو ووجودها كعدمها
قلت بل حال التاء كحال الهاء مع الياء اذا قلت يا ابي فان قلت فما وجه من قرأ
بفتح التاء وضمها قلت اما من فتح فقد حذف الالف من يا ابتا واستبقى الفتحة قبلها
كما فعل من حذف الياء في يا غلام ويجوز ان يقال حركها بحركة الياء المعوض منها في قولك
يا ابي واما من ضم فقد رأى اسما في آخره تاء تأنيث فاجراه مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء
فقال يا ابة كما تقول يا تبة من غير اعتبار لكونها عوضا من ياء الاضافة وقرئ
اني رأيت بتحريك الياء واحد عشر بسكون العين تخفيفا لتوالي الحركات فيما
هو في حكم اسم واحد وكذا الى تسعة عشر الا اثني عشر لئلا يلتقي ساكنان ورأيت
من الرؤيا لا من الرؤية لان ما ذكره معلوم انه منام لان الشمس والقمر لو اجتمعا
مع الكواكب ساجدة ليوسف في حال اليقظة لكانت آية عظيمة ليعقوب عليه السلام
ولما خفيت عليه وعلى الناس فان قلت ما اسماء تلك الكواكب قلت روى جابر
رضي الله عنه ان يهوديا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اخبرني عن النجوم
التي راهن يوسف فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام فاخبره
بذلك فقال النبي صلى الله عليه لليهودي ان اخبرتك هل تسلم قال نعم قال
جربان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح
والفرغ ووثاب وذو الكتفين رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء
وسجدن له فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها وقيل الشمس والقمر ابواه
وقيل ابوه وخالته والكواكب اخوته وعن وهب ان يوسف عليه السلام رأى وهو ابن
سبع سنين ان احدى عشرة عصا طوالا كانت مركوزة في الارض كهيئة الدارة
واذا عصا صغيرة تثب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لابيه فقال
اياك ان تذكر هذا لاخوتك ثم رأى وهو ابن ثنتي عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب
تسجد له فقصها على ابيه فقال له لا تقصها عليهم فيبغوا لك الغوائل وقيل
كان بين رؤيا يوسف ومصير اخوته اليه اربعون سنة وقيل ثمانون فان قلت لم
اخر الشمس والقمر قلت اخرهما ليعطفهما على الكواكب على طريق الاختصاص
بيانا لفضلهما واستبدادهما بالمزية على غيرهما من الطوالع كما اخر جبريل وميكائيل

عن الملائكة ثم عطفهما عليها لذلك ويجوز ان تكون الواو بمعنى مع اي رأيت الكواكب
مع الشمس والقمر فان قلت ما معنى تكرار رأيت قلت ليس بتكرار انما هو
كلام مستأنف على تقدير سؤال وقع جوابا له كأن يعقوب عليه السلام قال له عند
قوله اني رأيت احد عشر كوكبا كيف رأيتها سائلا عن حال رؤيتها فقال رأيتهم
لي ساجدين فان قلت فلم اجريت مجرى العقلاء في رأيتهم لي ساجدين قلت لانه لما
وصفها بما هو خاص بالعقلاء وهو السجود اجرى عليها حكمهم كأنها عاقلة وهذا
كثير شائع في كلامهم ان يلابس الشيء الشيء من بعض الوجوه فيعطى حكما من احكامه
اظهارا لاثر الملابسة والمقاربة عرف يعقوب عليه السلام دلالة الرؤيا على ان
يوسف يبلغه الله مبلغا من الحكمة ويصطفيه للنبوة وينعم عليه بشرف الدارين
كما فعل بآبائه فخاف عليه حسد الاخوة وبغيهم والرؤيا بمعنى الرؤية الا انها
مختصة بما كان منها في المنام دون اليقظة فرق بينهما بحرفي التأنيث كما
قيل القربة والقربى وقرئ رؤياك بقلب الهمزة واوا وسمع الكسائي رياك
ورياك بالادغام وضم الراء وكسرها وهي ضعيفة لان الواو في تقدير الهمزة
فلا يقوى ادغامها كما لم يقو الادغام في قولهم اتزر من الازار واتجر من
الاجر فيكيدوا منصوب باضمار ان والمعنى ان قصصتها عليهم كادوك فان
قلت هلا قيل فيكيدوك كما قيل فكيدوني قلت ضمن معنى فعل يتعدى باللام
ليفيد معنى فعل الكيد مع افادة معنى الفعل المضمن فيكون آكد وابلغ
في التخويف وذلك نحو فيحتالوا لك الا ترى الى تأكيده بالمصدر عدو مبين
ظاهر العداوة لما فعل بآدم وحواء ولقوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم
فهو يحمل على الكيد والمكر وكل شر ليورط من يحمله ولا يؤمن ان يحملهم
على مثله وكذلك ومثل ذلك الاجتباء يجتبيك ربك يعني وكما اجتباك لمثل
هذه الرؤيا العظيمة الدالة على شرف وعز وكبرياء شأن كذلك يجتبيك
لامور عظام وقوله ويعلمك كلام مبتدأ غير داخل في التشبيه كأنه قيل وهو
يعلمك ويتم نعمته عليك والاجتباء الاصطفاء افتعال من جبيت الشيء اذا
حصلته لنفسك وجبيت الماء في الحوض جمعته والاحاديث الرؤيا لان الرؤيا
اما حديث نفس او ملك او شيطان وتأويلها عبارتها وتفسيرها وكان
يوسف عليه السلام اعبر الناس للرؤيا واصحهم عبارة لها ويجوز ان يراد بتأويل
الاحاديث معاني كتب الله عز وجل وسنن الانبياء وما غمض واشتبه على الناس
من اغراضها ومقاصدها يفسرها لهم ويشرحها ويدلهم على مودعات حكمها
وسميت احاديث لانه يحدث بها عن الله ورسله فيقال قال الله وقال الرسول
كذا وكذا الا ترى الى قوله فبأي حديث بعده يؤمنون الله نزل احسن الحديث
وهو اسم جمع للحديث وليس بجمع احدوثة ومعنى اتمام النعمة عليهم انه وصل
لهم نعمة الدنيا بنعمة الآخرة بان جعلهم انبياء في الدنيا وملوكا ونقلهم عنها
الى الدرجات العلى في الجنة وقيل اتمها على ابراهيم بالخلة والانجاء من النار
ومن ذبح الولد وعلى اسحق بانجائه من الذبح وفدائه بذبح عظيم وباخراج
يعقوب والاسباط من صلبه وقيل علم يعقوب ان يوسف يكون

بها واخوته ابناء اسد لا يستضاء الكواكب فلذلك قال وعلى آل يعقوب
وقيل لما بلغت هذه الرؤيا اخوة يوسف حسدوه وقالوا ما رضي ان تسجد
له اخوته حتى سجد له ابواه وقيل كان يعقوب عليه السلام مؤثرا له بزيادة المحبة
والشفقة لصغره ولما يرى فيه من المخايل وكان اخوته يحسدونه فلما
رأى الرؤيا ضاعف له المحبة فكان يضمه كل ساعة الى صدره ولا يصبر
عنه فبالغ فيهم الحسد وقيل لما قص رؤياه على يعقوب عليه السلام قال
هذا امر مشتت يجمعه الله لك بعد دهر طويل وآل يعقوب اهله وهم
نسله وغيرهم واصل آل اهل بدليل تصغيره على اهيل الا انه لا يستعمل
الا فيمن له خطر يقال آل النبي وآل الملك ولا يقال آل الحائك ولا آل الحجام
ولكن اهلهما واراد بالابوين الجد واب الجد لانهما في حكم الاب في الاصالة ومن
ثم يقولون ابن فلان وان كان بينه وبين فلان عدة وابراهيم واسحق عطف
بيان لابويك ان ربك عليم يعلم من يحق له الاجتباء حكيم لا يتم نعمته الا على
من يستحقها في يوسف واخوته اي في قصتهم وحديثهم آيات علامات
ودلائل على قدرة الله وحكمته في كل شيء للسائلين لمن سال عن قصتهم
وعرفها وقيل آيات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم للذين سألوه من اليهود عنها
فاخبرهم بالصحة من غير سماع من احد ولا قراءة كتاب وقرئ آية وفي بعض
المصاحف عبرة وقيل انما قص الله على النبي صلعم خبر يوسف وبغي
اخوته عليه لما رأى من بغي قومه عليه ليتأسى به وقيل اسماؤهم يهوذا
وروبيل وشمعون ولاوي وزبالون ويشجر ودينة ودان ونفتالي
وجاد واشر السبعة الاولون كانوا من ليا بنت خالة يعقوب والاربعة
الآخرون من سريتين زلفة وبلهة فلما توفيت ليا تزوج اختها راحيل
فولدت له بنيامين ويوسف ليوسف اللام لام الابتداء وفيها تأكيد وتحقيق
لمضمون الجملة ارادوا ان زيادة محبته لهما امر ثابت لا شبهة فيه واخوه هو
بنيامين وانما قالوا اخوه وهم جميعا اخوته لان امهما كانت واحدة وقيل
احب الينا من الاثنين لان افعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر
والمؤنث اذا كان معه من ولا بد من الفرق مع لام التعريف واذا اضيف
جاز الامران والواو في ونحن عصبة واو الحال يعنون انه يفضلهما
في المحبة علينا وهما اثنان صغيران لا كفاية فيهما ولا منفعة ونحن جماعة
عشرة رجال كفاة نقوم بمرافقه فنحن احق بزيادة المحبة منهما لفضلنا
بالكثرة والمنفعة عليهما ان ابانا لفي ضلال مبين اي في ذهاب عن
طريق الصواب في ذلك والعصبة والعصابة العشرة فصاعدا
وقيل الى الاربعين سموا بذلك لانهم جماعة يعصب بهم الامور ويستكفون
النوائب وروى النزال بن سبرة عن علي رضي الله عنه ونحن عصبة بالنصب
وقيل معناه ونحن نجتمع عصبة وعن ابن الانباري هذا كما تقول العرب
انما العامري عمته اي يتعهد عمته اقتلوا يوسف من جملة ما حكي
بعد قوله اذ قالوا كانهم اتفقوا على ذلك الا من قال لا تقتلوا يوسف

وقيل

وقيل الآمر بالقتل شمعون وقيل دان والباقون كانوا راضين فجعلوا آمرين
ارضا ارضا منكورة مجهولة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها واخلائها
من الوصف ولابهامها من هذا الوجه نصبت نصب الظروف المبهمة يخل لكم وجه
ابيكم يقبل عليكم اقباله واحدة لا يلتفت عنكم الى غيركم والمراد سلامة محبته لهم
ممن يشاركهم فيها وينازعهم اياها فكان ذكر الوجه لتصوير معنى اقباله عليهم
لان الرجل اذا اقبل على الشيء اقبل بوجهه ويجوز ان يراد بالوجه الذات كما قال
تعالى ويبقى وجه ربك وقيل يخل لكم يفرغ لكم من الشغل بيوسف من بعده
من بعد يوسف اي من بعد كفايته بالقتل او التغريب ويرجع الضمير الى مصدر
اقتلوا او اطرحوا قوما صالحين تائبين الى الله مما جنيتم عليه او يصلح ما بينكم
وبين ابيكم بعذر تمهدونه او يصلح دنياكم وينتظم اموركم بعده بخلو وجه
ابيكم وتكونوا اما مجزوم عطفا على يخل لكم واما منصوب باضمار ان والواو
بمعنى مع كقوله وتكتموا الحق قال قائل منهم هو يهوذا وكان احسنهم فيه رأيا وهو
الذي قال فلن ابرح الارض حتى يأذن لي ابي او يحكم الله لي وقيل القائل لهم
عظم القول في غيابة الجب وهو غوره وما غاب منه عن عين الناظر واظلم
من اسفله قال المنخل اذا انا يوما غيبتني غيابتي فسيروا بسيري في العشيرة
والاهل اراد غيابة حفرته التي يدفن فيها وقرئ غيابات على الجمع وغيابات
بالتشديد وقرأ الجحدري غيبة والجب البئر لم تطو لان الارض تجب جبا
لا غير يلتقطه يأخذه بعض السيارة بعض الاقوام الذين يسيرون في الطرق
وقرئ تلتقطه بالتاء على المعنى لان بعض السيارة سيارة كقوله كما شرقت صدر
القناة من الدم ومنه ذهبت بعض اصابعه ان كنتم فاعلين ان كنتم على ان
تفعلوا ما يحصل به غرضكم فهذا هو الراي مالك لا تأمنا قرئ باظهار النونين
وبالادغام باشمام وبغير اشمام وتيمنا بكسر التاء مع الادغام والمعنى لم تخافنا
عليه ونحن نريد له الخير ونحبه ونشفق عليه وما وجد منا في بابه ما يدل على
خلاف النصيحة والمقة وارادوا بذلك لما عزموا على كيد يوسف استنزاله عن
رأيه وعادته في حفظه منهم وفيه دليل على انه احس منهم بما اوجب ان لا
يأمنهم عليه يرتع يتسع في اكل الفواكه وغيرها واصل الرتعة الخصب
والسعة وقرئ يرتع من ارتعى يرتعي وقرئ نرتع ونلعب بالياء ويرتع من ارتع
ماشيته وقرأ العلاء بن سيابة يرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء
فان قلت كيف استجاز لهم يعقوب عليه السلام اللعب قلت كان لعبهم الاستباق
والانتضال ليضروا انفسهم بما يحتاج اليه لقتال العدو لا للهو بدليل قوله انا
ذهبنا نستبق وانما سموه لعبا لانه في صورته ليحزنني اللام لام الابتداء كقوله عز وجل
ان ربك ليحكم بينهم ودخولها احد ما ذكره سيبويه من شبه المضارعة
اعتذر اليهم بشيئين احدهما ان ذهابهم به ومفارقته اياه مما يحزنه لانه كان
لا يصبر عنه ساعة والثاني خوفه عليه من عدوة الذئب اذا غفلوا عنه برعيهم
ولعبهم او قل به اهتمامهم ولم يصدق بحفظه عنايتهم وقيل رأى في النوم ان الذئب

قد شد على يوسف وكان يحذره فمن ثم قال ذلك ولقنهم العلة وفي امثالهم
البلاء موكل بالمنطق وقرئ الذيب بالهمز على الاصل وبالتخفيف وقيل
اشتقاقه من تذاءبت الريح اذا اتت من كل جهة القسم محذوف تقديره والله
لئن اكله الذئب واللام موطئة للقسم وقوله انا اذا لخاسرون جواب القسم
مجزئ عن جزاء الشرط والواو في ونحن عصبة واو الحال حلفوا له لئن كان
ما خافه من خطفة الذئب حاصلا من بينهم وحالهم انهم عشرة رجال بمثلهم تعصب
الامور وتكفى الخطوب انهم اذا لقوم خاسرون اى هالكون ضعفا وخورا
وعجزا او مستحقون ان يهلكوا لانه لا غناء عندهم ولا جدوى في حياتهم او
مستحقون لان يدعى عليهم بالخسار والدمار وان يقال خسرهم الله ودمرهم
حين اكل الذئب بعضهم وهم حاضرون وقيل ان لم نقدر على حفظ بعضنا
فقد هلكت مواشينا اذن وخسرناها فان قلت قد اعتذر اليهم بعذرين فلم
اجابوا عن احدهما دون الاخر قلت هو الذي كان يغيظهم ويذيقهم الامرين
فاغاروه اذانا صما ولم يعبأوا به ان يجعلوه مفعول اجمعوا من قولك اجمع الامر
وازمعه فاجمعوا امركم وقرئ في غيابات الجب قيل هو بئر بيت المقدس
وقيل بارض الاردن وقيل بين مصر ومدين وقيل على ثلاثة فراسخ من منزل
يعقوب وجواب لما محذوف ومعناه فعلوا به ما فعلوا من الاذى فقد
روى انهم لما برزوا به الى البرية اظهروا له العداوة واخذوا يهينونه
ويضربونه وكلما استغاث بواحد منهم لم يغثه الا بالاهانة والضرب
حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح يا ابتاه لو تعلم ما يصنع بابنك اولاد الاماء
فقال يهوذا اما اعطيتموني موثقا ان لا تقتلوه فلما ارادوا القاءه في الجب
تعلق بثيابهم فنزعوها من يديه فتعلق بحائط البئر فربطوا يديه ونزعوا
قميصه فقال يا اخوتاه ردوا على قميصي اتوارى به وانما نزعوه ليلطخوه بالدم
ويحتالوا به على ابيهم فقالوا له ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا
يؤنسك ودلوه في البئر فلما بلغ نصفها القوه ليموت وكان في البئر
ماء فسقط فيه ثم اوى الى صخرة فقام عليها وهو يبكي فنادوه فظن
انها رحمة ادركتهم فاجابهم فارادوا ان يرضخوه ليقتلوه فمنعهم يهوذا
وكان يهوذا يأتيه بالطعام وروى ان ابراهيم صلوات الله عليه حين
القي في النار جرد عن ثيابه فاتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فالبسه
اياه فدفعه ابراهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله يعقوب عليه السلام في
تميمة علقها في عنق يوسف فجاء جبريل عليه السلام فاخرجه والبسه اياه
واوحينا اليه قيل اوحى اليه في الصغر كما اوحى الى يحيى وعيسى وقيل
كان اذ ذاك مدركا وعن الحسن كان له سبع عشرة سنة لتنبئنهم بامرهم
هذا وانما اوحى اليه ليؤنسه في الظلمة والوحشة ويبشره بما يؤول اليه
امره والمعنى لتتخلصن مما انت فيه ولتحدثن اخوتك بما فعلوا بك وهم لا
يشعرون انك يوسف لعلو شانك وكبرياء سلطانك وبعد حالك عن

ربع

اوهامهم

اوهامهم ولطول العهد المبدل للهيئات والاشكال وذلك انهم حين دخلوا
عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره
فطن فقال انه ليخبرني هذا الجام انه كان لكم اخ من ابيكم يقال له يوسف
وكان يدنيه دونكم وانكم انطلقتم به والقيتموه في غيابة الجب وقلتم لابيكم
اكله الذئب وبعتموه بثمن بخس ويجوز ان يتعلق وهم لا يشعرون بقوله واوحينا
على انا انسناه بالوحي وازلنا عن قلبه الوحشة وهم لا يشعرون ذلك ويحسبون
انه مرهق مستوحش لا انيس له وقرئ لننبئنهم بالنون على انه وعيد لهم وقوله
وهم لا يشعرون متعلق باوحينا لا غير وعن الحسن عُشَيًّا على تصغير عَشِيّ
يقال لقيته عُشَيًّا وعُشَيانا واُصَيلا واُصَيلانا ورواه ابن جنى عُشًى بالضم
والقصر وقال عُشوا من البكاء وروى ان امرأة حاكمت الى شريح فبكت
فقال له الشعبي يا ابا امية اما تراها تبكي فقال قد جاء اخوة يوسف يبكون
وهم ظلمة ولا ينبغي لاحد ان يقضي الا بما امر ان يقضي به من السنة المرضية
وروى انه لما سمع صوتهم فزع وقال ما لكم يا بني هل اصابكم في غنمكم شيء
قالوا لا قال فما لكم واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق اى نتسابق
والافتعال والتفاعل يشتركان كالانتضال والتناضل والارتماء والترامي
وغير ذلك والمعنى نتسابق في العدو او في الرمي وجاء في التفسير ننتضل
بمؤمن لنا بمصدق لنا ولو كنا صادقين ولو كنا عندك من اهل الصدق
والثقة لشدة محبتك ليوسف فكيف وانت سيء الظن بنا غير واثق بقولنا
بدم كذب ذي كذب او وصف بالمصدر مبالغة كانه نفس الكذب وعينه كما
يقال للكذاب هو الكذب بعينه والزور بذاته ونحوه فهن به جود
واهم به بخل وقرئ كذبا نصبا على الحال بمعنى جاءوا به كاذبين ويجوز ان
يكون مفعولا له وقرأت عائشة رضي الله عنها كدب بالدال غير المعجمة اى
كدر وقيل طري وقال ابن جنى اصله من الكدب وهو الفوف البياض الذي
يخرج على اظفار الاحداث كانه دم قد اثر في قميصه وروى انهم ذبحوا
سخلة ولطخوه بدمها وزل عنهم ان يمزقوه وروى ان يعقوب عليه السلام
لما سمع بخبر يوسف صاح باعلى صوته وقال اين القميص فاخذه والقاه
على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله ما رايت كاليوم
ذئبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه وقيل كان في قميص
يوسف ثلاث آيات كان دليلا ليعقوب على كذبهم والقاه على وجهه فارتد
بصيرا ودليلا على براءة يوسف حين قد من دبر فان قلت على قميصه ما
محله قلت محله النصب على الظرف كانه قيل وجاءوا فوق قميصه بدم
كما تقول جاء على جماله باحمال فان قلت هل يجوز ان يكون حالا متقدمة
قلت لا لان حال المجرور لا تتقدم عليه سوّلت سهلت من السول
وهو الاسترخاء اى سهلت لكم انفسكم امرا عظيما ارتكبتموه من يوسف
وهونته في اعينكم استدل على فعلهم به بما كان يعرف من حسدهم وسلامة
القميص او اوحى اليه بانهم قصدوه فصبر جميل خبر او مبتدا لكونه موصوفا اى

اي فامري صبر جميل او فصبر جميل امثل وفي قراءة ابي فصبرا جميلا والصبر
الجميل جاء في الحديث المرفوع انه الذي لا شكوى فيه ومعناه لا شكوى فيه
الى الخلق الا ترى الى قوله انما اشكو بثي وحزني الى الله وقيل لا اعايشكم
على كآبة الوجه بل اكون لكم كما كنت وقيل سقط حاجبا يعقوب عليه السلام
على عينيه وكان يرفعهما بعصابة فقيل له ما هذا فقال طول الزمان
وكثرة الاحزان فاوحى الله تعالى اليه يا يعقوب اتشكوني فقال يا رب خطيئة
فاغفرها لي والله المستعان اي المستعان على احتمال ما تصفون من هلاك
يوسف والصبر على الرزية وجاءت سيارة رفقة يسيرون من قبل مدين
الى مصر وذلك بعد ثلاثة ايام من القاء يوسف في الجب فاخطاوا الطريق
فنزلوا قريبا منه وكان الجب في قفرة بعيدة من العمران لم يكن الا للرعاة
وقيل كان ماؤه ملحا فعذب حين القي فيه يوسف فارسلوا رجلا يقال
له مالك بن ذعر الخزاعي ليطلب لهم الماء واردهم الذي يرد الماء ويستقي
للقوم يا بشرى نادى البشرى كانه يقول تعالى فهذا اوانك وقرى
يا بشراى على اضافتها الى نفسه وفي قراءة الحسن وعن ورش يا بشرىّ
بالياء مكان الالف جعلت الياء بمنزلة الكسرة قبل ياء الاضافة وهي لغة
للعرب مشهورة سمعت اهل السروات يقولون في دعائهم يا سيدي وموليّ
وعن نافع يا بشراى بالسكون وليس بالوجه لما فيه من التقاء الساكنين على
غير حده الا ان يقصد الوقف وقيل لما ادلى دلوه اي ارسلها في الجب تعلق
يوسف بالحبل فلما خرج اذ هو بغلام احسن ما يكون فقال يا بشراى هذا غلام
وقيل ذهب به فلما دنا من اصحابه صاح بذلك يبشرهم به واسروه
الضمير للوارد واصحابه اخفوه من الرفقة وقيل اخفوا امره ووجد
ووجدانهم له في الجب وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر
وعن ابن عباس ان الضمير لاخوة يوسف وانهم قالوا للرفقة هذا غلام
لنا ابق فاشتروه منا وسكت يوسف مخافة ان يقتلوه بضاعة
نصب على الحال اي اخفوه متاعا للتجارة والبضاعة ما بضع من المال
للتجارة اي قطع والله عليم بما يعملون لم يخف عليه اسرارهم او هو وعيد
لهم حيث استبضعوا ما ليس لهم او والله عليم بما يعمل اخوة يوسف بابيهم واخيهم
من سوء الصنيع وشروه وباعوه بثمن بخس مبخوس ناقص عن القيمة نقصانا
ظاهرا او زيف ناقص العيار دراهم لا دنانير معدودة قليلة تعد عدا ولا يوزن
لانهم كانوا لا يزنون الا ما بلغ الاوقية وهي الاربعون ويعدون ما دونها
وقيل للقلة معدودة لان الكثيرة يمتنع من عدها لكثرتها وعن ابن عباس
كانت عشرين درهما وعن السدي اثنين وعشرين درهما وكانوا فيه من الزاهدين
ممن يرغب عما في يده فيبيعه بما طف من الثمن لانهم التقطوه والملتقط
للشيء متهاون به لا يبالي بما باعه ولانه يخاف ان يعرض له مستحق ينتزعه
من يده فيبيعه من اول مساوم باوكس الثمن ويجوز ان يكون معنى وشروه
واشتروه يعني الرفقة من اخوته وكانوا فيه من الزاهدين لانهم اعتقدوا

انه ابق فخافوا ان يخطروا بما لهم فيه ويروى ان اخوته اتبعوهم يقولون استوثقوا
منه لا يابق وقوله فيه ليس من صلة الزاهدين لان الصلة لا تتقدم على الموصول الا
براك لا يعول وكانوا زيدا من الضاربين وانما هو بيان كانه قيل في اي شيء زهدوا
فقال زهدوا فيه وقال الذي اشتراه قيل هو قطفير او اطفير وهو العزيز الذي كان على
خزائن مصر والملك يومئذ الريان بن الوليد رجل من العماليق وقد امن بيوسف ومات
في حياة يوسف فملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه يوسف الى الاسلام فابى
واشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة واقام في منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره
ريان بن الوليد وهو ابن ثلاثين سنة وآتاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلث وثلثين سنة
وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل كان الملك في ايامه فرعون موسى عاش
اربع مائة سنة بدليل قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وقيل فرعون
موسى من اولاد فرعون يوسف وقيل اشتراه العزيز بعشرين دينارا وزوجي نعل
وثوبين ابيضين وقيل ادخلوه السوق يعرضونه فترافعوا في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه
مسكا وورقا وحريرا فابتاعه قطفير بذلك المبلغ اكرمي مثواه اجعلي منزله ومقامه
عندنا كريما اي حسنا مرضيا بدليل قوله انه ربي احسن مثواي والمراد تفقده
بالاحسان وتعهده بحسن الملكة حتى تكون نفسه طيبة في صحبتنا ساكنة في كنفنا
ويقال للرجل كيف ابو مثواك وام مثواك لمن ينزل به من رجل او امراة يراد هل تطيب
نفسك بثوائك عنده وهل يراعي حق نزولك به واللام في لامرأته متعلقة بقال
لا باشتراه عسى ان ينفعنا لعله اذا تدرب وراض الامور وفهم مجاريها نستظهر
به على بعض ما نحن بسبيله فينفعنا فيه بكفايته وامانته او نتبناه ونقيمه مقام الولد
وكان قطفير عقيما لا يولد له وقد تفرس فيه الرشد فقال ذلك وقيل افرس الناس
ثلثة العزيز حين تفرس في يوسف فقال لامرأته اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا والمرأة التي
اتت موسى وقالت لابيها يا ابت استاجره وابو بكر حين استخلف عمر رضي الله عنهما وروي
انه سالها عن نسبه فاخبرته بنسبه فعرفه وكذلك الاشارة الى ما تقدم من انجائه وعطف
قلب العزيز عليه والكاف منصوب بتقديره ومثل ذلك الانجاء والعطف مكنا له اي كما
انجيناه وعطفنا عليه العزيز كذلك مكنا له في ارض مصر وجعلناه ملكا يتصرف فيها
بامره ونهيه ولنعلمه من تاويل الاحاديث كان ذلك الانجاء والتمكين لان غرضنا ليس
الا ما تحمد عاقبته من علم وعمل والله غالب على امره اي على امر نفسه لا يمنع عما
يشاء ولا ينازع ما يريد ويقضي او على امر يوسف يدبره لا يكله الى غيره قد اراد اخوته
به ما ارادوا ولم يكن الا ما اراد الله ودبر ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر
كله بيد الله قيل في الاشد ثماني عشرة سنة وعشرون وثلث وثلثون واربعون
وقيل اقصاه ثنتان وستون آتيناه حكما حكمة وهو العلم بالعمل او اجتناب ما يجهل فيه
وقيل حكما بين الناس وفقها وكذلك نجزي المحسنين تنبيه على انه كان محسنا
في عمله متقيا في عنفوان امره وان الله عز وجل اتاه الحكم والعلم جزاء على احسانه
وعن الحسن من احسن عبادة ربه في شبيبته آتاه الله الحكمة في اكتهاله وراودته مفاعلة
من راد يرود اذا جاء وذهب كان المعنى خادعته عن نفسه اي فعلت ما يفعل المخادع

خ العمل العلم

لصاحبه عن الشيء الذي لا يريد ان يخرجه من يده يحتال ان يغلبه عليه وياخذه
منه وهي عبارة عن التمحل لمواقعته اياها وغلقت الابواب قيل كانت سبعة
قرئ هيت بفتح الهاء وكسرها مع فتح التاء وبناؤه كبناء اين وعيط وهيت
كجير وهئت كجئت وهئت بمعنى تهيات يقال هاء يهيء كجاء يجيء اذا تهيا وهيئت لك
واللام من صلة الفعل واما في الاصوات فللبيان كانه قيل لك اقول هذا كما تقول
هلم لك معاذ الله اي اعوذ بالله معاذا انه ان الشان والحديث ربي سيدي
ومالكي يريد قطفير احسن مثواي حين قال اكرمي مثواه فما جزاؤه ان اخلفه
في اهله سوء الخلافة واخونه فيهم انه لا يفلح الظالمون الذين يجازون الحسن
بالسيء وقيل اراد الزناة لانهم ظالمون انفسهم وقيل اراد بقوله ربي الله تعالى
لانه مسبب الاسباب هم بالامر اذا قصده وعزم عليه قال هممت ولم افعل وكدت
وليتني تركت على عثمان تبكي حلائله ومنه قولك لا افعل ذلك ولا كيدا ولا هما
اي ولا اكاد ان افعله كيدا ولا اهم بفعله هما حكاه سيبويه ومنه الهمام وهو
الذي اذا هم بامر امضاه ولم ينكل عنه وقوله ولقد همت به معناه ولقد همت بمخالطته
وهم بها وهم بمخالطتها لولا ان راى برهان ربه جوابه محذوف تقديره لولا ان راى
برهان ربه لخالطها فحذف لان قوله وهم بها يدل عليه كقولك هممت بقتله لولا اني
خفت الله معناه لولا اني خفت الله لقتلته فان قلت كيف جاز على نبي الله ان يكون
منه هم بالمعصية وقصد اليها قلت المراد ان نفسه مالت الى المخالطة ونازعت
اليها عن شهوة الشباب وقرمه ميلا يشبه الهم به والقصد اليه وكما تقتضيه
صورة تلك الحال التي تكاد تذهب بالعقول والعزائم وهو يكسر ما به ويرده
بالنظر في برهان الله الماخوذ على المكلفين من وجوب اجتناب المحارم ولو لم يكن
ذلك الميل الشديد المسمى هما لشدته لما كان صاحبه ممدوحا عند الله بالامتناع
لان استعظام الصبر على الابتلاء على حسب عظم الابتلاء وشدته ولو كان همه كهمها
عن عزيمة لما مدحه الله بانه من عباده المخلصين ويجوز ان يريد بقوله وهم بها
وشارف ان يهم بها كما يقول الرجل قتلته لو لم اخف الله يريد مشارفة القتل
ومشافهته كانه شرع فيه فان قلت قوله وهم بها داخل تحت حكم القسم في
قوله ولقد همت به ام هو خارج منه قلت الامران جائزان ومن حق القارئ اذا قدر
خروجه من حكم القسم وجعله كلاما براسه ان يقف على قوله ولقد همت به ويبتدئ
قوله وهم بها لولا ان راى برهان ربه وفيه ايضا اشعار بالفرق بين الهمين فان
قلت لم جعلت جواب لولا محذوفا يدل عليه وهم بها وهلا جعلته هو الجواب
مقدما قلت لان لولا لا يتقدم عليها جوابها من قبل انه في حكم الشرط وللشرط
صدر الكلام وهو مع ما في حيزه من الجملتين مثل كلمة واحدة ولا يجوز تقديم
بعض الكلمة على بعض واما حذف بعضها اذا دل الدليل عليه فجائز فان قلت
فلم جعلت لولا متعلقة بهم بها وحده ولم تجعلها متعلقة بجملة قوله ولقد همت به
وهم بها لان الهم لا يتعلق بالجواهر ولكن بالمعاني فلا بد من تقدير المخالطة والمخالطة
لا تكون الا بين اثنين معا فكانه قيل ولقد هما بالمخالطة لولا ان منع مانع احدهما

قلت نعم ما قلت ولكن الله سبحانه جاء بالهمين على سبيل التفصيل حيث قال ولقد
همت به وهم بها فكان اعقاله الغاله فوجب ان يكون التقدير ولقد همت
بالمخالطة وهم بمخالطتها على ان المراد بالمخالطة توصلها الى ما هو حظها
من قضاء شهوتها منه وتوصله الى ما هو حظه من قضاء شهوته منها لولا ان
راى برهان ربه فترك التوصل الى حظه من الشهوة فلذلك كانت لولا حقيقة
بان تعلق بهم بها وحده وقد فسر هم يوسف بانه حل الهميان وجلس منها
مجلس المجامع وبانه حل تكة سراويله وقعد بين شعبها الاربع وهي مستلقية
على قفاها وفسر البرهان بانه سمع صوتا اياك واياها فلم يكترث له فسمعه
ثانيا فلم يعمل به فسمع ثالثا اعرض عنها فلم ينجع فيه حتى مثل له يعقوب عاضا
على انملته وقيل ضرب بيده في صدره فخرجت شهوته من انامله وقيل كل
ولد يعقوب له اثنا عشر ولدا الا يوسف فانه ولد له احد عشر ولدا من اجل ما
نقص من شهوته حين هم وقيل صيح به يا يوسف لا تكن كالطائر له ريش فلما
زنا قعد لا ريش له وقيل بدت كف فيما بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب
فيها وان عليكم لحافظين كراما كاتبين فلم ينصرف ثم راى فيها ولا تقربوا
الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فلم ينته ثم راى فيها واتقوا يوما ترجعون
فيه الى الله فلم ينجع فيه فقال الله لجبريل ادرك عبدي قبل ان يصيب
الخطيئة فانحط جبريل وهو يقول يا يوسف اتعمل عمل السفهاء وانت
مكتوب في ديوان الانبياء وقيل راى تمثال العزيز وقيل قامت المراة الى
صنم كان هناك فسترته وقالت استحي ان يرانا فقال يوسف استحييت ممن لا يسمع
ولا يبصر ولا استحي من السميع البصير العليم بذات الصدور وهذا ونحوه مما يورده
اهل الحشو والجبر الذين دينهم بهت الله وانبيائه واهل العدل والتوحيد
ليسوا من مقالاتهم ورواياتهم بحمد الله بسبيل ولو وجدت من يوسف عليه السلام ادنى
زلة لنعيت عليه وذكرت توبته واستغفاره كما نعيت على آدم صلوات الله عليه
زلته وعلى داود وعلى نوح وعلى ايوب وعلى ذي النون عليهم السلام وذكرت
توبتهم واستغفارهم كيف وقد اثني عليه وسمي مخلصا فعلم بالقطع انه ثبت في
ذلك المقام الدحض وانه جاهد نفسه مجاهدة اولي القوة والعزم ناظرا
في دليل التحريم ووجه القبح حتى استحق من الله الثناء فيما انزل من كتب الاولين
ثم في القرآن الذي هو حجة على سائر كتبه ومصداق لها ولم يقتصر الا على
استيفاء قصته وضرب سورة كاملة عليها ليجعل له لسان صدق في الآخرين
كما جعله لجده الخليل ابراهيم عليه السلام وليقتدي به الصالحون الى آخر الدهر
في العفة وطيب الازار والتثبت في مواقف العثار فاخزى الله اولئك في
ايرادهم ما يؤدي الى ان يكون انزال الله السورة التي هي احسن القصص في القرآن
العربي المبين ليقتدي بنبي من انبياء الله في القعود بين شعب الزانية وفي
حل تكته للوقوع عليها وفي ان ينهاه ربه ثلاث كرات ويصاح به من عنده
ثلاث صيحات بقوارع القرآن وبالتوبيخ العظيم وبالوعيد الشديد وبالتشبيه
بالطائر الذي سقط ريشه حين سفد غير انثاه وهو جاثم في مربضه لا يتحلحل
في موضعه

ولا ينتهي ولا ينسه حتى بدا له الله عز وجل جبريل عليه السلام وباحاره ولو
ان اوقح الزناة واشطرهم واحدهم حدقة واجلحهم وجها لقي بادنى ما لقي
به نبي الله عم مما ذكروا لما بقي له عرق ينبض ولا عضو يتحرك فياله من مذهب
ما اخبثه ومن ضلال ما ابينه كذلك الكاف منصوب المحل اي مثل ذلك
التثبيت ثبتناه او مرفوعه اي الامر مثل ذلك لنصرف عنه السوء من خيانة السيد
والفحشاء من الزنا انه من عبادنا المخلصين الذين اخلصوا دينهم لله وبالفتح
الذين اخلصهم الله لطاعته بان عصمهم ويجوز ان يراد بالسوء مقدمات
الفاحشة من القبلة والنظر بشهوة ونحو ذلك وقوله من عبادنا معناه
بعض عبادنا اي هو مخلص من جملة المخلصين او هو ناشئ منهم لانه من ذرية
ابرهيم الذين قال فيهم انا اخلصناهم بخالصة واستبقا الباب وتسابقا الى
الباب على حذف الجار وايصال الفعل كقوله واختار موسى قومه او على
تضمين استبقا معنى ابتدرا نفر منها يوسف فاسرع يريد الباب ليخرج وا
واسرعت وراءه لتمنعه الخروج فان قلت كيف وحد الباب وقد جمعه في
قوله وغلقت الابواب قلت اراد الباب البراني الذي هو المخرج من الدار
والمخلص من العار فقد روى كعب انه لما هرب يوسف جعل فراش القفل
يتناثر ويسقط حتى خرج من الابواب وقدت قميصه من دبر اجتذبته
من خلفه فانقد اي انشق حين هرب منها الى الباب وتبعته تمنعه والفيا
سيدها وصادفا بعلها وهو قطفير تقول المراة لبعلها سيدي وقيل
انما لم يقل سيدهما لان ملك يوسف لم يصح فلم يكن سيدا له على الحقيقة قيل
الفياه مقبلا يريد ان يدخل وقيل جالسا مع ابن عم للمراة لما طلع منها
زوجها على تلك الهيئة المريبة وهي مغتاظة على يوسف عليه السلام اذ لم يواتها
جاءت بحيلة جمعت فيها غرضيها وهما تبرئة ساحتها عند زوجها من الريبة
والغضب على يوسف وتخويفه طمعا في ان يواتيها خيفة منها ومن مكرها
وكرها لما ايست من مواتاته طوعا الا ترى الى قولها ولئن لم يفعل ما امره
ليسجنن وما نافية اي ليس جزاؤه الا السجن ويجوز ان يكون استفهامية بمعنى
اي شيء جزاؤه الا السجن كما تقول من في الدار الا زيد فان قلت كيف لم تصرح
في قولها بذكر يوسف وانه اراد بها سوءا قلت قصدت العموم وان كل من اراد
باهلك سوءا فحقه ان يسجن او يعذب لان ذلك ابلغ فيما قصدته من تخويف يوسف
وقيل العذاب الاليم الضرب بالسياط ولما اغرت به وعرضته للسجن والعذاب
وجب عليه الدفع عن نفسه فقال هي راودتني عن نفسي ولولا ذلك لكتم عليها
وشهد شاهد من اهلها قيل كان ابن عم لها وانما القى الله الشهادة على
لسان من هو من اهلها لتكون اوجب للحجة عليها واوثق لبراءة يوسف عليه السلام
وانفى للتهمة عنه وقيل هو الذي كان جالسا مع زوجها لدى الباب وقيل كان
حكيما يرجع اليه الملك ويستشيره ويجوز ان يكون بعض اهلها كان في الدار
بصر بها من حيث لا تشعر فاغضبه الله ليوسف بالشهادة له والقيام بالحق
وقيل كان ابن خال لها صبيا في المهد وعن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم

اربعة وهم صغار ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى
فان قلت لم سمي قوله شهادة وما هو بلفظ الشهادة قلت لما ادى مؤدى الشهادة
في ان ثبت به قول يوسف وبطل قولها سمي شهادة فان قلت الجملة الشرطية
كيف جازت حكايتها بعد فعل الشهادة قلت لانها قول من القول او على ارادة
القول كانه قيل وشهد شاهد فقال ان كان قميصه فان قلت ان دل قد قميصه
من دبر على انها كاذبة وانها هي التي تبعته واجتذبت ثوبه اليها فقدته فمن
اين دل قده من قبل على انها صادقة وانه كان تابعها قلت من وجهين احدهما انه
اذا كان تابعها وهي دافعته عن نفسها قدت قميصه من قدامه بالدفع والثاني
ان يسرع خلفها ليلحقها فيتعثر في مقادم قميصه فيشقه وقرئ من قبل ومن دبر
بالضم على مذهب الغايات والمعنى من قبل القميص ومن دبره واما التنكير فمعناه من
جهة يقال لها قبل ومن جهة يقال لها دبر وعن ابن ابي اسحق انه قرأ من قبل
ومن دبر بالفتح كانه جعلهما علمين للجهتين فمنعهما الصرف للعلمية والتانيث
وقرئ باسكون العين فان قلت كيف جاز الجمع بين ان الذي هو للاستقبال وبين
كان قلت لان المعنى ان يعلم انه كان قميصه قد ونحوه قولك ان احسنت الي
فقد احسنت اليك من قبل لمن يمتن عليك باحسانه تريد ان يمتن علي امتن
عليك فلما راى يعني قطفير وعلم براءة يوسف وصدقه وكذبها قال انه
ان قولك ما جزاء من اراد باهلك سوءا او ان هذا الامر وهو طمعها في يوسف
من كيدكن الخطاب لها ولامتها وانما استعظم كيد النساء لانه وان كان في الرجال
الا ان النساء الطف كيدا وانفذ حيلة ولهن في ذلك رفق وبذلك يغلبن
الرجال ومنه قوله تعالى ومن شر النفاثات في العقد والقصريات من بينهن معهن
ما ليس مع غيرهن من البوائق وعن بعض العلماء انا اخاف من النساء اكثر مما اخاف
من الشيطان لان الله تعالى يقول ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال للنساء ان كيدكن
عظيم يوسف حذف منه حرف النداء لانه منادى قريب مفاطن للحديث وفيه تقريب
له وتلطيف لمحله اعرض عن هذا الامر واكتمه ولا تحدث به واستغفري انت لذنبك
انك كنت من الخاطئين من جملة القوم المتعمدين للذنب يقال خطئ اذا اذنب متعمدا
وانما قال من الخاطئين بلفظ التذكير تغليبا للذكور على الاناث وما كان العزيز
الا رجلا حليما وروي انه كان قليل الغيرة وقال نسوة وقال جماعة من النساء وكن
خمسا امراة الساقي وامراة الخباز وامراة صاحب الدواب وامراة صاحب السجن
وامراة الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المراة وتانيثه غير حقيقي كتانيث اللمة ولذلك
لم يلحق فعله تاء التانيث وفيه لغتان كسر النون وضمها في المدينة في مصر امراة العزيز
يريدون قطفير والعزيز الملك بلسان العرب فتاها غلامها يقال فتاي وفتاتي
اي غلامي وجاريتي شغفها خرق حبه شغاف قلبها حتى وصل الى الفؤاد والشغاف
حجاب القلب وقيل جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب قال النابغة وقد حال
هم دون ذلك والج مكان الشغاف تبتغيه الاصابع وقرئ شعفها بالعين من
شعف البعير اذا هنأه فاحرقه بالقطران قال كما شعف المهنوءة الرجل الطالي

وحُبًّا نصب على التمييز إنّا لنراها في ضلال مبين في خطأ وبعد عن طريق الصواب فلمّا سمعت بمكرهن
باغتيابهن وسوء مقالتهن وقولهن امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعاني ومقتته إياها
وسمي الاغتياب مكرا لأنه في خفية وحال غيبة كما يخفي الماكر مكره وقيل كانت استكتمتهن
سرها فأفشينه عليها أرسلت إليهن دعتهن قيل دعت أربعين امرأة منهن الخمس المذكورات
وأعتدت لهن متكأ ما يتكئن عليه من نمارق قصدت بتلك الهيئة وهي قعودهن متكئات
والسكاكين في أيديهن أن يدهشن ويبهتن عند رؤيته ويشغلن عن نفوسهن فتقع
أيديهن على أيديهن فيقطعنها لأن المتكئ إذا بهت لشيء وقعت يده على يده ولا يبعد أن يقصد
الجمع بين المكيدة وبين وضع الخناجر في أيديهن ليقطعن أيديهن فيبكتهن بالحجة وليهول
يوسف من مكرها إذا خرج على أربعين نسوة مجتمعات في أيديهن الخناجر توهمه أنهن يثبن
عليه وقيل متكأ مجلس طعام لأنهم كانوا يتكئون للطعام والشراب والحديث كعادة
المترفين ولذلك نهي أن يأكل الرجل متكئا وآتين السكاكين ليعالجن بها ما يأكلن وقيل
متكأ طعاما من قولك اتكأنا عند فلان طعمنا على سبيل الكناية لأن من دعوته ليطعم
عندك اتخذت له تكأة يتكئ عليها قال جميل ٥ فظللنا بنعمة واتكأنا وشربنا الحلال من قلله ٥
وعن مجاهد متكأ طعاما يحز حزا وعن الحسن رضي الله عنه متكاء بالمد كأنه مفتعال في ذلك
لإشباع فتحة الكاف كقوله بمنتزاح بمعنى بمنتزح ونحوه ينباع بمعنى ينبع وقرئ مُتْكًا
وهو الأترج وأنشد ٥ فأهدت متكة لبني أبيها تخب بها العثمثمة الوقاح ٥ وكانت أهدت
أترجة على ناقة وكأنها الأترجة التي ذكرها أبو داود في سننه أنها شقت بنصفين
وحملا كالعدلين على جمل وقيل الزماورد وعن وهب أترجا وموزا وبطيخا وقيل
أعتدت لهن ما يقطع من متك الشيء بمعنى بتكه إذا قطعه وقرأ الأعرج مُتْكَأً مفعلا من
تكئ يتكأ إذا اتكأ أكبرنه أعظمنه وهبن ذلك الحسن الرائع والجمال الفائق قيل
كان فضل يوسف على الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السماء وعن
النبي صلى الله عليه وسلم مررت بيوسف الليلة التي عرج بي إلى السماء فقلت لجبريل من
هذا فقال يوسف فقيل يا رسول الله كيف رأيته قال كالقمر ليلة البدر وقيل كان
يوسف إذا سار في أزقة مصر يرى تلألؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس
من الماء عليها وقيل ما كان أحد يستطيع وصف يوسف وقيل كان يشبه آدم
يوم خلقه ربه وقيل ورث الجمال من جدته سارة وقيل أكبرن بمعنى حضن والهاء
للسكت يقال أكبرت المرأة إذا حاضت وحقيقته دخلت في الكبر لأنها بالحيض تخرج
من حد الصغر إلى حد الكبر وكأن أبا الطيب أخذ من هذا التفسير قوله ٥
خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فإن لحت حاضت في الخدور العواتق ٥ وقطعن أيديهن
جرحنها كما تقول كنت أقطع اللحم فقطعت يدي تريد جرحتها حاشا كلمة تفيد معنى
التنزيه في باب الاستثناء تقول أساء القوم حاشا زيد قال ٥ حاشا أبي ثوبان إن به
ضنا عن الملحاة والشتم ٥ وهي حرف من حروف الجر فوضعت موضع التنزيه والبراءة فمعنى
حاشا الله براءة الله وتنزيه الله وهي قراءة ابن مسعود على إضافة حاشا إلى الله إضافة
البراءة ومن قرأ حاشا لله فنحو قولك سقيا لك كأنه قال براءة ثم قال لله لبيان من يبرأ
وينزه والدليل على تنزيل حاشا منزلة المصدر قراءة أبي السمال حاشًا لله

بالتنوين وقراءة أبي عمرو وحاشى لله بحذف الألف الآخرة وقراءة الأعمش حشا لله
بحذف الألف الأولى وقرئ حاش لله بسكون الشين على أن الفتحة أتبعت الألف
في الإسقاط وهي ضعيفة لما فيها من التقاء الساكنين على غير حده وقرئ حاشا
الإله فإن قلت فلم جاز في حاشا لله أن لا ينون بعد إجرائه مجرى براءة لله قلت
مراعاة لأصله الذي هو الحرفية ألا ترى إلى قولهم جلست من عن يمينه كيف
تركوا عن غير معرب على أصله وعلى في قوله ٥ غدت من عليه ٥ منقلبا ألفه إلى الياء
مع الضمير والمعنى تنزيه الله من صفات العجز والتعجب من قدرته على خلق
جميل مثله وأما قوله حاشا لله ما علمنا عليه من سوء فالتعجب من قدرته على
خلق عفيف مثله ما هذا بشرا نفين عنه البشرية لغرابة جماله ومباعدة حسنه
لما عليه محاسن الصور وأثبتن له الملكية وبتتن بها الحكم وذلك لأن الله عز وجل
ركز في الطباع أن لا أحسن من الملك كما ركز فيها أن لا أقبح من الشيطان
ولذلك يشبه كل متناه في الحسن والقبح بهما وما ركز ذلك فيها إلا لأن
الحقيقة كذلك كما ركز في الطباع أن لا أدخل في الشر من الشياطين
ولا أجمع في الخير من الملائكة إلا ما عليه الفئة الخاسئة المجبرة من تفضيل
الإنسان على الملك وما هو إلا من تعكيسهم للحقائق وجحودهم للعلوم
الضرورية ومكابرتهم في كل باب وإعمال ما عمل ليس هي اللغة القدمى
الحجازية وبها ورد القرآن ومنها قوله ما هن أمهاتهم ومن قرأ على سليقته من
بني تميم قرأ ما هذا بشرٌ بالرفع وهي قراءة ابن مسعود وقرئ ما هذا بِشِرًى أي ما هو
بعبد مملوك لئيم إن هذا إلا ملك كريم تقول هذا بِشِرًى أي حاصل بشرى
بمعنى هذا مشترى وتقول هذا لك بشرى أم بكرا والقراءة هي الأولى
لموافقتها المصحف ومطابقة بشر لملك قالت فذلكن ولم تقل فهذا
وهو حاضر رفعا لمنزلته في الحسن واستحقاق أن يحب ويفتتن به وربأ بحاله
واستبعادا لمحله ويجوز أن يكون إشارة إلى المعنى بقولهن عشقت عبدها
الكنعاني تقول هو ذلك العبد الكنعاني الذي صورتن في أنفسكن
ثم لمتنني فيه تعني أنكن لم تصورنه بحق صورته ولو صورتنه بما عاينتن
لعذرتنني في الافتتان به الاستعصام بناء مبالغة يدل على الامتناع
البليغ والتحفظ الشديد كأنه في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة منها
ونحوه استمسك واستوسع الفتق واستجمع الرأي واستفحل الخطب وهذا
بيان لما كان من يوسف عليه السلام لا مزيد عليه وبرهان لا شيء أنور منه
على أنه بريء مما أضاف إليه أهل الحشو مما فسروا به الهم والبرهان
فإن قلت الضمير في آمره راجع إلى الموصول أم إلى يوسف قلت بل إلى
الموصول والمعنى ما آمره به فحذف الجار كما في قوله أمرتك الخير ويجوز
أن تجعل ما مصدرية فيرجع إلى يوسف ومعناه ولئن لم يفعل أمري إياه
أي موجب أمري ومقتضاه وقرئ وليكونن بالتشديد والتخفيف
والتخفيف أولى لأن النون كتبت في المصحف ألفا على حكم الوقف وذلك لا يكون

الا في الحقيقة وقرئ السجن بالفتح على المصدر وقال يدعونني على اسناد الدعوة
اليهن جميعا لانهن تنصحن له وزين له مطاوعتها وقلن اياك والقاء نفسك في السجن
والصغار فالتجأ الى ربه عند ذلك وقال رب نزول السجن احب الي من ركوب
المعصية فان قلت نزول السجن مشقة على النفس شديدة وما دعونه اليه لذة عظيمة
فكيف كانت المشقة احب اليه من اللذة قلت كانت احب اليه وآثر عنده نظرا الى حسن
الصبر على احتمالها لوجه الله وفي قبح المعصية وفي عاقبة كل واحد منهما لا نظرا
في مشتهى النفس ومكروهها والا تصرف عني كيدهن فزع منه الى الطاف
الله وعصمته كعادة الانبيا والصالحين فيما عزم عليه ووطن عليه نفسه من الصبر
لا ان يطلب منه الاجبار على العفة والالجا اليه اصب اليهن اميل اليهن
والصبوة الميل الى الهوى ومنها الصبا لان النفوس تصبو اليها لطيب
نسيمها وروحها وقرئ اصب اليهن من الصبابة من الجاهلين من الذين لا
يعملون بما يعلمون لان من لا جدوى لعلمه فهو ومن لم يعلم سوا او من السفها
لان الحكيم لا يفعل القبيح وانما ذكر الاستجابة ولم يتقدم الدعا لان قوله والا
تصرف عني فيه معنى طلب الصرف والدعا باللطف السميع لدعوات الملتجين
اليه العليم باحوالهم وما يصلحهم بدا لهم فاعله مضمر لدلالة ما يفسره عليه وهو
ليسجننه والمعنى بدا لهم بدا اي ظهر لهم راي ليسجننه والضمير في لهم للعزيز
واهله من بعد ما راوا الايات وهي الشواهد على برائته وما كان ذلك الا
باستنزال المراة لزوجها وفتلها منه في الذروة والغارب وكان مطواعة
لها وجملا ذلولا زمامه في يدها حتى انساه ذلك ما عاين من الايات وعمل
برايها في سجنه والحاق الصغار به كما اوعدته به وذلك لما ايست
من طاعته لها او لطمعها في ان يذلله السجن ويسخره لها وفي قراءة الحسن
لتسجننه بالتا على الخطاب خاطب به بعضهم العزيز ومن يليه او العزيز
وحده على وجه التعظيم حتى حين الى زمان كانها اقترحت ان يسجن
زمانا حتى تبصر ما يكون منه وفي قراءة ابن مسعود عتى حين وهي لغة
هذيل وعن عمر رضي الله عنه انه سمع رجلا يقرأ عتى حين فقال من اقرأك
قال ابن مسعود فكتب اليه ان الله قد انزل هذا القرآن فجعله عربيا وانزله
بلغة قريش فاقرئ الناس بلغة قريش ولا تقرئهم بلغة هذيل والسلام مع يدل
على معنى الصحبة واستحداثها تقول خرجت مع الامير تريد مصاحبا له فيجب ان
يكون دخولهما السجن مصاحبين له فتيان عبدان للملك خبازه وشرابيه رقي
اليه انهما يسمانه فامر بهما الى السجن فادخلا السجن ساعة ادخل يوسف اني اراني
يعني في المنام وهي حكاية حال ماضية اعصر خمرا يعني عنبا تسمية للعنب بما يؤول اليه
وقيل الخمر بلغة عمان اسم للعنب وفي قراءة ابن مسعود اعصر عنبا من المحسنين
من الذين يحسنون عبارة الرؤيا اي يجيدونها رايناه يقص عليه بعض اهل السجن
رؤياه فيؤولها له فقالا له ذلك او من العلما لانهما سمعاه يذكر للناس ما علما
به انه عالم او من المحسنين الى اهل السجن فاحسن الينا بان تفرج عنا الغمة بتاويل

ما

ما رايناه ان كانت لك يد في تاويل الرؤيا روي انه كان اذا مرض رجل منهم قام عليه
واذا ضاق اوسع عليه واذا احتاج جمع له وعن قتادة كان في السجن ناس قد انقطع
رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول ابشروا واصبروا تؤجروا ان لهذا لاجرا فقالوا بارك
الله عليك ما احسن وجهك وما احسن خلقك لقد بورك لنا في جوارك فمن انت
يا فتى قال انا يوسف بن صفي الله يعقوب بن ذبيح الله اسحق بن خليل الله ابرهيم
فقال له عامل السجن لو استطعت خليت سبيلك ولكني احسن جوارك فكن في اي بيوت
السجن شئت وروي ان الفتيين قالا له انا لنحبك من حين رايناك فقال انشدكما الله
ان لا تحباني فوالله ما احبني احد قط الا دخل علي من حبه بلا لقد احبتني عمتي فدخل
علي من حبها بلا ثم احبني ابي فدخل علي من حبه بلا ثم احبتني زوجة صاحبي فدخل علي
من حبها بلا فلا تحباني بارك الله فيكما وعن الشعبي انهما تحالما له ليمتحناه فقال الشرابي
اني اراني في بستان فاذا باصل حبلة عليها ثلاثة عناقيد من عنب فقطعتها وعصرتها
في كاس الملك وسقيته وقال الخباز اني اراني وفوق راسي ثلث سلال فيها انواع
الاطعمة واذا سباع الطير تنهش منها فان قلت الام يرجع الضمير في قوله نبئنا
بتاويله قلت الى ذلك لما استعبراه ووصفاه بالاحسان افترص ذلك فوصل به وصف نفسه
بما هو فوق علم العلما وهو الاخبار بالغيب وانه ينبئهما بما يحمل اليهما من الطعام في السجن
قبل ان ياتيهما ويصفه لهما ويقول اليوم ياتيكما طعام من صفته كيت وكيت فيجدانه
كما اخبرهما وجعل ذلك تخلصا الى ان يذكر لهما التوحيد ويعرض عليهما الايمان
ويزينه لهما ويقبح اليهما الشرك بالله وهذه طريقة على كل عالم ان يسلكها مع
الجهال والفسقة اذا استفتاه واحد منهم ان يقدم الهداية والارشاد والموعظة
والنصيحة اولا ويدعوه الى ما هو اولى به واوجب عليه مما استفتى فيه ثم يفتيه بعد ذلك
وفيه ان العالم اذا جهلت منزلته في العلم فوصف نفسه بما هو بصدده وغرضه ان
يقتبس منه وينتفع به في الدين لم يكن من باب التزكية بتاويله ببيان ماهيته وكيفيته
لان ذلك يشبه تفسير المشكل والاعراب عن معناه ذلكما اشارة لهما الى التاويل اي
ذلك التاويل والاخبار بالمغيبات مما علمني ربي واوحى به الي ولم اقله عن تكهن
وتنجم اني تركت يجوز ان يكون كلاما مبتدا وان يكون تعليلا لما قبله اي علمني ذلك واوحى به
الي لاني رفضت ملة اولئك واتبعت ملة آبائي المذكورين وهي الملة الحنيفية
واراد باولئك الذين لا يؤمنون اهل مصر ومن كان الفتيان على دينهم وتكريرهم للدلالة
على انهم خصوصا كافرون بالآخرة وان غيرهم قوم مؤمنون بها وهم الذين على ملة ابرهيم
ولتوكيد كفرهم بالجزاء تنبيها على ما هم عليه من الظلم والكبائر التي لا يرتكبها الا من
هو كافر بدار الجزاء ويجوز ان يكون فيه تعريض لما مني به من جهتهم حين اودعوه السجن
بعد ما راوا الآيات الشاهدة على برائته وان ذلك ما لا يقدم عليه الا من هو مكذب
بالجزاء وذكر آباءه ليريهما انه من بيت النبوة بعد ان عرفهما انه نبي يوحى اليه بما ذكر
من اخباره بالغيوب ليقوي رغبتهما في الاستماع اليه واتباع قوله ما كان لنا ما صح لنا
معشر الانبيا ان نشرك بالله اي شي كان من ملك او جني او انسي فضلا ان نشرك به صنما
لا يسمع ولا يبصر ثم قال ذلك التوحيد من فضل الله علينا وعلى الناس اي على الرسل وعلى
المرسل اليهم لانهم نبهوهم عليه وارشدوهم اليه ولكن اكثر الناس المبعوث اليهم

ما

والاستماع

لا يشكرون فضل الله فيشركون ولا ينتبهون وقيل ان ذلك من فضل الله علينا
لانه نصب لنا الادلة التي ننظر فيها ونستدل بها وقد نصب مثل تلك الادلة لسائر
الناس من غير تفاوت ولكن اكثر الناس لا ينظرون ولا يستدلون اتباعا لاهوائهم
فيبقون كافرين غير شاكرين يا صاحبي السجن يريد يا صاحبي في السجن فاضافهما الى السجن
كما تقول يا سارق الليلة فكما ان الليلة مسروق فيها غير مسروقة فكذلك السجن
مصحوب فيه غير مصحوب وانما المصحوب غيره وهو يوسف عليه السلم ونحوه قولك لصاحبيك
يا صاحبي الصدق فتضيفهما الى الصدق ولا تريد انهما صحبا الصدق ولكن كما تقول رجلا
رجلا صدق وسميتهما صاحبين لانهما صحباك ويجوز ان يريد يا ساكني السجن كقوله اصحاب
الجنة واصحاب النار لسكناهما ارباب متفرقون يريد التفرق في العدد والتكاثر
يقول أأن تكون لكما ارباب شتى يستعبدكما هذا ويستعبدكما هذا خير لكما ام
يكون لكما رب واحد قهار لا يغالب ولا يشارك في الربوبية بل هو القهار الغالب
وهذا مثل ضربه لعبادة الله وحده ولعبادة الاصنام ما تعبدون خطاب لهما ولمن على
دينهما من اهل مصر الا اسماء يعني انكم سميتم ما لا يستحق الالهية آلهة ثم طفقتم تعبدونها
فكانكم لا تعبدون الا اسماء فارغة لا مسميات تحتها ومعنى سميتموها سميتم بها يقال
سميته بزيد وسميته زيدا ما انزل الله بها اي بتسميتها من سلطان من حجة ان
الحكم في امر العبادة والدين الا لله ثم بين ما حكم به فقال امر الا تعبدوا الا اياه
ذلك الدين القيم الثابت الذي دلت عليه البراهين اما احدكما يريد الشرابي فيسقي
ربه سيده وقرا عكرمة فيُسقَى رَبَّهُ اي يُسقَى ما يُروَى به على البناء للمفعول روي
انه قال للاول ما رايت من الكرمة وحسنها هو الملك وحسن حالك عنده واما القضبان
الثلاثة فانها ثلاثة ايام تمضي في السجن ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه وقال للثاني ما رايت
من السلال الثلاث فهي ثلاثة ايام ثم تخرج فتقتل قضي الامر قطع وتم ما تستفتيان فيه
من امركما وشانكما فان قلت ما استفتيا في امر واحد بل في امرين مختلفين فما وجه
التوحيد قلت المراد بالامر ما اتهما به من سم الملك وما سجنا من اجله وظنا ان ما رأياه
في معنى ما نزل بهما فكانهما كانا يستفتيانه في الامر الذي نزل بهما اعاقبته نجاة ام هلاك
فقال لهما قضي الامر الذي فيه تستفتيان اي ما يجر اليه من العاقبة وهو هلاك احدهما
ونجاة الآخر وقيل جحدا وقالا ما راينا شيئا على ما روي انهما تحالما لتجرباه فاخبرهما ان
ذلك كائن صدقتما ام كذبتما وقال الذي ظن انه ناج الظان هو يوسف عليه السلم ان كان تاويله
بطريقة الاجتهاد وان كان بطريقة الوحي فالظان هو الشرابي ويكون الظن بمعنى
اليقين اذكرني عند ربك صفني عند الملك بصفتي وقص عليه قصتي لعله يرحمني
وينتاشني من هذه الورطة فانساه الشيطان فانسي الشرابي ذكر ربه ان يذكره
لربه وقيل فانسي يوسف ذكر الله حين وكل امره الى غيره بضع سنين البضع ما
بين الثلاث الى التسع واكثر الاقاويل على انه لبث فيه سبع سنين فان قلت
كيف يقدر الشيطان على الانساء قلت يوسوس الى العبد بما يشغله عن الشي من اسباب
النسيان حتى يذهب عنه ويزلق عن قلبه ذكره واما الانساء ابتداء فلا يقدر عليه الا
الله عز وجل ما ننسخ من آية او ننسها فان قلت ما وجه اضافة الذكر الى ربه اذا
اريد به الملك وما هي باضافة المصدر الى الفاعل ولا الى المفعول قلت قد لابسه

في قوله فانساه الشيطان ذكره لربه او عند ربه فجازت اضافته اليه لان الاضافة
تكون بادنى ملابسة او على تقدير فانساه الشيطان ذكر اخباره ربه فحذف المضاف
الذي هو الاخبار فان قلت لم انكر على يوسف عليه السلم الاستعانة بغير الله في
كشف ما كان فيه وقد قال الله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وقال حكاية
عن عيسى عليه السلام من انصاري الى الله وفي الحديث الله في عون العبد ما دام
العبد في عون اخيه المسلم ومن فرج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه
كربة من كرب الآخرة وعن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
لم ياخذه النوم ليلة من الليالي وكان يطلب من يحرسه حتى جاء سعد بن ابي وقاص
فسمعت غطيطه وهل ذلك الا مثل التداوي بالادوية والتقوي بالاشربة والاطعمة
وان كان ذلك لان الملك كان كافرا فلا خلاف في جواز ان يستعان بالكفار في دفع
الظلم والغرق والحرق ونحو ذلك من المضار قلت كما اصطفى الله عز وجل الانبياء
على خليقته فقد اصطفى لهم احسن الامور وافضلها واولاها والاحسن والاولى
بالنبي ان لا يكل امره اذا ابتلي ببلاء الا الى ربه عز وجل ولا يعتضد باحد خصوصا
اذا كان المعتضد به كافرا لئلا يشمت به الكفار ويقولوا لو كان هذا على الحق
وكان له رب لاغاثه فلما استغاث بنا وعن الحسن انه كان يبكي اذا قراها ويقول
نحن اذا نزل بنا امر فزعنا الى الناس ۞ لما دنا فرج يوسف عليه السلم راى ملك
مصر الريان بن الوليد رؤيا عجيبة هالته راى سبع بقرات سمان خرجن من نهر
يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان وراى سبع سنبلات خضر قد
انعقد حبها وسبعا اخر يابسات قد استحصدت وادركت فالتوت اليابسات
على الخضر حتى غلبن عليها فاستعبرها فلم يجد في قومه من يحسن عبارتها سمان
جمع سمين وسمينة وكذلك رجال ونسوة كرام فان قلت هل من فرق بين ايقاع
سمان صفة للمميز وهو بقرات دون المميز وهو سبع وان يقال سبع بقرات
سمانا قلت اذا اوقعتها صفة لبقرات فقد قصدت الى ان تميز السبع بنوع من البقرات
وهي السمان منهن لا بجنسهن ولو وصفت بها السبع لقصدت الى تمييز السبع بجنس
البقرات لا بنوع منها ثم رجعت فوصفت المميز بالجنس بالسمن فان قلت هلا قيل
سبع عجاف على الاضافة قلت التمييز موضوع لبيان الجنس والعجاف وصف
لا يقع البيان به وحده فان قلت فقد يقولون ثلاثة فرسان وخمسة اصحاب
قلت الفارس والصاحب والراكب ونحوها صفات جرت مجرى الاسماء فاخذت
حكمها وجاز فيها ما لم يجز في غيرها الا تراك لا تقول عندي ثلاثة ضخام واربعة غلاظ
فان قلت ذلك مما يشكل وما نحن بسبيله لا اشكال فيه الا ترى انه لم يقل بقرات
سبع عجاف لوقوع العلم بان المراد البقرات قلت ترك الاصل لا يجوز مع وقوع
الاستغناء عما ليس باصل وقد وقع الاستغناء بقولك سبع عجاف عما تقترحه
من التمييز بالوصف والعجف الهزال الذي ليس بعده والسبب في وقوع عجاف
جمعا لعجفاء وافعل وفعلاء لا يجمعان على فعال حمله على سمان لانه نقيضه ومن
دابهم حمل النظير على النظير والنقيض على النقيض فان قلت هل في الآية دليل

على ان السنبلات اليابسة كانت سبعا كالخضر قلت الكلام مبني على انصبابه
الى هذا العدد في البقرات السمان والعجاف والسنبلات الخضر فوجب ان يتناول
معنى الاخر السبع ويكون قوله واخر يابسات بمعنى وسبعا اخر فان قلت هل يجوز
ان يعطف قوله واخر يابسات على سنبلات خضر فيكون مجرور المحل قلت يؤدي
الى تدافع وهو ان عطفها على سنبلات خضر يقتضي ان تدخل في حكمها فيكون معها
مميزا للسبع المذكورة ولفظ الاخر يقتضي ان يكون غير السبع بيانه انك تقول عندي
سبعة رجال قيام وقعود بالجر فيصح لانك ميزت السبعة برجال موصوفين
بالقيام والقعود على ان بعضهم قيام وبعضهم قعود فلو قلت عندي سبعة رجال
قيام واخرين قعود تدافع ففسد يا ايها الملأ كانه اراد الاعيان من العلماء والحكماء
واللام في قوله للرؤيا اما ان تكون للبيان كقوله وكانوا فيه من الزاهدين واما ان
تدخل لان العامل اذا تقدم عليه معموله لم يكن في قوته على العمل فيه مثله اذا
تأخر عنه فعضد بها كما يعضد بها اسم الفاعل اذا قلت هو عابر للرؤيا لانحطاطه
عن الفعل في القوة ويجوز ان يكون للرؤيا خبر كان كما تقول كان فلان لهذا الامر
اذا كان مستقلا به متمكنا منه وتعبرون خبر اخر او حال وان يضمن
تعبرون معنى فعل يتعدى باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا
وعبرت الرؤيا ذكرت عاقبتها واخر امرها كما تقول عبرت النهر اذا قطعته حتى
تبلغ اخر عرضه وهو عبره اي شطه ونحوه اولت الرؤيا اذا ذكرت مالها وهو
مرجعها وعبرت الرؤيا بالتخفيف هو الذي اعتمده الاثبات ورأيتهم ينكرون
عبرت بالتشديد والتعبير والمعبر وقد عثرت على بيت انشده المبرد في
كتاب الكامل لبعض الاعراب رأيت رؤيا ثم عبرتها وكنت للاحلام عبارا
اضغاث احلام تخاليطها واباطيلها وما يكون منها من حديث نفس او وسوسة
شيطان واصل الاضغاث ما جمع من اخلاط النبات وحزم الواحد ضغث
فاستعيرت لذلك والاضافة بمعنى من اي اضغاث من احلام والمعنى هي اضغاث
من احلام فان قلت ما هو الا حلم واحد فلم قالوا اضغاث احلام فجمعوا قلت هو
كما تقول فلان يركب الخيل ويلبس عمائم الخز لمن لا يركب الا فرسا واحدا وما له
الا عمامة فردة تزيدا في الوصف فهؤلاء ايضا تزيدوا في وصف الحلم بالبطلان
فجعلوه اضغاث احلام ويجوز ان يكون قد قص عليهم مع هذه الرؤيا رؤيا
غيرها وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين اما ان يريدوا بالاحلام المنامات الباطلة
خاصة فيقولوا ليس لها عندنا تاويل فان التاويل انما هو للمنامات الصحيحة
الصالحة واما ان يعترفوا بقصور علمهم وانهم ليسوا في تاويل الاحلام بنحارير
وقرئ وادكر بالدال وهو الفصيح وعن الحسن واذكر بالذال والاصل
تذكر اي تذكر الذي نجا من الفتيين من القتل يوسف وما شاهد منه بعد
امة بعد مدة طويلة وذلك انه حين استفتى الملك في رؤياه واعضل على الملأ
تاويلها تذكر الناجي يوسف وتاويله رؤياه ورؤيا صاحبه وطلبه اليه ان يذكره
عند الملك وقرأ الاشهب العقيلي بعد إمة بكسر الهمزة والامة النعمة

قال عدي ثم بعد الفلاح والملك والامة وارتهم هناك القبور اي بعد ما
انعم عليه بالنجاة وقرئ بعد امه بعد نسيان يقال امه يامه امها اذا نسي ومن قرأ
بسكون الميم فقد خطئ انا انبئكم بتاويله انا اخبركم به عمن عنده علمه وفي قراءة
الحسن رضي الله عنه انا اتيكم بتاويله فارسلون فابعثوني اليه لاساله ومروني
باستعباره وعن ابن عباس رضي الله عنه لم يكن السجن في المدينة والمعنى فارسلوه
الى يوسف فاتاه فقال يوسف ايها الصديق ايها البليغ في الصدق وانما قال له
ذلك لانه ذاق احواله وتعرف صدقه في تاويل رؤياه ورؤيا صاحبه حيث جاء
كما اول ولذلك كلمه كلام محترز فقال لعلي ارجع الى الناس لعلهم يعلمون لانه
ليس على يقين من الرجوع فربما اخترم دونه ولا من علمهم فربما لم يعلموا
ومعنى لعلهم يعلمون لعلهم يعلمون فضلك ومكانك من العلم فيطلبوك ويخلصوك
من محنتك تزرعون خبر في معنى الامر كقوله تؤمنون بالله واليوم الاخر وتجاهدون
وانما يخرج الامر في صورة الخبر للمبالغة في ايجاب ايجاد المامور به فيجعل كانه
يوجد فهو يخبر عنه والدليل على كونه في معنى الامر قوله فذروه في سنبله
دأبا بسكون الهمزة وتحريكها وهما مصدرا دأب في العمل وهو حال من المامورين
اي دائبين اما على تدأبون دأبا واما على ايقاع المصدر حالا بمعنى ذوي دأب
فذروه في سنبله لئلا يسوس ياكلن من الاسناد المجازي جعل اكل اهلهن
مسندا اليهن تحصنون تحرزون وتخبئون يغاث الناس من الغوث او من الغيث
يقال غيثت البلاد اذا مطرت ومنه قول الاعرابية غثنا ما شئنا يعصرون بالياء
والتاء يعصرون العنب والزيتون والسمسم وقيل يحلبون الضروع وقرئ يعصرون
على البناء للمفعول من عصره اذا انجاه وهو مطابق للاغاثة ويجوز ان يكون المبني للفاعل
بمعنى ينجون كانه قيل فيه يغاث الناس وفيه يغيثون انفسهم اي يغيثهم الله عز وجل
ويغيث بعضهم بعضا وقيل يعصرون يمطرون من اعصرت السحابة وفيه وجهان
اما ان يضمن اعصرت معنى مطرت فيعدى تعديته واما ان يقال الاصل اعصرت
عليهم فحذف الجار واوصل الفعل تأول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين
مخاصيب والعجاف واليابسات بسنين مجدبة ثم بشرهم بعد الفراغ من تاويل الرؤيا
بان العام الثامن يجيء مباركا خصيبا كثير الخير غزير النعم وذلك من جهة الوحي
وعن قتادة زاده الله عز وجل علم سنة فان قلت معلوم ان السنين المجدبة اذا
انتهت كان انتهاؤها بالخصب والا لم توصف بالانتهاء فلم قلت ان علم ذلك من جهة
الوحي قلت ذلك معلوم علما مطلقا لا مفصلا وقوله فيه يغاث الناس وفيه يعصرون
تفصيل لحال العام وذلك لا يعلم الا بالوحي ائتوني به انما تأنى وتثبت في اجابة الملك وقدم
سؤال النسوة ليظهر براءة ساحته عما قذف به وسجن فيه لئلا يتسلق به الحاسدون
الى تقبيح امره عنده ويجعلوه سلما الى حط منزلته لديه ولئلا يقولوا ما خلد في السجن
سبع سنين الا لامر عظيم وجرم كبير حق به ان يسجن ويعذب ويستكف شره وفيه
دليل على ان الاجتهاد في نفي التهم واجب وجوب اتقاء الوقوف في مواقفها قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ذكر به في معتكفه وعنده بعض نسائه هي فلانة
اتقاء للتهمة وعن النبي صلى الله عليه وسلم لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له

حين سُئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما اخبرتهم حتى اشترط ان يخرجوني
ولقد عجبت منه حين اتاه الرسول فقال ارجع الى ربك ولو كنت مكانه ولبثت في السجن
ما لبثت لاسرعت الاجابة وبادرتهم الباب ولما ابتغيت العذر ان كان لحليما ذا اناة وانما
قال سل الملك عن شان النسوة ولم يقل سله ان يفتش عن شانهن لان السؤال مما
يهيج الانسان ويحركه للبحث عما سئل عنه فاراد ان يورد عليه السؤال ليجد في التفتيش
عن حقيقة القصة وفص الحديث حتى يتبين له براءته بيانا مكشوفا يتميز فيه الحق من الباطل
وقرئ النسوة بضم النون ومن كرمه وحسن ادبه انه لم يذكر سيدته مع ما صنعت به
وتسببت فيه من السجن والعذاب واقتصر على ذكر المقطعات ايديهن ان ربي ان الله
بكيدهن عليم اراد انه كيد عظيم لا يعلمه الا الله عز وجل لبعد غوره واستشهد بعلم الله
على انهن كدنه وانه بريء مما قرف به او اراد الوعيد لهن اي هو عليم بكيدهن فمجازيهن
عليه ما خطبكن ما شانكن اذ راودتن يوسف هل وجدتن منه ميلا اليكن قلن
حاش لله تعجبا من عفته وذهابه بنفسه عن شيء من الريبة ومن نزاهته عنها
قالت امراة العزيز الان حصحص الحق اي ثبت واستقر وقرئ حصحص على البناء للمفعول
وهو من حصحص البعير اذا القى ثفناته للاناخة قال فحصحص في صم الصفا ثفناته
وناء بسلمى نوءة ثم صمما ولا مزيد على شهادتهن له بالبراءة والنزاهة واعترافهن
على انفسهن بانه لم يتعلق بشيء مما قرفنه به لانهن خصومه واذا اعترف الخصم بان
صاحبه على الحق وهو على الباطل لم يبق لاحد مقال وقالت المجبرة والحشوية نحن
قد بقي لنا مقال ولا بد لنا ان ندق في فروة من ثبتت نزاهته ذلك ليعلم من كلام
يوسف اي ذلك التثبت والتشمر لظهور البراءة ليعلم العزيز اني لم اخنه بظهر
الغيب في حرمته ومحل بالغيب الحال من الفاعل او المفعول على معنى وانا غائب عنه
خفي عن عينه او وهو غائب عني خفي عن عيني ويجوز ان يكون ظرفا اي بمكان الغيب
وهو الخفاء والاستتار وراء الابواب السبعة المغلقة وليعلم ان الله لا يهدي كيد
الخائنين لا ينفذه ولا يسدده وكانه تعريض بامراته في خيانتها امانة زوجها وبه في
خيانته امانة الله عز وجل حين ساعدها بعد ظهور الآيات على حبسه ويجوز
ان يكون تاكيدا لامانته وانه لو كان خائنا لما هدى الله كيده ولا سدده ثم اراد
ان يتواضع لله عز وجل ويهضم نفسه لئلا يكون لها مزكيا وبحالها في الامانة معجبا
ومفتخرا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم ولا فخر وليبين
ان ما فيه من الامانة ليس به وحده وانما هو بتوفيق الله عز وجل ولطفه وعصمته
فقال وما ابرئ نفسي من الزلل وما اشهد لها بالبراءة الكلية ولا ازكيها ولا تخلو
اما ان يريد في هذه الحادثة لما ذكرنا من الهم الذي هو ميل النفس عن طريق الشهوة
البشرية لا عن طريق القصد والعزم واما ان يريد عموم الاحوال ان النفس لامارة بالسوء
اراد الجنس اي ان هذا الجنس يامر بالسوء ويحمل عليه بما فيه من الشهوات الا ما رحم
ربي الا البعض الذي رحمه ربي بالعصمة كالملائكة ويجوز ان يكون ما رحم في معنى
الزمان اي الا وقت رحمة ربي يعني انها امارة بالسوء في كل وقت واوان الا وقت
العصمة ويجوز ان يكون استثناء منقطعا اي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الاساءة
كقوله ولا هم ينقذون الا رحمة وقيل معناه ذلك ليعلم الله اني لم اخنه لان

المعصية

المعصية خيانة وقيل هو من كلام امراة العزيز اي ذلك الذي قلت ليعلم يوسف اني
لم اخنه بالغيب ولم اكذب عليه في حال الغيبة وجئت بالصحيح والصدق فيما
سئلت عنه وما ابرئ نفسي مع ذلك من الخيانة فاني قد خنته حين قرفته وقلت ما
جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن واودعته السجن تريد الاعتذار مما كان
منها ان كل نفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي الا نفسا رحمها الله عز وجل بالعصمة كنفس
يوسف ان ربي غفور رحيم استغفرت ربها واسترحمته مما ارتكبت فان قلت
كيف صح ان يجعل من كلام يوسف ولا دليل على ذلك قلت كفى بالمعنى دليلا
قائدا الى ان يجعل من كلامه ونحوه قال الملا من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم
يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره ثم قال فماذا تامرون وهو من كلام فرعون يخاطبهم
ويستشيرهم وعن ابن جريج هذا من تقديم القران وتاخيره ذهب الى ان ذلك ليعلم
العزيز متصل بقوله فاسئله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ولقد لفقت المبطلة
روايات مصنوعة فزعموا ان يوسف حين قال اني لم اخنه بالغيب قال له جبريل
ولا حين هممت بها وقالت له امراة العزيز ولا حين حللت تكة سراويلك يا يوسف
وذلك لتهالكهم على بهت الله ورسله تعالى استخلصه واستخلصه اذا جعله
خالصا لنفسه وخاصا به فلما كلمه وشاهد منه ما لم يحتسب قال ايها الصديق انك
اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة امين مؤتمن على كل شيء روي ان الرسول
جاء فقال اجب الملك فخرج من السجن ودعا لاهله اللهم اعطف عليهم قلوب
الاخيار ولا تعم عليهم الاخبار فهم اعلم الناس بالاخبار في الواقعات وكتب على
باب السجن هذه منازل البلوى وقبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء
ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال
اللهم اني اسالك بخيرك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه
ودعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال لسان ابائي وكان الملك يتكلم
بسبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه وقال له ايها الصديق
اني احب ان اسمع رؤياي منك قال رايت بقرات فوصفهن لونهن واحوالهن
ومكان خروجهن ووصف السنابل وما كان منها على الهيئة التي راها الملك
لا يخرم منها حرفا وقال له من حقك ان تجمع الطعام في الاهراء فياتيك الخلق
من النواحي ويمتارون منك ويجتمع لك من الكنوز ما لم يجتمع لاحد قبلك
اجعلني على خزائن الارض ولني خزائن ارضك اني حفيظ عليم امين احفظ
ما تستحفظنيه عالم بوجوه التصرف وصف نفسه بالامانة والكفاية اللتين
هما طلبة الملوك ممن يولونه وانما قال ذلك ليتوصل الى امضاء احكام الله عز وجل
واقامة الحق وبسط العدل والتمكن مما لاجله بعث الانبياء الى العباد ولعلمه
ان احدا غيره لا يقوم مقامه في ذلك فطلب التولية ابتغاء وجه الله لا لحب الملك
والدنيا وعن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن
الارض لاستعمله من ساعته ولكنه اخر ذلك سنة فان قلت كيف جاز ان
يتولى عملا من يد كافر ويكون تبعا له وتحت امره وطاعته قلت روى مجاهد
انه قد اسلم وعن قتادة هو دليل على انه يجوز ان يتولى الانسان عملا من يد سلطان

حاير وقد كان السلف يتولون القضا من جهة البغاة ويرونه وادا علم النبي او العالم انه لا سبيل الى الحكم بامر الله عز وجل ودفع الظلم الا بتمكين الملك الكافر او الفاسق فله ان يستظهر به وقيل كان الملك يصدر عن رايه ولا يعترض عليه في كل ما راى وكان في حكم التابع له والمطيع **وكذلك** ومثل ذلك التمكين الظاهر **مكنا ليوسف** في ارض مصر روي انها كانت اربعين فرسخا في اربعين **يتبوا منها حيث يشا** قرى بالياء والنون اي كل مكان اراد ان يتخذه منزلا ومتبوا له لم يمنع منه لاستيلائه على جميعها ودخولها تحت ملكته وسلطانه ه روي ان الملك توجه وختمه بخاتمه ورداه بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت وروي انه قال له اما السرير فاشد به ملكك واما الخاتم فادبر به امرك واما التاج فليس من لباسي ولا لباس ابائي فقال فقد وضعته اجلالا لك واقرارا بفضلك فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض الملك اليه امره وعزل قطفير ثم مات بعد فزوجه الملك امراته فلما دخل عليها قال اليس هذا خيرا مما طلبت فوجدها عذرا فولدت له ولدين افرايم وميشا واقام العدل بمصر واحبته الرجال والنسا واسلم على يديه الملك وكثير من الناس وباع من اهل مصر في سني القحط الطعام بالدنانير والدراهم في السنة الاولى حتى لم يبق معهم شي منها ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا فقالوا والله ما راينا كاليوم ملكا اجل ولا اعظم منه فقال للملك كيف رايت صنع الله بي فيما خولني فما ترى قال الراي رايك قال فاني اشهد الله واشهدك اني اعتقت اهل مصر عن اخرهم ورددت عليهم املاكهم وكان لا يبيع من احد من الممتارين اكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس ه واصاب ارض كنعان وبلاد الشام نحو ما اصاب ارض مصر فارسل يعقوب بنيه ليمتاروا واحتبس بنيامين **نصيب برحمتنا** بعطايانا في الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم **من نشا** من اقتضت الحكمة ان نشاء ذلك **ولا نضيع اجر المحسنين** ان ناجرهم في الدنيا **ولاجر الاخرة خير** لهم قال ابن عيينة المومن يثاب على حسناته في الدنيا والاخرة والفاجر يعجل له الخير في الدنيا وما له في الاخرة من خلاق ولا يحبوه الاية ه لم يعرفوه لطول العهد ومفارقته اياهم في سن الحداثة ولاعتقادهم انه قد هلك ولذهابه عن اوهامهم لقلة فكرهم فيه واهتمامهم بشانه ولبعد حاله التي بلغها من الملك والسلطان عن حاله التي فارقوه عليها طريحا في البير مشريا بدراهم معدودة حتى لو تخيل لهم انه هو لكذبوا انفسهم وظنونهم ولان الملك مما يبدل الزي ويلبس صاحبه من المهابة والاستعظام ما ينكر له المعروف وقيل راوه على زي فرعون عليه ثياب الحرير جالسا على سرير في عنقه طوق من ذهب على راسه تاج فما خطر ببالهم انه هو وقيل ما راوه الا من بعيد بينه وبينهم مسافة وحجاب وما وقف الا حيث يقف طلاب الحوائج وانما عرفهم لانه فارقهم وهم رجال وراى زيهم قريبا من زيهم اذ ذاك ولان همته كانت معقودة بهم وبمعرفتهم فكان يتامل وينظر وعن الحسن رضي الله عنه ما عرفهم حتى تعرفوا اليه **ولما جهزهم بجهازهم**

اي اصلحهم بعدتهم وهي عدة السفر من الزاد وما يحتاج اليه المسافرون واوقر ركائبهم بما جاءوا له من الميرة وقرئ بجهازهم بكسر الجيم **قال ايتوني باخ لكم من ابيكم** لا بد من مقدمة سبقت له معهم حتى اجتر القول الى هذه المسالة روي انه لما راهم وكلموه بالعبرانية قال لهم اخبروني من انتم وما شانكم فاني انكركم قالوا نحن قوم من اهل الشام رعاة اصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم جئتم عيونا تنظرون عورة بلادي فقالوا معاذ الله نحن اخوة بنو اب واحد وهو شيخ صديق نبي من الانبيا اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فهلك منا واحد قال فكم انتم ها هنا قالوا عشرة قال فاين الاخ الحادي عشر قالوا هو عند ابيه يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم انكم لستم بعيون وان الذي تقولون حق قالوا انا ببلاد لا يعرفنا فيها احد فيشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وايتوني باخيكم من ابيكم وهو يحمل رسالة من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا بينهم فاصابت القرعة شمعون وكان احسنهم رايا في يوسف فخلفوه عنده وكان قد احسن انزالهم وضيافتهم **ولا تقربون** فيه وجهان احدهما ان يكون داخلا في حكم الجزا مجزوما عطفا على قوله فلا كيل لكم عندي كانه قيل فان لم تاتوني به تحرموا ولا تقربوا وان يكون بمعنى النهي **سنراود عنه اباه** سنخادعه عنه ونجتهد ونحتال حتى ننتزعه من يده **وانا لفاعلون** وانا لقادرون على ذلك لا نتعايا به او وانا لفاعلون ذلك لا محالة لا نفرط فيه ولا نتوانى **لفتيته** وقرئ لفتيانه وهما جمع فتى كاخوة واخوان في اخ وفعلة للقلة وفعلان للكثرة اي لغلمانه الكيالين **لعلهم يعرفونها** لعلهم يعرفون حق ردها وحق التكرم باعطا البدلين **اذا انقلبوا الى اهلهم** وفرغوا ظروفهم **لعلهم يرجعون** لعل معرفتهم بذلك تدعوهم الى الرجوع الينا وكانت بضاعتهم النعال والادم وقيل تخوف ان لا يكون عند ابيه من المتاع ما يرجعون به وقيل لم ير من الكرم ان ياخذ من ابيه واخوته ثمنا وقيل علم ان ديانتهم تحملهم على رد البضاعة لا يستحلون امساكها فيرجعون لاجلها وقيل معنى لعلهم يرجعون لعلهم يردونها **منع منا الكيل** يريدون قول يوسف عليه السلام فان لم تاتوني به فلا كيل لكم لانهم اذا انذروا بمنع الكيل فقد منع الكيل **نكتل** نرفع المانع من الكيل ونكتل من الطعام ما نحتاج اليه وقرئ يكتل بمعنى يكتل اخونا فينضم اكتياله الى اكتيالنا او يكن سببا للاكتيال فان امتناعه بسببه **هل امنكم عليه** يريد انكم قلتم في يوسف وانا له لحافظون كما تقولونه في اخيه ثم خنتم بضمانكم فما يومنني من مثل ذلك ثم قال **فالله خير حافظا** فتوكل على الله فيه ودفعه اليهم وحافظا تمييز كقولك هو خيرهم رجلا ولله دره فارسا ويجوز ان يكون حالا وقرئ حفظا وقرا الاعمش رضي الله عنه فالله خير حافظ وقرا ابو هريرة خير الحافظين **وهو ارحم الراحمين** فارجو ان ينعم علي بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين وقرئ ردت الينا بالكسر على ان كسرة الدال المدغمة نقلت الى الرا كما قيل في قيل وبيع وحكي قطرب ضرب زيد على نقل كسرة الرا فيمن سكنها الى الضاد **ما نبغي** ما للنفي اي ما نبغي في القول وما نتزيد فيما وصفنا لك من احسان الملك والكرامة وكانوا قالوا له انا قدمنا على خير رجل انزلنا واكرمنا كرامة لو كان رجلا من

ال يعقوب ما اكرمنا كرامته او ما نبغي شيا ورا ما فعل بنا من الاحسان
او على الاستفهام بمعنى اي شي نطلب وراء هذا وفي قراءة ابن مسعود ما تبغي بالتا
على المخاطبة ليعقوب معناه اي شي تطلب وراء هذا من الاحسان او من الشاهد
على صدقنا وقيل معناه ما نريد منك بضاعة اخرى وقوله هذه بضاعتنا ردت
الينا جملة مستانفة موضحة لقوله ما نبغي والجمل بعدها معطوفة عليها على
معنى ان بضاعتنا ردت الينا فنستظهر بها ونمير اهلنا في رجوعنا الى الملك
ونحفظ اخانا فما يصيبه شي مما تخافه ونزداد باستصحاب اخانا وسق بعير زايدا
على اوساق باعرنا فاي شي نبغي وراء هذه المباغي التي نستصلح بها احوالنا
ونوسع ذات ايدينا وانما قالوا ونزداد كيل بعير لما ذكرنا انه كان لا يزيد للرجل
على حمل بعير للتقسيط فان قلت هذا اذا فسرت البغي بالطلب فما اذا فسر
بالكذب او بالتزيد في القول كانت الجملة الاولى وهي قوله هذه بضاعتنا ردت
الينا بيانا لصدقهم وانتفاء التزيد عن قيلهم فما تصنع بالجمل البواقي قلت اعطفها
على قوله ما نبغي على معنى لا نبغي فيما نقول ونمير اهلنا ونفعل كيت وكيت ويجوز
ان يكون كلاما مبتدا كقولك وينبغي ان نمير اهلنا كما تقول سعيت في حاجة فلان
واجتهدت في تحصيل غرضه ويجب ان اسعى وينبغي لي ان لا اقصر ويجوز ان
يراد ما نبغي وما نطلق لساننا بالصواب فيما نشير به عليك من تجهيزنا مع اخينا ثم
قالوا هذه بضاعتنا نستظهر بها ونمير اهلنا ونفعل ونصنع بيانا لانهم
لا يبغون في رايهم وانهم مصيبون فيه وهو وجه حسن ظاهر واضح ذلك
كيل يسير اي ذلك مكيل قليل لا يكفينا يعنون ما يكال لهم فارادوا
ان يزدادوا اليه ما يكال لاخيهم او يكون ذلك اشارة الى كيل بعير اي ذلك
الكيل شي قليل يجيبنا اليه الملك ولا يضايقنا فيه او سهل عليه متيسر
لا يتعاظمه ويجوز ان يكون من كلام يعقوب وان حمل بعير واحد شي يسير
لا يخاطر لمثله بالولد كقوله ذلك ليعلم لن ارسله معكم مناف حالي وقد
رايت منكم ما رايت حتى توتون موثقا من الله حتى تعطوني ما اتوثق
به من عند الله اراد ان يحلفوا له بالله وانما جعل الحلف بالله موثقا منه لان
الحلف به تعالى مما توكد به العهود وتشدد وقد اذن الله تعالى في ذلك
فهو اذن منه لتاتنني به جواب اليمين لان المعنى حتى تحلفوا لتاتنني به الا ان
يحاط بكم الا ان تغلبوا فلم تطيقوا الاتيان به او الا ان تهلكوا فان قلت
اخبرني عن حقيقة هذا الاستثناء ففيه اشكال قلت ان يحاط بكم مفعول
له والكلام المثبت الذي هو قوله لتاتنني به في تاويل النفي معناه لا تمتنعون
من الاتيان به الا للاحاطة بكم اي لا تمتنعون منه لعلة من العلل الا لعلة واحدة
وهي ان يحاط بكم فهو استثناء من اعم العام في المفعول له والاستثناء من اعم العام
لا يكون الا في النفي وحده فلا بد من تاويله بالنفي ونظيره من الاثبات
المتاول بمعنى النفي قولهم اقسمت بالله لما فعلت والا فعلت تريد ما اطلب منك
الا الفعل فلما اتوه موثقهم من طلب الموثق واعطائه وكيل رقيب مطلع وانما
نهاهم ان يدخلوا من باب واحد لانهم كانوا ذوي بهاء وشارة حسنة وقد

اسهرهم

اسهرهم اهل مصر بالقربة عند الملك والتكرمة الخاصة التي لم تكن لغيرهم فكانوا
مظنة لطموح الابصار اليهم من بين الوفود وان يشار اليهم بالاصابع ويقال هولاء
اضياف الملك انظروا اليهم ما احسنهم من فتيان وما احقهم بالاكرام لامر ما اكرمهم
الملك وقربهم وفضلهم على الوافدين عليه فخاف لذلك ان يدخلوا كوكبة واحدة
فيعانوا لجمالهم وجلالة امرهم في الصدور فيصيبهم ما يسوهم ولذلك لم يوصهم بالتفرق
في الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين مغمورين بين الناس فان قلت وهل للاصابة
بالعين وجه تصح عليه قلت يجوز ان يحدث الله عز وجل عند النظر الى الشي والاعجاب
به نقصانا فيه وخللا من بعض الوجوه ويكون ذلك ابتلاء من الله وامتحانا لعباده ليتميز
المحققون من اهل الحشو فيقول المحقق هذا فعل الله ويقول الحشوي هو اثر العين
كما قال وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا الاية وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انه كان يعوذ الحسن والحسين فيقول اعيذكما بكلمات الله التامة من كل هامة ومن
كل عين لامة وما اغني عنكم من الله من شي يعني ان اراد الله بكم سوا لم ينفعكم
ولم يدفع عنكم ما اشرت به عليكم من التفرق وهو مصيبكم لا محالة ان الحكم الا لله
ثم قال ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم اي متفرقين ما كان يغني عنهم راي يعقوب
ودخولهم متفرقين شيا قط حيث اصابهم ما ساءهم مع تفرقهم من اضافة السرقة اليهم
وافتضاحهم بذلك واخذ اخيهم بوجدان الصواع في رحله وتضاعف المصيبة على
ابيهم الا حاجة استثناء منقطع على معنى ولكن حاجة في نفس يعقوب قضاها وهي
شفقته عليهم واظهارها بما قاله لهم ووصاهم به وانه لذو علم يعني قوله وما
اغني عنكم وعلمه بان القدر لا يغني عنه الحذر ءاوى اليه اخاه ضم اليه بنيامين
وروي انهم قالوا له هذا اخونا قد جئناك به فقال لهم احسنتم واصبتم وستجدون
ذلك عندي فانزلهم واكرمهم ثم اضافهم واجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي
بنيامين وحده فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال يوسف بقي
اخوكم وحيدا فاجلسه معه على مائدته وجعل يواكله وقال انتم عشرة
فلينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لا ثاني له فيكون معي فبات يوسف يضمه اليه ويشم
رائحته حتى اصبح وساله عن ولده فقال لي عشرة بنين اشتققت اسماءهم من
اسم اخ لي هلك فقال له اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من
يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام اليه
وعانقه وقال له اني انا اخوك يوسف فلا تبتئس فلا تحزن بما كانوا يعملون
بنا فيما مضى فان الله قد احسن الينا وجمعنا على خير ولا تعلمهم بما اعلمتك وعن
ابن عباس رضي الله عنه تعرف اليه وعن وهب انما قال له انا اخوك بدل اخيك
المفقود فلا تبتئس بما كنت تلقى منهم من الحسد والاذى فقد امنتهم وروي انه قال
له فانا لا افارقك قال لقد علمت اغتمام والدي بي فاذا حبستك ازداد غمه ولا سبيل
الى ذلك الا ان انسبك الى ما لا يجمل قال لا ابالي فافعل ما بدا لك قال فاني ادس
صاعي في رحلك ثم انادي عليك بانك سرقته ليتهيا لي ردك بعد تسريحك معهم
قال افعل السقاية مشربة يسقى بها وهي الصواع قيل كان يسقى بها الملك
ثم جعلت صاعا يكال به وقيل كانت الدواب تسقى بها ويكال بها وقيل كانت

اناء مستطيل يشبه المكوك وقيل هي المكوك الفارسي الذي يلتقي طرفاه يشرب منه
الاعاجم وقيل كانت من فضة مموهة بالذهب وقيل كانت من ذهب وقيل كانت
مرصعة بالجواهر ثم اذن مؤذن ثم نادى مناد يقال آذنه اعلمه واذن اكثر الاعلام
ومنه المؤذن لكثرة ذلك منه روي انهم ارتحلوا وامهلهم يوسف حتى انطلقوا ثم
امر بهم فادركوا وحبسوا ثم قيل لهم ذلك والعير الابل التي عليها الاحمال لانها
تعير اي تذهب وتجيء وقيل هي قافلة الحمير ثم كثر حتى قيل لكل قافلة عير
كانها جمع عير واصلها فُعْل كسقف وسقف فعل به ما فعل ببيض وغيد والمراد
اصحاب العير كقوله يا خيل الله اركبي وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه وجعل السقاية
على حذف جواب لما كانه قيل فلما جهزهم بجهازهم وجعل السقاية في رحل اخيه
امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن مؤذن وقرأ ابو عبد الرحمن السلمي تُفقدون من افقدته
اذا وجدته فقيدا وقرئ صُواع وصاع وصَوع وصُوع بفتح الصاد وضمها والغين
معجمة وغير معجمة وانا به زعيم يقوله المؤذن يريد وانا بحمل البعير كفيل اؤديه الى
من جاء به واراد وسق بعير من طعام جعلا لمن حصله تالله قسم فيه معنى التعجب
اضيف لهم والتاء [illegible] لقد علمتم ما [illegible] استشهدوا بعلمهم لما ثبت عندهم من دلائل
دينهم وامانتهم في كرتي مجيئهم ومداخلتهم للملك ولانهم دخلوا وافواه رواحلهم
مكعومة لئلا تتناول زرعا او طعاما لاحد من اهل السوق ولانهم ردوا بضاعتهم
التي وجدوها في رحالهم وما كنا سارقين وما كنا نوصف قط بالسرقة وهي
منافية لحالنا فما جزاؤه الضمير للصواع اي فما جزاء سرقته ان كنتم كاذبين في جحودكم
وادعائكم البراءة منه قالوا جزاؤه من وجد في رحله اي جزاء سرقته اخذ من وجد في
رحله وكان حكم السارق في آل يعقوب عليه السلام ان يسترق سنة فلذلك استفتوا في
جزائه وقولهم فهو جزاؤه تقرير للحكم اي فاخذ السارق نفسه هو جزاؤه لا غير
كقولك حق زيد ان يكسى ويطعم وينعم عليه فذلك حقه او فهو حقه لتقرر ما ذكرته
من استحقاقه وتلزمه ويجوز ان يكون جزاؤه مبتدأ والجملة الشرطية كما هي خبره
على اقامة الظاهر فيها مقام المضمر والاصل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو فوضع
الجزاء موضع هو كما تقول لصاحبك من اخو زيد فيقول لك اخوه من يقعد الى
جنبه فهو هو يرجع الضمير الاول الى من والثاني الى الاخ ثم تقول فهو اخوه مقيما
للمظهر مقام المضمر ويحتمل ان يكون جزاؤه خبر مبتدأ محذوف اي المسؤول عنه
جزاؤه ثم افتوا بقولهم من وجد في رحله فهو جزاؤه كما يقول من يستفتي في جزاء
صيد المحرم ثم يقول ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم فبدأ باوعيتهم
قيل قال لهم من وكل بهم لا بد من تفتيش اوعيتكم فانصرف بهم الى يوسف فبدأ
بتفتيش اوعيتهم قبل وعاء اخيه لنفي التهمة حتى بلغ وعاءه فقال ما اظن هذا اخذ
شيئا فقالوا والله لا نتركه حتى تنظر في رحله فانه اطيب لنفسك وانفسنا فاستخرجوه
منه وقرأ الحسن [illegible] وعاء بضم الواو وهي لغة وقرأ سعيد بن جبير
اعاء اخيه بقلب الواو همزة فان قلت لم ذكر ضمير الصواع مرات ثم انثه قلت
رجع بالتأنيث على السقاية او انث الصواع لانه يذكر ويؤنث ولعل يوسف كان
يسميه سقاية وعبيده صواعا فقد وقع فيما يتصل به من الكلام سقاية وفيما يتصل

مكعومة

وتكرمته

به منه صواعا كذلك كدنا مثل ذلك الكيد العظيم كدنا ليوسف يعني علمناه اياه
واوحينا به اليه ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك تفسير للكيد وبيان له لانه كان
في دين ملك مصر وما كان يحكم به في السارق ان يغرم مثلي ما اخذ لا ان يلزم ويسترق
الا ان يشاء الله اي ما كان يأخذه الا بمشيئة الله واذنه فيه نرفع درجات
من نشاء في العلم كما رفعنا درجته يوسف فيه وقرئ يرفع بالياء ودرجات
بالتنوين وفوق كل ذي علم عليم فوقه ارفع درجة منه في علمه او وفوق العلماء
كلهم عليم هم دونه في العلم وهو الله عز وعلا فان قلت ما اذن الله فيه يجب ان يكون
حسنا فمن اي وجه حسن هذا الكيد وما هو الا بهتان وتسريق لمن لم يسرق
وتكذيب لمن لم يكذب وهو قوله انكم لسارقون فما جزاؤه ان كنتم كاذبين قلت هو في صورة
لا استفتائهم وقوله لكاذب لا يكون تكذيبا على انه لو صرح لهم بالتكذيب كما
صرح لهم بالتسريق لكان له وجه لانهم كانوا كاذبين في قولهم وتركنا يوسف عند
متاعنا فاكله الذئب هذا وحكم هذا الكيد حكم الحيل الشرعية التي يتوصل بها
الى مصالح ومنافع دينية كقوله لايوب عليه السلام وخذ بيدك ضغثا ليتخلص من
جلدها ولا يحنث وكقول ابراهيم عليه السلام هي اختي لتسلم من يد الكافر وما الشرائع
كلها الا مصالح وطرق الى التخلص من الوقوع في المفاسد وقد علم الله في هذه
الحيلة التي لقنها يوسف مصالح عظيمة فجعلها سلما وذريعة اليها فكانت حسنة
جميلة وانزاحت عنها وجوه القبح لما ذكرنا اخ له اراد به يوسف روي انهم لما
استخرجوا الصاع من رحل بنيامين نكس اخوته رؤوسهم حياء واقبلوا عليه وقالوا
له ماذا الذي صنعت فضحتنا وسودت وجوهنا يا بني راحيل ما يزال لنا منكم
بلاء متى اخذت هذا الصاع فقال بنو راحيل الذي لا يزال منكم عليهم البلاء ذهبتم
باخي فاهلكتموه ووضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع البضاعة في رحالكم
واختلف فيما اضافوا الى يوسف من السرقة فقيل كان اخذ في صباه صنما
لجده ابي امه فكسره والقاه بين الجيف في الطريق وقيل دخل كنيسة فاخذ
تمثالا صغيرا من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه وقيل كان في المنزل عناق
او دجاجة فاعطاها السائل وقيل كانت لابراهيم عليه السلام منطقة يتوارثها
اكابر ولده فورثها اسحق ثم وقعت الى ابنته وكانت اكبر اولاده فحضنت
يوسف وهي عمته بعد وفاة امه وكانت لا تصبر عنه فلما شب اراد يعقوب
ان ينتزعه منها فعمدت الى المنطقة فحزمتها على يوسف تحت ثيابه وقالت
فقدت منطقة اسحق فانظروا من اخذها فوجدوها محزومة على يوسف عليه السلام
فقالت انه لي سلم افعل به ما شئت فخلاه يعقوب عندها حتى ماتت فاسرها
اضمار على شريطة التفسير تفسيره انتم شر مكانا وانما انث لان قوله انتم شر مكانا
جملة او كلمة على تسميتهم الطائفة من الكلام كلمة كانه قيل فاسر الجملة او الكلمة
التي هي قوله انتم شر مكانا والمعنى قال في نفسه انتم شر مكانا لان قوله قال انتم
شر مكانا بدل من اسرها وفي قراءة ابن مسعود فاسره على التذكير يريد القول
او الكلام ومعنى انتم شر مكانا انتم شر منزلة في السرق لانكم سارقون بالصحة
لسرقتكم اخاكم من ابيكم والله اعلم بما تصفون يعلم انه لم يصح لي ولا لاخي سرقة

وليس الامر كما تصفون استعطفوه باذكارهم اياه حال ابيهم تعطفوا وانه شيخ كبير السن او كبير القدر وان بنيامين احب اليه منهم وكانوا قد اخبروه بان ولدا له قد هلك وهو عليه ثكلان وانه مستأنس باخيه فخذ احدنا مكانه فخذه بدله على وجه الاسترهان او الاستعباد انا نراك من المحسنين السابقين احسانك او من عادتك الاحسان فاجر على عادتك ولا تغيرها معاذ الله هو كلام موجه ظاهره انه وجب على قضية فتواكم اخذ من وجد الصواع في رحله عنده واستعباده فلو اخذنا غيره كان ذلك ظلما في مذهبكم فلم تطلبون ما عرفتم انه ظلم وباطنه ان الله امرني واوحى الي باخذ بنيامين واحتباسه لمصلحة او لمصالح جمة علمها في ذلك فلو اخذت غير من امرني باخذه كنت ظالما وعاملا على خلاف الوحي ومعنى معاذ الله ان نأخذ نعوذ بالله معاذا من ان نأخذ فاضيف المصدر الى المفعول به وحذف من واذن جواب لهم وجزاء لان المعنى ان اخذنا بدله ظلمنا فلما استيأسوا يئسوا وزيادة السين والتاء للمبالغة نحو ما مر في استعصم والنجي يكون على معنيين يكون بمعنى المناجي كالعشير والسمير بمعنى المعاشر والمسامر ومنه قوله تعالى وقربناه نجيا وبمعنى المصدر الذي هو التناجي كما قيل النجوى بمعناه ومنه قيل قوم نجي كما قيل واذ هم نجوى تنزيلا للمصدر منزلة الاوصاف ويجوز ان يقال هم نجي كما قيل هم صديق لانه بزنة المصادر وجمعه انجية قال اني اذا ما القوم كانوا انجيه ومعنى خلصوا اعتزلوا وانفردوا عن الناس خالصين لا يخالطهم سواهم نجيا ذوي نجوى او فوجا نجيا اي مناجيا لمناجاة بعضهم بعضا واحسن منه انهم تمحضوا تناجيا لاستجماعهم لذلك وافاضتهم فيه بجد واهتمام كانهم في انفسهم صورة التناجي وحقيقته وكان تناجيهم في تدبير امرهم على اي صفة يذهبون وماذا يقولون لابيهم في شان اخيهم كقوم تعايوا بما دهمهم من الخطب فاحتاجوا الى التشاور كبيرهم في السن وهو روبيل او رئيسهم وهو شمعون وقيل كبيرهم في العقل والرأي وهو يهودا ما فرطتم في يوسف فيه وجوه ان تكون ما صلة اي ومن قبل هذا قصرتم في شان يوسف ولم تحفظوا عهد ابيكم وان تكون مصدرية على ان محل المصدر الرفع على الابتداء وخبره الظرف وهو من قبل ومعناه ووقع من قبل تفريطكم في يوسف او النصب عطفا على مفعول الم تعلموا وهو ان اباكم كانه قيل الم تعلموا اخذ ابيكم عليكم موثقا وتفريطكم من قبل في يوسف وان تكون موصولة بمعنى ومن قبل هذا ما فرطتموه اي قدمتموه في حق يوسف من الجناية العظيمة ومحله الرفع او النصب على الوجهين فلن ابرح الارض فلن افارق ارض مصر حتى يأذن لي ابي في الانصراف اليه او يحكم الله لي بالخروج منها او بالانتصاف ممن اخذ اخي او بخلاصه من يده بسبب من الاسباب وهو خير الحاكمين لانه لا يحكم ابدا الا بالعدل والحق وقرئ سُرِّق اي نسب الى السرقة وما شهدنا عليه بالسرقة الا بما علمنا من سرقته وتيقناه بان الصواع استخرج من وعائه ولا شيء ابين من هذا وما كنا للغيب حافظين وما علمنا انه سيسرق حين اعطيناك الموثق او وما علمنا انك تصاب به كما اصبت بيوسف ومن قرأ سُرِّق فمعناه وما شهدنا الا بما علمنا من التسريق وما كنا للغيب للامر الخفي

حافظين اسرق بالصحة ام دس الصاع في رحله ولم يشعر القرية التي كنا فيها هي مصر اي ارسل الى اهلها واسألهم عن كنه القصة والعير التي اقبلنا فيها واصحاب العير وكانوا قوما من كنعان من جيران يعقوب عليه السلام وقيل من اهل صنعاء فعناه فرجعوا الى ابيهم فقالوا له ما قال لهم اخوهم فقال بل سولت لكم انفسكم امرا اردتموه والا فما ادرى ذلك الرجل ان السارق يؤخذ بسرقته لولا فتواكم وتعليمكم عسى الله ان يأتيني بهم جميعا بيوسف واخيه وبنيامين او غيره انه هو العليم بحالي في الحزن والاسف الحكيم الذي لم يبتلني بذلك الا لحكمة ومصلحة وتولى عنهم واعرض عنهم كراهة لما جاؤا به يا اسفى اضاف الاسف وهو اشد الحزن والحسرة الى نفسه والالف بدل من ياء الاضافة والتجانس بين لفظي الاسف ويوسف مما يقع مطبوعا غير متعمل فيملح ويبدع ونحوه اثاقلتم الى الارض ارضيتم وهم ينهون عنه وينأون عنه يحسبون انهم يحسنون صنعا وعن النبي صلى الله عليه وسلم لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا امة محمد الا ترى الى يعقوب حين اصابه ما اصابه لم يسترجع وانما قال يا اسفى فان قلت كيف تأسف على يوسف دون اخيه ودون الثالث والرزء الاحدث اشد على النفس واظهر اثرا قلت هو دليل على تمادي اسفه على يوسف وانه لم يقع فائت عنده موقعه وان الرزء فيه مع تقادم عهده كان غضا عنده طريا ولم تنسني او في المصيبات بعده الا ولان الرزء في يوسف كان قاعدة مصيباته التي ترتبت عليها الرزايا في ولده فكان الاسف عليه اسفا على من لحق به وابيضت عيناه اذا كثر الاستعبار محقت العبرة سواد العين وقلبته الى بياض كدر قيل قد عمي بصره وقيل كان يدرك ادراكا ضعيفا قرئ من الحزن ومن الحزن الحزن كان سبب البكاء الذي حدث منه البياض فكانه حدث من الحزن قيل ما جفت عينا يعقوب من وقت فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين عاما وما على وجه الارض اكرم على الله من يعقوب عليه السلام وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سأل جبريل ما بلغ من وجد يعقوب على يوسف قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من الاجر قال اجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله ساعة قط فان قلت كيف جاز لنبي الله ان يبلغ به الجزع ذلك المبلغ قلت الانسان مجبول على ان لا يملك نفسه عند الشدائد من الحزن ولذلك حمد صبره وان يضبط نفسه حتى لا يخرج الى ما لا يحسن ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون وانما الجزع المذموم ما يقع من الجهلة من الصياح والنياحة ولطم الصدور والوجوه وتمزيق الثياب وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه بكى على ولد بعض بناته وهو يجود بنفسه فقيل يا رسول الله تبكي وقد نهيتنا عن البكاء فقال ما نهيتكم عن البكاء وانما نهيتكم عن صوتين احمقين صوت عند الفرح وصوت عند الترح وعن الحسن رحمه الله انه بكى على ولد او غيره فقيل له في ذلك فقال ما رأيت الله جعل الحزن عارا على يعقوب فهو كظيم فهو مملوء من الغيظ على اولاده ولا يظهر ما يسوؤهم فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه

بالطامه

والكظيم بمعنى الكاظم مجرى الغيظ. تالله تفتأ اراد لا تفتأ فحذف حرف
النفي لانه لا يلتبس بالاثبات لانه لو كان اثباتا لم يكن بد من اللام والنون ونحوه
فقلت يمين الله ابرح قاعدا. ومعنى لا تفتأ لا تزال. وعن مجاهد لا تفتر عن حبه
كانه جعل الفتوء والفتور اخوين. يقال ما فتئ يفعل. قال اوس
فما فتئت خيل تثوب وتدعي ويلحق منها لاحق وتقطع. حرضا مشفيا على الهلاك
مرضا. واحرضه المرض. ويستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه مصدر
والصفة حرض بكسر الراء ونحوهما دنف ودنف. وجاءت القراءة بهما جميعا. وقرأ الحسن
حرضا بضمتين ونحوه في الصفات رجل جنب وغرب. البث اصعب الهم الذي لا يصبر
عليه صاحبه فيبثه الى الناس اي ينشره. ومنه باثه امره وابثه اياه. ومعناه
انما اشكو بثي الى الله لا اشكو الى احد منكم ومن غيركم. انما اشكو الى ربي داعيا
له وملتجئا اليه فخلوني وشكايتي. وهذا معنى توليه عنهم اي فتولى عنهم الى الله
والشكاية. وقيل دخل على يعقوب عليه السلام جار له فقال يا يعقوب لقد تهشمت وفنيت
وما بلغت من السن ما بلغ ابوك فقال هشمني وافناني ما ابتلاني الله به من هم يوسف
فاوحى الله اليه يا يعقوب اتشكوني الى خلقي. قال يا رب خطيئة اخطأتها فاغفر لي
فغفر له فكان بعد ذلك اذا سئل قال انما اشكو بثي وحزني الى الله. وروي انه
اوحي الى يعقوب عليه السلام انما وجدت عليكم لانكم ذبحتم شاة فقام ببابكم مسكين
فلم تطعموه. وان احب خلقي الي الانبياء ثم المساكين فاصنع طعاما وادع عليه المساكين.
وقيل اشترى جارية مع ولدها فباع ولدها فبكت حتى عميت. واعلم من الله ما لا تعلمون
اي اعلم من صنعه ورحمته وحسن ظني به انه ياتيني بالفرج من حيث لا احتسب. وروي
انه راى ملك الموت في منامه فساله هل قبضت روح يوسف فقال لا والله هو
حي فاطلبه. وقرأ الحسن وحزني بفتحتين. وعن قتادة. فتحسسوا من
يوسف واخيه فتعرفوا منهما وتطلبوا خبرهما. وقرئ بالجيم فتجسسوا كما قرئ
بهما في الحجرات. وهما تفعل من الاحساس وهو المعرفة. فلما احس عيسى منهم الكفر
ومن الجس وهو الطلب. ومنه قالوا لمشاعر الانسان الحواس والجواس. من روح
الله من فرجه وتنفيسه. وقرأ الحسن وقتادة من روح الله بالضم اي من رحمته
التي يحيا بها العباد. الضر الهزال من الشدة والجوع. مزجاة مدفوعة يدفعها
كل تاجر رغبة عنها واحتقارا لها من ازجيته اذا دفعته وطردته. والريح تزجي
السحاب. قيل كانت من متاع الاعراب صوفا وسمنا. وقيل الصنوبر وحبة الخضراء.
وقيل سويق المقل والاقط. وقيل دراهم زيوفا لا تؤخذ الا بوضيعة. فاوف لنا
الكيل الذي هو حقنا. وتصدق علينا وتفضل علينا بالمسامحة والاغماض عن
رداءة البضاعة او زدنا على حقنا فسموا ما هو فضل وزيادة لا تلزمه صدقة لان
الصدقات محظورة على الانبياء. وقيل كانت تحل لغير نبينا صلى الله عليه وسلم. وسئل
ابن عيينة عن ذلك فقال الم تسمع وتصدق علينا اراد انها كانت حلالا لهم.
والظاهر انهم تمسكنوا له وطلبوا اليه ان يتصدق عليهم ومن ثم رق لهم
وملكته الرحمة عليهم فلم يتمالك ان عرفهم بنفسه. وقوله ان الله يجزي المتصدقين

شاهد

المثوبة

شاهد لذلك لذكر الله وجزائه. والصدقة العطية التي تبتغى بها المثوبة من الله. ومنه
قول الحسن لمن سمعه يقول اللهم تصدق علي: ان الله لا يتصدق انما يتصدق الذي
يبغي الثواب. قل اللهم اعطني او تفضل علي او ارحمني. قال هل علمتم اتاهم من جهة الدين
وكان حليما موفقا فكلمهم مستفهما عن معرفة وجه القبح الذي يجب ان يراعيه التائب
فقال هل علمتم قبح ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون لا تعلمون قبحه فلذلك اقدمتم
عليه. يعني هل علمتم قبحه فتبتم الى الله منه لان علم القبح يدعو الى الاستقباح له
والاستقباح يجر الى التوبة فكان كلامه شفقة عليهم وتنصحا لهم في الدين لا معاتبة
وتثريبا ايثارا لحق الله تعالى على حق نفسه في ذلك المقام الذي ينفث فيه المكروب وينفث
المصدور ويشتفي المغيظ المحنق ويدرك ثاره الموتور. فلله اخلاق الانبياء ما اوطأها
واسجحها ولله حصى عقولهم ما ارزنها وارجحها. وقيل لم يرد نفي العلم عنهم لانهم
كانوا علماء ولكنهم لما لم يعملوا بما يقتضيه العلم ولا يعدم عليه الجاهل سماهم
جاهلين. وقيل معناه اذ انتم صبيان في حد السفه والطيش قبل ان تبلغوا اوان
الحلم والرزانة. وروي انهم لما قالوا مسنا واهلنا الضر وتضرعوا اليه ارفضت عيناه ثم
قال هذا القول. وقيل ادوا اليه كتاب يعقوب عليه السلام من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق
ذبيح الله بن ابرهيم خليل الله الى عزيز مصر. اما بعد فانا اهل بيت موكل بنا البلاء.
اما جدي فشدت يداه ورجلاه ورمي به في النار ليحرق فنجاه الله وجعلت النار
عليه بردا وسلاما. واما ابي فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله. واما انا
فكان لي ابن وكان احب اولادي الي فذهب به اخوته الى البرية ثم اتوني بقميصه
ملطخا بالدم وقالوا قد اكله الذئب فذهبت عيناي من بكائي عليه ثم كان لي ابن
وكان اخاه من امه وكنت اتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانك حبسته
لذلك وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته علي والا دعوت عليك دعوة
تدرك السابع من ولدك والسلام. فلما قرأ يوسف الكتاب لم يتمالك وعيل صبره فقال
لهم ذلك. وروي انه لما قرأ الكتاب بكى وكتب الجواب اصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا.
فان قلت ما فعلهم باخيه. قلت تعريضهم اياه للغم والثكل بافراده عن اخيه لابيه
وامه وجفاؤهم به حتى كان لا يستطيع ان يكلم احدا منهم الا كلام الذليل للعزيز
وايذاؤهم له بانواع الاذى. قرئ ائنك على الاستفهام وانك على الايجاب. وفي
قراءة ابي اانك او انت يوسف على معنى اانك يوسف او انت يوسف فحذف الاول لدلالة
الثاني عليه. وهذا كلام متعجب مستغرب لما يسمع فهو يكرر الاستثبات. فان قلت
كيف عرفوه. قلت رأوا في روائه وشمائله حين كلمهم بذلك ما شعروا به انه هو مع
علمهم بان ما خاطبهم به لا يصدر مثله الا عن حنيف مسلم من سنخ ابرهيم لا عن بعض
اعزاء مصر. وقيل تبسم عند ذلك فعرفوه بثناياه وكانت كاللؤلؤ المنظوم. وقيل
ما عرفوه حتى رفع التاج عن راسه فنظروا الى علامة بقرنه كان ليعقوب
وسارة مثلها تشبه الشامة البيضاء. فان قلت قد سالوه عن نفسه فلم اجابهم عنها
وعن اخيه على ان اخاه كان معلوما لهم. قلت لانه كان في ذكر اخيه بيان لما سالوه
عنه. من يتق من يخف الله وعقابه ويصبر عن المعاصي وعلى الطاعات فان الله
لا يضيع اجرهم فوضع المحسنين موضع الضمير لاشتماله على المتقين والصابرين

لقد آثرك الله علينا أي فضلك علينا بالتقوى والصبر وسيرة المحسنين وإن كنا
وحالنا أنا كنا خاطئين متعمدين للإثم لم نتق ولم نصبر لاجرم أن الله أعزك بالملك وأذلنا
بالتمسكن بين يديك لا تثريب عليكم لا تأنيب عليكم ولا عتب وأصل التثريب من الثرب
وهو الشحم الذي هو غاشية الكرش ومعناه إزالة الثرب كما أن التجليد والتقريع
إزالة الجلد والقرع لأنه إذا ذهب كان ذلك غاية الهزال والعجف الذي ليس بعده
فضرب مثلا للتقريع الذي يمزق الأعراض ويذهب بماء الوجوه فإن قلت بم يتعلق
اليوم قلت بالتثريب أو بالمقدر في عليكم من معنى الاستقرار أو بيغفر والمعنى لا أثربكم
اليوم وهو اليوم الذي هو مظنة التثريب فما ظنكم بغيره من الأيام ثم ابتدأ فقال
يغفر الله لكم فدعا لهم بمغفرة ما فرط منهم يقال غفر الله لك ويغفر الله لك على لفظ
الماضي والمضارع جميعا ومنه قول المشمت يهديكم الله ويصلح بالكم أو اليوم يغفر
الله لكم بشارة بعاجل غفران الله عز وجل لما تجدد يومئذ من توبتهم وندمهم على
خطيئتهم وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بعضادتي باب الكعبة يوم الفتح
فقال لقريش ما ترون أني فاعل بكم قالوا نظن خيرا أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت
فقال أقول ما قال أخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم وروي أن أبا سفيان لما جاء ليسلم
قال له العباس إذا أتيت الرسول فاتل عليه لا تثريب عليكم ففعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
غفر الله لك ولمن علمك ويروى أن إخوته لما عرفوه أرسلوا إليه إنك تدعونا إلى
طعامك بكرة وعشيا ونحن نستحيي منك لما فرط منا فيك فقال يوسف عليه السلام إن أهل
مصر وإن ملكت فيهم فإنهم ينظرون إلي بالعين الأولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع
بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت الآن بكم وعظمت في العيون حيث علم الناس أنكم
إخوتي وأني من حفدة إبراهيم اذهبوا بقميصي قيل هو القميص المتوارث الذي كان
في تعويذ يوسف وكان من الجنة أمره جبريل أن يرسله إليه فإن فيه
ريح الجنة لا يقع على مبتلى ولا سقيم إلا عوفي يأت بصيرا يصر بصيرا كقولك جاء البناء
محكما بمعنى صار ويشهد له فارتد بصيرا أو يأت إلي وهو بصير وينصره قوله
وأتوني بأهلكم أجمعين أي يأتني أبي ويأتني آله جميعا وقيل يهوذا هو الحامل
قال أنا أحزنته بحمل القميص ملطوخا بالدم إليه فأفرحه كما أحزنته وقيل حمله
وهو حاف حاسر من مصر إلى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا فصلت
العير خرجت من عريش مصر يقال فصل من البلد فصولا إذا انفصل منه وجاوز
حيطانه وقرأ ابن عباس ولما انفصل العير قال أبوهم لمن حوله من
قومه إني لأجد ريح يوسف أوجده الله ريح القميص حين أقبل من مسيرة ثمان
لولا أن تفندون التفنيد النسبة إلى الفند وهو الخرف وإنكار العقل من هرم يقال شيخ
مفند ولا يقال عجوز مفندة لأنها لم تكن في شبيبتها ذات رأي فتفند في
كبرها والمعنى لولا تفنيدكم إياي لصدقتموني لفي ضلالك القديم لفي ذهابك عن
الصواب قدما في إفراط محبتك ليوسف ولهجك بذكره ورجائك للقائه وكان
عندهم أنه قد مات ألقاه طرح البشير القميص على وجه يعقوب أو ألقاه
يعقوب فارتد بصيرا فرجع بصيرا يقال رده فارتد وارتده إذا ارتجعه
ألم أقل لكم يعني قوله إني لأجد ريح يوسف أو قوله لا تيأسوا من روح الله وقوله

إني أعلم

إني أعلم كلام مبتدأ لم يقع عليه القول ولك أن توقعه عليه وتريد قوله إنما أشكو بثي وحزني
إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون وروي أنه سأل البشير كيف يوسف فقال هو ملك
مصر فقال ما أصنع بالملك على أي دين تركته قال على دين الإسلام قال الآن تمت النعمة سوف
أستغفر لكم قيل أخر الاستغفار إلى وقت السحر وقيل إلى ليلة الجمعة ليتحرى به
وقت الإجابة وقيل ليتعرف حالهم في صدق التوبة وإخلاصها وقيل أراد الدوام على
الاستغفار لهم فقد روي أنه كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة
وقيل قام إلى الصلاة في وقت السحر فلما فرغ رفع يديه وقال اللهم اغفر لي جزعي على
يوسف وقلة صبري عنه واغفر لولدي ما أتوا إلى أخيهم فأوحى الله إليه إن الله قد غفر
لك ولهم أجمعين وروي أنهم قالوا له وقد غلبتهم الكآبة ما يغني عنا عفوكما إن لم يعف
عنا ربنا فإن لم يوح إليك بالعفو فلا قرت لنا عين أبدا فاستقبل الشيخ القبلة قائما
يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما أذلة خاشعين عشرين سنة حتى
بلغ جهدهم وظنوا أنها الهلكة نزل جبريل فقال إن الله قد أجاب دعوتك في ولدك
وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة وقد اختلف في استنبائهم فلما دخلوا على يوسف
قيل وجه يوسف إلى أبيه جهازا ومائتي راحلة ليتجهز إليه بمن معه وخرج يوسف
والملك في أربعة آلاف من الجند والعظماء وأهل مصر بأجمعهم فتلقوا يعقوب عليه السلام
وهو يمشي يتوكأ على يهوذا فنظر إلى الخيل والناس فقال يا يهوذا أهذا فرعون مصر قال لا
هذا ولدك فلما لقيه قال يعقوب عليه السلام السلام عليك يا مذهب الأحزان وقيل
إن يوسف عليه السلام قال له لما التقيا يا أبه بكيت علي حتى ذهب بصرك ألم تعلم أن القيامة
تجمعنا قال بلى ولكن خشيت أن تسلب دينك فيحال بيني وبينك وقيل إن يعقوب وولده
دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون ما بين رجل وامرأة وخرجوا منها مع موسى ومقاتلتهم ألف
ستمائة ألف وخمسمائة وبضعة وسبعون رجلا سوى الذرية والهرمى وكانت الذرية
ألف ألف ومائتي ألف آوى إليه أبويه ضمهما إليه واعتنقهما قال ابن إسحاق كانت أمه تحيا
وقيل هما أبوه وخالته ماتت أمه فتزوجها وجعلها أحد الأبوين لأن الرابة تدعى أما
لقيامها مقام الأم أو لأن الخالة أم كما أن العم أب ومنه قوله وإله آبائك إبراهيم
وإسحاق فإن قلت ما معنى دخولهم عليه قبل دخولهم مصر قلت كأنه حين استقبلهم نزل
لهم في مضرب أو بيت ثم دخلوا عليه وضم إليه أبويه ثم قال لهم ادخلوا مصر إن شاء الله
آمنين ولما دخل مصر وجلس في مجلسه مستويا على سريره واجتمعوا إليه أكرم أبويه
فرفعهما على السرير وخروا له يعني الإخوة الأحد عشر والأبوين سجدا وقيل
يكون قد خرج في قبة من قباب الملوك التي تحمل على البغال فأمر أن يرفع إليه أبواه
فدخلا عليه القبة فآواهما إليه بالضم والاعتناق وقربهما منه وقال بعد ذلك
ادخلوا مصر فإن قلت بم تعلقت المشيئة قلت بالدخول مكيفا بالأمن لأن القصد
إلى اتصافهم بالأمن في دخولهم فكأنه قيل لهم اسلموا وآمنوا في دخولكم إن شاء الله
ونظيره قولك للغازي ارجع سالما غانما إن شاء الله فلا تعلق المشيئة بالرجوع
مطلقا ولكن مقيدا بالسلامة والغنيمة مكيفا بهما والتقدير ادخلوا مصر آمنين
إن شاء الله دخلتم آمنين ثم حذف الجزاء لدلالة الكلام عليه ثم اعترض بالجملة الجزائية

بين الحال وذي الحال ومن بدع التفاسير ان قوله ان شاء الله من باب التقديم والتاخير
وان موضعها ما بعد قوله سوف استغفر لكم ربي في كلام يعقوب وما ادري ما اقول
فيه وفي نظايره فان قلت كيف جاز لهم ان يسجدوا لغير الله عز وجل قلت كانت السجدة
عندهم جارية مجرى التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد ونحوها مما جرت
عليه عادة الناس من افعال شهرت في التعظيم والتوقير وقيل ما كانت الا انحنا
دون تعفير الجباه وخروا لهم سجدا اباه وقيل معناه وخروا لاجل يوسف لله سجدا
شكرا وهذا ايضا فيه نبوة تعالى احسن الي ربه وكذلك احسن الي وبه قال
اسيئي بنا او احسني لا ملومة من البدو من البادية لانهم كانوا اهل عمد واصحاب مواشي
ينتقلون في المياه والمناجع نزغ افسد بينا واغرى واصله من نخس الرايض الدابة
وحملها على الجري يقال نزغه ونسغه اذا نخسه لطيف لما يشاء لطيف التدبير لاجله
رفيق حتى يجي على وجه الحكمة والصواب وروي ان يوسف عليه السلام اخذ بيد يعقوب
وطاف به في خزاينه فادخله خزاين الورق والذهب وخزاين الحلي وخزاين الثياب
وخزاين السلاح وغير ذلك فلما ادخله خزاين القراطيس قال يا بني ما اعقك عندك هذه
القراطيس وما كتبت الي على ثمان مراحل قال امرني جبريل قال او ما تساله قال انت
ابسط اليه مني فساله قال جبريل عليه السلام امرني الله بذلك لقولك واخاف ان ياكله الذيب قال
فهلا خفتني وروي ان يعقوب عليه السلام اقام معه اربعا وعشرين سنة ثم مات واوصى ان
يدفنه بالشام الى جنب ابيه اسحق فمضى بنفسه ودفنه ثمة ثم عاد الى مصر
وعاش بعد ابيه ثلثا وعشرين سنة فلما تم امره وعلم انه لا يدوم له طلبت نفسه
الملك الدايم الخالد فتاقت نفسه اليه فتمنى الموت وقيل ما تمناه نبي قبله ولا بعده
فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم اهل مصر وتشاحوا في دفنه كل يحب ان يدفن في
محلتهم حتى هموا بالقتال فراوا من الراي ان عملوا له صندوقا من مرمر وجعلوه فيه
ودفنوه في النيل بمكان يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا كلهم فيه شرعا واحدا
وولد له افرايم وميشا وولد لافرايم نون ولنون يوشع فتى موسى ولقد توارثت
الفراعنة من العماليق بعده مصر ولم يزل بنو اسرائيل تحت ايديهم على بقايا دين يوسف
واباييه الى ان بعث الله موسى عليه السلام رب قد اتيتني من الملك ومن تاويل الاحاديث
للتبعيض لانه لم يوت الا بعض ملك الدنيا او بعض ملك مصر وبعض التاويل انت
وليي انت الذي يتولاني بالنعمة في الدارين ويوصل الملك الفاني بالملك الباقي
توفني مسلما طلب للوفاة على حال الاسلام ولان يختم له بالخير والحسنى كما قال
يعقوب عليه السلام لولده فلا تموتن الا وانتم مسلمون ويجوز ان يكون تمنيا للموت
على ما قيل والحقني بالصالحين من ابايي او على العموم وعن عمر بن عبد العزيز ان
ميمون بن مهران بات عنده فراه كثير البكا والمسالة للموت فقال له صنع الله على
يديك خيرا كثيرا احييت سننا وامت بدعا وفي حياتك خير وراحة للمسلمين
فقال افلا اكون كالعبد الصالح لما اقر الله عينه وجمع له امره قال توفني مسلما
والحقني بالصالحين فان قلت علام انتصب فاطر السموات قلت على انه وصف
لقوله رب كقولك اخا زيد حسن الوجه او على النداء ذلك اشارة الى ما سبق من

٤

نبا يوسف والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومحله الابتدا وقوله من انباء الغيب
نوحيه اليك خبران ويجوز ان يكون اسما موصولا بمعنى الذي ومن انباء الغيب صلته ونوحيه
الخبر والمعنى ان هذا النبا غيب لم تحصل لك الا من جهة الوحي لانك لم تحضر بني يعقوب
حين اجمعوا امرهم وهو القاوه في البير ولقوله اجمعوا ان يجعلوه في غيابات الجب
وهذا تهكم بقريش وبمن كذبه لانه لم يخف على احد من المكذبين انه لم يكن من حملة هذا
الحديث واشباهه ولا لقي فيها احدا ولا سمع منه ولم يكن من علم قومه فاذا اخبر به وقصه
هذا القصص العجيب الذي اعجز حملته ورواته لم يقع شبهة انه ليس منه وانه من جهة
الوحي فاذا انكروه تهكم بهم وقيل لهم قد علمتم يا مكابرة انه لم يكن مشاهدا لمن مضى من القرون
الخالية ونحوه وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وهم يمكرون بيوسف
ويبغون له الغوايل وما اكثر الناس يريد العموم كقوله ولكن اكثر الناس لا يومنون
وعن ابن عباس رضي الله عنه اراد اهل مكة اي وما هم بمومنين ولو حرصت وبالغت على
ايمانهم لتصميمهم على الكفر وعنادهم وما تسالهم على ما تحدثهم به وتذكرهم ان ينقلوك منفعة
وجدوى كما يعطي حملة الاحاديث والاخبار ان هو الا ذكر عظة من الله للعالمين عامة
وحث على طلب النجاة على لسان رسول من رسله من اية من علامة ودلالة على الخالق
وعلى صفاته وتوحيده يمرون عليها ويشاهدونها وهم معرضون عنها لا يعتبرون
بها وقري والارض بالرفع على الابتدا ويمرون عليها خبره وقرا السدي والارض بالنصب
على ويطوون الارض يمرون عليها وفي مصحف عبد الله والارض يمشون عليها برفع الارض
والمراد ما يرون من اثار الامم الهالكة وغير ذلك من العبر وما يومن اكثرهم في اقرارهم
بالله وبانه خلقه وخلق السموات والارض الا وهو مشرك بعبادة الوثن وعن الحسن
هم اهل الكتاب معهم شرك وايمان وعن ابن عباس هم الذين يشبهون الله بخلقه غاشية
نقمة تغشاهم وقيل ما يعمرهم من العذاب ويجللهم وقيل الصواعق هذه سبيلي هذه
السبيل التي هي الدعوة الى الايمان والتوحيد سبيلي والسبيل والطريق يذكران ويونثان
ثم فسر سبيله بقوله ادعوا الى الله على بصيرة اي ادعوا الى دينه مع حجة واضحة غير عميا
وانا تاكيد للمستتر في ادعوا ومن اتبعني عطف عليه يريد ادعوا اليها انا ويدعو اليها من
اتبعني ويجوز ان يكون انا مبتدا وعلى بصيرة خبرا مقدما ومن اتبعني عطفا على انا اخبارا
مبتدانا انه ومن اتبعه على حجة وبرهان لا على هوى ويجوز ان يكون على بصيرة حالا من ادعوا
عاملة الرفع في انا ومن اتبعني وسبحان الله وما انا من المشركين وما ارسلنا الا رجالا لا ملايكة لانهم
كانوا يقولون لو شا ربنا لانزل ملايكة وعن ابن عباس يريد ليست فيهم امراة وقيل
في سجاح المتنبية ولم تكن نبية هذي مونثة ولم يزل انباء الله ذكورا وقري يوحى
اليهم بالنون من اهل القرى لانهم اعلم واحلم واهل البوادي فيهم الجهل والجفا والقسوة
ولدار الاخرة ولدار الساعة او الحال الاخرة خير للذين اتقوا الله فلم يشركوا
به ولم يعصوه وقري افلا تعقلون بالياء والتا حتى متعلقة بمحذوف دل عليه الكلام
كانه قيل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا فتراخى نصرهم حتى اذا استيأسوا من النصر
وظنوا انهم قد كذبوا اي كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون او رجاهم لقولهم
رجا صادق ورجا كاذب والمعنى ان مدة التكذيب والعداوة من الكفار واستطار النعم
من الله وتامله قد تطاولت عليهم وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا ان لا

نصر لهم في الدنيا فجاءهم نصرنا فجاة من غير احتساب وعن ابن عباس وظنوا حين ضعفوا
وغلبوا انهم قد اخلفوا ما وعدهم الله من النصر وقال كانوا بشرا وتلا قوله وزلزلوا
حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله فان صح هذا عن ابن عباس فقد اراد
بالظن ما يخطر بالبال ويهجس في القلب من شبه الوسوسة وحديث النفس على ما عليه
البشرية واما الظن الذي هو ترجح احد الجانبين على الاخر فغير جائز على رجل
من المسلمين فما بال رسل الله الذين هم اعرف الناس بربهم وانه متعال عن خلف
الميعاد منزه عن كل قبيح وقيل وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوا اى اخلفوا
او وظن المرسل اليهم انهم كذبوا من جهة الرسل اى كذبتهم الرسل في انهم ينصرون
عليهم ولم يصدقوهم فيه وقرئ كذبوا بالتشديد على وظن الرسل انهم قد كذبتهم
قومهم فيما وعدوهم من العذاب والنصرة عليهم وقرا مجاهد كذبوا بالتخفيف على البناء
للفاعل على وظن الرسل انهم قد كذبوا فيما حدثوا به قومهم من النصرة اما على تأويل
ابن عباس واما على ان قومهم اذا لم يروا لموعدهم اثرا قالوا لهم انكم قد كذبتمونا
فيكونون كاذبين عند قومهم او وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوا او لو
قرئ بهذا مشددا لكان معناه وظن الرسل ان قومهم كذبوهم في موعدهم وقرئ
فننجي بالتخفيف والتشديد من انجاه ونجاه وقرئ فنجي على لفظ الماضي المبني للمفعول
وقرا ابن محيصن فنجا والمراد بمن نشاء المؤمنون لانهم الذين يستاهلون ان ينجاهم
وقد بين ذلك بقوله ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين الضمير في قصصهم للرسل وينصره
قراءة من قرأ في قصصهم بكسر القاف وقيل هو راجع الى يوسف واخوته عليهم
فان قلت الام يرجع الضمير في ما كان حديثا يفترى في من قرأ بالكسر قلت
الى القرآن اى ما كان القرآن حديثا يفترى ولكن كان تصديق الذي بين يديه اى قبله من
الكتب السماوية وتفصيل كل شيء يحتاج اليه في الدين لانه القانون الذي تستند اليه
السنة والاجماع والقياس بعد ادلة العقل وانتصاب تصديق ومن نصب فللعطف
على خبر كان وقرئ ذلك بالرفع على ولكن هو تصديق الذي بين يديه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم علموا ارقاءكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها
اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد
مسلما ۞ سورة الرعد مختلف فيها وهي خمس واربعون اية ۞
بسم الله الرحمن الرحيم المر تلك اشارة الى ايات السورة والمراد بالكتاب
السورة اى تلك الايات ايات السورة الكاملة العجيبة في بابها ثم قال والذي انزل
اليك من ربك من القرآن كله هو الحق الذي لا مزيد عليه لا هذه السورة وحدها وفي اسلوب
هذا الكلام قول الانمارية هم كالحلقة المفرغة لا يدرى اين طرفاها تريد الكملة
الله مبتدأ والذي خبره بدليل قوله وهو الذي مد الارض ويجوز ان يكون صفة
وقوله يدبر الامر يفصل الايات خبرا بعد خبر وينصره ما تقدم من ذكر الايات رفع
السموات بغير عمد ترونها كلام مستأنف استشهاد برؤيتهم لها كذلك وقيل
هو صفة لعمد ويعضده قراءة ابي ترونه وقرئ عمد بضمتين يدبر الامر يدبر امر ملكوته
وربوبيته يفصل الايات في كتبه المنزلة لعلكم بلقاء ربكم توقنون بالجزاء او بان هذا المدبر والمفصل
لا بد لكم من الرجوع اليه وقرا الحسن نفصل بالنون جعل فيها زوجين اثنين خلق فيها

من جميع انواع الثمرات زوجين زوجين حين مدها ثم تكاثرت بعد ذلك وتنوعت
وقيل اراد بالزوجين الاسود والابيض والحلو والحامض والصغير والكبير وما اشبه
ذلك من الاصناف المختلفة يغشي الليل النهار يلبسه مكانه فيصير اسود مظلما بعد
ما كان ابيض منيرا وقرئ يغشّي بالتشديد قطع متجاورات بقاع مختلفة مع كونها متجاورة
متلاصقة طيبة الى سبخة وكريمة الى زهيدة وصلبة الى رخوة وصالحة للزرع لا للشجر
الى اخرى عكسها مع انتظامها جميعا في جنس الارضية وذلك دليل على قادر مريد
موقع لافعاله على وجه دون وجه وكذلك الكروم والزروع والنخل النابتة في هذه
القطع مختلفة الاجناس والانواع وهي تسقى بماء واحد وتراها متغايرة الثمر في
الاشكال والالوان والطعوم والروائح متفاضلة فيها وفي بعض المتلاصقة وبعضها
متجاورات على وجعل وقرئ وجنات بالنصب للعطف على زوجين او بالجر على كل الثمرات
وقرئ وزرع ونخيل بالجر عطفا على اعناب او جنات والصنوان جمع صنو وهي
النخلة لها راسان واصلهما واحد وقرئ بالضم والكسر فالكسر لغة اهل الحجاز والضم
لغة تميم وقيس يسقى بالتاء والياء ونفضل بالنون والياء على البناء للفاعل والمفعول
في الاكل بضم الكاف وسكونها وان تعجب يا محمد من قولهم في انكار البعث فقولهم
عجيب حقيق بان يتعجب منه لان من قدر على انشاء ما عدد عليك من الفطر العظيمة ولم يعي
بخلقهن كانت الاعادة اهون شيء عليه وايسره فكان انكارهم اعجوبة من الاعاجيب
ءاذا كنا ترابا الى اخر قولهم يجوز ان يكون في محل الرفع بدلا من قولهم وان يكون منصوبا بالقول
واذا نصب بما دل عليه قوله انا لفي خلق جديد اولئك الذين كفروا بربهم اولئك الكاملون
المتمادون في كفرهم واولئك الاغلال في اعناقهم وصف بالاصرار كقوله انا جعلنا في اعناقهم
اغلالا ونحوه لهم عن الرشد اغلال واقياد او هو من جملة الوعيد بالسيئة قبل الحسنة
بالنقمة قبل العافية والاحسان اليهم بالامهال وذلك انهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يأتيهم العذاب استهزاء منهم بانذاره وقد خلت من قبلهم المثلات اى عقوبات امثالهم
من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها فلا يستهزءوا والمثلة العقوبة بوزن السمرة والمثلة
لما بين العقاب والمعاقب عليه من المماثلة وجزاء سيئة سيئة مثلها ويقال امثلت الرجل
من صاحبه واقصصته منه والمثال القصاص وقرئ المثلات بضمتين لاتباع الفاء
العين والمثلات بفتح الميم وسكون الثاء كما يقال السمرة والمثلات بضم الميم وسكون الثاء
تخفيف المثلات بضمتين والمثلات جمع مثلة كركبة وركبات لذو مغفرة للناس على ظلمهم
اى مع ظلمهم انفسهم بالذنوب ومحله الحال بمعنى ظالمين لانفسهم وفيه اوجه ان يريد
السيئات المكفرة لمجتنب الكبائر او الكبائر بشرط التوبة او يريد بالمغفرة الستر والامهال
وروي انها لما نزلت قال النبي صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزه ما هنا احدا العيش
ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد لولا انزل عليه اية من ربه لم يعتدوا بالايات المنزلة
على رسول الله صلى الله عليه وسلم عنادا فاقترحوا نحو ايات موسى وعيسى من انقلاب العصا حية
واحياء الموتى فقيل لرسول الله انما انت رجل ارسلت منذرا مخوفا لهم من سوء العاقبة
وناصحا كغيرك من الرسل وما عليك الا الاتيان بما يصح به انك رسول منذر وصحة
ذلك حاصلة باية اية كانت والايات كلها سواء في حصول صحة الدعوى بعينها لا تفاوت

والذي كل شي عنده بمقدار تعطى كل نبي اية على حسب ما اقتضاه علمه بالمصالح وتقديره
لها ولكل قوم هاد من الانبيا يهديهم الى الدين ويدعوهم الى الله بوجه من الهداية
واية خص بها ولم يجعل الانبيا شرعا واحدا في ايات مخصوصة ووجه اخر وهو ان
يكون المعنى انهم يجحدون كون ما انزل عليك ايات ويعاندون ولا يهمنك ذلك
انما انت منذر ما عليك الا ان تنذر لا ان تثبت الايمان في صدورهم ولست بقادر
عليه ولكل قوم هاد قادر على هدايتهم بالالجا وهو الله تعالى ولقد دل بما اردفه
من ذكر ايات علمه وتقديره الاشيا على قضايا حكمته ان اعطاه كل منذر ايات
خلاف ايات غيره امر مدبر بالعلم النافذ مقدر بالحكمة الربانية ولو علم في اجابتهم
الى مقترحهم خيرا ومصلحة لاجابهم اليه واما على الوجه الثاني فقد دل به ان من هذه
قدرته وهذا علمه هو القادر وحده على هدايتهم العالم باي طريق يهديهم ولا
سبيل الى ذلك لغيره الله يعلم يحتمل ان يكون كلاما مستانفا وان يكون المعنى
هو الله تفسيرا لهاد على الوجه الاخير ثم ابتدى فقيل يعلم ما تحمل كل انثى وما في
ما تحمل وما تغيض وما تزداد اما موصولة واما مصدرية فان كانت موصولة
فالمعنى انه يعلم ما تحمله من الولد على اي حال هو من ذكورة وانوثة وتمام وخداج
وحسن وقبح وطول وقصر وغير ذلك من الاحوال الحاضرة والمترقبة ويعلم ما تغيضه
الارحام اي تنقصه يقال غاض الما وغضته انا ومنه قوله تعالى وغيض الما وما
تزداده اي تاخذه زائدا تقول اخذت منه حقي وازددت منه كذا ومنه قوله تعالى
وازدادوا تسعا ويقال زدته فزاد بنفسه وازداد ومما تنقصه الرحم وتزداده
عدد الولد فانها تشتمل على واحد وقد تشتمل على اثنين وثلثة واربعة ويروى
ان شريكا كان رابع اربعة في بطن امه ومنه جسد الولد فانه قد يكون تاما
ومخدجا ومنه مدة ولادته فانها تكون اقل من تسعة اشهر وازيد عليها الى
سنتين عند ابي حنيفة والى اربع عند الشافعي والى خمس عند مالك وقيل ان الضحاك
ولد لسنتين وهرم بن حيان بقي في بطن امه اربع سنين ولذلك سمي هرما ومنه
الدم فانه يقل ويكثر وان كانت مصدرية فالمعنى انه يعلم حمل كل انثى ويعلم غيض
الارحام وازديادها لا يخفى عليه شي من ذلك ومن اوقاته واحواله ويجوز ان يراد
غووص ما في الارحام وزيادته فاسند الفعل الى الارحام وهو لما فيها على ان
الفعلين غير متعديين ويعضده قول الحسن الغيضوضة ان تضع لثمانية اشهر
او اقل من ذلك والازدياد ان تزيد على تسعة اشهر وعنه الغيض الذي يكون
سقطا لغير تمام والازدياد ما ولد لتمام بمقدار بقدر وحد لا يجاوزه ولا ينقص عنه
كقوله انا كل شي خلقناه بقدر الكبير العظيم الشان الذي كل شي دونه المتعالي
المستعلي على كل شي بقدرته او الذي كبر عن صفات المخلوقين وتعالى عنها سارب
ذاهب في سربه بالفتح اي في طريقه ووجهه يقال سرب في الارض سروبا والمعنى
سواء عنده من استخفى اي طلب الخفا في مختبا بالليل في ظلمته ومن يضطرب في الطرقات
ظاهرا بالنهار يبصره كل احد فان قلت كان حق العبارة ان يقال ومن هو
مستخف بالليل ومن هو سارب بالنهار حتى يتناول معنى الاستوا المستخفي والسارب

والا فقد تناول واحدا هو مستخف وسارب قلت فيه وجهان احدهما ان قوله
وسارب عطف على من هو مستخف لا على مستخف والثاني انه عطف على مستخف الا ان من
في معنى الاثنين كقوله نكن مثل من يا ذيب يصطحبان كانه قيل سواء منكم اثنان
مستخف بالليل وسارب بالنهار والضمير في له مردود على من كانه قيل لمن اسر
ومن جهر ومن استخفى ومن سرب معقبات جماعات من الملائكة تعتقب في حفظه
وكلائه والاصل معتقبات فادغمت التاء في القاف كقوله وجاء المعذرون بمعنى المعتذرون
ويجوز معقبات بكسر العين ولم يقرأ به او هو مفعلات من عقبه اذا جاء على عقبه
كما يقال قفاه لان بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون ما يتكلم به فيكتبونه يحفظونه
من امر الله هما صفتان جميعا وليس من امر الله بصلة للحفظ كانه قيل له معقبات
من امر الله او يحفظونه من اجل امر الله اي من اجل ان الله امرهم بحفظه والدليل
عليه قراءة علي وابن عباس وزيد بن علي وجعفر بن محمد وعكرمة يحفظونه بامر الله
او يحفظونه من باس الله ونقمته اذا اذنب بدعائهم له ومسئلتهم ربهم ان يمهله رجاء
ان يتوب وينيب كقوله قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن وقيل المعقبات الحرس
والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه وتقديره من امر الله اي من قضاياه
ونوازله او على التهكم به وقرئ له معاقيب جمع معقب او معقبة والياء عوض
من حذف احدى القافين في التكسير ان الله لا يغير ما بقوم من العافية والنعم
حتى يغيروا ما بانفسهم من الحال الجميلة بكثرة المعاصي من وال ممن يلي امرهم
ويدفع عنهم خوفا وطمعا لا يصح ان يكونا مفعولا لهما لانهما ليسا بفعل فاعل الفعل
المعلل الا على تقدير حذف المضاف اي ارادة خوف وطمع او على معنى اخافة واطماعا
ويجوز ان يكونا منتصبين على الحال من البرق كانه في نفسه خوف وطمع او على
ذا خوف وذا طمع او من المخاطبين اي خائفين وطامعين ومعنى الخوف والطمع
ان وقوع الصواعق يخاف عند لمع البرق ويطمع في الغيث قال ابو الطيب
فتى كالسحاب الجون يخشى ويرتجى يرجى الحيا منها ويخشى الصواعق وقيل
يخاف المطر من له فيه ضرر كالمسافر ومن في جرينه التمر والزبيب ومن له بيت
يكف ومن البلاد ما لا ينتفع اهله بالمطر كاهل مصر ويطمع فيه من له فيه نفع
ويحيا به والسحاب اسم الجنس والواحدة سحابة والثقال جمع ثقيلة لانك تقول
سحابة ثقيلة وسحاب ثقال كما تقول امراة كريمة ونسا كرام وهي الثقال بالما ويسبح
الرعد بحمده ويسبح سامعو الرعد من العباد الراجين للمطر حامدين له اي
يضجون بسبحان الله والحمد لله وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول سبحان من
يسبح الرعد بحمده وعن علي رضي الله عنه سبحان من سبحت له واذا اشتد الرعد
قال رسول الله اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل
ذلك وعن ابن عباس ان اليهود سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد ما هو فقال
ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب وعن الحسن
خلق من خلق الله ليس بملك ومن بدع المتصوفة الرعد صعقات الملائكة والبرق
زفرات افيدتهم والمطر بكاؤهم والملائكة من خيفته ويسبح الملائكة من

هيبته واجلاله ذكر علمه النافذ في كل شي واستوآ الظاهر والخفي عنده وما دل على
قدرته الباهرة ووحدانيته ثم قال وهم يعني الذين كفروا وكذبوا رسول الله وانكروا
اياته يجادلون في الله حيث يكذبون على رسوله ما يصفه به من القدرة على البعث واعادة
الخلائق بقولهم من يحيي العظام وهي رميم ويردون الوحدانية باتخاذ الشركاء والانداد
ويجعلونه بعض الاجسام المتوالدة بقولهم الملائكة بنات الله فهذا جدالهم بالباطل كقوله
وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق وقيل الواو للحال اي فيصيب بها من يشاء في حال
جدالهم وذلك ان اربد اخا لبيد بن ربيعة العامري قال لرسول الله حين وفد عليه
مع عامر بن الطفيل قاصدين لقتله فرمى الله عامرا بغدة كغدة البعير وموت في بيت
سلولية وارسل على اربد صاعقة فقتله اخبرني عن ربنا امن نحاس هو ام من حديد
المحال المماحلة وهي شدة المماكرة والمكايدة ومنه تمحل لكذا اذا تكلف استعمال
الحيلة واجتهد فيه ومحل بفلان اذا كاده وسعى به الى السلطان ومنه الحديث
ولا تجعله علينا ماحلا مصدقا وقال الاعشى فرع نبع يهتز في غصن المجد غزير الندى
شديد المحال والمعنى انه شديد المكر والكيد لاعدائه ياتيهم بالهلكة من حيث لا
يحتسبون وقرا الاعرج بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول محالا اذا احتال ومنه احول
من ذيب اي اشد حيلة ويجوز ان يكون المعنى شديد الفقار ويكون مثلا في القوة والقدرة
كما جاء فساعد الله اشد وموساه احد لان الحيوان اذا اشتد محاله كان منعوتا بشدة
القوة والاضطلاع بما يعجز عنه غيره الا ترى الى قولهم فقرته الفواقر وذلك ان الفقار عمود
الظهر وقوامه دعوة الحق فيها وجهان احدهما ان تضاف الدعوة الى الحق الذي هو
نقيض الباطل كما تضاف الكلمة اليه في قولك كلمة الحق للدلالة على ان الدعوة ملابسة
للحق مختصة به وانها بمعزل من الباطل والمعنى ان الله سبحانه يدعى فيستجيب الدعوة
ويعطي الداعي سؤله ان كان مصلحة له فكانت دعوة ملابسة للحق لكونه حقيقا بان يوجه
اليه الدعا لما في دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا ينفع ولا يجدي دعاوه
والثاني ان تضاف الى الحق الذي هو الله عز وجل على معنى دعوة المدعو الحق الذي يسمع
فيجيب وعن الحسن رحمه الله الحق هو الله وكل دعا اليه دعوة الحق فان قلت ما وجه
اتصال هذين الوصفين بما قبله قلت اما على قصة اربد فظاهر لان اصابته بالصاعقة
محال من الله ومكر به من حيث لم يشعر وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وعلى صاحبه بقوله
اللهم اخسفهما بما شئت فاجيب فيهما فكانت الدعوة دعوة حق واما على الاول فوعيد
للكفرة على مجادلتهم رسول الله بحلول محاله بهم واجابة دعوة رسول الله ان دعا عليهم
فيهم والذين يدعون والالهة الذين يدعوهم الكفار من دون الله لا يستجيبون لهم
بشي من طلباتهم الا كباسط كفيه الا استجابة كاستجابة باسط كفيه اي كاستجابة الماء
من بسط كفيه اليه يطلب منه ان يبلغ فاه والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه
ولا حاجته اليه ولا يقدر ان يجيب دعاءه ويبلغ فاه وكذلك ما يدعونه جماد لا يحس
بدعائهم ولا يستطيع اجابتهم ولا يقدر على نفعهم وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم
لالهتهم بمن اراد ان يغرف الماء بيديه ليشربه فبسطهما ناشرا اصابعه فلم تلق كفاه
منه شيا ولم يبلغ طلبته من شربه وقرئ يدعون بالتا كباسط كفيه بالتنوين

الا في ضلال الا في ضياع لا منفعة فيه لانهم ان دعوا الله لم يجبهم وان دعوا الالهة لم
يستطع اجابتهم ولله يسجد اي ينقادون لاحداث ما اراده فيهم من افعاله شاوا
او ابوا لا يقدرون ان يمتنعوا عليه وتنقاد له ظلالهم ايضا حيث تتصرف على مشيته
في الامتداد والتقلص والفي والزوال وقرئ بالغدو والايصال من اصلوا اذا دخلوا
في الاصيل قل الله حكاية لاعترافهم وتاكيد له عليهم لانه اذا قال لهم من رب السموات
والارض لم يكن لهم بد من ان يقولوا الله كقوله قل من رب السموات السبع ورب العرش
العظيم سيقولون الله وهذا كما يقول المناظر لصاحبه اهذا قولك فاذا قال هذا
قولي قال هذا قولك فيحكي قوله اقراره تقريرا له عليه واستيثاقا منه ثم يقول له فيلزمك
على هذا القول كيت وكيت ويجوز ان يكون تلقينا اي ان كع عن الجواب فلقنهم فانهم يتلقنونه
ولا يقدرون ان ينكروه افاتخذتم من دونه اولياء بعد ان علمتموه رب السموات والارض
اتخذتم من دونه اوليا فجعلتم ما كان يجب ان يكون سبب التوحيد من علمكم واقراركم
سبب الاشراك لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا لا يستطيعون لانفسهم ان ينفعوها
او يدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعونه لغيرهم وقد اثرتموهم على الخالق الرازق المثيب
المعاقب فما ابين ضلالتكم ام جعلوا بل اجعلوا ومعنى الهمزة الانكار وخلقوا صفة
لشركا يعني انهم لم يتخذوا لله شركا خالقين قد خلقوا مثل خلق الله فتشابه عليهم
خلق الله وخلقهم حتى يقولوا قدر هولاء على الخلق كما قدر الله عليه فاستحقوا
العبادة فنتخذهم له شركا ونعبدهم كما يعبد اذ لا فرق بين خالق وخالق ولكنهم
اتخذوا له شركا عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا ان يقدروا على ما
يقدر عليه الخالق قل الله خالق كل شي لا خالق غير الله ولا يستقيم ان يكون له
شريك في الخلق فلا يكون له شريك في العبادة وهو الواحد المتوحد بالربوبية
القهار لا يغالب وما عداه مربوب ومقهور وهذا مثل ضربه الله للحق واهله
والباطل وحزبه كما ضرب الاعمى والبصير والظلمات والنور مثلا لهما فمثل الحق
واهله بالما الذي ينزل من السما فتسيل به اوديه الناس فيحيون به وينفعهم انواع
المنافع وبالفلز الذي ينتفعون به في صوغ الحلي منه واتخاذ الاواني والالات المختلفة
ولو لم يكن الا الحديد الذي فيه الباس الشديد لكفى به وان ذلك ماكث في الارض
باق بقاء ظاهرا يثبت الماء في منافعه وتبقى اثاره في العيون والابار والحبوب والثمار
التي تنبت به مما يدخر ويكنز وكذلك الجواهر تبقى ازمنة متطاولة وشبه الباطل في
سرعة اضمحلاله ووشك زواله وانسلاخه عن المنفعة بزبد السيل الذي يرمي به
وبزبد الفلز الذي يطفو فوقه اذا اذيب فان قلت لم نكرت الاودية قلت
لان المطر لا ياتي الا على طريق المناوبة بين البقاع فيسيل بعض اودية الارض
دون بعض فان قلت فما معنى قوله بقدرها قلت بمقدارها الذي عرف الله
انه نافع للممطور عليهم غير ضار الا ترى الى قوله واما ما ينفع الناس لانه ضرب
المطر مثلا للحق فوجب ان يكون مطرا خالصا للنفع خاليا من المضرة ولا يكون
كبعض الامطار والسيول الجواحف فان قلت فما فايدة قوله ابتغاء حلية او متاع
قلت الفايدة فيه كالفايدة في قوله يوقدون عليه لانه جمع الماء والفلز في النفع

قوله واما ما ينفع الناس كان المعنى واما ما ينفعهم من الماء والفلز فذكر وجه الانتفاع
بما يوقد عليه منه وبذلك في هو الحلية والمتاع وقوله مما يوقدون عليه في النار ابتغاء
حلية او متاع عبارة جامعة لانواع الفلز مع اظهار الكبرياء في ذكره على وجه التهاون
به كما هو هجيرى الملوك نحو ما جاء في ذكر الاجر وقد لي يا هامان على الطين ومن لابتداء
الغاية اي ومنه ينشأ زبد مثل زبد الماء او للتبعيض بمعنى وبعضه زبد رابيا
منتفخا مرتفعا على وجه السيل جفاء جفاه السيل اي رمى به وجفأت القدر
بزبدها واجفأ السيل واجفل وفي قراءة رؤبة بن العجاج جفالا وعن ابي حاتم لا
يقرأ بقراءة رؤبة لانه كان يأكل الفار وقرئ يوقدون بالياء اي يوقد الناس للذين
استجابوا اللام متعلقة بيضرب اي كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين الذين استجابوا
وللكافرين الذين لم يستجيبوا اي هما مثلا الفريقين والحسنى صفة لمصدر استجابوا
اي استجابوا الاستجابة الحسنى وقوله لو ان لهم كلام مبتدأ في ذكر ما اعد لغير
المستجيبين وقيل قد تم الكلام عند قوله كذلك يضرب الله الامثال وما بعده كلام
مستأنف والحسنى مبتدأ خبره للذين استجابوا والمعنى لهم المثوبة الحسنى وهي الجنة
والذين لم يستجيبوا مبتدأ خبره لو مع ما في حيزه وسوء الحساب المناقشة فيه وعن
النخعي ان يحاسب الرجل بذنبه كله لا يغفر منه شيء دخلت همزة الانكار على الفاء
في قوله افمن يعلم لانكار ان تقع شبهة بعد ما ضرب من المثل في ان حال من علم
ان ما انزل اليك من ربك الحق فاستجاب بمعزل من حال الجاهل الذي لم يستبصر فيستجيب
كبعد ما بين الزبد والماء والخبث والابريز انما يتذكر اولوا الالباب اي الذين عملوا على
قضيات عقولهم فنظروا واستبصروا الذين يوفون بعهد الله مبتدأ واولئك لهم عقبى
الدار خبره كقوله والذين ينقضون عهد الله اولئك لهم اللعنة ويجوز ان يكون
صفة لاولي الالباب والاول اوجه وعهد الله عز وجل ما عقدوه على انفسهم من
الشهادة بربوبيته واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى ولا ينقضون الميثاق
ولا ينقضون كل ما وثقوه على انفسهم وقبلوه من الايمان بالله عز وجل وغيره من
المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد تعميم بعد تخصيص ما امر الله به ان يوصل
من الارحام والقرابات ويدخل فيه قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرابة
المؤمنين الثابتة بسبب الايمان انما المؤمنون اخوة بالاحسان اليهم على حسب الطاقة
ونصرتهم والذب عنهم والشفقة عليهم والنصيحة لهم وطرح التفرقة بين انفسهم وبينهم
وافشاء السلام عليهم وعيادة مرضاهم وشهود جنائزهم ومنه مراعاة حق
الاصحاب والخدم والجيران والرفقاء في السفر وكل ما تعلق منهم بسبب
حتى الهرة والدجاجة وعن الفضيل بن عياض ان جماعة دخلوا عليه بمكة
فقال من اين انتم قالوا من اهل خراسان قال اتقوا الله وكونوا من حيث شئتم واعلموا
ان العبد لو احسن الاحسان كله وكانت له دجاجة فاساء اليها لم يكن من المحسنين
ويخشون ربهم اي يخشونه وعيده كله ويخافون خصوصا سوء الحساب فيحاسبون
انفسهم قبل ان يحاسبوا صبروا مطلق فيما يصبر عليه من المصائب في النفوس
والاموال ومشاق التكليف ابتغاء وجه الله لا ليقال ما اصبره واحمله للنوازل

واوقره عند الزلازل ولا لئلا يعاب بالجزع ولئلا يشمت به الاعداء كقوله وتجلدي للشامتين
ولا لانه لا طائل تحت الهلع ولا مرد فيه للفائت كقوله ما ان جزعت ولا هلعت ولا يرد
بكاي زندا هو وكل عمل له وجوه يعمل عليها فعلى المؤمن ان ينوي منها ما به كان حسنا عند الله
والا لم يستحق به ثوابا وكان فعلا كلا فعل مما رزقناهم من الحلال لان الحرام لا يكون رزقا
ولا يسند الى الله عز وجل سرا وعلانية يتناول النوافل لانها في السر افضل والفرائض
لوجوب المجاهرة بها نفيا للتهمة ويدرءون بالحسنة السيئة ويدفعونها عن ابن عباس رضي
الله عنه يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سيء غيرهم وعن الحسن رضي الله عنه
اذا حرموا اعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا وعن ابن كيسان اذا اذنبوا تابوا
وقيل اذا رأوا منكرا امروا بتغييره عقبى الدار عاقبة الدنيا وهي الجنة لانها التي اراد
الله ان تكون عاقبة الدنيا ومرجع اهلها جنات عدن بدل من عقبى الدار وقرئ فنعم
بفتح النون والاصل نعم فمن كسر النون فلنقل كسرة العين اليها ومن فتح فقد سكن
العين ولم ينقل وقرئ يدخلونها على البناء للمفعول وقرأ ابن ابي عبلة صلح بضم اللام والفتح
افصح اعلم تعالى ان الانساب لا تنفع اذا تجردت من الاعمال الصالحة وآباؤهم جمع ابوي
كل واحد منهم فكانه قيل من آبائهم وامهاتهم سلام عليكم في موضع الحال لان المعنى
قائلين سلام عليكم او مسلمين فان قلت بم تعلق قوله بما صبرتم قلت بمحذوف تقديره
هذا بما صبرتم يعنون هذا الثواب بسبب صبركم او بدل ما احتملتم من مشاق الصبر ومتاعبه
هذه الملاذ والنعم والمعنى لئن تعبتم في الدنيا لقد استرحتم الساعة كقوله
بما قد ارى فيها اوانس بدنا وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يأتي قبور الشهداء على رأس
كل حول فيقول سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ويجوز ان يتعلق بسلام اي نسلم
عليكم ونكرمكم بصبركم من بعد ميثاقه من بعد ما اوثقوه به من الاعتراف والقبول سوء الدار
يحتمل ان يراد سوء عاقبة الدار الدنيا لانه في مقابلة عقبى الدار ويجوز ان يراد بالدار جهنم
وبسوئها عذابها الله يبسط الرزق اي الله وحده هو يبسط الرزق ويقدره دون غيره
وهو الذي بسط رزق اهل مكة ووسعه عليهم وفرحوا بالحياة الدنيا وفرحوا بما بسط
لهم من الدنيا فرح بطر واشر لا فرح سرور بفضل الله وانعامه عليهم ولم يقابلوه بالشكر
حتى يستوجبوا نعيم الآخرة وخفي عليهم ان نعيم الدنيا في جنب نعيم الآخرة ليس الا شيئا نزرا
يتمتع به كعجالة الراكب وهي ما يتعجله من تميرات او شربة سويق او نحو ذلك فان قلت
كيف طابق قولهم لولا انزل عليه آية من ربه قوله قل ان الله يضل من يشاء قلت هو كلام
يجري مجرى التعجب من قولهم وذلك ان الآيات الباهرة المتكاثرة التي اوتيها رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم يؤتها نبي قبله وكفى بالقرآن وحده آية وراء كل آية فاذا جحدوها ولم يعتدوا بها
وجعلوه كان آية لم ينزل عليه قط كان موضعا للتعجب والاستنكار فكانه قيل لهم
ما اعظم عنادكم وما اشد تصميمكم على كفركم ان الله يضل من يشاء من كان على صفتكم
من التصميم وشدة الشكيمة في الكفر فلا سبيل الى اهتدائهم وان انزلت كل آية
ويهدي اليه من كان على خلاف صفتكم اناب اقبل الى الحق وحقيقته دخل في نوبة الخير
والذين آمنوا بدل ممن اناب وتطمئن قلوبهم بذكر الله بذكر رحمته ومغفرته بعد القلق

والاضطراب من خشيته كقوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله او تطمئن بذكر الله
الدال على وحدانيته او تطمئن بالقرآن لانه معجزة بينة تسكن القلوب وتثبت اليقين فيها
الذين آمنوا مبتدأ طوبى لهم خبره ويجوز ان يكون بدلا من القلوب على تقدير حذف المضاف
اي تطمئن القلوب قلوب الذين آمنوا وطوبى مصدر من طاب كبشرى وزلفى ومعنى طوبى
لك اصبت خيرا وطيبا ومحلها النصب او الرفع كقولك طيبا لك وطيب لك وسلاما
لك وسلام لك والقراءة في قوله وحسن مآب بالرفع والنصب تدلك على محليها
واللام في لك للبيان مثلها في سقيا لك والواو في طوبى منقلبة عن ياء لضمة ما قبلها
كموقن وموسر وقرأ مكوزة الاعرابي طيبى لهم فكسر الطاء لتسلم الياء كما قيل بيض
ومعيشة كذلك ارسلناك مثل ذلك الارسال ارسلناك يعني ارسلناك ارسالا
له شان وفضل على سائر الارسالات ثم فسر كيف ارسله فقال في امة قد خلت من
قبلها امم اي ارسلناك في امة قد تقدمتها امم كثيرة فهي آخر الامم وانت خاتم الانبياء
لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك لتقرأ عليهم الكتاب العظيم الذي اوحينا اليك وهم
يكفرون وحال هؤلاء انهم يكفرون بالرحمن بالبليغ الرحمة الذي وسعت رحمته كل شيء
وما بهم من نعمة فمنه فكفروا نعمته في ارسال مثلك اليهم وانزال هذا القرآن المعجز
المصدق لسائر الكتب عليهم قل هو ربي الواحد المتعالي عن الشركاء عليه توكلت في
نصرتي عليكم واليه متاب فيثيبني على مصابرتكم ومجاهدتكم ولو ان قرآنا جوابه
محذوف كما تقول لغلامك لو اني قمت اليك وتترك الجواب والمعنى ولو ان قرآنا سيرت به
الجبال عن مقارها وزعزعت عن مضاجعها او قطعت به الارض حتى تتصدع
وتتزايل قطعا او كلم به الموتى فتسمع وتجيب لكان هذا القرآن لكونه غاية في التذكير
ونهاية في الانذار والتخويف كما قال لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا
متصدعا من خشية الله وهذا يعضد ما فسرت به قوله لتتلو عليهم الذي اوحينا
اليك من ارادة تعظيم ما اوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن وقيل معناه ولو
ان قرآنا وقع به تسيير الجبال وتقطيع الارض وتكليم الموتى وتنبيههم لما آمنوا به
ولما تنبهوا عليه كقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الآية وقيل ان ابا جهل ابن
هشام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم سير بقرآنك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا
فنتخذ فيها البساتين والقطائع كما سخرت لداود ان كنت نبيا كما تزعم فلست باهون
على الله من داود او سخر لنا به الريح لنركبها ونتجر الى الشام ثم نرجع في يومنا فقد
شق علينا قطع الشقة البعيدة كما سخرت لسليمان او ابعث لنا به رجلين او ثلاثة ممن
مات من آبائنا منهم قصي بن كلاب فنزلت ومعنى تقطيع الارض على هذا قطعها
بالسير ومجاوزتها وعن الفراء هو متعلق بما قبله والمعنى وهم يكفرون بالرحمن ولو ان
قرآنا سيرت به الجبال وما بينهما اعتراض وليس ببعيد من السداد وقيل قطعت
به الارض شققت فجعلت انهارا وعيونا بل لله الامر جميعا على معنيين احدهما بل لله
القدرة على كل شيء وهو قادر على الآيات التي اقترحوها الا ان علمه بان اظهارها
مفسدة يصرفه والثاني بل لله ان يلجئهم الى الايمان وهو قادر على الالجاء لولا انه

بني امر

بنى امر التكليف على الاختيار ويعضده قوله افلم ييأس الذين آمنوا ان لو يشاء الله يعني
مشيئة القسر والالجاء لهدى الناس جميعا ومعنى افلم ييأس افلم يعلم قيل هي لغة قوم
من النخع وقيل انما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمنه معناه لان اليائس عن الشيء
عالم بانه لا يكون كما استعمل الرجاء في معنى الخوف والنسيان في معنى الترك لتضمن ذلك
قال سحيم بن وثيل الرياحي اقول لهم بالشعب اذ ييسرونني الم تيأسوا اني ابن فارس زهدم
ويدل عليه ان عليا وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم
اجمعين قرؤا افلم يتبين وهو تفسير افلم ييأس وقيل انما كتبه الكاتب وهو ناعس
مستوي السينات وهذا ونحوه مما لا يصدق في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من
بين يديه ولا من خلفه وكيف يخفى مثل هذا حتى يبقى ثابتا بين دفتي الامام وكان
متقلبا في ايدي اولئك الاعلام المحتاطين في دين الله المهيمنين عليه لا يغفلون
عن جلائله ودقائقه خصوصا عن القانون الذي اليه المرجع والقاعدة التي عليها
البناء هذه والله فرية ما فيها مرية ويجوز ان يتعلق ان لو يشاء الله بآمنوا على اولم
يقنط عن الايمان هؤلاء الكفرة الذين آمنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولهداهم
تصيبهم بما صنعوا من كفرهم وسوء اعمالهم قارعة داهية تقرعهم بما يحل الله بهم في
كل وقت من صنوف البلايا والمصائب في نفوسهم واولادهم واموالهم او تحل القارعة
قريبا منهم فيفزعون ويضطربون ويتطاير اليهم شرارها ويتعدى اليهم شرورها
حتى يأتي وعد الله وهو موتهم او القيامة وقيل ولا يزال كفار مكة تصيبهم بما
صنعوا برسول الله من العداوة والتكذيب قارعة لان رسول الله كان لا يزال يبعث
السرايا فيغير حول مكة ويختطف منهم ويصيب من مواشيهم او تحل انت يا محمد
قريبا من دارهم بجيشك كما حل بالحديبية حتى يأتي وعد الله وهو فتح مكة وكان
الله قد وعده ذلك الاملاء الامهال وان يترك ملاوة من الزمان في خفض وامن
كالبهيمة يملى لها في المرعى وهذا وعيد لهم وجواب عن اقتراحهم الآيات على رسول الله صلى الله عليه وسلم
استهزاء به وتسلية له افمن هو قائم احتجاج عليهم في اشراكهم بالله يعني افالله
الذي هو قائم رقيب على كل نفس صالحة او طالحة بما كسبت يعلم خيره وشره ويعد
لكل جزاءه كمن ليس كذلك ويجوز ان يقدر ما يقع خبرا للمبتدأ ويعطف عليه وجعلوا
ومثاله افمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه وجعلوا له وهو الله الذي يستحق العبادة
وحده شركاء قل سموهم اي جعلتم له شركاء فسموهم له من هم ونبئوه باسمائهم ثم قال
ام تنبئونه على ام المنقطعة كقولك للرجل قل لي من زيد ام هو اقل من ان يعرف
ومعناه بل اتنبئونه بشركاء لا يعلمهم في الارض وهو العالم بما في السموات والارض فاذا
لم يعلمهم علم انهم ليسوا بشيء يتعلق به العلم والمراد نفي ان يكون له شركاء ونحوه
قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض ام بظاهر من القول بل اتسمونهم
شركاء بظاهر من القول من غير ان يكون لذلك حقيقة كقوله ذلك قولهم بافواههم
ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها وهذا الاحتجاج واساليبه العجيبة التي
ورد عليها مناد على نفسه بلسان طلق ذلق انه ليس من كلام البشر لمن عرف
وانصف من نفسه فتبارك الله احسن الخالقين وقرئ اتنبئونه بالتخفيف مكرهم

كيدهم للاسلام بشركهم وصدوا وقرئ بالحركات الثلاث وقرأ ابن ابي اسحق وصدٌّ بالتنوين
ومن يضلل الله ومن يخذله لعلمه انه لا يهتدي فما له من هاد فما له من احد يقدر
على هدايته لهم عذاب في الحيوة الدنيا وهو ما ينالهم من القتل والاسر وسائر
المحن ولا يلحقهم الا عقوبة لهم على الكفر ولذلك سماه عذابا وما لهم من الله من
واق وما لهم من حافظ من عذاب الله او ما لهم من جهته واق من رحمته مثل الجنة
صفتها التي هي في غرابة المثل وارتفاعه بالابتداء والخبر محذوف على مذهب
سيبويه اي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة جنة تجري وقال غيره الخبر تجري
من تحتها الانهار كما تقول صفة زيد اسمر وقال الزجاج معناه مثل الجنة
جنة تجري من تحتها الانهار على حذف الموصوف تمثيلا لما غاب عنا بما نشاهد
وقرأ علي رضي الله عنه امثال الجنة على الجمع اي صفاتها اكلها دائم كقوله
لا مقطوعة ولا ممنوعة وظلها دائم لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس
والذين آتيناهم الكتاب يريد من اسلم من اليهود كعبد الله بن سلام وكعب
واصحابهما ومن اسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران واثنان
وثلثون بارض الحبشة وثمانية بالشام هؤلاء يفرحون بما انزل اليك ومن
الاحزاب يعني ومن احزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله بالعداوة
نحو كعب بن الاشرف واصحابه والسيد والعاقب اسقفي نجران واشياعهما
من ينكر بعضه لانهم كانوا لا ينكرون الاقاصيص وبعض الاحكام والمعاني مما
هو ثابت في كتبهم غير محرف وكانوا ينكرون ما هو نعت الاسلام ونعت رسول الله
وغير ذلك مما حرفوه وبدلوه من الشرائع فان قلت كيف اتصل قوله
قل انما امرت ان اعبد الله بما قبله قلت هو جواب للمنكرين معناه قل انما امرت
فيما انزل الي بان اعبد الله ولا اشرك به فانكاركم له انكار لعبادة الله وتوحيده
فانظروا ماذا تنكرون مع ادعائكم وجوب عبادة الله وان لا يشرك به قل يا اهل الكتاب
تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا وقرأ نافع
في رواية ابي خليد ولا اشركُ به بالرفع على الاستئناف كأنه قال وانا لا اشرك
به ويجوز ان يكون في موضع الحال على معنى امرت ان اعبد الله غير مشرك به
اليه ادعوا خصوصا لا ادعو الى غيره واليه لا الى غيره مرجعي وانتم تقولون
مثل ذلك فلا معنى لانكاركم وكذلك انزلناه ومثل ذلك الانزال انزلناه
مأمورا فيه بعبادة الله وتوحيده والدعوة اليه والى دينه والانذار بدار
الجزاء حكما عربيا حكمة عربية مترجمة بلسان العرب في انتصابه على الحال هو
كانوا يدعون رسول الله الى امور يوافقهم عليها منها ان يصلي الى قبلتهم بعد
ما حوله الله تعالى عنها فقيل له لئن تابعتهم على دين ما هو الا اهواء وشبه
بعد ثبوت العلم عندك بالبراهين والحجج القاطعة خذلك الله فلا ينصرك ناصر
واهلكك فلا يقيك منه واق وهذا من باب الالهاب والتهييج والبعث للسامعين
على الثبات في الدين والتصلب فيه وان لا يزل زال عند الشبهة بعد استمساكه
بالحجة والا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من شدة الشكيمة بمكان كانوا يعيبونه بالزواج

والو

والاولاد كما كانوا يقولون ما لهذا الرسول يأكل الطعام وكانوا يقترحون عليه
الآيات وينكرون النسخ فقيل كان الرسل قبله بشرا مثله ذوي ازواج وذرية وما كان
لهم ان يأتوا بآيات برأيهم ولا يأتون بما يقترح عليهم والشرائع مصالح تختلف باختلاف
الاحوال والاوقات فلكل وقت حكم يكتب على العباد اي يفرض عليهم على ما يقتضيه
استصلاحهم يمحو الله ما يشاء ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت بدله ما يرى المصلحة
في اثباته او تركه غير منسوخ وقيل يمحو من ديوان الحفظة ما ليس بحسنة ولا سيئة
لانهم مأمورون بكتبة كل قول وفعل ويثبت غيره وقيل يمحو كفر التائبين ومعاصيهم بالتوبة
ويثبت ايمانهم وطاعاتهم وقيل يمحو بعض الخلائق ويثبت بعضها من الارزاق والآجال وسائر
الحيوان والنبات والاشجار وصفاتها واحوالها والكلام في نحو هذا المحال وغيره
ام الكتاب اصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ لان كل كائن مكتوب فيه وقرئ ويثبت
وإما نرينك وكيفما دارت الحال اريناك مصارعهم وما وعدناهم من انزال العذاب
عليهم او توفيناك قبل ذلك فما يجب عليك الا تبليغ الرسالة فحسب وعلينا لا عليك
حسابهم وجزاؤهم على اعمالهم فلا يهمنك اعراضهم ولا تستعجل بعذابهم اولم يروا انا نأتي
الارض ارض الكفر ننقصها من اطرافها بما نفتح على المسلمين من بلادهم فننقص
دار الحرب ونزيد في دار الاسلام وذلك من امارات النصرة والغلبة ونحوه افلا يرون
انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها افهم الغالبون سنريهم آياتنا في الآفاق والمعنى
عليك بالبلاغ الذي حملته ولا تهتم بما وراء ذلك فنحن نكفيكه ونتم ما وعدناك من
الظفر به ولا يضجرك تأخره فان ذلك لما نعلم من المصالح التي لا تعلمها ثم طيب نفسه
ونفس عنها بما ذكر من طلوع تباشير الظفر وقرئ ننقّصها بالتشديد لا معقب
لحكمه لا راد لحكمه والمعقب الذي يكر على الشيء فيبطله وحقيقته الذي يعقبه اي يقفيه
بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفي غريمه بالاقتضاء والطلب
قال لبيد طلب المعقب حقه المظلوم والمعنى انه حكم للاسلام بالغلبة والاقبال
وعلى الكفر بالادبار والانتكاس وهو سريع الحساب فيحاسبهم عما قليل في الآخرة
بعد عذاب الدنيا فان قلت ما محل قوله لا معقب لحكمه قلت هو جملة محلها
النصب على الحال كأنه قيل والله يحكم نافذا حكمه كما تقول جاءني زيد لا عمامة على رأسه
ولا قلنسوة تريد حاسرا وقد مكر الذين من قبلهم وصفهم بالمكر ثم جعل مكرهم كلا
مكر بالاضافة الى مكره فقال فلله المكر جميعا ثم فسر ذلك بقوله يعلم ما
تكسب كل نفس وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار لان من علم ما تكسب كل نفس
واعد لها جزاءها فهو المكر كله لانه يأتيهم من حيث لا يعلمون وهم في غفلة مما يراد
بهم وقرئ الكفار والكافرون والذين كفروا والكفر اي اهله والمراد بالكافر
الجنس وقرأ جناح بن حبيش وسيعلم الكافر من اعلمه اي سيخبر كفى بالله شهيدا
بما اظهر من الادلة على رسالتي ومن عنده علم الكتاب والذي عنده علم القرآن
وما الف عليه من النظم المعجز الفائت لقوى البشر وقيل ومن هو من علماء اهل
الكتاب الذين اسلموا لانهم يشهدون بنعته في كتبهم وقيل هو الله عز وعلا والكتاب
اللوح المحفوظ وعن الحسن لا والله ما يعني الا الله والمعنى كفى بالذي يستحق العبادة

وبالذي لا يعلم علم ما في اللوح إلا هو شهيدا بيني وبينكم وتعضده قراءة من قرأ
ومن عنده علم الكتاب على من الجارة أي ومن لدنه علم الكتاب لأن من علمه
من فضله ولطفه وقرئ ومن عنده عُلم الكتاب على من الجارة وعُلم على البناء
للمفعول وقرئ ومن عنده علم الكتاب فإن قلت بم ارتفع علم الكتاب
قلت في القراءة التي وقع فيها عنده صلة يرتفع العلم بالمقدر في الظرف فيكون
فاعلا لأن الظرف إذا وقع صلة أوغل في شبه الفعل لاعتماده على الموصول
فعمل عمل الفعل كقولك مررت بالذي في الدار أخوه فأخوه فاعل كما تقول
بالذي استقر في الدار أخوه وفي القراءة التي لم يقع فيها عنده صلة يرتفع العلم
بالابتداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرعد أعطي من الأجر
عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون إلى يوم القيامة
وبعث يوم القيامة من الموفين بعهد الله ۝

سورة إبرهيم عليه السلام مكية وهي إحدى وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم كتاب
هو كتاب يعني السورة وقرئ ليخرج الناس والظلمات والنور استعارتان
للضلال والهدى بإذن ربهم بتسهيله وتيسيره مستعار من الإذن الذي هو
تسهيل الحجاب وذلك ما يمنحهم من اللطف والتوفيق إلى صراط العزيز الحميد بدل
من قوله إلى النور بتكرير العامل كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم ويجوز
أن يكون على وجه الاستئناف كأنه قيل إلى أي نور فقيل إلى صراط العزيز الحميد
وقوله الله عطف بيان للعزيز الحميد لأنه جرى مجرى الأسماء الأعلام لغلبته
واختصاصه بالمعبود الذي تحق له العبادة كما غلب النجم في الثريا وقرئ بالرفع
على هو الله الويل نقيض الوأل وهو النجاة اسم معنى كالهلاك إلا أنه لا يشتق
منه فعل إنما يقال ويلا له فينصب نصب المصادر ثم يرفع رفعها لإفادة معنى
الثبات فيقال ويل له كقولك سلام عليك ولما ذكر الخارجين من ظلمات الكفر
إلى نور الإيمان توعد الكافرين بالويل فإن قلت ما وجه اتصال قوله من
عذاب شديد بالويل قلت المعنى أنهم يولولون من عذاب شديد ويضجون منه
ويقولون يا ويلاه كقوله دعوا هنالك ثبورا الذين يستحبون مبتدأ خبره أولئك
في ضلال بعيد ويجوز أن يكون مجرورا صفة للكافرين ومنصوبا على الذم أو مرفوعا
على أعني الذين يستحبون أو هم الذين يستحبون والاستحباب الإيثار والاختيار
وهو استفعال من المحبة لأن المؤثر للشيء على غيره كأنه يطلب من نفسه أن يكون
أحب إليها وأفضل عندها من الآخر وقرئ ويصدون بضم الياء وكسر
الصاد يقال صده عن كذا وأصده قال ۝ أناس أصدوا الناس بالسيف
عنهم ۝ والهمزة فيه داخلة على صد صدودا لتنقله من غير المتعدي إلى
المتعدي وأما صده فموضوع على التعدية كمنعه وليست بفصيحة كأوقفه
لأن الفصحاء استغنوا بصده ووقفه عن تكلف التعدية بالهمزة ويبغونها عوجا
ويطلبون لسبيل الله زيغا واعوجاجا وأن يدلوا الناس على أنها سبيل ناكبة
عن الحق غير مستوية والأصل ويبغون لها فحذف الجار وأوصل الفعل أولئك في ضلال

بعيد أي ضلوا عن طريق الحق ووقعوا دونه بمراحل فإن قلت فما معنى وصف
الضلال بالبعد قلت هو من الإسناد المجازي والبعد في الحقيقة للضال
لأنه هو الذي يتباعد عن الطريق فوصف به فعله كما تقول جد جده ويجوز أن
يراد في ضلال ذي بعد أو فيه بعد لأن الضال قد يضل عن الطريق مكانا قريبا
ومكانا بعيدا إلا بلسان قومه ليبين لهم أي ليفقهوا عنه ما يدعوهم إليه
فلا يكون لهم حجة على الله عز وجل ولا يقولوا لم نفهم ما خوطبنا به كما قال ولو
جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته فإن قلت لم يبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم إلى العرب وحدهم وإنما بعث إلى الناس جميعا قل يا أيها
الناس إني رسول الله إليكم جميعا بل إلى الثقلين وهم على ألسنة مختلفة فإن
لم تكن للعرب حجة فلغيرهم الحجة وإن لم تكن لغيرهم حجة فلو نزل بالعجمية لم تكن
للعرب حجة أيضا قلت لا يخلو إما أن ينزل بجميع الألسنة أو بواحد منها
فلا حاجة إلى نزوله بجميع الألسنة لأن الترجمة تنوب عن ذلك وتكفي التطويل
فبقي أن ينزل بلسان واحد فكان أولى الألسنة لسان قوم الرسول لأنهم أقرب
إليه فإذا فهموا عنه وتبينوه وتنوقل عنهم وانتشر قامت التراجم ببيانه وتفهيمه
كما ترى الحال وتشاهدها من نيابة التراجم في كل أمة من أمم العجم مع ما في ذلك
من اتفاق أهل البلاد المتباعدة والأقطار المتنازحة والأمم المختلفة والأجيال
المتفاوتة على كتاب واحد واجتهادهم في تعلم لفظه وتعلم معانيه وما يتشعب
من ذلك من جلائل الفوائد وما يتكاثر في إتعاب النفوس وكد القرائح فيه
من القرب والطاعات المفضية إلى جزيل الثواب ولأنه أبعد من التحريف والتبديل
وأسلم من التنازع والاختلاف ولأنه لو نزل بألسنة الثقلين كلها مع اختلافها
وكثرتها وكان مستقلا بصفة الإعجاز في كل واحد منها وكلم الرسول العربي
كل أمة بلسانها كما كلم أمته التي هو منها يتلوه عليهم معجزا لكان ذلك أمرا
قريبا من الإلجاء ومعنى بلسان قومه بلغة قومه وقرئ بلسن قومه واللسن
واللسان كالريش والرياش بمعنى اللغة وقرئ بلسن قومه بضم اللام والسين
مضمومة أو ساكنة وهو جمع لسان كعماد وعمد وعمد على التخفيف وقيل الضمير
في قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم ورووه عن الضحاك وأن الكتب كلها نزلت بالعربية
ثم أداها كل نبي بلغة قومه وليس بصحيح لأن قوله ليبين لهم ضمير القوم وهم
العرب فيؤدي إلى أن الله أنزل التوراة من السماء بالعربية ليبين للعرب وهذا
معنى فاسد فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء كقوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن
لأن الله لا يضل إلا من يعلم أنه لن يؤمن ولا يهدي إلا من يعلم أنه يؤمن والمراد
بالإضلال التخلية ومنع الألطاف وبالهداية التوفيق واللطف فكان ذلك
كناية عن الكفر والإيمان وهو العزيز فلا يغلب على مشيئته الحكيم فلا يخذل
إلا أهل الخذلان ولا يلطف إلا بأهل اللطف أن أخرج بمعنى أي أخرج لأن الإرسال
فيه معنى القول كأنه قيل أرسلناه وقلنا له أخرج ويجوز أن تكون أن الناصبة
للفعل وإنما صلح أن توصل بفعل الأمر لأن الغرض وصلها بما تكون معه في
تأويل المصدر وهو الفعل والأمر وغيره سواء في الفعلية والدليل على جواز

ان يكون ان الناصبة للفعل لانهم اوغزا اليه بان افعل فادخلوا عليها حرف الجر
وكذلك التقدير بان اخرج قومك وذكرهم بايام الله وانذرهم بوقائعه التي وقعت
على الامم قبلهم قوم نوح وعاد وثمود ومنه ايام العرب لحروبها وملاحمها كيوم
ذي قار ويوم الفجار ويوم قضة وغيرها وهو الظاهر وعن ابن عباس نعماؤه
وبلاؤه فاما نعماؤه فانه ظلل عليهم الغمام وانزل عليهم المن والسلوى وفلق لهم
البحر واما بلاؤه فاهلاك القرون لكل صبار شكور يصبر على بلاء الله ويشكر
نعماه فاذا سمع بما انزل الله من البلاء على الامم وافاض عليهم من النعم تنبه على ما يجب
عليه من الصبر والشكر واعتبر وقيل اراد لكل مؤمن لان الشكر والصبر من سجاياهم
تنبيها عليهم اذ انجاكم ظرف للنعمة بمعنى الانعام اي انعامه عليكم ذلك الوقت
فان قلت هل يجوز ان ينتصب بعليكم قلت لا يخلو من ان يكون صلة للنعمة بمعنى الانعام
او غير صلة اذا اردت بالنعمة العطية فاذا كان صلة لم يعمل فيه واذا كان غير صلة
بمعنى اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم عمل فيه ويتبين الفرق بين الوجهين انك
اذا قلت نعمة الله عليكم فان جعلته صلة لم يكن كلاما حتى تقول فائضة او نحوها
والا كان كلاما ويجوز ان يكون اذ بدلا من نعمة الله اي اذكروا وقت انجائكم وهو
من بدل الاشتمال فان قلت في سورة البقرة يذبحون وفي الاعراف يقتلون وههنا
ويذبحون مع الواو فما الفرق قلت الفرق ان التذبيح حيث طرح الواو جعل تفسيرا
للعذاب وبيانا له وحيث اثبت جعل التذبيح لانه اوفى على جنس العذاب وزاد عليه
زيادة ظاهرة كانه جنس اخر فان قلت كيف كان فعل ال فرعون بلاء من
ربهم قلت تمكينهم وامهالهم حتى فعلوا ما فعلوا ابتلاء من الله ووجه اخر وهو
ان ذلك اشارة الى الانجاء وهو بلاء عظيم والبلاء يكون ابتلاء بالنعمة والمحنة
جميعا قال الله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقال زهير فابلاهما خير
البلاء الذي يبلو واذ تاذن ربكم من جملة ما قال موسى لقومه وانتصابه للعطف
على قوله نعمة الله عليكم كانه قيل واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله
عليكم واذكروا حين تاذن ربكم ومعنى تاذن ربكم اذن ربكم ونظير تاذن
واذن توعد واوعد وتفضل وافضل ولا بد في تفعل من زيادة معنى ليس في
افعل كانه قيل واذ اذن ربكم ايذانا بليغا تنتفي عنده الشكوك وتنزاح الشبه
والمعنى واذ تاذن ربكم فقال لئن شكرتم او اجرى تاذن مجرى قال لانه ضرب من
القول وفي قراءة ابن مسعود واذ قال ربكم لئن شكرتم اي لئن شكرتم يا بني اسرائيل
ما خولتكم من نعمة الانجاء وغيرها من النعم بالايمان الخالص والعمل الصالح لازيدنكم
نعمة الى نعمة ولاضاعفن لكم ما اتيتكم ولئن كفرتم وغمطتم ما انعمت به عليكم ان
عذابي لشديد لمن كفر نعمتي وقال موسى ان تكفروا انتم يا بني اسرائيل والناس
كلهم فانما ضررتم انفسكم وحرمتموها الخير الذي لا بد لكم منه وانتم اليه محاويج
والله غني عن شكركم حميد مستوجب للحمد بكثرة انعمه واياديه وان لم يحمده
الحامدون والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جملة من مبتدا وخبر وقعت اعتراضا
او عطف الذين من بعدهم على قوم نوح ولا يعلمهم الا الله اعتراض والمعنى انهم من الكثرة
بحيث لا يعلم عددهم الا الله وعن ابن عباس بين عدنان واسمعيل ثلاثون ابا لا يعرفون

وكان

وكان ابن مسعود اذا قرا هذه الاية قال كذب النسابون يعني انهم يدعون علم
الانساب وقد نفى الله علمها عن العباد فردوا ايديهم في افواههم فعضوها
غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل كقوله عضوا عليكم الانامل من الغيظ او ضحكا
واستهزاء كمن غلبه الضحك فوضع يده على فيه او اشاروا بايديهم الى السنتهم
وما نطقت به من قولهم انا كفرنا بما ارسلتم به اي هذا جوابنا لكم ليس عندنا غيره
اقناطا لهم من التصديق الا ترى الى قوله فردوا ايديهم في افواههم وقالوا انا
كفرنا بما ارسلتم به وهذا اقوى او وضعوها على افواههم يقولون للانبياء اطبقوا
افواهكم واسكتوا او ردوها في افواه الانبياء يشيرون لهم الى السكوت او وضعوها
على افواههم يسكتونهم ولا يذرونهم يتكلمون وقيل الايدي جمع يد وهي النعمة
بمعنى الايادي اي ردوا نعم الانبياء التي هي اجل النعم من مواعظهم ونصائحهم
وما اوحي اليهم من الشرائع والايات في افواههم لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها
فكانهم ردوها في افواههم ورجعوها الى حيث جاءت منه على طريق المثل مما
تدعوننا اليه من الايمان بالله وقرئ تدعونا بادغام النون مريب موقع في الريبة
او ذي ريبة من ارابه واراب الرجل وهي قلق النفس وان لا تطمئن الى الامر افي
الله شك ادخلت همزة الانكار على الظرف لان الكلام ليس في الشك انما هو في
المشكوك فيه وانه لا يحتمل الشك لظهور الادلة وشهادتها عليه يدعوكم
ليغفر لكم من ذنوبكم اي يدعوكم الى الايمان ليغفر لكم او يدعوكم لاجل المغفرة
كقوله دعوته لينصرني ودعوته لياكل معي وقال دعوت لما نابني مسورا
فلبى فلبي يدي مسور فان قلت ما معنى التبعيض في قوله من ذنوبكم قلت
ما علمته جاء هكذا الا في خطاب الكافرين كقوله واتقوه واطيعون يغفر لكم
من ذنوبكم يا قومنا اجيبوا داعي الله وامنوا به يغفر لكم من ذنوبكم وقال في
خطاب المؤمنين هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم الى ان قال يغفر لكم
ذنوبكم وغير ذلك مما يقفك عليه الاستقراء وكان ذلك للتفرقة بين الخطابين
ولئلا يسوى بين الفريقين في الميعاد وقيل اريد انه يغفر لهم ما بينهم وبين الله
بخلاف ما بينهم وبين العباد من المظالم ونحوها ويؤخركم الى اجل مسمى الى وقت
قد سماه وبين مقداره يبلغكموه ان امنتم والا عاجلكم بالهلاك قبل ذلك الوقت
ان انتم الا بشر مثلنا لا فضل بيننا وبينكم ولا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة
دوننا ولو ارسل الله الى البشر رسلا لجعلهم من جنس افضل منهم وهم الملائكة فاتونا
بسلطان مبين بحجة بينة وقد جاءتهم رسلهم بالبينات والحجج وانما ارادوا بالسلطان
المبين اية قد اقترحوها تعنتا ولجاجا ان نحن الا بشر مثلكم تسليم لقولهم وانهم بشر
مثلهم يعنون انهم مثلهم في البشرية وحدها فاما ما وراء ذلك فما كانوا مثلهم ولكنهم
لم يذكروا فضلهم تواضعا منهم واقتصروا على قولهم ولكن الله يمن على من يشاء من
عباده بالنبوة لانه قد علم انه لا يختصهم بتلك الكرامة الا وهم اهل لاختصاصهم
بها لخصائص فيهم قد استاثروا بها على ابناء جنسهم الا باذن الله ارادوا ان
الاتيان بالاية التي اقترحتموها ليس الينا ولا في استطاعتنا وما هو الا امر يتعلق
بمشيئة الله تعالى وعلى الله فليتوكل المؤمنون امر منهم للمؤمنين كافة بالتوكل وقصدوا

به انفسهم قصدًا أوّليًا وامرهم اتباعه كانهم قالوا ومن حقنا ان نتوكل على الله
في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم وما يجري علينا منكم الا ترى الى قوله **وما لنا الا**
نتوكل على الله ومعناه واي عذر لنا في ان لا نتوكل عليه **وقد هدانا** وقد فعل بنا ما
يوجب توكلنا عليه وهو التوفيق لهداية كل واحد منا سبيله الذي يجب عليه سلوكه
في الدين فان قلت كيف كرر الامر بالتوكل قلت الاول لاستحداث التوكل
وقوله **فليتوكل المتوكلون** معناه فليثبت المتوكلون على ما استحدثوا من توكلهم
وقصدهم الى انفسهم على ما تقدم **لنخرجنكم او لتعودن** ليكونن احد الامرين لا محالة
اما اخراجكم واما عودكم أما انهم حالفوا على ذلك فان قلت كانهم كانوا على ملتهم حتى يعودوا
فيها قلت معاذ الله ولكن العود بمعنى الصيرورة وهو كثير في كلام العرب كثرة
فاشية لا تكاد تسمعهم يستعملون صار ولكن عاد ما عدت اراه عاد لا يكلمني
ما عاد لفلان مال او خاطبوا به كل رسول ومن آمن به فغلبوا في الخطاب الجماعة
على الواحد **لنهلكن الظالمين** حكاية تقتضي اضمار القول او اجرا الايحا مجرى القول
لانه ضرب منه وقرا ابو حيوه ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارًا لاوحى وان لفظه
لفظ الغيبة ونحوه قولك اقسم زيد ليخرجن ولاخرجن والمراد **بالارض** ارض الظالمين
وديارهم ونحوه واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها
واورثكم ارضهم وديارهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من اذى جاره ورثه الله
داره ولقد عاينت هذا في مدة قريبة كان لي خال يظلمه عظيم القرية التي انا
منها ويؤذيني فيه فمات ذلك العظيم وملكني الله ضيعته فنظرت يومًا الى ابنا
خالي يترددون فيها ويدخلون في دورها ويخرجون ويامرون وينهون
فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدثتهم به وسجدنا شكرًا لله **ذلك** اشارة الى ما
قضى به الله عز وجل من اهلاك الظالمين واسكان المومنين ديارهم اي ذلك الامر
حق **لمن خاف مقامي** موقفي وهو موقف الحساب لانه موقف الله الذي يقف فيه عباده
يوم القيمة او على اقحام المقام وقيل خاف قيامي عليه وحفظي لاعماله والمعنى ان
ذلك حق للمتقين كقوله والعاقبة للمتقين **واستفتحوا** واستنصروا الله على
اعدائهم ان يستفتحوا فقد جاءكم الفتح او استحكموا الله وسالوه القضاء بينهم من
الفتاحة وهي الحكومة كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف
على اوحى اليهم ربهم وقرئ واستفتحوا بلفظ الامر وعطفه على ليهلكن اي اوحى
اليهم ربهم وقال لهم لنهلكن وقال لهم استفتحوا **وخاب كل جبار عنيد** معناه فنصروا
وظفروا وافلحوا وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم وقيل واستفتح الكفار على الرسل
ظنًا منهم بانهم على الحق والرسل على الباطل وخاب كل جبار عنيد منهم ولم يفلح
باستفتاحه **من ورائه** من بين يديه قال عسى الكرب الذي امسيت فيه يكون
وراءه فرج قريب وهذا وصف حاله وهو في الدنيا لانه مرصد لجهنم فكانها بين
يديه وهو على شفيرها او وصف حاله في الاخرة حين يبعث ويوقف فان قلت
علام عطف **ويسقى** قلت على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ما
يلقى ويسقى **من ماء صديد** كانه اشد عذابها فخصص بالذكر مع قوله ويأتيه الموت
من كل مكان وما هو بميت فان قلت ما وجه قوله من ماء صديد قلت صديد عطف

سان لماء قال ويسقى من ماء فابهمه ابهامًا ثم بينه بقوله صديد وهو ما يسيل من
جلود اهل النار **يتجرعه** يتكلف جرعه **ولا يكاد يسيغه** دخل كاد للمبالغة يعني
ولا يقارب ان يسيغه فكيف يكون الاساغة كقوله لم يكد يراها اي لم يقرب من رويتها
فكيف يراها **وياتيه الموت من كل مكان** كان اسباب الموت واصنافه كلها قد
تالبت عليه واحاطت به من جميع الجهات تفظيعًا لما يصيبه من الالام وقيل
من كل مكان من جسده حتى من ابهام رجله وقيل من اصل كل شعرة **ومن**
ورائه ومن بين يديه **عذاب غليظ** اي في كل وقت يستقبله يتلقى عذابًا اشد
مما قبله واغلظ وعن الفضيل رضي الله عنه هو قطع الانفاس وحبسها في
الاجساد ويحتمل ان يكون اهل مكة قد استفتحوا اي استمطروا والفتح المطر
في سني القحط التي ارسلت عليهم بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يسقوا فذكر
سبحانه ذلك وانه خيب رجاء كل جبار عنيد وانه يسقى في جهنم بدل سقياه
ما اخر وهو صديد اهل النار واستفتحوا على هذا التفسير كلام مستانف منقطع
عن حديث الرسل وامهم **مثل الذين كفروا** مبتدأ محذوف الخبر عند سيبويه تقديره وفيما نقص
عليكم **مثل الذين كفروا بربهم** والمثل مستعار للصفة التي فيها غرابة وقوله
اعمالهم كرماد جملة مستانفة على تقدير سوال سائل يقول كيف مثلهم فقيل
اعمالهم كرماد ويجوز ان يكون المعنى مثل اعمال الذين كفروا بربهم او هذه الجملة
خبر للمبتدا اي صفة الذين كفروا اعمالهم كرماد كقولك صفة زيد عرضه مصون
وماله مبذول او يكون اعمالهم بدلا من مثل الذين كفروا على تقدير مثل اعمالهم وكرماد
الخبر وقرئ **الرياح في يوم عاصف** جعل العصف لليوم وهو لما فيه وهو الريح او الرياح
كقولك يوم ماطر وليلة ساكرة وانما السكور لريحها وقرئ في يوم عاصف بالاضافة
واعمال الكفرة التي كانت لهم من صلة الارحام وعتق الرقاب وفداء الاسارى
وعقر الابل للاضياف واغاثة الملهوفين والاجارة وغير ذلك من صنائعهم
شبهها في حبوطها وذهابها هباء منثورًا لبنائهم على غير اساس من معرفة الله
عز وجل والايمان به وكونها لوجهه برماد طيرته الريح العاصف **لا يقدرون**
يوم القيمة **مما كسبوا** من اعمالهم **على شيء** اي لا يرون له اثرًا من ثواب كما لا يقدر من
الرماد المطير في الريح على شيء **ذلك هو الضلال البعيد** اشارة الى بعد ضلالهم عن
طريق الحق او عن الثواب **بالحق** بالحكمة والغرض الصحيح والامر العظيم ولم يخلقها عبثًا
ولا شهوة وقرئ **خالق السموات والارض ان يشا يذهبكم** اي هو قادر على ان يعدم الناس
ويخلق مكانهم خلقًا اخر على شكلهم او على خلاف شكلهم اعلامًا منه باقتداره على
اعدام الموجود واعادة المعدوم وعلى انه يقدر على الشيء وجنس ضده **وما ذلك**
على الله بعزيز بمتعذر بل هو هين عليه يسير لانه قادر الذات لا اختصاص له بمقدور
دون مقدور فاذا خلص له الداعي الى شيء وانتفى الصارف تكون من غير توقف كتحريك
اصبعك اذا دعاك اليه داع ولم يعترض دونه صارف وهذه الاية بيان لابعادهم
في الضلال وعظم خطائهم في الكفر بالله لوضوح اياته الشاهدة له الدالة على
قدرته الباهرة وحكمته البالغة وانه هو الحقيق بان يعبد ويخاف عقابه ويرجا ثوابه

في دار الجزاء وبرزوا لله جميعا ويبرزون يوم القيمة وانما جي به بلفظ الماضي لان ما
اخبر به عز وعلا لصدقه كانه قد كان ووجد ونحوه ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب
النار ونظائره ومعنى بروزهم لله والله تعالى لا يتوارى عنه شي حتى يبرز له انهم
كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون ان ذلك خاف على الله تعالى
فاذا كان يوم القيمة انكشفوا لله عند انفسهم وعلموا ان الله عز وجل لا يخفى عليه خافية
او خرجوا من قبورهم فبرزوا لحساب الله وحكمه فان قلت لم كتب الضعفؤا بواو
قبل الهمزة قلت كتب على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو ونظيره
علمؤا بني اسرائيل والضعفاء الاتباع والعوام والذين استكبروا ساداتهم وكبراؤهم
الذين استتبعوهم واستغووهم وصدوهم عن الاستماع الى الانبيا واتباعهم تبعا
تابعين جمع تابع على تبع كقولهم خادم وخدم وغايب وغيب او ذوي تبع والتبع الاتباع
يقال تبعه تبعا فان قلت اي فرق بين من في من عذاب الله وبينه في من شي
قلت الاولى للتبيين والثانية للتبعيض كانه قيل هل انتم مغنون عنا بعض الشي الذي
هو عذاب الله ويجوز ان تكونا للتبعيض معا بمعنى هل انتم مغنون عنا بعض شي هو
بعض عذاب الله اي بعض بعض عذاب الله فان قلت ما معنى قوله لو هدانا الله
لهديناكم قلت الذي قال لهم الضعفا كان توبيخا لهم وعتابا على استتباعهم
واستغوائهم وقولهم فهل انتم مغنون عنا من باب التبكيت لانهم قد علموا انهم لا
يقدرون على الاغنا عنهم فاجابوهم معتذرين عما كان منهم اليهم بان الله تعالى لو
هداهم الى الايمان لهدوهم ولم يضلوهم اما موركين الذنب في ضلالهم واضلالهم
على الله كما حكى الله عز وجل عنهم لو شا الله ما اشركنا ولا اباونا ولو شا الله ما عبدنا
من دونه من شي يقولون ذلك في الاخرة كما كانوا يقولونه في الدنيا ويدل عليه
قوله تعالى حكاية عن المنافقين يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم
ويحسبون انهم على شي ويجوز ان يكون المعنى لو كنا من اهل اللطف فلطف بنا ربنا
واهتدينا لهديناكم الى الايمان وقيل معناه لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب
لهديناكم اي لاغنينا عنكم وسلكنا بكم طريق النجاة كما سلكنا بكم سبيل الهلكة
سواء علينا اجزعنا ام صبرنا مستو علينا الجزع والصبر والهمزة وام للتسوية
ونحوه اصبروا او لا تصبروا سواء عليكم وروي انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون
خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون
سواء علينا فان قلت كيف اتصل قوله سواء علينا بما قبله قلت اتصاله به من
حيث ان عتابهم لهم كان جزعا مما هم فيه فقالوا لهم سواء علينا اجزعنا ام صبرنا
يريدون انفسهم واياهم لاجتماعهم في عقاب الضلالة التي كانوا مجتمعين فيها
يقولون ما هذا الجزع والتوبيخ ولا فايدة في الجزع كما لا فايدة في الصبر والامر
من ذلك اطم او لما قالوا لو هدانا الله طريق النجاة لاغنينا عنكم ولنجيناكم
اتبعوه الاقناط من النجاة فقالوا ما لنا من محيص اي منجى ومهرب جزعنا ام
صبرنا ويجوز ان يكون من كلام الضعفا والمستكبرين جميعا كانه قيل قالوا جميعا
سواء علينا كقوله ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب ٥٥ والمحيص يكون مصدرا

جزعنا

كالمغيب

ومكانا كالمغيب والمشيب ومكانا كالمبيت والمصيف يقال حاص عنه وجاض
بمعنى واحد لما قضي الامر لما قطع الامر وفرغ منه وهو الحساب وتصادر الفريقين
ودخول احدهما الجنة ودخول الاخر النار روي ان الشيطان يقوم عند ذلك خطيبا
في الاشقيا من الجن والانس فيقول ذلك ان الله وعدكم وعد الحق وهو البعث والجزا
على الاعمال فوفى لكم بما وعدكم ووعدتكم خلاف ذلك فاخلفتكم وما كان لي عليكم
من سلطان من تسلط وقهر فاقسركم على الكفر والمعاصي والجئكم اليها الا ان دعوتكم
الا دعاي اياكم الى الضلالة بوسوستي وتزييني وليس الدعا من جنس التسلط ولكنه كقولك
ما تحيتهم الا الضرب فلا تلوموني ولوموا انفسكم حيث اغتررتم بي واطعتموني اذ دعوتكم
ولم تطيعوا ربكم اذ دعاكم وهذا دليل على ان الانسان هو الذي يختار الشقاوة او السعادة
ويحصلها لنفسه وليس من الله الا التمكين ولا من الشيطان الا التزيين ولو كان الامر كما تزعم
المجبرة لقال فلا تلوموني ولا انفسكم فان الله قضى عليكم الكفر واجبركم عليه فان قلت
قول الشيطان باطل لا يصح التعلق به قلت لو كان هذا القول منه باطلا لبين الله بطلانه
واظهر انكاره على انه لا طائل له في النطق بالباطل في ذلك المقام الا ترى الى قوله ان الله
وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم كيف اتى فيه بالحق والصدق وفي قوله وما كان لي
عليكم من سلطان وهو مثل قول الله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من
اتبعك من الغاوين ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخي لا ينجي بعضنا بعضا من عذاب الله ولا
يغيثه والاصراخ الاغاثة وقرئ بمصرخي بكسر اليا وهي ضعيفة واستشهدوا لها ببيت
مجهول قال لها هل لك يا تا في قالت له ما انت بالمرضي وكانه قدر يا الاضافة
ساكنة وقبلها يا ساكنة فحركها بالكسر لما عليه اصل التقا الساكنين ولكنه غير صحيح
لان يا الاضافة لا تكون الا مفتوحة حيث قبلها الف في نحو عصاي فما بالها وقبلها يا
فان قلت جرت اليا الاولى مجرى الحرف الصحيح لاجل الادغام فكانها يا وقعت ساكنة
بعد حرف صحيح ساكن فحركت بالكسر على الاصل قلت هذا قياس حسن ولكن
الاستعمال المستفيض الذي هو بمنزلة الخبر المتواتر تتضاءل اليه القياسات بما
اشركتموني ما مصدرية ومن قبل متعلقة باشركتموني يعني كفرت اليوم باشراككم اياي
من قبل هذا اليوم اي في الدنيا كقوله ويوم القيمة يكفرون بشرككم ومعنى كفره باشراكهم
اياه تبروه منه واستنكاره له كقوله انا برءا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم
وقيل من قبل يتعلق بكفرت وما موصولة اي كفرت من قبل حين ابيت السجود لادم
بالذي اشركتمونيه وهو الله عز وجل تقول شركت زيدا فاذا نقلته بالهمزة قلت اشركنيه
فلان اي جعلني له شريكا ومعنى اشراكهم
الشيطان بالله طاعتهم له فيما كان يزينه لهم من عبادة الاوثان وغيرها وهذا اخر
قول ابليس وقوله ان الظالمين قول الله عز وعلا ويحتمل ان يكون من جملة قول ابليس
وانما حكى الله عز وجل ما سيقوله في ذلك الوقت ليكون لطفا للسامعين في النظر
لعاقبتهم والاستعداد لما لا بد لهم من الوصول اليه وان يتصوروا في انفسهم
ذلك المقام الذي يقول فيه الشيطان ما يقول فيخافوا ويعملوا ما يخلصهم منه
وينجيهم وقرئ فلا يلوموني باليا على طريقة الالتفات كقوله حتى اذا كنتم في الفلك

التعلق

بالاضافة الاولى صح

وجزيت بهم وقرا الحسن وعمرو بن عبيد رحمه الله ورضوانه عليهما وادخل الذين
امنوا على فعل المتكلم بمعنى وادخل انا وهذا دليل على انه من قول الله لا من قول ابليس
باذن ربهم متعلق بادخل اي ادخلتهم الملئكة الجنة باذن الله وامره فان قلت فبم يتعلق
في القراءة الاخرى وقولك وادخلهم انا باذن ربهم كلام غير ملتئم قلت الوجه في هذه
القراءة ان يتعلق قوله باذن ربهم بما بعده اي تحيتهم فيها سلام باذن ربهم يعني ان
الملئكة يحيونهم باذن ربهم ه وقرئ الم تر ساكنة الراء كما قرئ من بعد وفيه ضعف
ضرب الله مثلا اعتمد مثلا ووضعه وكلمة طيبة نصب بمضمر اي جعل كلمة طيبة
كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا كقولك شرف الامير زيدا كساه
حلة وحمله على فرس ويجوز ان ينتصب مثلا وكلمة بضرب اي ضرب كلمة طيبة مثلا
بمعنى جعلها مثلا ثم قال كشجرة طيبة على انها خبر مبتدا محذوف بمعنى هي كشجرة
طيبة اصلها ثابت يعني في الارض ضارب بعروقه فيها وفرعها واعلاها
وراسها في السماء ويجوز ان يريد وفروعها على الاكتفاء بلفظ الجنس وقرا
انس بن مالك كشجرة طيبة ثابت اصلها فان قلت اي فرق بين القراءتين قلت
قراءة الجماعة اقوى معنى لان في قراءة انس اجريت الصفة على الشجرة واذا قلت مررت
برجل ابوه قائم فهو اقوى معنى من مررت برجل قائم ابوه لان المخبر عنه انما هو الاب
لا رجل والكلمة الطيبة كلمة التوحيد وقيل كل كلمة حسنة كالتسبيحة والتحميدة
والاستغفار والتوبة والدعوة وعن ابن عباس رضي الله عنه شهادة ان لا اله
ان لا اله الا الله واما الشجرة فكل شجرة مثمرة طيبة الثمار كالنخلة وشجرة التين
والعنب والرمان وغير ذلك وعن ابن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
قال ذات يوم ان الله ضرب مثل المومن شجرة فاخبروني ما هي فوقع الناس في
شجر البوادي وكنت صبيا فوقع في قلبي انها النخلة فهبت رسول الله صلعم
ان اقولها وانا اصغر القوم وروي فمنعني مكان عمر واستحييت فقال لي عمر يا بني
لو كنت قلتها لكانت احب الي من حمر النعم ثم قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
الا انها النخلة وعن ابن عباس شجرة في الجنة وقوله في السماء معناه في جهة
العلو والصعود ولم يرد المظلة كقولك في الجبل طويل في السماء يريد ارتفاعه
وشموخه توتي اكلها كل حين تعطي ثمرها كل وقت وقته الله لاثمارها
باذن ربها بتيسير خالقها وتكوينه لعلهم يتذكرون لان في ضرب الامثال زيادة
افهام وتذكير وتصوير للمعاني كشجرة خبيثة كمثل شجرة خبيثة اي صفتها
كصفتها وقرئ ومثل كلمة بالنصب عطفا على كلمة طيبة والكلمة الخبيثة كلمة الشرك
وقيل كل كلمة قبيحة واما الشجرة الخبيثة فكل شجرة لا يطيب ثمرها كشجرة الحنظل
والكشوث ونحو ذلك وقوله اجتثت من فوق الارض في مقابلة قوله اصلها ثابت
ومعنى اجتثت استوصلت وحقيقة الاجتثاث اخذ الجثة كلها ما لها من قرار
اي استقرار يقال قر الشي قرارا كقولك ثبت ثباتا شبه بها القول الذي لم يعضد
بحجة فهو داحض غير ثابت والذي لا يبقى انما يضمحل عن قريب لبطلانه من قولهم
الباطل لجلج وعن قتادة انه قيل لبعض العلما ما تقول في كلمة خبيثة فقال ما

ادخلتهم — هي — سمع

اعلم لها في الارض مستقرا ولا في السما مصعدا الا ان يلزم عنق صاحبها حتى يوافي
بها القيمة القول الثابت الذي ثبت بالحجة والبرهان في قلب صاحبه وتمكن فيه فاعتقده
واطمانت اليه نفسه وتثبيتهم به في الدنيا انهم اذا فتنوا في دينهم لم يزلوا كما ثبت الذين
فتنهم اصحاب الاخدود والذين نشروا بالمناشير ومشطت لحومهم بامشاط الحديد
وكما ثبت جرجيس وشمسون وغيرهما وتثبيتهم في الاخرة انهم اذا سئلوا عند تواقف
الاشهاد عن معتقدهم ودينهم لم يتلعثموا ولم يبهتوا ولم تحيرهم اهوال الحشر وقيل
معناه الثبات عند سوال القبر وعن البرا بن عازب رضي الله عنه ان رسول الله صلعم
ذكر قبض روح المومن فقال ثم تعاد روحه في جسده فياتيه ملكان فيجلسانه في
في قبره ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام
ونبيي محمد صلى الله عليه فينادي مناد من السما ان صدق عبدي فذلك قوله يثبت الله
الذين امنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الاخرة ويضل الله الظالمين الذين لم يتمسكوا
بحجة في دينهم وانما اقتصروا على تقليد كبارهم وشيوخهم كما قلد المشركون اباهم فقالوا
انا وجدنا اباءنا على امة واضلالهم في الدنيا انهم لا يثبتون في مواقف الفتن وتزل اقدامهم
اول شي وهم في الاخرة اضل وازل ويفعل الله ما يشا اي ما توجبه الحكمة لان مشية الله
عز وجل تابعة للحكمة من تثبيت المومنين وتاييدهم وعصمتهم عند ثباتهم وعزمهم ومن
اضلال الظالمين وخذلانهم والتخلية بينهم وبين شانهم عند زللهم بدلوا نعمة الله اي
شكر نعمة الله كفرا لان شكرها الذي وجب عليهم وضعوا مكانه كفرا فكانهم غيروا الشكر
الى الكفر وبدلوه تبديلا ونحوه وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اي شكر رزقكم حيث وضعتم
التكذيب موضعه ووجه اخر وهو انهم بدلوا نفس النعمة كفرا على انهم لما كفروها
سلبوها فبقوا مسلوبي النعمة موصوفين بالكفر حاصلا لهم الكفر بدل النعمة وهم اهل
مكة اسكنهم الله حرمه وجعلهم قوام بيته واكرمهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا
نعمة الله بدل ما لزمهم من الشكر العظيم او اصابهم الله بالنعمة في الرخا والسعة
لايلافهم الرحلتين فكفروا نعمته فضربهم بالقحط سبع سنين فحصل لهم الكفر
بدل النعمة وكذلك حين اسروا وقتلوا يوم بدر قد ذهبت عنهم النعمة وبقي الكفر طوقا
في اعناقهم وعن عمر رضي الله عنه هم الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية فاما
بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية فمتعوا حتى حين وقيل هم متنصرة العرب
جبلة بن الايهم واصحابه واحلوا قومهم ممن تابعهم على الكفر دار البوار دار الهلاك
وعطف جهنم على دار البوار عطف بيان قرئ ليضلوا بفتح اليا وضمها فان قلت
الضلال او الاضلال لم يكن غرضهم في اتخاذ الانداد فما معنى اللام قلت لما كان
الضلال او الاضلال نتيجة اتخاذ الانداد كما كان الاكرام في قولك جئتك لتكرمني نتيجة
المجي دخلته اللام وان لم يكن غرضا على طريق التشبيه والتقريب تمتعوا ايذان بانهم
لانغماسهم في التمتع بالحاضر وانهم لا يعرفون غيره ولا يريدونه مامورون به قد امرهم
امر مطاع لا يسعهم ان يخالفوه ولا يملكون لانفسهم امرا دونه وهو امر الشهوة
والمعنى ان دمتم على ما انتم عليه من الامتثال لامر الشهوة فان مصيركم الى النار
ويجوز ان يراد الخذلان والتخلية ونحوه قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار

المقول محذوف لأن جواب قل يدل عليه وتقديره قل لعبادي الذين آمنوا أقيموا
الصلوة وأنفقوا يقيموا الصلوة وينفقوا وجوّزوا أن يكون يقيموا وينفقوا بمعنى
ليقيموا ولينفقوا ويكون هذا هو المقول قالوا وإنما جاز حذف اللام لأن الأمر الذي
هو قل عوض منه ولو قيل يقيموا الصلوة وينفقوا ابتداء بحذف اللام لم يجز فإن قلت
علام انتصب سرًّا وعلانية قلت على الحال أي ذوي سر وعلانية بمعنى مسرّين
ومعلنين أو على الظرف أي وقتي سر وعلانية أو على المصدر أي إنفاق سر وإنفاق
علانية والمعنى إخفاء المتطوع به من الصدقات والإعلان بالواجب والخلال المخالّة
فإن قلت كيف طابق الأمر بالإنفاق وصف اليوم بأنه لا بيع فيه ولا خلال قلت
من قبل أن الناس يخرجون أموالهم في عقود المعاوضات فيعطون بدلًا ليأخذوا
مثله وفي المكرمات ومهاداة الأصدقاء ليستجرّوا بهداياهم أمثالها أو خيرًا منها
وأما الإنفاق لوجه الله خالصًا كقوله وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء
وجه ربه الأعلى فلا يفعله إلا المؤمنون الخلّص فبعثوا عليه ليأخذوا بدله في يوم
لا بيع فيه ولا خلال أي لا انتفاع فيه بمبايعة ولا بمخالّة ولا بما ينفقون فيه أموالهم
من المعاوضات والمكارمات وإنما ينتفع فيه بالإنفاق لوجه الله وقرئ لا بيعَ
فيه ولا خلالَ بالرفع الله مبتدأ والذي خلق خبره ومن الثمرات بيان للرزق أي
أخرج به رزقًا هو الثمرات ويجوز أن يكون من الثمرات مفعول أخرج ورزقًا حالًا من
المفعول أو نصبًا على المصدر من أخرج لأنه في معنى رزق بأمره بقوله كن دائبين
يدأبان في سيرهما وإنارتهما ودرئهما الظلمات وإصلاحهما ما يصلحان من الأرض والأبدان
والنبات وسخّر لكم الليل والنهار يتعاقبان خلفةً لمعاشكم وسباتكم وآتاكم من كل ما
سألتموه من للتبعيض أي آتاكم بعض جميع ما سألتموه نظرًا في مصالحكم وقرئ من كلٍّ بالتنوين
وما سألتموه نفي ومحله النصب على الحال أي آتاكم من جميع ذلك غير سائليه ويجوز أن
تكون ما موصولة على وآتاكم من كل ذلك ما احتجتم إليه ولم تصلح أحوالكم ومعايشكم
إلا به فكأنكم سألتموه أو طلبتموه بلسان الحال لا تحصوها لا تحصروها ولا تطيقوا عدّ
عدّها ولو نوع آخرها هذا إذا أرادوا أن يعدّوها على الإجمال وأما على التفصيل
فلا يقدر عليه ولا يعلمه إلا الله لظلوم كفّار يظلم النعمة بإغفال شكرها كفّار شديد
الكفران لها وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفّار في النعمة يجمع ويمنع والإنسان للجنس
فيما والإخبار بالظلم والكفران عمن توجدان منه هذا البلد يعني البلد الحرام ٥٥
زاده الله أمنًا وكفاه كل باغٍ ظالم وأجاب فيه دعوة خليله إبراهيم آمنًا ذا أمن
فإن قلت أي فرق بين قوله اجعل هذا بلدًا آمنًا قلت قد سأل في الأول أن يجعله من
جملة البلاد التي يأمن أهلها ولا يخافون وفي الثاني أن يخرجه من صفة كان عليها من
الخوف إلى ضدها من الأمن كأنه قال هو بلد مخوف فاجعله آمنًا واجنبني وقرئ وأجنبني
وفيه ثلاث لغات جنبه الشر وجنّبه وأجنبه فأهل الحجاز يقولون جنبني شره بالتشديد
وأهل نجد جنبني شره وأجنبني والمعنى ثبّتنا وأدمنا على اجتناب عبادتها وبنيّ أراد به
بنيه من صلبه وسئل ابن عيينة كيف عبدت العرب الأصنام فقال ما عبد أحد من ولد
إسمعيل صنمًا واحتج بقوله واجنبني وبنيّ أن نعبد الأصنام إنما كانت أنصاب حجارة

من الصفة التي

لكن

لكن قوم قالوا البيت حجر فحيث ما نصبنا حجرًا فهو بمنزلة البيت فكانوا يدورون بذلك
الحجر ويسمونه الدوار فاستحب أن يقال طاف بالبيت ولا يقال دار بالبيت إنهن أضللن كثيرًا
من الناس فأعوذ بك لأن يعصمني وبني من ذلك وإنما جعلهن مضلّات لأن الناس ضلوا
بسببهن فكأنهن أضللنهم كما يقال فتنتهم الدنيا وغرتهم أي افتتنوا بها واغتروا بسببها
فمن تبعني على ملتي وكان حنيفًا مسلمًا مثلي فإنه مني أي هو بعضي لفرط اختصاصه بي
وملابسته لي وكذلك قوله من غشنا فليس منا أي ليس بعض المؤمنين على أن الغش ليس
من أفعالهم وأوصافهم ومن عصاني فإنك غفور رحيم تغفر له ما سلف من عصيانه
إذا بدا له فيه واستحدث الطاعة لي وقيل معناه ومن عصاني فيما دون الشرك
من ذريتي بعض أولادي وهم إسمعيل ومن ولد منه بواد هو وادي مكة غير ذي
زرع لا يكون فيه شيء من زرع قط كقوله قرآنًا عربيًا غير ذي عوج بمعنى لا يوجد فيه اعوجاج
ما فيه إلا الاستقامة لا غير عند بيتك المحرم الذي حرّم الله التعرض له والتهاون به
وجعل ما حوله حرمًا لمكانه أو لأنه لم يزل ممتنعًا عزيزًا يهابه كل جبار كالشيء المحرم
الذي حقه أن يجتنب أو لأنه محترم عظيم الحرمة لا يحل انتهاكها أو لأنه حرم على الطوفان
أي منع منه كما سمي عتيقًا لأنه أعتق منه فلم يستول عليه ليقيموا الصلوة اللام متعلقة
بأسكنت أي ما أسكنتهم بهذا الوادي الخلاء البلقع من كل مرتفق ومرتزق إلا
ليقيموا الصلوة عند بيتك المحرم ويعمروه بذكرك وعبادتك وما تعمر به مساجدك
ومتعبداتك متبركين بالبقعة التي شرفتها على البقاع مستسعدين بجوارك الكريم
متقربين إليك بالعكوف عند بيتك والطواف به والركوع والسجود حوله مستنزلين الرحمة
التي آثرت بها سكان حرمك أفئدة من الناس أفئدة من أفئدة الناس ومن للتبعيض
ويدل عليه ما روي عن مجاهد لو قال أفئدة الناس لزحمتكم عليه فارس والروم و
لو لم يقل من لازدحموا عليه حتى الروم والترك والهند ويجوز أن يكون من للابتداء
كقولك القلب مني سقيم تريد قلبي فكأنه قيل أفئدة ناس وإنما نكّرت المضاف إليه
في هذا التمثيل لتنكير أفئدة لأنها في الآية نكرة ليتناول بعض الأفئدة وقرئ آفدة
بوزن عاقدة وفيه وجهان أحدهما أن يكون من القلب كقولهم آدر في أدؤر والثاني
يكون اسم فاعله من أفدت الرحلة إذا عجلت أي جماعة أو جماعات يرحلون إليهم
ويعجلون نحوهم وقرئ أفدة وفيه وجهان أن تطرح الهمزة للتخفيف وإن كان الوجه
أن تخفف بإخراجها بين بين وأن يكون من أفد تهوي إليهم تسرع إليهم وتطير نحوهم
شوقًا ونزاعًا من قوله تهوي بخارمها هويّ الأجدل وقرئ تهوى على البناء
للمفعول من هوى إليه وأهواه غيره وتهوى إليهم من هوي يهوى إذا أحب
ضمن معنى تنزع فعدّي تعديته وارزقهم من الثمرات مع سكناهم واديًا ما فيه شيء
منها بأن تجلب إليهم من البلاد لعلهم يشكرون النعمة في أن يرزقوا أنواع الثمرات
حاضرة في واد يباب ليس فيه نجم ولا شجر ولا ماء لا جرم أن الله عز وجل أجاب دعوته
فجعله حرمًا آمنًا تجبى إليه ثمرات كل شيء رزقًا من لدنه ثم فضّله في وجود أصناف
الثمار فيه على كل ريف وعلى أخصب البلاد وأكثرها ثمارًا وفي أي بلد من بلاد الشرق
والغرب ترى الأعجوبة التي يريكها الله بواد غير ذي زرع وهي اجتماع البواكير والفواكه
المختلفة الأزمان من الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد وليس ذلك

من اماته نعمت فتعالى الله سكنا حرمه ووفقنا لشكر نعمه وادام لنا الشرف بالدخول
تحت دعوة ابرهيم صلوات الله عليه وسلامه ورزقنا طرفا من سلامة ذلك القلب السليم
النداء المكرر دليل التضرع واللجا الى الله انك تعلم ما نخفي وما نعلن تعلم السر كما تعلم
العلن علما لا تفاوت فيه لان غيبا من الغيوب لا يحتجب عنك والمعنى انك اعلم باحوالنا وما
يصلحنا وما يفسدنا منا وانت ارحم بنا وانصح لنا منا بانفسنا ولها فلا حاجة الى الدعا
والطلب وانما ندعوك اظهارا للعبودية لك وتخشعا لعظمتك وتذللا لعزتك وافتقارا
الى ما عندك واستعجالا لنيل اياديك وولها الى رحمتك وكما يتملق العبد بين يدي سيده رغبة
في اصابة معروفه مع توفر السيد على حسن الملكة وعن بعضهم انه رفع حاجته الى كريم فابطا
عليه النجح فاراد ان يذكره فقال مثلك لا يذكر استقصارا ولا توهما للغفلة عن حوائج السائلين
ولكن ذا الحاجة لا تدعه حاجته ان لا يتكلم فيها وقيل ما نخفي من الوجد لما وقع بيننا من الفرقة
وما نعلن من البكا والدعا وقيل ما نخفي من كآبة الافتراق وما نعلن يريد ما جرى بينه
وبين هاجر حين قالت له عند الوداع الى من تكلنا قال الى الله اكلكم قالت آلله امرك
بهذا قال نعم قالت اذن لا نخشى تركتنا الى كاف وما يخفى على الله من شيء من كلام الله عز وجل
تصديقا لابرهيم عليه السلام كقوله وكذلك يفعلون او من كلام ابرهيم يعني وما يخفى على الله عز
الذي هو عالم الغيب من شيء في كل مكان ومن للاستغراق كانه قيل وما يخفى على الله شيء ما
على في قوله على الكبر بمعنى مع كقوله اني على ما تريني من كبري اعلم من حيث توكل
الكتف وهو في موضع الحال معناه وهب لي وانا كبير وفي حال الكبر روي
ان اسمعيل عليه السلام ولد له وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحاق عليه السلام
وهو ابن مائة وثنتي عشرة سنة وقد روي انه ولد له اسمعيل لاربع وستين واسحاق
لتسعين وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه لم يولد لابرهيم الا بعد مائة وسبع عشرة
سنة وانما ذكر حال الكبر لان المنة بهبة الولد فيها اعظم من حيث انها حال وقوع بهبه
الياس من الولادة والظفر بالحاجة على عقب الياس من اجل النعم واجلاها في نفس
الظافر ولان الولادة في تلك السن العالية كانت آية لابرهيم عليه السلام ان ربي لسميع
الدعا كان قد دعا ربه وسأله الولد فقال رب هب لي من الصالحين فشكر لله ما
اكرمه به من اجابته فان قلت الله يسمع كل دعا اجابه او لم يجبه قلت هو من قولك
سمع الملك كلام فلان اذا اعتد به وقبله ومنه سمع الله لمن حمده وفي الحديث ما
اذن الله لشيء كاذنه لنبي يتغنى بالقران فان قلت ما هذه الاضافة السميع الى اضافته
الدعا قلت اضافة الصفة الى مفعولها واصله لسميع الدعا وقد ذكر سيبويه
فعيلا في جملة ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل كقولك هذا ضروب
زيدا وضراب اخاه ومنحار ابله وحذر امورا ورحيم اباه ويجوز ان يكون من اضافة
فعيل الى فاعله ويجعل دعا الله سميعا على الاسناد المجازي والمراد سماع الله
عز وجل ومن ذريتي وبعض ذريتي عطفا على المنصوب في اجعلني وانما بعض لانه علم
باعلام الله انه يكون في ذريته كفار وذلك قوله لا ينال عهدي الظالمين وتقبل
دعاي اي عبادتي واعتزلكم وما تدعون من دون الله في قراءة ابي ولابوي وقرا
سعيد بن جبير ولوالدي على الافراد يعني اباه وقرا الحسن بن علي رضي الله عنهما
ولولدي يعني اسمعيل واسحاق عليهما السلام وقرى ولولدي بضم الواو والولد

بمعنى الولد كالعدم والعدم وقيل جمع ولد كاسد في اسد وفي بعض المصاحف ولذريتي
فان قلت كيف جاز له ان يستغفر لابويه وكانا كافرين قلت هو من مجوزات العقل
لا يعلم امتناع جوازه الا بالتوقيف وقيل اراد بوالديه آدم وحوى وقيل بشرط الاسلام
ويأباه قوله الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك لانه لو شرط الاسلام لكان استغفارا
صحيحا لا مقال فيه فكيف يستثنى الاستغفار الصحيح من جملة ما يؤتسى فيه بابرهيم عليه
يوم يقوم الحساب اي يثبت وهو مستعار من قيام القائم على الرجل والدليل عليه
قولهم قامت الحرب على ساقها ونحوه قولهم ترجلت الشمس اذا اشرقت وثبت ضوءها
كانها قامت على رجل ويجوز ان يسند الى الحساب قيام اهله اسنادا مجازيا او يكون مثل
واسئل القرية وعن مجاهد رضي الله عنه قد استجاب الله له فيما سأل فلم يعبد احد من ولده
صنما بعد دعوته وجعل البلد آمنا ورزق اهله وجعله اماما وجعل في ذريته من يقيم
الصلوة واراه مناسكه وتاب عليه وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قال كانت الطائف
من ارض فلسطين فلما قال ابرهيم ربنا اني اسكنت الاية رفعها الله فوضعها حيث وضعها
رزقا للحرم فان قلت يتعالى الله عن السهو والغفلة فكيف يحسبه رسول الله صلعم وهو
اعلم الناس به غافلا حتى قيل ولا تحسبن الله غافلا قلت ان كان خطابا لرسول الله صلعم
ففيه وجهان احدهما التثبيت على ما كان عليه من انه لا يحسب الله غافلا كقوله ولا تكونن
من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر كما جا في الامر يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله
والثاني ان المراد بالنهي عن حسبانه غافلا الايذان بانه عالم بما يفعل الظالمون
لا يخفى عليه منه شيء وانه معاقبهم على قليله وكثيره على سبيل الوعيد والتهديد كقوله
والله بما تعملون عليم يريد الوعيد ويجوز ان يراد ولا تحسبنه يعاملهم معاملة الغافل
عما يعملون ولكن معاملة الرقيب المهيمن عليهم المحاسب على النقير والقطمير وان
كان خطابا لغيره ممن يجوز ان يحسبه غافلا لجهله بصفاته فلا سؤال فيه وعن ابن
عيينة تسلية للمظلوم وتهديد للظالم فقيل له من قال هذا فغضب وقال انما قاله
من علمه وقرى نؤخرهم بالنون والياء تشخص فيه الابصار اي ابصارهم لا تقر في
اماكنها من هول ما ترى مهطعين مسرعين الى الداعي وقيل الاهطاع ان تقبل ببصرك
على المرئي تديم النظر اليه لا تطرف مقنعي رؤوسهم رافعيها لا يرتد اليهم طرفهم لا يرجع
اليهم ان يطرفوا بعيونهم اي لا يطرفون ولكن عيونهم مفتوحة ممدودة من غير
تحريك للاجفان او لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى انفسهم وافئدتهم هوآء الخلا الذي
لم تشغله الاجرام فوصف به فقيل قلب فلان هواء اذا كان جبانا لا قوة في قلبه
ولا جرأة ويقال للاحمق ايضا قلبه هواء قال زهير من الظلمان جؤجؤه هواء
لان النعام مثل في الجبن والحمق وقال حسان فانت مجوف نخب هواء وعن
ابن جريج صفر من الخير خاوية منه وقال ابو عبيدة جوف لا عقول
لهم يوم يأتيهم العذاب مفعول ثان لانذر وهو يوم القيامة ومعنى اخرنا الى اجل
قريب ردنا الى الدنيا وامهلنا الى امد وحد من الزمان قريب نتدارك ما فرطنا
فيه من اجابة دعوتك واتباع رسلك او اريد باليوم يوم هلاكهم بالعذاب العاجل
او يوم موتهم معذبين بشدة السكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى وانهم يسألون يومئذ
ان يؤخرهم ربهم الى اجل قريب كقوله لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق اولم تكونوا

أقسمتم على إرادة القول وفيه وجهان أن يقولوا ذلك بطرا وأشرا ولما استولى
عليهم من عادة الجهل والسفه وأن يقولوه بلسان الحال حيث بنوا شديدا وأملوا بعيدا
وما لكم جواب القسم وإنما جاء بلفظ الخطاب لقوله أقسمتم ولو حكى لفظ المقسمين لقيل
ما لنا من زوال والمعنى أقسمتم أنكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت والفناء وقيل لا تنتقلون
إلى دار أخرى يعني كفرهم بالبعث كقوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت
يقال سكن الدار وسكن فيها ومنه قوله تعالى وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم لأن
السكنى من السكون الذي هو اللبث والأصل تعديه بفي كقولك قر في الدار وغني فيها
وأقام فيها ولكنه لما نقل إلى سكون خاص تصرف فيه فقيل سكن الدار كما قيل تبوأها
وأوطنها ويجوز أن يكون من السكون أي قروا فيها واطمأنوا طيبي النفوس سائرين
سيرة من قبلهم في الظلم والفساد لا يحدثونها بما لقي الأولون من أيام الله وكيف كان
عاقبة ظلمهم فيعتبروا ويرتدعوا وتبين لكم بالأخبار والمشاهدة كيف أهلكناهم وانتقمنا
منهم وقرئ ونبين لكم بالنون وضربنا لكم الأمثال أي صفات ما فعلوا وما فعل بهم وهي
في الغرابة كالأمثال المضروبة لكل ظالم وقد مكروا مكرهم أي مكرهم العظيم الذي استفرغوا
فيه جهدهم وعند الله مكرهم لا يخلو إما أن يكون مضافا إلى الفاعل كالأول على أن المعنى
ومكتوب عند الله مكرهم فهو مجازيهم عليه بمكر هو أعظم منه أو يكون مضافا إلى المفعول
على معنى وعند الله مكرهم الذي يمكرهم به وهو عذابهم الذي يستحقونه يأتيهم به من حيث لا
يشعرون ولا يحتسبون وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال وإن عظم مكرهم وتبالغ في
الشدة فضرب زوال الجبال منه مثلا لتفاقمه وشدته أي وإن كان مكرهم مسوى لإزالة الجبال
معدا لذلك وقد جعلت إن نافية واللام مؤكدة لها كقوله وما كان الله ليضيع إيمانكم والمعنى
ومحال أن تزول الجبال بمكرهم على أن الجبال مثل لآيات الله وشرائعه لأنها بمنزلة الجبال
الراسية ثباتا وتمكنا وينصره قراءة ابن مسعود وما كان مكرهم لتزول وقرئ لتزول بلام الابتداء
على معنى وإن كان مكرهم من الشدة بحيث تزول منه الجبال وتنقلع عن أماكنها وقرأ علي وعمر
رضي الله عنهما وإن كاد مكرهم مخلف وعده رسله يعني قوله إنا لننصر رسلنا كتب الله لأغلبن
أنا ورسلي فإن قلت هلا قيل مخلف رسله وعده ولم قدم المفعول الثاني على الأول قلت
قدم الوعد ليعلم أنه لا يخلف الوعد أصلا كقوله إن الله لا يخلف الميعاد ثم قال رسله
ليؤذن أنه إذا لم يخلف وعده أحدا وليس من شأنه إخلاف المواعيد كيف يخلفه رسله
الذين هم خيرته وصفوته وقرئ مخلف وعده رسله بجر الرسل ونصب الوعد وهذه
في الضعف كمن قرأ قتل أولادهم شركائهم عزيز غالب لا يماكر ذو انتقام لأوليائه من
أعدائه يوم تبدل الأرض انتصابه على البدل من يوم يأتيهم أو على الظرف للانتقام
والمعنى يوم تبدل هذه الأرض التي تعرفونها أرضا أخرى غير هذه المعروفة وكذلك
السموات والتبديل التغيير وقد يكون في الذوات كقولك بدلت الدراهم دنانير ومنه
بدلناهم جلودا غيرها وبدلناهم بجنتيهم جنتين وفي الأوصاف كقولك بدلت الحلقة
خاتما إذا أذبتها وسويتها خاتما فنقلتها من شكل إلى شكل ومنه قوله تعالى
فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات واختلف في تبديل السموات والأرض فقيل تبدل
أوصافها أوصافها فتسير عن الأرض جبالها وتفجر بحارها وتسوى فلا ترى
فيها عوج ولا أمت وعن ابن عباس هي تلك الأرض وإنما تغير وأنشد

وما الناس بالناس الذين عهدتهم ولا الدار بالدار التي كنت أعلم وتبدل السماء
بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها أبوابا وقيل
يخلق بدلها أرض وسموات أخر وعن ابن مسعود وأنس يحشر الناس على أرض بيضاء لم يخطئ
عليها أحد خطيئة وعن علي رضي الله عنه تبدل أرضا من فضة وسموات من ذهب وعن
الضحاك أرضا من فضة بيضاء كالصحائف وقرئ يوم نبدل بالنون فإن قلت كيف قال
الواحد القهار قلت هو كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لأن الملك إذا كان لواحد
غلاب لا يغالب ولا يعاز فلا مستغاث لأحد إلى غيره ولا مستجار كان الأمر في غاية
الصعوبة والشدة مقرنين قرن بعضهم مع بعض أو مع الشياطين أو قرنت أيديهم إلى أرجلهم
مغللين وقوله في الأصفاد إما أن يتعلق بمقرنين أي يقرنون في الأصفاد وإما أن لا يتعلق
به فيكون المعنى مقرنين مصفدين والأصفاد القيود وقيل الأغلال وأنشد لسلامة
بن جندل وزيد الخيل قد لاقى صفادا يعض بساعد وبعظم ساق القطران فيه
ثلاث لغات قطران وقطران وقطران بفتح القاف وكسرها مع سكون الطاء وهو ما يتحلب
من شجر يسمى الأبهل فيطبخ فتهنأ به الإبل الجربى فيحرق الجرب بحره وحدته والجلد وقد
تبلغ حرارته الجوف ومن شأنه أن يسرع فيه اشتعال النار وقد يستسرج به وهو أسود
اللون منتن الريح فتطلى به جلود أهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل وهي القمص
لتجتمع عليهم الأربع لذع القطران وحرقته وإسراع النار في جلودهم واللون الوحش ونتن
الريح على أن التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين وكل ما وعده الله أو أوعد
به في الآخرة فبينه وبين ما نشاهد من جنسه ما لا يقادر قدره وكأنه ما عندنا منه إلا
الأسامي والمسميات ثمة بكرمه الواسع نعوذ من سخطه ونسأله التوفيق فيما ينجينا
من عذابه وقرئ من قطر آن والقطر النحاس والصفر المذاب والآني المتناهي حره وتغشى
وجوههم النار كقوله أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم يسحبون في النار على وجوههم لأن
الوجه أعز موضع في ظاهر البدن وأشرفه كالقلب في باطنه ولذلك قال تطلع على
الأفئدة وقرئ وتغشى وجوههم بمعنى تتغشى أي يفعل بالمجرمين ما يفعل ليجزي كل نفس
مجرمة ما كسبت أو كل نفس من مجرمة ومطيعة لأنه إذا عاقب المجرمين لإجرامهم علم أنه
يثيب المطيعين لطاعتهم هذا بلاغ للناس كفاية في التذكير والموعظة يعني بهذا ما وصفه
من قوله ولا تحسبن إلى قوله سريع الحساب ولينذروا معطوف على محذوف أي لينصحوا ولينذروا
به بهذا البلاغ وقرئ ولينذروا بفتح الياء من نذر به إذا علمه واستعد له وليعلموا أنما هو
إله واحد لأنهم إذا خافوا ما أنذروا به دعتهم المخافة إلى النظر حتى يتوصلوا إلى التوحيد
لأن الخشية أم الخير كله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة إبراهيم أعطي من الأجر
عشر حسنات بعدد كل من عبد الأصنام وعدد من لم يعبد سورة الحجر مكية
وهي تسع وتسعون آية بسم الله الرحمن الرحيم تلك إشارة إلى ما تضمنته السورة
من الآيات والكتاب والقرآن المبين السورة وتنكير القرآن للتفخيم والمعنى تلك آيات الكتاب
الكامل في كونه كتابا وأي قرآن مبين كأنه قيل الكتاب الجامع للكمال والغرابة في البيان
قرئ ربما وربتما بالتشديد وربما وربما بالضم والفتح مع التخفيف فإن قلت لم دخلت
على المضارع وقد أبوا دخولها إلا على الماضي قلت لأن المترقب في إخبار الله عز وجل
بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه فكأنه قيل ربما ود فإن قلت متى يكون ودادتهم قلت

ليجزي الله

جزء

عند الموت او يوم القيمة اذا عاينوا حالهم وحال المسلمين وقيل اذا راوا المسلمين يخرجون من النار
وهذا ايضا باب من الودادة فان قلت فما معنى التقليل قلت هو وارد على مذهب العرب
في قولهم لعلك ستندم على فعلك وربما ندم الانسان على ما فعل ولا يشكون في ندمه ولا يقصدون
تقليله ولكنهم ارادوا لو كان الندم مشكوكا فيه او كان قليلا لحق عليك ان لا تفعل هذا الفعل
لان العقلاء يتحرزون من التعرض للغم المظنون كما يتحرزون من المتيقن ومن القليل منه
كما من الكثير وكذلك المعنى في الآية لو كانوا يودون الاسلام مرة واحدة فبالحرى ان
يسارعوا اليه فكيف وهم يودونه في كل ساعة ولو كانوا مسلمين حكاية ودادتهم وانما جيء
بها على لفظ الغيبة لانهم مخبر عنهم كقولك حلف بالله ليفعلن ولو قيل حلف بالله لا افعلن
ولو كنا مسلمين لكان حسنا سديدا وقيل تدهشهم اهوال ذلك اليوم فيبقون مبهوتين
فان حانت منهم افاقة في بعض الاوقات من سكرتهم تمنوا فلذلك قلل ذرهم يعني اقطع
طمعك من ارعوائهم ودعهم عن النهي عما هم عليه والصد عنه بالتذكرة والنصيحة وخلهم
ياكلوا ويتمتعوا بدنياهم وشهواتهم ويشغلهم املهم وتوقعهم لطول الاعمار واستقامة
الاحوال وان لا يلقوا في العاقبة الا خيرا فسوف يعلمون سوء صنيعهم والغرض الايذان
بانهم من اهل الخذلان وانهم لا يجيء منهم الا ما هم فيه وانه لا زاجر لهم ولا واعظ الا معاينة
ما ينذرون به حين لا ينفعهم الوعظ ولا سبيل الى اتعاظهم قبل ذلك فامر رسوله
بان يخليهم وشانهم ولا يشتغل بما لا طائل تحته وان يبالغ في تخليتهم حتى يامرهم
بما لا يزيدهم الا ندما في العاقبة وفيه الزام الحجة ومبالغة في الانذار واعذار فيه
وفيه تنبيه على ان ايثار التلذذ والتنعم وما يؤدي اليه طول الامل وهذه هجيرى
اكثر الناس ليس من اخلاق المومنين وعن بعضهم التمرغ في الدنيا من اخلاق الهالكين
ولها كتاب جملة واقعة صفة لقرية والقياس ان لا يتوسط الواو بينهما كما في قوله
وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون وانما توسطت لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف
كما يقال في الحال جاءني زيد عليه ثوب وجاءني وعليه ثوب كتاب معلوم مكتوب معلوم
وهو اجلها الذي كتب في اللوح وبين الامر الى قوله ما تسبق من امة اجلها في موضع كتابها
وانث الامة اولا ثم ذكرها آخرا حملا على اللفظ والمعنى وقال يستاخرون وحذف عنه
لانه معلوم قرا الاعمش يا ايها الذي القي عليه الذكر وكان هذا النداء منهم على وجه
الاستهزاء كما قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وكيف يقرون بنزول
الذكر عليه وينسبونه الى الجنون والتعكيس في كلامهم للاستهزاء والتهكم مذهب واسع
وقد جاء في كتاب الله في مواضع منها فبشرهم بعذاب انك لانت الحليم الرشيد وقد
يوجد كثيرا في كلام العجم والمعنى انك لتقول قول المجانين حين تدعي ان الله نزل
عليك الذكر لوما ركب مع لا وما لمعنيين معنى امتناع الشيء لوجود غيره ومعنى التحضيض
واما هل فلم يركب الا مع لا وحدها للتحضيض قال ابن مقبل لوما الحياء ولوما الدين
عبتكما ببعض ما فيكما اذ عبتما عودي ثم والمعنى هلا تاتينا بالملائكة يشهدون بصدقك
ويعضدونك على انذارك كقوله لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا او هلا تاتينا
بالملائكة للعقاب على تكذيبنا لك ان كنت صادقا كما كانت تاتي الامم المكذبة برسلها قرئ
ننزل بمعنى تتنزل وتنزل على البناء للمفعول من نزل وننزل الملائكة بالنون ونصب الملائكة
الا بالحق الا تنزلا ملتبسا بالحكمة والمصلحة ولا حكمة في ان ياتيكم عيانا تشاهدونهم ويشهدون

فبشرهم

ويشهدون لكم بصدق النبي صلى الله عليه وسلم لانكم حينئذ مصدقون عن اضطرار ومثله قوله
عز وجل وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وقيل الحق الوحي او العذاب واذن
جواب وجزاء لانه جواب لهم وجزاء الشرط مقدر تقديره ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين وما
اخر عذابهم انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم واستهزائهم في قولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر
ولذلك قال انا نحن واكد عليهم انه هو المنزل على القطع والثبات وانه هو الذي بعث به جبريل
الى محمد صلى الله عليه وسلم وبين يديه ومن خلفه رصد حتى نزل وبلغ محفوظا من الشياطين وهو
حافظه في كل وقت من كل زيادة ونقصان وتحريف وتبديل بخلاف الكتب المتقدمة فانه
لم يتول حفظها وانما استحفظها الربانيين والاحبار فاختلفوا فيما بينهم بغيا فكان التحريف
ولم يكل القرآن الى غير حفظه فان قلت فحين كان قوله انا نحن نزلنا الذكر ردا لانكارهم
واستهزائهم فكيف اتصل به قوله وانا له لحافظون قلت قد جعل ذلك دليلا على انه منزل
من عنده آية لانه لو كان من قول البشر او غير آية لتطرق عليه الزيادة والنقصان
كما يتطرق على كل كلام سواه وقيل الضمير في له لرسول الله صلعم كقوله والله يعصمك من
الناس في شيع الاولين في فرقهم وطوائفهم والشيعة الفرقة اذا اتفقوا على مذهب
وطريقة ومعنى ارسلناه نبأناه فيهم وجعلناه رسولا فيما بينهم وما ياتيهم حكاية
حال ماضية لان ما لا يدخل على مضارع الا وهو في معنى الحال ولا على ماض الا وهو قريب
من الحال يقال سلكت الخيط في الابرة واسلكته اذا ادخلته فيها وقرئ نسلكه
والضمير للذكر اي مثل ذلك السلك ونحوه نسلك الذكر في قلوب المجرمين على معنى انه يلقيه
في قلوبهم مكذبا به مستهزءا به غير مقبول كما لو انزلت بلئيم حاجة فلم يجبك اليها فقلت
كذلك انزلها باللئام يعني مثل هذا الانزال انزلها بهم مردودة غير مقضية ومحل
قوله لا يؤمنون به النصب على الحال اي غير مؤمن به او هو بيان لقوله كذلك نسلكه
سنة الاولين طريقتهم التي سنها الله في اهلاكهم حين كذبوا رسلهم وبالذكر المنزل
عليهم وهو وعيد لاهل مكة على تكذيبهم قرئ يعرجون بالضم والكسر سكرت
حيرت او حبست من الابصار من السكر او السكر وقرئ سكرت بالتخفيف اي حبست
كما يحبس النهر من الجري وقرئ سكرت من السكر اي حارت كما يحار السكران والمعنى
ان هؤلاء المشركين بلغ من غلوهم في العناد ان لو فتح لهم باب من ابواب السماء ويسر لهم
معراج يصعدون فيه اليها وراوا من العيان ما راوا لقالوا هو شيء نتخايله لا حقيقة
له ولقالوا قد سحرنا محمد بذلك وقيل الضمير للملائكة اي لو اريناهم الملائكة يصعدون
في السماء عيانا لقالوا ذلك وذكر الظلول ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين
لما يرون وقال انما ليدل على انهم يبتون القول بان ذلك ليس الا تسكيرا للابصار الا
من استرق في محل النصب على الاستثناء وعن ابن عباس انهم كانوا لا يحجبون عن السموات
فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلعم منعوا من السموات كلها شهاب
مبين ظاهر للمبصرين موزون وزن بميزان الحكمة وقدر بمقدار تقتضيه لا يصلح
فيه زيادة ولا نقصان او له وزن وقدر في ابواب النعمة والمنفعة وقيل ما يوزن
من نحو الذهب والفضة والنحاس والحديد وغيرها معايش بياء صريحة بخلاف الشمائل
والخبائث ونحوها فان تصريح الياء فيها خطأ والصواب الهمزة او اخراج الياء بين بين
وقد قرئ معائش بالهمزة على التشبيه ومن لستم له برازقين عطف على

ذهم

فيهم

معايش او على محل لكم كانه قيل وجعلنا لكم فيها معايش وجعلنا لكم من لستم له
برازقين او وجعلنا لكم فيها معايش ولمن لستم له برازقين واراد بهم العيال والمماليك
والخدم الذين يحسبون انهم يرزقونهم ويخطئون فان الله هو الرزاق يرزقهم واياهم
ويدخل فيه الانعام والدواب وكل ما بتلك المثابة مما الله رازقه وقد سبق الى ظنهم
انهم الرازقون ولا يجوز ان يكون مجرورا عطفا على الضمير المجرور في لكم لانه لا يعطف
على الضمير المجرور ذكر الخزائن مثل والمعنى وما من شيء ينتفع به العباد الا ونحن قادرون
على ايجاده وتكوينه والانعام به وما ننزله الا بمقدار معلوم نعلم انه مصلحة له فضرب
الخزائن مثلا لاقتداره على كل مقدور لواقح فيه قولان احدهما ان الريح لاقح اذا جاءت
بخير من انشاء سحاب ماطر كما قيل للتي لا تأتي بخير ريح عقيم والثاني ان اللواقح بمعنى
الملاقح كما قال ومختبط مما تطيح الطوائح يريد المطاوح جمع مطيحة وقرئ وارسلنا
الريح على تأويل الجنس فاسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا وما انتم له بخازنين نفى عنهم
ما اثبته لنفسه في قوله وان من شيء الا عندنا خزائنه كانه قال نحن الخازنون للماء على
معنى نحن القادرون على خلقه في السماء وانزاله منها وما انتم عليه بقادرين دلالة على
عظيم قدرته واظهار العجز هم ونحن الوارثون اي الباقون بعد هلاك الخلق كله وقيل
للباقي وارث استعارة من وارث الميت لانه يبقى بعد فنائه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
في دعائه واجعله الوارث منا ولقد علمنا من استقدم ولادة وموتا ومن تأخر من الاولين
والاخرين او من خرج من اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد او من تقدم في الاسلام وسبق
الى الطاعة ومن تأخر وقيل المستقدمين في صفوف الجماعة والمستأخرين وروي
ان امرأة حسناء كانت في المصليات خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان بعض القوم
يستقدم لئلا ينظر اليها وبعضهم يستأخر ليبصرها فنزلت هو يحشرهم اي هو القادر
على حشرهم والعالم بحصرهم مع افراط كثرتهم وتباعد اطراف عددهم انه حكيم عليم
باهر الحكمة واسع العلم يفعل كل ما يفعل على مقتضى الحكمة والصواب وقد احاط علما
بكل شيء الصلصال الطين اليابس الذي يصلصل وهو غير مطبوخ واذا طبخ فهو فخار
قالوا اذا توهمت في صوته مدا فهو صليل وان توهمت فيه ترجيعا فهو صلصلة وقيل
هو تضعيف صل اذا انتن والحمأ الطين الاسود المتغير والمسنون المصور من سنة الوجه
وقيل المصبوب المفرغ اي افرغ صورة انسان كما تفرغ الصور من الجواهر المذوبة في امثلتها
وقيل المنتن من سننت الحجر على الحجر اذا حككته به فالذي يسيل بينهما يسمى سنينا ولا يكون الا
منتنا من حمأ صفة لصلصال اي خلقه من صلصال كائن من حمأ وحق مسنون بمعنى
مصور ان يكون صفة لصلصال كانه افرغ الحمأ فصور منها تمثال انسان اجوف
فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غيره بعد ذلك الى جوهر اخر والجان للجن كآدم للناس
وقيل هو ابليس وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد رحمهما الله والجأن بالهمز من نار السموم
من نار الحر الشديد النافذ في المسام قيل هذه السموم جزء من سبعين جزءا من سموم
النار التي خلق الله منها الجان واذ قال ربك واذكر وقت قوله سويته عدلت
خلقته واكملتها وهيأتها لنفخ الروح فيها ومعنى ونفخت فيه من روحي
واحييته وليس ثم نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لتحصيل ما يحيى به فيه واستثني
ابليس من الملائكة لانه كان بينهم مأمورا معهم بالسجود فغلب اسم الملائكة عليهم

ثم استثني بعد التغليب كقولك رأيتهم الا هندا وأبى استئناف على تقدير قول قائل يقول
هلا سجد فقيل ابى ذلك واستكبر عنه وقيل معناه ولكن ابليس ابى فحرف الجر مع ان محذوف
تقديره ما لك في ان لا تكون مع الساجدين بمعنى اي غرض لك في اباءك السجود واي داع لك
اليه اللام في لاسجد لتأكيد النفي ومعناه لا يصح مني وينافي حالي ويستحيل ان اسجد لبشر
رجيم شيطان من الذين يرجمون بالشهب او مطرود من رحمة الله لان من يطرد يرجم
بالحجارة ومعناه ملعون لان اللعن هو الطرد من الرحمة والابعاد منها والضمير في منها
راجع الى الجنة او السماء او الى جملة الملائكة وضرب يوم الدين حدا للعنة اما لانه ابعد
غاية يضربها الناس في كلامهم كقوله ما دامت السموات والارض في التأبيد واما ان
يراد انك مذموم مدعو عليك باللعنة في السموات والارض الى يوم الدين من غير ان
تعذب فاذا جاء ذلك اليوم عذبت بما ينسى اللعن معه ويوم الدين ويوم يبعثون ويوم الوقت
المعلوم في معنى واحد ولكن خولف بين العبارات سلوكا بالكلام طريقة البلاغة وقيل
انما سأل الانظار الى اليوم الذي فيه يبعثون لئلا يموت لانه لا يموت يوم البعث احد فلم
يجب الى ذلك وانظر الى اخر ايام التكليف بما اغويتني الباء للقسم وما مصدرية وجواب
القسم لأزينن والمعنى اقسم باغوائك اياي لأزينن لهم ومعنى اغوائه اياه تسبيبه لغيه بان
امره بالسجود لآدم عليه السلام فافضى ذلك الى غيه وما الامر بالسجود الا حسن وتعريض للثواب
بالتواضع والخضوع لامر الله ولكن ابليس اختار الاباء والاستكبار فهلك والله تعالى بريء من غيه
ومن ارادته والرضى به ونحو قوله فبما اغويتني لأزينن قوله فبعزتك لاغوينهم في انه اقسام
الا ان احدهما اقسام بصفته والثاني اقسام بفعله وقد فرق الفقهاء بينهما ويجوز ان لا
يكون قسما ويقدر قسم محذوف ويكون المعنى بسبب تسببك لاغوائي اقسم لافعلن بهم نحو
ما فعلت بي من التسبيب لاغوائهم بان ازين لهم المعاصي واوسوس اليهم ما يكون سبب هلاكهم
في الارض في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله تعالى اخلد الى الارض واتبع هواه او اراد اني
اقدر على الاحتيال لادم والتزيين له الاكل من الشجرة وهو في السماء فانا على التزيين
لاولاده في الارض اقدر او اراد لأجعلن مكان التزيين عندهم الارض ولأوقعن تزييني
فيها اي لأزيننها في اعينهم ولاحدثنهم بان الزينة في الدنيا وحدها حتى يستحبوها على
الاخرة ويطمئنوا اليها دونها ونحوه يخرج في عراقيبها نصلي استثنى المخلصين لانه علم
ان كيده لا يعمل فيهم ولا يقبلون منه اي هذا طريق حق علي ان اراعيه وهو ان لا يكون لك
سلطان على عبادي الا من اختار اتباعك منهم لغوايته وقرئ علي وهو من علو الشرف
والفضل لموعدهم الضمير للغاوين وقيل ابواب النار اطباقها وادراكها فاعلاها للموحدين
والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس
والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وعن ابن عباس ان جهنم لمن ادعى الربوبية
ولظى لعبدة النار والحطمة لعبدة الاصنام وسقر لليهود والسعير للنصارى
والجحيم للصابئين والهاوية للموحدين وقرئ جزء بالتثقيل والتخفيف وقرأ الزهري
جز بالتشديد كانه حذف الهمزة والقى حركتها على الزاي كقولك خبء في خب ثم وقف
عليه بالتشديد كقولهم الرجل ثم اجرى الوصل مجرى الوقف المتقين على الاطلاق من
يتقي ما يجب اتقاؤه مما نهي عنه وعن ابن عباس اتقوا الكفر والفواحش ولهم ذنوب تكفرها
الصلوات وغيرها ادخلوها على ارادة القول وقرأ الحسن ادخلوها بسلام سالمين او مسلما عليكم

يسلم عليكم الملائكة الغل الحقد الكامن في القلب من انغل في جوفه وتغلغل اي ان
كان لاحدهم غل في الدنيا على آخر نزع الله ذلك من قلوبهم وطيب نفوسهم وعن
علي رضي الله عنه ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم وعن الحارث الاعور كنت
جالسا عنده اذ جاء ابن طلحة فقال له علي رضي الله عنه مرحبا بك يا ابن اخي اما والله اني لارجوا
ان اكون انا وابوك ممن قال الله تعالى فيهم ونزعنا ما في صدورهم من غل فقال له قايل
كلا الله اعدل من ان يجمعك وطلحة في مكان واحد فقال فلمن هذه الاية لا ام لك
وقيل طهر الله قلوبهم من ان يتحاسدوا على الدرجات في الجنة ونزع منها كل غل
والقى فيها التواد والتحاب واخوانا نصب على الحال وعلى سرر متقابلين كذلك
وعن مجاهد تدور بهم الاسرة حيثما داروا فيكونون في جميع احوالهم متقابلين لما اتم
ذكر الوعد والوعيد اتبعه نبئ عبادي تقريرا لما ذكر وتمكينا له في النفوس وعن
ابن عباس غفور لمن تاب وعذابه لمن لم يتب وعطف ونبئهم على نبئ عبادي ليتخذوا
ما احل من العذاب بقوم لوط عبرة يعتبرون بها سخط الله وانتقامه من المجرمين
ويتحققوا عنده ان عذابه هو العذاب الاليم سلاما اي نسلم عليك سلاما او سلمت
سلاما وجلون خائفون وكان خوفه لامتناعهم من الاكل وقيل لانهم دخلوا بغير اذن
وبغير وقت وقرا الحسن لا توجل بضم التاء اوجله يوجله اذا اخافه وقرئ لا تاجل
ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله وقرئ نبشرك بفتح النون والتخفيف انا نبشرك
استيناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل اراد انك بمثابة الآمن المبشر فلا توجل
يعني ابشرتموني مع مس الكبر بان يولد لي اي ان الولادة امر عجيب مستنكر في العادة
مع الكبر فبم تبشرون هي ما الاستفهامية دخلها معنى التعجب كانه قال فباي
اعجوبة تبشروني او اراد انكم تبشروني بما هو غير متصور في العادة فباي شي
تبشرون يعني لا تبشروني في الحقيقة بشي لان البشارة بمثل هذا بشارة بغير شي
ويجوز ان لا يكون صلة لبشر ويكون سوالا عن الوجه والطريقة يعني باي طريقة
تبشروني بالولد والبشارة به لا طريقة لها في العادة وقوله بشرناك بالحق يحتمل
ان يكون الباء فيه صلة اي بشرناك باليقين الذي لا لبس فيه او بشرناك بطريقة هي حق
وهي قول الله ووعده وانه قادر على ان يوجد ولدا من غير ابوين فكيف من شيخ فان
وعجوز عاقر وقرئ تبشرون بفتح النون وبكسرها على حذف نون الجمع والاصل
تبشرونني وتبشروني بادغام نون الجمع في نون العماد وقرئ من القانطين من قنط
يقنط وقرئ ومن يقنط بالحركات الثلث في النون اراد ومن يقنط من رحمة ربه الا
المخطئون طريق الصواب او الا الكافرون كقوله لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون
يعني لم استنكر ذلك قنوطا من رحمته ولكن استبعادا له في العادة التي اجراها
الله تعالى فان قلت قوله تعالى الا آل لوط استثناء متصل ام منقطع قلت لا يخلو من ان يكون
استثناء من قوم فيكون منقطعا لان القوم موصوفون بالاجرام فاختلف لذلك الجنسان
وان يكون استثناء من الضمير في مجرمين فيكون متصلا كانه قيل الى قوم قد اجرموا كلهم الا
آل لوط وحدهم كما قال فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين فان قلت فهل يختلف
المعنى لاختلاف الاستثناءين قلت نعم وذلك ان آل لوط مخرجون في المنقطع من حكم
الارسال وعلى انهم ارسلوا الى القوم المجرمين خاصة ولم يرسلوا الى آل لوط اصلا

ارادوا انك

ومعنى ارسالهم

ومعنى ارسالهم الى القوم المجرمين كارسال الحجر او السهم الى المرمي في انه في معنى التعذيب
والاهلاك كانه قيل انا اهلكنا قوما مجرمين ولكن آل لوط انجيناهم واما في المتصل
فهم داخلون في حكم الارسال وعلى ان الملائكة ارسلوا اليهم جميعا ليهلكوا هولاء وينجوا
هولاء فلا يكون الارسال مخلصا لمعنى الاهلاك والتعذيب كما في الوجه الاول فان قلت
فقوله انا لمنجوهم بم يتعلق على الوجهين قلت اذا انقطع الاستثناء جرى مجرى خبر
لكن في الاتصال بآل لوط لان المعنى لكن آل لوط منجون واذا اتصل كان كلاما مستانفا
كان ابراهيم صلوات الله عليه قال لهم فما حال آل لوط فقالوا انا لمنجوهم فان قلت فقوله الا
امراته مم استثني وهل هو استثناء من استثناء قلت استثني من الضمير المجرور في قوله
لمنجوهم وليس من الاستثناء من الاستثناء في شي لان الاستثناء من الاستثناء انما يكون فيما اتحد
الحكم فيه وان يقال اهلكناهم الا آل لوط الا امراته كما اتحد الحكم في قول المطلق
انت طالق ثلاثا الا اثنتين الا واحدة وفي قول المقر لفلان علي عشرة دراهم الا
ثلثة الا درهما فاما في الاية فقد اختلف الحكمان لان الا آل لوط متعلق بارسلنا
او بمجرمين والا امراته قد تعلق بمنجوهم فانى يكون استثناء من استثناء وقرئ لمنجوهم
بالتخفيف والتثقيل فان قلت لم جاز تعليق فعل التقدير في قوله قدرنا انها لمن
الغابرين والتعليق من خصايص افعال القلوب قلت لتضمن فعل التقدير معنى
العلم ولذلك فسر العلماء تقدير الله اعمال العباد بالعلم فان قلت فلم اسند
الملائكة فعل التقدير وهو لله وحده الى انفسهم ولم يقولوا قدر الله قلت لما
لهم من القرب والاختصاص بالله الذي ليس لاحد غيرهم كما يقول خاصة الملك
دبرنا كذا وامرنا بكذا والمدبر والامر هو الملك لا هم وانما يظهرون بذلك
اختصاصهم وانهم لا يتميزون عنه وقرئ قدرنا بالتخفيف منكرون اي
تنكركم نفسي وتنفر منكم فاخاف ان تطرقوني بشر بدليل قوله بل جئناك بما كانوا
فيه يمترون اي ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما فيه فرحك وسرورك وتشفيك
من عدوك وهو العذاب الذي كنت تتوعدهم بنزوله فيمترون فيه ويكذبونك بالحق
باليقين من عذابهم وانا لصادقون في الاخبار بنزوله بهم وقرئ فاسر بقطع الهمزة
ووصلها من اسرى وسرى وروى صاحب الاقليد فسر من السير والقطع في آخر
الليل قال افتحي الباب وانظري في النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم وقيل هو بعد
ما يمضي منه شطر صالح من الليل فان قلت ما معنى امره باتباع ادبارهم ونهيهم عن الالتفات
قلت قد بعث الله الهلاك على قومه ونجاه واهله اجابة لدعوته عليهم وخرج
مهاجرا فلم يكن له بد من الاجتهاد في شكر الله وادامة ذكره وتفريغ باله لذلك
فامر بان يقدمهم لئلا يشتغل بمن خلفه قلبه وليكون مطلعا عليهم وعلى احوالهم
فلا تفرط منهم التفاتة احتشاما منه ولا غيرها من الهفوات في تلك الحالة المهولة
المحذورة ولئلا يتخلف منهم احد لغرض له فيصيبه العذاب وليكون مسيره مسير الهارب
الذي يقدم سربه ويفوت به ونهوا عن الالتفات لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب
فيرقوا لهم وليوطنوا نفوسهم على المهاجرة ويطيبوها عن مساكنهم ويمضوا قدما غير
ملتفتين الى ما وراءهم كالذي يتحسر على مفارقة وطنه فلا يزال يلوي اليه اخادعه كما قال
تلفت نحو الحي حتى وجدتني وجعت من الاصغاء ليتا واخدعا او جعل النهي عن الالتفات

كناية عن مواصلة السير وترك التواني في التوقف لان من يلتفت لا بد له في ذلك من ادنى وقفة
حيث تؤمرون قيل هو مصر . وعدّى وامضوا الى حيث تعديته الى الظرف المبهم لان
حيث مبهم في الامكنة وكذلك الضمير في تؤمرونه . وعدى وقضينا الى لانه ضمن معنى اوحينا
كانه قيل واوحيناه اليه مقضيا مبتوتا . وفسر ذلك الامر بقوله ان دابر هؤلاء مقطوع
وفي ابهامه وتفسيره تفخيم للامر وتعظيم له . وقرأ الاعمش انّ بالكسر على الاستئناف
كان قائلا قال اخبرنا عن ذلك الامر فقال ان دابر هؤلاء . وفي قراءة ابن مسعود وقلنا
ان دابر هؤلاء ودابرهم آخرهم يعني يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد . اهل
المدينة اهل سدوم التي ضرب بقاضيها المثل في الجور مستبشرين بالملائكة لا تفضحون
بفضيحة ضيفي لان من أسيء الى ضيفه او جاره فقد أسيء اليه كما ان من اكرم من يتصل به فقد
اكرم ولا تخزون ولا تذلون باذلال ضيفي من الخزي وهو الهوان او ولا تشوروا بي
من الخزاية وهي الحياء عن العالمين عن ان تجير منهم احدا او تدفع عنهم او تمنع بيننا وبينهم
فانهم كانوا يتعرضون لكل احد وكان يقوم صلى الله عليه بالنهي عن المنكر والحجز بينهم
وبين المتعرض له فاوعدوه وقالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين . وقيل عن
ضيافة الناس وانزالهم وكانوا نهوه ان يضيف احدا قط هؤلاء بناتي اشارة الى النساء
لان كل امة اولاد نبيها رجالهم بنوه ونساؤهم بناته فكانه قال لهم هؤلاء بناتي فانكحوهن
وخلوا بني فلا تتعرضوا لهم ان كنتم فاعلين شك في قبولهم لقوله كانه قال ان فعلتم ما
اقول لكم وما اظنكم تفعلون وقيل ان كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما احل الله دون ما حرم
لعمرك على ارادة القول اي قالت الملائكة للوط عليه السلام لعمرك انهم لفي سكرتهم اي في غوايتهم
التي اذهبت عقولهم وتمييزهم بين الخطأ الذي هم عليه وبين الصواب الذي تشير به عليهم
من ترك البنين الى البنات يعمهون يتحيرون فكيف يقبلون قولك ويصغون الى نصيحتك
وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانه اقسم بحياته وما اقسم بحياة احد قط
كرامة له والعمر والعمر واحد الا انهم خصوا القسم بالمفتوح لايثار الاخف فيه وذلك
ان الحلف كثير الدور على السنتهم ولذلك حذفوا الخبر وتقديره لعمرك مما اقسم به كما حذفوا
الفعل في تالله . وقرئ في سكرهم وفي سكراتهم الصيحة يعني صيحة جبريل مشرقين
داخلين في الشروق وهو بزوغ الشمس من سجيل قيل من طين عليه كتاب من السجل ودليله
قوله حجارة من طين مسومة عند ربك اي معلمة بكتاب للمتوسمين للمتفرسين المتأملين
وحقيقة المتوسمين النظار المتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة سمة الشيء يقال توسمت
في فلان كذا اي عرفت وسمه فيه والضمير في عاليها سافلها لقرى قوم لوط وانها وان
هذه القرى يعني آثارها لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس لم يندرس بعد وهم يبصرون تلك
الآثار وهو تنبيه لقريش كقوله انكم لتمرون عليهم مصبحين اصحاب الايكة قوم شعيب عليه السلام
وانهما يعني قرى قوم لوط والايكة وقيل الضمير للايكة ومدين لان شعيبا عليه السلام
كان مبعوثا اليهما فلما ذكر الايكة دل بذكرها على مدين فجاء بضميرهما لبامام مبين
لبطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به فسمي به الطريق ومطمر البناء واللوح الذي يكتب فيه
لانها مما يؤتم به اصحاب الحجر ثمود والحجر واديهم وهو بين المدينة والشام المرسلين يعني
بتكذيبهم صالحا لان من كذب واحدا منهم فكانما كذبهم جميعا او اراد صالحا ومن معه
من المؤمنين كما قيل الخبيبون في ابن الزبير واصحابه وعن جابر رضي الله عنه قال مررنا

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر فقال لنا لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الا
ان تكونوا باكين حذرا ان يصيبكم مثل ما اصاب هؤلاء ثم زجر رسول الله صلى الله عليه وسلم راحلته
فاسرع حتى خلفها امنين لوثاقة البيوت واستحكامها من ان تنهدم ويتداعى بنيانها ومن
نقب اللصوص ومن الاعداء وحوادث الدهر او امنين من عذاب الله يحسبون ان الجبال تحميهم
منه ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة والاموال والعدد الا بالحق الا خلقا ملتبسا
بالحق والحكمة لا باطلا وعبثا او بسبب العدل والانصاف يوم الجزاء على الاعمال وان الساعة
لآتية وان الله عز وجل ينتقم لك فيها من اعدائك ويجازيك واياهم على حسناتك وسيئاتهم فانه ما
خلق السموات والارض وما بينهما الا لذلك فاصفح فاعرض عنهم واحتمل ما تلقى منهم اعراضا
جميلا بحلم واغضاء وقيل هو منسوخ باية السيف ويجوز ان يراد به المخالقة فلا يكون منسوخا
ان ربك هو الخلاق الذي خلقك وخلقهم وهو العليم بحالك وحالهم فلا يخفى عليه ما يجري
بينكم وهو يحكم بينكم او ان ربك هو الذي خلقكم وعلم ما هو الاصلح لكم وقد علم ان الصفح اليوم
اصلح الى ان يكون السيف اصلح وفي مصحف ابي وعثمان ان ربك هو الخالق وهو يصلح للقليل
والكثير والخلاق للكثير لا غير كقولك قطع الثياب وقطع الثوب والثياب سبعا سبع آيات
وهي الفاتحة او سبع سور وهي الطوال واختلف في السابعة فقيل الانفال وبراءة لانهما في حكم
سورة ولذلك لم يفصل بينهما باية التسمية وقيل سورة يونس وقيل هي آل حم او سبع صحائف
وهي الاسباع من المثاني من التثنية وهي التكرير فان الفاتحة مما تكرر قراءتها في الصلاة
وغيرها او من الثناء لاشتمالها على ما هو ثناء على الله تعالى الواحدة مثناة او مثنية صفة
للآية واما السور او الاسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد
والوعيد وغير ذلك ولما فيها من الثناء كانها تثني على الله سبحانه بافعاله العظمى وصفاته
الحسنى ومن اما للبيان او للتبعيض اذا اردت بالسبع الفاتحة او الطوال وللبيان اذا
اردت الاسباع ويجوز ان تكون كتب الله عز وجل كلها مثاني لانها تثني عليه ولما فيها
من المواعظ المكررة ويكون القرآن بعضها فان قلت كيف صح عطف القرآن العظيم
على السبع وهل هو الا عطف الشيء على نفسه قلت اذا عني بالسبع الفاتحة او الطوال
فما وراءهن ينطلق عليه اسم القرآن لانه اسم يقع على البعض كما يقع على الكل الا ترى الى
قوله بما اوحينا اليك هذا القرآن يعني سورة يوسف واذا عني الاسباع فالمعنى ولقد
آتيناك ما يقال له السبع المثاني والقرآن العظيم اي الجامع لهذين النعتين وهو الثناء
او التثنية والعظم اي لا تطمح ببصرك طموح راغب فيه متمن له الى ما متعنا به ازواجا منهم
اصنافا من الكفار فان قلت كيف وصل هذا بما قبله قلت يقول لرسوله صلى الله عليه وسلم
قد اوتيت النعمة العظمى التي كل نعمة وان عظمت فهي اليها حقيرة ضئيلة وهي القرآن
العظيم فعليك ان تستغني به ولا تمدن عينيك الى متاع الدنيا ومنه الحديث ليس منا
من لم يتغن بالقرآن وحديث ابي بكر رضي الله عنه من اوتي القرآن فرأى ان احدا اوتي من الدنيا
افضل مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وقيل وافت من بصرى واذرعات سبع
قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجوهر وسائر الامتعة
فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها ولانفقناها في سبيل الله فقال لهم
الله عز وعلا قد اعطيتكم سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع ولا تحزن عليهم يعني
لا يتمنوا اموالهم ولا تحزن عليهم انهم لم يؤمنوا فيتقوى بمكانهم الاسلام وينتعش بهم المؤمنون

وتواضع لمن معك من فقراء المؤمنين وضعفائهم وطب نفسًا عن ايمان الاغنياء والاقوياء
وقل لهم اني انا النذير المبين انذركم ببيان وبرهان ان عذاب الله نازل بكم فان قلت بم تعلق
قوله كما انزلنا قلت فيه وجهان احدهما ان يتعلق بقوله ولقد آتيناك اي انزلنا عليك
مثل ما انزلنا على اهل الكتاب وهم المقتسمون الذين جعلوا القرآن عضين حيث قالوا
لعنادهم وعدوانهم بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما فاقتسموه
الى حق وباطل وعضوه وقيل كانوا يستهزئون به فيقول بعضهم سورة البقرة لي ويقول
الآخر سورة آل عمران لي ويجوز ان يراد بالقرآن ما يقرؤونه من كتبهم وقد اقتسموه بتحريفهم
وبان اليهود اقرت ببعض التوراة وكذبت ببعض والنصارى اقرت ببعض الانجيل وكذبت
ببعض وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن صنيع قومه بالقرآن وتكذيبهم وقولهم
سحر وشعر واساطير بان غيرهم من الكفرة فعلوا بغيره من الكتب فعلهم والثاني ان
يتعلق بقوله وقل اني انا النذير اي وانذر قريشا مثل ما انزلنا من العذاب على المقتسمين
يعني اليهود وهو ما جرى على قريظة والنضير جعل المتوقع بمنزلة الواقع وهو من الاعجاز
لانه اخبار بما سيكون وقد كان ويجوز ان يكون الذين جعلوا القرآن عضين منصوبا بالنذير
اي انذر المعضين الذين يجزؤون القرآن الى سحر وشعر واساطير مثل ما انزلنا على المقتسمين
وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم فقعدوا في كل مدخل متفرقين لينفروا
الناس عن الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا فانه ساحر ويقول
الآخر كذاب والآخر شاعر فاهلكهم الله يوم بدر وقبله بآفات كالوليد بن المغيرة والعاص
بن وائل والاسود بن المطلب وغيرهم او مثل ما انزلنا على الرهط الذين تقاسموا على ان
يبيتوا صالحا عليه السلام والاقتسام بمعنى التقاسم فان قلت اذا علقت قوله كما انزلنا
بقوله ولقد آتيناك فما معنى توسط لا تمدن الى آخره بينهما قلت لما كان ذلك تسلية
لرسول الله صلى الله عليه عن تكذيبهم وعداوتهم اعترض بما هو مدد لمعنى التسلية من النهي
عن الالتفات الى دنياهم والتأسف على كفرهم ومن الامر بان يقبل بمجامعه على المؤمنين
عضين اجزاء جمع عضة واصلها عضوة فعلة من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء قال
رؤبة وليس دين الله بالمعضى وقيل هي فعلة من عضهته اذا بهته وعن عكرمة العضه
السحر بلسان قريش يقولون للساحرة عاضهة ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم العاضهة
والمستعضهة نقصانها على الاول واو وعلى الثاني هاء لنسألنهم عبارة عن الوعيد وقيل
يسألهم سؤال تقريع وعن ابي العالية يسأل العباد عن خلتين عما كانوا يعبدون وما
ذا اجابوا المرسلين فاصدع بما تؤمر فاجهر به واظهره يقال صدع بالحجة اذا تكلم بها
جهارا كقولك صرح بها من الصديع وهو الفجر والصدع في الزجاجة الابانة وقيل فاصدع
فافرق بين الحق والباطل بما تؤمر والمعنى بما تؤمر به من الشرائع فحذف الجار كقوله
امرتك الخير فافعل ما امرت به ويجوز ان تكون ما مصدرية اي بامرك مصدر من المبني
للمفعول وعن عروة بن الزبير في المستهزئين هم خمسة نفر ذوو اسنان وشرف الوليد
بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب والحارث
بن الطلاطلة وعن ابن عباس ماتوا كلهم قبل بدر قال جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه
امرت ان اكفيكهم فاومى الى ساق الوليد بن المغيرة فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم
ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات واومى الى اخمص العاص

بن وائل

بن وائل فدخلت فيها شوكة فقال لدغت لدغت فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات
واشار الى عيني الاسود بن المطلب فعمي واشار الى انف الحارث بن قيس فامتخط قيحا فمات والى
الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح رأسه بالشجرة ويضرب وجهه
بالشوك حتى مات بما يقولون من اقاويل الطاعنين فيك وفي القرآن فسبح فافزع فيما نابك الى
الله والفزع الى الله هو الذكر الدائم وكثرة السجود يكفك ويكشف عنك الغم ودم على عبادة
ربك حتى يأتيك اليقين اي الموت اي ما دمت حيا فلا تخل بالعبادة وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلاة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وسلم

ربع

سورة النحل مكية غير ثلاث آيات في آخرها وتسمى سورة النعم وهي مائة وثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم كانوا يستعجلون ما وعدوا من قيام الساعة
او نزول العذاب بهم يوم بدر استهزاء وتكذيبا بالوعد فقيل لهم اتى امر الله اي هو بمنزلة
الآتي الواقع وان كان منتظرا لقرب وقوعه فلا تستعجلوه روي انه لما نزلت اقتربت الساعة
قال الكفار فيما بينهم ان هذا يزعم ان القيامة قد قربت فامسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر
ما هو كائن فلما تأخرت قالوا ما نرى شيئا فنزلت اقترب للناس حسابهم فاشفقوا وانتظروا
قربها فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيئا مما تخوفنا به فنزلت اتى امر الله فوثب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤوسهم فنزلت فلا تستعجلوه فاطمأنوا وقرئ
تستعجلوه بالتاء والياء سبحانه وتعالى عما يشركون تبرأ عز وجل عن ان يكون له شريك وان
تكون آلهتهم له شركاء او عن اشراكهم على ان ما موصولة او مصدرية فان قلت كيف اتصل
هذا باستعجالهم قلت لان استعجالهم استهزاء وتكذيب وذلك من الشرك وقرئ تشركون بالتاء
والياء ينزل قرئ بالتخفيف والتشديد وقرئ تنزل الملائكة اي تتنزل بالروح من امره بما يحيي القلوب
الميتة بالجهل من وحيه او بما يقوم في الدين مقام الروح في الجسد ان انذروا بدل من الروح
اي ينزلهم بان انذروا وتقديره بانه انذروا اي بان الشأن اقول لكم انذروا او تكون ان
مفسرة لان تنزيل الملائكة بالوحي فيه معنى القول ومعنى انذروا انه لا اله الا انا اعلموا
بان الامر ذلك من نذرت بكذا اذا اعلمته والمعنى يقول لهم اعلموا الناس قولي لا اله الا انا
فاتقون ثم دل على وحدانيته وانه لا اله الا هو بما ذكر مما لا يقدر عليه غيره من خلق
السموات والارض وخلق الانسان وما يصلحه وما لا بد له منه من خلق البهائم لاكله وركوبه
وجر اثقاله وسائر حاجاته وخلق ما لا يعلمون من اصناف خلائقه ومثله متعال عن
ان يشرك به غيره وقرئ يشركون بالتاء والياء فاذا هو خصيم مبين فيه معنيان احدهما
فاذا هو منطيق مجادل عن نفسه مكافح للخصوم مبين للحجة بعدما كان نطفة من مني جمادا
لا حس به ولا حركة دلالة على قدرته والثاني فاذا هو خصيم لربه منكر على خالقه
قائل من يحيي العظام وهي رميم وصفا للانسان بالافراط في الوقاحة والجهل والتمادي
في كفران النعمة وقيل نزلت في ابي بن خلف الجمحي حين جاء بالعظم الرميم الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال يا محمد اترى الله يحيي هذا بعدما قد رم والانعام الازواج الثمانية واكثر
ما يقع على الابل وانتصابها بمضمر يفسره الظاهر كقوله والقمر قدرناه ويجوز ان يعطف
على الانسان اي خلق الانسان والانعام ثم قال خلقها لكم اي ما خلقها الا لكم ولمصالحكم
يا جنس الانسان دفء اسم لما يدفأ به كما ان الملء اسم ما يملأ به وهو الدفاء من لباس

معمول من صوف او وبر او شعر وقرئ دف بطرح الهمزة والقاء حركتها على الفاء ومنافع
هي نسلها ودرها وغير ذلك فان قلت تقديم الظرف في قوله ومنها تأكلون مؤذن بالاختصاص
وقد يؤكل من غيرها قلت الاكل منها هو الاصل الذي يعتمده الناس في
معايشهم واما الاكل من غيرها من الدجاج والبط وصيد البر والبحر فكغير
المعتد به وكالجاري مجرى التفكه ويحتمل ان طعمتكم منها لانكم تحرثون بالبقر فالحب
والثمار التي تأكلونها منها وتكتسبون باكراء الابل وتبيعون نتاجها والبانها
وجلودها منّ الله تعالى بالتجمل بها كما منّ بالانتفاع بها لانه من اغراض اصحاب المواشي
بل هو من معاظمها لان الرعيان اذا روحوها بالعشي وسرحوها بالغداة فزينت باراحتها
وتسريحها الافنية وتجاوب فيها الثغاء والرغاء آنست اهلها وفرحت اربابها واجلتهم
في عيون الناظرين اليها وكسبتهم الجاه والحرمة عند الناس ونحوه لتركبوها وزينة
يواري سوآتكم وريشا فان قلت لم قدمت الاراحة على التسريح قلت لان الجمال في الاراحة
اظهر اذا اقبلت ملأى البطون حافلة الضروع ثم اوت الى الحظائر حاضرة لاهلها
وقرأ عكرمة حينا تريحون وحينا تسرحون على ان تريحون وتسرحون وصف للحين
والمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه كقوله تعالى يوما لا تجزي قرئ بشق الانفس بكسر
الشين وفتحها وقيل هما لغتان في معنى المشقة وبينهما فرق وهو ان المفتوح مصدر
شق الامر عليه شقا وحقيقته راجعة الى الشق الذي هو الصدع واما الشق فالنصف
كانه يذهب نصف قوته لما يناله من الجهد فان قلت ما معنى قوله لم تكونوا بالغيه كانهم
كانوا زمانا يتحملون المشاق في بلوغه حتى حملت الابل اثقالهم قلت معناه وتحمل
اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه في التقدير لو لم تخلق الابل الا بجهد انفسكم لا انهم لم
يكونوا بالغيه في الحقيقة فان قلت كيف طابق قوله لم تكونوا بالغيه قوله وتحمل
اثقالكم وهلا قيل لم تكونوا حامليها اليه قلت طابقه من حيث ان المعنى معناه
وتحمل اثقالكم الى بلد بعيد قد علم انكم لا تبلغونه بانفسكم الا بجهد ومشقة فضلا
ان تحملوا على ظهوركم اثقالكم ويجوز ان يكون المعنى لم تكونوا بالغيه بها الا بشق الانفس
وقيل اثقالكم اجرامكم وعن عكرمة البلد مكة لرؤف رحيم حيث رحمكم بخلق هذه
الحوامل وتيسير هذه المصالح والخيل والبغال والحمير عطف على الانعام اي وخلق هؤلا
للركوب وللزينة وقد احتج على حرمة اكل لحومهن بان علل خلقها بالركوب وللزينة
ولم يذكر الاكل بعد ما ذكره في الانعام فان قلت لم انتصب وزينة قلت لانه مفعول له
وهو معطوف على محل لتركبوها فان قلت هلا ورد المعطوف والمعطوف عليه على
سنن واحد قلت لان الركوب فعل المخاطبين واما الزينة ففعل الزائن وهو الخالق
وقرئ لتركبوها زينة بغير واو اي وخلقها زينة لتركبوها او تجعل زينة حالا
من ها اي وخلقها لتركبوها وهي زينة وجمال ويخلق ما لا تعلمون يجوز ان يريد به
ما خلق فينا ولنا مما لا نعلم كنهه وتفاصيله ويمن علينا بذكره كما من بالاشياء
المعلومة مع الدلالة على قدرته ويجوز ان يخبرنا بان له من الخلائق ما لا علم لنا به
ليزيدنا دلالة على اقتداره بالاخبار بذلك وان طوى عنا علمه لحكمة له في طيه وقد
حمل على ما خلق في الجنة والنار مما لم يبلغه وهم احد ولا خطر على قلبه
المراد بالسبيل الجنس ولذلك اضاف اليها القصد وقال ومنها جائر والقصد

مصدر بمعنى الفاعل وهو القاصد يقال سبيل قصد وقاصد اي مستقيم كانه يقصد الوجه
الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه ومعنى قوله وعلى الله قصد السبيل ان هداية الطريق
الموصل الى الحق واجبة عليه كقوله ان علينا للهدى فان قلت لم غير اسلوب
الكلام في قوله ومنها جائر قلت ليعلم ما يجوز اضافته اليه من السبيلين وما
لا يجوز ولو كان الامر كما تزعم المجبرة لقيل وعلى الله قصد السبيل وعليه جائرها
او وعليه الجائر وقرأ عبد الله ومنكم جائر يعني ومنكم جائر عن القصد بسوء اختياره
والله بريء منه ولو شاء لهداكم اجمعين قسرا والجاء لكم منه شراب يتعلق بانزل او بشراب خبرا له
والشراب ما يشرب شجر يعني الشجر الذي ترعاه المواشي وفي حديث عكرمة لا تأكلوا ثمن الشجر
فانه سحت يعني الكلأ تسيمون من سامت الماشية اذا رعت فهي سائمة واسامها صاحبها
وهو من السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات في الارض قرئ ينبت
بالياء والنون فان قلت لم قيل ومن كل الثمرات قلت لان كل الثمرات لا تكون الا في الجنة
وانما انبت في الارض بعض من كلها للتذكرة يتفكرون ينظرون فيستدلون بها عليه
وعلى قدرته وحكمته والآية الدلالة الواضحة وعن بعضهم ينبت بالتشديد وقرأ ابي بن كعب
ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب بالرفع قرئ كلها بالنصب
على وجعل النجوم مسخرات وعلى ان معنى تسخيرها للناس تصييرها نافعة لهم حيث
يسكنون بالليل ويبتغون من فضله بالنهار ويعلمون عدد السنين والحساب بمسير
الشمس والقمر ويهتدون بالنجوم فكانه قيل ونفعكم بها في حال كونها مسخرات لما خلقن له
بامره ويجوز ان يكون المعنى انه سخرها انواعا من التسخير جمع مسخر بمعنى تسخير من قولك
سخره الله مسخرا كقولك سرحه الله مسرحا كانه قيل وسخرها لكم تسخيرات بامره وقرئ
بنصب الليل والنهار وحدهما ورفع ما بعدهما على الابتداء والخبر وقرئ والنجوم مسخرات
بالرفع وما قبله بالنصب وقال ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون فجمع الآية وذكر
العقل لان الآثار العلوية اظهر دلالة على القدرة الباهرة وابين شهادة على الكبرياء
والعظمة وما ذرأ لكم معطوف على الليل والنهار يعني ما خلق فيها من حيوان وشجر وثمر
وغير ذلك مختلفا الوانه هيآته والمناظر لحما طريا هو السمك ووصفه بالطراوة لان
الفساد يسرع اليه فيسارع الى اكله خيفة الفساد عليه فان قلت ما بال الفقهاء
قالوا اذا حلف الرجل لا يأكل لحما فاكل سمكا لم يحنث والله تعالى سماه لحما كما ترى
قلت مبنى الايمان على العادة وعادة الناس اذا ذكر اللحم على الاطلاق ان لا يفهم منه
السمك فاذا قال الرجل لغلامه اشتر بهذه الدراهم لحما فجاء بالسمك كان حقيقا بالانكار
ومثاله ان الله تعالى سمى الكافر دابة في قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فلو حلف
حالف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث حلية هي اللؤلؤ والمرجان والمراد بلبسهم لبس
نسائهم لانهن من جملتهم ولانهن انما يتزين بها من اجلهم فكانها زينتهم ولباسهم مواخر
شق الماء بحيزومها وعن الفراء هو صوت جري الفلك بالرياح ولتبتغوا من فضله للتجارة ان تميد بكم
كراهة ان تميل بكم وتضطرب وفي المائدة الذي يدار به اذا ركب البحر قيل خلق الله الارض
فجعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال
لم تدر الملائكة مم خلقت وانهارا وجعل فيها انهارا لان القى فيه معنى جعل الا ترى الى
قوله الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا وعلامات هي معالم الطرق وكل ما يستدل

يستدل به السابلة من جبل ومنهل وغير ذلك والمراد بالنجم الجنس كقولك كثر الدرهم في أيدي الناس وعن السدي هو الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي وقرأ الحسن وبالنجم بضمتين وبضمة وسكون وهو جمع نجم كرهن ورهن والسكون تخفيف وقيل حذف الواو من النجوم تخفيفا فإن قلت قوله وبالنجم هم يهتدون مخرج عن سنن الخطاب مقدم فيه النجم مقحم فيه هم كأنه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فمن المراد بهم قلت كأنه أراد قريشا كان لهم اهتداء بالنجوم في مسايرهم وكان لهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم فكان الشكر أوجب عليهم والاعتبار ألزم لهم فخصصوا فإن قلت من لا يخلق أريد به الأصنام فلم جيء بمن الذي هو لأولي العلم خاصة قلت فيه أوجه أحدها أنهم سموها آلهة وعبدوها فأجروها مجرى أولي العلم ألا ترى إلى قوله على أثره والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون والثاني المشاكلة بينه وبين من يخلق والثالث أن يكون المعنى أن من يخلق ليس كمن لا يخلق من أولي العلم فكيف بما لا علم عنده كقوله ألهم أرجل يمشون بها يعني أن الآلهة حالهم منحطة عن حال من لهم أرجل وأيد وآذان وقلوب لأن هؤلاء أحياء وهم أموات فكيف تصح لهم العبادة لا أنها لو صحت لهم هذه الأعضاء لصح أن يعبدوا فإن قلت هو إلزام للذين عبدوا الأوثان وسموها آلهة تشبيها بالله فقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق فكان حق الإلزام أن يقال لهم أفمن لا يخلق كمن يخلق قلت حين جعلوا غير الله مثل الله في تسميته باسمه والعبادة له وسووا بينه وبينه فقد جعلوا الله من جنس المخلوقات وشبيها بها فأنكر عليهم ذلك بقوله أفمن يخلق كمن لا يخلق لا تحصوها لا تضبطوا عددها ولا تبلغه طاقتكم فضلا أن تطيقوا القيام بحقها من أداء الشكر أتبع ذلك ما عدد من نعمه تنبيها على أن وراءها ما لا ينحصر ولا ينعد إن الله لغفور رحيم حيث يتجاوز عن تقصيركم في أداء شكر النعمة ولا يقطعها عنكم لتفريطكم ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها والله يعلم ما تسرون وما تعلنون من أعمالكم وهو وعيد والذين يدعون والآلهة الذين يدعوهم الكفار من دون الله وقرئ بالتاء وقرئ يدعون على البناء للمفعول نفى عنهم خصائص الإلهية بنفي كونهم خالقين وأحياء لا يموتون وعالمين بوقت البعث وأثبت لهم صفات الخلق بأنهم مخلوقون وأنهم أموات وأنهم جاهلون بالغيب ومعنى أموات غير أحياء أنهم لو كانوا آلهة على الحقيقة لكانوا أحياء غير أموات أي غير جائز عليها الموت كالحي الذي لا يموت وأمرهم على العكس من ذلك والضمير في يبعثون للداعين أي لا يشعرون متى تبعث عبدتهم وفيه تهكم بالمشركين وأن آلهتهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف يكون لهم وقت جزاء منهم على عبادتهم وفيه دلالة على أنه لا بد من البعث وأنه من لوازم التكليف ووجه آخر وهو أن يكون المعنى أن الناس يخلقونهم بالنحت والتصوير وهم لا يقدرون على نحو ذلك فهم أعجز من عبدتهم أموات جمادات لا حياة فيها غير أحياء يعني أن من الأموات ما يعقب موته حياة كالنطف التي ينشئها الله حيوانا وأجساد الحيوان التي تبعث بعد موتها وأما الحجارة فأموات لا يعقب موتها حياة وذلك أعرق في موتها وما يشعرون أيان يبعثون أي وما يعلم هؤلاء الآلهة متى تبعث الأحياء تهكما بحالها لأن شعور الجماد محال فكيف بشعور ما لا يعلمه حي إلا الحي القيوم سبحانه ووجه ثالث وهو أن يراد بالذين يدعون الملائكة

جعلوا

الأحيا

وكان نا

وكان ناس منهم يعبدونهم وأنهم أموات أي لا بد لهم من الموت غير أحياء غير باقية حياتهم وما يشعرون ولا علم لهم بوقت بعثهم وقرئ إيان بكسر الهمزة إلهكم إله واحد يعني أنه قد ثبت بما تقدم من إبطال أن تكون الإلهية لغيره وأنها له وحده لا شريك له فيها فكان من نتيجة ثبات الوحدانية ووضوح دليلها استمرارهم على شركهم وأن قلوبهم منكرة للوحدانية وهم مستكبرون عنها وعن الإقرار بها لا جرم حقا أن الله يعلم سرهم وعلانيتهم فيجازيهم وهو وعيد إنه لا يحب المستكبرين يجوز أن يريد المستكبرين عن التوحيد يعني المشركين ويجوز أن يعم كل مستكبر ويدخل هؤلاء تحت عمومه ماذا منصوب بأنزل بمعنى أي شيء أنزل ربكم أو مرفوع بالابتداء بمعنى أي شيء أنزله ربكم فإذا نصبت فمعنى أساطير الأولين ما تدعون نزوله أساطير الأولين وإذا رفعته فالمعنى المنزل أساطير الأولين كقوله ماذا ينفقون قل العفو فيمن رفع فإن قلت هو كلام متناقض لأنه لا يكون منزل ربهم وأساطير قلت هو على السخرية كقوله إن رسولكم وهو كلام بعضهم لبعض أو قول المسلمين لهم وقيل هو قول المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سألهم وفود الحاج عما أنزل على رسول الله قالوا أحاديث الأولين وأباطيلهم ليحملوا أوزارهم أي قالوا ذلك إضلالا للناس وصدا عن رسول الله فحملوا أوزار ضلالهم كاملة وبعض أوزار من ضل بضلالهم وهو وزر الإضلال لأن المضل والضال شريكان هذا يضله وهذا يطاوعه على إضلاله فيتحاملان الوزر ومعنى اللام التعليل من غير أن يكون غرضا نحو قولك خرجت من البلد مخافة الشر بغير علم حال من المفعول أي يضلون من لا يعلم أنهم ضلال وإنما وصف بالضلال واحتمال الوزر من أضلوه وإن لم يعلم لأنه كان عليه أن يبحث وينظر بعقله حتى يميز بين المحق والمبطل القواعد أساطين البناء التي تعمده وقيل الأساس وهذا تمثيل يعني أنهم سووا منصوبات ليمكروا بها الله ورسوله فجعل الله هلاكهم في تلك المنصوبات كحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالأساطين فأتي البنيان من الأساطين بأن ضعضعت فسقط عليهم السقف فهلكوا ونحوه من حفر لأخيه جبا وقع فيه منكبا وقيل هو نمرود بن كنعان حين بنى الصرح ببابل طوله خمسة آلاف ذراع وقيل فرسخان فأهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا ومعنى إتيان الله إتيان أمره من القواعد من جهة القواعد من حيث لا يشعرون من حيث لا يحتسبون ولا يتوقعون وقرئ فأتى الله بيتهم فخر عليهم السقف بضمتين يخزيهم يذلهم بعذاب الخزي ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته يعني هذا لهم في الدنيا ثم العذاب في الآخرة شركاي على الإضافة إلى نفسه حكاية لإضافتهم ليوبخهم بها على طريق الاستهزاء بهم تشاقون فيهم تعادون وتخاصمون المؤمنين في شأنهم ومعناه وقرئ تشاقون بكسر النون بمعنى تشاقونني لأن مشاقة المؤمنين كأنها مشاقة الله عز وجل قال الذين أوتوا العلم هم الأنبياء والعلماء من أممهم الذين كانوا يدعونهم إلى الإيمان ويعظونهم فلا يلتفتون إليهم ويتكبرون عليهم ويشاقونهم يقولون ذلك شماتة بهم وحكى الله عز وجل ذلك من قولهم ليكون لطفا لمن سمعه وقيل هم الملائكة وقرئ يتوفاهم بالتاء والياء وقرئ الذين توفاهم بإدغام التاء في التاء فألقوا السلم فسالموا وأخبتوا وجاؤوا بخلاف ما كانوا عليه في الدنيا من الشقاق والكبر وقالوا ما كنا نعمل من سوء وجحدوا ما وجد منهم من الكفر والعدوان فرد عليهم أولو العلم إن الله عليم بما كنتم تعملون فهو مجازيكم عليه وهذا أيضا من الشماتة وكذلك فادخلوا أبواب

جهنم. خيرا أنزل خيرا. فإن قلت لم نصب هذا ورفع الأول؟ قلت فصلا بين جواب المقر
وجواب الجاحد، يعني أن هؤلاء لما سئلوا لم يتلعثموا وأطبقوا الجواب على السؤال
بينا مكشوفا مفعولا للإنزال فقالوا خيرا أي أنزل خيرا، وأولئك عدلوا بالجواب عن السؤال
فقالوا هو أساطير الأولين وليس من الإنزال في شيء. وروي أن أحياء العرب كانوا يبعثون
أيام الموسم من يأتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا جاء الوافد كفه المقتسمون وأمروه بالانصراف
وقالوا إن لم تلقه كان خيرا لك، فيقول أنا شر وافد إن رجعت إلى قومي دون أن أستطلع
أمر محمد وأراه، فيلقى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبرونه بصدقه وأنه نبي مبعوث
فهم الذين قالوا خيرا. وقوله للذين أحسنوا وما بعده بدل من خيرا حكاية لقول الذين اتقوا
أي قالوا هذا القول فقدم عليه تسميته خيرا ثم حكاه، ويجوز أن يكون كلاما مبتدأ عدة
للقائلين، ويجعل قولهم من جملة إحسانهم ويحمدوا عليه. حسنة مكافأة في الدنيا
بإحسانهم ولهم في الآخرة ما هو خير منها، كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب
الآخرة. ولنعم دار المتقين دار الآخرة، فحذف المخصوص بالمدح لتقدم ذكره. وجنات عدن
خبر مبتدأ محذوف، ويجوز أن يكون المخصوص بالمدح. طيبين طاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر
والمعاصي لأنه في مقابلة ظالمي أنفسهم. يقولون سلام عليكم قيل إذا أشرف العبد
المؤمن على الموت جاءه ملك فقال السلام عليك يا ولي الله، الله يقرأ عليك السلام
وبشره بالجنة. يأتيهم الملائكة قرئ بالتاء والياء، يعني أن تأتيهم لقبض الأرواح. أو أمر ربك
العذاب المستأصل أو القيامة. كذلك أي مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب فعل
الذين من قبلهم وما ظلمهم الله بتدميرهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون لأنهم فعلوا
ما استوجبوا به التدمير. سيئات ما عملوا جزاء سيئات أعمالهم، أو هو كقوله وجزاء سيئة
سيئة مثلها. هذا من جملة ما عدد من أصناف كفرهم وعنادهم من شركهم بالله وإنكار
وحدانيته بعد قيام الحجج، وإنكار البعث واستعجاله استهزاء به، وتكذيبهم الرسول
وشقاقهم واستكبارهم عن قبول الحق، يعني أنهم أشركوا بالله وحرموا ما أحل من البحيرة
والسائبة وغيرهما، ثم نسبوا فعلهم إلى الله وقالوا لو شاء لم نفعل. وهذا مذهب المجبرة
بعينه. كذلك فعل الذين من قبلهم أي أشركوا وحرموا حلال الله، فلما نبهوا على
قبح فعلهم وركوه على ربهم. فهل على الرسل إلا أن يبلغوا الحق وأن الله لا يشاء الكفر
والمعاصي بالبيان والبرهان، ويطلعوا على بطلان الشرك وقبحه وبراءة الله من أفعال
العباد وأنهم فاعلوها بقصدهم وإرادتهم واختيارهم، والله عز وجل باعثهم على
جميلها وموفقهم له وزاجرهم عن قبيحها وموعدهم عليه. ولقد أمد إبطال قدر
السوء ومشيئة الشر بأنه ما من أمة إلا وقد بعث فيهم رسولا يأمرهم بالخير الذي هو
الإيمان وعبادة الله وباجتناب الشر الذي هو طاعة الطاغوت. فمنهم من هدى الله
أي لطف به لأنه عرفه من أهل اللطف. ومنهم من حقت عليه الضلالة أي ثبت عليه
الخذلان والترك من اللطف لأنه عرفه مصمما على الكفر لا يأتي منه خير. فسيروا
فانظروا ما فعلت بالمكذبين حتى لا يبقى لكم شبهة في أني لا أقدر الشر ولا أشاؤه حيث
أفعل ما أفعل بالأشرار. ثم ذكر عناد قريش وحرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على إيمانهم
وعرفه أنهم من قسم من حقت عليه الضلالة وأنه لا يهدي من يضل أي لا يلطف بمن يخذل
لأنه عبث والله متعال عن العبث لأنه من قبيل القبائح التي لا تجوز عليه. وقرئ لا يهدي

أي لا يقدر أحد على هدايته وقد خذله الله. وقوله وما لهم من ناصرين دليل
على أن المراد بالإضلال الخذلان الذي هو نقيض النصرة. ويجوز أن يكون لا يهدي بمعنى لا
يهتدي، يقال هداه الله فهدى. وفي قراءة أبي فإن الله لا هادي لمن يضل ولمن أضل، وهي
معاضدة لمن قرأ لا يهدى على البناء للمفعول. وفي قراءة عبد الله يهدي بإدغام تاء يهتدي
وهي معاضدة للأولى. وقرئ يَضل بالفتح. وقرأ النخعي إن تحرص بفتح الراء، وهي لغة
وأقسموا بالله معطوف على وقال الذين أشركوا، إيذانا بأنهما كفرتان عظيمتان موصوفتان
حقيقتان بأن تحكيا وتدونا: توريك ذنوبهم على مشيئة الله، وإنكارهم البعث مقسمين عليه.
بلى إثبات لما بعد النفي، أي بلى يبعثهم. ووعدا مصدر مؤكد لما دل عليه بلى، لأن يبعث
موعد من الله، وبين أن الوفاء بهذا الموعد حق واجب عليه في الحكمة. ولكن أكثر الناس لا يعلمون
أنهم يبعثون، أو أنه وعد واجب على الله، لأنهم يقولون لا يجب على الله شيء، لا ثواب عامل ولا
غيره من مواجب الحكمة. ليبين لهم متعلق بما دل عليه بلى، أي يبعثهم ليبين لهم. والضمير لمن
يموت، وهو عام للمؤمنين والكافرين. الذي يختلفون فيه هو الحق. وليعلم الذين كفروا أنهم
كانوا كاذبين في قولهم لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء وفي قولهم لا يبعث الله من يموت. وقيل
يجوز أن يتعلق بقوله ولقد بعثنا في كل أمة رسولا، أي بعثناه ليبين لهم ما اختلفوا فيه
وأنهم كانوا على الضلالة قبله مفترين على الله الكذب. قولنا مبتدأ وأن نقول خبره
كن فيكون من كان التامة التي بمعنى الحدوث والوجود، أي إذا أردنا وجود شيء فليس
إلا أن نقول له احدث فهو يحدث عقيب ذلك لا يتوقف، وهذا مثل لأن مراد الله لا يمتنع عليه
وأن وجوده عند إرادته غير متوقف، كوجود المأمور به عند أمر الآمر المطاع إذا
ورد على المأمور المطيع الممتثل، ولا قول ثم. والمعنى أن إيجاد كل مقدور على الله
عز وعلا بهذه السهولة، فكيف يمتنع عليه البعث الذي هو من شق المقدورات. وقرئ
فيكونَ عطفا على نقول. والذين هاجروا هم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ظلمهم
أهل مكة ففروا بدينهم إلى الله، منهم من هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة فجمع بين الهجرتين
ومنهم من هاجر إلى المدينة. وقيل هم الذين كانوا يحبسون ويعذبون بعد هجرة رسول الله
صلى الله عليه وسلم، وكلما خرجوا تبعوهم فردوهم، منهم بلال وصهيب وخباب وعمار
رضي الله عنهم. وعن صهيب أنه قال لهم أنا رجل كبير إن كنت معكم لم أنفعكم وإن كنت عليكم
لم أضركم. فافتدى منهم بماله وهاجر، فلما رآه أبو بكر قال له ربح البيع يا صهيب. وقال له
عمر نعم الرجل صهيب، لو لم يخف الله لم يعصه، وهو ثناء عظيم، يريد لو لم يخلق الله نارا
لأطاعه فكيف وقد خلقها. في الله في حقه ولوجهه. حسنة صفة للمصدر أي لنبوئنهم تبوئة
حسنة. وفي قراءة علي رضي الله عنه لنثوينهم، ومعناه أثواءة حسنة. وقيل لننزلنهم في الدنيا
منزلة حسنة، وهي الغلبة على أهل مكة الذين ظلموهم وعلى العرب قاطبة وعلى أهل المشرق
والمغرب. وعن عمر رضي الله عنه أنه كان إذا أعطى رجلا من المهاجرين عطاءه قال خذ بارك
الله لك فيه، هذا ما وعدك ربك في الدنيا وما ذخر لك في الآخرة أكبر. وقيل
لنبوئنهم مباءة حسنة وهي المدينة حيث آواهم أهلها ونصروهم. لو كانوا يعلمون الضمير
للكفار، أي لو علموا أن الله يجمع لهؤلاء المستضعفين في أيديهم الدنيا والآخرة لرغبوا
في دينهم. ويجوز أن يرجع الضمير إلى المهاجرين، أي لو كانوا يعلمون ذلك لزادوا في
اجتهادهم وصبرهم. الذين صبروا على هم الذين صبروا أو أعني الذين صبروا، وكلاهما

فتان
ودعاء
الذي

وكلاهما مدح اى صبروا على العذاب وعلى مفارقة الوطن الذى هو حرم الله عز وجل
المحبوب في كل قلب فكيف بقلوب قوم هو مسقط رأسهم وعلى المجاهدة وبذل الارواح
في سبيل الله ٭ قالت قريش الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا فقيل وما ارسلنا من
قبلك الا رجالا يوحى اليهم على السنة الملائكة فاسئلوا اهل الذكر وهم اهل الكتاب
ليعلموكم ان الله لم يبعث الى الامم السالفة الا بشرا فان قلت بم تعلق قوله بالبينات
قلت له متعلقات شتى فاما ان يتعلق بما ارسلنا داخلا تحت حكم الاستثناء مع رجالا
اى وما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط لان اصله ضربت
زيدا بالسوط واما برجالا صفة له اى رجالا ملتبسين بالبينات واما بارسلنا
مضمرا كانما قيل بم ارسلوا فقيل بالبينات فهو على كلامين والاول على كلام واحد واما
بيوحى اى يوحى اليهم بالبينات واما بلا تعلمون على ان الشرط في معنى التبكيت والالزام
كقول الاجير ان كنت عملت لك فاعطني حقي وقوله فاسئلوا اهل الذكر اعتراض على
الوجوه المتقدمة واهل الذكر اهل الكتاب وقيل للكتاب الذكر لانه موعظة
وتنبيه للغافلين ما نزل اليهم يعني ما نزل الله اليهم في الذكر مما امروا به ونهوا عنه
ووعدوا واوعدوا ولعلهم يتفكرون وارادة ان يصغوا الى تنبيهاته فيتنبهوا ٭
ويتأملوا مكروا السيئات اى المكرات السيئات وهم اهل مكة وما مكروا به رسول الله
صلى الله عليه وسلم في تقلبهم متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم واسباب دنياهم
على تخوف متخوفين وهو ان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فياخذهم بالعذاب وهم متخوفون
متوقعون وهو خلاف قوله من حيث لا يشعرون وقيل هو من قولك تخوفته وتخونته
اذا تنقصته قال زهير ٭ تخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة
السفن ٭ اى ياخذهم على ان يتنقصهم شيئا بعد شيء في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا
وعن عمر رضي الله عنه انه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من
هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص قال فهل تعرف العرب ذلك في اشعارها
قال نعم قال شاعرنا وانشد البيت فقال عمر ايها الناس عليكم بديوانكم لا يضل
قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم فان ربكم
لرؤف رحيم حيث يحلم عنكم ولا يعاجلكم مع استحقاقكم قرئ اولم يروا ويتفيؤا
بالياء والتاء وما موصولة بخلق الله وهو مبهم بيانه من شيء يتفيؤا ظلاله واليمين
بمعنى الايمان وسجدا حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير في ظلاله
لانه في معنى الجمع وهو ما خلق الله من كل شيء له ظل وجمع بالواو لان الدخور
من اوصاف العقلاء او لان في جملة ذلك من يعقل فغلب والمعنى اولم يروا الى ما
خلق الله من الاجرام التي لها ظلال متفيئة عن ايمانها وشمائلها اى عن جانبي
كل واحد منها وشقيه استعارة من يمين الانسان وشماله لجانبي الشيء اى ترجع الظلال
من جانب الى جانب منقادة لله غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ والاجرام
في انفسها داخرة ايضا صاغرة منقادة لافعال الله فيها لا تمتنع من دابة يجوز ان
يكون بيانا لما في السموات وما في الارض جميعا على ان في السموات خلقا لله يدبون
فيها كما يدب الاناسي في الارض وان يكون بيانا لما في الارض وحده ويراد بما في السموات
الخلق الذي يقال له الروح وان يكون بيانا لما في الارض ويراد بما في السموات الملائكة

وكرر ذكرهم على معنى والملائكة خصوصا من بين الساجدين لانهم اطوع الخلق واعبدهم ويجوز
ان يراد بما في السموات ملائكتهن وبقوله والملائكة ملائكة الارض من الحفظة وغيرهم
فان قلت سجود المكلفين مما انتظمه هذا الكلام خلاف سجود غيرهم فكيف عبر عن النوعين
بلفظ واحد قلت المراد بسجود المكلفين طاعتهم وعبادتهم وبسجود غيرهم انقياده
لارادة الله وانها غير ممتنعة عليها وكلا السجودين يجمعهما معنى الانقياد فلم يختلفا
فلذلك جاز ان يعبر عنهما بلفظ واحد فان قلت فهلا جيء بمن دون ما تغليبا للعقلاء
من الدواب على غيرهم قلت لانه لو جيء بمن لم يكن فيه دليل على التغليب فكان متناولا للعقلاء
خاصة فجيء بما هو صالح للعقلاء وغيرهم ارادة العموم يخافون يجوز ان يكون حالا من الضمير
في لا يستكبرون اى لا يستكبرون خائفين وان يكون بيانا لنفي الاستكبار وتاكيدا له
لان من خاف الله لم يستكبر عن عبادته من فوقهم ان علقته بيخافون فمعناه يخافونه
ان يرسل عليهم عذابا من فوقهم وان علقته بربهم حالا منه فمعناه يخافون ربهم عاليا
لهم قاهرا كقوله وهو القاهر فوق عباده وانا فوقهم قاهرون وفيه دليل على
ان الملائكة مكلفون مدارون على الامر والنهي والوعد والوعيد كسائر المكلفين وانهم
بين الخوف والرجاء فان قلت انما جمعوا بين العدد والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين
فقالوا عندي رجال ثلثة وافراس اربعة لان المعدود عار عن الدلالة على العدد
الخاص فاما رجل ورجلان وفرس وفرسان فمعدودان فيهما دلالة على العدد فلا
حاجة الى ان يقال رجل واحد ورجلان اثنان فما وجه قوله الهين اثنين قلت
الاسم الحامل لمعنى الافراد او التثنية دال على شيئين على الجنسية والعدد المخصوص
فاذا اريدت الدلالة على ان المعني به منهما والذي يساق اليه الحديث هو العدد شفع
بما يؤكده فدل به على القصد اليه والعناية به الا ترى انك لو قلت انما هو اله
ولم تؤكده بواحد لم يحسن وخيل انك تثبت الالهية لا الوحدانية فاياي فارهبون
نقل للكلام عن الغيبة الى التكلم وجاز لان الغائب هو المتكلم وهو من طريقة الالتفات
وهو ابلغ في الترهيب من قوله واياه فارهبوه ومن ان يجيء ما قبله على لفظ المتكلم الدين
الطاعة واصبا حال عمل فيه الظرف والواصب الواجب الثابت لان كل نعمة منه فالطاعة
فالطاعة واجبة له على كل منعم عليه ويجوز ان يكون من الوصب اى وله الدين
ذا كلفة ومشقة ولذلك سمي تكليفا او وله الجزاء دائما ثابتا سرمدا لا يزول
يعني الثواب والعقاب وما بكم من نعمة واي شيء حل بكم او اتصل بكم من نعمة فهو من الله
فاليه تجأرون فما تتضرعون الا اليه والجؤار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة قال
الاعشى ٭ يراوح من صلوات المليك طورا سجودا وطورا جؤارا ٭ وقرئ تجرون بطرح
الهمزة والقاء حركتها على الجيم وقرأ قتادة كاشف الضر على فاعل بمعنى فعل وهو اقوى
من كشف لان بناء المغالبة يدل على المبالغة فان قلت فما معنى قوله اذا فريق منكم بربهم
يشركون قلت يجوز ان يكون الخطاب في قوله وما بكم من نعمة عاما ويريد بالفريق
فريق الكفرة وان يكون الخطاب للمشركين ومنكم للبيان لا للتبعيض كانه قال فاذا فريق
كافر وهو انتم ويجوز ان يكون فيهم من اعتبر كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد ٭
ليكفروا بما آتيناهم من نعمة الكشف عنهم كانهم جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة
فتمتعوا فسوف تعلمون تخلية ووعيد وقرئ فيمتعوا بالياء مبنيا للمفعول عطفا على

حرر

ليكفروا ويجوز ان يكون ليكفروا فتمتعوا امرا لوارد في معنى الخذلان والتخلية
واللام لام الامر لما لا يعلمون اي لالهتهم ومعنى لا يعلمونها انهم يسمونها الهة
ويعتقدون فيها انها تضر وتنفع وتشفع عند الله وليس كذلك لان حقيقتها انها جماد
لا يضر ولا ينفع او لجاهلون بها وقيل الضمير في لا يعلمون للالهة اي لاشيا
غير موصوفة بالعلم اي لا تشعر اجعلوا لها نصيبا في انعامهم وزروعهم ام لا
وكانوا يجعلون لهم ذلك تقربا اليهم لتسئلن وعيد عما كنتم تفترون من الافك
في زعمكم انها الهة وانها اهل للتقرب اليها ويجعلون لله البنات كانت خزاعة وكنانة تقول الملائكة
بنات الله سبحانه تنزيه له من ان يتخذ الولد اليه او تعجب من قولهم ولهم ما
يشتهون يعني البنين ويجوز في ما يشتهون الرفع على الابتدا والنصب على ان
يكون معطوفا على البنات اي وجعلوا لانفسهم ما يشتهون من الذكور ظل
بمعنى صار كما يستعمل بات واصبح وامسى بمعنى الصيرورة ويجوز ان يجي ظل لان
اكثر الوضع يتفق بالليل فيظل نهاره مغتما مربدا الوجه من الكآبة والحيا من
الناس وهو كظيم مملو حنقا على المراة يتوارى من القوم يستخفي منهم من اجل
سو المبشر به ومن اجل تعييرهم ويحدث نفسه وينظر ايمسكه ما بشر به على هون على
هوان وذل ام يدسه في التراب يخفيه وقرئ ايمسكها على هون ام يدسها على التانيث
وقرئ على هوان الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون الولد الذي هذا محله عندهم لله
ويجعلون لانفسهم من هو على عكس هذا الوصف مثل السوء صفة السوء وهي الحاجة
الى الاولاد الذكور وكراهة الاناث ووادهن خشية الاملاق واقرارهم على
انفسهم بالشح البالغ ولله المثل الاعلى وهو الغنى عن العالمين والنزاهة من
صفات المخلوقين وهو الجواد الكريم بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم ما ترك عليها
على الارض من دابة قط ولاهلكها كلها بشوم ظلم الظالمين وعن ابي هريرة انه
سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال بلى والله حتى ان الحبارى لتموت
في وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود رضي الله عنه كاد الجعل يهلك في جحره بذنب
ابن ادم او من دابة ظالمة وعن ابن عباس من دابة من مشرك يدب عليها وقيل لو
اهلك الاباء بكفرهم لم يكن الابنا ويجعلون لله ما يكرهون لانفسهم من البنات
ومن شركا في رياستهم ومن الاستخفاف برسلهم والتهاون برسالاتهم ويجعلون له
اراذل اموالهم ولاصنامهم اكرمها وتصف السنتهم مع ذلك ان لهم الحسنى عند الله
كقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وعن بعضهم انه قال لرجل من
ذوي اليسار كيف يكون يوم القيمة اذا قال الله هاتوا ما دفع الى السلاطين
واعوانهم فيوتى بالدواب في انواع الاموال الفاخرة واذا قال هاتوا ما دفع
الي فيوتى بالكسر والخرق وما لا يوبه له اما تستحيي من ذلك الموقف وقرا هذه
الاية وعن مجاهد ان لهم الحسنى هو قول قريش لنا البنون وان لهم الحسنى بدل
من الكذب وقرئ الكذب جمع كذوب صفة للالسنة مفرطون وقرئ مفتوح الراء
ومكسورها مخففا ومشددا فالمفتوح بمعنى مقدمون الى النار معجلون اليها
من افرطت فلانا وفرطته في طلب الما اذا قدمته وقيل منسيون متروكون من
افرطت فلانا خلفي اذا خلفته ونسيته والمكسور المخفف من الافراط في المعاصي

والمشدد من التفريط في الطاعات وما يلزمهم فهو وليهم اليوم حكاية الحال الماضية
التي كان يزين لهم الشيطان اعمالهم فيها او فهو وليهم في الدنيا وجعل اليوم عبارة عن
زمان الدنيا او معنى وليهم قرينهم وبئس القرين او يجعل فهو وليهم اليوم حكاية للحال
الاتية وهي حال كونهم معذبين في النار اي فهو ناصرهم اليوم لا ناصر لهم غيره نفيا للناصر
لهم على ابلغ الوجوه ويجوز ان يرجع الضمير الى مشركي قريش وانه زين للكفار قبلهم
اعمالهم فهو وليهم هولاء لانهم منهم ويجوز ان يكون على حذف المضاف اي فهو ولي
امثالهم اليوم وهدى ورحمة معطوفان على محل لتبين الا انهما انتصبا على انهما مفعول
لهما لانهما فعلا الذي انزل الكتاب ودخل اللام على التبيين لانه فعل المخاطب لا فعل
المنزل وانما ينتصب مفعولا له ما كان فعل فاعل الفعل المعلل الذي اختلفوا فيه البعث
لانه كان فيهم من يومن به ومنهم عبد المطلب واشيا من التحليل والتحريم والانكار والاقرار
لقوم يسمعون سماع انصاف وتدبر لان من لم يسمع بقلبه فكانه اصم لا يسمع ثم ذكر
سيبويه الانعام في باب ما لا ينصرف في الاسما المفردة الواردة على افعال كقولهم ثوب اكياش
ولذلك رجع الضمير اليه مفردا واما في بطونها في سورة المومنين فلان معناه الجمع ويجوز
ان يقال في الانعام وجهان احدهما ان يكون تكسير نعم كالاجبال في جبل وان يكون اسما
مفردا مقتضيا لمعنى الجمع كنعم فاذا ذكر فكما يذكر نعم في قوله في كل عام نعم تحوونه
يلقحه قوم وتنتجونه واذا انث ففيه وجهان انه تكسير نعم وانه في معنى الجمع
وقرئ نسقيكم بالفتح والضم وهو استيناف كانه قيل كيف العبرة فقيل نسقيكم من بين
فرث ودم اي يخلق الله اللبن وسيطا بين الفرث والدم يكتنفانه وبينه وبينهما برزخ
من قدرة الله لا يبغي احدهما عليه بلون ولا طعم ولا رائحة بل هو خالص من ذلك كله قيل
اذا اكلت البهيمة العلف فاستقر في كرشها طبخته فكان اسفله فرثا واوسطه لبنا
واعلاه دما والكبد مسلطة على هذه الاصناف الثلاثة تقسمها فتجري الدم في العروق
واللبن في الضروع وتبقى الفرث في الكرش فسبحان الله العظيم ما اعظم قدرته
والطف حكمته لمن تفكر وتامل وسئل شقيق عن الاخلاص فقال تمييز العمل من العيوب
كتمييز اللبن من بين فرث ودم سائغا سهل المرور في الحلق ويقال لم يغص احد باللبن
قط وقرئ سيغا بالتشديد وسيغا بالتخفيف كهين ولين فان قلت اي فرق بين من
الاولى والثانية قلت الاولى للتبعيض لان اللبن بعض ما في بطونها كقولك اخذت من مال
زيد ثوبا والثانية لابتدا الغاية لان بين الفرث والدم مكان الاسقا الذي منه يسدى
فهو صلة لنسقيكم كقولك سقيته من الحوض ويجوز ان يكون حالا من قوله لبنا مقدما عليه
فيتعلق بمحذوف اي كائنا من بين فرث ودم الا ترى انه لو تاخر فقيل لبنا من بين فرث
ودم كان صفة له وانما قدم لانه موضع العبرة فهو قمن بالتقديم وقد احتج بعض
من يرى ان المني طاهر على من جعله نجسا لجريه في مسلك البول بهذه الاية وانه ليس
بمستنكر ان يسلك مسلك البول وهو طاهر كما خرج اللبن من بين فرث ودم طاهرا
فان قلت بم يتعلق قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب قلت بمحذوف تقديره ونسقيكم
من ثمرات النخيل والاعناب اي من عصيرها وحذف لدلالة نسقيكم قبله عليه وقوله
تتخذون منه سكرا بيان وكشف عن كنه الاسقا او يتعلق بتتخذون ومنه من تكرير

الظرف للتوكيد في قولك زيد في الدار فيها ويجوز ان يكون تتخذون صفة موصوف محذوف
كقوله بكفي كان من ارمى البشر تقديره ومن ثمرات النخل والاعناب ثمر تتخذون منه سكرا
ورزقا حسنا لانهم ياكلون بعضها ويتخذون من بعضها السكر فان قلت فالام يرجع الضمير
في منه اذا جعلته ظرفا مكررا قلت الى المضاف المحذوف الذي هو العصير كما رجع
في قوله تعالى او هم قائلون الى الاهل المحذوف والسكر الخمر سميت بالمصدر من سكر سكرا
وسكرا نحو رشد رشدا ورشدا قال وجاؤونا بهم سكر علينا فاجلى اليوم والسكران
صاحي وفيه وجهان احدهما ان يكون منسوخة وممن قال بنسخها الشعبي والنخعي
والثاني ان يجمع بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وهو عصير العنب والزبيب
والتمر اذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد وهو حلال عند ابي حنيفة الى حد
السكر ويحتج بهذه الاية وبقوله عليه السلام الخمر حرام لعينها والسكر من كل شراب وباخبار
جمة ولقد صنف شيخنا ابو علي الجبائي قدس الله روحه كتابا في تحليل النبيذ
فلما شيخ واخذ منه السن العالية قيل له لو شربت منه ما تتقوى به فابى فقيل له فقد
صنفت في تحليله فقال تناولته الدعارة فسمج في المروة وقيل السكر الطعم وانشد
جعلت اعراض الكرام سكرا اي تنقلت باعراضهم وقيل هو من الخمر وانه اذا ابترك
في اعراض الناس فكانه تخمر بها والرزق الحسن الخل والرب والتمر والزبيب وغير ذلك
ويجوز ان يجعل السكر رزقا حسنا كانه قيل تتخذون منه ما هو سكر ورزق حسن واوحى
الى النحل الهمها وقذف في قلوبها وعلمها على وجه هو اعلم به لا سبيل لاحد الى
الوقوف عليه والا فنيقتها في صنعها ولطفها في تدبير امرها واصابتها فيما يصلحها
دلائل بينة شاهدة على ان الله اودعها علما بذلك وفطنها كما اولي اولي العقول
عقولهم وقرا يحيى بن وثاب الى النحل بفتحتين وهو مذكر كالنحل وتانيثه على المعنى ان
اتخذي هي ان المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول وقرئ بيوتا بكسر الباء لاجل الياء
ومما يعرشون بكسر الراء وضمها يرفعون من سقوف البيوت وقيل ما يبنون للنحل في الجبال
والشجر والبيوت من الاماكن التي تعسل فيها والضمير في يعرشون للناس فان قلت
ما معنى من في قوله ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون وهلا قيل في
الجبال وفي الشجر قلت اريد معنى البعضية وان لا تبني بيوتها في كل جبل وكل
شجر وكل ما يعرش ولا في كل مكان منها من كل الثمرات احاطة بالثمرات التي تجرسها
النحل وتعتاد اكلها اي ابني البيوت ثم كلي كل ثمرة تشتهيها فاذا اكلتها فاسلكي
سبل ربك اي الطرق التي الهمك وافهمك في عمل العسل او فاسلكي ما اكلت في
سبل ربك اي في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا من اجوافك ومنافذ
ماكلك او اذا اكلت الثمار في المواضع البعيدة من بيوتك فاسلكي الى بيوتك
راجعة سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تضلين فيها فقد بلغني انها ربما اجدب عليها ما
حولها فسافرت الى البلد البعيد في طلب النجعة او اراد بقوله ثم كلي ثم اقصدي اكل
الثمرات فاسلكي في طلبها في مظانها سبل ربك ذللا جمع ذلول وهي حال من السبل
لان الله ذللها ووطاها وسهلها كقوله هو الذي جعل لكم الارض ذلولا او من
الضمير في فاسلكي اي وانت ذلل للانقياد لما امرت به غير ممتنعة شراب يريد العسل

لانه مما يشرب مختلف الوانه منه ابيض واصفر واحمر واسود فيه شفاء للناس لانه
من جملة الاشفية والادوية المشهورة النافعة وقل معجون من المعاجين لم يذكر
الاطبا فيه العسل وليس الغرض انه شفا لكل مريض كما ان كل دوا كذلك
وتنكيره اما لتعظيم الشفا الذي فيه او لان فيه بعض الشفا وكلاهما محتمل وعن
النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا جا اليه فقال ان اخي يشتكي بطنه فقال اسقه العسل
فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب فاسقه عسلا فقد صدق الله
وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه الله عز وجل فبرا كانما انشط من عقال وعن عبد الله
بن مسعود العسل شفا من كل دا والقران شفا لما في الصدور فعليكم بالشفائين
القران والعسل ومن بدع التاويلات الرافضة ان المراد بالنحل علي وقومه وعن بعضهم
انه قال عند المهدي انما النحل بنو هاشم يخرج من بطونهم العلم فقال له رجل جعل الله
طعامك وشرابك مما يخرج من بطونهم فضحك المهدي وحدث به المنصور فاتخذوه
اضحوكة من اضاحيكهم الى ارذل العمر الى اخسه واحقره وهو خمس وسبعون سنة
عن علي رضي الله عنه وتسعون سنة عن قتادة لانه لا عمر اسوا حالا من عمر الهرم لكيلا
يعلم بعد علم شيئا ليصير الى حالة شبيهة بحال الطفولية في النسيان وان يعلم
شيئا ثم يسرع في نسيانه فلا يعلمه ان سئل عنه وقيل لئلا يعقل من بعد عقله الاول
شيئا وقيل لئلا يعلم زيادة علم على علمه اي جعلكم متفاوتين في الرزق فرزقكم افضل مما
رزق مماليككم وهم بشر مثلكم واخوانكم فكان ينبغي ان تردوا فضل ما رزقتموه عليهم حتى
تتساووا في الملبس والمطعم كما يحكى عن ابي ذر رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه
يقول انما هم اخوانكم فاكسوهم مما تلبسون واطعموهم مما تطعمون فما رؤي عبده بعد ذلك
الا ورداؤه رداؤه وازاره ازاره من غير تفاوت افبنعمة الله يجحدون فجعل ذلك
من جملة جحود النعمة وقيل هو مثل ضربه الله للذين جعلوا له شركاء فقال لهم انتم لا تسوون
بينكم وبين عبيدكم فيما انعمت به عليكم ولا تجعلونهم فيه شركاء ولا ترضون ذلك لانفسكم
فكيف رضيتم ان تجعلوا عبيدي لي شركاء وقيل المعنى ان الموالي والمماليك انا رازقهم
جميعا فهم في رزقي سواء فلا يحسبن الموالي انهم يردون على مماليكهم من عندهم شيئا
من الرزق فانما ذلك رزقي اجريه اليهم على ايديهم وقرئ تجحدون بالتاء والياء من انفسكم
من جنسكم وقيل هو خلق حوا من ضلع ادم وحفدة جمع حافد وهو الذي يحفد
اي يسرع في الطاعة والخدمة ومنه قول القانت واليك نسعى ونحفد وقال
حفد الولائد بينهن واسلمت باكفهن ازمة الاجمال واختلف فيهم فقيل هم الاختان على البنات
وقيل اولاد الاولاد وقيل اولاد المراة من الزوج الاول وقيل المعنى وجعل لكم حفدة اي خدما
يحفدون في مصالحكم ويعينونكم ويجوز ان يراد بالحفدة البنون انفسهم كقوله سكرا ورزقا
حسنا كانه قيل وجعل لكم منهن اولادا هم بنون وهم حافدون اي جامعون بين الامرين
من الطيبات يريد بعضها لان كل الطيبات في الجنة وما طيبات الدنيا الا انموذج
منها افبالباطل يؤمنون وهو ما يعتقدون من منفعة الاصنام وبركتها وشفاعتها
وما هو الا وهم باطل لم يتوصلوا اليه بدليل ولا امارة فليس لهم ايمان الا به كانه شي معلوم
مستيقن وبنعمة الله المشاهدة المعاينة التي لا شبهة فيها لذي عقل وتمييز هم كافرون

بها منكرون لها كما ينكر المحال الذي لا تتصوره العقول وقيل الباطل ما يسول لهم الشيطان
من تحريم البحيرة والسائبة وغيرهما ونعمة الله ما احل لهم والرزق يكون بمعنى المصدر وبمعنى ما
يرزق فاذا اردت المصدر نصبت به شيئا كقوله او اطعام يتيما على لا يملك ان يرزق شيئا
وان اردت المرزوق كان شيئا بدلا منه بمعنى قليلا ويجوز ان يكون تاكيدا للا يملك اي لا
يملك شيئا من الملك **ومن السموات والارض** صلة للرزق ان كان مصدرا بمعنى لا يرزق من
السموات مطرا ولا من الارض نباتا او صفة ان كان اسما لما يرزق والضمير في **ولا يستطيعون**
لما لانه في معنى الالهة بعد ما قيل لا يملك على اللفظ ويجوز ان يكون للكفار يعني ولا يستطيع
هؤلاء مع انهم احياء متصرفون اولو الباب من ذلك شيئا فكيف بالجماد الذي لا حس به فان قلت
ما معنى قوله ولا يستطيعون بعد قوله لا يملك وهل هما الا شيء واحد قلت ليس في لا يستطيعون
تقدير راجع واما المعنى لا يملكون ان يرزقوا والاستطاعة منفية عنهم اصلا لانهم اموات
الا ان تقدر الراجع ويراد بالجمع بين نفي الملك والاستطاعة التوكيد او يراد انهم لا يملكون
الرزق ولا يمكنهم ان يملكوه ولا يتاتى ذلك منهم ولا يستقيم **فلا تضربوا لله الامثال** تمثيل
للاشراك بالله والتشبيه به لان من يضرب الامثال مشبه حالا بحال وقصة بقصة **ان الله يعلم**
كنه ما تفعلون وعظمه وهو معاقبكم عليه بما يوازنه في العظم لان العقاب على مقدار الاثم
وانتم لا تعلمون كنهه وكنه عقابه فذاك هو الذي جركم اليه وجراكم عليه فهو تعليل للنهي
عن الشرك ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم كيف يضرب الامثال وانتم لا
تعلمون ثم علمهم كيف يضرب فقال مثلكم في اشراككم بالله الاوثان مثل من سوى بين عبد
مملوك عاجز عن التصرف وبين حر مالك قد رزقه الله مالا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف
يشاء فان قلت لم قال مملوكا **لا يقدر على شيء** وكل عبد مملوك وغير قادر على التصرف
قلت اما ذكر المملوك فليميز من الحر لان اسم العبد يقع عليهما جميعا لانهما من عباد الله
واما لا يقدر على شيء فليجعل غير مكاتب ولا ماذون له لانهما يقدران على التصرف واختلفوا
في العبد هل يصح له ملك والمذهب الظاهر انه لا يصح له فان قلت من في قوله **ومن رزقناه**
ما هي قلت الظاهر انها موصوفة كانه قيل وحرا رزقناه ليطابق عبدا ولا يمتنع ان تكون موصولة
فان قلت لم قيل **يستوون** على الجمع قلت معناه هل يستوي الاحرار والعبيد **الابكم**
الذي ولد اخرس فلا يفهم ولا يفهم **وهو كل على مولاه** اي ثقل وعيال على من يلي امره
ويعوله **اينما يوجهه** حيثما يرسله ويصرفه في مطلب حاجة او كفاية مهم لم ينفع ولم يات
بنجح **هل يستوي هو** ومن هو سليم الحواس نفاع ذو كفايات مع رشد وديانة فهو **يامر**
الناس بالعدل والخير وهو في نفسه **على صراط مستقيم** على سيرة صالحة ودين قويم
وهذا مثل ثان ضربه الله لنفسه ولما يفيض على عباده ويشملهم من آثار رحمته والطافه ونعمه
الدينية والدنيوية وللاصنام التي هي اموات لا تضر ولا تنفع وقرئ اينما يوجه بمعنى اينما يتوجه من
قولهم اينما اوجه الق سعدا وقرا ابن مسعود اينما يوجه على البناء للمفعول **ولله غيب السموات**
والارض اي يختص به علم ما غاب فيهما عن العباد وخفي عنهم علمه او اراد بغيب السموات
والارض يوم القيمة على ان علمه غائب عن اهل السموات والارض لم يطلع عليه احد منهم
الا كلمح البصر او هو اقرب اي هو عند الله وان تراخى كما تقولون انتم في الشيء الذي
تستقربونه هو كلمح البصر او هو اقرب اذا بالغتم في استقرابه ونحوه قوله ويستعجلونك **الخ**

بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون اي هو عنده دان
وعندكم بعيد وقيل المعنى ان اقامة الساعة واماتة الاحياء واحياء الاموات من الاولين
والاخرين يكون في اقرب وقت واوحاه **ان الله على كل شيء قدير** فهو يقدر على ان يقيم الساعة
ويبعث الخلق لانه بعض المقدورات ثم دل على قدرته بما بعده قرئ **امهاتكم** بضم الهمزة وكسرها
والهاء مزيدة في امات كما زيدت في اراق فقيل اهراق وشذت زيادتها في الواحدة قال
امهتي خندف والياس ابي **لا تعلمون شيئا** في موضع الحال ومعناه غير عالمين شيئا من
حق المنعم الذي خلقكم في البطون وسواكم وصوركم ثم اخرجكم من الضيق الى السعة وقوله
وجعل لكم معناه وما ركب فيكم هذه الاشياء الا آلات لازالة الجهل الذي ولدتم
عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه والترقي الى ما
يسعدكم **والافئدة** في فؤاد كالاغربة في غراب وهو من جمع القلة التي جرت مجرى جموع
الكثرة والقلة اذ لم يرد في السماع غيرها كما جاء شسوع في شسع لا غير فجرت ذلك المجرى
قرئ **الم يروا** بالياء والتاء **مسخرات** مذللات للطيران بما خلق الله لها من الاجنحة
والاسباب المواتية لذلك والجو الهواء المتباعد من الارض في سمت العلو والسكاك ابعد منه
واللوح مثله **ما يمسكهن** في قبضهن وبسطهن ووقوفهن **الا الله** بقدرته **من بيوتكم**
التي تسكنونها من الحجر والمدر والاخبية وغيرها والسكن فعل بمعنى مفعول وهو ما
يسكن اليه وينقطع اليه من بيت او الف **بيوتا** هي القباب والابنية من الادم والانطاع
تستخفونها ترونها خفيفة المحمل في الضرب والنقض والنقل **يوم ظعنكم ويوم اقامتكم**
اي يوم ترحلون خف عليكم حملها ونقلها ويوم تنزلون وتقيمون في مكان لم يثقل عليكم
ضربها او هي خفيفة عليكم في اوقات السفر والحضر جميعا على ان اليوم بمعنى الوقت
ومتاعا وشيئا ينتفع به **الى حين** الى ان تقضوا منه اوطاركم او الى ان تبلى وتفنى
او الى ان تموتوا وقرئ يوم ظعنكم بالسكون **مما خلق** من الشجر وسائر المستظلات
اكنانا جمع كن وهو ما يستكن به من البيوت المنحوتة في الجبال والغيران والكهوف
سرابيل هي القمصان والثياب من الصوف والكتان والقطن وغيرها **تقيكم الحر**
لم يذكر البرد لان الوقاية من الحر اهم عندهم وقيل ما يقيكم البرد لكونه ستيرا محتملا
وقيل ما يقي من الحر يقي من البرد فدل ذكر الحر على البرد **وسرابيل تقيكم باسكم** يريد
الدروع والجواشن والسربال عام يقع على ما كان من حديد وغيره **لعلكم تسلمون**
اي تنظرون في نعمته الفائضة فتؤمنون به وتنقادون له وقرئ تسلمون من السلامة
اي تشكرون فتسلمون من العذاب او تسلم قلوبكم من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس
الدروع **فان تولوا** فلم يقبلوا منك فقد تمهد عذرك بعد ما اديت ما وجب عليك من
البلاغ فذكر سبب العذر وهو البلاغ ليدل على المسبب **يعرفون نعمت الله** التي عدد
باها
حيث يعرفون بها وانها من الله **ثم ينكرونها** بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم هي من الله
ولكنها بشفاعة آلهتنا وقيل انكارهم قولهم ورثناها من آبائنا وقيل قولهم لولا
فلان لما اصبنا كذا لبعض نعم الله وانما لا يجوز التكلم بنحو هذا اذا لم يعتقد انها من الله
وانه اجراها على يد فلان وجعله سببا في نيلها **واكثرهم الكافرون** اي الجاحدون
غير المعترفين وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يعرفونها ثم ينكرونها
عنادا واكثرهم الجاحدون المنكرون بقلوبهم فان قلت ما معنى ثم قلت الدلالة على ان انكارهم

امر مستعد بعد حصول المعرفة لان حق من عرف النعمة ان يعرف لا ان ينكر شهيدا نبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان والتصديق والكفر والتكذيب ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار والمعنى لا حجة لهم فدل بترك الاذن على ان لا حجة لهم ولا عذر وكذا عن الحسن رحمه الله ولا هم يستعتبون ولا هم يسترضون اى لا يقال لهم ارضوا ربكم لان الاخرة ليست بدار عمل فان قلت فما معنى ثم هذه قلت معناها انهم يمنون بعد شهادة الانبياء عليهم السلام بما هو اطم منها وهو انهم يمنعون الكلام فلا يؤذن لهم في القاء معذرة ولا ادلاء بحجة وانتصاب اليوم بمحذوف تقديره واذكر يوم نبعث او يوم نبعث وقعوا فيما وقعوا فيه وكذلك واذا راى الذين ظلموا العذاب بغتهم وثقل عليهم فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون كقوله بل تاتيهم بغتة فتبهتهم الاية شركاءهم ان ارادوا بالشركاء الهتهم فمعنى شركاؤنا الهتنا التي دعوناها شركاء وان ارادوا الشياطين فلانهم شركاؤهم في الكفر وقرناؤهم في الغي وندعو بمعنى نعبد فان قلت لم قالوا انكم لكاذبون وكانوا يعبدونهم على الصحة قلت لما كانوا غير راضين بعبادتهم فكان عبادتهم لم تكن عبادة والدليل عليه قول الملائكة كانوا يعبدون الجن يعنون ان الجن كانوا راضين بعبادتهم لا انهم هم المعبودون دوننا او كذبوهم في تسميتهم شركاء والهة تنزيها لله من الشرك وان اريد بالشركاء الشياطين جاز ان يكونوا كاذبين في قولهم انكم لكاذبون كما يقول الشيطان اني كفرت بما اشركتمون من قبل والقوا يعني الذين ظلموا والقوا السلم الاستسلام لامر الله وحكمه بعد الاباء والاستكبار في الدنيا وضل عنهم وبطل عنهم ما كانوا يفترون من ان لله شركاء وانهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرءوا منهم الذين كفروا في انفسهم وحملوا غيرهم على الكفر يضاعف الله عقابهم كما ضاعفوا كفرهم وقيل في زيادة عذابهم حيات امثال البخت وعقارب امثال البغال تلسع احداهن اللسعة فيجد صاحبها حمتها اربعين خريفا وقيل يخرجون من النار الى الزمهرير فيبادرون من شدة برده الى النار بما كانوا يفسدون بكونهم مفسدين الناس بصدهم عن سبيل الله شهيدا عليهم من انفسهم يعني نبيهم لانه كان يبعث انبياء الامم فيهم منهم وجئنا بك يا محمد على هؤلاء شهيدا على امتك تبيانا بيانا بليغا ونظيره تبيان تلقاء في كسر اوله وقد جوز الزجاج فتحه في غير القران فان قلت كيف كان القران تبيانا لكل شيء قلت المعنى انه بين كل شيء من امور الدين حيث كان نصا على بعضها واحالة على السنة حيث امر فيه باتباع رسول الله وطاعته وقيل وما ينطق عن الهوى وحثا على الاجماع في قوله ويتبع غير سبيل المؤمنين وقد رضي رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته اتباع اصحابه والاقتداء باثارهم في قوله اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطئوا طرق القياس والاجتهاد فكانت السنة والاجماع والقياس والاجتهاد مستندة الى بيان الكتاب فمن ثم كان تبيانا لكل شيء العدل هو الواجب لان الله عز وجل عدل فيه على عباده فجعل ما فرضه عليهم واقعا تحت طاقتهم والاحسان الندب وانما علق امره بهما جميعا لان الفرض لا بد ان يقع فيه تفريط فيجبره الندب ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن علمه الفرائض فقال والله لا ازيد فيها ولا انقص افلح ان صدق فعقد الفلاح بشرط الصدق والسلامة من التفريط وقال عليه السلام استقيموا ولن تحصوا فما ينبغي ان يترك ما يجبر كسر التفريط من النوافل والفواحش ما جاوز حدود الله والمنكر ما تنكره العقول والبغي طلب التطاول بالظلم

وحس اسقطت من الخطب لعنة الملاعين على امير المؤمنين رضوان الله عليه اقيمت هذه الاية مقامها ولعمري انها كانت فاحشة ومنكرا وبغيا ضاعف الله لمن سنها غضبا ونكالا وخزيا اجابة لدعوة نبيه وعاد من عاداه وكانت سبب اسلام عثمان بن مظعون بعهد الله هي البيعة لرسول الله على الاسلام ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ولا تنقضوا الايمان ايمان البيعة بعد توكيدها اى بعد توثيقها باسم الله واكد ووكد لغتان فصيحتان والاصل الواو والهمزة بدل كفيلا شاهدا ورقيبا لان الكفيل مراع لحال المكفول به مهيمن عليه ولا تكونوا في نقض الايمان كالمراة التي انحت على غزلها بعد ان احكمته وابرمته فجعلته انكاثا جمع نكث وهو ما ينكث فتله قيل هي ريطة بنت سعد بن تيم وكانت خرقاء اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل اصبع وفلكة عظيمة على قدرها فكانت تغزل هي وجواريها من الغداة الى الظهر ثم تامرهن فينقضن ما غزلن تتخذون حال دخلا احد مفعولي اتخذ يعني ولا تنقضوا ايمانكم متخذيها دخلا بينكم اى مفسدة ودغلا ان تكون امة بسبب ان تكون امة يعني جماعة قريش هي اربى من امة هي ازيد عددا واوفر مالا من امة من جماعة المؤمنين انما يبلوكم الله به الضمير لقوله ان تكون امة لانه في معنى المصدر اى انما يختبركم بكونهم اربى لينظر اتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وما عقدتم على انفسكم ووكدتم من ايمان البيعة لرسول الله ام تغترون بكثرة قريش وثروتهم وقوتهم وقلة المؤمنين وفقرهم وضعفهم وليبينن لكم انذار وتحذير من مخالفة ملة الاسلام ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة حنيفة مسلمة على طريق الالجاء والاضطرار وهو قادر على ذلك ولكن الحكمة اقتضت ان يضل من يشاء وهو ان يخذل من علم انه يختار الكفر ويصمم عليه ويهدي من يشاء وهو ان يلطف بمن علم انه يختار الايمان يعني انه بنى الامر على الاختيار وعلى ما يستحق به اللطف والخذلان والثواب والعقاب ولم يبنه على الاجبار الذي لا يستحق به شيء من ذلك وحققه بقوله ولتسئلن عما كنتم تعملون ولو كان الله هو المضطر الى الضلال والاهتداء لما اثبت لهم عملا يسالون عنه ثم كرر النهي عن اتخاذ الايمان دخلا بينهم تاكيدا عليهم واظهارا لعظم ما يركب منه فتزل قدم بعد ثبوتها فتزل اقدامكم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها وتذوقوا السوء في الدنيا بصدودكم عن سبيل الله وخروجكم من الدين او بصدكم غيركم لانهم لو نقضوا ايمان البيعة وارتدوا لاتخذوا نقضها سنة لغيرهم يستنون بها ولكم عذاب عظيم في الاخرة كان قوما ممن اسلم بمكة زين لهم الشيطان لجزعهم مما راوا من غلبة قريش واستضعافهم المسلمين وايذائهم لهم ولما كانوا يعدونهم ان رجعوا من المواعيد ان ينقضوا ما بايعوا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فثبتهم الله ولا تشتروا ولا تستبدلوا بعهد الله وبيعة رسول الله ثمنا قليلا عرضا من الدنيا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدونهم ويمنونهم ان رجعوا ان ما عند الله من اظهاركم وتغنيمكم ومن ثواب الاخرة خير لكم ما عندكم من اعراض الدنيا ينفد وما عند الله من خزائن رحمته باق لا ينفد وقرئ ليجزين بالنون والياء الذين صبروا على اذى المشركين ومشاق الاسلام فان قلت لم وحدت القدم ونكرت قلت لاستعظام ان تزل قدم واحدة عن طريق الحق بعد ان ثبتت عليه فكيف باقدام كثيرة فان قلت من متناول في نفسه للذكر والانثى فما معنى تبيينه بهما قلت هو مبهم صالح على الاطلاق للنوعين الا انه اذا ذكر كان الظاهر

تناوله للذكور فصل من ذكر او انثى على التبيين ليعم الموعد النوعين جميعا حياة طيبة
يعني في الدنيا وهو الظاهر لقوله ولنجزينهم وعده الله ثواب الدنيا والآخرة كقوله
فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة وذلك ان المؤمن مع العمل الصالح موسرا
كان او معسرا يعيش عيشا طيبا ان كان موسرا فلا مقال فيه وان كان معسرا فمعه
ما يطيب عيشه وهو القناعة والرضا بقسمة الله واما الفاجر فامره على العكس ان
كان معسرا فلا اشكال في امره وان كان موسرا فالحرص لا يدعه ان يتهنا بعيشه وعن
ابن عباس الحياة الطيبة الرزق الحلال وعن الحسن القناعة وعن قتادة يعني في الجنة وقيل
هي حلاوة الطاعة والتوفيق في قلبه لما ذكر العمل الصالح ووعد عليه وصل به قوله فاذا
قرات القرآن فاستعذ بالله ايذانا بان الاستعاذة من جملة الاعمال الصالحة التي يجزل الله
عليها الثواب والمعنى فاذا اردت قراءة القرآن فاستعذ كقوله اذا قمتم الى الصلوة
فاغسلوا وجوهكم وكقولك اذا اكلت فسم الله فان قلت لم عبر عن ارادة الفعل بلفظ
الفعل قلت لان الفعل يوجد عند القصد والارادة بغير فاصل وعلى حسبه فكان منه
بسبب قوي وملابسة ظاهرة وعن عبد الله بن مسعود قرات على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلت اعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم فقال لي يا ابن ام عبد قل اعوذ بالله
من الشيطان الرجيم هكذا اقرانيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ انه ليس له سلطان
اي تسلط وولاية على اولياء الله يعني انهم لا يقبلون منه ولا يطيعونه فيما يريد منهم من اتباع
خطواته انما سلطانه على من يتولاه ويطيعه به مشركون الضمير يرجع الى ربهم ويجوز
ان يرجع الى الشيطان على معنى بسببه بدلنا الآية مكان الآية هو النسخ والله ينسخ
الشرائع بالشرائع لانها مصالح وما كان مصلحة امس يجوز ان يكون مفسدة اليوم
وخلافه مصلحة والله عز وجل عالم بالمصالح والمفاسد فيثبت ما يشاء وينسخ ما يشاء بحكمته
وهذا معنى قوله والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر وجدوا مدخلا للطعن فطعنوا
وذلك لجهلهم وبعدهم عن العلم بالناسخ والمنسوخ وكانوا يقولون ان محمدا يسخر من اصحابه
يامرهم اليوم بامر وينهاهم عنه غدا فياتيهم بما هو اهون ولقد افتروا فقد كان ينسخ الاشق
بالاهون والاهون بالاشق والاهون بالاهون والاشق بالاشق لان الغرض المصلحة لا
الهوان والمشقة فان قلت هل في ذكر تبديل الآية بالآية دليل على ان القرآن انما
ينسخ بمثله ولا يصح بغيره من السنة والاجماع والقياس قلت فيه ان قرآنا ينسخ بمثله وليس
فيه نفي نسخه بغيره على ان السنة المكشوفة المتواترة مثل القرآن في ايجاب العلم
فنسخه بها كنسخه بمثله واما الاجماع والقياس والسنة غير المقطوع بها فلا يصح
نسخ القرآن بها وفي نزل ونزله وما فيهما من التنزيل شيئا فشيئا على حسب الحوادث
والمصالح اشارة الى ان التبديل من باب المصالح كالتنزيل وان ترك النسخ بمنزلة انزاله
دفعة واحدة في خروجه عن الحكمة روح القدس جبريل صلوات الله عليه اضيف
الى القدس وهو الطهر كما يقال حاتم الجود وزيد الخير والمراد الروح المقدس وحاتم
الجواد وزيد الخير والمقدس المطهر من المآثم وقرئ بضم الدال وسكونها بالحق في
موضع الحال اي نزله ملتبسا بالحكمة يعني ان النسخ من جملة الحق ليثبت الذين امنوا ليبلوهم
بالنسخ حتى اذا قالوا فيه هو الحق من ربنا والحكمة حكم لهم بثبات القدم وصحة اليقين

وطمانينه

وطمانينة القلوب على ان الله حكيم فلا يفعل الا ما هو حكمة وصواب وهدى وبشرى
مفعول لهما معطوفان على محل ليثبت اي تثبيتا لهم وارشادا وبشارة وفيه تعريض
بحصول اضداد هذه الخصال لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف ارادوا بالبشر غلاما كان
لحويطب بن عبد العزى قد اسلم وحسن اسلامه اسمه عائش او يعيش وكان صاحب كتب
وقيل هو جبر غلام رومي كان لعامر بن الحضرمي وقيل عبدان جبر ويسار كانا
يصنعان السيوف بمكة ويقرآن التوراة والانجيل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مر وقف عليهما
يسمع ما يقرآن فقالوا يعلمانه فقيل لاحدهما فقال بل هو يعلمني وقيل هو سلمان الفارسي
واللسان اللغة الحد القبر ولحده وهو ملحد وملحود اذا امال حفره عن الاستقامة
فحفر في شق منه ثم استعير لكل امالة عن استقامة فقالوا الحد فلان في قوله والحد
في دينه ومنه الملحد لانه امال مذهبه عن الاديان كلها لم يمله عن دين الى دين
والمعنى لسان الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة اليه لسان اعجمي غير بين وهذا
القرآن لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة ردا لقولهم وابطالا لطعنهم وقرئ
يلحدون بفتح الياء والحاء وفي قراءة الحسن اللسان الذي يلحدون اليه بتعريف اللسان
فان قلت الجملة التي هي قوله لسان الذي يلحدون اليه اعجمي ما محلها قلت لا محل لها لانها
مستانفة جواب لقولهم ومثله قوله الله اعلم حيث يجعل رسالاته بعد قوله واذا جاءتهم
آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله ان الذين لا يؤمنون بآيات الله
اي يعلم الله منهم انهم لا يؤمنون لا يهديهم الله لا يلطف الله بهم لانهم من اهل الخذلان
في الدنيا والعذاب في الآخرة لا من اهل اللطف والثواب انما يفتري الكذب رد لقولهم انما
انت مفتر يعني انما يليق افتراء الكذب بمن لا يؤمن لانه لا يترقب عقابا عليه واولئك
اشارة الى قريش هم الكاذبون اي هم الذين لا يؤمنون فهم الكاذبون او الى الذين لا
يؤمنون اي اولئك هم الكاذبون على الحقيقة الكاملون في الكذب لان تكذيب آيات
الله اعظم الكذب او اولئك هم الذين عادتهم الكذب لا يبالون به في كل شيء لا تحجبهم عنه
مروءة ولا دين او اولئك هم الكاذبون في قولهم انما انت مفتر من كفر بدل من الذين
لا يؤمنون بآيات الله على ان يجعل واولئك هم الكاذبون اعتراضا بين البدل والمبدل منه
والمعنى انما يفتري الكذب من كفر بالله من بعد ايمانه واستثنى منهم المكره فلم تدخل
تحت حكم الافتراء ثم قال ولكن من شرح بالكفر صدرا اي طاب به نفسا واعتقده فعليهم
غضب من الله ويجوز ان يكون بدلا من المبتدا الذي هو اولئك على تقدير ومن كفر
بالله بعد ايمانه هم الكاذبون او من الخبر الذي هو الكاذبون على تقدير واولئك
هم من كفر بالله من بعد ايمانه ويجوز ان ينتصب على الذم وقد جوزوا ان يكون من كفر
بالله شرطا مبتدا وحذف جوابه لان جواب من شرح دال عليه كانه قيل من كفر بالله فعليهم
غضب الا من اكره ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب روي ان ناسا من اهل
مكة فتنوا فارتدوا عن الاسلام بعد دخولهم فيه وكان فيهم من اكره فاجرى كلمة
الكفر على لسانه وهو معتقد للايمان منهم عمار وابواه ياسر وسمية وصهيب
وبلال وخباب وسالم عذبوا فاما سمية فقد ربطت بين بعيرين ووجئ في قبلها
بحربة وقالوا انك اسلمت من اجل الرجال فقتلت وقتل ياسر وهما اول قتيلين في الاسلام

واما عمار فقد ا~~كرهه~~ عطاهم ما ارادوا بلسانه مكرها فقيل يا رسول الله
ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه
ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله يمسح عينيه
وقال ما لك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت ومنهم جبر مولى الحضرمي اكرهه سيده
فكفر ثم اسلم مولاه واسلم وحسن اسلامهما وهاجرا فان قلت اي الامرين افضل
افعل عمار ام فعل ابويه قلت بل فعل ابويه لان في ترك التقية والصبر على القتل
اعزازا للاسلام وقد روي ان مسيلمة اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول في محمد قال
قال رسول الله قال فما تقول في قال انت ايضا فخلاه وقال للآخر ما تقول في محمد
قال رسول الله قال فما تقول في قال انا اصم فاعاد عليه ثلاثا فاعاد جوابه فقتله
فبلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما
الثاني فقد صدع بالحق فهنيئا له **ذلك** اشارة الى الوعيد وان الغضب والعذاب
يلحقانهم بسبب استحبابهم الدنيا على الآخرة واستحقاقهم خذلان الله بكفرهم **واولئك
هم الغافلون** الكاملون في الغفلة الذين لا احد اغفل منهم لان الغفلة عن تدبر العواقب
هي غاية الغفلة ومنتهاها **ثم ان ربك** دلالة على تباعد حال هؤلاء من حال اولئك
وهم عمار واصحابه ومعنى ان ربك لهم انه لهم لا عليهم بمعنى انه وليهم وناصرهم لا عدوهم
وخاذلهم كما يكون الملك للرجل لا عليه فيكون محميا منفوعا غير مضرور **من بعد ما فتنوا**
بالعذاب والاكراه على الكفر وقرئ فتنوا على البناء للفاعل اي من بعد ما عذبوا المؤمنين
كالحضرمي واشباهه **من بعدها** من بعد هذه الافعال وهي الهجرة والجهاد والصبر
يوم تاتي منصوب برحيم او باضمار اذكر فان قلت ما معنى النفس المضافة الى
النفس قلت يقال لعين الشيء وذاته نفسه وفي نقيضه غيره والنفس الجملة كما
هي فالنفس الاولى هي الجملة والثانية عينها وذاتها فكانه قيل يوم ياتي كل انسان
يجادل عن ذاته لا يهمه شان غيره كل يقول نفسي نفسي ومعنى المجادلة عنها الاعتذار
عنها كقولهم هؤلاء اضلونا ما كنا مشركين ونحو ذلك **وضرب الله مثلا قرية** اي جعل
القرية التي هذه حالها مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا وتولوا
فانزل الله بهم نقمته فيجوز ان يراد قرية مقدرة على هذه الصفة وان تكون في قرى الاولين
قرية كانت هذه حالها فضربها الله عز وجل مثلا لمكة انذارا من مثل عاقبتها **مطمئنة**
لا يزعجها خوف لان الطمانينة مع الامن والانزعاج والقلق مع الخوف **رغدا** واسعا
والانعم جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس وابؤس
وفي الحديث نادى منادي النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالموسم بمنى انها ايام طعم ونعم
فلا تصوموا فان قلت الاذاقة واللباس استعارتان فما وجه صحتهما والاذاقة
المستعارة موقعة على اللباس المستعار فما وجه صحة ايقاعها عليه قلت اما
اما الاذاقة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدائد وما يمس
الناس منها فيقولون ذاق فلان البؤس والضر واذاقه العذاب شبه ما يدرك
من اثر الضرر والالم بما يدرك من طعم المر والبشع واما اللباس فقد شبه به
لاشتماله على اللابس ما غشي الانسان والتبس به من بعض الحوادث واما ايقاع الاذاقة

ومعنى

على اللابس

على اللابس الجوع والخوف فلانه لما وقع عبارة عما يغشى منهما ويلابس فكانه قيل فاذاقهم
ما غشيهم من الجوع والخوف ولهم في نحو هذا طريقان لا بد من الاحاطة بهما فان الاستكثار
لا يسع الا من عدمها احدهما ان ينظروا فيه الى المستعار له كما نظر اليه ههنا ونحوه
قول كثير غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال استعار الرداء للمعروف
لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه ووصفه بالغمر الذي هو وصف
المعروف والنوال لا صفة الرداء نظرا الى المستعار له والثاني ان ينظروا فيه الى المستعار
كقوله ينازعني ردائي عبد عمرو رويدك يا اخا عمرو بن بكر لي الشطر الذي
ملكت يميني ودونك فاعتجر منه بشطر اراد بردائه سيفه ثم قال فاعتجر منه بشطر
فنظر الى المستعار في لفظ الاعتجار ولو نظر اليه فيما نحن فيه لقيل فكساهم لباس الجوع
والخوف ولقال كثير ضافي الرداء اذا تبسم ضاحكا **وهم ظالمون** في حال التباسهم بالظلم
كقوله الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي انفسهم نعوذ بالله من مفاجأة النقمة والموت على الغفلة
وقرئ والخوف عطفا على اللباس او على تقدير حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه
اصله ولباس الخوف وقرئ لباس الخوف والجوع لما وعظهم بما ذكر من حال القرية وما
اوتيت من كفرها وسوء صنيعها وصل بذلك الفاء في قوله **فكلوا** صدهم عن افعال الجاهلية
ومذاهبهم الفاسدة التي كانوا عليها بان امرهم باكل ما رزقهم الله من الحلال الطيب
وشكر انعامه بذلك وقال **ان كنتم اياه تعبدون** يعني تطيعون او ان صح زعمكم انكم
تعبدون الله بعبادة الالهة لانها شفعاؤكم عنده ثم عدد عليهم محرمات الله ونهاهم
عن تحريمهم وتحليلهم باهوائهم وجهالاتهم دون اتباع ما شرع الله على لسان انبيائه
وانتصاب **الكذب** بلا تقولوا على ولا تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم من البهائم بالحل
والحرمة في قولكم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا
من غير استناد ذلك الوصف الى وحي من الله او الى قياس مستند اليه واللام مثلها
في قولك ولا تقولوا لما احل الله هو حرام وقوله هذا **حلال وهذا حرام** بدل من الكذب
ويجوز ان يتعلق بتصف على ارادة القول اي ولا تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم فتقول
هذا حلال وهذا حرام ولك ان تنصب الكذب بتصف وتجعل ما مصدرية وتعلق هذا
حلال وهذا حرام بلا تقولوا على ولا تقولوا الكذب لوصف السنتكم الكذب اي لا تحرموا ولا تحللوا لاجل قول تنطق به
السنتكم ويجول في افواهكم لا لاجل حجة وبينة ولكن قول ساذج ودعوى فارغة
فان قلت ما معنى وصف السنتهم الكذب قلت هو من فصيح الكلام وبليغه جعل قولهم
كانه عين الكذب ومحضه فاذا نطقت به السنتهم فقد حلت الكذب بحليته وصورته
بصورته كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر وقرئ الكذب بالجر
صفة لما المصدرية كانه قيل لوصفها الكذب بمعنى الكاذب كقوله تعالى بدم كذب
والمراد بالوصف وصفها البهائم بالحل والحرمة وقرئ الكذب جمع كذوب بالرفع
صفة للالسنة وبالنصب على الشتم او بمعنى الكلم الكواذب او هو جمع الكذاب من قولك
كذب كذابا ذكره ابن جني واللام في **لتفتروا** من التعليل الذي لا يتضمن معنى الغرض **متاع
قليل** خبر مبتدا محذوف اي منفعتهم فيما هم عليه من افعال الجاهلية منفعة قليلة
وعقابها عظيم **قصصنا عليك** يعني في سورة الانعام **من قبل** في موضع الحال اي عملوا
السوء جاهلين غير عارفين بالله وبعقابه او غير متدبرين للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم

بلا تقولوا على ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام صح

من بعدها من بعد التوبة كان امة فيه وجهان احدهما انه كان وحده امة من الامم لكماله في جميع صفات الخير كقوله ٥ وليس لله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد ٥ وعن مجاهد كان مومنا وحده والناس كلهم كفار والثاني ان يكون امة بمعنى ماموم اي يؤمه الناس لياخذوا منه الخير او بمعنى موتم به كالرحلة والنخبة وما اشبه ذلك مما جاء من فعلة بمعنى مفعول فيكون مثل قوله قال انى جاعلك للناس اماما وروى الشعبي عن فروة بن نوفل الاشجعي عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال ان معاذا كان امة قانتا لله فقلت غلطت انما هو ابرهيم صلوات الله عليه فقال الامة الذى يعلم الخير والقانت المطيع لله ورسوله وكان معاذ كذلك وعن عمر رضي الله عنه انه قال حين قيل له الا تستخلف لو كان ابو عبيدة حيا لاستخلفته ولو كان معاذ حيا لاستخلفته ولو كان سالم حيا لاستخلفته فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يقول ابو عبيدة امين هذه الامة ومعاذ امة لله قانت ليس بينه وبين الله يوم القيمة الا المرسلون وسالم شديد الحب لله لو كان لا يخاف الله لم يعصه وهو ذلك المعنى اى كان اماما في الدين لان الائمة معلموا الخير والقانت القائم بما امره الله تعالى والحنيف المائل الى ملة الاسلام غير الزائل عنه ونفى عنه الشرك تكذيبا لكفار قريش في زعمهم انهم على ملة ابرهيم شاكرا لانعمه روى انه كان لا يتغدى الا مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا فاخر غداه فاذا هو بفوج من الملئكة في صورة البشر فدعاهم الى الطعام فخيلوا اليه ان بهم جذاما فقال الان وجبت مواكلتكم شكرا لله على انه عافانى وابتلاكم اجتباه اختصه واصطفاه للنبوة وهداه الى صراط مستقيم الى ملة الاسلام حسنة عن قتادة هي تنويه الله بذكره حتى ليس من اهل دين الا وهم يتولونه وقيل الاموال والاولاد وقيل قول المصلى منا كما صليت على ابرهيم لمن الصالحين لمن اهل الجنة ثم اوحينا اليك في ثم هذه ما فيها من تعظيم منزلة رسول الله صلى الله عليه واله وسلم واجلال محله والايذان بان اشرف ما اوتى خليل الله ابرهيم عليه السلام من الكرامة واجل ما اولى من النعمة اتباع رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ملته من قبل انها دلت على تباعد هذا النعت في المرتبة من بين سائر النعوت التي اثنى الله عز وجل عليه بها السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها والمعنى انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه واختلافهم فيه انهم احلوا الصيد فيه تارة وحرموه تارة وكان الواجب عليهم ان يتفقوا في تحريمه على كلمة واحدة بعد ما حتم الله عليهم الصبر عن الصيد فيه وتعظيمه والمعنى في ذكر ذلك نحو المعنى في ضرب القرية التي كفرت بانعم الله مثلا وغير ما ذكر وهو الانذار من سخط الله على العصاة والمخالفين لاوامره والخالعين ربقة طاعته فان قلت ما معنى الحكم بينهم اذا كانوا جميعا محلين او محرمين قلت معناه انه يجازيهم جزاء اختلاف فعلهم في كونهم محلين تارة ومحرمين اخرى ووجه اخر وهو ان موسى عليه السلام امرهم ان يجعلوا في الاسبوع يوما للعبادة وان يكون يوم الجمعة فابوا عليه وقالوا نريد اليوم الذى فرغ الله فيه من خلق السموات والارض وهو السبت الا شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة فهذا اختلافهم في السبت لان بعضهم اختاره وبعضهم اختار عليه الجمعة فاذن الله لهم في السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فيه فاطاع امر الله الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون واعقابهم لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله دون اولئك وهو يحكم بينهم يوم القيمة فيجازى كل واحد

من الفريقين

من الفريقين بما يستوجبه ومعنى جعل السبت فرض عليهم تعظيمه وترك الاصطياد فيه وقرئ انما جعل السبت على البناء للفاعل وقرا عبد الله انا انزلنا السبت الى سبيل ربك الى الاسلام بالحكمة بالمقالة المحكمة الصحيحة وهي الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة والموعظة الحسنة وهي التى لا يخفى عليهم انك تناصحهم بها وتقصد ما ينفعهم فيها ويجوز ان يريد القران اى ادعهم بالكتاب الذى هو حكمة وموعظة حسنة وجادلهم بالتى هي احسن بالطريقة التي هي احسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف ان ربك اعلم بهم فمن كان فيه خير كفاه الوعظ القليل والنصيحة اليسيرة ومن لا خير فيه عجزت عنه الحيل وكانك تضرب منه في حديد بارد سمى الفعل الاول باسم الثاني للمزاوجة والمعنى ان صنع بكم صنيع سوء من قتل او نحوه فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه وقرئ وان عقبتم فعقبوا اى وان قفيتم بالانتصار فقفوا بمثل ما فعل بكم روى ان المشركين مثلوا بالمسلمين يوم احد بقروا بطونهم وقطعوا مذاكيرهم ما تركوا احدا غير ممثول به الا حنظلة بن الراهب فوقف رسول الله صلى الله عليه واله وسلم على حمزة رضي الله عنه وقد مثل به وروى فراه مبقور البطن فقال اما والذى احلف به لئن اظفرنى الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وكف عما اراده ولا خلاف في تحريم المثلة وقد وردت الاخبار بالنهى عنها حتى بالكلب العقور ٥ اما ان يرجع الضمير في لهو الى صبرهم وهو مصدر صبرتم ويراد بالصابرين المخاطبون اى ولئن صبرتم لصبركم خير لكم فوضع الصابرين موضع الضمير ثناء من الله عليهم بانهم صابرون على الشدائد او وصفهم بالصفة التى تحصل لهم اذا صبروا عن المعاقبة واما ان يرجع الى جنس الصبر وقد دل عليه صبرتم ويراد بالصابرين جنسهم كانه قيل وللصبر خير للصابرين ونحوه قوله عز وعلا فمن عفا واصلح فاجره على الله وان تعفوا اقرب للتقوى ثم قال لرسوله عليه السلام واصبر انت فعزم عليه بالصبر وما صبرك الا بالله اى بتوفيقه وتثبيته ٥ وربطه على قلبه ولا تحزن عليهم اى على الكافرين كقوله فلا تاس على القوم الكافرين او على المومنين وما فعل بهم الكافرون ولا تك في ضيق وقرئ ولا تكن في ضيق اى ولا يضيقن صدرك من مكرهم والضيق تخفيف الضيق اى في امر ضيق ويجوز ان يكون الضيق والضيق مصدرين كالقيل والقول ان الله مع الذين اتقوا اى هو ولى الذين اجتنبوا المعاصي وولى الذين هم محسنون في اعمالهم وعن هرم بن حيان رضي الله عنه انه قيل له حين احتضر اوص فقال انما الوصية من المال ولا مال لي واوصيكم بخواتيم سورة النحل ٥ عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من قرا سورة النحل لم يحاسبه الله بما انعم عليه في دار الدنيا وان مات في يوم تلاها او ليلة كان له من الاجر كالذى مات واحسن الوصية ٥

سورة بنى اسرائيل مكية ٥ وهي مائة وعشر ايات ٥

بسم الله الرحمن الرحيم سبحان علم للتسبيح كعثمان علم للرجل وانتصابه بفعل مضمر متروك اظهاره تقديره اسبح الله سبحان ثم نزل سبحان منزلة الفعل فسد مسده ودل على التنزيه البليغ من جميع القبائح التى يضيفها اليه اعداء الله واسرى وسرى لغتان وليلا نصب على الظرف فان قلت الاسراء لا يكون الا بالليل فما معنى ذكر الليل قلت اراد بقوله ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة الاسراء وانه اسرى به في بعض الليل من مكة الى الشام مسيرة اربعين ليلة وذلك ان التنكير فيه قد دل على معنى البعضية ويشهد

لذلك قراءة عبد الله وحذيفة رضي الله عنهما من الليل اي بعض الليل كقوله ومن الليل
فتهجد به يعني الامر بالقيام في بعض الليل واختلف في المكان الذي اسري منه فقيل هو
المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم بينا انا في المسجد
الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ اتاني جبريل بالبراق وقيل اسري
به من دار ام هانئ بنت ابي طالب والمراد بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته بالمسجد
والتباسه به وعن ابن عباس الحرم كله مسجد وروي انه كان نائما في بيت ام هانئ
بعد صلاة العشاء فاسري به ورجع من ليلته وقص القصة على ام هانئ وقال
مثل لي النبيون فصليت بهم وقام ليخرج الى المسجد فتشبثت ام هانئ بثوبه فقال ما لك
قالت اخشى ان يكذبك قومك ان اخبرتهم قال وان كذبوني فخرج فجلس اليه ابو جهل فاخبره
رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث الاسراء فقال ابو جهل يا معشر بني كعب بن لوي
هلم فحدثهم فمن بين مصفق وواضع يده على راسه تعجبا وانكارا وارتد ناس ممن كان امن به
وسعى رجال الى ابي بكر رضي الله عنه فقال ان كان قال ذلك لقد صدق قالوا اتصدقه على
ذلك قال اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق وفيهم من سافر الى ثم فاستنعتوه
المسجد فجلي له بيت المقدس فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب
فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع
الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية فقال قائل منهم هذه
والله الشمس قد شرقت فقال اخر وهذه والله العير قد اقبلت يقدمها جمل اورق
كما قال محمد ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين وقد عرج به الى السماء في تلك
الليلة وكان العروج به من بيت المقدس واخبر قريشا ايضا بما راى في السماء من العجائب
وانه لقي الانبياء وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى واختلفوا في وقت الاسراء فقيل
كان قبل الهجرة بسنة وعن انس والحسن انه كان قبل البعث واختلف في انه كان في اليقظة
ام في المنام فعن عائشة رضي الله عنها انها قالت والله ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن
عرج بروحه وعن معاوية انما عرج بروحه وعن الحسن كان في المنام رؤيا راها واكثر
الاقاويل بخلاف ذلك والمسجد الاقصى بيت المقدس لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد باركنا
حوله يريد بركات الدين والدنيا لانه متعبد الانبياء من وقت موسى عليه السلام ومهبط
الوحي وهو محفوف بالانهار الجارية والاشجار المثمرة وقرا الحسن ليريه بالياء ولقد تصرف
الكلام على لفظ الغائب والمتكلم فقيل اسرى ثم باركنا ثم ليريه على قراءة الحسن ثم من اياتنا
ثم انه هو وهي طريقة الالتفات التي هي من طرق البلاغة انه هو السميع لاقوال محمد
البصير بافعاله العالم بتهذيبها وخلوصها فيكرمه ويقربه على حسب ذلك الا
تتخذوا قرئ بالياء على لئلا يتخذوا وبالتاء على اي لا تتخذوا كقولك كتبت اليه ان افعل كذا
وكيلا ربا تكلون اليه اموركم ذرية من حملنا نصب على الاختصاص وقيل على النداء فيمن
قرا لا تتخذوا بالتاء على النهي يعني قلنا لهم لا تتخذوا من دوني وكيلا يا ذرية من حملنا
مع نوح وقد يجعل وكيلا ذرية من حملنا مفعولي تتخذوا اي لا تجعلوهم اربابا كقوله ولا
يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ومن ذرية المحمولين مع نوح عيسى وعزير
عليهما السلام وقرئ ذرية من حملنا بالرفع بدلا من واو يتخذوا وقرا زيد بن ثابت ذرية بكسر
الذال وروي عنه انه فتحها بوزن المولة ذكرهم الله النعمة في انجاء ابائهم من الغرق

انه ان نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا قيل كان اذا اكل قال الحمد لله الذي اطعمني ولو شاء
اجاعني واذا شرب قال الحمد لله الذي سقاني ولو شاء اظماني واذا اكتسى قال الحمد لله
الذي كساني ولو شاء اعراني واذا احتذى قال الحمد لله الذي حذاني ولو شاء احفاني واذا
قضى حاجته قال الحمد لله الذي اخرج عني اذاه في عافية ولو شاء حبسه وروي انه كان
اذا اراد الافطار عرض طعامه على من امن به فان وجده محتاجا اثره به فان قلت قوله
انه كان عبدا شكورا ما وجه ملاءمته لما قبله قلت كانه قيل لا تتخذوا من دوني وكيلا ولا
تشركوا بي لان نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا وانتم ذرية من امن به وحمل معه فاجعلوه
اسوتكم كما جعله اباؤكم اسوتهم ويجوز ان يكون تعليلا للاختصاص والثناء عليهم بانهم
اولاد المحمولين مع نوح فهم متصلون به فاستاهلوا لذلك الاختصاص ويجوز ان يقال ذلك
عند ذكره على سبيل الاستطراد وقضينا الى بني اسرائيل واوحينا اليهم وحيا مقضيا اي
مقطوعا مبتوتا بانهم يفسدون في الارض لا محالة ويعلون اي يتعظمون ويبغون في الكتاب في
التوراة ولتفسدن جواب قسم محذوف ويجوز ان يجري القضاء المبتوت مجرى القسم فيكون لتفسدن
جوابا له كانه قال واقسمنا لتفسدن وقرئ لتُفسَدُنّ على البناء للمفعول ولتَفسُدُنّ بفتح التاء
من فسد مرتين اولاهما قتل زكريا عليه السلام وحبس ارمياء حين انذرهم سخط الله والاخرة قتل
يحيى بن زكريا وقصد قتل عيسى بن مريم عبادا لنا وقرئ عبيدا لنا واكثر ما يقال عباد الله
وعبيد الناس سنحاريب وجنوده وقيل بختنصر وعن ابن عباس جالوت قتلوا علماءهم وحرقوا التوراة
وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين الفا فان قلت كيف جاز ان يبعث الله عز وجل الكفرة
على ذلك ويسلطهم عليه قلت معناه خلينا بينهم وبين ما فعلوا ولم نمنعهم على ان الله عز وجل اسند
بعث الكفرة عليهم الى نفسه فهو كقوله وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون وكقول
الداعي وخالف بين كلمتهم واسند الجوس وهو التردد خلال الديار الى ساداتهم فخربوا
المسجد واحرقوا التوراة من جملة الجوس المسند اليهم وقرا طلحة فحاسوا بالحاء وقرئ فجوسوا
وخلل الديار فان قلت ما معنى وعد اولاهما قلت معناه وعد عقاب اولاهما وكان وعدا مفعولا
يعني وكان وعد العقاب وعدا لا بد ان يفعل ثم رددنا لكم الكرة عليهم اي الدولة والغلبة على
الذين بعثوا عليكم حين تبتم ورجعتم عن الفساد والعلو قيل هي قتل بختنصر واستنقاذ بني
اسرائيل اسراهم واموالهم ورجوع الملك اليهم وقيل هي قتل داود جالوت اكثر نفيرا مما كنتم
والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر كالعبيد والمعيز اي ان احسنتم ولا اسأتم
كلاهما مختص بانفسكم لا يتعدى النفع والضرر الى غيركم وعن علي رضي الله عنه ما احسنت الى
احد ولا اسات اليه وتلاها فاذا جاء وعد المرة الاخرة بعثناهم ليسوءوا وجوهكم حذف
لدلالة ذكره اولا عليه ومعنى ليسوءوا وجوهكم ليجعلوها بادية اثار المساءة والكآبة فيها
كقوله سيئت وجوه الذين كفروا وقرئ ليسوء والضمير لله عز وجل او للوعد او للبعث ولنسوء
بالنون وفي قراءة علي رضي الله عنه لنسوءن وليسوءن وقرئ لنسوءن بالنون الخفيفة واللام
في وليدخلوا على هذا متعلق بمحذوف وهو وبعثناهم ليدخلوا ولنسوءن جواب اذا ما علوا
مفعول ليتبروا اي ليهلكوا كل شيء غلبوه واستولوا عليه او بمعنى مدة علوهم عسى ربكم
ان يرحمكم بعد المرة الثانية ان تبتم توبة اخرى وانزجرتم عن المعاصي وان عدتم مرة ثالثة
عدنا الى عقوبتكم وقد عادوا فاعاد الله عليهم النقمة بتسليط الاكاسرة وضرب الاتاوة

عليهم وعن الحسن عادوا فبعث الله عليهم محمدا صلى الله عليه وآله وسلم فهم يعطون
الجزية عن يد وهم صاغرون وعن قتادة ثم كان آخر ذلك أن بعث الله عليهم هذا الحي
من العرب فهم منهم في عذاب إلى يوم القيامة **حصيرا** محبسا يقال للسجن محصر وحصير وعن
الحسن بساطا كما يبسط الحصير المرمول **التي هي أقوم** للحالة التي هي أقوم الحالات وأسدها
أو للملة أو للطريقة وأينما قدرت لم تجد مع الإثبات ذوق البلاغة الذي تجده مع الحذف لما
في إبهام الموصوف بحذفه من فخامة تفقد مع إيضاحه وقرئ **ويبشر** بالتخفيف فإن قلت
كيف ذكر المؤمنين الأبرار والكفار ولم يذكر الفسقة قلت كان الناس حينئذ إما مؤمن تقي وإما
مشرك وإنما حدث أصحاب المنزلة بين المنزلتين بعد ذلك فإن قلت علام عطف **وأن الذين لا**
يؤمنون قلت على أن لهم أجرا كبيرا على معنى أنه بشر المؤمنين ببشارتين اثنتين بثوابهم وبعقاب
أعدائهم ويجوز أن يراد ويخبر بأن الذين لا يؤمنون معذبون **ويدعو الإنسان بالشر** أي **ويدعو**
الله عند غضبه بالشر على نفسه وأهله وماله كما يدعوه لهم بالخير كقوله ولو يعجل الله للناس
الشر استعجالهم بالخير **وكان الإنسان عجولا** يتسرع إلى طلب كل ما يقع في قلبه ويخطر بباله
لا يتأنى فيه تأني المتبصر وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه دفع إلى سودة بنت زمعة
أسيرا فأقبل يئن بالليل فقالت له ما لك تئن فشكا ألم القد فأرخت من كتافه فلما نامت
أخرج يده وهرب فلما أصبح النبي صلى الله عليه وآله وسلم دعا به فأعلم بشأنه فقال عليه السلام
اللهم اقطع يديها فرفعت سودة يديها تتوقع الإجابة وأن يقطع الله يديها فقال
النبي صلى الله عليه وآله وسلم إني سألت الله أن يجعل لعنتي ودعائي على من لا يستحق من أهلي
رحمة لأني بشر أغضب كما يغضب البشر فلترد سودة يديها ويجوز أن يريد بالإنسان الكافر
وأنه يدعو بالعذاب استهزاء ويستعجل به كما يدعو بالخير إذا مسته الشدة وكان الإنسان
عجولا يعني أن العذاب آتيه لا محالة فما هذا الاستعجال وعن ابن عباس هو النضر بن الحرث
قال اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك الآية فأجيب له فضربت عنقه صبرا **وجعلنا**
الليل والنهار آيتين فيه وجهان أحدهما أن يراد أن الليل والنهار آيتان في أنفسهما
فتكون الإضافة في آية الليل وآية النهار للتبيين كإضافة العدد إلى المعدود أي
فمحونا الآية التي هي الليل وجعلنا الآية التي هي النهار مبصرة والثاني أن يراد وجعلنا
نيري الليل والنهار آيتين يريد الشمس والقمر فمحونا آية الليل أي جعلنا الليل ممحو الضوء
مطموسه مظلما لا يستبان فيه شيء كما لا يستبان ما في اللوح الممحو وجعلنا النهار مبصرا
أي تبصر فيه الأشياء وتستبان أو فمحونا آية الليل التي هي القمر حيث لم نخلق له شعاعا
كشعاع الشمس فترى به الأشياء رؤية بينة وجعلنا الشمس ذات شعاع يبصر في ضوئها
كل شيء **لتبتغوا فضلا من ربكم** لتتوصلوا ببياض النهار إلى استبانة أعمالكم والتصرف
في معايشكم **ولتعلموا** باختلاف الجديدين **عدد السنين وجنس الحساب** وما تحتاجون
إليه منه ولولا ذلك لما علم أحد حسبان الأوقات ولتعطلت الأمور **وكل شيء** مما
تفتقرون إليه في دينكم ودنياكم **فصلناه** بيناه بيانا غير ملتبس فأزحنا عللكم وما تركنا
لكم حجة علينا **طائره** عمله وقد حققنا القول فيه في سورة النمل وعن ابن عيينة
رضي الله عنه هو من قولك طار له سهم إذا خرج يعني ألزمناه ما طار من عمله والمعنى
أن عمله لازم له لزوم القلادة أو الغل لا يفك عنه ومنه مثل العرب تقلدها طوق

الحمامة وقولهم الموت في الرقاب وهذا ربقة في رقبته وعن الحسن رضي الله عنه يا ابن
آدم بسطت لك صحيفة إذا بعثت قلدتها في عنقك وقرئ في عنقه بسكون النون وقرئ
نخرج بالنون ويخرج بالياء والضمير لله عز وجل ويخرج على البناء للمفعول ويخرج من خرج والضمير
للطائر أي يخرج الطائر كتابا وانتصاب كتابا على الحال وقرئ **يلقاه** بالتشديد مبنيا للمفعول
ويلقاه ومنشورا صفتان للكتاب أو يلقاه صفة ومنشورا حال من يلقاه **اقرأ** على
إرادة القول وعن قتادة يقرأ ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قارئا **وبنفسك** فاعل
كفى **حسيبا** تمييز وهو بمعنى حاسب كضريب القداح بمعنى ضاربها وصريم بمعنى صارم
ذكرهما سيبويه **وعلى** متعلق به من قولك حسب عليه كذا ويجوز أن يكون بمعنى الكافي
ووضع موضع الشهيد فعدي بعلى لأن الشاهد يكفي المدعي ما أهمه فإن قلت لم ذكر
حسيبا قلت لأنه بمنزلة الشهيد والقاضي والأمير لأن الغالب أن هذه الأمور يتولاها
الرجال فكأنه قيل كفى بنفسك رجلا حسيبا ويجوز أن يتأول النفس بالشخص كما يقال ثلاثة
أنفس وكان الحسن إذا قرأها قال يا ابن آدم أنصفك والله من جعلك حسيب نفسك أي كل نفس
حاملة وزرا فإنما تحمل وزرها لا وزر نفس أخرى **وما كنا معذبين** وما صح منا صحة تدعو
إليها الحكمة أن نعذب قوما إلا بعد أن **نبعث إليهم رسولا** فتلزمهم الحجة فإن قلت الحجة لازمة
لهم قبل بعثة الرسول لأن معهم أدلة العقل التي بها يعرف الله عز وجل وقد أغفلوا النظر
وهم متمكنون منه واستيجابهم العذاب لإغفالهم النظر فيما معهم وكفرهم لذلك لا لإغفال
الشرائع التي لا سبيل إليها إلا بالتوقيف والعمل بها لا يصح إلا بعد الإيمان قلت بعثة الرسول
من جملة التنبيه على النظر والإيقاظ من رقدة الغفلة لئلا يقولوا كنا غافلين فلولا بعثت إلينا
رسولا ينبهنا على النظر في أدلة العقل **وإذا أردنا** وإذا دنا وقت إهلاك قوم ولم يبق من
زمان إمهالهم إلا قليل **أمرنا** هم **ففسقوا** أي أمرناهم بالفسق ففعلوا والأمر مجاز لأن حقيقة
أمرهم بالفسق أن يقول لهم افسقوا وهذا لا يكون فبقي أن يكون مجازا ووجه المجاز أنه
صب عليهم النعمة صبا فجعلوها ذريعة إلى المعاصي واتباع الشهوات فكأنهم مأمورون
بذلك لتسبب إيلاء النعمة فيه وإنما خولهم إياها ليشكروا ويعملوا فيها الخير ويتمكنوا من الإحسان
والبر كما خلقهم أصحاء أقوياء وأقدرهم على الخير والشر وطلب منهم إيثار الطاعة على المعصية
فآثروا الفسوق فلما فسقوا **حق عليهم القول** وهو كلمة العذاب فدمرهم فإن قلت هلا
زعمت أن معناه أمرناهم بالطاعة ففسقوا قلت لأن حذف ما لا دليل عليه غير جائز
فكيف يحذف ما الدليل قائم على نقيضه وذلك أن المأمور به إنما حذف لأن فسقوا يدل عليه
وهو كلام مستفيض يقال أمرته فقام وأمرته فقرأ لا يفهم منه إلا أن المأمور به قيام أو
قراءة ولو ذهبت تقدر غيره فقد رمت من مخاطبك علم الغيب ولا يلزم هذا قولهم أمرته
فعصاني أو فلم يمتثل أمري لأن ذلك مناف للأمر مناقض له ولا يكون ما يناقض الأمر مأمورا
به فكان محالا أن يقصد أصلا حتى يجعل دالا على المأمور به فكان المأمور به في هذا الكلام
غير مدلول عليه ولا منوي لأن من يتكلم بهذا الكلام فإنه لا ينوي لأمره مأمورا به فكأنه
يقول كان مني أمر فلم تكن منه طاعة كما أن من يقول فلان يعطي ويمنع ويأمر وينهى غير
قاصد إلى مفعول فإن قلت هلا كان ثبوت العلم بأن الله لا يأمر بالفحشاء وإنما يأمر بالقسط
والخير دليلا على أن المراد أمرناهم بالخير ففسقوا قلت لا يصح ذلك لأن قوله ففسقوا يدافعه

فكانك اظهرت شيا وانت مضمر خلافه فكان صرفا للامر الى المجاز هو الوجه ونظير
امرت شاتمي ان لا يقول له استعماله في الحذف لا له ما يعبره عليه تقول لو شاء لاحسن اليك
ولو شاء لاسا اليك تريد لو شاء الاحسان ولو شاء الاساءة فلو ذهبت تضمر خلاف ما
اظهرت وقلت قد دلت حال ما اسندت اليه المشية انه من اهل الاحسان او من
اهل الاساءة فاترك الظاهر المنطوق به واضمر ما دلت عليه حال صاحب المشية لم تكن
على سداد وقد فسر بعضهم امرنا بكثرنا وجعل امرته فامر من باب فعلته ففعل كثرته
فكثر وفي الحديث خير المال سكة مابورة ومهرة مامورة اي كثيرة النتاج وروى ان رجلا
من المشركين قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اني ارى امرك هذا حقيرا فقال
عليه السلام انه سيامر اي سيكثر وسيكبر وقرى امرنا من امر وآمره غيره وامرنا
بمعنى امرنا او من امر امارة وامره الله اي جعلناهم امراء وسلطناهم كم مفعول
اهلكنا ومن القرون بيان لكم وتمييز له كما يميز العدد بالجنس يعني عادا وثمودا
وقرونا بين ذلك كثيرا بقوله وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا على ان الذنوب
هي اسباب الهلكة لا غير وانه عالم بها معاقب عليها من كان يريد العاجلة همه ولم يرد
غيرها كالكفرة واكثر الفسقة تفضلنا عليه من منافعها بما نشاء لمن نريد فقيد
الامر تقييدين احدهما تقييد المعجل بمشيته والثاني تقييد المعجل له بارادته وهكذا
الحال ترى كثيرا من هولاء يتمنون ما يتمنون ولا يعطون الا بعضا منه وكثيرا منهم يتمنون
ذلك البعض وقد حرموه فاجتمع عليهم فقر الدنيا وفقر الاخرة واما المومن
التقي فقد اختار مراده وهو غنى الاخرة فما يبالي اوتي حظا من الدنيا ام لم يوت فان
اوتي فيها والا فربما كان الفقر خيرا له واعون على مراده وقوله لمن نريد بدل من
له وهو بدل البعض من الكل لان الضمير يرجع الى من وهو في معنى الكثرة وقرى يشاء
وقيل الضمير لله عز وجل ولا فرق اذا بين القراءتين في المعنى ويجوز ان يكون للعبد على
ان للعبد ما يشاء من الدنيا وان ذلك لواحد من الدهماء يريد به الله ذلك وقيل هو من
يريد الدنيا بعمل الاخرة كالمنافق والمرائي والمهاجر للدنيا والمجاهد للغنيمة والذكر كما
قال عليه السلام فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا
يصيبها او امراة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه مدحورا مطرودا من رحمة الله
سعيها حقها من السعي وكفاها من الاعمال الصالحة اشترط ثلث شرائط في كون السعي
مشكورا ارادة الاخرة بان يعقد بها همه ويتجافى عن دار الغرور والسعي فيما كلف من
الفعل والترك والايمان الصحيح الثابت عن بعض المتقدمين من لم يكن معه ثلث لم
ينفعه عمله ايمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلى هذه الاية وشكر الله الثواب
على الطاعة كلا كل واحد من الفريقين والتنوين عوض من المضاف اليه نمد هم يمدهم
من عطائنا ونجعل الانفاق منه مددا للثاني لا نقطعه فنرزق المطيع والعاصي جميعا
على وجه التفضل وما كان عطاء ربك وفضله محظورا اي ممنوعا لا يمنعه من عاص
لعصيانه انظر بعين الاعتبار كيف جعلناهم متفاوتين في التفضل وفي الاخرة التفاوت
اكبر لانها ثواب واعواض وتفضل وكلها متفاوتة وروى ان قوما من الاشراف فمن
دونهم اجتمعوا بباب عمر رضي الله عنه فخرج الاذن لبلال وصهيب فشق على ابي سفين

فقال سهيل

فقال سهيل بن عمرو انما اتينا من قبلنا انهم دعوا ودعينا يعني الى الاسلام فاسرعوا وابطانا
وهذا باب عمر فكيف التفاوت في الاخرة ولان حسدتموهم على باب عمر لما اعد الله لهم في الجنة اكثر
وقرى واكثر تفضيلا وعن بعضهم ايها المباهي بالرفع منك في مجالس الدنيا اما ترغب في المباهاة
بالرفع في مجالس الاخرة وهي اكبر وافضل فتقعد من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كانها
حربة بمعنى صارت يعني فتصير جامعا على نفسك الذم وما يتبعه من الهلاك من الهك
والخذلان والعجز عن النصرة ممن جعلته شريكا له وقضى ربك وامر امرا مقطوعا به الا تعبدوا
ان مفسرة ولا تعبدوا نهي او بان لا تعبدوا وبالوالدين احسانا واحسنوا بالوالدين احسانا
او بان تحسنوا بالوالدين وقرى واوصى وعن ابن عباس ووصى وعن بعض ولد معاذ بن جبل
وقضاء ربك ولا يجوز ان يتعلق الباء في بالوالدين بالاحسان لان المصدر لا يتقدم عليه صلته اما
هي ان الشرطية زيدت عليها ما تاكيدا لها ولذلك دخلت النون المؤكدة في الفعل ولو
افردت ان لم يصح دخولها لا تقول ان تكرمن زيدا يكرمك ولكن اما تكرمنه واحدهما فاعل
يبلغن وهو فيمن قرا يبلغان بدل من الف الضمير الراجع الى الوالدين وكلاهما عطف على احدهما
فاعلا وبدلا فان قلت لم قيل اما يبلغان كلاهما كان كلاهما توكيدا لا بدلا فما لك زعمت انه
بدل قلت لانه معطوف على ما لا يصح ان يكون توكيدا للاثنين فانتظم في حكمه فوجب ان يكون مثله
فان قلت ما ضرك لو جعلته توكيدا مع كون المعطوف عليه بدلا وعطفت التوكيد على البدل
قلت لو اريد توكيد التثنية لقيل كلاهما فحسب فلما قيل احدهما او كلاهما علم ان التوكيد غير مراد
فكان بدلا مثل الاول اف صوت يدل على تضجر وقرى اف بالحركات الثلث منونا وغير
منون الكسر على اصل البناء والفتح تخفيف للضمة والتشديد كثم والضم اتباع كمنذ فان قلت
ما معنى عندك قلت هو ان يكبرا ويعجزا وكانا كلا على ولدهما لا كافل لهما غيره فهما عنده في بيته
وكنفه وذلك اشق عليه واشد احتمالا وصبرا وربما تولى منهما ما كانا يتوليان منه في حال
الطفولة فهو مامور بان يستعمل معهما وطاءة الخلق ولين الجانب والاحتمال حتى لا يقول لهما
اذا اضجره ما يستقذر منهما او يستثقل من مؤنهما اف فضلا عما يزيد عليه ولقد بالغ سبحانه
في التوصية بهما حيث افتتحها بان شفع الاحسان اليهما بتوحيده ونظمهما في سلك القضاء بهما
معا ثم ضيق الامر في مراعاتهما حتى لم يرخص في ادنى كلمة تنفلت من المتضجر مع موجبات الضجر
ومقتضياته ومع احوال لا يكاد يدخل صبر الانسان معها في الاستطاعة ولا تنهرهما ولا
تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك والنهي والنهر والنهم اخوات وقل لهما بدل التافيف
والنهر قولا كريما جميلا كما يقتضيه حسن الادب والنزول على المروة وقيل هو ان يقول يا ابتاه يا اماه
كما قال ابراهيم عليه السلام لابيه يا ابت مع كفره ولا يدعوهما باسمائهما فانه من الجفاء
وسوء الادب وعادة الدعار وعن الواو لا باس به في غير وجهه كما قالت عائشة رضي الله عنها
نحلني ابو بكر كذا وقرى جناح الذل والذل بالضم والكسر فان قلت ما معنى جناح الذل
قلت فيه وجهان احدهما ان يكون المعنى واخفض لهما جناحك كما قال واخفض جناحك
للمومنين فاضافه الى الذل او الذل كما اضيف حاتم الى الجود على معنى واخفض لهما جناحك
الذليل او الذلول والثاني ان تجعل لذله او لذله لهما جناحا خفيضا كما جعل لبيد
للشمال يدا وللقرة زماما مبالغة في التذلل والتواضع لهما من الرحمة من فرط رحمتك لهما
وعطفك عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم الى من كان افقر خلق الله اليهما بالامس ولا
تكتف برحمتك عليهما التي لا بقاء لها وادع الله بان يرحمهما رحمته الباقية واجعل ذلك

جزاء لرحمتهما عليك في صغرك وتربيتهما لك فان قلت الاسترحام لهما انما يصح اذا كانا
مسلمين قلت واذا كانا كافرين فله ان يسترحم لهما بشرط الايمان وان يدعو الله لهما
بالهداية والارشاد ومن الناس من قال كان الدعاء للكفار جائزا ثم نسخ وسئل ابن عيينة
عن الصدقة عن الميت فقال كل ذلك واصل اليه ولا شيء انفع له من الاستغفار ولو كان
شيء افضل منه لامركم به في الوالدين ولقد كرر الله سبحانه في كتابه الوصية بالوالدين
وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رضى الله في رضى الوالدين وسخطه في سخطهما ه
وروي يفعل البار ما شاء ان يفعل فلن يدخل النار ويفعل العاق ما شاء ان يفعل
فلن يدخل الجنة وروى سعيد بن المسيب ان البار لا يموت ميتة سوء وقال رجل لرسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم ان ابوي بلغا من الكبر اني الي منهما ما وليا مني في الصغر
فهل قضيتهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك
وانت تريد موتهما وشكا رجل الى رسول الله اباه وانه يأخذ ماله فدعا به فاذا
شيخ يتوكأ على عصا فسأله فقال انه كان ضعيفا وانا قوي وفقيرا وانا غني فكنت
لا امنعه شيئا من مالي واليوم انا ضعيف وهو قوي وانا فقير وهو غني ويبخل علي
بماله فبكى عليه السلام وقال ما من حجر ولا مدر يسمع هذا الا بكى ثم قال للولد انت ومالك لابيك
انت ومالك لابيك وشكا اليه اخر سوء خلق امه فقال لم تكن سيئة الخلق
حين حملتك تسعة اشهر قال انها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين ارضعتك
حولين قال انها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين اسهرت لك ليلها واظمأت نهارها
قال لقد جازيتها قال ما فعلت قال حججت بها على عاتقي قال ما جزيتها ولو
طلقة وعن ابن عمر انه رأى رجلا في الطواف يحمل امه ويقول اني لها مطية
لا تذعر ه اذا الركاب نفرت لا تنفر ه ما حملت وارضعتني اكثر ه الله ربي ذو
الجلال الاكبر ه تظنني جزيتها يا ابن عمر ه قال لا ولو زفرة واحدة وعنه عليه السلام
اياكم وعقوق الوالدين فان الجنة يوجد ريحها من مسيرة الف عام ولا يجد ريحها
عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جار ازاره خيلاء ان الكبرياء لله رب العالمين
وقال الفقهاء لا يذهب بابيه الى البيعة واذا بعث اليه منها ليحمله فعل ولا يناوله الخمر
ويأخذ الاناء منه اذا شربها وعن ابي يوسف اذا امره ان يوقد تحت قدره وفيها لحم
الخنزير اوقد وعن حذيفة انه استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتل ابيه
وهو في صف المشركين فقال دعه يليه غيرك وسئل الفضيل بن عياض عن بر
الوالدين فقال ان لا تقوم الى خدمتهما عن كسل وسئل بعضهم فقال ان لا ترفع
صوتك عليهما ولا تنظر شزرا اليهما ولا يريا منك مخالفة في ظاهر ولا باطن وان
تترحم عليهما ما عاشا وتدعو لهما اذا ماتا وتقوم بخدمة اودائهما من بعدهما وعن
النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان من ابر البر ان يصل الرجل اهل ود ابيه **بما في نفوسكم**
بما في ضمائركم من قصد البر الى الوالدين واعتقاد ما يجب لهما من التوقير **ان تكونوا**
صالحين قاصدين الصلاح والبر ثم فرطت منكم في حال الغضب وعند حرج الصدر
هنة مما لا يخلو منه البشر او لحمية الاسلام هنة تؤدي الى اذاهما ثم انبتم الى الله
واستغفرتم فان الله غفور للاوابين للتوابين وعن سعيد بن جبير هي في البادرة
تكون من الرجل الى ابيه لا يريد بذلك الا الخير وعن سعيد بن المسيب **الاواب** الرجل كلما

اذنب بادر بالتوبة ويجوز ان يكون هذا عاما لكل من فرطت منه جناية ثم تاب منها ويندرج
تحته الجاني على ابويه التائب من جنايته لوروده على اثره **وآت ذا القربى حقه** وصى بغير
الوالدين من الاقارب بعد التوصية بهما وان يؤتوا حقهم وحقهم اذا كانوا محارم كالابوين
والولد وفقراء عاجزين عن الكسب وكان الرجل موسرا ان ينفق عليهم عند ابي حنيفة والشافعي
لا يرى النفقة الا على الولد والوالدين فحسب وان كانوا مياسير او لم يكونوا محارم كابناء
العم فحقهم صلتهم بالمودة والزيارة وحسن المعاشرة والمؤالفة على السراء والضراء والمعاونة
ونحو ذلك **والمسكين وابن السبيل** يعني وآت هؤلاء حقهم من الزكاة وهذا دليل على ان المراد
بما يؤتى ذوي القربى القرابة من الحق هو تعهدهم بالمال وقيل اراد بذي القربى اقرباء
رسول الله صلى الله عليه وسلم **التبذير** تفريق المال فيما لا ينبغي وانفاقه على وجه الاسراف
وكانت الجاهلية تنحر ابلها وتتياسر عليها وتبذر اموالها في الفخر والسمعة وتذكر
ذلك في اشعارها فامر الله بالنفقة في وجوهها مما يقرب منه ويزلف وعن عبد الله
بن عمر مر رسول الله صلى الله عليه هو انفاق المال في غير حقه وعن مجاهد لو انفق
مدا في باطل كان تبذيرا ولقد انفق بعضهم نفقة في خير فاكثر فقال له صاحبه لا خير
في السرف فقال لا سرف في الخير وعن عبد الله بن عمر مر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
بسعد وهو يتوضأ فقال ما هذا السرف يا سعد قال او في الوضوء سرف قال نعم وان كنت
على نهر جار **اخوان الشياطين** امثالهم في الشرارة وهي غاية المذمة لانه لا اشر من الشيطان
او هم اخوانهم واصدقاؤهم لانهم يطيعونهم فيما يأمرونهم به من الاسراف او هم قرناؤهم
في النار على سبيل الوعيد **وكان الشيطان لربه كفورا** فما ينبغي ان يطاع فانه لا يدعو الا
الى مثل فعله وقرأ الحسن اخوان الشيطان **وان** اعرضت عن ذي القربى والمسكين وابن
السبيل حياء من الرد **فقل لهم قولا ميسورا** ولا تتركهم غير مجابين اذا سألوك وكان النبي صلعم
اذا سئل شيئا وليس عنده اعرض عن السائل وسكت حياء وقوله **ابتغاء رحمة من ربك** اما ان
يتعلق بجواب الشرط مقدما عليه اي فقل لهم قولا سهلا لينا وعدهم وعدا جميلا رحمة لهم
وتطييبا لقلوبهم ابتغاء رحمة من ربك اي ابتغ رحمة الله التي ترجوها برحمتك عليهم واما
ان يتعلق بالشرط اي وان اعرضت عنهم لفقد رزق من ربك ترجو ان يفتح لك به فسمى
الرزق رحمة فردهم ردا جميلا فوضع الابتغاء موضع الفقد لان فاقد الرزق مبتغ له فكان
الفقد سبب الابتغاء والابتغاء مسببا عنه فوضع المسبب موضع السبب ويجوز ان يكون
معنى واما تعرضن عنهم وان لم تنفعهم ولم ترفع خصاصتهم لعدم الاستطاعة ولا يريد الاعراض
بالوجه كناية بالاعراض عن ذلك لان من ابى ان يعطي اعرض بوجهه يسر الامر وعسر
مثل سعد الرجل ونحس فهو مفعول وقيل معناه فقل لهم رزقنا الله واياكم من فضله
على انه دعاء لهم بان ييسر عليهم فقرهم كان معناه قولا ذا ميسور وهو اليسر اي دعاء فيه
يسر هذا تمثيل لمنع الشحيح واعطاء المسرف وامر بالاقتصاد الذي هو بين الاسراف ه
والتقتير **فتقعد ملوما** فتصير ملوما عند الله لان المسرف غير مرضي عنده وعند الناس
يقول المحتاج اعطى فلانا وحرمني ويقول المستغني ما يحسن تدبير امر المعيشة وعند نفسك
اذا احتاج فندمت على ما فعلت **محسورا** منقطعا بك لا شيء عندك من حسره السفر اذا بلغ
منه وحسره بالمسألة وعن جابر بينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اتاه صبي فقال ان

اي تستكسيك ~~بجسمها الذي عليك~~ درعا فقال من ساعة الى ساعة يظهر فعد الينا
فذهب الى امه فقالت له قل له ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل داره ونزع
قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن بلال وانتظروا فلم يخرج للصلوة وقيل اعطى
الاقرع بن حابس مائة من الابل وعيينة بن حصن كذلك فجاء عباس بن مرداس وانشا يقول
اتجعل نهبي ونهب العبيد بين عيينة والاقرع ٥ فما كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس
في مجمع ٥ وما كنت دون امرئ منهما ومن تضع اليوم لا يرفع ٥ فقال يا ابا بكر اقطع
لسانه عني اعطه مائة من الابل فنزلت ثم سلى رسول الله صلى الله عليه عما كان يرهقه
من الاضاقة بان ذلك ليس لهوان منك عليه ولا لبخل به عليك ولكن لان مشيته في بسط
الارزاق وقدرها تابعة للحكمة والمصلحة ويجوز ان يريد ان البسط والقبض امران من
امر الله الذي الخزائن في يده فاما العبد فعليهم ان يقتصدوا ويحتمل انه عز وعلا بسط
لعباده او قبض فانه يراعي اوسط الحالين لا يبلغ بالمبسوط له غاية مراده ولا بالمقبوض
عليه اقصى مكروهه فاستنوا بسنته ولا تقتلوا اولادكم هو وادهم بناتهم كانوا يئدونهن
خشية الفاقة وهي الاملاق نحن نرزقهم واياكم نهاهم الله وضمن لهم ارزاقهم وقرى خشية بكسر الخاء
وقرى خِطأ وهو الاثم يقال خطئ خطأ كاثم اثما وخَطأ وهو ضد الصواب اسم من اخطأ
وقيل هو والخطء كالحذر والحذر وخِطاء بالكسر والمد وخَطاء بالفتح والمد وخطأ
بالفتح والسكون وعن الحسن خطا بالفتح وحذف الهمزة كالخب وعن ابي رجاء بكسر الخاء
غير مهموز فاحشة قبيحة زائدة على حد القبح وساء سبيلا وبئس طريقا طريقه وهو
ان تغصب على غيرك امرأته او اخته او ابنته من غير سبب والسبب ممكن وهو الصهر
الذي شرعه الله الا بالحق الا باحدى ثلاث الايمان بكفر او يقتل مؤمنا متعمدا او زنى
بعد احصان مظلوما غير راكب واحدة منهن لوليه للذي بينه وبينه قرابة توجب
المطالبة بدمه فان لم يكن له ولي فالسلطان وليه سلطانا تسلطا على القاتل في الاقتصاص
منه او حجة يثبت بها عليه فلا يسرف الضمير للولي اي فلا يقتل غير القاتل ولا اثنين
والقاتل واحد كعادة الجاهلية كان اذا قتل منهم واحد قتلوا به جماعة حتى قال
مهلهل حين قتل بجير بن الحرث بن عباد بؤ بشسع نعل كليب ٥ وقال كل قتيل في
كليب غرة ٥ حتى ينال القتل ال مرة ٥ وكانوا يقتلون غير القاتل اذا لم يكن بواء
وقيل الاسراف المثلة وقرا ابو مسلم صاحب الدولة فلا يسرف بالرفع على انه خبر في
معنى الامر وفيه مبالغة ليست في الامر وعن مجاهد ان الضمير للقاتل الاول وقرى
فلا تسرف على خطاب الولي او قاتل المظلوم وفي قراءة ابي فلا تسرفوا رده على ولا
تقتلوا انه كان منصورا الضمير اما للولي يعني حسبه ان الله قد نصره بان اوجب له
القصاص فلا يستزد على ذلك وبان الله نصره بمعونة السلطان وباظهار المؤمنين
على استيفاء الحق فلا يبغ ما وراء حقه واما للمظلوم لان الله ناصره حيث اوجب القصاص
بقتله وينصره في الاخرة بالثواب واما للذي يقتله الولي بغير حق ويسرف في قتله
فانه منصور بايجاب القصاص على المسرف بالتي هي احسن بالخصلة او الطريقة التي
هي احسن وهي حفظه عليه وتثميره ان العهد كان مسؤولا اي مطلوبا يطلب من
المعاهد ان لا يضيعه ويفي به ويجوز ان يكون تخييلا كانه يقال للعهد لم نكثت وهلا

وهلا اوفى بك تبكيتا للناكث كما يقال للموؤدة باي ذنب قتلت ويجوز ان يراد ان صاحب
العهد كان مسؤولا وقرى بالقسطاس بالضم والكسر وهو القرسطون وقيل كل ميزان صغيرا او كبيرا
من موازين الدراهم وغيرها واحسن تاويلا واحسن عاقبة وهو تفعيل من ال اذا
رجع وهو ما يؤول اليه ولا تقف ولا تتبع وقرى ولا تقف يقال قفا اثره وقافه ومنه
القافة يعني ولا تكن في اتباعك ما لا علم لك به من قول او فعل كمن يتبع مسلكا لا يدري انه
يوصله الى مقصده فهو ضال والمراد النهي عن ان يقول الرجل ما لا يعلم وان يعمل بما لا
يعلم ويدخل فيه النهي عن التقليد دخولا ظاهرا لانه اتباع لما لا يعلم صحته من فساده
وعن ابن الحنفية شهادة الزور وعن الحسن لا تقف اخاك المسلم اذا مر بك فتقول هذا
يفعل كذا ورايته يفعل وسمعته ولم تر ولم تسمع وقيل القفو شبيه بالعضه
بالعصمة ومنه الحديث من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله في ردغة من الخبال
حتى ياتي بالمخرج وانشد ٥ ومثل الدمى شم العرانين ساكن بهن الحيا لا يشعن التقافيا ٥
اي التقاذف وقال الكميت ٥ ولا ارمي البرئ بغير ذنب ولا اقفو الحواصن ان قفينا ٥
وقد استدل به مبطل الاجتهاد ولم يصح لان ذلك نوع من العلم فقد اقام الشرع غالب
الظن مقام العلم وامر بالعمل به اولئك اشارة الى السمع والبصر والفؤاد كقوله ٥ والعيش
بعد اولئك الايام ٥ وعنه في موضع الرفع بالفاعلية اي كل واحد منها كان مسؤولا عنه
فمسؤول مسند الى الجار والمجرور كالمغضوب في قوله غير المغضوب عليهم يقال للانسان
لم سمعت ما لا يحل لك سماعه ولم نظرت الى ما لا يحل لك النظر اليه ولم عزمت على ما
لا يحل لك العزم عليه وقرى والفواد بفتح الفاء والواو قلبت الهمزة واوا بعد الضمة
في الفواد ثم استصحب القلب مع الفتح مرحا حال اي ذا مرح وقرى مرِحا وفضل الاخفش
المصدر على اسم الفاعل لما فيه من التاكيد لن تخرق الارض لن تجعل فيها خرقا بدوسك
لها وشدة وطاتك وقرى ولن تخرق بضم الراء ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك وهو
تهكم بالمختال فرى سيئة وسيئه على اضافة سي الى ضمير كل وسيئا في بعض المصاحف
وسيئات وفي قراءة ابي بكر الصديق رضي الله عنه كان شانه فان قلت كيف قال سيئه مع
قوله مكروها قلت السيئة في حكم الاسماء بمنزلة الذنب والاثم زال عنه حكم الصفات
فلا اعتبار بتانيثه ولا فرق بين من قرا سيئة ومن قرا سيئا الا ترى انك تقول الزنا
سيئة كما تقول السرقة سيئة فلا تفرق بين اسنادها الى مذكر ومؤنث فان قلت
فما ذكر من الخصال بعضها سيء وبعضها حسن ولذلك قرا من قرا سيئه بالاضافة
فما وجه من قرا سيئة قلت كل ذلك احاطة بما نهي عنه خاصة لا بجميع الخصال المعدودة
ذلك اشارة الى ما تقدم من قوله لا تجعل مع الله الها اخر الى هذه الغاية وسماه
حكمة لانه كلام محكم لا مدخل فيه للفساد بوجه وعن ابن عباس رضي الله عنه هذه الثماني
عشرة اية كانت في الواح موسى عليه السلام اولها لا تجعل مع الله الها اخر قال الله
وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وهي عشر ايات في التوراة ولقد جعل الله
عز وعلا فاتحتها وخاتمتها النهي عن الاشراك لان التوحيد هو راس كل حكمة وملاكها
ومن عدمه لم ينفعه حكمه وعلومه وان بذ فيها الحكماء وحك بيافوخه السماء وما
اغنت عن الفلاسفة اسفار الحكم وهم عن دين الله اضل من النعم افاصفاكم خطاب
للذين قالوا الملائكة بنات الله والهمزة للانكار يعني افخصكم ربكم على وجه الخلوص

الشرك

والأصفياء فضل الأولاد وهم البنين لم يجعل فيهم نصيبا لنفسه واتخذ أرذلهم
وأدونهم وهي البنات وهذا خلاف الحكمة وما عليه معقولكم وعادتكم فإن العبيد
لا يؤثرون بأجود الأشياء وأصفاها من الشوب ويكون أرداها وأدونها للسادات
إنكم لتقولون قولا عظيما بإضافتكم إليه الأولاد وهي خاصة الأجسام ثم بأنكم تفضلون
عليه أنفسكم حيث تجعلون له ما تكرهون ثم بأن تجعلوا الملائكة وهم أعلى خلق الله وأسناهم
أدون خلق الله وهم الإناث ولقد صرفنا في هذا القرآن يجوز أن يريد بهذا القرآن
إبطال إضافتهم إلى الله البنات لأنه مما صرفه وكرر ذكره والمعنى ولقد صرفنا القول
في هذا المعنى وأوقعنا التصريف فيه وجعلناه مكانا للتكرير ويجوز أن يشير بهذا
القرآن إلى التنزيل ويريد ولقد صرفناه يعني هذا المعنى في مواضع من التنزيل فترك
الضمير لأنه معلوم وقرئ صرفنا بالتخفيف وكذلك ليذكروا قرئ مشددا ومخففا
أي كررناه ليتعظوا ويعتبروا ويطمئنوا إلى ما يحتج به عليهم وما يزيدهم إلا نفورا
عن الحق وقلة طمأنينة إليه وعن سفيان الثوري كان إذا قرأها
قال زادني لك خضوعا ما زاد أعداءك نفورا قرئ كما يقولون بالتاء والياء وإذا
دالة على أن ما بعدها وهو لابتغوا جواب عن مقالة المشركين وجزاء للو ومعنى
لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا لطلبوا إلى من له الملك والربوبية سبيلا بالمغالبة
كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض كقوله لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا وقيل
لتقربوا إليه كقوله أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة علوا في
معنى تعاليا والمراد البراءة من ذلك والنزاهة ومعنى وصف العلو بالكبر المبالغة
في معنى البراءة والبعد مما وصفوه به المراد أنها تسبح له بلسان الحال حيث
تدل على الصانع وعلى قدرته وحكمته فكأنها تنطق بذلك وكأنها تنزه الله عما
لا يجوز عليه من الشركاء وغيرها فإن قلت فما تصنع بقوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم
وهذا التسبيح مفقوه معلوم قلت الخطاب للمشركين وهم وإن كانوا إذا سئلوا عن
خالق السموات والأرض قالوا الله إلا أنهم لما جعلوا معه آلهة مع إقرارهم فكأنهم
لم ينظروا ولم يقروا لأن نتيجة النظر الصحيح والإقرار الثابت خلاف ما كانوا
عليه فإذن لم يفقهوا التسبيح ولم يستوضحوا الدلالة على الخالق فإن قلت
من فيهن يسبحون على الحقيقة وهم الملائكة والثقلان وقد عطفوا على السموات
والأرض فما وجهه قلت التسبيح المجازي حاصل في الجميع فوجب الحمل عليه وإلا
كانت الكلمة الواحدة في حالة واحدة محمولة على الحقيقة والمجاز إنه كان حليما
غفورا حين لا يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وسوء نظركم وجهلكم بالتسبيح وشرككم
حجابا مستورا ذا ستر كقولهم سيل مفعم ذو إفعام وقيل هو حجاب لا يرى فهو مستور
ويجوز أنه حجاب من دونه حجاب أو حجب فهو مستور بغيره أو حجاب يستر أن يبصر
فكيف يبصر المحتجب به وهذه حكاية لما كانوا يقولونه وقالوا قلوبنا في أكنة مما
تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب كأنه قال وإذا قرأت القرآن
جعلنا على زعمهم أن يفقهوه كراهة أن يفقهوه أو لأن قوله وجعلنا على
قلوبهم أكنة فيه معنى المنع من الفقه فكأنه قيل ومنعناهم أن يفقهوه يقال
وحد يحد وحدا وحدة نحو وعد يعد وعدا وعدة ووحده من باب رجع عوده

على بدئه وافعله جهدك وطاقتك في أنه مصدر ساد مسد الحال أصله يحد وحده بمعنى
واحدا وحده والنفور مصدر بمعنى التولية أو جمع نافر كقاعد وقعود أي يحبون أن
تذكر معه آلهتهم لأنهم مشركون فإذا سمعوا بالتوحيد نفروا بما يستمعون به من الهزء بك
وبالقرآن من اللغو كان يقوم عن يمينه إذا قرأ رجلان من عبد الدار ورجلان منهم عن يساره
فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالأشعار وبه في موضع الحال كما تقول يستمعون
بالهزء أي هازئين وإذ يستمعون نصب بأعلم أي أعلم وقت استماعهم بما به يستمعون
وإذ هم نجوى وبما يتناجون به إذ هم ذوو نجوى إذ يقول بدل من إذ هم مسحورا سحر
فجن وقيل هو من السحر وهو الرئة أي هو بشر مثلكم ضربوا لك الأمثال مثلوك بالشاعر
والساحر والمجنون فضلوا في جميع ذلك ضلال من يطلب في التيه طريقا يسلكه فلا
يقدر عليه فهو متحير في أمره لا يدري ما يصنع لما قالوا أئذا كنا عظاما قيل لهم كونوا
حجارة أو حديدا فرد قوله كونوا على قولهم كنا كأنه قيل كونوا حجارة أو حديدا ولا تكونوا
عظاما فإنه يقدر على إحيائكم والمعنى أنكم تستبعدون أن يجدد الله خلقكم ويرده
إلى حال الحياة وإلى رطوبة الحي وغضاضته بعد ما كنتم عظاما يابسة مع أن العظام
بعض أجزاء الحي بل هي عمود خلقته الذي يبنى عليه سائره فليس ببدع أن يردها الله
بقدرته إلى الحالة الأولى ولكن لو كنتم أبعد شيء من الحياة ورطوبة الحي ومن جنس
ما ركب منه البشر وهو أن تكونوا حجارة يابسة أو حديدا مع أن طباعها الجساوة
والصلابة لكان قادرا على أن يردكم إلى حال الحياة أو خلقا مما يكبر في صدوركم
يعني أو خلقا مما يكبر عندكم عن قبول الحياة ويعظم في زعمكم على الخالق إحياؤه فإنه
يحييه وقيل ما يكبر في صدوركم هو الموت وقيل السموات والأرض فسينغضون فسيحركونها
نحوك تعجبا واستهزاء والدعاء والاستجابة كلاهما مجاز والمعنى يوم يبعثكم فتنبعثون
مطاوعين منقادين لا تمتنعون وقوله بحمده حال منهم أي حامدين وهي مبالغة في
انقيادهم للبعث كقولك لمن تأمره بركوب ما يشق عليه ستأتي به وأنت
حامد شاكر يعني أنك تحمل عليه وتقسر قسرا حتى إنك تلين لين المسمح الراغب
فيه الحامد عليه وعن سعيد بن جبير ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون سبحانك
اللهم وبحمدك وتظنون وترون الهول فعنده تستقصرون مدة لبثكم في الدنيا وتحسبونها
يوما أو بعض يوم وعن قتادة تحاقرت الدنيا في أنفسهم حين عاينوا الآخرة وقل لعبادي
وقل للمؤمنين يقولوا للمشركين الكلمة التي هي أحسن وألين ولا يخاشنوهم كقوله ولا تجادلوا
بالتي هي أحسن وفسر التي هي أحسن بقوله ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم أو إن يشأ يعذبكم
يعني يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا يقولوا لهم إنكم من أهل النار وإنكم معذبون
وما أشبه ذلك مما يغيظهم ويهيجهم على الشر وقوله إن الشيطان ينزغ بينهم اعتراض
يعني يلقي بينهم الفساد ويغري بعضهم على بعض ليقع بينهم المشارة والمشاقة وما
أرسلناك عليهم وكيلا أي ربا موكولا إليك أمرهم تقسرهم على الإسلام وتجبرهم عليه
وإنما أرسلناك بشيرا ونذيرا فدارهم ومر أصحابك بالمداراة والاحتمال وترك المحاقة
والمكاشفة وذلك قبل نزول آية السيف وقيل نزلت في عمر رضي الله عنه حين شتمه
رجل فأمره الله بالعفو وقيل أفرط إيذاء المشركين للمسلمين فشكوا إلى رسول الله صلعم

فنزلت وقيل الكلمة التي هي احسن ان تقولوا يهديكم الله يرحمكم الله وقرا طلحة
ينزغ بالكسر وهما لغتان نحو يعرشون ويعرشون هو ربكم دعا على اهل مكة في التكلم
واستبعادهم ان يكون منهم ابي طالب شيئا وان يكون العزاه الجوع اصحابه كصهيب
وبلال وخباب وغيرهم دون ان يكون ذلك في بعض اكابرهم وصناديدهم يعني وربك
اعلم بمن في السموات والارض وباحوالهم ومقاديرهم وبما يستاهل كل واحد منهم وقوله
ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض اشارة الى تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله
وآتينا داود زبورا دلالة على وجه تفضيله وهو انه خاتم الانبياء وان امته خير الامم
لان ذلك مكتوب في زبور داود قال الله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض
يرثها عبادي الصالحون وهم محمد صلى الله عليه وسلم وامته فان قلت هلا عرف الزبور
كما عرف في قوله ولقد كتبنا في الزبور قلت يجوز ان يكون الزبور وزبور كالعباس
وعباس والفضل وفضل وان يريد وآتينا داود بعض الزبر وهي الكتب وان يريد
ما ذكر فيه رسول الله صلى الله عليه من الزبور فسمى ذلك زبورا لانه بعض الزبور
كما سمى بعض القران قرانا هم الملائكة وقيل عيسى ومريم وعزير وقيل نفر
من الجن عبدهم ناس من العرب ثم اسلم الجن ولم يشعروا الى ادعوهم فهم لا
يستطيعون ان يكشفوا عنكم الضر من مرض او فقر او عذاب ولا ان يحولوه من
واحد الى اخر او يبدلوه اولئك مبتدا والذين يدعون صفته ويبتغون خبره
يعني ان آلهتهم اولئك يبتغون الوسيلة وهي القربة الى الله عز وجل وايهم بدل
من واو يبتغون واي موصولة اي يبتغي من هو اقرب منهم وازلف الوسيلة الى
الله فكيف بغير الاقرب او ضمن يبتغون الوسيلة معنى يحرصون فكانه قيل يحرصون
ايهم يكون اقرب الى الله وذلك بالطاعة وازدياد الخير والصلاح ويرجون
ويخافون كما غيرهم من عباد الله فكيف يزعمون انهم آلهة ان عذاب ربك كان
حقيقا بان يحذره كل احد من ملك مقرب ونبي مرسل فضلا عن غيرهم نحن مهلكوها
بالموت والاستيصال او معذبوها بالقتل وانواع العذاب وقيل الهلاك للصالحة
والعذاب للطالحة وعن مقاتل وجدت في كتب الضحاك بن مزاحم في تفسيرها اما
مكة فيخربها الحبشة ويهلك المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك
والجبال بالصواعق والرواجف واما خراسان فعذابها ضروب ثم ذكرها بلدا
بلدا في الكتاب في اللوح المحفوظ استعير المنع لترك ارسال الآيات من اجل
صارف الحكمة وان الاولى منصوبة والثانية مرفوعة بتقديره وما منعنا ارسال
الآيات الا تكذيب الاولين والمراد الآيات التي اقترحتها قريش من قلب الصفا ذهبا
ومن احياء الموتى وغير ذلك وعادة الله في الامم ان من اقترح منهم آية فاجيب اليها
ثم لم يؤمن بها ان يعاجل بعذاب الاستيصال فالمعنى وما صرفنا عن ارسال ما يقترحونه
من الآيات الا ان كذب بها الذين هم امثالهم من المطبوع على قلوبهم كعاد وثمود وانها
لو ارسلت لكذبوا بها تكذيب اولئك وقالوا هذا سحر مبين كما يقولون في غيرها
واستوجبوا العذاب المستاصل وقد عزمنا ان نؤخر امر من بعثت اليهم الى يوم
القيامة ثم ذكر من تلك الآيات التي اقترحها الاولون ثم كذبوا بها لما ارسلت

فاهلكوا

فاهلكوا واحدة وهي ناقة صالح لان آثار هلاكهم في بلاد العرب قريبة من حدودهم
يبصرها صادرهم وواردهم مبصرة بينة وقرئ مبصرة بفتح الميم فظلموا بها فكفروا بها
وما نرسل بالآيات ان اراد بها الآيات المقترحة فالمعنى لا نرسلها الا تخويفا من نزول
العذاب العاجل كالطليعة والمقدمة له فان لم يخافوا وقع عليهم وان اراد
غيرها فالمعنى وما نرسل ما نرسل من الآيات كآيات القران وغيرها الا تخويفا وانذارا
بعذاب الآخرة واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس واذكر اذ اوحينا اليك ان ربك
احاط بقريش يعني بشرناك بوقعة بدر وبالنصرة عليهم وذلك قوله سيهزم الجمع
ويولون الدبر وقل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون وغير ذلك فجعله كان قد كان
ووجد فقال احاط بالناس على عادته في اخباره وحين تزاحف الفريقان يوم بدر
ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في العريش مع ابي بكر رضي الله عنه كان يدعو
ويقول اللهم اني اسالك عهدك ووعدك ثم خرج وعليه الدرع يحرض الناس
ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر ولعل الله تعالى اراه مصارعهم في منامه فقد كان
يقول حين ورد ماء بدر والله لكاني انظر الى مصارع القوم وهو يومي الى الارض ويقول
هذا مصرع فلان هذا مصرع فلان فتسامعت قريش بما اوحي الى رسول الله صلى الله عليه
من امر بدر وما اري في منامه من مصارعهم فكانوا يضحكون ويستسخرون ويستعجلون
به استهزاء وحين سمعوا بقوله ان شجرة الزقوم طعام الاثيم جعلوها سخرية وقالوا
ان محمدا يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر وما قدروا الله حق
قدره من قال ذلك وما انكروا ان يجعل الله الشجرة من جنس لا تاكله النار فهذا
وبر السمندل وهو دويبة ببلاد الترك تتخذ منه مناديل اذا اتسخت طرحت في النار
فذهب الوسخ وبقي المنديل سالما لا تعمل فيه النار وترى النعامة تبتلع الجمر
وقطع الحديد المحمر كالجمر باحماء النار فلا يضرها ثم اقرب من ذلك انه خلق في كل
شجرة نارا فلا تحرقها فما انكروا ان يخلق في النار شجرة لا تحرقها والمعنى ان الآيات
انما نرسل بها تخويفا للعباد وهؤلاء قد خوفوا بعذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر فما
كان ما اريناك منه في منامك بعد الوحي الا فتنة لهم حيث اتخذوه سخريا وخوفوا
بعذاب الآخرة وبشجرة الزقوم فما اثر فيهم ثم قال ونخوفهم اي نخوفهم بمخاوف
الدنيا والآخرة فما يزيدهم التخويف الا طغيانا كبيرا فكيف يخاف قوم هذه حالهم
بارسال ما يقترحون من الآيات وقيل الرؤيا هي الاسراء وبه تعلق من يقول كان
الاسراء في المنام ومن قال كان في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية وقيل انما سماها رؤيا
على قول المكذبين حيث قالوا له لعلها رؤيا رايتها وخيال خيل اليك استبعادا منهم
كما سمى اشياء باسمائها عند الكفرة نحو قوله فراغ الى آلهتهم انظر الى الهك ذق انك
انت العزيز الكريم وقيل هي رؤياه انه سيدخل مكة وقيل راى في المنام ان ولد
الحكم يتداولون منبره كما يتداول الصبيان الكرة فان قلت اين لعنت شجرة
الزقوم في القران قلت لعنت حيث لعن طاعموها من الكفرة والظلمة لان الشجرة
لا ذنب لها حتى تلعن على الحقيقة وانما وصفت بلعن اصحابها على المجاز وقيل وصفها
الله باللعن لان اللعن الابعاد من الرحمة وهي في اصل الجحيم في ابعد مكان من الرحمة

وقيل تقول العرب لكل طعام مكروه ضار ملعون وسألت بعضهم فقال نعم الطعام
الملعون القشب الممحوق وعن ابن عباس هي الكشوث التي تلتوي بالشجر تجعل في
الشراب وقيل هي الشيطان وقيل ابو جهل وقرئ والشجرة الملعونة بالرفع على
انها مبتدأ محذوف الخبر كأنه قيل والشجرة الملعونة في القرآن كذلك طينا حال اما
من الموصول والعامل فيه أأسجد على أأسجد له وهو طين اي اصله طين او من الراجع
اليه من الصلة على أأسجد لمن كان في وقت خلقه طينا أرأيتك الكاف للخطاب وهذا
مفعول به والمعنى اخبرني عن هذا الذي كرمته علي اي فضلته لم كرمته علي وانا
خير منه فاختصر الكلام بحذف ذلك ثم ابتدأ فقال لئن اخرتن واللام موطئة للقسم
المحذوف لاحتنكن ذريته لاستأصلنهم بالاغواء من احتنك الجراد الارض اذا جرد ما
عليها اكلا وهو من الحنك ومنه ما ذكر سيبويه من قولهم احنك الشاتين اي
آكلهما فان قلت من اين علم ذلك قلت اما ان سمعه من الملائكة وهو من الغيب قلت اما ان سمعه
من الملائكة صلوات الله عليهم وقد اخبرهم الله به او خرجه من قولهم اتجعل فيها
من يفسد فيها او نظر اليه فتوسم في مخايله انه خلق شهواني وقيل قال ذلك لما
عملت وسوسته في آدم والظاهر انه قال ذلك قبل اكل آدم من الشجرة اذهب
ليس من الذهاب الذي هو نقيض المجيء وانما معناه امض لشأنك الذي اخترته
خذلانا وتخلية وعقبه بذكر ما جره سوء اختياره في قوله فمن تبعك منهم فان جهنم
جزاؤكم كما قال موسى صلى الله عليه وسلم للسامري فاذهب فان لك في الحياة ان تقول
لا مساس فان قلت اما كان من حق الضمير في الجزاء ان يكون على لفظ الغيبة ليرجع الى
من تبعك قلت بلى ولكن التقدير فان جهنم جزاؤهم وجزاؤك ثم غلب المخاطب على
الغائب فقيل جزاؤكم ويجوز ان يكون للتابعين على طريق الالتفات وانتصب
جزاء موفورا بما في فان جهنم جزاؤكم من معنى تجازون او باضمار تجازون او على الحال
لان الجزاء موصوف بالموفور والموفور الموفر يقال فر لصاحبك عرضه فرة استفزز
استخفف والفز الخفيف اجلب من الجلبة وهي الصياح والخيل الخيالة ومنه قول
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل ونظيره
الركب والصحب وقرئ ورجلك على ان فعلا بمعنى فاعل نحو تعب وتاعب ومعناه وجمعك
الرجل ويضم جيمه ايضا فيكون مثل حدث وحدث وندس وندس واخوات لهما يقال
رجل رجل وقرئ ورجالك ورجالك فان قلت ما معنى استفزاز ابليس بصوته
واجلابه بخيله ورجله قلت هو كلام ورد مورد التمثيل مثلت حاله في تسلطه
على من يغويه بمغوار اوقع على قوم فصوت بهم صوتا يستفزهم من اماكنهم ويقلعهم
عن مراكزهم واجلب عليهم بجنده من خياله ورجاله حتى استأصلهم وقيل بصوته
بدعائه الى الشر وخيله ورجله كل راكب وماش من اهل العيث وقيل يجوز ان
يكون لابليس خيل ورجال واما المشاركة في الاموال والاولاد فكل معصية
يحملهم عليها في بابهما كالربا والمكاسب المحرمة والبحيرة والسائبة والانفاق
في الفسوق والاسراف ومنع الزكاة والتوصل الى الاولاد بالسبب الحرام ودعوى
الولد بغير سبب والتسمية بعبد العزى وعبد الحرث والتهويد والتنصير والحمل

على الحرف الذميمة والاعمال المحظورة وغير ذلك وعدهم المواعيد الكاذبة من
شفاعة الآلهة والكرامة على الله بالانساب الشريفة وتسويف التوبة ومغفرة
الذنوب بدونها والاتكال على الرحمة وشفاعة الرسول في الكبائر والخروج من
النار بعد ان يصيروا حمما وايثار العاجل على الآجل ان عبادي يريد الصالحين ليس
لك عليهم سلطان اي لا تقدر ان تغويهم وكفى بربك وكيلا لهم يتوكلون به في الاستعاذة
منك ونحوه قوله الا عبادك منهم المخلصين فان قلت كيف جاز ان يأمر الله ابليس
بان يتسلط عليهم على عباده مغويا مضلا داعيا الى الشر صادا عن الخير قلت
هو من الاوامر الواردة على سبيل الخذلان والتخلية كما قال للعصاة اعملوا ما شئتم
يزجي يجري ويسير والضر خوف الغرق ضل من تدعون الا اياه ذهب عن اوهامكم
وخواطركم كل من تدعونه في حوادثكم الا اياه وحده فانكم لا تذكرون سواه ولا تدعونه
في ذلك الوقت ولا تعقدون برحمته رجاءكم ولا تخطرون ببالكم ان غيره يقدر على
اغاثتكم ولكن الله وحده هو الذي ترجونه وحده على الاستثناء المنقطع افامنتم
الهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره انجوتم فامنتم فحملكم ذلك على الاعراض
فان قلت بم انتصب جانب البر قلت بيخسف مفعولا به كالارض في قوله فخسفنا به
وبداره الارض وبكم حال والمعنى ان يخسف جانب البر اي يقلبه وانتم عليه فان قلت
فما معنى ذكر الجانب قلت معناه ان الجوانب والجهات كلها في قدرته سواء وله في
كل جانب برا كان او بحرا سبب مرصد من اسباب الهلكة ليس جانب البحر وحده
مختصا بذلك بل ان كان الغرق في جانب البحر ففي جانب البر ما هو مثله وهو
الخسف لانه تغييب تحت التراب كما ان الغرق تغييب تحت الماء فالبر والبحر عنده
سيان يقدر في البر على نحو ما يقدر عليه في البحر فعلى العاقل ان يستوي خوفه
من الله في جميع الجوانب وحيث كان او يرسل عليكم حاصبا وهي الريح التي تحصب
اي ترمي بالحصباء يعني او ان لم يصبكم بالهلاك من تحتكم بالخسف اصابكم به من فوقكم
بريح يرسلها عليكم فيها الحصباء يرجمكم بها فيكون اشد عليكم من الغرق في البحر
وكيلا من يتوكل بصرف ذلك عنكم ام امنتم ان يقوي دواعيكم ويوفر حوائجكم الى
ان ترجعوا فتركبوا البحر الذي نجاكم منه فاعرضتم فينتقم منكم بان يرسل عليكم قاصفا
وهي الريح التي لها قصيف وهو الصوت الشديد كانها تتقصف اي تتكسر وقيل التي
لا تمر بشيء الا قصفته فيغرقكم وقرئ بالتاء اي الريح وبالنون وكذلك يخسف
ويرسل ويعيدكم قرئت بالياء والنون تبيعا مطالبا من قوله فاتباع بالمعروف
اي مطالبة قال الشماخ كما لاذ الغريم من التبيع يقال فلان على فلان
تبيع بحقه اي مسيطر عليه مطالب له بحقه والمعنى انا نفعل ما نفعل بكم ثم لا
تجد احدا يطالبنا بما فعلنا انتصارا منا ودركا للثار من جهتنا وهذا نحو
قوله ولا يخاف عقباها بما كفرتم بكفركم النعمة يريد اعراضهم حين نجاهم قيل
في تكرمة ابن آدم كرمه الله بالعقل والنطق والتمييز والخط والصورة الحسنة
والقامة المعتدلة وتدبير امر المعاش والمعاد وقيل بتسليطهم على ما في الارض
وتسخيره لهم وقيل كل شيء يأكل بفيه الا ابن آدم وعن الرشيد انه احضر
طعاما فدعا بالملاعق وعنده ابو يوسف فقال له جاء في تفسير جدك ابن عباس

اولم يعتبر لافتقاركم الى احد غيره ممن سواه من المعبودين ويجوز ان
يراد من تدعون من الالهة عن اغاثتكم

عراص

قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم جعلنا لهم أصابع يأكلون بها فأحضرت الملاعق
فردها وأكل بأصابعه على كثير ممن خلقنا هو ما سوى الملائكة صلوات الله
عليهم وحسب بني آدم تفضيلا أن ترفع عليهم الملائكة وهم هم ومنزلتهم عند الله
منزلتهم والعجب من المجبرة كيف عكسوا في كل شيء وكابروا حتى جسرتهم عادة
المكابرة على العظيمة التي هي تفضيل الإنسان على الملك وذلك بعد ما سمعوا
تفخيم الله أمرهم وتكثيره مع التعظيم ذكرهم وعلموا أين أسكنهم وأنى قربهم وكيف
نزلهم من أنبيائه منزلة أنبيائه من أممهم ثم جرهم فرط التعصب عليهم إلى أن
لفقوا أقوالا وأخبارا منها قالت الملائكة ربنا إنك أعطيت بني آدم الدنيا يأكلون
ويتمتعون منها ولم تعطنا ذلك فأعطناه في الآخرة فقال وعزتي وجلالي لا أجعل
ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان ورووا عن أبي هريرة أنه قال
المؤمن أكرم على الله من الملائكة الذين عنده ومن ارتكابهم أنهم فسروا كثيرا
بمعنى جميع في هذه الآية وخذلوا حتى سلبوا الذوق فلم يحسوا ببشاعة قولهم
وفضلناهم على جميع ممن خلقنا على أن معنى قولهم على جميع ممن خلقنا أشجى لحلوقهم
وأقذى لعيونهم ولكنهم لا يشعرون فانظر إلى تمحلهم وتشبثهم بالتأويلات
البعيدة في عداوة الملأ الأعلى كأن جبريل غاظهم حين أهلك مدائن قوم لوط
فتلك السخيمة لا تنحل عن قلوبهم يوم ندعو بالياء والنون ويدعى كل أناس على
البناء للمفعول وقرأ الحسن يدعو كل أناس على قلب الألف واوا في لغة من يقول
أفعو والظرف نصب بإضمار اذكر ويجوز أن يقال إنها علامة الجمع كما في وأسروا
النجوى الذين ظلموا والرفع مقدر كما في يدعى ولم يؤت بالنون قلة
مبالاة بها لأنها غير ضمير ليست إلا علامة بإمامهم بمن ائتموا به من نبي أو مقدم
في الدين أو كتاب أو دين فيقال يا أتباع فلان يا أهل دين كذا أو كتاب كذا وقيل
بكتاب أعمالهم فيقال يا أصحاب كتاب الخير ويا أصحاب كتاب الشر وفي قراءة الحسن
بكتابهم ومن بدع التفاسير أن الإمام جمع أم وأن الناس يدعون يوم القيامة
بأمهاتهم وأن الحكمة في الدعاء بالأمهات دون الآباء رعاية حق عيسى وإظهار
شرف الحسن والحسين وأن لا يفتضح أولاد الزنا وليت شعري أيهما أبدع أصحة
لفظه أم بهاء حكمته فمن أوتي من هؤلاء المدعوين كتابه بيمينه فأولئك يقرءون كتابهم
قيل أولئك لأن من أوتي في معنى الجمع فإن قلت لم خص أصحاب اليمين بقراءة
كتابهم كأن أصحاب الشمال لا يقرءون كتابهم قلت بلى ولكن إذا اطلعوا
على ما في كتابهم أخذهم ما يأخذ المطالب بالنداء على جناياته والاعتراف بمساويه
أمام التنكيل به والانتقام منه من الحياء والخجل والانخزال وحبسة اللسان
والتتعتع والعجز عن إقامة حروف الكلام والذهاب عن تسوية القول فكأن
قراءتهم كلا قراءة وأما أصحاب اليمين فأمرهم على عكس ذلك لا جرم أنهم
يقرءون كتابهم أحسن قراءة وأبينها ولا يقنعون بقراءتهم وحدهم حتى يقول
القارئ لأهل المحشر هاؤم اقرءوا كتابيه ولا يظلمون فتيلا ولا ينقصون من
ثوابهم أدنى شيء كقوله ولا يظلمون شيئا فلا يخاف ظلما ولا هضما معناه ومن كان
في الدنيا أعمى فهو في الآخرة أعمى كذلك وأضل سبيلا من الأعمى والأعمى مستعار

من لا يدرك المبصرات لفساد حاسته لمن لا يهتدي إلى طريق النجاة أما في الدنيا
فلفقد النظر وأما في الآخرة فلأنه لا ينفعه الاهتداء إليه وقد جوزوا أن يكون الثاني
بمعنى التفضيل ومن ثم قرأ أبو عمرو الأول ممالا والثاني مفخما لأن أفعل التفضيل
تمامه بمن فكانت ألفه في حكم الواقعة في وسط الكلام كقولك أعمالكم وأما
الأول فلم يتعلق به شيء فكانت ألفه واقعة في الطرف معرضة للإمالة
روي أن ثقيفا قالت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم لا ندخل في أمرك حتى تعطينا
خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي في صلاتنا وكل ربا لنا فهو
لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وأن تمتعنا باللات سنة ولا نكسرها بأيدينا
عند رأس الحول وأن تمنع من قصد وادينا وج فعضد شجره فإذا سألتك العرب
لم فعلت ذلك فقل إن الله أمرني به وجاءوا بكتابهم فكتب بسم الله الرحمن الرحيم
هذا كتاب من محمد رسول الله لثقيف لا يعشرون ولا يحشرون فقالوا ولا
يجبون فسكت رسول الله ثم قالوا للكاتب اكتب ولا يجبون والكاتب ينظر إلى رسول
رسول الله فقام عمر بن الخطاب فسل سيفه وقال أسعرتم قلب نبينا يا معشر
ثقيف أسعر الله قلوبكم نارا فقالوا لسنا نكلم إياك إنما نكلم محمدا فنزلت وروي
أن قريشا قالوا له اجعل آية رحمة آية عذاب وآية عذاب آية رحمة حتى نؤمن بك
فنزلت وإن كادوا ليفتنونك إن مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين
النافية والمعنى أن الشأن قاربوا أن يفتنوك أي يخدعوك فاتنين عن الذي أوحينا
إليك من أوامرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا لتفتري علينا لتقول علينا ما لم
نقل يعني ما أرادوه عليه من تبديل الوعد وعيدا والوعيد وعدا وما اقترحته
ثقيف من أن يضيف إلى الله ما لم ينزله عليه وإذا لاتخذوك أي ولو اتبعت مرادهم
لاتخذوك خليلا ولكنت لهم وليا وخرجت من ولايتي ولولا أن ثبتناك ولولا
تثبيتنا لك وعصمتنا لقد كدت تركن إليهم لقاربت أن تميل إلى خدعهم ومكرهم وهذا
تهييج من الله له وفضل تثبيت وفي ذلك لطف للمؤمنين إذا لو قاربت تركن إليهم
أدنى ركنة لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات أي لأذقناك عذاب الآخرة وعذاب
القبر مضاعفين فإن قلت كيف حقيقة هذا الكلام قلت أصله لأذقناك عذاب
الحياة وعذاب الممات لأن العذاب عذابان عذاب في الممات وهو عذاب القبر وعذاب في
الآخرة وهو عذاب النار والضعف يوصف به نحو قوله فآتهم عذابا ضعفا
من النار بمعنى مضاعفا فكان أصل الكلام لأذقناك عذابا ضعفا في الحياة
وعذابا ضعفا في الممات ثم حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه وهو الضعف
ثم أضيفت الصفة إضافة الموصوف فقيل ضعف الحياة وضعف الممات كما لو قيل
لأذقناك أليم الحياة وأليم الممات ويجوز أن يراد بضعف الحياة عذاب الحياة الدنيا
وبضعف الممات ما يعقب الموت من عذاب القبر وعذاب النار والمعنى لضاعفنا لك
العذاب المعجل للعصاة في الحياة الدنيا وما نؤخره لما بعد الموت وفي ذكر الكيدودة
وتقليلها مع إتباعها الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف في الدارين دليل بين على
أن القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم شأن فاعله وارتفاع منزلته ومن ثم استعظم

مشايخ العدل والتوحيد رضوان الله عليهم بتسمية المجبرة القبائح الى الله تعالى الله عن
ذلك علوا كبيرا وفيه دليل على ان ادنى الركون الى مداهنة للغواة مضادة لله عز وجل
وخروج عن ولايته وسبب موجب لغضبه ونكاله فعلى المؤمن اذا تلا هذه الآية ان
يجثوا عندها ويتدبرها فهي جديرة بالتدبر وبان يستشعر الناظر فيها الخشية
وازدياد التصلب في دين الله وعن النبي صلى الله عليه وسلم انها لما نزلت كان يقول
اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين وان كادوا وان كاد اهل مكة ليستفزونك
ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم من الارض من ارض مكة واذا لا يلبثون لا يبقون
بعد اخراجك الا قليلا زمانا قليلا فان الله مهلكهم وكان كما قال فقد
اهلكوا ببدر بعد اخراجه بقليل وقيل معناه ولو اخرجوك لاستؤصلوا عن آخرهم
ولم يخرجوه بل هاجر بامر ربه وقيل من ارض العرب وقيل من ارض المدينة
وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما هاجر حسدته اليهود وكرهوا
قربه منهم فاجتمعوا اليه وقالوا يا ابا القاسم ان الانبياء انما بعثوا بالشام وهي بلاد
مقدسة وكانت مهاجر ابراهيم فلو خرجت الى الشام لآمنا بك واتبعناك وقد
علمنا انه لا يمنعك من الخروج الا خوف الروم فان كنت رسول الله فالله مانعك منهم
فعسكر رسول الله على اميال من المدينة وقيل بذي الحليفة حتى يجتمع اليه اصحابه
ويراه الناس عازما على الخروج الى الشام لحرصه على دخول الناس في دين الله فنزلت
فرجع وقرئ لا يلبثون وفي قراءة ابي لا يلبثوا على اعمال اذن فان قلت ما وجه
القراءتين قلت اما الشائعة فقد عطف فيها الفعل على الفعل وهو مرفوع لوقوعه
خبر كاد والفعل في خبر كاد واقع موقع الاسم واما قراءة ابي رضي الله عنه
ففيها الجملة برأسها التي هي اذن لا يلبثوا عطف على جملة قوله وان كادوا ليستفزونك
وقرئ خلافك قال عفت الديار خلافهم فكانما بسط الشواطب بينهن حصيرا
اي بعدهم سنة من قد ارسلنا يعني ان كل قوم اخرجوا رسولهم من بين ظهرانيهم
فسنة الله ان يهلكهم ونصب نصب المصدر المؤكد اي سن الله ذلك سنة
دلوك الشمس غروبها وقيل زوالها وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم اتاني
جبريل لدلوك الشمس حين زالت الشمس فصلى بي الظهر واشتقاقه من الدلك
لان الانسان يدلك عينه عند النظر اليها فان كان الدلوك الزوال فالآية
جامعة للصلوات الخمس وان كان الغروب فقد خرج منها الظهر والعصر والغسق
الظلمة وهو وقت صلاة العشاء وقرآن الفجر صلاة الفجر سميت قرآنا وهي القراءة
لانها ركن كما سميت ركوعا وسجودا وقنوتا وهي حجة على ابن علية والاصم في
زعمهما ان القراءة ليست بركن مشهودا تشهده ملائكة الليل والنهار ينزل هؤلاء
ويصعد هؤلاء فهو في آخر ديوان الليل واول ديوان النهار او يشهده الكثير
من المصلين في العادة او من حقه ان يكون مشهودا بالجماعة الكثيرة ويجوز ان
يكون وقرآن الفجر حثا على طول القراءة في صلاة الفجر لكونها مكثورا عليها ليسمع
الناس القرآن فيكثر الثواب ولذلك كانت الفجر اطول الصلوات قراءة ومن الليل
وعليك بعض الليل فتهجد به والتهجد ترك الهجود للصلاة ونحوه التأثم

والتحرج

والتحرج ويقال ايضا في النوم تهجد نافلة لك عبادة زائدة لك على الصلوات الخمس
وضع نافلة موضع تهجدا لان التهجد عبادة زائدة فكان التهجد والنافلة يجمعهما
معنى والمعنى ان التهجد زيد لك على الصلوات المفروضة فريضة عليك خاصة دون
غيرك لانه تطوع لهم مقاما محمودا نصب على الظرف اي عسى ان يبعثك يوم القيامة
فيقيمك مقاما محمودا او ضمن يبعثك معنى يقيمك ويجوز ان يكون حالا بمعنى ان يبعثك
ذا مقام محمود ومعنى المقام المحمود المقام الذي يحمد القائم فيه وكل من رآه وعرفه وهو
مطلق في كل ما يجلب الحمد من انواع الكرامات وقيل المراد الشفاعة وهي نوع واحد
مما يتناوله وعن ابن عباس مقاما يحمدك فيه الاولون والآخرون وتشرف فيه على
جميع الخلائق تسأل فتعطى وتشفع فتشفع ليس احد الا تحت لوائك وعن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه هو المقام الذي اشفع فيه لامتي وعن حذيفة يجمع الناس
في صعيد فلا تكلم نفس فاول مدعو محمد صلى الله عليه وآله وسلم فيقول لبيك وسعديك
والشر ليس اليك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك وبك واليك لا ملجأ
ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب هذا البيت قال فهذا قوله عسى
ان يبعثك ربك مقاما محمودا قرئ مدخل ومخرج بالضم والفتح بمعنى المصدر ومعنى
الفتح ادخلني فادخل مدخل صدق اي ادخلني القبر مدخل صدق ادخالا مرضيا
على طهارة وطيب من السيئات واخرجني منه عند البعث اخراجا مرضيا ملقى بالكرامة
آمنا من السخط يدل عليه ذكره على اثر ذكر البعث وقيل نزلت حين امر بالهجرة يريد ادخال
المدينة والاخراج من مكة وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليها بالفتح واخراجه منها
آمنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من
عظيم الامر وهو النبوة واخراجه منه مؤديا لما كلفه من غير تفريط وقيل الطاعة
وقيل هو عام في كل ما يدخل فيه ويلابسه من امر ومكان سلطانا حجة تنصرني
على من خالفني او ملكا وعزا قويا ناصرا للاسلام على الكفر مظهرا له عليه فاجيبت
دعوته بقوله والله يعصمك من الناس فان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين
كله ليستخلفنهم في الارض ووعده لينزعن ملك فارس والروم فيجعله له وعنه صلى الله عليه وسلم
انه استعمل عتاب بن اسيد على اهل مكة وقال انطلق فقد استعملتك على اهل الله
فكان شديدا على المريب لينا على المؤمن وقال لا والله لا اعلم متخلفا يتخلف عن الصلاة
في جماعة الا ضربت عنقه فانه لا يتخلف عن الصلاة الا منافق فقال اهل مكة يا رسول الله
لقد استعملت على اهل الله عتاب بن اسيد اعرابيا جافيا فقال صلى الله عليه وآله وسلم
اني رأيت فيما يرى النائم كان عتاب بن اسيد اتى باب الجنة فاخذ بحلقة الباب فقلقلها
قلقالا شديدا حتى فتح له فدخلها فاعز الله به الاسلام لنصرته المسلمين على من يريد
ظلمهم فذلك السلطان النصير كان حول البيت ثلاثمائة وستون صنما صنم كل
قوم بحيالهم وعن ابن عباس رضي الله عنه كانت لقبائل العرب يحجون اليها وينحرون
لها فشكا البيت الى الله فقال اي رب حتى متى تعبد هذه الاصنام حولي دونك فاوحى
الله الى البيت اني ساحدث لك نوبة جديدة فاملأك خدودا سجدا يدفون اليك
دفيف النسور ويحنون اليك حنين الطير الى بيضها لهم عجيج حولك بالتلبية
ولما نزلت هذه الآية يوم الفتح قال جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

خذ مخصرتك ثم ألقها فجعل يأتي صنما صنما وهو ينكت بالمخصرة في عينه ويقول جاء
الحق وزهق الباطل فينكب الصنم لوجهه حتى ألقاها جميعا وبقي صنم خزاعة فوق
الكعبة وكان من قوارير صفر فقال يا علي ارم به فحمله رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى صعد فرمى به فكسره فجعل أهل مكة يتعجبون ويقولون ما رأينا رجلا أسحر
من محمد وشكاية البيت والوحي إليه تمثيل وتخييل وزهق الباطل وذهب وهلك من
قولهم زهقت نفسه إذا خرجت والحق الإسلام والباطل الشرك كان زهوقا كان
مضمحلا غير ثابت في كل وقت وننزل قرئ بالتخفيف والتشديد من القرآن من للتبيين
كقوله من الأوثان أو للتبعيض أي كل شيء نزل من القرآن فهو شفاء للمؤمنين
يزدادون به إيمانا ويستصلحون به دينهم فموقعه منهم موقع الشفاء من المرضى
وعن النبي صلى الله عليه وسلم من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله ولا يزيد به
الكافرين إلا خسارا أي نقصانا لتكذيبهم به وكفرهم كقوله فزادتهم رجسا إلى
رجسهم وإذا أنعمنا على الإنسان بالصحة والسعة أعرض عن ذكر الله كأنه مستغن
عنه مستبد بنفسه ونأى بجانبه تأكيد للإعراض لأن الإعراض عن الشيء أن يوليه
عرض وجهه والنأي بالجانب أن يلوي عنه عطفه ويوليه ظهره أو أراد الاستكبار
لأن ذلك من عادة المستكبرين وإذا مسه الشر من فقر أو مرض أو نازلة من النوازل
كان يؤوسا شديد اليأس من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون
وقرئ وناء بجانبه بتقديم اللام على العين كقولهم راء في رأى ويجوز أن يكون من ناء بمعنى
نهض قل كل يعمل على شاكلته أي على مذهبه وطريقته التي تشاكل حاله
في الهدى والضلالة من قولهم طريق ذو شواكل وهي الطرق التي تتشعب منه والدليل
عليه قوله فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا أي أسد مذهبا وطريقة الأكثر على
أنه الروح الذي في الحيوان سألوه عن حقيقته فأخبر أنه من أمر الله أي مما استأثر
بعلمه وعن ابن بريدة لقد مضى النبي صلى الله عليه وسلم وما يعلم الروح وقيل
هو خلق عظيم روحاني أعظم من الملك وقيل جبريل وقيل القرآن ومن أمر ربي
أي من وحيه وكلامه ليس من كلام البشر بعثت اليهود إلى قريش أن سلوه عن أصحاب
الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فإن أجاب عنها أو سكت فليس بنبي وإن أجاب
عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وأبهم أمر الروح وهو مبهم في التوراة
فندموا على سؤالهم وما أوتيتم الخطاب عام وروي أن رسول الله لما قال لهم ذلك قالوا
أنحن مختصون بهذا الخطاب أم أنت معنا فيه فقال بل نحن وأنتم لم تؤتوا من العلم إلا قليلا
فقالوا ما أعجب شأنك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وساعة تقول
هذا فنزلت ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام وليس ما قالوه بلازم لأن القلة والكثرة
تدوران مع الإضافة فيوصف الشيء بالقلة مضافا إلى ما فوقه وبالكثرة مضافا إلى
ما تحته فالحكمة التي أوتيها العبد خير كثير في نفسها إلا أنها إذا أضيفت إلى علم الله فهي
قليلة وقيل هو خطاب لليهود خاصة لأنهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم قد أوتينا التوراة
وفيها الحكمة وقد تلوت ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا فقيل لهم إن علم التوراة
قليل في جنب علم الله ولئن شئنا جواب قسم محذوف مع نيابته عن جزاء الشرط واللام
الداخلة على إن موطئة للقسم والمعنى إن شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه عن الصدور

حزب

والمصاحف

والمصاحف فلم نترك له أثرا وبقيت كما كنت لا تدري ما الكتاب ثم لا تجد لك بعد
الذهاب به من يتوكل علينا باسترداده وإعادته محفوظا مسطورا إلا رحمة من ربك
إلا أن يرحمك ربك فيرده عليك كأن رحمته تتوكل عليه بالرد أو يكون على الاستثناء المنقطع
بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن
محفوظا بعد المنة العظيمة في تنزيله وتحفيظه فعلى كل ذي علم أن لا يغفل عن هاتين
المنتين والقيام بشكرهما وهما منة الله تعالى عليه بحفظ العلم ورسوخه في صدره
ومنته عليه في بقاء المحفوظ وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن أول ما تفقدون من
دينكم الأمانة وآخر ما تفقدون الصلاة وليصلين قوم ولا دين لهم وإن هذا
القرآن تصبحون يوما وما فيكم منه شيء فقال رجل كيف ذلك وقد أثبتناه في
قلوبنا وأثبتناه في مصاحفنا نعلمه أبناءنا ويعلمه أبناؤنا أبناءهم فقال يسرى عليه
ليلا فيصبح الناس منه فقراء ترفع المصاحف وينزع ما في القلوب لا يأتون
جواب قسم محذوف ولولا اللام الموطئة لجاز أن يكون جوابا للشرط كقوله يقول
لا غائب مالي ولا حرم لأن الشرط وقع ماضيا أي لو تظاهروا على أن يأتوا بمثل
هذا القرآن في بلاغته وحسن نظمه وتأليفه وفيهم العرب العاربة أرباب البيان
لعجزوا عن الإتيان بمثله والعجب من النوابت في زعمهم أن القرآن قديم مع اعترافهم
بأنه معجز وإنما يكون العجز حيث تكون القدرة فيقال الله قادر على خلق الأجسام
والعباد عاجزون عنه وأما المحال الذي لا مجال فيه للقدرة ولا مدخل لها
فيه كثاني القديم فلا يقال للفاعل قد عجز عنه ولا هو معجز ولو قيل ذلك لجاز
وصف الله تعالى بالعجز لأنه لا يوصف بالقدرة على المحال إلا أن يكابروا فيقولوا هو
قادر على المحال فإن رأس مالهم المكابرة وقلب الحقائق ولقد صرفنا رددنا وكررنا
من كل مثل من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه والكفور الجحود فإن قلت
كيف جاز فأبى أكثر الناس إلا كفورا ولم يجز ضربت إلا زيدا قلت لأن أبى متأول
بالنفي كأنه قيل فلم يرضوا إلا كفورا لما تبين عجزهم عن القرآن وانضمت إليه المعجزات الأخر
والبينات ولزمتهم الحجة وغلبوا أخذوا يتعللون باقتراح الآيات فعل المبهوت المحجوج
المتعثر في أذيال الحيرة وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر يفجر وقرئ تفجر بالتخفيف
من الأرض يعنون أرض مكة ينبوعا عينا غزيرة من شأنها أن تنبع بالماء لا تقطع
يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء كما زعمت يعنون قول الله تعالى إن نشأ نخسف
بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء قرئ كسفا بسكون السين جمع كسفة
كسدرة وسدر وبفتحها قبيلا كفيلا بما تقول شاهدا بصحته والمعنى أو تأتي بالله
قبيلا وبالملائكة قبيلا كقوله كنت منه ووالدي بريا وفإني وقيار بها لغريب أو مقابلا
كالعشير بمعنى المعاشر ونحوه لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا أو جماعة
حالا من الملائكة من زخرف من ذهب في السماء في معارج السماء فحذف المضاف
يقال رقي في السلم وفي الدرجة ولن نؤمن لرقيك ولن نؤمن لأجل رقيك حتى تنزل
علينا كتابا من السماء فيه تصديقك عن ابن عباس قال عبد الله بن أبي أمية لن نؤمن
لك حتى تتخذ إلى السماء سلما ثم ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها ثم تأتي معك بصك منشور

الحيرة

معه اربعة من الملائكة يشهدون لك انك كما تقول وما كانوا يقصدون بهذه الاقتراحات
الا العناد واللجاج ولو جاءتهم كل آية لقالوا هذا سحر مبين كما قال عز وعلا ولو نزلنا عليك
كتابا في قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا من السما فظلوا فيه يعرجون وحين انكروا الآية الباقية
التي هي القرآن وسائر الآيات وليست بدون ما اقترحوه بل هي اعظم لم يكن الى سمرتهم سبيل
قل سبحان ربي وقرئ قال سبحان ربي اي قال الرسول وسبحان ربي تعجب من اقتراحاتهم
عليه هل كنت الا بشرا رسولا كسائر الرسل بشرا مثلهم وكان الرسل عليهم السلام لا ياتون قومهم
الا بما يظهره الله عليهم من الآيات فليس امر الآيات الي انما هو الى الله فما بالكم تتخيرونها
علي ان الاولى نصب مفعول ثان لمنع والثانية رفع فاعل له والهدى الوحي اي وما
منعهم الايمان بالقرآن وبنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم الا شبهة تلجلج في صدورهم
وهي انكارهم ان يرسل الله البشر والهمزة في ابعث الله للانكار وما انكروه فخلافه
هو المنكر عند الله لان قضية حكمته ان لا يرسل ملك الوحي الا الى امثاله او الى
الانبياء ثم قرر ذلك بانه لو كان في الارض ملائكة يمشون على اقدامهم كما يمشي الانس ولا
يطيرون باجنحتهم الى السما فيسمعوا من اهلها ويعلموا ما يجب علمه مطمئنين ساكنين
في الارض قارين لنزلنا عليهم من السما ملكا رسولا يعلمهم الخير ويهديهم المراشد فاما
الانس فما هم بهذه المثابة انما يرسل الملك الى مختار منهم للنبوة فيقوم ذلك المختار
بدعوتهم وارشادهم فان قلت هل يجوز ان يكون بشرا وملكا منصوبين على الحال من
رسولا قلت وجه حسن والمعنى له اجوب شهيدا بيني وبينكم على اني بلغت ما ارسلت
به اليكم وانكم كذبتم وعاندتم انه كان بعباده المنذرين والمنذرين خبيرا عالما باحوالهم
فهو مجازيهم وهذه تسلية لرسول الله ووعيد للكفرة وشهيدا تمييز او حال ومن يهد
الله ومن يوفقه ويلطف به فهو المهتد لانه لا يلطف الا بمن عرف ان اللطف ينفع فيه
ومن يضلل ومن يخذل فلن تجد لهم اولياء انصارا على وجوههم كقوله يوم يسحبون في
النار على وجوههم وقيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كيف يمشون على وجوههم قال
ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم عميا وبكما وصما
كما كانوا في الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون بالحق ويتصامون عن استماعه فهم في
الآخرة كذلك لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما
يقبل منهم ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى ويجوز ان يحشروا مؤوفي الحواس
من الموقف الى النار بعد الحساب فقد اخبر عنهم في موضع آخر انهم يقرؤون ويتكلمون
كلما خبت كلما اكلت جلودهم ولحومهم وافنتها فسكن لهبها بدلوا غيرها فرجعت
ملتهبة مستعرة كانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جعل الله جزاءهم ان سلط النار
على اجزائهم تاكلها وتفنيها ثم يعيدها لا يزالون على الافناء والاعادة ليزيد ذلك
في تحسرهم على تكذيبهم البعث ولانه ادخل في الانتقام من الجاحد وقد دل سبحانه
على ذلك بقوله ذلك جزاؤهم الى قوله انا لمبعوثون خلقا جديدا فان قلت علام عطف
قوله وجعل لهم اجلا قلت على قوله اولم يروا لان المعنى قد علموا بدليل العقل ان
من قدر على خلق السموات والارض فهو قادر على خلق امثالهم من الانس لانهم ليسوا
باشد خلقا منهم كما قال ءانتم اشد خلقا ام السما وجعل لهم اجلا لا ريب فيه وهو الموت

او القيامة

او القيامة فابوا مع وضوح الدليل الا جحودا لو حقها ان يدخل على الافعال دون الاسما
فلا بد من فعل بعدها في لو انتم تملكون وتقديره لو تملكون تملكون فاضمر تملك اضمارا على
شريطة التفسير وابدل من الضمير المتصل الذي هو الواو ضمير منفصل وهو انتم لسقوط
ما يتصل به من اللفظ وهو تملك فانتم فاعل الفعل المضمر وتملكون تفسيره وهذا هو الوجه
الذي يقتضيه علم الاعراب فاما ما يقتضيه علم البيان فهو ان انتم تملكون فيه دلالة على
الاختصاص وان الناس هم المختصون بالشح المتبالغ ونحوه قول حاتم لو ذات سوار لطمتني
وقول المتلمس ولو غير اخوالي ارادوا نقيصتي وذلك لان الفعل الاول لما سقط لاجل
المفسر برز الكلام في صورة المبتدا والخبر ورحمة الله رزقه وسائر نعمه على خلقه ولقد
بلغ هذا الوصف بالشح الغاية التي لا يبلغها الوهم وقيل هو لاهل مكة الذين اقترحوا ما
اقترحوا من الينبوع والانهار وغيرها وانهم لو ملكوا خزائن الارزاق لبخلوا بها قتورا
ضيقا بخيلا فان قلت هل يقدر لامسكتم مفعول قلت لا لان معناه لبخلتم من قولك للبخيل
ممسك عن ابن عباس هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم
والحجر والبحر والطور الذي نتقه على بني اسرائيل وعن الحسن الطوفان والسنون
ونقص الثمرات مكان الحجر والبحر والطور وعن عمر بن عبد العزيز انه سال محمد
بن كعب فذكر اللسان والطمس فقال له عمر كيف يكون الفقيه الا هكذا اخرج يا غلام ذلك
الجراب فاخرجه فنفضه فاذا بيض مكسور نصفين وجوز مكسور وفوم وحمص
وعدس كلها حجارة وعن صفوان بن عسال ان بعض اليهود سال رسول الله صلعم عن ذلك
فقال اوحى الله الى موسى ان قل لبني اسرائيل لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا
تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تاكلوا الربا ولا تمشوا ببري الى
ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وانتم يا يهود خاصة
لا تعدوا في السبت فسل بني اسرائيل فقلنا له سل بني اسرائيل اي سلهم من فرعون وقل له
ارسل معي بني اسرائيل او سلهم عن ايمانهم وعن حال دينهم او سلهم ان يعاضدوك وتكون قلوبهم
وايديهم معك ويدل عليه قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسال بني اسرائيل على لفظ
الماضي بغير همز وهي لغة قريش وقيل فسل يا رسول الله المؤمنين من بني اسرائيل وهم عبد الله
بن سلام واصحابه عن الآيات ليزدادوا يقينا وطمانينة قلب لان الادلة اذا تظاهرت كان
ذلك اقوى واثبت كقول ابراهيم ولكن ليطمئن قلبي فان قلت بم تعلق اذ جاءهم
قلت اما على الوجه الاول فبالقول المحذوف اي فقلنا له سلهم حين جاءهم او سال
في القراءة الثانية واما على الآخر فبآتينا او باضمار اذكر او يخبروك ومعنى اذ جاءهم اذ
جاء اباءهم مسحورا سحرت فخولط عقلك لقد علمت يا فرعون ما انزل هؤلاء الآيات الا الله
عز وجل بصائر بينات مكشوفات ولكنك معاند مكابر ونحوه وجحدوا بها واستيقنتها
انفسهم ظلما وعلوا وقرئ علمت بالضم على معنى اني لست بمسحور كما وصفتني بل انا عالم بصحة
الامر وان هذه الآيات منزلها رب السموات والارض ثم قارع ظنه بظنه كانه قال ان ظننتني
مسحورا فانا اظنك مثبورا هالكا وظني احج من ظنك لان له امارة ظاهرة وهي انكارك
ما عرفت صحته ومكابرتك لآيات الله بعد وضوحها واما ظنك فكذب بحت لان قولك مع علمك
بصحة امري اني لاظنك مسحورا قول كذب وقال الفرا مثبورا مصروفا عن الخير مطبوعا

على قلبك من قولهم ما ثبرك عن هذا اى ما صرفك عنه وصرفك وقرأ ابى بن كعب وان اخالك
يا فرعون لمثبورا على ان المخففة واللام هى الفارقة فاراد فرعون ان يستخف موسى وقومه
من ارض مصر ويخرجهم منها او ينفيهم عن ظهر الارض بالقتل والاستئصال فحاق
به مكره بان استفزه الله باغراقه مع قبطه اسكنوا الارض التى اراد فرعون ان يستفزكم
منها فاذا جاء وعد الاخرة يعنى قيام الساعة جئنا بكم لفيفا جمعا مختلطين اياكم واياهم
ثم نحكم بينكم ونميز سعداءكم واشقياءكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى وبالحق انزلناه
وبالحق نزل وما انزلنا القرآن الا بالحكمة المقتضية لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق
والحكمة لاشتماله على الهداية الى كل خير او ما انزلناه من السماء الا بالحق محفوظا بالرصد
من الملائكة وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين وما ارسلناك الا
لتبشرهم بالجنة وتنذرهم من النار ليس اليك وراء ذلك شيء من اكراه على الدين او نحو ذلك
وقرآنا منصوب بفعل يفسره فرقناه وقرأ ابى فرقناه بالتشديد اى جعلناه نزولا مفرقا
منجما وعن ابن عباس انه قرأه مشددا وقال لم ينزل في يومين او ثلثة بل كان بين اوله واخره
عشرون سنة يعنى ان فرق بالتخفيف يدل على فصل متقارب على مكث بالفتح والضم على
مهل وتؤدة ونزلناه تنزيلا على حسب الحوادث قل آمنوا به او لا تؤمنوا امر
بالاعراض عنهم واحتقارهم والازدراء بشأنهم وان لا يكترث بهم وبايمانهم وباباءهم عنه
وانهم ان لم يدخلوا في الايمان ولم يصدقوا بالقرآن وهم اهل جاهلية وشرك فان خيرا
منهم وافضل وهم العلماء الذين قرأوا الكتب وعلموا ما الوحى وما الشرائع قد آمنوا به
وصدقوه وثبت عندهم انه النبى العربى الموعود في كتبهم فاذا تلى عليهم خروا سجدا
وسجدوا لله تعظيما لامره ولانجازه ما وعد في الكتب المنزلة وبشر به من بعثة محمد
صلى الله عليه والسلم وانزال القرآن عليه وهو المراد بالوعد في قوله ان كان وعد
ربنا لمفعولا ويزيدهم خشوعا اى يزيدهم القرآن لين قلب ورطوبة عين فان قلت ان
الذين اوتوا العلم من قبله تعليل لماذا قلت يجوز ان يكون تعليلا لقوله آمنوا به او لا
تؤمنوا وان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية لرسول الله وتطييب نفسه كانه قيل
تسل بايمان العلماء عن ايمان الجهلة وعلى الاول ان لم تؤمنوا به لقد آمن به من هو خير
منكم فان قلت ما معنى الخرور للذقن قلت السقوط على الوجه وانما ذكر الذقن وهو
مجتمع اللحيين لان الساجد اول ما يلقى به الارض من وجهه الذقن فان قلت حرف
الاستعلاء ظاهر المعنى اذا قلت خر على وجهه وعلى ذقنه فما معنى اللام في خر لذقنه
ولوجهه قال ك فخر صريعا لليدين وللفم ه قلت معناه جعل ذقنه ووجهه للخرور
واختصه به لان اللام للاختصاص فان قلت لم كرر يخرون للاذقان قلت لاختلاف
الحالين وهما خرورهم في حال كونهم ساجدين وخرورهم في حال كونهم باكين عن ابن عباس
رضى الله عنه انه سمعه ابو جهل يقول يا الله يا رحمن فقال انه ينهانا ان نعبد الهين
وهو يدعو الها اخر وقيل ان اهل الكتاب قالوا انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثر الله
في التوراة هذا الاسم فنزلت والدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى النداء وهو يتعدى الى مفعولين
تقول دعوته زيدا ثم يترك احدهما استغناء عنه فيقال دعوت زيدا والله والرحمن المراد
بهما الاسم لا المسمى واو للتخيير بمعنى ادعوا الله او ادعوا الرحمن سموا بهذا الاسم او بهذا
واو

او اذكروا

او اذكروا اما هذا او اما هذا والتنوين في ايا عوض من المضاف اليه وما صلة للابهام
المؤكد لما في اى اى هذين الاسمين سميتم او ذكرتم فله الاسماء الحسنى والضمير في فله
ليس براجع الى احد الاسمين المذكورين ولكن الى مسماهما وهو ذاته عز وعلا لان
التسمية للذات لا للاسم والمعنى ايا ما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه قوله فله الاسماء
الحسنى لانه اذا حسنت اسماؤه كلها حسن هذان الاسمان لانهما منها ومعنى كونها احسن
الاسماء انها مستقلة بمعانى التقديس والتمجيد والتعظيم بصلاتك بقراءة صلاتك على حذف
المضاف لانه لا يلبس من قبل ان الجهر والمخافتة صفتان تعتقبان على الصوت لا غير
والصلاة افعال واذكار وكان رسول الله صلى الله عليه يرفع صوته بقراءته فاذا
سمعها المشركون لغوا وسبوا فامر بان يخفض من صوته والمعنى ولا تجهر حتى
تسمع المشركين ولا تخافت حتى لا تسمع من خلفك وابتغ بين الجهر والمخافتة سبيلا
وسطا روى ان ابا بكر رضى الله عنه كان يخفى صوته بالقراءة في صلاته ويقول
اناجى ربى وقد علم حاجتى وكان عمر يرفع صوته ويقول ازجر الشيطان واوقظ
الوسنان فامر ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل معناه ولا تجهر
بصلواتك كلها ولا تخافت بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلا بان تجهر بصلاة الليل
وتخافت بصلاة النهار وقيل بصلاتك بدعائك وذهب قوم الى ان الآية منسوخة
بقوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية وابتغ السبيل مثل لانتحاء الوجه الوسط في القراءة
ولى من الذل ناصر من الذل ومانع له منه لاعتزازه به او لم يوال احدا من اجل مذلة به ليدفعها
بموالاته فان قلت كيف لاق وصفه بنفى الولد والشريك والذل بكلمة التحميد قلت لان
من هذا وصفه هو الذى يقدر على ايلاء كل نعمة فهو الذى يستحق جنس الحمد وكان النبى
صلى الله عليه اذا افصح الغلام من بنى عبد المطلب علمه هذه الآية عن رسول الله صلى الله عليه
والسلم من قرأ سورة بنى اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة
والقنطار الف اوقية ومائتا اوقية ◌ سورة الكهف ◌ مكية ◌ وهى مائة
واحدى عشرة آية ◌ بسم الله الرحمن الرحيم لقن الله عز وجل عباده
وفقههم كيف يثنون عليه ويحمدونه على اجزل نعمائه عليهم وهى نعمة الاسلام وما انزل على
عبده محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب الذى هو سبب نجاتهم وفوزهم ولم يجعل له عوجا
ولم يجعل له شيئا من العوج قط والعوج في المعانى كالعوج في الاعيان والمراد نفى الاختلاف
والتناقض عن معانيه وخروج شيء منه من الحكمة والاصابة فيه فان قلت بم انتصب قيما
قلت الاحسن ان ينتصب بمضمر ولا يجعل حالا من الكتاب لان قوله ولم يجعل معطوف على
انزل فهو داخل في حيز الصلة فجاعله حالا من الكتاب فاصل بين الحال وذى الحال ببعض
الصلة وتقديره ولم يجعل له عوجا جعله قيما لانه اذا نفى عنه العوج فقد اثبت له الاستقامة
فان قلت ما فائدة الجمع بين نفى العوج واثبات الاستقامة وفي احدهما غنى عن الاخر قلت
فائدته التأكيد فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو من ادنى عوج عند السبر
والتصفح وقيل قيما على سائر الكتب مصدقا لها شاهدا بصحتها وقيل قيما بمصالح
العباد وما لا بد لهم منه من الشرائع وقرئ قيما لينذر متعد الى مفعولين كقوله انا
انذرناكم عذابا قريبا فاقتصر على احدهما واصله لينذر الذين كفروا باسا شديدا والباس
من قوله بعذاب بئيس وقد بؤس العذاب وبؤس الرجل بأسا وبآسة من لدنه صادرا من عنده

التمجيد

جعله

وقرئ من لدنه بسكون الدال مع اشمام الضمة وكسر النون ويبشر بالتخفيف
والتثقيل فان قلت لم اقتصر على احد مفعولي انذر قلت قد جعل المنذر به هو الغرض
المسوق اليه فوجب الاقتصار عليه والدليل عليه تكرير الانذار في قوله وينذر الذين
قالوا اتخذ الله ولدا متعلقا بالمنذرين من غير ذكر المنذر به كما ذكر المبشر به في قوله
ان لهم اجرا حسنا استغناء بتقدم ذكره وان لهم اجرا حسنا الجنة ما لهم به من علم اي بالولد
او باتخاذه يعني ان قولهم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط وتقليد للآباء وقد
تسلمته الآباء من الشيطان وتسويله فان قلت اتخاذ الله ولدا في نفسه محال فكيف
قيل ما لهم به من علم قلت معناه ما لهم به من علم لانه ليس مما يعلم لاستحالته وانتفاء العلم
بالشيء اما للجهل بالطريق الموصل اليه واما لانه في نفسه محال لا يستقيم تعلق العلم
به قرئ كبرت كلمة وكلمة بالنصب على التمييز والرفع على الفاعلية والنصب اقوى
وابلغ وفيه معنى التعجب كانه قيل ما اكبرها كلمة وتخرج من افواههم صفة للكلمة
تفيد استعظاما لاجترائهم على النطق بها واخراجها من افواههم فان كثيرا مما يوسوسه
الشيطان في قلوب الناس ويحدثون به انفسهم من المنكرات لا يتمالكون ان يتفوهوا به
ويطلقوا به السنتهم بل يكظمون عليه تشورا من اظهاره فكيف بمثل هذا المنكر وقرئ
كبرت بسكون الباء مع اشمام الضمة فان قلت الام يرجع الضمير في كبرت قلت
الى قولهم اتخذ الله ولدا وسميت كلمة كما يسمون القصيدة بها شبهه واياهم
حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وما تداخله من الوجد والاسف على توليهم برجل فارقته
احبته واعزته فهو يتساقط حسرات على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وتلهفا
على فراقهم وقرئ باخع نفسك على الاصل وعلى الاضافة اي قاتلها ومهلكها وهو
للاستقبال فيمن قرأ إن لم يؤمنوا وللمضي فيمن قرأ أن لم يؤمنوا بمعنى لان لم يؤمنوا
بهذا الحديث بالقرآن اسفا مفعول له اي لفرط الحزن ويجوز ان يكون حالا والاسف
المبالغة في الحزن والغضب يقال رجل اسف واسيف ما على الارض يعني ما يصلح ان يكون
زينة لها ولاهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها لنبلوهم ايهم احسن عملا وحسن
العمل الزهد فيها وترك الاغترار بها ثم زهد في الميل اليها بقوله وانا
لجاعلون ما عليها من هذه الزينة صعيدا جرزا يعني مثل ارض بيضاء لا نبات فيها
بعد ان كانت خضراء معشبة في ازالة بهجته واماطة حسنه وابطال ما به كان زينة
من اماتة الحيوان وتجفيف النبات والاشجار ونحو ذلك ذكر من الآيات الكلية تزيين
الارض بما خلق فوقها من الاجناس التي لا حصر لها وازالة ذلك كله كأن لم تكن ثم قال
ام حسبت يعني ان ذلك اعظم من قصة اصحاب الكهف وابقاء حياتهم مدة طويلة
والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم اسم كلبهم قال امية بن ابي الصلت
وليس بها الا الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم في الكهف همد وقيل هو
لوح من رصاص رقمت فيه اسماؤهم جعل على باب الكهف وقيل ان الناس رقموا
حديثهم نقرا في الجبل وقيل هو الوادي الذي فيه الكهف وقيل الجبل وقيل
قريتهم وقيل مكانهم بين غضبان وايلة دون فلسطين كانوا آية عجبا من آياتنا
وصفا بالمصدر او على ذات عجب من لدنك رحمة اي رحمة من خزائن رحمتك وهي المغفرة
والرزق والامن من الاعداء وهيئ لنا من امرنا الذي نحن عليه من مفارقة الكفار رشدا

حتى

حتى نكون بسببه راشدين مهتدين او اجعل امرنا رشدا كله كقولك رأيت منك اسدا فضربنا على آذانهم
على آذانهم اي ضربنا عليها حجابا من ان تسمع يعني انمناهم انامة ثقيلة لا تنبههم فيها
الاصوات كما ترى المستثقل في نومه يصاح به فلا يسمع ولا يستنبه فحذف المفعول الذي
هو الحجاب كما يقال بنى على امرأته يريدون بنى عليها القبة سنين عددا ذوات عدد
فيحتمل ان يريد الكثرة وان يريد القلة لان الكثير قليل عنده كقوله لم يلبثوا الا ساعة
من نهار وقال الزجاج اذا قل فهم مقدار عدده فلم يحتج ان يعد واذا كثر احتاج
الى ان يعد اي بعثناهم معنى الاستفهام معلق عنه لنعلم فلم يعمل فيه وقرئ ليعلم وهو
معلق عنه ايضا لان ارتفاعه بالابتداء لا باسناد يعلم اليه وفاعل يعلم مضمون الجملة
كما انه مفعول نعلم اي الحزبين المختلفين منهم في مدة لبثهم لانهم لما انتبهوا اختلفوا
في ذلك وذلك قوله قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم
اعلم بما لبثتم وكان الذين قالوا ربكم اعلم بما لبثتم هم الذين علموا ان لبثهم قد تطاول او اي
الحزبين المختلفين من غيرهم واحصى فعل ماض اي ايهم ضبط امدا لاوقات لبثهم فان
قلت فما تقول فيمن جعله من افعل التفضيل قلت ليس بالوجه السديد وذلك ان بناءه
من غير الثلاثي المجرد ليس بقياس ونحو اعدى من الجرب وافلس من ابن المذلق شاذ والقياس
على الشاذ في غير القرآن ممتنع فكيف به ولان امدا لا يخلو اما ان ينتصب بافعل فافعل
لا يعمل واما ان ينتصب بلبثوا فلا يسد عليه المعنى فان زعمت اني انصبه باضمار فعل
يدل عليه احصى كما اضمر في قوله واضرب منا بالسيوف القوانسا على نضرب القوانس
فقد ابعدت المتناول وهو قريب حيث ابيت ان يكون احصى فعلا ثم رجعت مضطرا الى تقديره
واضماره فان قلت كيف جعل الله تعالى العلم باحصائهم المدة غرضا في الضرب على
آذانهم قلت الله عز وعلا لم يزل عالما بذلك وانما اراد ما تعلق به العلم من ظهور الامر
لهم ليزدادوا ايمانا واعتبارا او يكون لطفا لمؤمني زمانهم وآية بينة لكفاره وزدناهم
هدى بالتوفيق والتثبيت وربطنا على قلوبهم وقويناها بالصبر على هجر الاوطان والنعيم
والفرار بالدين الى بعض الغيران وجسرناهم على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالاسلام
اذ قاموا بين يدي الجبار وهو دقيانوس من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة
الصنم فقالوا ربنا رب السموات والارض شططا قولا ذا شطط وهو الافراط في الظلم
والابعاد فيه من شط اذا بعد ومنه اشط في السوم وفي غيره هؤلاء مبتدأ وقومنا
عطف بيان واتخذوا خبر وهو اخبار في معنى انكار لولا يأتون عليهم هلا يأتون على عبادتهم
فحذف المضاف بسلطان بين وهو تبكيت لان الاتيان بالسلطان على عبادة الاوثان محال
وهو دليل على فساد التقليد وانه لا بد في الدين من حجة حتى يصح ويثبت افترى على الله
كذبا بنسبة الشريك اليه واذ اعتزلتموهم خطاب من بعضهم لبعض حين صممت عزيمتهم
على الفرار بدينهم وما يعبدون نصب عطف على الضمير يعني واذ اعتزلتموهم واعتزلتم
معبوديهم الا الله يجوز ان يكون استثناء متصلا على ما روي انهم كانوا يقرون بالخالق
ويشركون معه كما اهل مكة وان يكون منقطعا وقيل هو كلام معترض اخبار
من الله تعالى عن الفتية انهم لم يعبدوا غير الله مرفقا قرئ بفتح الميم وكسرها وهو ما
يرتفق به اي ينتفع اما ان يقولوا ذلك ثقة بفضل الله عز وجل وقوة في رجائهم

لو كلم عليه وتضوع بقيتهم واما ان يحرم به نبي في عصرهم واما ان يكون بعضهم
بيان اصله تتزاور فخفف بادغام التاء في الزاي او حذفها وقد قرئ بهما وقرئ
تزور وتزوار بوزن تحمر وتحمار وكلها من الزور وهو الميل ومنه زاره اذا
مال اليه والزور الميل عن الصدق **ذات اليمين** جهة اليمين وحقيقتها الجهة
المسماة باليمين **تقرضهم** تقطعهم لا تقربهم من معنى القطيعة والصرم
قال ذو الرمة: الى ظعن يقرضن اقواز مشرف ... شمالا وعن ايمانهن الفوارس
وهم في فجوة منه في متسع من الكهف والمعنى انهم في ظل نهارهم كله لا تصيبهم
الشمس في طلوعها ولا غروبها مع انهم في مكان واسع منفتح معرض لاصابة
الشمس لولا ان الله يحجبها عنهم وقيل في متسع من غارهم ينالهم فيه روح الهواء
وبرد النسيم ولا يحسون كرب الغار **ذلك من آيات الله** اي ما صنعه الله بهم
من ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة آية من آياته يعني ما كان في ذلك
السمت تصيبه الشمس ولا تصيبهم اختصاصا لهم بالكرامة وقيل باب الكهف شمالي
مستقبل لبنات نعش فهم في مقناة ابدا ومعنى ذلك من آيات الله ان شانهم وحديثهم
من آيات الله **من يهد الله فهو المهتد** ثنا عليهم بانهم جاهدوا في الله واسلموا له
وجوههم فلطف بهم واعانهم وارشدهم الى نيل تلك الكرامة السنية والاختصاص
بالآية العظيمة وان كل من سلك طريقة المهتدين الراشدين فهو الذي اصاب الفلاح
واهتدى الى السعادة ومن تعرض للخذلان **فلن تجد** من يليه ويرشده بعد خذلان
الله **وتحسبهم** بكسر السين وفتحها خطاب لكل احد **ايقاظا** جمع يقظ كانكاد في
نكد قيل عيونهم منفتحة وهم نيام فيحسبهم الناظر لذلك ايقاظا وقيل لكثرة تقلبهم
وقيل لهم تقلبتان في السنة وقيل تقلبة واحدة في يوم عاشورا وقرئ **ويقلبهم**
بالياء والضمير لله عز وجل وقرئ وتقلبهم على المصدر منصوبا وانتصابه بفعل مضمر
يدل عليه وتحسبهم كانه قيل وترى وتشاهد تقلبهم وقرا جعفر الصادق رضي
الله عنه **وكالبهم** اي وصاحب كلبهم **باسط ذراعيه** حكاية حال ماضية لان
اسم الفاعل لا يعمل اذا كان في معنى المضي واضافته اذا اضيف حقيقية معرفة كغلام
زيد الا اذا نوي حكاية الحال الماضية **والوصيد** الفناء وقيل العتبة وقيل الباب
وانشد: بارض فضاء لا يسد وصيدها ... علي ومعروفي بها غير منكر وقرئ **ولملئت**
بتشديد اللام للمبالغة وقرئ بتخفيف الهمزة وقلبها ياء **رعبا** بالتخفيف والتثقيل
وهو الخوف الذي يرعب الصدر اي يملاه وذلك لما البسهم الله من الهيبة وقيل لطول
اظفارهم وشعورهم وعظم اجرامهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معوية انه غزا
الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس رضي الله عنه
ليس لك ذلك قد منع الله تعالى من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا
فقال معوية لا انتهي حتى اعلم علمهم فبعث ناسا وقال لهم اذهبوا فانظروا ففعلوا
فلما دخلوا الكهف بعث الله تعالى ريحا فاحرقتهم وقرئ لو اطلعت بضم الواو
وكذلك بعثناهم وكما انمناهم تلك النومة كذلك بعثناهم ادكارا بقدرته على الاماتة
والبعث جميعا ليتسائلوا بينهم ليسال بعضهم بعضا ويعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيعتبروا

ويستدلوا

ويستدلوا على عظم قدرة الله ويزدادوا يقينا ويشكروا ما انعم به عليهم **وكم لبثتم**
قالوا لبثنا يوما او بعض يوم جواب مبني على غالب الظن وفيه دليل على جواز الاجتهاد
والقول بالظن الغالب وانه لا يكون كذبا وان جاز ان يكون خطا **قالوا ربكم اعلم بما لبثتم**
انكار عليهم من بعضهم وان الله اعلم بمدة لبثهم كان هؤلاء قد علموا بالادلة او بالهام
من الله ان المدة متطاولة وان مقدارها مبهم لا يعلمه الا الله وروي انهم دخلوا الكهف
غدوة وكان انتباههم بعد الزوال فظنوا انهم في يومهم فلما نظروا الى طول اظفارهم
واشعارهم قالوا ذلك فان قلت كيف وصلوا قولهم **فابعثوا** باذكار حديث المدة قلت
كانهم قالوا ربكم اعلم بذلك لا طريق لكم الى علمه فخذوا في شيء اخر مما يهمكم **بورقكم** والورق
الفضة مضروبة كانت او غير مضروبة ومنه الحديث ان عرفجة اصيب انفه يوم الكلاب
فاتخذ انفا من ورق فانتن فامره رسول الله ان يتخذ انفا من ذهب وقرئ بورقكم بسكون الراء والواو
مفتوحة او مكسورة وقرا ابن كثير بورقكم بكسر الراء وادغام القاف في الكاف
وعن ابن محيصن انه كسر الواو واسكن الراء وادغم وهذا غير جائز لالتقاء الساكنين
لا على حده وقيل المدينة طرسوس قالوا وتزودهم ما كان معهم من الورق عند فرارهم
دليل على ان حمل النفقة وما يصلح المسافر هو راي المتوكلين على الله دون المتكلين
على الاتفاقات وعلى ما في اوعية القوم من النفقات ومنه قول عائشة رضي الله عنها
لمن سالها عن محرم يشد عليه هميانه اوثق عليك نفقتك وما حكي عن بعض صعاليك
العلماء انه كان شديد الحنين الى ان يرزق حج بيت الله وكان يقول لم منه ذلك فكانت مياسير
اهل بلده كلما عزم منهم فوج على الحج اتوه فبذلوا له ان يحجوا به والحوا عليه فيعتذر اليهم
ويحمد الله بدلهم فاذا انفضوا عنه قال لمن عنده ما لهذا السفر الا شيئان شد الهميان
والتوكل على الرحمن **ايها** اي اهلها فحذف الاهل كما في قوله واسأل القرية **ازكى طعاما**
احل واطيب او اكثر وارخص **وليتلطف** وليتكلف اللطف والنيقة فيما يباشره من امر
المبايعة حتى لا يغبن او في امر التخفي حتى لا يعرف **ولا يشعرن بكم احدا** يعني ولا يفعلن
ما يؤدي من غير قصد منه الى الشعور بنا فسمي ذلك اشعارا منه بهم لانه سبب فيه الضمير
في **انهم** راجع الى الاهل المقدر في ايها **يرجموكم** يقتلوكم اخبث القتلة وهي الرجم وكانت
عادتهم **او يعيدوكم في ملتهم** او يدخلوكم فيها بالاكراه العنيف ويصيروكم اليها والعود
في معنى الصيرورة اكثر شي في كلامهم يقولون ما عدت افعل كذا يريدون ابتداء الفعل
ولن تفلحوا اذا ابدا ان دخلتم في دينهم **وكذلك اعثرنا عليهم** وكما انمناهم وبعثناهم لما
في ذلك من الحكمة اطلعنا عليهم ليعلموا الذين اطلعناهم على حالهم **ان وعد الله حق**
وهو البعث لان حالهم في نومتهم وانتباههم بعدها كحال من يموت ثم يبعث **واذ**
يتنازعون متعلق باعثرنا اي اعثرناهم عليهم حين يتنازعون **بينهم امر دينهم**
ويختلفون في حقيقة البعث فكان بعضهم يقولون تبعث الارواح دون الاجساد
وبعضهم يقول تبعث الاجساد مع الارواح ليرتفع الخلاف وليتبين ان الاجساد
تبعث حية حساسة فيها ارواحها كما كانت قبل الموت فقالوا ابنوا حين توفى الله
اصحاب الكهف **ابنوا عليهم بنيانا** اي على باب كهفهم لئلا يتطرق اليهم الناس ضنا
بتربتهم ومحافظة عليها كما حفظت تربة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحظيرة **قال الذين غلبوا**

على أمرهم من المسلمين وملكهم وكانوا أولى بهم وبالبناء عليهم **لنتخذن على باب الكهف**
مسجدا يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم وقيل إذ يتنازعون بينهم أمرهم أي
يتذاكر الناس بينهم أمر أصحاب الكهف ويتكلمون في قصتهم وما أظهر الله من الآية فيهم
أو يتنازعون بينهم تدبير أمرهم حين توفوا كيف يخفون مكانهم وكيف يسدون الطريق
إليهم فقالوا ابنوا على باب كهفهم بنيانا روي أن أهل الإنجيل عظمت فيهم الخطايا
وطغت ملوكهم حتى عبدوا الأصنام وأكرهوا على عبادتها وممن شدد في ذلك
دقيانوس فأراد فتية من أشراف قومه على الشرك وتوعدهم بالقتل فأبوا إلا الثبات
على الإيمان والتصلب فيه ثم هربوا إلى الكهف ومروا بكلب فتبعهم وطردوه
فأنطقه الله فقال ما تريدون مني أنا أحب أحباء الله فناموا وأنا أحرسكم وقيل مروا
براع معه كلب فتبعهم على دينهم ودخلوا الكهف فكانوا يعبدون الله فيه ثم ضرب
الله على آذانهم وقبل أن يبعثهم الله ملك مدينتهم رجل صالح مؤمن وقد اختلف أهل
مملكته في البعث معترفين وجاحدين فدخل الملك بيته وأغلق بابه ولبس مسحا
وجلس على رماد وسأل ربه أن يبين لهم الحق فألقى الله في نفس رجل من رعيانهم فهدم
ما سد به فم الكهف ليتخذه حظيرة لغنمه ولما دخل المدينة من بعثوه لابتياع الطعام
وأخرج الورق وكان من ضرب دقيانوس اتهموه بأنه وجد كنزا فذهبوا به إلى الملك
فقص عليه القصة فانطلق الملك وأهل المدينة معه وأبصروهم وحمدوا الله على
الآية الدالة على البعث ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر
الجن والإنس ثم رجعوا إلى مضاجعهم وتوفى الله أنفسهم فألقى الملك عليهم ثيابه وأمر
فجعل لكل واحد منهم تابوت من ذهب فرآهم في المنام كارهين للذهب فجعلها من
الساج وبنى على باب الكهف مسجدا **ربهم أعلم بهم** من كلام المتنازعين كأنهم تذاكروا
أمرهم وتناقلوا الكلام في أنسابهم وأحوالهم ومدة لبثهم فلما لم يهتدوا إلى حقيقة ذلك
قالوا ربهم أعلم بهم أو هو من كلام الله عز وجل رد لقول الخائضين في حديثهم من أولئك
المتنازعين أو من الذين تنازعوا فيهم على عهد رسول الله صلى الله عليه من أهل الكتاب
سيقولون الضمير لمن خاض في قصتهم في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من
أهل الكتاب والمؤمنين سألوا رسول الله عنهم فأخر الجواب إلى أن يوحى إليه فنزلت إخبارا
بما سيجري بينهم من اختلافهم في عددهم وأن المصيب منهم من يقول **سبعة وثامنهم
كلبهم** قال ابن عباس أنا من أولئك القليل وروي أن السيد والعاقب وأصحابهما
من أهل نجران كانوا عند النبي صلى الله عليه فجرى ذكر أصحاب الكهف فقال السيد
وكان يعقوبيا كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم وقال العاقب وكان نسطوريا كانوا خمسة سادسهم
كلبهم وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم فحقق الله قول المسلمين وإنما عرفوا
ذلك بإخبار رسول الله عن لسان جبريل وعن علي رضي الله عنه هم سبعة نفر أسماؤهم
يمليخا ومكشلينيا ومشلينيا هؤلاء أصحاب يمين الملك وكان عن يساره مرنوش
ودبرنوش وشاذنوش وكان يستشير هؤلاء الستة في أمره والسابع الراعي الذي
وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسم مدينتهم أفسوس واسم كلبهم قطمير
فإن قلت لم جاء بسين الاستقبال في الأول دون الآخرين قلت فيه وجهان

مهم

ان يدخل

أن يدخل الآخرين في حكم السين كما تقول قد أكرم وأنعم تريد معنى التوقع في الفعلين
جميعا وأن يريد بيفعل معنى الاستقبال الذي هو صالح له **رجما بالغيب** رميا بالخبر
الخفي وإتيانا به كقوله ويقذفون بالغيب أي يأتون به أو وضع الرجم موضع الظن
فكأنه قيل ظنا بالغيب لأنهم أكثروا أن يقولوا رجم بالظن مكان قولهم ظن حتى لم يبق عندهم
فرق بين العبارتين ألا ترى إلى قول زهير وما هو عنها بالحديث المرجم أي المظنون
وقرئ ثلاث رابعهم بإدغام الثاء في التاء ثلاثة خبر مبتدأ محذوف أي هم ثلاثة
وكذلك خمسة وسبعة ورابعهم كلبهم جملة من مبتدأ وخبر واقعة صفة
لثلاثة وكذلك سادسهم كلبهم وثامنهم كلبهم فإن قلت فما هذه الواو الداخلة
على الجملة الثالثة ولم دخلت عليها دون الأوليين قلت هي الواو التي تدخل على الجملة
الواقعة صفة للنكرة كما تدخل على الواقعة حالا عن المعرفة في نحو قولك جاءني
رجل ومعه آخر ومررت بزيد وفي يده سيف ومنه قوله عز وجل وما أهلكنا من
قرية إلا ولها كتاب معلوم وفائدتها تأكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة
على أن اتصافه بها أمر ثابت مستقر وهذه الواو هي التي آذنت بأن الذين قالوا سبعة
وثامنهم كلبهم قالوه عن ثبات علم وطمأنينة نفس ولم يرجموا بالظن كما غيرهم والدليل
عليه أن الله سبحانه أتبع القولين الأولين قوله رجما بالغيب وأتبع القول الثالث قوله
ما يعلمهم إلا قليل وقال ابن عباس رضي الله عنه حين وقعت الواو انقطعت العدة أي
لم يبق بعدها عدة عاد يلتفت إليها وثبت أنهم سبعة وثامنهم كلبهم على القطع
والبتات وقيل إلا قليل من أهل الكتاب والضمير في سيقولون على هذا لأهل الكتاب
خاصة أي سيقول أهل الكتاب فيهم كذا وكذا ولا علم بذلك إلا في قليل منهم وأكثرهم
على ظن وتخمين **فلا تمار فيهم** فلا تجادل أهل الكتاب في شأن أصحاب الكهف إلا
مراء ظاهرا غير متعمق فيه وهو أن تقص عليهم ما أوحى الله سبحانه إليك فحسب ولا تزيد
من غير تجهيل لهم ولا تعنيف بهم في الرد عليهم كما قال وجادلهم بالتي هي أحسن **ولا
تستفت** ولا تسأل أحدا منهم عن قصتهم سؤال متعنت له حتى يقول شيئا فترده
عليه وتزيف ما عنده لأن ذلك خلاف ما وصيت به من المداراة والمجاملة ولا سؤال
مسترشد لأن الله قد أرشدك بأن أوحى إليك قصتهم **ولا تقولن لشيء** ولا تقولن لأجل
شيء تعزم عليه **إني فاعل ذلك الشيء غدا** أي فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغد
خاصة **إلا أن يشاء الله** متعلق بالنهي لا بقوله إني فاعل لأنه لو قال إني فاعل كذا
إلا أن يشاء الله كان معناه إلا أن تعترض مشيئة الله دون فعله وذلك مما لا مدخل
فيه للنهي وتعلقه بالنهي على وجهين أحدهما ولا تقولن ذلك القول إلا أن يشاء الله أن
تقوله بأن يأذن لك فيه والثاني ولا تقولنه إلا بأن يشاء الله أي إلا بمشيئته في موضع
الحال يعني إلا ملتبسا بمشيئة الله قائلا إن شاء الله وفيه وجه ثالث وهو أن يكون
إن شاء الله في معنى كلمة تأبيد كأنه قيل ولا تقولنه أبدا ونحوه قوله وما يكون لنا أن
نعود فيها إلا أن يشاء الله لأن عودهم في ملتهم مما لن يشاءه الله وهذا نهي تأديب
من الله لنبيه حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن أصحاب الكهف وذي
القرنين فسألوه فقال ائتوني غدا أخبركم ولم يستثن فأبطأ عليه الوحي حتى شق عليه

وكعبة قريش **واذكر ربك** اي مشيه ربك وقل ان شا الله اذا فرط منك نسيان لذلك
والمعنى اذا نسيت كلمة الاستثنا ثم تنبهت عليها فتداركها بالذكر وعن ابن عباس ولو
بعد سنة ما لم يحنث وعن سعيد بن جبير ولو بعد يوم او اسبوع او شهر او سنة وعن
طاووس هو على ثنياه مالم ما دام في مجلسه وعن الحسن نحوه وعن عطا يستثني على
مقدار حلب ناقة غزيرة وعند عامة الفقها انه لا اثر له في الاحكام مالم يكن موصولا
ويحكى انه بلغ المنصور ان ابا حنيفة خالف ابن عباس في الاستثنا المنفصل فاستحضره
لينكر عليه فقال له ابو حنيفة هذا يرجع عليك فانك تاخذ البيعة بالايمان افترضى
ان يخرجوا من عندك فيستثنوا فيخرجوا عليك فاستحسن كلامه ورضي عنه ويجوز
ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت كلمة الاستثنا تشديدا
في البعث على الاهتمام بها وقيل واذكر ربك ان تركت بعض ما امرك به وقيل
واذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي وقد حمل على ادا الصلوة المنسية
عند ذكرها او **هذا** اشارة الى نبا اصحاب الكهف ومعناه لعل الله يوتيني من البينات
والحجج على اني نبي صادق ما هو اعظم في الدلالة واقرب **رشدا** من نبا اصحاب الكهف
وقد فعل ذلك حيث اتاه من قصص الانبيا والاخبار بالغيوب ما هو اعظم من ذلك
والادوم والظاهر ان يكون المعنى اذا نسيت شيا فاذكر ربك وذكر ربك عند نسيانه
ان تقول عسى ان يهديني ربي لشي اخر بدل هذا المنسي اقرب منه رشدا وادنى
خيرا ومنفعة ولعل النسيان كان خيرة كقوله او ننسها نات بخير منها **ولبثوا في
كهفهم ثلثماية سنين** يريد لبثهم فيه احيا مضروبا على اذانهم هذه المدة وهو بيان
لما اجمل في قوله فضربنا على اذانهم في الكهف سنين عددا ومعنى قوله **قل الله
اعلم بما لبثوا** انه اعلم من الذين اختلفوا فيهم بمدة لبثهم والحق ما اخبرك به وعن قتادة
انه حكاية لكلام اهل الكتاب وقل الله اعلم رد عليهم وقال في حرف عبد الله
وقالوا لبثوا وسنين عطف بيان لثلثماية وقرى ثلثماية سنين بالاضافة على وضع
الجمع موضع الواحد في التمييز كقوله بالاخسرين اعمالا وفي قراة ابي ثلثماية سنة
تسعا تسع سنين لان ما قبله يدل عليه ثم ذكر اختصاصه بما غاب في السموات
والارض وخفي فيها من احوال اهلها ومن غيرها وانه هو وحده العالم به وجاء
بما دل على التعجب من ادراكه للمسموعات والمبصرات للدلالة على ان امره في الادراك
خارج عن حد ما عليه ادراك السامعين والمبصرين لانه يدرك الطف الاشيا واصغرها
واصغرها كما يدرك اكبرها حجما واكثفها جرما ويدرك البواطن كما يدرك الظواهر
ما لهم الضمير لاهل السموات والارض **من ولي** من متول لاموهم **ولا يشرك في حكمه**
في قضائه احدا منهم وقرا الحسن ولا تشرك بالتا والجزم على النهي كانوا يقولون
له ائت بقران غير هذا او بدله فقيل له **واتل ما اوحي اليك** من القران ولا تسمع لما
يهذون به من طلب التبديل فلا **مبدل لكلماته** اي لا يقدر احد على تبديلها
وتغييرها انما يقدر على ذلك هو وحده واذا بدلنا اية مكان اية **ولن تجد من دونه
ملتحدا** ملجا تعدل اليه ان هممت به ذلك قال قوم من رؤسا الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم نح هولا
الموالي الذين كان ريحهم ريح الضان وهم صهيب وعمار وخباب وغيرهم من فقرا

المسلمين حتى نجالسك كما قال قوم نوح انومن لك واتبعك الارذلون فنزلت
واصبر نفسك واحبسها معهم وثبتها قال ابو ذويب فصبرت عارفة لذلك حرة
ترسو اذا نفس الجبان تطلع **بالغداة والعشي** دائبين على الدعا في كل وقت
وقيل المراد صلوة الفجر والعصر وقرى بالغدوة وبالغداة اجود لان غدوة علم في
اكثر الاستعمال وادخال اللام على تاويل التنكير كما قال والزيد زيد المعارك
ونحوه قليل في كلامهم يقال عداه اذا جاوزه ومنه قولهم عدا طوره وجاني القوم عدا
زيدا وانما عدي بعن لتضمين عدا معنى نبا وعلا في قولك نبت عنه عينه وعلت عنه عينه
اذا اقتحمته ولم تعلق به فان قلت اي غرض في هذا التضمين وهلا قيل ولا تعدهم عيناك
او ولا تعل عيناك عنهم قلت الغرض فيه اعطا مجموع معنيين وذلك اقوى من اعطا
معنى فذ الا ترى كيف رجع المعنى الى قولك ولا تقتحمهم عيناك مجاوزتين الى غيرهم ونحوه
قوله تعالى ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم اي ولا تضموها اليها اكلين لها وقرى ولا
تعد عينك ولا تعد عينيك من اعداه وعداه نقلا بالهمزة وتثقيل الحشو ومنه قوله
فعد عما ترى اذ لا ارتجاع له وانم القتود على عيرانة اجد لان معناه فعد همك
عما ترى نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يزدري بفقرا المومنين وان تنبو عينه
عن رثاثة زيهم طموحا الى زي الاغنيا وحسن شارتهم **تريد زينة الحياة الدنيا**
في موضع الحال **من اغفلنا قلبه** من جعلنا قلبه غافلا عن الذكر بالخذلان او وجدناه
غافلا عنه كقولك اجبنته وافحمته وابخلته اذا وجدته كذلك او من اغفل ابله اذا تركها
بغير سمة اي لم نسمه بالذكر ولم نجعلهم من الذين كتبنا في قلوبهم الايمان وقد ابطل الله
توهم المجبرة بقوله **واتبع هواه** وقرى اغفلنا قلبه باسناد الفعل الى القلب على معنى
حسبنا قلبه غافلين من اغفلته اذا وجدته غافلا **فرطا** متقدما للحق والصواب
نابذا له وراء ظهره من قولهم فرس فرط متقدم للخيل **وقل الحق من ربكم** الحق خبر
مبتدا محذوف والمعنى جا الحق وزاحت العلل فلم يبق الا اختياركم لانفسكم ما شيتم من
الاخذ في طريق النجاة او في طريق الهلاك وجي بلفظ الامر والتخيير لانه لما مكن من
اختيار ايهما شا فكانه مخير مامور بان يتخير ما شا من النجدين شبه ما يحيط بهم من
النار بالسرادق وهو الحجرة التي تكون حول الفسطاط وبيت مسردق ذو سرادق
وقيل هو دخان يحيط بالكفار قبل دخولهم النار وقيل حائط من نار يطيف بهم **يغاثوا
بما كالمهل** كقوله فاعتبوا بالصيلم وفيه تهكم والمهل ما اذيب من جواهر
الارض وقيل دردي الزيت **يشوي الوجوه** اذا قدم ليشرب انشوى الوجه من حرارته
عن النبي صلى الله عليه وسلم هو كعكر الزيت فاذا قرب اليه سقطت فروة وجهه **بيس
الشراب** ذلك **وسات** النار **مرتفقا** متكا من المرفق وهذا لمشاكلة قوله وحسنت
مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ولا اتكا الا ان يكون من قوله انى ارقت وبت
الليل مرتفقا كان عيني فيها الصاب مذبوح **اولئك** خبر ان **وانا لا نضيع** اعتراض
ولك ان تجعل انا لا نضيع واولئك خبرين معا او تجعل اولئك كلاما مستانفا بيانا
للاجر المبهم فان قلت اذا جعلت انا لا نضيع خبرا فاين الضمير الراجع منه الى
المبتدا قلت من احسن عملا والذين امنوا وعملوا الصالحات ينتظمهما معنى واحد فقام

من احسن مقام الضمير او اردت من احسن عملا منهم فكان كقولك لا يتهمن ثوابه بدرهم
من الاولى للابتداء والثانية للتبيين وتنكير اساور لابهام امرها في الحسن وجمع
بين السندس وهو مارق من الديباج وبين الاستبرق وهو الغليظ منه جمعا
بين النوعين وخص الاتكاء لانه هيئة المتنعمين والملوك على اسرّتهم واضرب لهم
مثلا رجلين اي ومثّل حال الكافرين والمؤمنين بحال رجلين وكانا اخوين في بني اسرائيل
احدهما كافر اسمه فطروس والآخر مؤمن اسمه يهوذا وقيل هما المذكوران في
سورة الصافات في قوله قال قائل منهم اني كان لي قرين ورثا من ابيهما ثمانية آلاف
دينار فتشاطراها فاشترى الكافر ارضا بالف فقال المؤمن اللهم ان اخي
اشترى ارضا بالف دينار وانا اشتري منك ارضا في الجنة بالف فتصدق به ثم بنى
اخوه دارا بالف فقال اللهم اني اشتري منك دارا في الجنة بالف فتصدق به
ثم تزوج اخوه امرأة بالف فقال اللهم اني جعلت الفا صداقا للحور ثم اشترى
اخوه خدما ومتاعا بالف فقال اللهم اني اشتريت منك الولدان المخلدين بالف فتصدق
به ثم اصابته حاجة فجلس لاخيه على طريقه فمرّ به في حشمه فتعرض له فطرده ووبخه
على التصدق بماله وقيل هما مثل لاخوين من بني مخزوم مؤمن وهو ابو سلمة عبد الله
بن عبد الاسد وكان زوج ام سلمة قبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكافر
وهو الاسود بن عبد الاسد جنتين من اعناب بساتين من كروم وحففناهما بنخل
وجعلنا النخل محيطا بالجنتين وهذا مما يؤثره الدهاقين في كرومهم ان يجعلوها
مؤزّرة بالاشجار المثمرة يقال حفوه اذا اطافوا به وحففته بهم اي جعلتهم حافين
حوله وهو متعد الى مفعول واحد فتزيده الباء مفعولا ثانيا كقولك غشيته وغشّيته
به وجعلنا بينهما زرعا جعلناها ارضا جامعة للاقوات والفواكه ووصف العمارة
بانها متواصلة متشابكة لم يتوسطها ما يقطعها ويفصل بينهما مع الشكل
الحسن والترتيب الانيق ونعتهما بوفاء الثمار وتمام الاكل من غير نقص ثم بما هو اصل
الخير ومادته من امر الشرب فجعله افضل ما يسقى به وهو السيح بالنهر الجاري
فيها والأُكل الثمر وقرئ بضم الكاف ولم تظلم ولم تنقص وآت حمل على اللفظ
لان كلتا لفظه مفرد ولو قيل آتتا على المعنى لجاز وقرئ وفجرنا على التخفيف
وقرأ عبد الله كل الجنتين آتى اكله برد الضمير على كل وكان له ثمر اي انواع من المال
من ثمر ماله اذا كثّره وعن مجاهد الذهب والفضة اي كانت له الى الجنتين الموصوفتين
الاموال الدثرة من الذهب والفضة وغيرهما فكان وافر اليسار من كل وجه متمكنا
من عمارة الارض كيف شاء واعز نفرا يعني انصارا وحشما وقيل اولادا ذكورا لانهم
ينفرون معه دون الاناث يحاوره يراجعه الكلام من حار يحور اذا رجع وسألته
فما احار كلمة يعني فطروس يطوف به في الجنتين ويريه ما فيهما
ويعجبه منهما ويفاخره بما ملك من المال دونه فان قلت لم افرد الجنة بعد
التثنية قلت معناه ودخل ما هو جنته ما له جنة غيرها يعني انه لا نصيب له
في الجنة التي وعد المتقون فما ملكه في الدنيا هو جنته لا غير ولم يقصد الجنتين
ولا واحدة منهما وهو ظالم لنفسه وهو معجب بما اوتي مفتخر به كافر لنعمة ربه معرّض

بذلك

بذلك نفسه لسخط الله وهو افحش الظلم اخباره عن نفسه بالشك في بيدودة
جنته لطول امله واستيلاء الحرص عليه وتمادي غفلته واغتراره بالمهلة واطراحه النظر
في عواقب امثاله وترى اكثر الاغنياء من المسلمين وان لم يطلقوا بنحو هذا ألسنتهم
فان ألسنة احوالهم ناطقة به منادية عليه ولئن رددت الى ربي اقسام منه على
انه ان رد الى ربه على سبيل الفرض والتقدير وكما يزعم صاحبه ليجدن في الآخرة خيرا
من جنته في الدنيا تطمعا وتمنيا على الله وادعاء لكرامته عليه ومكانته عنده وانه
ما اولاه الجنتين الا لاستحقاقه واستئهاله وان معه هذا الاستحقاق اين توجه
كقوله ان لي عنده للحسنى لاوتين مالا وولدا وقرئ خيرا منهما ردا على الجنتين منقلبا
مرجعا وعاقبة وانتصابه على التمييز اي منقلب تلك خير من منقلب هذه لانها فانية
وتلك باقية خلقك من تراب اي خلق اصلك لان خلق اصله سبب في خلقه فكان خلقه
خلقا له سواك عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعله كافرا بالله
جاحدا لانعمه لشكه في البعث كما يكون المكذب بالرسول كافرا لكنا هو الله ربي
اصله لكن انا فحذفت الهمزة والقيت حركتها على نون لكن فتلاقت النونان فكان
الادغام ونحوه قول القائل وترمينني بالطرف اي انت مذنب وتقلينني لكن اياك لا
اقلي اي لكن انا لا اقليك وهو ضمير الشان والشان الله ربي والجملة خبر انا
والراجع منها اليه ياء الضمير وقرأه ابن عامر باثبات الف انا في الوصل والوقف
جميعا وحسّن ذلك وقوع الالف عوضا من حذف الهمزة وغيره لا يثبتها الا في الوقف
وعن ابي عمرو انه وقف بالهاء لكنه وقرئ لكن هو الله ربي بسكون النون وطرح
انا وقرأ ابي بن كعب لكن انا على الاصل وفي قراءة عبد الله لكن انا لا اله الا هو ربي
فان قلت هو استدراك لماذا قلت لقوله اكفرت قال لاخيه انت كافر بالله لكني
مؤمن موحد كما تقول زيد غائب لكن عمرا حاضر ما شاء الله يجوز ان تكون ما موصولة
مرفوعة المحل على انها خبر مبتدأ محذوف تقديره الامر ما شاء الله او شرطية منصوبة الموضع
والجزاء محذوف بمعنى اي شيء شاء الله كان ونظيرها في حذف الجواب لو في قوله ولو ان قرآنا
سيّرت به الجبال والمعنى هلا قلت عند دخولها والنظر الى ما رزقك الله منها الامر ما
شاء الله اعترافا بانها وكل خير فيها انما حصل بمشيئة الله وفضله وان امرها بيده
ان شاء تركها عامرة وان شاء خرّبها وقلت لا قوة الا بالله اقرارا بان ما قويت به على
عمارتها وتدبير امرها هو بمعونته وتأييده اذ لا يقوى احد في بدنه ولا في ملك يده الا
بالله وعن عروة بن الزبير انه كان يثلم حائطه ايام الرطب فيدخل من شاء وكان اذا دخله
ردد هذه الآية حتى يخرج من قرأ اقل بالنصب فقد جعل انا فصلا ومن رفع جعله مبتدأ
واقل خبره والجملة مفعولا ثانيا لترني وفي قوله وولدا نصرة لمن فسر النفر بالاولاد
في قوله واعز نفرا والمعنى ان ترني افقر منك فانا اتوقع من صنع الله ان يقلب
ما بي وما بك من الفقر والغنى فيرزقني لايماني جنة خيرا من جنتك ويسلبك
لكفرك نعمته ويخرب بستانك والحسبان مصدر كالغفران والبطلان بمعنى الحساب
اي مقدارا قدره الله وحسبه وهو الحكم بتخريبها وقال الزجاج عذاب حسبان وذلك
الحسبان حسبان ما كسبت يداك وقيل حسبانا مرامي الواحدة حسبانة وهي

الصواعق **صعيدا زلقا** ارضا ملساء يزلق عليها باستيصال نباتها واشجارها او **يصبح ماؤها غورا** غائرا في الارض مصدر وصف به كالزلق **فلن تستطيع له طلبا** للماء الغائر ترددا في ردّه **واحيط بثمره** واهلك امواله حسبما توقعه صاحبه وانذره منه وهو معطوف على محذوف دل عليه السياق **فاصبح يقلب كفيه** ظهرا لبطن تلهفا وتحسرا **على ما انفق فيها** في عمارتها **وهي خاوية على عروشها** ساقطة عروشها على الارض

الضواعق **صعيدا زلقا** ارضا ملسا يزلق عليها لملاستها زلقا و **غورا** كلاهما وصف بالمصدر **واحيط** عبارة عن اهلاكه واصله من احاط به العدو لانه اذا احاط به فقد ملكه واستولى عليه ثم استعمل في كل اهلاك ومنه قوله تعالى الا ان يحاط بكم ومثله قولهم اتى عليه اذا اهلكه من اتى عليهم العدو اذا جاءهم مستعليا عليهم **ويقلب كفيه** كناية عن الندم والتحسر لان النادم يقلب كفيه ظهرا لبطن كما كنى عن ذلك بعض الكف والسقوط في اليد ولانه في معنى الندم عدّى تعديته بعلى كانه قيل فاصبح يندم **على ما انفق فيها** اى انفق في عمارتها **وهي خاوية على عروشها** يعني ان كرومها المعروشة سقطت عروشها على الارض وسقطت فوقها الكروم قيل ارسل الله عليها نارا فاكلتها **يا ليتني** تذكر موعظة اخيه وعلم انه اتى من جهة شركه وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركا حتى لا يهلك الله بستانه ويجوز ان يكون توبة من الشرك وندما على ما كان منه ودخولا في الايمان قرئ **ولم تكن** بالتاء والياء وحمل **ينصرونه** على المعنى دون اللفظ كقوله فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم فان قلت ما معنى قوله ينصرونه من دون الله قلت معناه يقدرون على نصرته من دون الله اى هو وحده القادر على نصرته لا يقدر احد غيره ان ينصره الا انه لم ينصره لصارف وهو استيجابه ان يخذل **وما كان منتصرا** وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله **الولاية** بالفتح النصرة والتولي وبالكسر السلطان والملك وقد قرئ بهما والمعنى **هنالك** اى في ذلك المقام وتلك الحال النصرة لله وحده لا يملكها غيره ولا يستطيعها احد سواه تقريرا لقوله ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله او هنالك السلطان والملك لله لا يغلب ولا يمتنع منه او في مثل تلك الحال الشديدة يتولى الله ويؤمن به كل مضطر يعني ان قوله يا ليتني لم اشرك بربي احدا كلمة الجئ اليها فقالها جزعا مما دهاه من شؤم كفره ولولا ذلك لم يقلها ويجوز ان يكون المعنى هنالك الولاية لله ينصر فيها اولياءه المؤمنين على الكفرة وينتقم لهم ويشفي صدورهم من اعدائهم يعني انه نصر فيما فعل بالكافر اخاه المؤمن وصدق قوله عسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء ويعضده قوله **هو خير ثوابا وخير عقبا** اى لاوليائه وقيل هنالك اشارة الى الاخرة اى في تلك الدار الولاية لله كقوله لمن الملك اليوم وقرئ الحق بالرفع والجر صفة للولاية ولله وقرا عمرو بن عبيد رحمه الله عليه ورضوانه بالنصب على التاكيد كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل وهي قراءة حسنة فصيحة وكان عمرو بن عبيد من افصح الناس وانصحهم وقرئ عقبا بضم القاف وسكونها وعقبى على فعلى وكلها بمعنى العاقبة **فاختلط به نبات الارض** فالتف بسببه وتكاثف حتى خالط بعضه بعضا وقيل نجع في النبات الماء فاختلط به حتى روى ورف رفيفا وكان حق اللفظ على هذا التفسير فاختلط بنبات الارض ووجه صحته ان كل مختلطين موصوف كل واحد منهما بصفة صاحبه **والهشيم** ما تهشم وتحطم الواحدة هشيمة وقرئ **تذروه الريح** وعن ابن عباس تذريه

الرياح من اذرى شبه حال الدنيا في نضرتها وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك والفناء بحال النبات يكون اخضر وارفا ثم يهيج فتطيره الرياح كان لم يكن **وكان الله على كل شيء** من الانشاء والافناء **مقتدرا** ‌**الباقيات الصالحات** اعمال الخير التي تبقى ثمرتها للانسان وتفنى عنه كل ما تطمح اليه نفسه من حظوظ الدنيا وقيل هي الصلوات الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وعن قتادة كل ما اريد به وجه الله **خير ثوابا** اى ما يتعلق بها من الثواب وما يتعلق بها من الامل لان صاحبها يامل في الدنيا ثواب الله ونصيبه في الاخرة قرئ **تسيّر** من سيّرت و نسيّر من سيرنا و تَسِير من سارت اى تسير في الجو او يذهب بها بان نجعل هباء منبثا وقرئ **وترى الارض** على البناء للمفعول **بارزة** ليس عليها ما يسترها مما كان عليها **وحشرناهم** وجمعناهم الى الموقف وقرئ **فلم نغادر** بالنون والياء يقال غادره واغدره اذا تركه ومنه الغدر ترك الوفاء والغدير ما غادره السيل ‌ شبهت حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان **صفا** مصطفين ظاهرين ترى جماعتهم كما يرى كل واحد لا يحجب احد احدا **لقد جئتمونا** اى قلنا لهم لقد جئتمونا وهذا المضمر هو العامل في النصب في يوم نسير ويجوز ان ينتصب باضمار اذكر والمعنى لقد بعثناكم كما انشاناكم **اول مرة** وقيل جئتمونا عراة لا شيء معكم كما خلقناكم اولا كقوله ولقد جئتمونا فرادى فان قلت لم جيء بحشرناهم ماضيا بعد نسير وترى قلت للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الاهوال والعظائم كانه قيل وحشرناهم قبل ذلك **موعدا** وقتا لانجاز ما وعدتم على السنة الانبياء من البعث والنشور **الكتاب** للجنس وهو صحف الاعمال **يا ويلتنا** ينادون هلكتهم التي هلكوها خاصة من بين الهلكات **صغيرة ولا كبيرة** هنة صغيرة ولا كبيرة وهي عبارة عن الاحاطة يعني لا يترك شيئا من المعاصي الا احصاه اى احصاها كلها كما تقول ما اعطاني قليلا ولا كثيرا لان الاشياء اما صغار واما كبار ويجوز ان يريد واما كان عندهم صغائر وكبائر وقيل لم يجتنبوا الكبائر فكتبت عليهم الصغائر وهي المناقشة وعن ابن عباس الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة وعن سعيد بن جبير الصغيرة المسيس والكبيرة الزنا وعن الفضيل كان اذا قراها قال ضجوا والله من الصغائر قبل الكبائر **الا احصاها** الا ضبطها وحصرها **ووجدوا ما عملوا حاضرا** في الصحف عتيدا او جزاء ما عملوا **ولا يظلم ربك احدا** فيكتب عليه ما لم يعمل او يزيد في عقابه المستحق او يعذبه بغير جرم كما يزعم من ظلم الله في تعذيب اطفال المشركين بذنوب ابائهم **كان من الجن** كلام مستانف جار مجرى التعليل بعد استثناء ابليس من الساجدين كان قائلا قال ما له لم يسجد فقيل كان من الجن **ففسق عن امر ربه** والفاء للتسبيب ايضا جعل كونه من الجن سببا في فسقه يعني انه لو كان ملكا كسائر من سجد لادم لم يفسق عن امر ربه لان الملائكة معصومون البتة لا يجوز عليهم ما يجوز على الجن والانس كما قال لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وهذا الكلام المعترض تعمد من الله عز وعلا لصيانة الملائكة عن وقوع شبهة في عصمتهم فما ابعد البون بين ما تعمده الله وبين

ذرّه

قول من قال انه كان ملكا ورئيسا على الملائكة فعصى فلعن ومسخ
شيطانا ثم ورّكه على ابن عباس رضي ومعنى ففسق عن امر ربه خرج عما امره به ربه
من السجود قال فسقت الرطبة عن قشرها اذا خرجت او صار فاسقا كافرا بسبب امر ربه
الذي هو قوله اسجدوا لادم افتتخذونه الهمزة للانكار والتعجيب كانه قيل اعقيب
ما وجد منه تتخذونه وذريته اولياء من دوني وتستبدلونهم بي بئس البدل
من الله ابليس لمن استبدله فاطاعه بدل طاعته ما اشهدتهم وقرئ ما اشهدناهم
يعني ابليس وذريته شركاء في العبادة وانما كانوا يكونون شركاء فيها لو كانوا
شركاء في الالهية فنفى مشاركتهم في الالهية بقوله ما اشهدتهم خلق
السموات والارض لاعتضد بهم في خلقها ولا خلق انفسهم اي ولا اشهدت
بعضهم خلق بعض كقوله ولا تقتلوا انفسكم وما كنت متخذ المضلين يعني
وما كنت متخذهم عضدا اي اعوانا فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم
بالاضلال فاذا لم يكونوا عضدا لي في الخلق فما لكم تتخذونهم شركاء لي في العبادة
وقرئ وما كنت بالفتح الخطاب لرسول الله والمعنى وما صح لك الاعتضاد بهم وما ينبغي
لك ان تعتز بهم وقرأ علي رضي الله عنه متخذا المضلين بالتنوين على الاصل وقرأ الحسن
عضدا بسكون الضاد ونقل ضمتها الى العين وقرئ عضدا بالفتح وسكون الضاد
وعضدا بضمتين وعضدا بفتحتين جمع عاضد كخادم وخدم وراصد ورصد من عضده
اذا قواه واعانه يقول بالياء والنون واضافة الشركاء اليه على زعمهم توبيخا لهم
واراد الجن والموبق المهلك من وبق يوبق وبوقا ووبق يوبق وبقا اذا هلك واوبقه
غيره ويجوز ان يكون مصدرا كالمورد والموعد يعني وجعلنا بينهم واديا من اودية جهنم
هو مكان الهلاك والعذاب الشديد مشتركا يهلكون فيه جميعا وعن الحسن موبقا
عداوة والمعنى عداوة هي في شدتها هلاك كقوله لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا
وقال الفراء البين الوصل اي وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا يوم القيامة ويجوز ان
يريد الملائكة وعزيرا وعيسى ومريم عليهم السلام وبالموبق البرزخ البعيد اي وجعلنا
بينهم امدا بعيدا يهلك فيه الاشواط لفرط بعده لانهم في قعر جهنم وهم في اعلى الجنان
فظنوا فايقنوا مواقعوها مخالطوها واقعون فيها مصرفا معدلا قال ازهير
هل عن شيبة من مصرف اكثر شيء جدلا اكثر الاشياء التي يتاتى منها الجدل ان فصلتها
واحدا بعد واحد خصومة ومماراة بالباطل وانتصاب جدلا على التمييز يعني ان جدل
الانسان اكثر من جدل كل شيء ونحوه فاذا هو خصيم مبين ان الاولى نصب والثانية
رفع وقبلها مضاف محذوف تقديره وما منع الناس الايمان والاستغفار
الا انتظار ان تاتيهم سنة الاولين وهي الاهلاك او انتظار ان ياتيهم العذاب يعني
عذاب الاخرة قبلا عيانا وقرئ قبلا انواعا جمع قبيل وقبلا بفتحتين مستقبلا
ليدحضوا ليزيلوا ويبطلوا من ادحاض القدم وهو ازلاقها وازالتها عن موطئها
وما انذروا يجوز ان تكون ما موصولة ويكون الراجع من الصلة محذوفا اي وما
انذروه من العقاب او مصدرية بمعنى وانذارهم وقرئ هزوا بالسكون اي اتخذوها
موضع استهزاء وجدالهم قولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائكة

وما اشبه

وما اشبه ذلك بآيات ربه بالقرآن ولذلك رجع اليها الضمير مذكرا في قوله ان
يفقهوه فاعرض عنها فلم يتذكر حين ذكر ولم يتدبر ونسي عاقبة ما قدمت يداه
من الكفر والمعاصي غير متفكر فيها ولا ناظر في ان المسيء والمحسن لا بد لهما من جزاء
علة اعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم وجمع بعد الافراد حملا على
لفظ من ومعناه فلن يهتدوا ولا يكون منهم اهتداء البتة كانه محال منهم لشدة تصميمهم
ابدا مدة التكليف كلها واذن جزاء وجواب فدل على انتفاء اهتدائهم لدعوة
الرسول صلى الله عليه وسلم بمعنى انهم جعلوا ما يجب ان يكون سبب وجود الاهتداء
سببا في انتفائه وعلى انه جواب للرسول على تقدير قوله ما لي لا ادعوهم حرصا على
اسلامهم فقيل وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا الغفور البليغ المغفرة ذو
الرحمة الموصوف بالرحمة ثم استشهد على ذلك بترك مؤاخذة اهل مكة عاجلا من
غير امهال مع افراطهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بل لهم موعد
وهو يوم بدر لن يجدوا من دونه موئلا منجى ولا ملجا يقال وال اذا نجا ووال اليه
اذا لجا اليه وتلك القرى يريد قرى الاولين من ثمود وقوم لوط وغيرهم اشار اليها
ليعتبروا وتلك مبتدا والقرى صفته لان اسماء الاشارة توصف باسماء الاجناس واهلكناهم
خبره ويجوز ان يكون تلك القرى نصبا باضمار اهلكنا على شريطة التفسير والمعنى
وتلك اصحاب القرى اهلكناهم لما ظلموا مثل ظلم اهل مكة وجعلنا لمهلكهم موعدا
وضربنا لاهلاكهم وقتا معلوما لا يستاخرون عنه كما جعلنا لاهل مكة يوم بدر
والمهلك الاهلاك او وقته وقرئ لمهلكهم بفتح الميم واللام مفتوحة او مكسورة
اي لهلاكهم او وقت هلاكهم والموعد وقت او مصدر لفتاه لعبده وفي الحديث ليقل
احدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وامتي وقيل هو يوشع بن نون وانما قيل فتاه لانه
كان يخدمه ويتبعه وقيل كان ياخذ منه العلم فان قلت لا ابرح ان كان بمعنى لا ازول
من برح المكان فقد دل على الاقامة لا على السفر وان كان بمعنى لا ازال فلا بد من الخبر
قلت هو بمعنى لا ازال وقد حذف الخبر لان الحال والكلام معا يدلان عليه اما الحال
فلانها كانت حال سفر واما الكلام فلان قوله حتى ابلغ مجمع البحرين غاية مضروبة
تستدعي ما هي غاية له فلا بد ان يكون المعنى لا ابرح اسير حتى ابلغ مجمع البحرين ووجه
اخر وهو ان يكون المعنى لا يبرح مسيري حتى ابلغ على ان حتى ابلغ هو الخبر فلما حذف
المضاف اقيم المضاف اليه مقامه وهو ضمير المتكلم فانقلب الفعل من لفظ الغائب
الى لفظ المتكلم وهو وجه لطيف ويجوز ان يكون المعنى لا ابرح ما انا عليه بمعنى
الزم المسير والطلب ولا اتركه ولا افارقه حتى ابلغ كما تقول لا ابرح المكان ومجمع
البحرين المكان الذي وعد فيه موسى لقاء الخضر عليهما السلام وهو ملتقى بحري
فارس والروم مما يلي المشرق وقيل طنجة وقيل افريقية ومن بدع التفاسير ان
البحرين موسى والخضر لانهما كانا بحرين في العلم وقرئ مجمع بكسر الميم وهو في
الشذوذ من يفعَل كالمشرق والمطلع من يفعُل او امضي حقبا او اسير زمانا
طويلا والحقب ثمانون سنة روي انه لما ظهر موسى على مصر مع بني اسرائيل
واستقروا بها بعد هلاك القبط امره الله ان يذكر قومه النعمة فقام فيهم خطيبا

فذكرهم نعمة الله وقال ان الله اصطفى نبيكم وكلمه فقالوا له قد علمنا هذا فاى الناس
اعلم قال انا فعتب الله عليه حين لم يرد العلم الى الله فاوحى الله اليه بل اعلم منك
عبد لي عند مجمع البحرين وهو الخضر وكان الخضر في ايام افريدون وقبل موسى وكان على
مقدمة ذي القرنين الاكبر وبقي الى ايام موسى وقيل ان موسى سال ربه اي
عبادك احب اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فاى عبادك اقضى قال الذي
يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فاي عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى
ان يصيب كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى فقال ان كان في عبادك من هو اعلم مني
فادللني عليه قال اعلم منك الخضر قال فاين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة
قال يا رب كيف لي به قال تاخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه
اذا فقدت الحوت فاخبرني فذهبا يمشيان فرقد موسى فاضطرب الحوت ووقع في
البحر فلما جاء وقت الغداء طلب موسى الحوت فاخبره فتاه بوقوعه في البحر فاتيا
الصخرة فاذا رجل مسجى بثوبه فسلم عليه موسى فقال وانى بارضنا السلام فعرفه
نفسه فقال يا موسى انا على علم علمنيه الله لا تعلمه انت وانت على علم علمكه الله
لا اعلمه انا فلما ركبا السفينة جاء عصفور فوقع على حرفها فنقر في الماء
فقال الخضر ما نقص علمي وعلمك من علم الله مقدار ما اخذ هذا العصفور من
البحر نسيا حوتهما اي نسيا تفقد امره وما يكون منه مما جعل امارة على الظفر
بالطلبة وقيل نسي يوشع ان يقدمه ونسي موسى ان يامره فيه بشيء وقيل كان
الحوت سمكة مملوحة وقيل ان يوشع حمل الحوت والخبز في المكتل فنزلا ليلا
على شاطئ عين تسمى عين الحياة ونام موسى فلما اصاب السمكة روح الماء وبرده
عاشت وروي انهما اكلا منها وقيل توضأ يوشع من تلك العين فانتضح الماء على
الحوت فعاش ووقع في الماء سربا امسك الله جرية الماء على الحوت فصار عليه
مثل الطاق وحصل منه في مثل السرب معجزة لموسى او للخضر فلما جاوزا الموعد
وهو الصخرة لنسيان موسى تفقد امر الحوت وما كان منه ونسيان يوشع
ان يذكر لموسى ما راى من حيوته ووقوعه في البحر وقيل سارا بعد مجاوزة الصخرة
الليلة والغد الى الظهر والقى على موسى النصب والجوع حين جاوز الموعد ولم
ينصب ولا جاع قبل ذلك فتذكر الحوت وطلبه وقوله من سفرنا هذا اشارة
الى مسيرهما وراء الصخرة فان قلت كيف نسي يوشع ذلك ومثله لا ينسى لكونه
امارة لهما على الطلبة التي تناهضا من اجلها ولكونه معجزتين ثنتين
وهما حياة السمكة المملوحة الماكول منها وقيل ما كانت الا شق سمكة وقيام
الماء وانتصابه مثل الطاق ونفوذها في مثل السرب منه ثم كيف استمر به النسيان
حتى خلفا الموعد وسارا مسيرة ليلة الى ظهر الغد وحتى طلب موسى عليه السلام
الحوت قلت قد شغله الشيطان بوساوسه فذهب بفكره كل مذهب حتى
اعتراه النسيان وانضم الى ذلك انه ضري بمشاهدة امثاله عند موسى من
العجائب واستانس باخوانه فاعان الالف على قلة الاهتمام ارايت بمعنى اخبرني فان
قلت ما وجه التئام هذا الكلام فان كل واحد من ارايت واذ اوينا وفاني

نسيت الحوت لا متعلق له قلت لما طلب موسى الحوت ذكر يوشع ما راى منه وما
اعتراه من نسيانه الى تلك الغاية فدهش وطفق يسال موسى عن سبب ذلك كانه قال
ارايت ما دهاني اذ اوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت فحذف ذلك وقيل هي الصخرة
التي دون نهر الزيت وما انسانيه الا ان اذكره بدل من الهاء في انسانيه اي وما انساني ذكره
الا الشيطان وفي قراءة عبد الله ان اذكركه وعجبا ثاني مفعولي اتخذ مثل سربا يعني
واتخذ سبيله سبيلا عجبا وهو كونه شبيه السرب وقيل عجبا آخر كلامه تعجبا من
حاله في رؤية تلك العجيبة ونسيانه لها او مما راى من المعجزتين وقوله وما انسانيه
الا الشيطان ان اذكره اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وقيل انه عجبا حكاية
لتعجب موسى وليس بذاك قال ذلك اشارة الى اتخاذه سبيلا اي ذلك الذي كنا نطلب لانه
امارة الظفر بالطلبة من لقاء الخضر قرئ نبغ بغير ياء في الوصل واثباتها احسن
وهي قراءة ابي عمرو واما الوقف فالاكثر فيه الطرح اتباعا للخط المصحف فارتدا
فرجعا في ادراجهما قصصا يقصان قصصا اي يتبعان اثرهما اتباعا او فارتدا
مقتصين رحمة من عندنا هي الوحي والنبوة من لدنا مما يختص بنا من العلم وهو الاخبار
عن الغيوب رشدا قرئ بفتحتين وبضمة وسكون اي علما ذا رشد ارشد به في ديني
فان قلت اما دلت حاجته الى التعلم من آخر في عهده انه كما قيل موسى بن ميشا لا
موسى بن عمران لان النبي يجب ان يكون اعلم اهل زمانه وامامهم المرجوع اليه في ابواب
الدين قلت لا غضاضة بالنبي في اخذ العلم من نبي مثله وانما يغض منه ان ياخذه ممن دونه
وعن سعيد بن جبير انه قال لابن عباس ان نوفا ابن امراة كعب يزعم ان الخضر ليس
بصاحب موسى وان موسى هو موسى بن ميشا فقال كذب عدو الله نفي استطاعة
الصبر معه على وجه التاكيد كانها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك بانه يتولى امورا
هي في ظاهرها مناكير والرجل الصالح وكيف اذا كان نبيا لا يتمالك ان يشمئز ويمتعض
ويجزع اذا راى ذلك وياخذ في الانكار خبرا تمييز اي لم يحط به خبرك او لانه لم يحط
به بمعنى لم تخبره فنصبه نصب المصدر ولا اعصي في محل النصب عطف على صابرا
اي ستجدني صابرا وغير عاص او لا في محل عطفا على ستجدني رجا موسى عليه السلام
لحرصه على العلم وازدياده ان يستطيع معه صبرا بعد افصاح الخضر عليه السلام عن
حقيقة الامر فوعده الصبر معلقا بمشيئة الله علما منه بشدة الامر وصعوبته وان
الحمية التي تاخذ المصلح عند مشاهدة الفساد شيء لا يطاق هذا مع علمه ان النبي المعصوم
الذي امره الله بالمسافرة اليه واتباعه واقتباس العلم منه بريء من ان يباشر
ما فيه غميزة في الدين وانه لا بد لما يستسمج ظاهره من باطن حسن جميل فكيف اذا لم تعلم
قرئ فلا تسالني بالنون الثقيلة يعني ان شرط اتباعك لي انك اذا رايت مني شيئا
وقد علمت انه صحيح الا انه خفي عليك وجه صحته فحميت وانكرت في نفسك ان لا تفاتحني
به بالسؤال ولا تراجعني فيه حتى اكون انا الفاتح عليك وهذا من ادب المتعلم مع
العالم والمتبوع مع التابع فانطلقا على ساحل البحر يطلبان السفينة فلما ركباها
قال اهلها هما من اللصوص وامروهما بالخروج فقال صاحب السفينة ارى وجوه الا
وقيل عرفوا الخضر فحملوهما بغير نول فلما لججوا اخذ الخضر الفاس فخرق السفينة بان

آثارهما

بنبيا

فلع لوحين من الواحها مما يلي الما فجعل موسى يسد الخرق بثيابه ويقول اخرقتها
لتغرق اهلها وقرى لتغرق بالتشديد وليغرق اهلها من غرق واهلها مرفوع
جيت شيا امرا اتيت شيا عظيما من امر الامر اذا عظم قال داهية دهيا ادا امرا
بما نسيت بالذي نسيته او بشي نسيته او بنسياني اراد انه نسي وصيته ولا مواخذة
على الناسي او اخرج الكلام في معرض النهي عن المواخذة بالنسيان يوهمه انه قد نسي
ليبسط عذره في الانكار وهو من معاريض الكلام التي يتقى بها الكذب مع التوصل
الى الغرض كقول ابرهيم عليه السلم هذه اختي واني سقيم او اراد بالنسيان الترك اي
لا تواخذني بما تركت من وصيتك اول مرة يقال رهقه اذا غشيه وارهقه اياه
اي ولا تغشني عسرا من امري وهو اتباعه اياه يعني ولا تعسر علي متابعتك
ويسرها علي بالاغضا وترك المناقشة وقرى عسرا بضمتين فقتله قيل كان قتله
فتل عنقه وقيل ضرب براسه الحايط وعن سعيد بن جبير اضجعه ثم ذبحه بالسكين
فان قلت لم قيل حتى اذا ركبا في السفينة خرقها بغير فا وحتى اذا لقيا غلاما
فقتله بالفا قلت جعل خرقها جزا للشرط وجعل قتله من جملة الشرط معطوفا
عليه والجزا قال اقتلت فان قلت فلم خولف بينهما قلت لان خرق السفينة لم
يعقب الركوب وقد تعقب القتل لقا الغلام وقرى زاكية وزكية وهي الطاهرة
من الذنوب اما لانها طاهرة عنده لانه لم يرها قد اذنبت واما لانها صغيرة لم
تبلغ الحنث بغير نفس يعني لم تقتل نفسا فيقتص منها وعن ابن عباس ان نجدة
الحروري كتب اليه كيف جاز قتله وقد نهى رسول الله صلعم عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت
من حال الولدان ما علم عالم موسى فلك ان تقتل نكرا وقرى بضمتين وهو
المنكر وقيل النكر اقل من الامر لان قتل نفس واحدة اهون من اغراق اهل
السفينة وقيل معناه جيت شيا انكر من الاول لان ذلك كان خرقا يمكن تداركه
بالسد وهذا لا سبيل الى تداركه فان قلت ما معنى زيادة لك قلت زيادة المكافحة
بالعتاب على رفض الوصية والوسم بقلة الصبر عند الكرة الثانية بعدها
بعد هذه الكرة او المسالة فلا تصاحبني فلا تقاربني وان طلبت صحبتك فلا
تتابعني على ذلك وقرى فلا تصحبني فلا تكن صاحبي وقرى فلا تصحبني اي فلا تصحبني
اياك ولا تجعلني صاحبك من لدني عذرا قد اعذرت وقرى لدني بتخفيف النون
ولدني بسكون الدال وكسر النون كقولهم في عضد عضد وعن النبي صلى الله عليه
رحم الله اخي موسى استحيى فقال ذلك وقال رحمة الله علينا وعلى اخي موسى لو
لبث مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب اهل قرية هي انطاكية وقيل الابلة
وهي ابعد ارض الله من السما ان يضيفوهما وقرى يضيفوهما يقال ضافه اذا
كان له ضيفا وحقيقته مال اليه من ضاف السهم عن الغرض ونظيره زاره من
الازورار واضافه وضيفه انزله وجعله ضيفه وعن النبي صلى الله عليه وسلم
كانوا اهل قرية لياما وقيل شر القرى التي لا يضاف الضيف فيها ولا يعرف لابن السبيل
حقه يريد ان ينقض استعيرت الارادة للمداناة والمشارفة كما استعير الهم
والعزم لذلك قال الراعي في مهمه قلقت بها هاماتها قلق الفوس اذا اردن نصولا

وقال

كتب اليه ح

حرء

الضيف ح

وقال يريد الرمح صدر ابي برا ويرغب عن دما بني عقيل وقال حسان
ان دهرا يلف شملي بجمل لزمان يهم بالاحسان وسمعت من يقول عزم السراج
ان يطفا وطلب ان يطفا واذا كان القول والنطق والشكاية والصدق والكذب
والسكوت والتمرد والابا والعزة والطواعية وغير ذلك مستعارة للجماد
ولما لا يعقل فما بال الارادة قال اذ قالت الانساع للبطن الحق تقول سني
للنواة طني لا ينطق اللهو حتى ينطق العود وشكا الي جملي طول السرى ان يك
طني صادقا وهو صادقي ولما سكت عن موسى الغضب تمرد مارد وعز الابلق
ولبعضهم يابى على اجفانه اغفاءة هم اذا انقاد الهموم تمردا ابن الروادف
والثدي لقمصها مس البطون وان تمس ظهورا فالما اسا طايعين ولقد
بلغني ان بعض المحرفين لكلام الله ممن لا يعلم كان يجعل الضمير للخضر لان ما كان
فيه من افة الجهل وسقم الفهم اراه اعلى الكلام طبقة ادناه منزلة فتمحل ليرده
الى ما هو عنده اصح وافصح وعنده ان ما كان عنده ابعد من المجاز كان ادخل
في الاعجاز وانقض اذا اسرع سقوطه من انقضاض الطاير وهو انفعل مطاوع
قضضته وقيل افعل من النقض كاحمر من الحمرة وقرى ان ينقض من النقض
وان ينقاص من انقاصت السن اذا انشقت طولا قال ذو الرمة منقاص
ومنكثب بالصاد غير معجمة فاقامه قيل اقامه بيده وقيل مسحه بيده فقام
واستوى وقيل اقامه بعمود عمده به وقيل نقضه وبناه وقيل كان طول
الجدار في السما مائة ذراع كانت الحال حال اضطرار وافتقار الى المطعم وقد
لزتهما الحاجة الى اخر كسب المرء وهو المسالة فلم يجدوا مواسيا فلما اقام الجدار
لم يتمالك موسى لما راى من الحرمان ومساس الحاجة ان قال لو شيت لاتخذت عليه
اجرا وطلبت على عملك جعلا حتى ننتعش به ونستدفع به الضرورة وقرى
لتخذت والتا في تخذ اصل كما في تبع واتخذ افتعل منه كاتبع من تبع وليس من
الاخذ في شي فان قلت هذا اشارة الى ماذا قلت قد تصور فراق بينهما
عند حلول ميعاده على ما قال موسى عليه السلم ان سالتك عن شي بعدها فلا
تصاحبني فاشار اليه وجعله مبتدا واخبر عنه كما تقول هذا اخوك فلا يكون
هذا اشارة الى غير الاخ ويجوز ان يكون اشارة الى السوال الثالث اي هذا
الاعتراض سبب الفراق والاصل هذا فراق بيني وبينك وقد قرا به ابن ابي
عبلة فاضيف المصدر الى الظرف كما يضاف الى المفعول به لمساكين
قيل كانت لعشرة اخوة خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون في البحر وراءهم
امامهم كقوله ومن ورايهم برزخ وقيل خلفهم وكان طريقهم في رجوعهم عليه
وما كان عندهم خبره فاعلم الله به الخضر وهو جلندى فان قلت قوله فاردت
ان اعيبها مسبب عن خوف الغصب عليها فكان حقه ان يتاخر عن السبب
فلم قدم عليه قلت النية به التاخير وانما قدم للعناية ولان خوف الغصب
ليس هو السبب وحده ولكن مع كونها للمساكين فكان بمنزلة قولك زيد ظني مقيم
وقيل في قراة ابي وعبد الله كل سفينة صالحة قرا الجحدري فكان ابواه مومنان
على ان كان فيه ضمير الشان فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا فخفنا ان يغشي

فيحمل

عن ح

الوالدين المؤمنين طغياناً وكفراً عليهما وكفراً لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه
ويلحق بهما شراً وبلاءً أو يعديهما بدائه طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان
وطاغ كافر أو يعديهما بدائه ويضلهما بضلاله فيرتدا بسببه ويطغيا ويكفرا بعد
الإيمان وإنما خشي منه الخضر ذلك لأن الله عز وعلا أعلمه بحاله وأطلعه على سر أمره
وأمره إياه بقتله كاخترامه لمفسدة عرفها في حياته وفي قراءة أبي فخاف
ربك والمعنى فكره ربك كراهة من خاف سوء عاقبة الأمر فغيّره ويجوز أن يكون
قوله فخشينا حكاية لقول الله عز وجل بمعنى فكرهنا كقوله لأهب لك
وقرئ يبدلهما بالتشديد والزكاة الطهارة والنقاء من الذنوب والرحم الرحمة
والعطف وروي أنه ولدت لهما جارية تزوجها نبي فولدت نبياً هدى الله على
يديه أمة من الأمم وقيل ولدت سبعين نبياً وقيل أبدلهما ابناً مؤمناً مثلهما
قيل اسما الغلامين أصرم وصريم والغلام المقتول اسمه الحيسور واختلف في
الكنز فقيل مال مدفون من ذهب وفضة وقيل لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت
لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن
يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف
الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها لا إله إلا الله محمد رسول الله
وقيل صحف فيها علم والظاهر لإطلاقه أنه مال وعن قتادة أحل الكنز
لمن قبلنا وحرم علينا وحرمت الغنيمة عليهم وأحلت لنا أراد قوله والذين
يكنزون الذهب وكان أبوهما صالحاً اعتداد بصلاح أبيهما وحفظ لحقه فيهما ٥
وعن جعفر بن محمد كان بين الغلامين وبين الأب الذي حفظا به سبعة آباء وعن
الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه قال لبعض الخوارج في كلام جرى بينهما بم حفظ
الله مال الغلامين قال بصلاح أبيهما قال فأبي وجدي خير منه فقال قد أنبأنا
الله أنكم قوم خصمون رحمة مفعول له أو مصدر منصوب بأراد ربك لأنه في
معنى رحمهما وما فعلته وما فعلت ما رأيت عن أمري عن اجتهادي ورأيي وإنما
فعلته بأمر الله ذو القرنين هو الإسكندر الذي ملك الدنيا قيل ملكها مؤمنان
ذو القرنين وسليمان وكافران نمرود وبخت نصر وكان بعد نمرود ٥٥
واختلف فيه فقيل كان عبداً صالحاً ملكه الله الأرض وأعطاه العلم والحكمة
وألبسه الهيبة وسخر له النور والظلمة فإذا سرى يهديه النور من أمامه
وتحوطه الظلمة من ورائه وقيل نبياً وقيل ملكاً من الملائكة وعن عمر رضي الله عنه
أنه سمع رجلاً يقول يا ذا القرنين فقال اللهم غفراً أما رضيتم أن تسموا بأسماء
الأنبياء حتى تسميتم بأسماء الملائكة وعن علي رضي الله عنه سخر له السحاب ومدت
له الأسباب وبسط له النور وسئل عنه فقال أحب الله فأحبه وسأله ابن الكواء
ما ذو القرنين أملك أم نبي فقال ليس بملك ولا نبي ولكن كان عبداً صالحاً ضرب
على قرنه الأيمن في طاعة الله فمات ثم بعثه الله فضرب على قرنه الأيسر فمات فبعثه
الله فسمي ذا القرنين وفيكم مثله قيل كان يدعوهم إلى التوحيد فيقتلونه فيحييه الله
وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سمي ذا القرنين لأنه طاف قرني الدنيا يعني جانبيها
شرقها وغربها وقيل كان له قرنان أي ضفيرتان وقيل انقرض في وقته

قرنان

قرنان من الناس وعن وهب لأنه ملك الروم وفارس وروي الروم والترك وعنه كانت
صفحتا رأسه من نحاس وقيل كان لتاجه قرنان وقيل كان على رأسه ما يشبه القرنين
ويجوز أن يلقب بذلك لشجاعته كما يسمى الشجاع كبشاً كأنه ينطح أقرانه وكان من
الروم ولد عجوز ليس لها ولد غيره والسائلون هم اليهود سألوه على جهة الامتحان
وقيل سأله أبو جهل وأشياعه والخطاب في عليكم لأحد الفريقين من كل شيء
أي من أسباب كل شيء أراده من أغراضه ومقاصده في ملكه سبباً طريقاً موصلاً
إليه والسبب ما يتوصل به إلى المقصود من علم أو قدرة أو آلة فأراد بلوغ المغرب
فأتبع سبباً يوصله إليه حتى بلغ وكذلك أراد المشرق فأتبع سبباً وأراد بلوغ
السدين فأتبع سبباً وقرئ فاتبع قرئ حمئة من حمئت البئر إذا صارت فيها الحمأة
وحامية بمعنى حارة وعن أبي ذر رضي الله عنه كنت رديف رسول الله صلى الله عليه
على جمل فرأى الشمس حين غابت فقال أتدري يا أبا ذر أين تغرب هذه قلت الله
ورسوله أعلم قال فإنها تغرب في عين حامية وهي قراءة ابن مسعود وطلحة وابن
عمر وابن عمرو والحسن وقرأ ابن عباس حمئة وكان ابن عباس عند معاوية فقرأ
معاوية حامية فقال ابن عباس حمئة فقال معاوية لعبد الله بن عمرو كيف تقرأ قال
كما يقرأ أمير المؤمنين ثم وجه إلى كعب الأحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء
وطين كذلك نجده في التوراة وروي في ثأط فوافق قول ابن عباس وكان ثم رجل
فأنشد قول تبع ٥ فرأى مغيب الشمس عند مآبها في عين ذي خلب وثأط حرمد ٥
أي في عين ماء ذي طين وحمأة أسود ولا تنافي بين الحمئة والحامية فجائز أن تكون
العين جامعة للوصفين جميعاً ٥ كانوا كفرة فخيره الله بين أن يعذبهم بالقتل أو
يدعوهم إلى الإسلام فاختار الدعوة والاجتهاد في استمالتهم فقال أما
من دعوته فأبى إلا البقاء على الظلم العظيم الذي هو الشرك فذاك هو المعذب
في الدارين وأما من آمن وعمل ما يقتضيه الإيمان فله جزاء الحسنى وقيل خيره بين
القتل والأسر وسماه إحساناً في مقابلة القتل فله جزاء الحسنى فله أن يجازى
المثوبة الحسنى أو فله جزاء الفعلة الحسنى التي هي كلمة الشهادة وقرئ فله
جزاءً الحسنى أي فله الفعلة الحسنى جزاءً وعن قتادة كان يطبخ من كفر في القدور
وهو العذاب النكر ومن آمن أعطاه وكساه من أمرنا يسراً أي لا نأمره
بالصعب الشاق ولكن بالسهل المتيسر من الزكاة والخراج وغير ذلك وتقديره
ذا يسر كقوله قولاً ميسوراً وقرئ يسراً بضمتين وقرئ مطلع بفتح اللام وهو
مصدر والمعنى بلغ مكان مطلع الشمس كقوله كأن مجر الرامسات ذيولها ٥
يريد كأن آثار مجر الرامسات على قوم قيل هم الزنج والستر الأبنية وعن كعب أرضهم
لا تمسك الأبنية وبها أسراب فإذا طلعت الشمس دخلوها فإذا ارتفع النهار خرجوا
إلى معايشهم وعن بعضهم خرجت حتى جاوزت الصين فسألت عن هؤلاء فقيل بينك
وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فإذا أحدهم يفرش أذنه ويلبس الأخرى ومعي صاحب
يعرف لسانهم فقالوا له جئتنا تنظر كيف تطلع الشمس قال فبينا نحن كذلك إذ
سمعنا كهيئة الصلصلة فغشي علي ثم أفقت وهم يمسحونني بالدهن فلما طلعت الشمس
على الماء إذا هي فوق الماء كهيئة الزيت فأدخلونا سرباً لهم فلما ارتفع النهار خرجوا

الى البحر فجعلوا يصطادون السمك ويطرحونه فى الشمس فينضج لهم وقيل الستر
اللباس وعن مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس اكثر من
جميع الارض كذلك اى امر ذى القرنين كذلك اى كما وصفناه تعظيما لامره وقد
احطنا بما لديه من الجنود والالات واسباب الملك خبرا بكثرة ذلك وقيل لم
نجعل لهم من دونها سترا مثل ذلك الستر الذى جعلنا لكم من الجبال والحصون
والابنية والاكنان من كل جنس والثياب من كل صنف وقيل بلغ مطلع الشمس
مثل ذلك اى كما بلغ مغربها وقيل تطلع على قوم مثل ذلك القبيل الذى تغرب
عليهم يعنى انهم كفرة مثلهم وحكمهم مثل حكمهم فى تعذيبه لمن بقى منهم على الكفر
واحسانه الى من امن منهم بين السدين بين الجبلين وهما جبلان سد ذو القرنين
ما بينهما وقرئ بالضم والفتح وقيل ما كان من خلق الله سبحانه فهو مضموم وما
كان من عمل العباد فهو مفتوح لان السد بالضم فعل بمعنى مفعول اى هو مما
فعله الله وخلقه والسد بالفتح مصدر حدث يحدثه الناس وانتصب على انه
مفعول به مبلوغ على انه كما انجر على الاضافة فى قوله هذا فراق بينى وبينك
وكما ارتفع فى قوله لقد تقطع بينكم لانه من الظروف التى تستعمل اسما وظروفا
وهذا المكان فى منقطع ارض الترك مما يلى المشرق من دونهما قوما هم
الترك لا يكادون يفقهون قولا لا يكادون يفهمونه الا بجهد ومشقة من
اشارة ونحوها كما يفهم البكم وقرئ يفقهون اى لا يفهمون السامع كلامهم
ولا يبينونه لان لغتهم غريبة مجهولة ياجوج وماجوج اسمان اعجميان بدليل
منع الصرف وقرئا مهموزين وقرأ رؤبة اجوج وماجوج وهما من ولد يافث
وقيل ياجوج من الترك وماجوج من الجيل والديلم مفسدون فى الارض قيل كانوا
ياكلون الناس وقيل كانوا يخرجون ايام الربيع فلا يتركون شيئا اخضر الا اكلوه
ولا يابسا الا احتملوه وكانوا يلقون منهم قتلا واذى شديدا وعن رسول الله صلى
الله عليه وسلم فى صفتهم لا يموت احد منهم حتى ينظر الى الف ذكر من صلبه
كلهم قد حمل السلاح وقيل هم على صنفين طوال مفرطوا الطول وقصار مفرطوا
القصر قرئ خرجا وخراجا اى جعلا نخرجه من اموالنا ونظيرهما النول
والنوال وقرئ سدا وسدا بالفتح والضم ما مكنى فيه ربى خير ما جعلنى
فيه مكينا من كثرة المال واليسار خير مما تبذلون لى من الخراج فلا حاجة لى اليه
كما قال سليمان صلوات الله عليه فما اتانى الله خير مما اتاكم قرئ بالادغام
وبفكه فاعينونى بقوة بفعلة وصناع يحسنون البناء والعمل بالالات ردما
حاجزا حصينا موثقا والردم اكبر من السد من قولهم ثوب مردم رقاع فوق رقاع
قيل حفر الاساس حتى بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان
من زبر الحديد بينهما الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين الى اعلاهما ثم وضع
المنافيخ حتى اذا صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمى فاختلط
والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا وقيل بعد ما بين السدين مائة فرسخ
وقرئ سوى وسووى وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا اخبره به
فقال كيف رأيته قال كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء قال قد رأيته

سوى وسووى

والصدفان بين جانبى الجبلين لانهما يتصادفان اى يتقابلان وقرئ الصدفين
بضمتين والصدفين بضمة وسكون والصدفين بفتحة وضمة والقطر النحاس
المذاب لانه يقطر وقطرا منصوب بافرغ وتقديره اتونى قطرا افرغ عليه قطرا
فحذف الاول لدلالة الثانى عليه وقرئ قال ائتونى اى جيئونى فما اسطاعوا
بحذف التاء للخفة لان التاء قريبة المخرج من الطاء وقرئ فما اصطاعوا بقلب السين
صادا واما من قرأ بادغام التاء فى الطاء فلاق بين ساكنين على غير حده ان يظهروه
ان يعلوه اى لا حيلة لهم فيه من صعود لارتفاعه وانملاسه ولا نقب لصلابته وثخانته
هذا اشارة الى السد اى هذا السد نعمة من الله ورحمة على عباده او هذا الاقدار
والتمكين من تسويته فاذا جاء وعد ربى يعنى فاذا دنا مجئ يوم القيمة وشارف
ان ياتى جعل السد دكا اى مدكوكا مبسوطا مسوى بالارض وكل ما انبسط بعد
ارتفاع فقد اندك ومنه الجمل الادك المنبسط السنام وقرئ دكاء بالمد اى
ارضا مستوية وكان وعد ربى حقا اخر حكاية قول ذى القرنين وتركنا
وجعلنا بعضهم بعض الخلق يموج فى بعض اى يضطربون ويختلطون انسهم
وجنهم حيارى ويجوز ان يكون الضمير لياجوج وماجوج وانهم يموجون حين
يخرجون مما وراء السد مزدحمين فى البلاد وروى ياتون البحر فيشربون ماءه
وياكلون دوابه ثم ياكلون الشجر ومن ظفروا به ممن لم يتحصن منهم من الناس ولا
يقدرون ان ياتوا مكة والمدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله عز وجل نغفا
فى اقفائهم فيدخل فى اذانهم فيموتون وعرضنا جهنم وبرزناها لهم فراوها وشاهدوها
عن ذكرى عن اياتى التى ينظر اليها فاذكر بالتعظيم او عن القران وتامل
معانيه وتبصرها ونحوه صم بكم عمى وكانوا لا يستطيعون سمعا يعنى وكانوا صما عنه
الا انه ابلغ لان الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح به وهؤلاء كانهم اصميت
اسماعهم فلا استطاعة بهم للسمع عبادى من دونى اولياء هم الملائكة يعنى
انهم لا يكونون لهم اولياء كما حكى عنهم سبحانك انت ولينا من دونهم وقرأ ابن مسعود
افظن الذين كفروا وقرأ على رضى الله عنه افحسب الذين كفروا اى اوكافيهم
ومحسبهم ان يتخذوهم اولياء على الابتداء والخبر او على الفعل والفاعل لان اسم الفاعل
اذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل فى العمل كقولك اقائم الزيدان والمعنى ان
ذلك لا يكفيهم ولا ينفعهم عند الله كما حسبوا وهى قراءة محكمة جيدة نزلا ما يقام
للنزيل وهو الضيف ونحوه فبشرهم بعذاب اليم ضل سعيهم ضاع وبطل وهم الرهبان
عن على رضى الله عنه كقوله عاملة ناصبة وعن مجاهد اهل الكتاب وعن
على رضى الله عنه ان ابن الكوا ساله عنهم فقال منهم اهل حروراء وعن ابى
سعيد الخدرى ياتى ناس باعمال يوم القيمة هى عندهم فى العظم كجبال تهامة
فاذا وزنوها لم تزن شيئا فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا فنزدرى بهم ولا
يكون لهم عندنا وزن ومقدار وقيل لا نقيم لهم ميزانا لان الميزان انما يوضع لاهل
الحسنات والسيئات من الموحدين وقرئ فلا يقيم بالياء فان قلت الذين ضل
سعيهم ما موضعه اى محل هو قلت الاوجه ان يكون فى محل الرفع على هم
الذين ضل سعيهم لانه جواب عن السؤال ويجوز ان يكون نصبا على الذم وجرا على

ثخانته

وشاهدوها

على البدل جهنم عطف بيان لقوله حولا وهو الحول التحول يقال حال من مكانه حولا
كقولك عادني حبها عودا انتفى لا مزيد عليهما حتى تنازعهم انفسهم الى اجمع لاغراضهم
واماانيهم وهذه غاية الوصف لان الانسان في الدنيا في اي نعيم كان فهو طامح
الطرف الى ارفع منه ويجوز ان يراد نفي التحول وتاكيد الخلود المداد اسم ما تمد به
الدواة من الحبر وما تمد به السراج من السليط ويقال السماد مداد الارض
والمعنى لو كتبت كلمات علم الله وحكمته وكان البحر مدادا لها والمراد بالبحر
الجنس لنفد البحر قبل ان تنفد الكلمات ولو جئنا بمثل البحر مددا لنفد ايضا
والكلمات غير نافدة ومددا تمييز كقولك لي مثله رجلا والمدد مثل المداد
وهو ما يمد به وعن ابن عباس بمثله مدادا وقرا الاعرج مددا بكسر الميم جمع مدة
وهي ما يستمده الكاتب فيكتب به وقرئ ينفد بالياء وقيل قال حيي بن اخطب
في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ثم تقرءون وما اوتيتم من العلم
الا قليلا فنزلت يعني ان ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله
فمن كان يرجو لقاء ربه فمن كان يامل حسن لقاء ربه وان يلقاه لقاء رضا وقبول
وقد فسرنا اللقاء او فمن كان يخاف سوء لقائه والمراد بالنهي عن الاشراك
بالعبادة ان لا يرائي بعمله وان لا يبتغي به الا وجه ربه خالصا لا يخلط به
غيره وقيل نزلت في جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اني لاعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرني فقال ان الله لا يقبل ما شورك
فيه وروى انه قال لك اجران اجر السر واجر العلانية وذلك
اذا قصد ان يقتدى به وعنه عليه السلام اتقوا الشرك الاصغر
قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة الكهف من اخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه
ومن قراها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء وعنه عليه السلام من قرا عند
مضجعه قل انما انا بشر مثلكم كان له في مضجعه نورا يتلالا الى مكة حشو
ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وان كان مضجعه بمكة كان
له نورا يتلالا من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة
يصلون عليه حتى يستيقظ ۞ ۞

وا

سورة مريم مكية وهي تسعون وثماني او تسع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

فتح الهاء وكسر اليا حمزة وبكسرهما عاصم وبضمهما الحسن وقرا الحسن ذكر رحمة ربك اي
هذا المتلو من القران ذكر رحمة ربك وقرى ذكر على الامر راعى سنة الله في اخفاء دعوته
لان الجهر والاخفاء عند الله سيان فكان الاخفاء اولى لانه ابعد من الريا وادخل في الاخلاص
وعن الحسن نداء لا رياء فيه او اخفاه لئلا يلام على طلب الولد في ابان الكبرة والشيخوخة
او اسر من مواليه الذين خافهم او خفت صوته لضعفه وهرمه كما جاء في صفة الشيخ صوته
خفات وسمعه تارات واختلف في سن زكريا عليه السلام فقيل ستون وخمس وستون وسبعون
وخمس وسبعون وخمس وثمانون وقرى وهن بالحركات الثلث وانما ذكر العظم لانه عمود البدن
وبه قوامه وهو اصل بنائه فاذا وهن تداعى وتساقطت قوته ولانه اشد ما فيه واصلبه
فاذا وهن كان ما وراه اوهن ووحد لان الواحد هو الدال على معنى الجنسية وقصده
الى ان هذا الجنس الذي هو العمود والقوام واشد ما تركب منه الجسد قد اصابه الوهن
ولو جمع لكان قصدا الى معنى اخر وهو انه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها ادغام السين
في الشين عن ابي عمرو شبه الشيب بشواظ النار في بياضه وانارته وانتشاره في الشعر
وفشوه فيه واخذه منه كل ماخذ باشتعال النار ثم اخرجه مخرج الاستعارة ثم اسند
الاشتعال الى مكان الشعر ومنبته وهو الراس واخرج الشيب مميزا ولم يضف الراس
اكتفاء بعلم المخاطب انه راس زكريا فمن ثم فصحت هذه الجملة وشهد لها بالبلاغة
توسل الى الله بما سلف له معه من الاستجابة وعن بعضهم ان محتاجا ساله وقال انا الذي
احسنت الي وقت كذا فقال مرحبا بمن توسل بنا الينا وقضى حاجته كان مواليه وهم
عصبته اخوته وبنو عمه شرار بني اسرائيل فخافهم على الدين ان يغيروه ويبدلوه وان
لا يحسنوا الخلافة على امته فطلب عقبا صالحا من صلبه صالحا يقتدى به في احياء الدين
ويرتسم مراسمه فيه من وراي بعد موتي وقرا ابن كثير من وراي بالقصر وهذا الظرف
لا يتعلق بخفت لفساد المعنى ولكن بمحذوف او بمعنى الولاية في الموالي اي خفت فعل الموالي
وهو تبديلهم وسوء خلافتهم من وراي او خفت الذين يلون الامر من وراي وقرا
عثمن ومحمد بن علي وعلي بن الحسين رضي الله عنهم خفت الموالي من وراي وهذا على معنيين
احدهما ان يكون وراي بمعنى خلفي وبعدي فيتعلق الظرف بالموالي اي قلوا وعجزوا
عن اقامة امر الدين فساله تقويتهم ومظاهرتهم بولي يرزقه والثاني ان يكون بمعنى
قدامي فيتعلق بخفت ويريد انهم خفوا قدامه ودرجوا ولم يبق منهم من به تقوّ واعتضاد
من لدنك تاكيد لكونه وليا مرضيا بكونه مضافا الى الله وصادرا من عنده والا فهب
لي وليا يرثني كاف او اراد اختراعا منك بلا سبب لاني وامراتي لا نصلح للولادة يرثني ويرث
الجزم جواب الدعاء والرفع صفة ونحوه ردءا يصدقني وعن ابن عباس والجحدري يرثني
وارث ال يعقوب وعن الجحدري اويرث على تصغير وارث وقال غليم صغير وعن علي عليه السلام
وجماعة وارث من ال يعقوب اي يرثني به وارث ويسمى التجريد في علم البيان والمراد
بالارث ارث الشرع والعلم لان الانبياء لا تورث المال وقيل يرثني الحبورة وكان حبرا
ويرث من ال يعقوب الملك يقال ورثته وورثت منه لغتان وقيل من للتبعيض لا للتعدية لان
ال يعقوب ليسوا كلهم انبياء ولا علماء وكان زكريا عليه السلام من نسل يعقوب بن اسحق وقيل
لم يكونوا

هو يعقوب بن ماثان

هو يعقوب بن ماثان اخو زكريا او هو يعقوب هذا وعمران ابو مريم اخوان من نسل سليمن
بن داود سميا لم يسم احد بيحيى قبله وهذا شاهد على ان الاسامي الشنع جديرة بالاثرة
واياها كانت العرب تنحي في التسمية لكونها انبه وانوه وانزه عن النبز حتى قال القائل
في مدح قوم شنع الاسامي مسبلي ازر حمر تمس الارض بالهدب وقال رؤبة للنسابة
البكري وقد ساله عن نسبه انا ابن العجاج فقال قصرت وعرفت وقيل مثلا وشبيها
عن مجاهد كقوله هل تعلم له سميا وانما قيل للمثل سمي لان كل متشاكلين يسمى كل واحد
منهما باسم المثل والشبيه والشكل والنظير فكل واحد منهما سمي لصاحبه ونحو يحيى
في اسمائهم يعمر ويعيش ان كانت التسمية عربية وقد سموا بيموت ايضا وهو يموت بن
المزرع قالوا لم يكن له مثل لانه لم يعص ولم يهم بمعصية قط وانه ولد بين شيخ فان وعجوز
عاقر وانه كان حصورا اي كانت على صفة العقر حين انا شابة وكهل فلما رزقت الولد
لاختلال احد السببين الحين اختل السببان جميعا ارزقه فان قلت لم طلب اولا وهو
وامراته على صفة العتي والعقر فلما اسعف بطلبته استبعد واستعجب قلت ليجاب بما
اجيب به فيزداد الموقنون ايقانا ويرتدع المبطلون والا فمعتقد زكريا اولا واخرا
كان على منهاج واحد في ان الله عز وجل غني عن الاسباب اي بلغت عتيا وهو اليبس
والجساوة في المفاصل والعظام كالعود القاحل يقال عتا العود وعسا من اجل الكبر
والطعن في السن العالية او بلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى عتيا وقرا ابن وثاب
وحمزة والكسائي بكسر العين وكذلك صليا وابن مسعود بفتحهما فيهما وقرا ابي ومجاهد
عسيا كذلك الكاف رفع اي الامر كذلك تصديق له ثم ابتدا قال ربك او نصب بقال وذلك
اشارة الى مبهم يفسره هو علي هين ونحوه وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع
مصبحين وقرا الحسن وهو علي هين ولا يخرج هذا الا على الوجه الاول اي الامر كما قلت وهو
على ذلك يهون علي ووجه اخر وهو ان يشار بذلك الى ما تقدم من وعد الله لا الى قول زكريا
وقال محذوف في كلتا القراءتين اي قال هو علي هين قال وهو علي هين وان شئت لم
تنوه لان الله هو المخاطب والمعنى انه قال ذلك ووعده وقوله الحق شيئا لان المعدوم
ليس بشيء او شيئا يعتد به كقولهم عجبت من لا شيء وقوله اذا رأى غير شيء ظنه رجلا وقرا
الاعمش والكسائي وابن وثاب خلقناك اي اجعل لي اية علامة اعلم بها وقوع ما بشرت
به قال علامتك ان تمنع الكلام فلا تطيقه وانت سليم الجوارح سوي الخلق ما بك خرس
ولا بكم دل ذكر الليالي هنا والايام في ال عمران على ان المنع من الكلام استمر به ثلثة
ايام ولياليهن اوحى اشار عن مجاهد ويشهد له الا رمزا وعن ابن عباس كتب لهم على الارض
سبحوا صلوا او على الظاهر وان هي المفسرة اي خذ التورية بجد واستظهار بالتوفيق
والتاييد الحكم الحكمة ومنه واحكم كحكم فتاة الحي يعني الحكم حكما وهو الفهم للتورية
والفقه في الدين عن ابن عباس وقيل دعاه الصبيان الى اللعب وهو صبي فقال ما للعب خلقنا
عن الضحاك وعن معمر العقل وقيل النبوة لان الله احكم عقله في صباه واوحى اليه حنانا
رحمة لابويه وغيرهما وتعطفا وشفقة انشد سيبويه وقالت حنان ما اتى بك ههنا اذو
نسب ام انت بالحي عارف وقيل حنانا من الله عليه وحن في معنى ارتاح واشتاق ثم استعمل
في العطف والرأفة وقيل لله حنان كما قيل رحيم على سبيل الاستعارة والزكوة الطهارة
وقيل الصدقة اي يتعطف على الناس ويتصدق عليهم وسلام الله عليه في هذه الاحوال

ابن عيينة انها اوحش المواطن اذ بدل من مريم بدل الاشتمال لان الاحيان مشتملة
على ما فيها وفيه ان المقصود بذكر مريم ذكر وقتها هذا لوقوع هذه القصة
العجيبة فيه والانتباذ الاعتزال والانفراد تخلت للعبادة في مكان مما يلي شرقي
بيت المقدس او من دارها معتزلة عن الناس وقيل قعدت في مشرقة للاغتسال
من الحيض محتجبة بحائط او شيء يسترها وكان موضعها المسجد فاذا حاضت تحولت
الى بيت خالتها فاذا طهرت عادت الى المسجد فبينا هي في مغتسلها اتاها الملك
في صورة آدمي شاب امرد وضيء الوجه جعد الشعر سويا سوي الخلق لم ينقص
من الصورة الادمية شيئا او حسن الصورة مستوي الخلق وانما مثل لها في صورة
الانسان لتستأنس بكلامه ولا تنفر عنه ولو بدا لها في الصورة الملكية لنفرت
ولم تقدر على استماع كلامه ودل على عفافها وورعها انها تعوذت بالله من تلك
الصورة الجميلة الفائقة الحسن وكان تمثيله على تلك الصفة ابتلاء لها وسبرا
لعفتها وقيل كانت في منزل زوج اختها زكريا ولها محراب على حدة تسكنه وكان
زكريا اذا خرج اغلق عليها فتمنت ان تجد خلوة في الجبل لتفلي راسها فانفرج
السقف لها فخرجت فجلست في المشرقة وراء الجبل فاتاها الملك وقيل قام بين يديها
في صورة ترب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس وقيل ان النصارى اتخذت
المشرق قبلة لانتباذ مريم مكانا شرقيا الروح جبريل لان الدين يحيا به وبوحيه
او سماه الله روحه على المجاز محبة له وتقريبا كما تقول لحبيبك انت روحي
وقرا ابو حيوة روحنا بالفتح لانه سبب لما فيه روح العباد واصابة الروح عند
الله تعالى الذي هو عدة المقربين في قوله فاما ان كان من المقربين فروح وريحان او
لانه من المقربين وهم الموعودون بالروح اي مقربنا وذا روحنا اراد ان كان يرجى
منك ان تتقي الله وتخشاه وتحفل بالاستعاذة به فاني عائذة به منك كقوله تعالى بقية الله
خير لكم ان كنتم مؤمنين انما انا رسول ربك الذي استعذت به لاهب لك لاكون سببا
في هبة الغلام بالنفخ في الدرع وفي بعض المصاحف انما انا رسول ربك امرني ان اهب
لك او هي حكاية لقول الله عز وجل ولم يمسسني بشر عبارة عن النكاح الحلال لانه كناية عنه
كقوله تعالى من قبل ان تمسوهن او لامستم النساء والزنا ليس كذلك انما يقال فجر بها
وخبث بها وما اشبه ذلك وليس بقمن ان تراعى فيه الكنايات والآداب ولم اك بغيا فاجرة
التي تبغي الرجال وهو فعول عند المبرد بغوي فادغمت الواو في الياء وقال ابن جني في كتاب
التمام هو فعيل ولو كانت فعولا لقيل بغو كما قيل نهو عن المنكر ولنجعله تعليل معلله
محذوف اي ولنجعله آية للناس فعلنا ذلك او هو معطوف على تعليل مضمر اي لنبين به
قدرتنا ولنجعله آية ونحوه وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت
وقوله وكذلك مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه مقضيا مقدرا مسطورا في اللوح
لا بد لك من جريه عليك او كان امرا حقيقا بان يكون ويقضى لكونه آية ورحمة
والمراد بالآية العبرة والبرهان على قدرة الله وبالرحمة الشرائع والالطاف وما
كان سببا في قوة الاعتقاد والتوصل الى الطاعة والعمل الصالح فهو جدير بالتكوين عن ابن عباس
فاطمأنت الى قوله فدنا منها فنفخ في جيب درعها فوصلت النفخة الى بطنها فحملت وقيل
كانت مدة الحمل ستة اشهر وعن عطاء وابي العالية والضحاك سبعة اشهر وقيل ثمانية ولم يعش

مولود وضع

مولود وضع لثمانية الا عيسى وقيل ثلاث ساعات وقيل حملته في ساعة وصور في ساعة
ووضعته في ساعة حين زالت الشمس من يومها وعن ابن عباس كانت مدة الحمل ساعة واحدة
كما حملته نبذته وقيل حملته وهي بنت ثلاث عشرة سنة وقيل بنت عشر وقد كانت حاضت
حيضتين قبل ان تحمل وقالوا ما من مولود الا يستهل غيره فانتبذت به اي فاعتزلت وهو
في بطنها كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا اي تدوس الجماجم ونحن على ظهورها ونحو
قوله تعالى تنبت بالدهن اي تنبت ودهنها فيها والجار والمجرور في موضع الحال قصيا
بعيدا من اهلها وراء الجبل وقيل اقصى الدار وقيل كانت سميت لابن عم لها اسمه يوسف
فلما قيل حملت من الزنا خاف عليها قتل الملك فهرب بها فلما كان ببعض الطريق حدثته
نفسه بان يقتلها فاتاه جبريل فقال انه من روح القدس فلا تقتلها فتركها فاجاءها فعول
من جاء الا ان استعماله قد تغير الى معنى الالجاء الا تراك لا تقول جئت المكان واجاءنيه
زيد كما تقول بلغته وابلغنيه ونظيره آتى حيث لم يستعمل الا في الاعطاء ولم يقل اتيت المكان
وآتانيه فلان وقرا ابن كثير في رواية المخاض بالكسر وهما مصدر مخضت الحامل مخاضا ومخاضا
وهو تمخض الولد في بطنها الى جذع النخلة لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وكان جذع
نخلة يابسة في الصحراء ليس لها راس ولا ثمر ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف لا
يخلو اما ان يكون من تعريف الاسماء الغالبة كتعريف النجم وابن الصعق كأن تلك الصحراء
كان فيها جذع نخلة معروف عند الناس فاذا قيل جذع النخلة فهم ذاك دون غيره من
جذوع النخل واما ان يكون تعريف الجنس اي جذع هذه الشجرة خاصة كأن الله تعالى
انما ارشدها الى النخلة ليطعمها منها الرطب الذي هو خرسة النفساء الموافقة لها ولان
النخلة اقل شيء صبرا على البرد وثمارها انما هو من جمارها فلموافقتها لها مع جمع
الآيات فيها اختارها لها والجاها اليها مت بالضم والكسر يقال مات يموت ومات
يمات نسيا ما من حقه ان يطرح وينسى كخرقة الطامث ونحوها كالذبح اسم ما من شانه
ان يذبح في قوله تعالى وفديناه بذبح عظيم وعن يونس العرب اذا ارتحلوا عن الدار قالوا انظروا
انساءكم اي الشيء اليسير نحو العصا والقدح والشظاظ تمنت لو كانت شيئا
تافها لا يؤبه له من شانه وحقه ان ينسى في العادة وقد نسي وطرح فوجد فيه النسيان
الذي هو حقه وذلك لما لحقها من فرط الحياء والتشور من الناس على حكم العادة البشرية
لا كراهة لحكم الله او لشدة التكليف عليها اذا بهتوها وهي عارفة ببراءة الساحة وبضد
ما قرفت به من اختصاص الله اياها بغاية الاجلال والاكرام لانه مقام دحض قلما تثبت
عليه الاقدام الا ان تعرف اغتباطك بامر عظيم وفضل باهر تستحق به المدح وتستوجب
التعظيم ثم تراه عند الناس لجهلهم به عيبا يعاب به ويعنف بسببه او لخوفها على الناس
ان يعصوا الله بسببها وقرا ابن وثاب والاعمش وحمزة وحفص نسيا بالفتح قال الفراء هما لغتان
كالوتر والوتر والجسر والجسر ويجوز ان يكون مسمى بالمصدر كالحمل وقرا محمد بن كعب
القرظي نسئا وهو الحليب المخلوط بالماء ينساه اهله لقلته ونزارته وقرا الاعمش منسيا
بالكسر على الاتباع كالمغيرة والمنخر من تحتها هو جبريل عليه السلام قيل كان يقبل الولد
كالقابلة وقيل هو عيسى عليه السلام وهي قراءة عاصم وابي عمرو وقيل تحتها اسفل من مكانها كقوله تجري
من تحتها الانهار وقيل كان اسفل منها تحت الاكمة فصاح بها الا تحزني وقرا نافع وحمزة
والكسائي وحفص من تحتها وفي ناداها ضمير الملك او عيسى وعن قتادة الضمير في تحتها
للنخلة وقرا زر وعلقمة فخاطبها من تحتها سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن السري فقال هو

الجدول قاله السدي فتوسطا عرض السري فصب عاما مسجورة متجاوزا اقلامها وقيل هو من
السرو والمراد عيسى عليه السلام وعن الحسن كان والله عبدا سريا فان قلت ما كان حزنها لفقد
الطعام والشراب حتى تسلى بالسري والرطب قلت لم يقع التسلية بهما من حيث انهما طعام
وشراب ولكن من حيث انهما معجزتان تريان الناس انها من اهل العصمة والبعد عن الريبة
وان مثلها مما قرفوها به بمعزل وان لها امورا الهية خارجة من العادات خارقة لما الفوا
واعتادوا حتى يتبين لهم ان ولادها من غير فحل ليس ببدع من شأنها تساقط فيه تسع قراءات
تساقط بادغام التاء وتتساقط باظهار التائين وتساقط بطرح الثانية ويساقط بالياء وادغام
التاء وتساقط وتسقط ويسقط وتسقط ويسقط التاء للنخلة والياء للجذع رطبا تمييز او
مفعول على حسب القراءة وعن المبرد جواز انتصابه بهزي وليس بذاك والباء في بجذع النخلة
صلة للتاكيد كقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم او على معنى افعلي الهز به كقوله يجرح في عراقيبها
نصلي قالوا التمر للنفساء عادة من ذلك الوقت وكذلك التحنيك وقالوا كان من العجوة
وقيل ما للنفساء خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل وقيل اذا عسر ولادها لم يكن لها
خير من الرطب عن طلحة بن سليمان جنيا بكسر الجيم للاتباع اي جمعنا لك في السري والرطب فائدتين
احداهما الاكل والشرب والثانية سلوة الصدر لكونهما معجزتين وهو معنى قوله فكلي
واشربي وقري عينا اي وطيبي نفسا ولا تغتمي وارفضي عنك ما احزنك واهمك وقرئ
وقري بالكسر لغة نجد فاما ترين بالهمزة ابن الرومي عن ابي عمرو وهذا من لغة من يقول لبأت بالحج
وحلأت السويق وذلك لتآخ بين الهمزة وحروف اللين في الابدال صوما صمتا وفي
مصحف عبد الله صمتا وعن انس بن مالك مثله وقيل صياما وكانوا لا يتكلمون في
صيامهم وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم الصمت لانه نسخ في امته امرها الله بان
تنذر الصوم لئلا تشرع مع البشر المتهمين لها في الكلام لمعنيين احدهما ان عيسى صلوات الله عليه
يكفيها الكلام بما يبرئ به ساحتها والثاني كراهة مجادلة السفهاء ومناقلتهم وفيه ان
السكوت عن السفيه واجب ومن اذل الناس سفيه لم يجد مسافها قيل اخبرتهم بانها
نذرت الصوم بالاشارة وقيل سوغ لها ذلك بالنطق انسيا اي اكلم الملائكة دون الانس
الفري البديع وهو من فري الجلد هرون كان اخاها من ابيها من امثل بني اسرائيل وقيل
هو اخو موسى صلوات الله عليهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم انما عنوا هرون النبي وكانت من اعقابه
في طبقة الاخوة وبينهما وبينه الف سنة واكثر وعن السدي كانت من اولاده وانما قيل يا اخت هرون
مثل كما قيل يا اخا همدان اي يا واحدا منهم وقيل رجل صالح او طالح في زمانها شبهوها
به اي كنت عندنا مثله في الصلاح او شتموها به ولم ترد اخوة النسب ذكر ان هرون
الصالح تبع جنازته اربعون الفا كلهم يسمى هرون تبركا به وباسمه فقالوا كنا نشبهك
بهرون هذا وقرا عمر بن لجا التيمي ما كان اباك امرأ سوء وقيل احتمل يوسف النجار
مريم وابنها الى غار فلبثوا فيه اربعين يوما حتى تعلت من نفاسها ثم جاءت تحمله فكلمها عيسى
في الطريق فقال يا اماه ابشري فاني عبد الله ومسيحه فلما دخلت به على قومها وهم اهل بيت
صالحون تباكوا وقالوا ذلك وقيل هموا برجمها حتى تكلم عيسى فتركوها فاشارت اليه اي
هو الذي يجيبكم اذا ناطقتموه وقيل كان المستنطق لعيسى زكريا عليه السلام وعن السدي لما اشارت
اليه غضبوا وقالوا لسخريتها بنا اشد علينا من زناها وروي انه كان يرضع فلما سمع
ذلك ترك الرضاع واقبل عليهم بوجهه واتكأ على يساره واشار بسبابته وقيل كلمهم بذلك

ولم يتكلم حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان كان لايقاع مضمون الجملة في زمان ماض
مبهم يصلح لقريبه وبعيده وهو هاهنا لقريبه خاصة والدال عليه معنى الكلام وانه مسوق
للتعجب ووجه آخر ان يكون نكلم حكاية حال ماضية اي كيف عهد قبل عيسى ان يكلم
الناس صبيا في المهد فيما سلف من الزمان حتى نكلم هذا انطقه الله اولا بانه
عبد الله ردا لقول النصارى والكتاب هو الانجيل واختلفوا في نبوته فقيل اعطيها
في طفوليته اكمل الله عقله واستنبأه طفلا نظرا في ظاهر الاية وقيل معناه ان ذلك سبق
في قضائه او جعل الآتي لا محالة كانه قد وجد مباركا اينما كنت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
نفاعا حيث كنت وقيل معلما للخير وقرئ وبرا عن ابي نهيك جعله ذاته برا لفرط بره او
نصبه بفعل في معنى اوصاني وهو كلفني لان اوصاني بالصلاة وكلفنيها والسلام
علي قيل ادخل لام التعريف لتعرفه بالذكر قبله كقولك جاءنا رجل فكان من فعل
الرجل كذا والمعنى وذلك السلام الموجه الى يحيى في المواطن الثلاثة موجه الي والصحيح
ان يكون هذا التعريف تعريضا باللعنة على متهمي مريم عليها السلام واعدائهما من اليهود وتحقيقه
ان اللام للجنس فاذا قال وجنس السلام علي خاصة فقد عرض بان ضده عليكم ونظيره
قوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى يعني ان العذاب على من كذب وتولى وكان
المقام مقام مناكرة وعناد فهو مئنة لنحو هذا من التعريض قرا عاصم وابن عامر
قول الحق بالنصب وعن ابن مسعود قال الحق وقال الله وعن الحسن قول الحق بضم القاف
وكذلك في الانعام قوله الحق والقول والقال والقول بمعنى واحد كالرهب والرهب
والرهب وارتفاعه على انه خبر بعد خبر او بدل او خبر مبتدا محذوف واما انتصابه
فعلى المدح ان فسر بكلمة الله وعلى انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة ان اريد قول الثبات
والصدق كقولك هو عبد الله الحق لا الباطل وانما قيل لعيسى كلمة الله وقول الحق لانه
لم يولد الا بكلمة الله وحدها وهي قوله كن من غير واسطة اب تسمية للمسبب باسم
السبب كما سمي العشب بالسماء والشحم بالندى وتحتمل اذا اريد بقول الحق عيسى ان يكون
الحق اسم الله عز وجل وان يكون بمعنى الثبات والصدق ويعضده قوله الذي فيه يمترون
اي امره حق يقين وهم فيه شاكون يمترون ويشكون والمرية الشك او يتمارون يتلاحون
قالت اليهود ساحر كذاب وقالت النصارى ابن الله وثالث ثلاثة وقرا علي بن ابي طالب رضي الله عنه
تمترون على الخطاب وقرا ابي بن كعب قول الحق الذي كان الناس فيه يمترون كذب
النصارى وتبكيتهم بالدلالة على انتفاء الولد عنه وانه مما لا يتاتى ولا يتصور في المعقول وليس بمقدور
عليه اذ من المحال غير المستقيم ان تكون ذاته كذات من ينشا منه الولد ثم بين احالة ذلك
بان من اذا اراد شيئا من الاجناس كلها اوجده بكن كان منزها من شبه الحيوان
الوالد والقول هاهنا مجاز ومعناه ان ارادته للشيء يتبعها كونه لا محالة من غير توقف
فشبه ذلك بامر الامر المطاع اذا ورد على المأمور الممتثل قرا المدنيون وابو عمرو وان
ومعناه ولانه ربي وربكم فاعبدوه كقوله وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا والاستئناف
وابو عبيد بالكسر على الابتداء وفي حرف ابي ان الله بالكسر بغير واو وبان الله اي بسبب ذلك
فاعبدوه فاختلف الاحزاب اليهود والنصارى عن الكلبي وقيل النصارى لتحزبهم ثلاث فرق
نسطورية ويعقوبية وملكانية وعن الحسن الذين تحزبوا على الانبياء لما قص عليهم قصة عيسى
اختلفوا فيه من بين الناس من مشهد يوم عظيم اي من شهودهم هول الحساب والجزاء

يوم القيمة او من مكان الشهود فيه وهو الموقف او من وقت الشهود او من شهادة ذلك اليوم عليهم
وان يشهد عليهم الملئكة والانبيا والسنتهم وايديهم وارجلهم بالكفر وسو الاعمال او من مكان
الشهادة او وقتها وقيل هو ما قالوه وشهدوا به في عيسى وامه علم لا يوصف الله تعالى بالتعجب
وانما المراد ان اسماعهم وابصارهم يومئذ جدير بان يتعجب منهما بعدما كانوا صما عميا في الدنيا
وقيل معناه التهديد بما سيسمعون وسيبصرون مما يسوؤهم ويصدع قلوبهم اوقع الظاهر اعني
الظالمين موقع الضمير اشعارا بان لا ظلم اشد من ظلمهم حيث اغفلوا الاستماع والنظر حين
يجدي عليهم ويسعدهم والمراد بالضلال المبين اغفال النظر والاستماع قضي الامر
فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عنه فقال حين يذبح
الكبش والفريقان ينظران واذ بدل من يوم الحسرة او منصوب بالحسرة وهم في غفلة متعلق
بقوله في ضلال مبين عن الحسن وانذرهم اعتراض او هو متعلق بانذرهم اي وانذرهم على
هذه الحال غافلين غير مؤمنين يحتمل انه يميتهم ويخرب ديارهم وانه يفني اجسادهم ويفني
الارض ويذهب بها الصديق من ابنية المبالغة ونظيره الضحيك والنطيق والمراد
فرط صدقه وكثرة ما صدق به من غيوب الله واياته وكتبه ورسله وكان الرجحان والغلبة
في هذا التصديق للكتب والرسل اي كان مصدقا لجميع الانبيا والرسل وكتبهم وكان نبيا في نفسه
كقوله تعالى بل جا بالحق وصدق المرسلين او كان بليغا في الصدق لان ملاك امر النبوة
الصدق ومصدق الله باياته ومعجزاته حري ان يكون كذلك وهذه الجملة وقعت اعتراضا
بين المبدل منه وبدله اعني ابرهيم واذ قال نحو قولك رايت زيدا ونعم الرجل اخاك ويجوز
ان يتعلق اذ بكان او بصديقا نبيا اي كان جامعا لخصائص الصديقين والانبيا حين
خاطب اباه تلك المخاطبات والمراد بذكر الرسول اياه وقصته في الكتاب ان يتلو ذلك
على الناس ويبلغه اياهم والا فالله عز وعلا هو ذاكره ومورده في تنزيله التا في يا ابت عوض
من يا الاضافة ولا يقال يا ابتي لئلا يجمع بين العوض والمعوض منه وقيل يا ابتا لكون الالف
بدلا من اليا وشبه ذلك سيبويه باينق وتعويض اليا فيه عن الواو الساقطة انظر حين
اراد ان ينصح اباه ويعظه فيما كان متورطا فيه من الخطا العظيم والارتكاب الشنيع الذي
عصى فيه امر العقل وانسلخ عن قضية التمييز ومن الغباوة التي ليس بعدها غباوة كيف رتب
الكلام معه في احسن اتساق وساقه ارشق مساق مع استعمال المجاملة واللطف والرفق
واللين والادب الجميل والخلق الحسن منتصحا في ذلك بنصيحة ربه جل وعلا حدث ابو هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوحى الله تعالى الى ابرهيم عليه السلام انك خليلي حسن خلقك ولو مع
الكفار تدخل مداخل الابرار فان كلمتي سبقت لمن حسن خلقه ان اظله تحت عرشي واسكنه
حظيرة القدس وادنيه من جواري وذلك انه طلب منه اولا العلة في خطابه طلب منبه على
تماديه موقظ لافراطه وتناهيه لان المعبود لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على
الثواب والعقاب نافعا ضارا الا انه بعض الخلق لاستخف عقل من اهله للعبادة ووصفه
بالربوبية ولسجل عليه بالغي المبين والظلم العظيم وان كان اشرف الخلق واعلاهم منزلة
كالملئكة والنبيين قال الله تعالى ولا يامركم ان تتخذوا الملئكة والنبيين اربابا ايامركم
بالكفر بعد اذ انتم مسلمون وذلك ان العبادة هي غاية التعظيم فلا تحق الا لمن له غاية الانعام
وهو الخالق الرازق المحيي المميت المثيب المعاقب الذي منه اصول النعم وفروعها فاذا وجهت
الى غيره وتعالى علوا كبيرا ان تكون هذه الصفة لغيره لم يكن الا ظلما وعتوا وغيا وكفرا
الصفة صح

كقوله واتل عليهم نبا ابرهيم

وجحودا او خروجا عن الصحيح النير الى الفاسد المظلم فما ظنك بمن وجه عبادته الى جماد ليس به حس
ولا شعور فلا يسمع يا عابده ذكرك له وثناك عليه ولا يرى هيئات خضوعك وخشوعك له
فضلا ان يغني عنك بان تستدفعه بلا فيدفعه او تسنح لك حاجة فيكفيكها ثم ثنى بدعوته
الى الحق مترفقا به متلطفا فلم يسم اباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق ولكنه قال
ان معي طائفة من العلم وشيا منه ليس معك وذلك علم الدلالة على الطريق السوي فلا تستنكف
وهب اني واياك في مسير وعندي معرفة بالهداية دونك فاتبعني انجك من ان تضل وتتيه
ثم ثلث بتثبيطه ونهيه عما كان عليه بان الشيطان الذي استعصى على ربك الرحمن الذي
جميع ما عندك من النعم من عنده وهو عدوك الذي لا يريد بك الا كل هلاك وخزي ونكال
وعدو ابيك ادم وابنا جنسك كلهم هو الذي ورطك في هذه الضلالة وامرك بها وزينها
لك فانت ان حققت النظر عابد الشيطن الا ان ابرهيم عليه السلام لامعانه في الاخلاص ولارتقا
همته في الربانية لم يذكر من جنايتي الشيطن الا التي تختص منهما برب العزة من عصيانه
واستكباره ولم يلتفت الى ذكر معاداته لادم وذريته كان النظر في عظم ما ارتكب من
ذلك غمر فكره واطبق على ذهنه ثم ربع بتخويفه سو العاقبة وما يجر ما هو فيه من التبعة
والوبال ولم يخل ذلك من حسن الادب حيث لم يصرح بان العقاب لاحق له وان
العذاب لاصق به ولكنه قال اخاف ان يمسك عذاب فذكر الخوف والمس ونكر العذاب
وجعل ولاية الشيطان ودخوله في جملة اشياعه واوليائه اكبر من العذاب وذلك ان
رضوان الله اكبر من الثواب نفسه وسماه الله تعالى المشهود له بالفوز العظيم حيث
قال ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم فكذلك ولاية الشيطان التي هي معارضة
رضوان الله اكبر من العذاب نفسه واعظم وصدر كل نصيحة من النصائح الاربع بقوله
يا ابت توسلا اليه واستعطافا ما في ما لا يسمع وما لا يبصر يجوز ان تكون موصولة وموصوفة
والمفعول لا يسمع ولا يبصر منسي غير منوي كقولك ليس به استماع ولا ابصار وشيا يحتمل
وجهين احدهما ان يكون في موضع المصدر اي شيا من الغنا ويجوز ان يقدر
نحو مع الفعلين السابقين والثاني ان يكون مفعولا به من قولهم اغن عني وجهك
جاني منه تجدد العلم عنده لما اطلعه على سماجة صورة امره وهدم مذهبه بالحجج
القاطعة وناصحه المناصحة العجيبة مع تلك الملاطفات اقبل عليه الشيخ بفظاظة
الكفر وغلظة العناد فناداه باسمه ولم يقابل يا ابت بيا بني وقدم الخبر على المبتدا في
قوله اراغب انت عن الهتي لانه كان اهم عنده وهو عنده اعني وفيه ضرب من التعجب
والانكار لرغبته عن الهته وان الهته ما ينبغي ان يرغب عنها احد وفي هذا سلوان
وثلج لصدر رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يلقى من مثل ذلك من كفار قومه لارجمنك
لارمينك بلساني يريد الشتم والذم ومنه الرجيم المرمي باللعن او لاقتلنك من رجم الزاني
او لاطردنك رميا بالحجارة واصل الرجم الرمي بالرجام مليا زمانا طويلا من الملاوة
او مليا بالذهاب عني والهجران قبل ان اثخنك بالضرب حتى لا تقدر ان تبرح يقال فلان ملي
بكذا اذا كان مطيقا له مضطلعا به فان قلت علام عطف واهجرني قلت على
معطوف عليه محذوف يدل عليه لارجمنك اي فاحذرني واهجرني لئلا ارجمنك تهدد وتقريع
سلام عليك سلام توديع ومتاركة كقوله تعالى لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم
لا نبتغي الجاهلين وقوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وهذا دليل على جواز

مبارك المنصوح والحال هنا ويجوز ان يكون دعا له بالسلامة استمالة له الا ترى انه
وعد الاستغفار فان قلت كيف جاز ان يستغفر للكافر وان يعده ذلك قلت حيث
اراد اشتراط التوبة عن الكفر كما يرد الاوامر والنواهي الشرعية على الكفار والمراد
اشتراط الايمان وكما يؤمر المحدث بالصلاة والفقير بالزكاة ويراد اشتراط الوضوء
والنصاب وقالوا انما استغفر له لقوله واغفر لابي انه كان من الضالين لانه وعده ان
يؤمن واستشهدوا بقوله تعالى وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه
ولقائل ان يقول ان الذي منع من الاستغفار للكافر انما هو السمع فاما القضية العقلية
فلا تأباه فيجوز ان يكون الوعد بالاستغفار والوفاء به قبل ورود السمع بناء على قضية
العقل والذي يدل على صحته قوله تعالى الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك فلو كان شارطا
للايمان لم يكن مستنكرا ومستثنى عما وجبت فيه الاسوة واما عن موعدة وعدها
اياه فالواعد هو ابراهيم لا آزر اي ما قال واغفر لابي الا عن قوله لاستغفرن لك ويشهد
له قراءة حماد الراوية وعدها اباه والله اعلم **حفيا** البليغ في البر والالطاف حفي به وتحفى به
اراد بالاعتزال المهاجرة الى الشام المراد بالدعاء العبادة لانه منها ومن وسائطها ومنه قوله عليه السلام
الدعاء هو العبادة ويدل عليه قوله **فلما اعتزلهم وما يعبدون** ويجوز ان يراد الدعاء الذي
حكاه الله في سورة الشعراء عرض بشقاوتهم بدعاء الهتهم في قوله **عسى ان لا اكون بدعاء
ربي شقيا** مع التواضع لله في كلمة عسى وما فيه من هضم النفس ما خسر على الله احد ترك
الكفار الفسقة لوجهه فعوضه اولادا مؤمنين انبياء **من رحمتنا** هي النبوة عن الحسن
وعن الكلبي المال والولد ويكون عامة في كل خير ديني ودنيوي اوتوه **لسان صدق**
الثناء الحسن وعبر باللسان عما يوجد باللسان كما عبر باليد عما يطلق باليد وهي العطية
قال اني اتتني لسان لا اسر بها من علو لا عجب منها ولسان العرب لغتهم وكلامهم
استجاب الله دعوته واجعل لي لسان صدق في الاخرين فصيره قدوة حتى ادعاه
اهل الاديان كلهم وقال عز وجل ملة ابيكم ابراهيم وملة ابراهيم حنيفا ثم اوحينا اليك ان
اتبع ملة ابراهيم حنيفا واعطى ذلك ذريته فاعلى ذكرهم واثنى عليهم كما اعلى ذكره واثنى عليه
المخلص بالكسر الذي اخلص العبادة عن الشرك والرياء او اخلص نفسه واسلم وجهه لله
وبالفتح الذي اخلصه الله **الرسول** الذي معه كتاب من الانبياء **والنبي** الذي ينبئ عن
الله عز وجل وان لم يكن معه كتاب كيوشع **الايمن** من اليمين اي من ناحيته اليمنى
او من اليمن صفة للطور او للجانب شبهه بمن قربه بعض العظماء للمناجاة حيث كلمه
بغير واسطة ملك وعن ابي العالية قربه حتى سمع صريف القلم الذي كتبت به التورية **من
رحمتنا** من اجل رحمتنا له وترؤفنا عليه وهبنا له هرون او بعض رحمتنا كما في قوله ووهبنا
لهم من رحمتنا **اخاه** على هذا الوجه بدل و**هرون** عطف بيان كقولك رأيت رجلا اخاك
زيدا وكان هرون اكبر من موسى فوقعت الهبة على معاضدته وموازرته كذا عن ابن عباس
رضي الله عنه ذكر اسمعيل عليه السلام بصدق **الوعد** وان كان موجودا في غيره من الانبياء تشريفا له
واكراما كالتلقيب بنحو الحليم والاواه والصديق ولانه المشهور المتواصف من خصاله عن ابن عباس
انه وعد صاحبا له ان ينتظره في مكان فانتظره سنة وناهيك انه وعد من نفسه الصبر على
الذبح فوفى حيث قال ستجدني ان شاء الله من الصابرين كان يبدأ باهله في الامر بالصلاح والعبادة
ليجعلهم قدوة لمن وراءهم ولانهم اولى من سائر الناس وانذر عشيرتك الاقربين وامر

وامر اهلك بالصلاة قوا انفسكم واهليكم نارا الا ترى انهم احق بالتصدق عليهم فالاحسان
الديني اولى وقيل اهله امته كلهم من القرابة وغيرهم لان امم النبيين في عداد اهاليهم
وفيه ان من حق الصالح ان لا يألو نصحا للاجانب فضلا عن الاقارب والمتصلين به
وان يحظيهم بالفوائد الدينية ولا يفرط في ذلك قيل سمي **ادريس** لكثرة دراسته كتاب الله
وكان اسمه اخنوخ وهو غير صحيح لانه لو كان افعيلا من الدرس لم يكن فيه الا
سبب واحد وهو العلمية وكان منصرفا فامتناعه من الصرف دليل العجمة وكذلك ابليس
اعجمي وليس من الابلاس كما يزعمون ولا يعقوب من العقب ولا اسرائيل باسرال كما
زعم ابن السكيت ومن لم يحقق ولم يتدرب بالصناعة كثرت منه امثال هذه الهنات ويجوز
ان يكون معنى ادريس في تلك اللغة قريبا من ذلك فحسبه الراوي مشتقا من الدرس
المكان العلي شرف النبوة والزلفى عند الله وقد انزل الله عليه ثلثين صحيفة وهو
اول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب واول من خاط الثياب ولبسها وكانوا
يلبسون الجلود وعن انس بن مالك رضي الله عنه انه رفع الى السماء الرابعة وعن ابن عباس الى السماء
السادسة وعن الحسن الى الجنة لا شيء اعلى من الجنة وعن النابغة الجعدي انه لما انشد
رسول الله صلى الله عليه وسلم الشعر الذي اخره بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا
قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اين يا ابا ليلى قال الى الجنة **اولئك** اشارة الى المذكورين
في السورة من لدن زكريا الى ادريس **من النبيين** للبيان مثلها في قوله تعالى في
اخر سورة الفتح وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة لان جميع الانبياء
منعم عليهم و**من** الثانية للتبعيض وكان ادريس من ذرية ادم لقربه منه لانه جد ابي
نوح وابراهيم من ذرية من حمل مع نوح لانه من ولد سام بن نوح واسمعيل من ذرية ابراهيم
وموسى وهرون وزكريا ويحيى من ذرية اسرائيل وكذلك عيسى لان مريم من ذريته
وممن هدينا يحتمل العطف على من الاولى والثانية ان جعلت الذين خبرا لاولئك كان
اذا تتلى كلاما مستانفا وان جعلته صفة له كان خبرا قرأ شبل بن عباد المكي يتلى بالتذكير
لان التانيث غير حقيقي مع وجود الفاصل **بكيا** جمع باك كالسجود والقعود في جمع ساجد
وقاعد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتلوا القران وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وعن صالح المري
قرأت القران على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي يا صالح هذه القراءة فاين البكاء وعن
ابن عباس اذا قرأتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين احدكم فليبك
قلبه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان القران نزل بحزن فاذا قرأتموه فتحازنوا وقالوا يدعو
في سجدة التلاوة بما يليق بآيتها فان قرأ اية تنزيل السجدة قال اللهم اجعلني من الساجدين
لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك ان اكون من المستكبرين عن امرك وان قرأ سجدة
سبحان قال اللهم اجعلني من الباكين اليك الخاشعين لك وان قرأ هذه قال اللهم
اجعلني من عبادك المنعم عليهم المهديين الساجدين لك الباكين عند تلاوة اياتك
خلف اذا اعقبه ثم قيل في عقب الخير خلف بالفتح وفي عقب الشر خلف بالسكون كما
قالوا وعد في ضمان الخير ووعيد في ضمان الشر عن ابن عباس رضي الله عنه هم اليهود تركوا
الصلاة المفروضة وشربوا الخمر واستحلوا نكاح الاخت من الاب وعن ابراهيم ومجاهد اضاعوها
بالتاخير وينصر الاول قوله الا من تاب وامن يعني الكفار وعن علي رضي الله عنه في قوله **واتبعوا
الشهوات** من بنى المشيد وركب المنظور ولبس المشهور وعن قتادة هو في هذه الامة

وقرا ابن مسعود والحسن والصبي الصلوات بالجمع كل شر عند العرب غي وكل خير رشاد قال

فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما وعن الزجاج جزاء غي كقوله

يلق اثاما اي مجازاة اثام او غيا عن طريق الجنة وقيل غي واد في جهنم يستعيذ منه اودية

وروي الاخفش يلقون وقري يُدخلون ويَدخلون اي لا ينقصون شيا من جزاء اعمالهم

ولا يمنعونه بل يضاعف لهم بيانا لان تقدم الكفر لا يضرهم اذا تابوا وامنوا ولكن من ذلك ما طلك

ان تفعل كذا يعني ما منعك او لا يظلمون البتة اي شيا من الظلم لما كانت الجنة مشتملة

على جنات عدن ابدلت منها كقولك ابصرت دارك القاعة والعلالي وعدن معرفة علم

بمعنى العدن وهو الاقامة كما جعلوا فينة وسحر وامس فيمن لم يصرفه اعلاما لمعاني

الفينة والسحر والامس فجرى مجرى العدن لذلك او هو علم لارض الجنة لكونها مكان

اقامة ولولا ذلك لما ساغ الابدال لان النكرة لا تبدل من المعرفة الا موصوفة ولما ساغ

وصفها بالتي وقري جنات عدن وجنة عدن بالرفع على الابتدا اي وعدها وهي غائبة عنهم

غير حاضرة او هم غائبون عنها لا يشاهدونها او بتصديق الغيب والايمان به قيل في

ماتيا مفعول بمعنى اتٍ والوجه ان الوعد هو الجنة وهم ياتونها او من قولك اتى اليه

احسانا اي كان وعده مفعولا منجزا اللغو فضول الكلام وما لا طائل تحته وفيه تنبيه

ظاهر على وجوب تجنب اللغو واتقائه حيث نزه الله عنه الدار التي لا تكليف فيها وما احسن

قوله جل وعلا واذا مروا باللغو مروا كراما واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا

ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين نعوذ بالله من اللغو والجهل والخوض فيما لا

يعنينا اي ان كان تسليم بعضهم على بعض او تسليم الملائكة عليهم لغوا فلا يسمعون لغوا

الا ذلك فهو من وادي قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول او لا يسمعون فيها

الا قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة على الاستثنا المنقطع او لان معنى السلام هو

الدعا بالسلامة ودار السلام هي دار السلامة واهلها عن الدعا بالسلامة اغنيا فكان ظاهر

من باب اللغو وفضول الحديث لولا ما فيه من فائدة الاكرام من الناس من ياكل الوجبة

ومنهم من ياكل متى وجد وهي عادة المنهومين ومنهم من يتغدى ويتعشى وهي العادة

الوسطى المحمودة ولا يكون ثم ليل ولا نهار ولكن على التقدير ولان المتنعم عند العرب من

وجد غدا وعشا وقيل اراد دوام الرزق ودروره كما تقول انا عند فلان صباحا ومسا

وبكرة وعشيا تريد الديمومة ولا تقصد الوقتين المعلومين نورث وقري نورّث استعارة

اي نبقي عليه الجنة كما نبقي على الوارث مال المورث ولان الاتقيا يلقون ربهم يوم القيمة

قد انقضت اعمالهم وثمرتها باقية وهي الجنة فاذا ادخلهم الجنة فقد اورثهم من تقواهم كما يورث

الوارث المال من المتوفى وقيل اورثوا من الجنة المساكن التي كانت لاهل النار لو اطاعوا

وما نتنزل حكاية قول جبريل صلوات الله عليه حين استبطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم روي انه

احتبس اربعين يوما وقيل خمسة عشر وذلك حين سئل عن قصة اصحاب الكهف وذي القرنين

والروح فلم يدر كيف يجيب ورجا ان يوحى اليه فيه فشق ذلك عليه مشقة شديدة وقال المشركون

ودعه ربه وقلاه فلما نزل جبريل قال له النبي صلى الله عليه وسلم ابطات حتى ساء ظني واشتقت اليك قال اني

كنت اشوق ولكني عبد مامور اذا بعثت نزلت واذا حبست احتبست وانزل الله هذه الاية

وسورة والضحى والتنزل على معنيين معنى النزول على مهل ومعنى النزول على الاطلاق كقوله

فلست لانسي ولكن لملاك تنزل من جو السما يصوب لانه مطاوع نزل ونزل يكون بمعنى انزل

والمعنى المراد

ومعنى التدريج واللائق بهذا الموضع هو النزول على مهل والمراد ان نزولنا في الاحايين وقتا

غب وقت ليس الا بامر الله وعلى ما يراه صوابا وحكمة وله ما قدامنا وما خلفنا من الجهات

والاماكن وما نحن فيها فلا نتمالك ان ننتقل من جهة الى جهة ومكان الى مكان الا بامر

المليك ومشيته وهو الحافظ العالم بكل حركة وسكون وما يحدث ويتجدد من الاحوال

لا يجوز عليه الغفلة والنسيان فانّى لنا ان نتقلب في ملكوته الا اذا راى ذلك مصلحة

وحكمة واطلق لنا الاذن فيه وقيل ما سلف من امر الدنيا وما يستقبل من امر الاخرة

وما بين ذلك وما بين النفختين وهو اربعون سنة وقيل ما مضى من اعمارنا وما غبر منها

والحال التي نحن فيها وقيل ما قبل وجودنا وما بعد فنائنا وقيل الارض التي بين ايدينا

اذا نزلنا والسما التي وراءنا وما بين السما والارض والمعنى انه المحيط بكل شي لا تخفى عليه

خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة فكيف نقدم على فعل نحدثه الا صادرا عما توجبه

حكمته ويامرنا وياذن لنا فيه وقيل معنى وما كان ربك نسيا وما كان تاركا لك

كقوله ما ودعك ربك وما قلى اي ما كان امتناع النزول الا لامتناع الامر به واما

احتباس الوحي فلم يكن عن ترك الله لك وتوديعه اياك ولكن لتوقفه على المصلحة

وقيل هي حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة اي وما ننزل الجنة الا بامر من الله

علينا بثواب اعمالنا وامرنا بدخولها وهو المالك لرقاب الامور كلها السالفة والمترقبة

والحاضرة اللاطف في اعمال الخير والموفق لها والمجازي عليها ثم قال الله تعالى تقريرا

لقولهم وما كان ربك ناسيا لاعمال العاملين غافلا عما يجب ان يثابوا به وكيف يجوز

النسيان والغفلة على ذي ملكوت السموات والارض وما بينهما ثم قال لرسوله صلى الله عليه وسلم حين عرج

عرفته على هذه الصفة فاقبل على العمل واعبده يثبك كما اثاب غيرك من المتقين وقرا الا

وما يتنزل بالياء على الحكاية عن جبريل والضمير للوحي وعن ابن مسعود الا بقول ربك يجب

ان يكون الخلاف في النسي مثله في النعي رب السموات والارض بدل من ربك ويجوز

ان يكون خبر مبتدا محذوف اي هو رب السموات والارض فاعبد كقوله وقائلة

خولان فانكح فتاتهم وعلى هذا الوجه يجوز ان يكون وما كان ربك نسيا من كلام

المتقين وما بعده من كلام رب العزة فان قلت هلا عدي اصطبر بعلى التي هي

صلته كقولك واصطبر عليها قلت لان العبادة جعلت بمنزلة القرن في قولك للمحارب

اصطبر لقرنك اي اثبت له فيما يورد عليك من شداته اريد ان العبادة تورد عليك

شدائد ومشاق فاثبت لها ولا تهن ولا يضق صدرك عن القا عداتك من اهل الكتاب

اليك الاغاليط وعن احتباس الوحي عليك مدة وشماتة المشركين بك اي لم يسم شي بالله

قط وكانوا يقولون لاصنامهم الهة والعزى اله واما الذي عوض فيه الالف

واللام من الهمزة فمخصوص به المعبود الحق غير مشارك فيه وعن ابن عباس لا يسمى احد

الرحمن غيره ووجه اخر هل تعلم من سمي باسمه على الحق دون الباطل لان التسمية على

الباطل في كونها غير معتد بها كلا تسمية وقيل مثلا وشبيها اي اذا صح ان لا معبود

يوجه اليه العبادة الا هو وحده لم يكن بد من عبادته والاصطبار على مشاقها

وتكاليفها يحتمل ان يراد بالانسان الجنس باسره وان يراد بعض الجنس وهم الكفرة فان

قلت لم جازت ارادة الاناسي كلهم وكلهم غير قائلين ذلك قلت لما كانت هذه المقالة موجودة

فيمن هو من جنسهم صح اسناده الى جميعهم كما يقولون بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل

رجل منهم وقال الفرزدق فسيف بني عبس وقد ضربوا به نبا بيدي ورقاء عن راس خالد
فقد اسند الضرب الى بني عبس مع قوله نبا بيدي ورقاء وهو ورقاء بن زهير بن جذيمة العبسي
فان قلت لم انتصب اذا وانتصابه باخرج ممتنع لاجل اللام لا تقول اليوم لزيد قائم قلت
بفعل مضمر يدل عليه المذكور فان قلت لام الابتداء الداخلة على المضارع تعطي معنى الحال فكيف
جامعت حرف الاستقبال قلت لم تجامعها الا مخلصة للتاكيد كما اخلصت الهمزة في
يا الله للتعويض واضمحل عنها معنى التعريف وما في اذا ما للتوكيد ايضا فكانهم قالوا
احقا انا سنخرج احياء حين تمكن فينا الموت والهلاك على وجه الاستنكار والاستبعاد والمراد
الخروج من الارض او من حال الفناء او هو من قولهم خرج فلان عالما وخرج صناعا اذا كان
نادرا في ذلك يريد ساخرج حيا نادرا على سبيل الهزؤ وقرا الحسن وابو حيوة لسوف اخرج وعن
طلحة بن مصرف لساخرج كقراءة ابن مسعود ولسيعطيك وتقديم الظرف وايلاؤه حرف
الانكار من قبل ان ما بعد الموت هو وقت كون الحياة منكرة ومنه جاء انكارهم فهو كقولك
للمسيء الى المحسن احين تمت عليك نعمة فلان اسات اليه الواو عطفت لا يذكر على يقول
ووسطت همزة الانكار بين المعطوف عليه وحرف العطف يعني ايقول ذلك ولا يتذكر حال
النشاة الاولى حتى لا ينكر الاخرى فان تلك اعجب واغرب وادل على قدرة الخالق حيث
اخرج الجواهر والاعراض من العدم الى الوجود ثم اوقع التاليف مشحونا بضروب الحكم
التي تحار الفطن فيها من غير حذو على مثال واقتداء بمؤلف ولكن اختراعا وابداعا من عند
قادر جلت قدرته ودقت حكمته واما الثانية فقد تقدمت نظيرتها وعادت لها كالمثال
المحذو عليه وليس فيها الا تاليف الاجزاء الموجودة الباقية وتركيبها وردها الى ما
كانت عليه مجموعة بعد التفكيك والتفريق وقوله ولم يك شيئا دليل على هذا المعنى وكذلك
قوله وهو اهون عليه على ان رب العزة سواء عليه النشاتان لا تفاوت في قدرته الصعب
والسهل ولا يحتاج الى احتذاء على مثال ولا استعانة بحكيم ولا نظر في مقياس ولكن يواجه
جاحد البعث بذلك دفعا في نحر معاندته وكشفا عن صفحة جهله القراء كلهم على لا
يذكر بالتشديد الا نافعا وابن عامر وعاصما فقد خففوا وفي حرف ابي يتذكر من قبل
من قبل الحالة التي هو فيها وهي حالة بقائه في اقسام الله تعالى باسمه تقدست اسماؤه
مضافا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تفخيم لشان رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع منه كما رفع من شان السماء
والارض في قوله فورب السماء والارض انه لحق والواو في والشياطين يجوز ان تكون
للعطف وبمعنى مع وهي بمعنى اوقع والمعنى انهم يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين
اغووهم يقرن كل كافر مع شيطان في سلسلة فان قلت هذا اذا اريد بالانسان الكفرة
خاصة فان اريد الاناسي على العموم فكيف يستقيم حشرهم مع الشياطين قلت اذا حشر
جميع الناس حشرا واحدا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا مع الشياطين كما
حشروا مع الكفرة فان قلت هلا عزل السعداء عن الاشقياء في الحشر كما عزلوا عنهم في الجزاء
قلت لم يفرق بينهم وبينهم في المحشر واحضروا حيث تجاثوا حول جهنم واوردوا معهم النار
ليشاهد السعداء الاحوال التي نجاهم الله منها وخلصهم فيزدادوا لذلك غبطة الى غبطة
وسرورا الى سرور ويشمتوا باعداء الله واعدائهم فتزداد مساءتهم وحسرتهم وما يغيظهم
من سعادة اولياء الله وشماتتهم بهم فان قلت ما معنى احضارهم جثيا قلت اما اذا فسر
الانسان بالخصوص فالمعنى انهم يقبلون من المحشر الى شاطئ جهنم عتلا على حالهم التي كانوا

عليها

عليها في الموقف جثاة على ركبهم غير مشاة على اقدامهم وذلك ان اهل الموقف وصفوا بالجثو
قال الله تعالى وترى كل امة جاثية على العادة المعهودة في مواقف المقاولات والمناقلات
من تجاثي اهلها على الركب لما في ذلك من الاستيفاز والقلق واطلاق الحبا خلاف الطمانينة
او لما يدهمهم من شدة الامر التي لا يطيقون معها القيام على ارجلهم فيجثون على ركبهم جثوا
وان فسر بالعموم فالمعنى انهم يتجاثون عند موافاة شاطئ جهنم على ان جثيا حال مقدرة
كما كانوا في الموقف متجاثين لانه من توابع التواقف للحساب قبل التوصل الى الثواب
والعقاب المراد بالشيعة وهي فعلة كفرقة وفئة الطائفة التي شاعت اي تبعت غاويا
من الغواة قال الله تعالى ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا يريد نمتاز من كل طائفة من
طوائف الغي والفساد اعصاهم فاعصاهم واعتاهم فاعتاهم فاذا اجتمعوا طرحناهم في
النار على الترتيب نقدم اولاهم بالعذاب فاولاهم او اراد بالذين هم اولى بها صليا المنتزعين
كما هم كانه قال ثم لنحن اعلم بتصلية هؤلاء وهم اولى بالصلي من بين سائر الصالين ودركاتهم
اسفل وعذابهم اشد ويجوز ان يريد باشدهم عتيا رؤساء الشيع وائمتهم لتضاعف جرمهم
بكونهم ضلالا مضلين قال الله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق
العذاب بما كانوا يفسدون وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم واختلف في اعراب ايهم اشد
فعن الخليل انه مرتفع على الحكاية تقديره لننزعن الذين يقال فيهم ايهم اشد وسيبويه على انه
مبني على الضم لسقوط صدر الجملة التي هي صلته حتى لو جيء به لاعرب وقيل ايهم هو اشد
ويجوز ان يكون النزع واقعا على من كل شيعة كقوله ووهبنا لهم من رحمتنا اي لننزعن بعض كل
شيعة فكان قائلا قال من هم فقيل ايهم اشد عتيا وايهم بالنصب عن طلحة بن مصرف وعن معاذ
بن مسلم الهراء استاذ الفراء فان قلت بم يتعلق على والباء فان تعلقهما بالمصدر لا
سبيل اليه قلت هما للبيان لا للصلة او يتعلقان بافعل اي عتوهم اشد على الرحمن وصليهم اولى
بالنار كقولك هو اشد على خصمه وهو اولى بكذا وان منكم التفات الى الانسان يعضده
قراءة ابن عباس وعكرمة وان منهم او خطاب للناس من غير التفات الى المذكور فان اريد الجنس
كله فمعنى الورود دخولهم فيها وهي جامدة فيعبرها المؤمنون وتنهار بغيرهم عن ابن عباس
يردونها كانها اهالة وروي دواية وعن جابر بن عبد الله انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن ذلك فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض اليس قد وعدنا ربنا ان نرد النار
فيقال لهم قد وردتموها وهي جامدة وعنه رضي الله عنه انه سئل عن هذه الاية فقال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمنين
بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم عليه السلام حتى ان للنار ضجيجا من بردها واما قوله اولئك عنها مبعدون
فالمراد عن عذابها وعن ابن مسعود والحسن وقتادة هو الجواز على الصراط لان الصراط ممدود
عليها وعن ابن عباس قد يرد الشيء الشيء ولا يدخله كقوله ولما ورد ماء مدين ووردت القافلة
وان لم تدخله ولكن قربت منه وعن مجاهد ورود المؤمن النار هو مس الحمى جسده في الدنيا
لقوله عليه السلام الحمى من فيح جهنم وفي الحديث الحمى حظ كل مؤمن من النار ويجوز ان يراد بالورود
جثوهم حولها وان اريد الكفار خاصة فالمعنى بين الحتم مصدر حتم الامر اذا اوجبه
فسمي به الموجب كقولهم خلق الله وضرب الامير اي كان ورودهم واجبا على الله اوجبه
على نفسه وقضى به وعزم على ان لا يكون غيره وقرئ ننجي وننجي وينجي على ما لم يسم فاعله
ان اريد الجنس باسره فهو ظاهر وان اريد الكفرة وحدهم فمعنى ثم ننجي الذين اتقوا ان المتقين

يساقون الى الجنة عقيب ورود الكفار لا انهم يواردونهم ثم يتخلصون وفي قراءة ابن مسعود وابن عباس
والجحدري وابن ابي ليلى ثم ننجي بفتح الثاء اي هناك وقوله ونذر الظالمين فيها جثيا دليل على
ان المراد بالورود الجثو حواليها وان المؤمنين يفارقون الكفرة الى الجنة بعد تجاثيهم وتبقى
الكفرة في مكانهم جاثين بينات مرتلات الالفاظ ملخصات المعاني مبينات المقاصد
اما محكمات او متشابهات قد تبعها البيان بالمحكمات او بتبيين الرسول قولا او فعلا او
ظاهرات الاعجاز تحدي بها فلم يقدر على معارضتها او حججا وبراهين والوجه ان تكون
حالا مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا لان ايات الله لا تكون الا واضحة وحججا للذين امنوا
يحتمل انهم يناطقون المؤمنين بذلك ويواجهونهم به وانهم يفوهون به لاجلهم وفي معناهم
كقوله تعالى وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه قرا ابن كثير مقاما
بالضم وهو موضع الاقامة والمنزل والباقون بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان
والموضع والندي المجلس ومجتمع القوم وحيث ينتدون والمعنى انهم اذا سمعوا الايات
وهم جهلة لا يعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا وذلك مبلغهم من العلم قالوا اي الفريقين
من المؤمنين بالايات والجاحدين لها اوفر حظا من الدنيا حتى يجعل ذلك عيارا على الفضل والنقص
والرفعة والضعة ويروى انهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنون ويتطيبون ويتزينون
بالزين الفاخرة ثم يدعون مفتخرين على فقراء المسلمين انهم اكرم على الله منهم وكم مفعول
اهلكنا ومن تبيين لابهامها اي كثيرا من القرون اهلكنا وكل اهل عصر قرن
لمن بعدهم لانهم يتقدمونهم وهم احسن في محل النصب صفة لكم الا ترى انك لو تركت هم
لم يكن لك بد من نصب احسن على الوصفية الاثاث متاع البيت وقيل هو ما جد
من الفرش والخرثي ما لبس منها وانشد الحسن بن علي الطوسي تقادم العهد من ام
الوليد بنا دهرا وصار اثاث البيت خرثيا وقرئ على خمسة اوجه رئيا وهو المنظر
والهيئة فعل بمعنى مفعول من رايت وريئا على القلب كقولهم راء في راى
وريا على قلب الهمزة ياء والادغام او من الري الذي هو النعمة والترفه من قولهم
ريان من النعيم وريا على حذف الهمزة راسا ووجهه ان يخفف المقلوب وهو رئيا
بحذف همزته والقاء حركتها على الياء الساكنة قبلها وزيا واشتقاقه من الزي وهو الجمع لان
الزي محاسن مجموعة والمعنى احسن من هولاء اي فليمدد له الرحمن بمعنى امهله واملى له
في العمر فاخرج على لفظ الامر ايذانا بوجوب ذلك وانه مفعول لا محالة كالمامور به الممتثل ليقطع
معاذير الضال ويقال له يوم القيامة او لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر او كقوله انما نملي لهم
ليزدادوا اثما او من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا في معنى الدعاء بان يمهله الله
وينفس في مدة حياته في هذه الاية وجهان احدهما ان تكون متصلة بالاية التي هي رابعتها
والايتان اعتراض بينهما اي قالوا اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا حتى اذا راوا ما
يوعدون اي لا يبرحون يقولون هذا القول ويتولعون به لا يتكافون عنه الى ان يشاهدوا
الموعود راي عين اما العذاب في الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم
اياهم قتلا واسرا واظهار الله دينه على الدين كله على ايديهم واما يوم القيامة وما ينالهم
من الخزي والنكال فحينئذ يعلمون عند المعاينة ان الامر على عكس ما قدروه وانهم
شر مكانا واضعف جندا لا خير مقاما واحسن نديا وان المؤمنين على خلاف صفتهم
والثاني ان تتصل بما يليها والمعنى ان الذين في الضلالة ممدود لهم في ضلالتهم والخذلان لاصق

بهم لعلم الله بهم وبان الالطاف لا تنفع فيهم وليسوا من اهلها والمراد بالضلالة ما دعاهم
من جهلهم وغلوهم في كفرهم الى القول الذي قالوه لا ينفكون عن ضلالتهم الى ان يعاينوا نصرة
الله المؤمنين او يشاهدوا الساعة ومقدماتها فان قلت حتى هذه ما هي قلت
هي التي تحكى بعدها الجمل الا ترى الجملة الشرطية واقعة بعدها وهي قوله اذا راوا ما يوعدون
فسيعلمون من هو شر مكانا واضعف جندا في مقابلة خير مقاما واحسن نديا لان مقامهم
هو مكانهم ومسكنهم والندي المجلس الجامع لوجوه قومهم واعوانهم وانصارهم والجند
هم الانصار والاعوان ويزيد معطوف على موضع فليمدد لانه واقع موقع الخبر تقديره
من كان في الضلالة مد او يمد له الرحمن ويزيد اي يزيد في ضلال الضال بخذلانه ويزيد
المهتدين هداية بتوفيقه والباقيات الصالحات اعمال الاخرة كلها وقيل الصلوات الخمس
وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اي هي خير ثوابا من مفاخرات
الكفار وخير مردا اي مرجعا وعاقبة او منفعة من قولهم ليس لهذا الامر مرد وهل
يرد بكائي زندا فان قلت كيف قيل خير ثوابا كان لمفاخراتهم ثوابا حتى يجعل ثواب
الصالحات خيرا منه قلت كانه قيل ثوابهم النار على طريقة قوله فاعتبوا بالصيلم وقوله
شجعاء جرتها الذميل تلوكه اصلا اذا راح المطي غراثا وقوله تحية بينهم
ضرب وجيع ثم بنى عليه خير ثوابا وفيه ضرب من التهكم الذي هو اغيظ للمتهدد من
ان يقال له عقابك النار فان قلت فما وجه التفضيل في الخبر كان لمفاخرهم شركا فيه
قلت هذا من وجيز كلامهم يقولون الصيف احر من الشتاء اي ابلغ في حره من الشتاء
في برده لما كانت مشاهدة الاشياء ورؤيتها طريقا الى الاحاطة بها علما وصحة الخبر
عنها استعملوا ارايت في معنى اخبر والفاء جاءت لافادة معناها الذي هو التعقيب كانه
قال اخبر ايضا بقصة هذا الكافر واذكر حديثه عقيب حديث اولئك اطلع الغيب من
قولهم اطلع الجبل اذا ارتقى الى اعلاه وطلع الثنية قال جرير لاقيت مطلع الجبال وعورا
ويقولون مر مطلعا لذلك الامر اي عاليا عليه مالكا له ولاختيار هذه الكلمة شان يقول
اوقد بلغ من عظمة شانه ان ارتقى الى علم الغيب الذي توحد به الواحد القهار والمعنى
ان ما ادعى ان يؤتاه وتالى عليه لا يتوصل اليه الا باحد هذين الطريقين اما علم الغيب
واما عهد من عالم الغيب فبايهما توصل الى ذلك قرا حمزة والكسائي ولدا وهو جمع ولد
كاسد في اسد او بمعنى الولد كالعرب في العرب وعن يحيى بن يعمر وولدا بالكسر وقيل
العهد كلمة الشهادة وعن قتادة هل له عمل صالح قدمه فهو يرجو به ذلك ما يقول وعن
الكلبي هل عهد الله اليه انه يؤتيه ذلك عن الحسن رحمه الله نزلت في الوليد بن المغيرة والمشهور
انها في العاص بن وائل قال خباب بن الارت كان لي عليه دين فاقتضيته فقال لا والله
حتى تكفر بمحمد قلت لا والله لا اكفر بمحمد حيا ولا ميتا ولا حين تبعث قال فاني اذا مت بعثت
قال نعم قال اذا بعثت جئتني وسيكون لي ثم مال وولد فاعطيك وقيل صاغ له خباب حليا
فاقتضاه الاجر فقال انكم تزعمون انكم تبعثون وان في الجنة ذهبا وفضة وحريرا فانا اقضيك
ثم فاني اوتى قال لاوتين مالا وولدا حينئذ كلا ردع وتنبيه على الخطا اي هو مخطئ فيما تصوره لنفسه
ويتمناه فليرتدع عنه فان قلت كيف قيل سنكتب بسين التسويف وهو كما قاله كتب من غير
تاخير قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد قلت فيه وجهان احدهما سنظهر
له ونعلمه انا كتبنا قوله على طريقة قوله اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة اي تبين وعلم بالانتساب اني لست ابن

لبسه والثاني ان المتوعد يقول للجاني سوف انتقم منك يعني انه لا يخل بالانتصار وان تطاول
به الزمان واستأخر فجردها هاهنا لمعنى الوعيد ونمد له من العذاب اي نطول له من العذاب
ما يستأهله ونعذبه بالنوع الذي يعذب به الكفار المستهزءون او نزيد من العذاب ونضاعف
له من المدد يقال مده وامده بمعنى وتدل عليه قراءة علي بن ابي طالب رضي الله عنه ونمد له بالضم
واكد ذلك بالمصدر وذلك من فرط غضب الله نعوذ به من التعرض لما نستوجب به غضبه
ونرثه ما يقول اي نزوي عنه ما زعم انه يناله في الآخرة ونعطيه من يستحقه والمعنى مسمى
ما يقول وهو المال والولد يقول الرجل انا املك كذا فتقول له ولي فوق ما تقول ويحتمل انه
قد تمنى وطمع ان يؤتيه الله في الدنيا مالا وولدا وبلغت به اشعبيته ان تألى على ذلك
في قوله لاوتين لانه جواب قسم مضمر ومن يتأل على الله يكذبه فيقول الله عز وجل هب انا
اعطيناه ما اشتهاه اما نرثه منه في العاقبة ويأتينا فردا غدا بلا مال ولا ولد كقوله عز وجل
ولقد جئتمونا فرادى الآية فما يجدي عليه تمنيه وتأليه ويحتمل ان هذا القول انما يقوله ما دام
حيا فاذا قبضناه حلنا بينه وبين ان يقوله ويأتينا رافضا له منفردا عنه غير قائل له
او لا ننسى قوله هذا ولا نلغيه بل نثبته في صحيفته لنضرب به وجهه في الموقف ونعيره
به ويأتينا على فقره ومسكنته فردا من المال والولد لم نوله سؤله ولم نؤته متمناه فيجمع
عليه الخطبان تبعة قوله ووباله وفقد المطموع فيه فردا على الوجه الاول حال مقدرة
نحو فادخلوها خالدين لانه وغيره سواء في اتيانه فردا حين يأتي ثم يتفاوتون بعد ذلك اي
ليتعززوا بآلهتهم حيث يكونون لهم عند الله شفعاء وانصارا ينقذونهم من العذاب كلا
ردع لهم وانكار لتعززهم بالآلهة وقرأ ابن نهيك كلا سيكفرون بعبادتهم اي سيجحدون
كلا سيكفرون بعبادتهم كقولك زيدا مررت بغلامه وفي محتسب ابن جني كلا بفتح الكاف والتنوين
وزعم ان معناه كل هذا الرأي والاعتقاد كلا ولقائل ان يقول ان صحت هذه الرواية
فهي كلا التي للردع قلب الواقف عليها الفها نونا كما في قواريرا والضمير في سيكفرون للآلهة
اي سيجحدون عبادتهم وينكرونها ويقولون والله ما عبدتمونا وانتم كاذبون قال
الله تعالى واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من
دونك فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون او للمشركين اي ينكرون لسوء العاقبة ان
يكونوا قد عبدوها قال الله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين
ويكونون عليهم ضدا في مقابلة لهم عزا والمراد ضد العز وهو الذل والهوان اي يكونون عليهم
ضدا لما قصدوه وارادوه كأنه قيل ويكونون عليهم ذلا لا لهم عزا او يكونون عليهم عونا
والضد العون يقال من اضدادكم اي اعوانكم وكأن العون سمي ضدا لانه يضاد
عدوك وينافيه باعانته لك عليه فان قلت لم وحد قلت وحد توحيد قوله عليه السلام وهم يد
على من سواهم لاتفاق كلمتهم وانهم كشيء واحد لفرط تضامهم وتوافقهم ومعنى
كون الآلهة عونا عليهم انهم وقود النار وحصب جهنم ولانهم عذبوا بسبب عبادتها
وان رجعت الواو في سيكفرون ويكونون الى المشركين فان المعنى ويكونون عليهم اي
اعدائهم ضدا اي كفرة بهم بعد ان كانوا يعبدونها الأز والهز والاستفزاز اخوات
ومعناها التهييج وشدة الازعاج اي تغريهم على المعاصي وتهيجهم لها بالوساوس
والتسويلات والمعنى خلينا بينهم وبينهم ولم نمنعهم ولو شاء لمنعهم قسرا والمراد تعجيب
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الآيات التي ذكرها الغتاة والمردة من الكفار واقاويلهم

وملاحتهم

وملاحتهم ومعاندتهم للرسل واستهزائهم بالدين من تماديهم في الغي وافراطهم في العناد وتصميمهم
على الكفر واجماعهم على دفع الحق بعد وضوحه وانتفاء الشك عنه وانهماكهم لذلك في اتباع
الشياطين وما تسول لهم تعجلت عليه بكذا اذا استعجلته منه اي لا تعجل عليهم بان
يهلكوا ويبيدوا حتى تستريح انت والمسلمون من شرورهم وتطهر الارض بقطع دابرهم فليس
بينك وبين ما تطلب من هلاكهم الا ايام محصورة وانفاس معدودة كأنها في سرعة تقضيها
الساعة التي تعد فيها لو عدت ونحوه قوله تعالى ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون
لم يلبثوا الا ساعة من نهار وعن ابن عباس رضي الله عنه انه كان اذا قرأها بكى وقال
آخر العدد خروج نفسك آخر العدد فراق اهلك آخر العدد دخول قبرك وعن ابن السماك
انه كان عند المأمون فقرأها فقال اذا كانت الانفاس بالعدد ولم يكن لها مدد فما اسرع
ما تنفد نصب يوم بمضمر اي يوم نحشر نفعل بالفريقين ما لا يحيط به الوصف او
اذكر يوم نحشر ويجوز ان ينتصب بلا يملكون ذكر المتقين بلفظ التبجيل وهو انهم
يجمعون الى ربهم الذي غمرهم برحمته وخصهم برضوانه وكرامته كما يفد الوفاد على الملوك
منتظرين للكرامة عندهم وعن علي رضي الله عنه ما يحشرون والله على ارجلهم ولكنهم على
نوق رحالها من ذهب وعلى نجائب سروجها من ياقوت وذكر الكافرين بانهم يساقون
الى النار باهانة واستخفاف كأنهم نعم عطاش تساق الى الماء والورد العطاش لان من
يرد الماء لا يرده الا للعطش وحقيقة الورد المسير الى الماء قال الراجز ردي ردي ورد
قطاة صما كدرية اعجبها برد الماء فسمي به الواردون وقرأ الحسن يحشر المتقون ويساق
المجرمون الواو في لا يملكون ان جعل ضميرا فهو للعباد ودل عليه ذكر المتقين والمجرمين
لانهم على هذه القسمة ويجوز ان يكون علامة للجمع كالتي في اكلوني البراغيث والفاعل من اتخذ
لانه في محل الجمع ومحل من اتخذ رفع على البدل او على الفاعلية ويجوز ان ينتصب على تقدير
حذف المضاف اي الا شفاعة من اتخذ والمراد لا يملكون ان يشفع لهم واتخاذ العهد
الاستظهار بالايمان والعمل وعن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه ذات يوم
ايعجز احدكم ان يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول كل صباح
ومساء اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة اني اعهد اليك بأني اشهد ان
لا اله الا انت وحدك لا شريك لك وان محمدا عبدك ورسولك وانك ان تكلني الى نفسي تقربني
من الشر وتباعدني من الخير واني لا اثق الا برحمتك فاجعل لي عندك عهدا توفينيه يوم القيامة انك
لا تخلف الميعاد فاذا قال ذلك طبع عليه بطابع ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيامة نادى
مناد اين الذين لهم عند الله عهد فيدخلون الجنة وقيل كلمة الشهادة ويكون من عهد
الامير الى فلان بكذا اذا امره به اي لا يشفع الا المأمور بالشفاعة المأذون له فيها
وتعضده مواضع في التنزيل وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان يأذن
الله لمن يشاء ويرضى ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن
له الرحمن ورضي له قولا قرئ ادا بالكسر والفتح قال ابن خالويه الاد والاد العجب وقيل العظيم
المنكر والادة الشدة وادني الامر واداني اثقلني وعظم علي ادا تكاد قرأه الكسائي
ونافع بالياء وقرئ ينفطرن الانفطار من فطره اذا شقه والتفطر من فطره اذا شققه
وكرر الفعل فيه وقرأ ابن مسعود ينصدعن اي تهد هدا او مهدودة او مفعول له اي لانها تهد

فان قلت ما معنى انفطار السموات وانشقاق الارض وخرور الجبال ومن اين تؤثر هذه الكلمة
في الجمادات قلت فيه وجهان احدهما ان الله سبحانه يقول كدت افعل هذا بالسموات والارض
والجبال عند وجود هذه الكلمة غضبا مني على من تفوه بها لولا حلمي ووقاري واني لا اعجل بالعقوبة
كما قال ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده انه كان
حليما غفورا والثاني ان يكون استعظاما للكلمة وتهويلا من فظاعتها وتصويرا لاثرها
في الدين وهدمها لاركانه وقواعده وان مثال ذلك الاثر في المحسوسات ان يصيب هذه الاجرام
العظيمة التي هي قوام العالم ما تنفطر منه وتنشق وتخر وفي قوله لقد جئتم وما فيه من
المخاطبة بعد الغيبة وهو الذي يسمى الالتفات في علم البلاغة زيادة تسجيل عليهم بالجراءة على
الله والتعرض لسخطه وتنبيه على عظم ما قالوه في ان دعوا ثلاثة اوجه ان يكون مجرورا
بدلا من الهاء في منه كقوله على حاله لو ان في القوم حاتما على جوده لضن بالماء حاتم ومنصوبا
بتقدير سقوط اللام وافضاء الفعل اي هدا لان دعوا علل الخرور بالهد والهد بدعاء الولد
للرحمن ومرفوعا بانه فاعل هدا اي هدها دعاء الولد للرحمن وفي اختصاص الرحمن وتكريره
مرات من الفائدة انه هو الرحمن وحده لا يستحق هذا الاسم غيره من قبل ان اصول النعم
وفروعها منه خلق العالمين وخلق لهم جميع ما معهم كما قال بعضهم فلينكشف عن بصرك
غطاؤه فانت وجميع ما عندك عطاؤه فمن اضاف اليه ولدا فقد جعله كبعض خلقه واخرجه
بذلك عن استحقاق اسم الرحمن هو من دعا بمعنى سمى المتعدي الى مفعولين فاقتصر على احدهما
الذي هو الثاني طلبا للعموم والاحاطة بكل ما ادعي له ولدا او من دعا بمعنى نسب الذي
مطاوعه ما في قوله عليه السلام من ادعى الى غير مواليه وقول الشاعر انا بني نهشل لا ندعي لاب
اي لا ننتسب اليه انبغى مطاوع بغى اذا طلب اي ما يتأتى له اتخاذ الولد وما ينطلب لو طلب
مثلا لانه محال غير داخل تحت الصحة اما الولادة المعروفة فلا مقال في استحالتها واما التبني
فلا يكون الا فيما هو من جنس المتبنى وليس للقديم سبحانه جنس تعالى عما يقول الظالمون علوا
كبيرا من موصوفة لانها وقعت بعد كل نكرة وقوعها بعد رب في قوله رب من انضجت
غيظا صدره وقرأ ابن مسعود وابو حيوة آت الرحمن على اصله قبل الاضافة الاحصاء
الحصر والضبط يعني حصرهم بعلمه واحاط بهم وعدهم عدا الذين اعتقدوا في الملائكة
وعيسى وعزير انهم اولاد الله كانوا بين كفرين احدهما القول بان الرحمن يصح ان يكون والدا
والثاني اشراك الذين زعموهم لله اولادا في عبادته كما يخدم الناس ابناء الملوك خدمتهم لآبائهم
فهدم الله الكفر الاول فيما تقدم من الآيات ثم عقبه بهدم الكفر الآخر والمعنى ما من
معبود لهم في السموات والارض من الملائكة ومن الناس الا وهو يأتي الرحمن اي يأوي اليه
ويلتجئ الى ربوبيته عبدا منقادا مطيعا خاشعا خاشيا راجيا كما يفعل العبيد وكما يجب عليهم لا
يدعي لنفسه ما يدعيه له هؤلاء الضلال ونحوه قوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم
الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه وكلهم متقلبون في ملكوته مقهورون بقهره
وهو مهيمن عليهم محيط بهم وبجمل امورهم وتفاصيلها وكيفيتهم وكميتهم لا يفوته شيء من احوالهم
وكل واحد منهم آتيه يوم القيامة منفردا ليس معه من هؤلاء المشركين احد وهم برآء منهم
قرأ جناح بن حبيش ودا بالكسر والمعنى سيحدث لهم في القلوب مودة ويزرعها لهم من غير تودد
منهم ولا تعرض للاسباب التي يكتسب بها الناس مودات القلوب من قرابة او صداقة او
اصطناع معروف او غير ذلك وانما هو اختراع منه ابتداء اختصاصا منه لاوليائه بكرامة خاصة

كما قذف في قلوب اعدائهم الرعب والهيبة اعظاما لهم واجلالا لمكانهم والسين اما
لان السورة مكية وكان المؤمنون حينئذ ممقوتين بين الكفرة فوعدهم الله ذلك اذا دجا
الاسلام واما ان يكون ذلك يوم القيامة يحببهم الى خلقه بما يعرض من حسناتهم وينشر من
ديوان اعمالهم وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي رضي الله عنه يا علي قل اللهم اجعل لي عندك
عهدا واجعل لي في صدور المؤمنين مودة فانزل الله هذه الآية وعن ابن عباس يعني
يحبهم الله ويحببهم الى خلقه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل يا جبريل قد احببت
فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في اهل السماء ان الله قد احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل
السماء ثم يضع له المحبة في الارض وعن قتادة ما اقبل العبد الى الله الا اقبل الله بقلوب
العباد اليه هذه خاتمة السورة ومقطعها فكانه قال بلغ هذا المنزل او بشر به وانذر
فانما انزلناه بلسانك اي بلغتك وهو اللسان العربي المبين وسهلناه وفصلناه
لتبشر به وتنذر واللد الشداد الخصومة بالباطل الآخذون في كل لديد اي في كل
شق من المراء والجدال لفرط لجاجهم يريد اهل مكة وقوله وكم اهلكنا تخويف لهم
وانذار وقرئ تحس من حسه اذا شعر به ومنه الحواس والمحسوسات وقرأ حنظلة
تسمع مضارع اسمعت والركز الصوت الخفي ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض
والركاز المال المدفون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة مريم اعطي عشر حسنات
بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وابراهيم واسحق ويعقوب وموسى
وهرون واسمعيل وادريس وعشر حسنات بعدد من دعا الله في الدنيا وبعدد من لم يدع الله

سورة طه مكية وهي مائة وثلثون واربع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم طه ابو عمرو فخم الطاء لاستعلائها
وامال الهاء وفخمهما ابن كثير وابن عامر على الاصل والباقون امالوهما وعن الحسن طه وفسر بانه امر
بالوطء وان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم في تهجده على احدى رجليه فامر بان يطأ الارض
بقدميه معا وان الاصل طأ فقلبت همزته هاء او قلبت في يطأ الفا كقوله لا هناك المرتع
ثم بنى عليه الامر والهاء للسكت ويجوز ان يكتفى بشطري الاسمين وهما الدالان بلفظهما
على المسمين والله اعلم بصحة ما يقال ان طاها في لغة عك في معنى يا رجل ولعل عكا تصرفوا
في يا هذا كانهم في لغتهم قالبون الياء طاء فقالوا في يا طا واختصروا هذا فاقتصروا على ها
واثر الصنعة ظاهر لا يخفى في البيت المستشهد به ان السفاهة طاها في خلائقكم
لا قدس الله اخلاق الملاعين والاقوال الثلاثة في الفواتح اعني التي يدمجها اول الكاشف
عن حقائق التنزيل هي التي يعول عليها الالباء المتقنون ما انزلنا ان جعلت طه تعديدا
لاسماء الحروف على الوجه السابق ذكره فهو ابتداء كلام وان جعلتها اسما للسورة احتملت
ان تكون خبرا عنها وهي في موضع المبتدا والقرآن ظاهر اوقع موقع الضمير لانها قرآن
وان تكون جوابا لها وهي قسم وقرئ ما نزل عليك القرآن لتشقى بفرط تأسفك
عليهم وعلى كفرهم وتحسرك على ان يؤمنوا كقوله لعلك باخع نفسك والشقاء يجيء في
معنى التعب ومنه المثل اشقى من رائض مهر اي ما عليك الا ان تبلغ
وتذكر ولم يكتب عليك ان يؤمنوا لا محالة بعد ان لم تفرط في اداء الرسالة والموعظة الحسنة
وقيل ان ابا جهل والنضر بن الحرث قالا له انك شقي لانك تركت دين آبائك فاريد رد ذلك
بان دين الاسلام وهذا القرآن هو السلم الى نيل كل فوز والسبب في درك كل سعادة وما فيه الكفرة

هو الشقاوة بعينها وروي أنه عليه السلام صلى بالليل حتى اسمغدت قدماه فقال له جبريل أبق
على نفسك فإن لها عليك حقا أي ما أنزلناه لتنهك نفسك بالعبادة وتذيقها المشقة الفادحة
وما بعثت إلا بالحنيفية السمحة وكل واحد من لتشقى وتذكرة علة للفعل إلا أن الأول وجب
مجيئه مع اللام لأنه ليس لفاعل الفعل المعلل ففاتته شريطة الانتصاب على المفعولية والثاني
جاز قطع اللام عنه ونصبه لاستجماعه الشرائط فإن قلت أما يجوز أن تقول ما أنزلنا عليك
القرآن أن تشقى كقوله أن تحبط أعمالكم قلت بلى ولكنها نصبة طارئة كالنصبة في
واختار موسى قومه وأما النصبة في تذكرة فهي كالتي في ضربت زيدا لأنه أحد المفاعيل الخمسة
التي هي أصول وقوانين لغيرها فإن قلت هل يجوز أن يكون تذكرة بدلا من محل لتشقى
قلت لا لاختلاف الجنسين ولكنها نصب على الاستثناء المنقطع الذي إلا فيه بمعنى
لكن ويحتمل أن يكون المعنى إنا أنزلنا إليك القرآن لتحتمل متاعب التبليغ ومقاولة
العتاة من أعداء الإسلام ومقاتلتهم وغير ذلك من أنواع المشاق وتكاليف النبوة
وما أنزلنا عليك هذا المتعب الشاق إلا ليكون تذكرة وعلى هذا الوجه يجوز أن يكون
تذكرة حالا ومفعولا له لمن يخشى لمن يؤول أمره إلى الخشية ولمن يعلم الله منه أنه يبدل
بالكفر إيمانا وبالقسوة خشية في نصب تنزيلا وجوه أن يكون بدلا من تذكرة إذا
جعل حالا لا إذا كان مفعولا له لأن الشيء لا يعلل بنفسه وأن ينصب بنزل مضمرا
وأن ينصب بأنزلنا لأن معنى ما أنزلناه إلا تذكرة أنزلناه تذكرة وأن ينصب على
المدح والاختصاص وأن ينصب بيخشى مفعولا به أي أنزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل
الله وهو معنى حسن وإعراب بين وقرئ تنزيل بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف
ما بعد تنزيلا إلى قوله له الأسماء الحسنى تعظيم وتفخيم لشأن المنزل لنسبته إلى من هذه
أفعاله وصفاته ولا يخلو من أن يكون متعلقه إما تنزيلا نفسه فيقع صلة له
وإما محذوفا فيقع صفة له فإن قلت ما فائدة النقلة من لفظ المتكلم إلى لفظ الغائب
قلت غير واحدة منها عادة الافتنان في الكلام وما يعطيه من الحسن والروعة
ومنها أن هذه الصفات إنما تسردت مع لفظ الغيبة ومنها أنه قال أولا أنزلنا
ففخم بالإسناد إلى ضمير الواحد المطاع ثم ثنى بالنسبة إلى المختص بصفات العظمة والتمجيد
فضوعفت الفخامة من طريقين ويجوز أن يكون أنزلنا حكاية لكلام جبريل والملائكة
النازلين معه ووصف السماوات بالعلى دلالة على عظم قدرة من يخلق مثلها في علوها
وبعد مرتقاها قرئ الرحمن مجرورا صفة لمن خلق والرفع أحسن لأنه إما أن يكون
مبتدأ مشارا بلامه إلى من خلق وإما أن يكون رفعا على المدح على تقدير هو الرحمن فإن
قلت الجملة التي هي قوله على العرش استوى ما محلها إذا جررت الرحمن أو رفعته على المدح
قلت إذا جررت فهي خبر مبتدأ محذوف لا غير وإن رفعت جاز أن يكون كذلك وأن
يكون مع الرحمن خبرين للمبتدأ لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما
يرادف الملك جعلوه كناية عن الملك فقالوا استوى فلان على العرش يريدون ملك
وإن لم يقعد على السرير البتة وقالوه أيضا لشهرته في ذلك المعنى ومساواته ملك في مؤداه
وإن كان أشرح وأبسط وأدل على صورة الأمر ونحوه قولك يد فلان مبسوطة ويد فلان
مغلولة بمعنى أنه جواد أو بخيل لا فرق بين العبارتين إلا فيما قلت حتى إن من لم يبسط
قط بالنوال أو لم تكن له يد رأسا قيل فيه يده مبسوطة لمساواته عندهم قولهم جواد

ومنه قول الله عز وجل وقالت اليهود يد الله مغلولة أي هو بخيل بل يداه مبسوطتان أي هو
جواد من غير تصور يد ولا غل ولا بسط والتفسير بالنعمة والتمحل للتثنية من ضيق
العطن والمسافرة عن علم البيان مسيرة أعوام ما تحت الثرى ما تحت سبع الأرضين
عن محمد بن كعب وعن السدي هو الصخرة التي تحت الأرض السابعة أي يعلم ما أسررته إلى
غيرك وأخفى من ذلك وهو ما أخطرته ببالك أو ما أسررته في نفسك وأخفى منه
وهو ما ستسره فيها وعن بعضهم أن أخفى فعل يعني أنه يعلم أسرار العباد وأخفى
عنهم ما يعلمه هو كقوله تعالى يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما وليس بذاك فإن
قلت كيف طابق الجزاء الشرط قلت معناه وإن تجهر بذكر الله من دعاء أو غيره فاعلم أنه
غني عن جهرك فإما أن يكون نهيا عن الجهر كقوله تعالى واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة
ودون الجهر من القول وإما تعليما للعباد أن الجهر ليس لإسماع الله تعالى وإنما هو لغرض
آخر الحسنى تأنيث الأحسن وصفت بها الأسماء لأن حكمها حكم المؤنث كقولك الجماعة
الحسنى ومثلها مآرب أخرى ومن آياتنا الكبرى والذي فضلت به أسماؤه في الحسن سائر
الأسماء دلالتها على معاني التقديس والتمجيد والتعظيم والربوبية والأفعال التي هي النهاية في
الحسن قفاه بقصة موسى عليه السلام ليأتسي به في تحمل أعباء النبوة وتكاليف الرسالة والصبر على
مقاساة الشدائد حتى ينال عند الله الفوز والمقام المحمود يجوز أن ينتصب إذ ظرفا
للحديث لأنه حدث أو لمضمر أي حين رأى نارا كان كيت وكيت أو مفعولا لاذكر استأذن
موسى شعيبا عليهما السلام في الخروج إلى أمه وخرج بأهله فولد له في الطريق ابن في ليلة شاتية مظلمة
مثلجة وقد ضل عن الطريق وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده وقدح فصلد زنده فرأى النار
عند ذلك قيل كانت ليلة جمعة امكثوا أقيموا في مكانكم الإيناس الإبصار البين الذي
لا شبهة فيه ومنه إنسان العين لأنه يتبين به الشيء والإنس لظهورهم كما قيل الجن لاستتارهم
وقيل هو إبصار ما يؤنس به لما وجد منه الإيناس فكان مقطوعا متيقنا حققه لهم بكلمة إني
ليوطن أنفسهم ولما كان الإتيان بالقبس ووجود الهدى مترقبين متوقعين بنى الأمر فيهما
على الرجاء والطمع وقال لعلي ولم يقطع فيقول إني آتيكم لئلا يعد ما ليس بمستيقن الوفاء به
القبس النار المقتبسة في رأس عود أو فتيلة أو غيرهما ومنه قيل المقبسة لما يقتبس فيه
من سعفة أو نحوها هدى أي قوما يهدونني الطريق أو ينفعونني بهداهم في أبواب الدين
عن مجاهد وقتادة وذلك لأن أفكار الأبرار مغمورة بالهمة الدينية في جميع أحوالهم لا يشغلهم
عنها شاغل والمعنى ذوي هدى أو إذا وجد الهداة فقد وجد الهدى ومعنى الاستعلاء على
النار أن أهل النار يستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه في مررت بزيد إنه لصوق
بمكان يقرب من زيد أو لأن المصطلين بها والمستمتعين إذا تكنفوها قياما وقعودا
كانوا مشرفين عليها ومنه قول الأعشى وبات على النار الندى والمحلق قرأ أبو عمرو
وابن كثير أني أي نودي بأني أنا ربك وكسر الباقون أي نودي فقيل يا موسى أو لأن النداء
ضرب من القول فعومل معاملته تكرير الضمير في إني أنا ربك لتوكيد الدلالة وتحقيق
المعرفة وإماطة الشبهة روي أنه لما نودي يا موسى قال من المتكلم قال الله عز وجل
إني أنا ربك وأن إبليس وسوس إليه لعلك تسمع كلام شيطان فقال أنا عرفت أنه كلام
الله بأني أسمعه من جميع جهاتي الست وأسمعه بجميع أعضائي وروي أنه حين انتهى
رأى شجرة خضراء من أسفلها إلى أعلاها كأنها نار بيضاء تتقد وسمع تسبيح الملائكة

ورأى نوراً عظيماً فخاف وبهت فألقيت عليه السكينة ثم نودي وكانت الشجرة عوسجة وروي
كلما دنا أو بعد لم يختلف ما كان يسمع من الصوت وعن ابن إسحق لما دنا استأخرت عنه فلما
رأى ذلك رجع وأوجس في نفسه خيفة فلما أراد الرجعة دنت منه ثم كلم قيل أمر بخلع النعلين
لأنهما كانتا من جلد حمار ميت غير مدبوغ عن السدي وقتادة وقيل ليباشر الوادي
بقدمه متبركاً به وقيل لأن الحفوة تواضع لله ومن ثم طاف السلف بالكعبة حافين
ومنهم من استعظم دخول المسجد بنعليه وكان إذا ندر منه الدخول منتعلاً تصدق
والقرآن يدل على أن ذلك احترام للبقعة وتعظيم لها وتشريف لقدسها وروي أنه خلع
نعليه وألقاهما من وراء الوادي طوى بالضم والكسر منصرف وغير منصرف
بتأويل المكان والبقعة وقيل طوى مرتين نحو ثنى أي نودي نداءين أو قدس الوادي كرة بعد
كرة اخترتك اصطفيتك للنبوة وقرأ حمزة وانا اخترناك لما يوحى للذي يوحى أو للوحي
تعلق اللام باستمع أو باخترتك لذكري لتذكرني فإن ذكري أن أعبد ويصلى لي أو
لتذكرني فيها لاشتمال الصلاة على الأذكار عن مجاهد أو لأني ذكرتها في الكتب وأمرت بها
أو لأن أذكرك بالمدح والثناء وأجعل لك لسان صدق أو لذكري خاصة لا تشوبه
بذكر غيري أو لإخلاص ذكري وطلب وجهي لا ترائي بها ولا تقصد بها غرضاً آخر
أو لتكون ذاكراً لي غير ناس فعل المخلصين في جعلهم ذكر ربهم على بال منهم وتوكيل هممهم
وأفكارهم به كما قال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله أو لأوقات ذكري وهي مواقيت
الصلاة كقوله إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً واللام مثلها في قولك جئتك
لوقت كذا وكان ذلك لست خلون وقوله يا ليتني قدمت لحياتي واللام مثلها في ...
وقد حمل على ذكر الصلاة بعد نسيانها من قوله عم من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها
إذا ذكرها وكان حق العبارة أن يقال لذكرها كما قال رسول الله صلعم إذا ذكرها
ومن يتمحل له يقول إذا ذكر الصلاة فقد ذكر الله أو بتقدير حذف المضاف أي لذكر صلاتي
أو لأن الذكر والنسيان من الله عز وجل في الحقيقة وقرأ رسول الله صلعم للذكرى
أي أكاد أخفيها فلا أقول هي آتية لفرط إرادتي إخفاءها ولولا ما في الإخبار بإتيانها مع
تعمية وقتها من اللطف لما أخبرت به وقيل معناه أكاد أخفيها من نفسي ولا دليل
في الكلام على هذا المحذوف ومحذوف لا دليل عليه مطرح والذي غرهم منه أن في مصحف
أبي أكاد أخفيها من نفسي وفي بعض المصاحف أكاد أخفيها من نفسي فكيف أظهركم
عليها وعن أبي الدرداء وسعيد بن جبير أَخفيها بالفتح من خفاه إذا أظهره أي قرب إظهارها
كقوله اقتربت الساعة وقد جاء في بعض اللغات أخفاه بمعنى خفاه وبه فسر بيت امرئ القيس
فإن تدفنوا الداء لا نخفه وإن تبعثوا الحرب لا نقعد فأكاد أخفيها يحتمل المعنيين
لتجزى متعلق بآتية بما تسعى بسعيها أي فلا يصدنك عن تصديقها أو الضمير للقيمة
ويجوز أن يكون للصلاة فإن قلت العبارة لنهي من لا يؤمن عن صد موسى والمقصود
نهي موسى عن التكذيب بالبعث أو أمره بالتصديق فكيف صلحت هذه العبارة لأداء هذا
المقصود قلت فيه وجهان أحدهما أن صد الكافر عن التصديق بها سبب للتكذيب
فذكر السبب ليدل على المسبب والثاني أن صد الكافر مسبب عن رخاوة الرجل في
الدين ولين شكيمته فذكر المسبب ليدل على السبب كقولهم لا أرينك هاهنا المراد نهيه
عن مشاهدته والكون بحضرته وذلك سبب رؤيته إياه فكان ذكر المسبب دليلاً على السبب

كأنه قيل كن شديد الشكيمة صليب المعجم حتى لا يتلوح منك لمن يكفر بالبعث أنه
يطمع في صدك عما أنت عليه يعني أن من لا يؤمن بالآخرة هم الجم الغفير إذ لا شيء أطم على
الكفرة ولا هم أشد نكيراً من البعث فلا يهولنك وفور دهمائهم ولا عظم سوادهم ولا تجعل
الكثرة مزلة قدمك واعلم أنهم وإن كثروا تلك الكثرة فقدوتهم فيما هم فيه الهوى
واتباعه لا البرهان وتدبره وفي هذا حث عظيم على العمل بالدليل وزجر بليغ عن التقليد
وإنذار بأن الهلاك والردى مع التقليد وأهله تلك بيمينك كقوله وهذا بعلي شيخاً في
انتصاب الحال بمعنى الإشارة ويجوز أن تكون تلك موصولاً صلته بيمينك إنما سأله
ليريه عظم ما يخترعه عز وعلا في الخشبة اليابسة من قلبها حية نضناضة وليقرر في
نفسه المباينة البعيدة بين المقلوب عنه والمقلوب إليه وينبهه على قدرته الباهرة ونظيره
أن يريك الزراد زبرة من حديد ويقول لك ما هي فتقول زبرة حديد ثم يريك بعد أيام لبوساً
مسردة فيقول لك هي تلك الزبرة صيرتها إلى ما ترى من عجيب الصنعة وأنيق السرد قرأ
ابن أبي إسحق عصيّ على لغة هذيل ومثله يا بشريّ أرادوا كسر ما قبل ياء المتكلم فلم يقدروا عليه
فقلبوا الألف إلى أخت الكسرة وقرأ الحسن عصايِ بكسر الياء لالتقاء الساكنين وهو مثل قراءة
حمزة بمصرخيّ وعن ابن أبي إسحق بسكون الياء أتوكأ عليها أعتمد عليها إذا أعييت أو وقفت
على رأس القطيع وعند الطفرة وأهش الورق خبطه أي أخبطه على رؤوس غنمي تأكله وعن
لقمان بن عاد أكلت حقاً وابن لبون وجذع وهشة لحب وسيلا دفع والحمد لله من غير شبع
سمعته من غير واحد من العرب ونخب واد قريب من الطائف كثير السدر وفي قراءة
النخعي أهِشّ وكلاهما من هش الخبز يهش إذا كان ينكسر لهشاشته وعن عكرمة أهس
بالسين أي أنحي عليها زاجراً لها والهس زجر الغنم ذكر على التفصيل والإجمال المنافع
المتعلقة بالعصا كأنه أحس بما يعقب هذا السؤال من أمر عظيم يحدثه الله تعالى فقال ما
هي إلا عصا لا تنفع إلا منافع بنات جنسها كما تنفع العيدان ليكون جوابه مطابقاً
للغرض الذي فهمه من فحوى كلام ربه ويجوز أن يريد عز وجل أن يعدد المرافق الكثيرة
التي علقها بالعصا ويستكثرها ويستعظمها ثم يريه على عقب ذلك الآية العظيمة كأنه
يقول له أين أنت عن هذه المنفعة العظمى والمأربة الكبرى المنسية عندها كل منفعة
ومأربة كنت تعتد بها وتحتفل بشأنها وقالوا إنما سأله ليبسط منه ويقلل هيبته وقالوا
إنما أجمل موسى ليسأله عن تلك المآرب فيزيد في إكرامه وقالوا انقطع لسانه بالهيبة فأجمل
وقالوا اسم العصا نبعة وقيل في المآرب كانت ذات شعبتين ومحجن فإذا طال الغصن حناه
بالمحجن وإذا طلب كسره لواه بالشعبتين وإذا سار ألقاها على عاتقه فعلق بها أدواته من
القوس والكنانة والحلاب وغيرها وإذا كان في البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيها
وألقى عليها الكساء واستظل وإذا قصر رشاؤه وصله بها وكان يقاتل بها السباع عن غنمه
وقيل كان فيها من المعجزات أنه كان يستقي بها فتطول بطول البئر وتصير شعبتاها دلواً
ويكونان شمعتين بالليل وإذا ظهر عدو حاربت عنه وإذا اشتهى ثمرة ركزها فأورقت وأثمرت
وكان يحمل عليها زاده وسقاءه فجعلت تماشيه ويركزها فينبع الماء فإذا رفعها نضب
وكانت تقيه الهوام تسعى تمشي بسرعة وخفة حركة فإن قلت كيف ذكرت بألفاظ مختلفة
بالحية والجان والثعبان قلت أما الحية فاسم جنس يقع على الذكر والأنثى والصغير والكبير
وأما الثعبان والجان فبينهما تناف لأن الثعبان العظيم من الحيات والجان الدقيق وفي ذلك

وجهان احدهما انها كانت وقت انقلابها حية تنقلب حية صفراء دقيقة ثم تتورم ويتزايد
جرمها حتى تصير ثعبانا فاريد بالجان اول حالها وبالثعبان مآلها والثاني انها كانت في شخص
الثعبان وسرعة حركة الجان والدليل عليها قوله فلما رآها تهتز كأنها جان وقيل كان لها
عرف كعرف الفرس وقيل كان بين لحييها اربعون ذراعا لما رأى ذلك الامر العجيب الهائل
ملكه من الفزع والنفار ما يملك البشر عند الاهوال والمخاوف وعن ابن عباس انقلبت
ثعبانا تبتلع الصخر والشجر فلما رآه يبتلع كل شيء خاف ونفر وعن بعضهم انما خافها لانه عرف
ما لقي آدم منها وقيل لما قال له ربه لا تخف بلغ من ذهاب خوفه وطمأنينة نفسه ان ادخل
يده في فمها واخذ بلحييها السيرة من السير كالركبة من الركوب يقال سار فلان سيرة حسنة
ثم اتسع فيها فنقلت الى معنى المذهب والطريقة وقيل سير الاولين فيجوز ان ينتصب على الظرف
اي سنعيدها في طريقتها الاولى اي في حال ما كانت عصا وان يكون اعاد منقولا من
عاده بمعنى عاد اليه ومنه بيت زهير ۞ وعادك ان تلاقيها عداء ۞ فيتعدى الى مفعولين
ووجه ثالث حسن وهو ان يكون سنعيدها مستقلا بنفسه غير متعلق بسيرتها بمعنى
انها انشئت اول ما انشئت عصا ثم ذهبت وبطلت بالقلب حية فسنعيدها بعد الذهاب
كما انشأناها اولا ونصب سيرتها بفعل مضمر اي تسير سيرتها الاولى يعني سنعيدها
سائرة سيرتها الاولى حيث كنت تتوكأ عليها ولك فيها المآرب التي عرفتها قيل لكل
ناحيتين جناحان كجناحي العسكر لمجنبتيه وجناحا الانسان جنباه والاصل المستعار
منه جناحا الطائر سميا جناحين لانه يجنحهما عند الطيران والمراد الى جنبك تحت العضد
دل على ذلك قوله تخرج السوء الرداءة والقبح في كل شيء فكني به عن البرص كما كني عن العورة
بالسوءة وكان جذيمة صاحب الزباء ابرص فكنوا عنه بالابرش والبرص ابغض شيء الى
العرب وبهم عنه نفرة عظيمة واسماعهم لاسمه مجاجة فكان جديرا بان يكنى عنه ولا ترى احسن
ولا الطف ولا احز للمفاصل من كنايات القرآن وادابه يروى انه كان آدم فاخرج يده
من مدرعته بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس يغشي البصر بيضاء وآية حالان معا ومن
غير سوء من صلة البيضاء كما تقول ابيضت من غير سوء وفي نصب آية وجه آخر وهو
ان يكون باضمار نحو خذ ودونك وما اشبه ذلك حذف لدلالة الكلام وقد تعلق بهذا
المحذوف لنريك اي خذ هذه الآية ايضا بعد قلب العصا حية لنريك بها من الآيات
بعض آياتنا الكبرى او لنريك بها الكبرى من آياتنا او لنريك من آياتنا الكبرى
فعلنا ذلك لما امره بالذهاب الى فرعون الطاغي لعنه الله عرف انه كلف امرا عظيما
وخطبا جسيما يحتاج معه الى احتمال ما لا يحتمله الا ذو جاش رابط وصدر فسيح فاستوهب
ربه ان يشرح صدره ويفسح قلبه ويجعله حليما حمولا يستقبل ما عسى يرد عليه من الشدائد
التي يذهب معها صبر الصابر بجميل الصبر وحسن الثبات وان يسهل عليه في الجملة امره الذي
هو خلافة الله في ارضه وما يصحبها من مزاولة معاظم الشؤون ومقاساة جلائل الخطوب
فان قلت لي في قوله اشرح لي صدري ويسر لي امري ما جدواه والكلام بدونه مستتب
قلت قد ابهم الكلام اولا فقيل اشرح لي ويسر لي فعلم ان ثم مشروحا وميسرا ثم بين ورفع
الابهام بذكرهما فكان آكد لطلب الشرح والتيسير لصدره وامره من ان يقول
اشرح صدري ويسر امري على الايضاح الساذج لانه تكرير للمعنى الواحد من طريقي
الاجمال والتفصيل عن ابن عباس كان في لسانه رتة لما روي من حديث الجمرة ويروى ان يده

احترقت

احترقت وان فرعون اجتهد في علاجها فلم تبرأ ولما دعاه قال الى اي رب تدعوني
قال الى الذي ابرأ يدي وقد عجزت عنها وعن بعضهم انما لم تبرأ يده لئلا يدخلها مع فرعون
في قصعة واحدة فتنعقد بينهما حرمة المواكلة واختلف في زوال العقدة بكمالها فقيل ذهب
بعضها لقوله واخي هارون هو افصح مني لسانا وقوله ولا يكاد يبين وكان في لسان
الحسين بن علي رضي الله عنهما رتة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثها من عمه موسى وقيل زالت
لقوله قد اوتيت سؤلك يا موسى وفي تنكير العقدة وان لم يقل واحلل عقدة لساني انه طلب
حل بعضها ارادة ان يفهم عنه فهما جيدا ولم يطلب الفصاحة الكاملة ومن لساني
صفة للعقدة كانه قيل عقدة من عقد لساني الوزير من الوزر لانه يحمل عن الملك اوزاره
ومؤنته او من الوزر لان الملك يعتصم برأيه ويلجئ اليه اموره او من الموازرة وهي
المعاونة عن الاصمعي قال وكان القياس ازيرا فقلبت الهمزة الى الواو ووجه قلبها
ان فعيلا جاء في معنى مفاعل مجيئا صالحا كقولهم عشير وجليس وقعيد وخليل وصديق
ونديم فلما قلبت في اخيه قلبت فيه وحمل الشيء على نظيره ليس بعزيز ونظرا الى يوازر
واخوانه والى الموازرة وزيرا وهارون مفعولا قوله اجعل قدم ثانيهما على اولهما
عناية بامر الوزارة او لي وزيرا مفعولاه وهارون عطف بيان للوزير واخي بدل من
هارون وان جعل عطف بيان آخر جاز وحسن قرئ اجمعا اشدد واشركه على
الدعاء وابن عامر وحده أشدد واشركه على الجواب وفي مصحف ابن مسعود اخي واشدد
وعن ابي بن كعب اشركه في امري واشدد به ازري ويجوز فيمن قرأ على لفظ الامر ان
يجعل اخي مرفوعا على الابتداء واشدد به خبره ويوقف على هارون الازر القوة وازره
قواه اي اجعله شريكي في الرسالة حتى نتعاون على عبادتك وذكرك فان التعاون
لانه مهيج الرغبات يتزايد به الخير ويتكاثر انك كنت بنا بصيرا اي عالما باحوالنا
وبان التعاضد مما يصلحنا وان هارون نعم المعين والشاد لعضدي بانه اكبر مني
سنا وافصح مني لسانا السؤل الطلبة فعل بمعنى مفعول كقولك خبز بمعنى مخبوز
واكل بمعنى مأكول الوحي الى ام موسى اما ان يكون على لسان نبي في وقتها كقوله واذ
اوحيت الى الحواريين او بعث اليها ملكا لا على وجه النبوة كما بعث الى مريم او يريها ذلك في
المنام فتتنبه عليه او يلهمها كقوله واوحى ربك الى النحل اي اوحينا اليها امرا لا سبيل
الى التوصل اليه ولا الى العلم به الا بالوحي وفيه مصلحة دينية فوجب ان يوحى ولا يخل به
اي هو مما يوحى لا محالة وهو امر عظيم مثله يحق بان يوحى ان هي المفسرة لان الوحي
بمعنى القول القذف مستعمل في معنى الالقاء والوضع ومنه قوله تعالى وقذف في قلوبهم
الرعب وكذلك الرمي قال ۞ غلام رماه الله بالحسن يافعا سيميا لا تشق له البصر ۞
اي حصل فيه الحسن ووضعه فيه والضمائر كلها راجعة الى موسى ورجوع بعضها
اليه وبعضها الى التابوت فيه هجنة لما يؤدي اليه من تنافر النظم فان قلت المقذوف في
البحر هو التابوت وكذلك الملقى الى الساحل قلت ما ضرك لو قلت المقذوف والملقى
هو موسى في جوف التابوت حتى لا تفرق الضمائر فيتنافر عليك النظم الذي هو ام
اعجاز القرآن والقانون الذي وقع عليه التحدي ومراعاته اهم ما يجب على المفسر لما كانت
مشيئة الله وارادته ان لا تخطئ جرية ماء اليم الوصول به الى الساحل والقاءه اليه سلك في
ذلك سبيل المجاز وجعل اليم كانه ذو تمييز امر بذلك ليطيع الامر ويمتثل رسمه فقيل

فليلقه اليم بالساحل روي انها جعلت في التابوت قطنا محلوجا فوضعته فيه وجصصته
وقيرته ثم القته في اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر كبير فبينا هو جالس على
راس بركة مع اسية اذا بالتابوت فامر به فاخرج ففتح فاذا صبي اصبح الناس وجها فاحبه
عدو الله حبا شديدا لا يتمالك ان يصبر عنه وظاهر اللفظ على ان البحر القاه بساحله وهو
شاطئه لان الماء يسحله اي يقشره وحذف به فالتقط من الساحل الا ان يكون القاه
اليم بموضع من الساحل فيه فوهة نهر فرعون ثم اداه النهر الى حيث البركة مني لا يخلو
اما ان يتعلق بالقيت فيكون المعنى على اني احببتك ومن احبه الله احبته القلوب واما
ان يتعلق بمحذوف هو صفة لمحبة اي محبة حاصلة او واقعة مني قد ركزتها انا في القلوب
وزرعتها فيها فلذلك احبك فرعون وكل من ابصرك روي انه كانت على وجهه مسحة
جمال وفي عينيه ملاحة لا يكاد يصبر عنه من راه على عيني لتربى ويحسن اليك وانا مراعيك
وراقبك كما يراعي الرجل الشيء بعينه اذا اعتنى به وتقول للصانع اصنع هذا على عيني انظر
اليك لئلا تخالف به عن مرادي وبغيتي ولتصنع معطوف على علة مضمرة مثل ليتعطف عليك
ويترام ونحوه او حذف معلله اي ولتصنع فعلت ذلك وقرئ ولتصنع بكسر اللام وسكونها
والجزم على انه امر وقرئ ولتصنع بفتح التاء والنصب اي وليكون عملك وتصرفك على عين
مني اذ تمشي اختك ظرف لالقيت او لتصنع ويجوز ان يكون بدلا من اذ اوحينا فان قلت
كيف يصح البدل والوقتان مختلفان متباعدان قلت كما يصح وان اتسع الوقت وتباعد
طرفاه ان يقول لك الرجل لقيت فلانا سنة كذا فتقول وانا لقيته اذ ذاك وربما لقيه هو
في اولها وانت في اخرها روي ان اخته واسمها مريم جاءت متعرفة خبره فصادفتهم يطلبون
له مرضعة يقبل ثديها وذلك انه كان لا يقبل ثدي امراة فقالت هل ادلكم فجاءت بالام
فقبل ثديها وروي ان اسية استوهبته من فرعون وتبنته وهي التي اشفقت عليه وطلبت
له المراضع وقتلت نفسا نفس القبطي الذي استغاثه عليه الاسرائيلي فقتله وهو ابن اثنتي عشرة سنة
فنجيناك من الغم غم قتله خوفا من عقاب الله ومن اقتصاص فرعون فغفر له الله باستغفاره
حين قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي ونجاه من فرعون ان ينشب فيه اظفاره حتى هاجر
الى مدين وفتناك فتونا ويجوز ان يكون مصدرا على فعول في المتعدي كالثبور والشكور والكفور
وجمع فتن او فتنة على ترك الاعتداد بالتاء كحجوز وبدور في حجزة وبدرة اي فتناك
ضروبا من الفتن سال سعيد بن جبير ابن عباس رضي الله عنهما فقال خلصناك من محنة بعد
محنة ولد في عام كان يقتل فيه الولدان فهذه فتنة يا ابن جبير والقته امه في البحر وهم فرعون
بقتله وقتل قبطيا واجر نفسه عشر سنين وضل الطريق وتفرقت غنمه في ليلة مظلمة
وكان يقول عند كل واحدة فهذه فتنة يا ابن جبير والفتنة المحنة وكل ما يشق على الانسان
وكل ما يبتلي الله به عباده فتنة قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة مدين على ثمان مراحل من
مصر وعن وهب انه لبث عند شعيب عليه السلام ثمانيا وعشرين سنة منها مهر ابنته وقضى اوفى الاجلين
اي سبق في قضائي وقدري ان اكلمك واستنبئك في وقت بعينه قد وقته لذلك فما
جئت الا على ذلك القدر غير مستقدم ولا مستاخر وقيل على مقدار من الزمان يوحى فيه
الى الانبياء وهو راس اربعين سنة هذا تمثيل لما خوله من منزلة التقريب والتكريم والتكليم
مثل حاله بحال من يراه بعض الملوك لجوامع خصال فيه وخصائص اهلا لئلا يكون
اقرب منزلة منه اليه ولا الطف محلا فيصطنعه بالكرامة والاثرة ويستخلصه لنفسه ولا يبصر

ولا يسمع الا بعينه واذنه ولا ياتمن على مكنون سره الا سواء ضميره الوني الفتور والتقصير
وقرئ تنيا بكسر حرف المضارعة للاتباع اي لا تنسياني ولا تزالا ذاكرين علي ذكري حيثما تقلبتما
واتخذا ذكري جناحا تطيران به مستمدين بذلك العون والتاييد مني معتقدين ان
امرا من الامور لا يتمشى لاحد الا بذكري ويجوز ان يريد بالذكر تبليغ الرسالة فان الذكر
يقع على سائر العبادات وتبليغ الرسالة من اجلها واعظمها فكان جديرا بان يطلق
عليه اسم الذكر روي ان الله اوحى الى هرون وهو بمصر ان يتلقى موسى وقيل سمع بمقبله
وقيل الهم ذلك فقرئ لينا بالتخفيف والقول اللين مثل قوله هل لك الى ان تزكى واهديك
الى ربك فتخشى لان ظاهره الاستفهام والمشورة وعرض ما فيه الفوز العظيم وقيل عداه
شبابا لا يهرم بعده وملكا لا ينزع منه الا بالموت وان يبقى له لذة المطعم والمشرب والمنكح
الى حين موته وقيل لا تجبهاه بما يكره والطفا له في القول لما له من حق تربية موسى ولما
ثبت له من مثل حق الابوة وقيل كنياه وهو من ذوي الكنى الثلاث ابو العباس وابو الوليد
وابو مرة والترجي لهما اي اذهبا على رجائكما وطمعكما وباشرا الامر مباشرة من يرجو
ويطمع ان يثمر عمله ولا يخيب سعيه فهو يجتهد بطوقه ويحتشد باقصى وسعه وجدوى
ارسالهما اليه مع العلم بانه لن يؤمن الزام الحجة وقطع المعذرة ولولا انا اهلكناهم بعذاب
من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك اي يتذكر ويتامل فيبذل
النصفة من نفسه والاذعان للحق او يخشى ان يكون الامر كما تصفان فيجره انكاره الى
الهلكة فرط سبق وتقدم ومنه الفارط الذي يتقدم الواردة وفرس فرط يسبق الخيل
اي نخاف ان يعجل علينا بالعقوبة ويبادرنا بها وقرئ يفرط من افرطه غيره اذا حمله
على العجلة خافا ان يحمله حامل على المعاجلة بالعقاب من شيطان او من جبروته واستكباره
وادعائه الربوبية او من حبه الرياسة او من قومه القبط المتمردين الذين حكى عنهم رب العزة
قال الملا من قومه وقال الملا من قومه وقرئ يفرط من الافراط في الاذية اي نخاف ان يحول
بيننا وبين تبليغ الرسالة بالمعاجلة او يجاوز الحد في معاقبتنا ان لم يعاجل بناء على ما عرفنا
وجربنا من شرارته وعتوه او ان يطغى بالتخطي الى ان يقول فيك ما لا ينبغي لجراته عليك وقسوة
قلبه وفي المجيء به هكذا على الاطلاق وعلى سبيل الرمز باب من حسن الادب وتحاش عن التفوه
بالعظيمة معكما اي حافظكما وناصركما اسمع وارى ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل
فافعل ما يوجبه حفظي ونصرتي لكما ويجوز ان لا يقدر اقوالكم وافعالكم وجاز ان لا يقدر شيء
وكانه قيل انا حافظكما وناصركما سامع مبصر واذا كان الحافظ والناصر كذلك تم
الحفظ وصحت النصرة وذهبت المبالاة بالعدو كانت بنو اسرائيل في ملكة فرعون والقبط
يعذبونهم بتكليف الاعمال الصعبة من الحفر والبناء ونقل الحجارة والسخرة في كل شيء مع قتل
الولدان واستخدام النساء قد جئناك باية من ربك جملة جارية من الجملة الاولى وهي انا
رسولا ربك مجرى البيان والتفسير لان دعوى الرسالة لا تثبت الا ببينتها التي هي المجيء بالاية
انما وحد قوله باية ولم يثن ومعه ايتان لان المراد في هذا الموضع تثبيت الدعوى ببرهانها
فكانه قال قد جئناك بمعجزة وبرهان وحجة على ما ادعيناه من الرسالة وكذلك قد جئتكم ببينة
من ربكم فات باية ان كنت من الصادقين او لو جئتك بشيء مبين والسلام سلام الملائكة الذين
هم خزنة الجنة على المهتدين وتوبيخ خزنة النار والعذاب على المكذبين خاطب الاثنين ووجه
النداء الى احدهما وهو موسى لانه الاصل في النبوة وهرون وزيره وتابعه ويحتمل ان يحمله

ودعا رته على اسنوعا كلام موسى دون كلام اخيه لما عرف من فصاحة هرون والرتة في لسان
موسى ويدل عليه قوله ام انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين خلقه اول مفعولي
اعطى اي اعطى خليقته كل شي يحتاجون اليه ويرتفقون به او ثانيهما اي اعطى كل شي صورته
وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به كما اعطى العين الهيئة التي تطابق الابصار والاذن
الشكل الذي يوافق الاستماع وكذلك الانف واليد والرجل واللسان كل واحد منها مطابق لما
علق به من المنفعة غير ناب عنه او اعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة حيث جعل
الحصان والحجر زوجين والبعير والناقة والرجل والمرأة فلم يزاوج منها شيئا غير جنسه وما
هو على خلاف خلقه وقرئ خلقه صفة للمضاف او للمضاف اليه اي كل شي خلقه الله لم يخله
من عطائه وانعامه ثم هدى اي عرف كيف يرتفق بما اعطى وكيف يتوصل اليه ولله در
هذا الجواب ما اخصره وما اجمعه وما ابينه لمن القى الذهن ونظر بعين الانصاف وكان
طالبا للحق سأله عن حال من تقدم وخلا من القرون وعن شقاء من شقي منهم وسعادة
من سعد فاجابه بان هذا سؤال عن الغيب وقد استأثر الله به لا يعلمه الا هو وما انا الا
عبد مثلك لا اعلم منه الا ما اخبرني به علام الغيوب وعلم احوال القرون مكتوب عند
الله في اللوح المحفوظ لا يجوز على الله ان يخطئ شيئا او ينساه يقال ضللت الشي اذا اخطأته
في مكانه فلم تهتد له كقولك ضللت الطريق والمنزل وقرئ يضل من اضله اذا ضيعه
وعن ابن عباس لا يترك من كفره حتى ينتقم منه ولا يترك من وجد حتى يجازيه ويجوز ان
يكون فرعون قد نازعه في احاطة الله بكل شي وتبينه لكل معلوم فتعنت وقال ما
تقول في سوالف القرون وتمادي كثرتهم وتباعد اطراف عددهم كيف احاط بهم
وباجزائهم وجواهرهم فاجاب بان كل كائن محيط به علمه وهو مثبت عنده في كتاب
ولا يجوز عليه الخطأ والنسيان كما يجوزان عليك ايها العبد الذليل والبشر الضئيل اي لا
يضل كما تضل انت ولا ينسى كما تنسى يا مدعي الربوبية بالجهل والوقاحة الذي جعل مرفوع
صفة لربي او خبر مبتدأ محذوف او منصوب على المدح وهذا من مظانه ومجازه مهدا قراءة
اهل الكوفة اي مهدها مهدا او يتمهدونها فهي لهم كالمهد وهو ما يمهد للصبي وسلك من
قوله تعالى ما سلككم في سقر كذلك سلكناه في قلوب المجرمين اي حصل لكم فيها سبلا
ووسطها بين الجبال والاودية والبراري فاخرجنا انتقل فيه من لفظ الغيبة الى لفظ
المتكلم المطاع لما ذكرت من الافتنان والايذان بانه مطاع تنقاد الاشياء المختلفة
لامره وتذعن الاجناس المتفاوتة لمشيئته لا يمتنع شي على ارادته ومثله قوله تعالى وهو الذي
انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شي الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات
مختلفا الوانها امن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق وفيه
تخصيص ايضا بانا نحن نقدر على مثل هذا ولا يدخل تحت قدرة احد ازواجا اصنافا سميت
بذلك لانها مزدوجة مقترنة بعضها مع بعض شتى صفة للازواج جمع شتيت كمريض ومرضى
ويجوز ان يكون صفة للنبات والنبات مصدر سمي به النابت كما سمي بالنبت فاستوى فيه الواحد
والجمع يعني انها شتى مختلفة النفع والطعم واللون والرائحة والشكل بعضها يصلح للناس
وبعضها للبهائم فمن نعمته عز وعلا ان ارزاق العباد انما تحصل بعمل الانعام وقد جعل
الله علفها مما يفضل عن حاجتهم ولا يقدرون على اكله اي قائلين كلوا وارعوا حال من
الضمير في فاخرجنا المعنى اخرجنا اصناف النبات آذنين في الانتفاع بها مبيحين ان تأكلوا
بعضها وتعلفوا بعضها اراد بخلقهم من الارض خلق اصلهم وهو آدم عليه السلام منها وقيل ان الملك

لينطلق فيأخذ من تربة المكان الذي يدفن فيه فيبددها على النطفة فيخلق من التراب والنطفة
معا واراد باخراجهم منها انه يؤلف اجزاءهم المتفرقة المختلطة بالتراب ويردهم كما كانوا
احياء ويخرجهم الى المحشر يوم يخرجون من الاجداث سراعا عدد الله عليهم ما علق بالارض من
مرافقهم حيث جعلها لهم فراشا ومهادا يتقلبون عليها وسوى لهم فيها مسالك يترددون
فيها كيف شاؤوا وانبت فيها اصناف النبات التي منها اقواتهم وعلوفات بهائمهم
وهي اصلهم الذي منه تفرعوا وامهم التي منها ولدوا ثم هي كفاتهم اذا ماتوا ومن ثم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم تمسحوا بالارض فانها بكم برة اريناه بصرناه او عرفناه صحتها
ويقناه بها وانما كذب لظلمه كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا
وقوله تعالى لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر وفي قوله اياتنا كلها
وجهان احدهما ان يحذف هذا التعريف الاضافي وحذو التعريف باللام لو قيل الايات كلها
اعني انها كانت لا تعطي الا تعريف العهد والاشارة الى الايات المعلومة التي هي تسع الايات
المختصة بموسى عليه السلام العصا واليد وفلق البحر والحجر والجراد والقمل والضفادع والدم
ونتق الجبل والثاني ان يكون موسى قد اراه اياته وعدد عليه ما اوتيه غيره من الانبياء
من اياتهم ومعجزاتهم وهو نبي صادق لا فرق بين ما يخبر عنه وبين ما يشاهد به فكذبها
جميعا وابى ان يقبل شيئا منها وقيل فكذب الايات وابى قبول الحق يلوح من جيب قوله
اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك ان فرائصه كانت ترتعد خوفا مما جاء به موسى عليه السلام لعلمه
وايقانه انه على الحق وان المحق لو اراد قود الجبال لانقادت له وان مثله لا يخذل ولا يقل ناصره
وانه غالبه على ملكه لا محالة وقوله بسحرك تعلل وتحير والا فكيف يخفى عليه ان ساحرا لا
يقدر ان يخرج ملكا مثله من ارضه ويغلبه على ملكه بالسحر لا نخلفه الموعد في قوله فاجعل
بيننا وبينك موعدا من ان يجعل زمانا او مكانا او مصدرا فان جعلته زمانا نظرا الى ان قوله
موعدكم يوم الزينة مطابق له لزمك شيئان ان تجعل الزمان مخلفا وان يعضل عليك
ناصب مكانا وان جعلته مكانا لقوله مكانا سوى لزمك ايضا ان يوقع الاخلاف
على المكان وان لا يطابق قوله موعدكم يوم الزينة وقراءة الحسن غير مطابقة له مكانا
وزمانا جميعا لانه قرأ يوم الزينة بالنصب فبقي ان يجعل مصدرا بمعنى الوعد ويقدر مضاف
محذوف اي مكان وعد ويجعل الضمير في نخلفه للموعد ومكانا بدل من المكان المحذوف
فان قلت فكيف طابقه قوله موعدكم يوم الزينة ولا بد من ان تجعله زمانا والسؤال
واقع عن المكان لا عن الزمان قلت هو مطابق معنى وان لم يطابق لفظا لانه لا بد لهم
من ان يجتمعوا يوم الزينة في مكان بعينه مشتهر باجتماعهم فيه في ذلك اليوم فبذكر الزمان
علم المكان واما قراءة الحسن فالموعد فيها مصدر لا غير والمعنى انجاز وعدكم يوم
الزينة وطباق هذا ايضا من طريق المعنى ويجوز ان لا يقدر مضاف محذوف ويكون
المعنى اجعل بيننا وبينك وعدا لا نخلفه فان قلت فبم ينتصب مكانا قلت بالمصدر او
بفعل يدل عليه المصدر فان قلت فكيف يطابقه الجواب قلت اما على قراءة الحسن
فظاهر واما على قراءة العامة فعلى تقدير وعدكم وعد يوم الزينة ويجوز على قراءة الحسن
ان يكون موعدكم مبتدأ بمعنى الوقت وضحى خبره على نية التعريف فيه لانه ضحى ذلك اليوم
بعينه وقيل في يوم الزينة يوم عاشوراء ويوم النيروز ويوم عيد كان لهم في كل عام ويوم
كانوا يتخذون فيه سوقا ويتزينون ذلك اليوم قرئ نخلفه بالرفع على الوصف للموعد
وبالجزم على جواب الامر وقرئ سوى وسوى بالكسر والضم منونا وغير منون ومعناه

منصفا يستوي بعد عن مجاهد وهو من الاستواء لان المسافة من الوسط الى الطرفين مستوية
لا تفاوت فيها فان قلت لم ينون قلت وجهه ان يجرى الوصل مجرى الوقف وقرئ **وان يحشر الناس**
بالتاء والياء يريد وان تحشر يا فرعون وان يحشر اليوم ويجوز ان يكون فيه ضمير فرعون ذكر
بلفظ الغيبة اما على العادة التي يخاطب بها الملوك او خاطب القوم بقوله موعدكم وجعل
يحشر لفرعون ومحل ان يحشر الرفع او الجر عطفا على اليوم او الزينة وانما واعدهم ذلك
اليوم ليكون علو كلمة الله وظهور دينه وكبت الكافر وزهوق الباطل على رؤوس الاشهاد
وفي المجمع الغاص لتقوى رغبة من رغب في اتباع الحق ويكل حد المبطلين واشياعهم ويكثر
المحدث بذلك الامر العلم في كل بدو وحضر ويشيع في جميع اهل الوبر والمدر **لا تفتروا
على الله كذبا** اى لا تدعوا اياته ومعجزاته سحرا وقرئ **فيسحتكم** والسحت لغة اهل
الحجاز والاسحات لغة اهل نجد وبني تميم ومنه قول الفرزدق ٥ الا مسحتا او مجلف ٥ في بيت
لا تزال الركب تصطك في تسوية اعرابه عن ابن عباس ان نجواهم ان غلبنا موسى اتبعناه
وعن قتادة ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان من السماء فله امر وعن وهب لما قال ويلكم
الآية قالوا ما هذا بقول ساحر والظاهر انهم تشاوروا في السر وتجاذبوا اهداب القول ثم
قالوا ان هذان لساحران فكانت نجواهم في تلفيق هذا الكلام وتزويره خوفا من غلبتهما
وتثبيطا للناس عن اتباعهما قرأ ابو عمرو ان هذين لساحرين على الجهة الظاهرة المكشوفة
وابن كثير وحفص ان هذان لساحران على قولك ان زيد لمنطلق واللام هي الفارقة بين النافية
والمخففة من الثقيلة وقرأ ابي ان ذان الا ساحران وابن مسعود ان هذان ساحران بفتح
ان وبغير لام بدل من النجوى وقيل في القراءة المشهورة ان هذان لساحران هي لغة بلحرث
بن كعب جعلوا الاسم المثنى نحو الاسماء التي اخرها الف كعصا وسعدى فلم يقلبوها ياء في
الجر والنصب وقال بعضهم ان بمعنى نعم وساحران خبر مبتدأ محذوف واللام داخلة على
الجملة تقديره لهما ساحران وقد اعجب به ابو اسحق سموا مذهبهم الطريقة **المثلى** والسنة
الفضلى وكل حزب بما لديهم فرحون وقيل ارادوا اهل طريقتهم المثلى وهم بنو اسرائيل لقول
موسى ارسل معنا بني اسرائيل وقيل الطريقة اسم لوجوه الناس واشرافهم الذين هم قدوة
لغيرهم يقال هم طريقة قومهم ويقال للواحد ايضا هو طريقة قومه **فاجمعوا كيدكم** يعضده
قوله فجمع كيده وقرئ فاجمعوا اى ازمعوه واجعلوه مجمعا عليه حتى لا تختلفوا
ولا يتخلف عنه واحد منكم كالمسألة المجمع عليها امروا بان يأتوا **صفا** لانه اهيب في صدور
الرائين وروى انهم كانوا سبعين الفا مع كل واحد منهم حبل وعصا وقد اقبلوا اقبالة
واحدة وعن ابي عبيدة انه فسر الصف بالمصلى لان الناس يجتمعون فيه لعيدهم وصلاتهم
مصطفين ووجه صحته ان يقع علما لمصلى بعينه فامروا بان يأتوه او يراد ايتوا مصلى من
المصليات **وقد افلح اليوم من استعلى** اعتراض يعني وقد فاز من غلب **ان** مع ما بعده
اما منصوب بفعل مضمر او مرفوع بانه خبر مبتدأ محذوف معناه اختر احد الامرين او
الامر القاؤك او القاؤنا وهذا التخيير منهم استعمال ادب حسن معه وتواضع له وخفض
جناح وتنبيه على اعطائهم النصفة من انفسهم وكان الله عز وعلا الهمهم ذلك وعلم
موسى اختيار القائهم اولا مع ما فيه من مقابلة ادب بادب حتى يبرزوا ما معهم
من مكائد السحر ويستنفدوا اقصى طوقهم ومجهودهم فاذا فعلوا اظهر الله سلطانه
وقذف بالحق على الباطل فدمغه وسلط المعجزة على السحر فمحقته وكانت اية نيرة للناظرين
وعبرة بينة للمعتبرين ٥ يقال في اذا هذه اذا المفاجاة والتحقيق فيها انها اذا الكائنة

بمعنى الوقت الطالبة ناصبا لها وجملة تضاف اليها خصت في بعض المواضع بان يكون ناصبها
فعلا مخصوصا وهو فعل المفاجاة والجملة ابتدائية لا غير فتقدير قوله تعالى **فاذا حبالهم
وعصيهم** ففاجأ موسى وقت تخييل سعي حبالهم وعصيهم وهذا تمثيل والمعنى على مفاجأته
حبالهم وعصيهم مخيلة اليه السعي وقرئ عصيهم بالضم وهو الاصل والكسر اتباع ونحوه
دلي ودلي وقسي وقسي وقرئ **تخيل** على اسناده الى ضمير الحبال والعصي وابدال قوله
انها تسعى من الضمير بدل الاشتمال كقولك اعجبني زيد كرمه وتخيل على كون الحبال
والعصي مخيلة سعيها وتخيل بمعنى تتخيل وطريقه طريق تخيل ونخيل على ان الله هو المخيل
للمحنة والابتلاء يروى انهم لطخوها بالزيبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت واهتزت
فخيلت ذلك **ايجاس الخوف** اضمار شيء منه وكذلك توجس الصوت تسمع نبأة يسيرة
منه وكان ذلك لطبع الجبلة البشرية وانه لا يكاد يمكن الخلو من مثله وقيل خاف
ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه **انك انت الاعلى** فيه تقرير لغلبته وقهره وتوكيد بالاستئناف
وبكلمة التشديد وبتكرير الضمير وبلام التعريف وبلفظ العلو وهو الغلبة
الظاهرة وبالتفضيل وقوله **ما في يمينك** ولم يقل عصاك جائز ان يكون تصغيرا لها
اى لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق العويد الفرد الصغير الجرم الذي في يمينك فانه
بقدرة الله يتلقفها على وحدته وكثرتها وصغره وعظمها وجائز ان يكون تعظيما لها
اى لا تحتفل بهذه الاجرام الكبيرة الكثيرة فان في يمينك شيئا اعظم منها كلها وهذه على
كثرتها اقل شيء وانزر عنده فالقه يتلقفها باذن الله ويمحقها وقرئ **تلقف** بالرفع على
الاستئناف او على الحال اى القها متلقفة وقرئ تلقف بالتخفيف **صنعوا** ههنا بمعنى
زوروا وافتعلوا كقوله تعالى تلقف ما يأفكون وقرئ **كيد ساحر** بالرفع والنصب
فمن رفع فعلى ان ما موصولة ومن نصب فعلى انها كافة وقرئ كيد سحر بمعنى ذي
سحر او ذوي سحر او هم لتوغلهم في سحرهم كانهم السحر بعينه وبذاته او بين الكيد لانه يكون
سحرا وغير سحر كما تبين المائة بدرهم ونحوه علم فقه وعلم نحو فان قلت لم وحد ساحر
ولم يجمع قلت لان القصد في هذا الكلام الى معنى الجنسية لا الى معنى العدد فلو جمع لخيل
ان المقصود هو العدد الا ترى الى قوله **ولا يفلح الساحر** اى هذا الجنس فان قلت فلم
نكر اولا وعرف ثانيا قلت انما نكر من اجل تنكير المضاف لا من اجل تنكيره في نفسه كقول
العجاج ٥ في سعي دنيا طالما قد مدت ٥ وفي حديث عمر رضي الله عنه لا في امر دنيا ولا في
امر اخرة المراد تنكير الامر كانه قيل ان ما صنعوا كيد سحري وفي سعي دنيوي وامر دنيوي
واخروي **حيث اتى** كقولهم حيث سير واية سلك وانما كان سبحان الله ما اعجب امرهم
قد القوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم القوا رؤوسهم بعد ساعة للشكر والسجود
فما اعظم الفرق بين الالقائين وروى انهم لم يرفعوا رؤوسهم حتى رأوا الجنة والنار ورأوا
ثواب اهلها وعن عكرمة لما خروا سجدا اراهم الله في سجودهم منازلهم التي يصيرون اليها
في الجنة **لكبيركم** لعظيمكم يريد انه اسحرهم واعلاهم درجة في صناعتهم او لمعلمكم من قول اهل
مكة للمعلم امرني كبيري وقال لي كبيري كذا يريدون معلمهم واستاذهم في القرآن وفي كل شيء
وقرئ **فلاقطعن ولاصلبن** بالتخفيف والقطع **من خلاف** ان تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى
لان كل واحد من العضوين خالف الاخر بان هذا يد وذاك رجل وهذا يمين وذاك شمال
ومن لابتداء الغاية لان القطع مبتدأ وناشئ من مخالفة العضو العضو لا من وفاقه
اياه ومحل الجار والمجرور النصب على الحال اى لاقطعنها مختلفات لانها اذا خالف بعضها

بعضًا لئلا ينصت بالهلاك شبه تمكن المصلوب في الجذع بتمكن الشيء الموعى في وعائه فلذلك بالاستعلاء
قيل في جذوع النخل أينا يريد نفسه لعنه الله وموسى صلى الله عليه وسلم بدليل قوله آمنتم له
واللام مع الايمان في كتاب الله لغير الله كقوله تعالى يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين وفيه نفاجه
باقتداره وقهره وما ألفه وضري به من تعذيب الناس بانواع العذاب وتوضيع لموسى عليه السلم
واستضعاف له مع الهزء به لأن موسى عليه السلم لم يكن قط من التعذيب في شيء والذي فطرنا
عطف على ما جاءنا او قسم وقرئ تقضى هذه الحياة الدنيا ووجهها ان الحياة في القراءة
المشهورة منتصبة على الظرف فاتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول به كقولك في صمت يوم
الجمعة صيم يوم الجمعة روي ان السحرة يعني رؤسهم كانوا اثنين وسبعين الاثنان من القبط
والسائر من بني اسرائيل وكان فرعون اكرههم على تعلم السحر وروي انهم قالوا لفرعون ارنا
موسى نائما ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر لان الساحر اذا نام بطل سحره
فأبى الا ان يعارضوه تزكى تطهر من ادناس الذنوب وعن ابن عباس قال لا اله الا الله قيل في
هذه الآيات الثلاث هي حكاية قولهم وقيل خبر من الله لا على وجه الحكاية فاضرب لهم طريقا
فاجعل لهم من قولهم ضرب له في ماله سهما وضرب اللبن عمله اليبس مصدر وصف به يقال يبس
يبسا ويبسا ونحوهما العدم والعدم ومن ثم وصف به المؤنث فقيل شاتنا يبس وناقتنا يبس
اذا جف لبنها وقرئ يبسا ويابسا ولا يخلو اليبس من ان يكون مخففا عن اليبس او صفة على
فعل او جمع يابس كصاحب وصحب وصف به الواحد تأكيدا كقوله ومعى جياعا جعله
لفرط جوعه كجماعة جياع لا تخاف حال من الضمير في فاضرب وقرئ لا تخف على الجواب وقرأ
ابو حيوة دركا بالسكون والدرك والدرك اسمان من الادراك اي لا يدركك فرعون وجنوده
ولا يلحقونك في ولا تخشى اذا قرئ لا تخف ثلاثة اوجه ان يستأنف كأنه قيل وانت لا تخشى اي
ومن شأنك انك آمن لا تخشى وان لا تكون الالف المنقلبة عن الياء التي هي لام الفعل ولكن
زائدة للاطلاق من اجل الفاصلة كقوله فأضلونا السبيلا وتظنون بالله الظنونا
وان يكون مثل قوله كأن لم ترى قبلي اسيرا يمانيا ما غشيهم من باب الاختصار
ومن جوامع الكلم التي تستقل مع قلتها بالمعاني الكثيرة اي غشيهم ما لا يعلم كنهه الا الله
وقرئ فغشاهم من اليم ما غشاهم والتغشية التغطية وفاعل غشاهم اما الله سبحانه او ما
غشاهم او فرعون لانه الذي ورط جنوده وتسبب لهلاكهم وقوله وما هدى تهكم به في قوله
وما اهديكم الا سبيل الرشاد يا بني اسرائيل خطاب لهم بعد انجائهم من البحر واهلاك آل فرعون
وقيل هو للذين كانوا منهم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله عليهم بما فعل بآبائهم والوجه
هو الاول اي قلنا يا بني اسرائيل وحذف القول كثير في القرآن وقرئ انجيتكم الى رزقتكم وعلى
لفظ الوعد والمواعدة وقرئ الايمن بالجر على الجوار نحو جحر ضب خرب ذكرهم النعمة في نجاتهم
وهلاك عدوهم وفيما واعد موسى صلوات الله عليه من المناجاة بجانب الطور وكتب التوراة
في الالواح وانما عدى المواعدة اليهم لانها لابستهم واتصلت بهم حتى كانت للنبيهم ونقبائهم
واليهم رجعت منافعها التي قام بها دينهم وشرعهم وفيما افاض عليهم من سائر نعمه وارزاقه
طغيانهم في النعمة ان يتعدوا حدود الله فيها بان يكفروها ويشغلهم اللهو والتنعم عن
القيام بشكرها وان ينفقوها في المعاصي وان يزووا حقوق الله فيها وان يسرفوا في
انفاقها وان يبطروا فيها ويأشروا ويتكبروا وقرئ فيحل وعن عبد الله لا يحلن ومن
يحلل المكسور في معنى الوجوب من حل الدين يحل اذا وجب اداؤه ومنه قوله تعالى حتى يبلغ الهدي

محله والمضموم في معنى النزول وغضب الله عقوباته ولذلك وصف بالنزول هوى هلك
واصله ان يسقط من جبل فيهلك قالت هوى من رأس مرقبة ففتت تحتها كبده ويقولون
هوت امه او سقط سقوطا لا نهوض بعده الاهتداء هو الاستقامة والثبات على الهدى
المذكور وهو التوبة والايمان والعمل الصالح ونحوه قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا
وكلمة التراخي دلت على تباين المنزلتين دلالتها على تباين الوقتين في جاءني زيد ثم عمرو اعني
ان منزلة الاستقامة على الخير مباينة لمنزلة الخير لانها اعلى منها وافضل وما اعجلك اي شيء
عجل بك عنهم على سبيل الانكار وكان قد مضى مع النقباء الى الطور على الموعد المضروب ثم تقدمهم
شوقا الى كلام ربه وتنجز ما وعد به بناء على اجتهاده وظنه ان ذلك اقرب الى رضى الله وزال
عنه انه عز وجل ما وقت افعاله الا نظرا الى دواعي الحكمة وعلما بالمصالح المتعلقة بكل وقت
فالمراد بالقوم النقباء وليس لقول من جوز ان يراد جميع قومه وان يكون قد فارقهم قبل
الميعاد وجه صحيح يأباه قوله هم اولاء على اثري وعن ابي عمرو ويعقوب اثري بالكسر وعن
عيسى بن عمر اثري بالضم وعنه ايضا اولى بالقصر والاثر افصح من الاثر واما الاثر فمسموع في
فرند السيف مدون في الاصول يقال اثر السيف واثره وهو بمعنى الاثر غريب فان قلت
ما اعجلك سؤال عن سبب العجلة فكان الذي ينطبق عليه من الجواب ان يقال طلب زيادة رضاك
او الشوق الى كلامك وتنجز موعدك وقوله هم اولاء على اثري كما ترى غير منطبق عليه قلت
قد تضمن ما واجهه به رب العزة شيئين احدهما انكار العجلة في نفسها والثاني السؤال
عن سبب المستنكر والحامل عليه فكان اهم الامرين الى موسى بسط العذر وتمهيد العلة
في نفس ما انكر عليه فاعتل بانه لم يوجد مني الا تقدم يسير مثله لا يعتد به في العادة ولا يحتفل
به وليس بيني وبين من سبقته الا مسافة قريبة يتقدم بمثلها الوفد رأسهم ومقدمهم ثم
عقبه بجواب السؤال عن السبب فقال وعجلت اليك رب لترضى ولقائل ان يقول حار لما
ورد عليه من التهيب لعتاب الله فاذهله ذلك عن الجواب المنطبق المرتب على حدود الكلام
اراد بالقوم المفتونين الذين خلفهم مع هرون وكانوا ستمائة الف ما نجا من عبادة العجل منهم
الا اثنا عشر الفا فان قلت في القصة انهم اقاموا بعد مفارقته عشرين ليلة وحسبوها
اربعين مع ايامها وقالوا قد اكملنا العدة ثم كان امر العجل بعد ذلك فكيف التوفيق بين
هذا وبين قوله تعالى لموسى عند مقدمه فانا قد فتنا قومك قلت قد اخبر الله تعالى عن الفتنة المترقبة
بلفظ الموجودة الكائنة على عادته او افترض السامري غيبته فعزم على اضلالهم غب انطلاقه
واخذ في تدبير ذلك فكان بدء الفتنة موجودا قرئ واضلهم السامري اي وهو اشدهم ضلالا
لانه ضال مضل وهو منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لها السامرة وقيل السامرة قوم من
اليهود يخالفونهم في بعض دينهم وقيل كان من اهل باجرما وقيل كان علجا من كرمان واسمه
موسى بن ظفر وكان منافقا قد اظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر الاسف الشديد
الغضب ومنه قوله عليه السلم في موت الفجاءة رحمة للمؤمن واخذة اسف للكافر وقيل الحزين فان
قلت متى رجع الى قومه قلت بعدما استوفى الاربعين ذا القعدة وعشر ذي الحجة وعدهم
الله سبحانه ان يعطيهم التوراة التي فيها هدى ونور ولا وعد احسن من ذلك واجمل حكي لنا انها
كانت الف سورة كل سورة الف آية يحمل اسفارها سبعون جملا العهد الزمان يريد
مفارقته لهم يقال طال عهدي بك اي طال زماني بسبب مفارقتك وعدوه ان يقيموا على
امره وما تركهم عليه من الايمان فاخلفوا موعده بعبادتهم العجل بملكنا قرئ بالحركات الثلاث

اي ما اخلفنا موعدك بان ملكنا امرنا اي لو ملكنا امرنا وخلينا وراينا لما اخلفناه
ولكن غلبنا من جهة السامري وكيده اي حملنا احمالا من حلي القبط التي استعرناها منهم
او اردنا بالاوزار انها آثام وتبعات لانهم كانوا معهم في حكم المستامنين في دار الحرب وليس
للمستامن ان ياخذ من مال الحربي على ان الغنائم لم تكن تحل حينئذ فقذفناها في نار السامري
التي اوقدها في الحفرة وامرنا ان نطرح فيها الحلي وقرئ حملنا فكذلك القى السامري اراهم
انه يلقي حليا في يده مثل ما القوا وانما القى التربة التي اخذها من موطئ حيزوم فرس جبريل عليه السلام اوحى
اليه وليه الشيطان انها اذا خالطت مواتا صار حيوانا فاخرج لهم السامري من الحفرة عجلا
خلقه الله من الحلي التي سبكتها النار يخور كما تخور العجاجيل فان قلت كيف اثرت تلك التربة
في احياء الموات قلت اما يصح ان يؤثر الله سبحانه روح القدس بهذه الكرامة كما آثره بغيرها
من الكرامات وهي ان يباشر فرسه بحافره تربة اذا لاقت تلك التربة جمادا انشاه الله ان
شاء عند مباشرته حيوانا الا ترى كيف انشا المسيح من غير اب عند نفخه في الدرع فان قلت
فلم خلق الله العجل من الحلي حتى صار فتنة لبني اسرائيل وضلالا قلت ليس باول محنة محن الله
بها عباده ليثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين
ومن عجب من خلق العجل فليكن من خلق ابليس اعجب والمراد بقوله انا قد فتنا قومك هو
خلق العجل للامتحان اي امتحناهم بخلق العجل وحملهم السامري على الضلال واوقعهم فيه حين
قال لهم هذا الهكم واله موسى فنسي اي فنسي موسى ان يطلبه ها هنا وذهب يطلبه عند
الطور او فنسي السامري اي ترك ما كان عليه من الايمان الظاهر يرجع من رفعه فعلى
ان ان مخففة من الثقيلة ومن نصب فعلى انها الناصبة للافعال من قبل من قبل ان يقول
لهم السامري ما قال كانهم اول ما وقعت عليه ابصارهم حين طلع من الحفرة افتتنوا
به واستحسنوه فقبل ان ينطق السامري بادرهم هرون بقوله يا قوم انما فتنتم به وان
ربكم الرحمن ⊙ لا مزيدة والمعنى ما منعك ان تتبعني في الغضب لله وشدة الزجر على
الكفر والمعاصي وهلا قاتلت من كفر بمن آمن ومالك لم تباشر الامر كما كنت اباشره انا لو كنت
شاهدا او مالك لم تلحقني وقرئ بلحيتي بفتح اللام وهي لغة اهل الحجاز كان موسى صلوات الله عليه
رجلا حديدا مجبولا على الحدة والخشونة والتصلب في كل شيء شديد الغضب لله ولدينه فلم
يتمالك حين راى قومه يعبدون عجلا من دون الله بعد ما راوا من الآيات العظام ان القى
الواح التوراة لما غلب ذهنه من الدهشة العظيمة غضبا لله واستنكافا وحمية وعنف
باخيه وخليفته على قومه فاقبل عليه اقبال العدو المكاشف قابضا على شعر راسه وكان
افرع وعلى شعر وجهه يجره اليه اي لو قاتلت بعضهم ببعض لتفرقوا وتفانوا فاستانيتك ان
تكون انت المتدارك بنفسك المتلافي برايك وخشيت عتابك على اطراح ما وصيتني به من ضم
النشر وحفظ الدهماء ولم يكن لي بد من رقبة وصيتك والعمل على موجبها الخطب مصدر
خطب الامر اذا طلبه فاذا قيل لمن يفعل شيئا ما خطبك فمعناه ما طلبك له وقرئ بصرت
بما لم يبصروا به بالكسر والمعنى علمت ما لم تعلموه وفطنت لما لم تفطنوا له وقرا الحسن قبضة
بضم القاف وهو اسم المقبوض كالغرفة والمضغة واما القبضة فالمرة من القبض واطلاقها
على المقبوض من تسمية المفعول بالمصدر كضرب الامير وقرا ايضا فقبصت بالصاد
الضاد بجميع الكف والصاد باطراف الاصابع ونحوهما الخضم والقضم الخاء بجميع الفم
والقاف بمقدمه وقرا ابن مسعود من اثر فرس الرسول فان قلت فلم سماه الرسول

دون جبريل وروح القدس قلت حين حل ميعاد الذهاب الى الطور ارسل الله الى موسى
جبريل راكب حيزوم فرس الحياة ليذهب به فابصره السامري فقال ان لهذا لشانا فقبض
قبضة من تربة موطئه فلما ساله موسى عن قصته قال قبضت من اثر فرس المرسل اليك يوم
حلول الميعاد ولعله لم يعرف انه جبريل عليه السلام عوقب في الدنيا بعقوبة لا شيء اطم منها واوحش
وذلك انه منع من مخالطة الناس منعا كليا وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته ومواجهته
وكل ما يعايش به الناس بعضهم بعضا واذا اتفق ان يماس احدا رجلا او امراة حم الماس والممسوس
فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح لا مساس وعاد في الناس اوحش من القاتل اللاجئ الى
الحرم ومن الوحشي النافر في البرية ويقال ان قومه باق فيهم ذلك الى اليوم وقرئ لا مساس بوزن
فجار ونحوه قولهم في الظباء ان وردت فلا عباب وان فقدته فلا اباب وهي اعلام للمسة والعبة
والابة وهي المرة من الاب وهو الطلب لن تخلفه اي لن يخلفك الله موعده الذي وعدك على
الشرك والفساد في الارض ينجزه لك في الآخرة بعد ما عاقبك في الدنيا فانت ممن خسر الدنيا
والآخرة ذلك هو الخسران المبين وقرئ لن تخلفه وهذا من اخلفت الموعد اذا وجدته خلفا
قال الاعشى ⊙ اثوى وقصر ليله ليزودا فمضى واخلف من قتيلة موعدا ⊙ وعن ابن مسعود نخلفه
بالنون اي لن يخلفه الله كانه حكى قوله عز وجل كما مر في لاهب لك ظلت وظلت وظللت والاصل
ظللت فحذفوا اللام الاولى ونقلوا حركتها الى الظاء ومنهم من لم ينقل لنحرقنه ولنحرقنه وفي
حرف ابن مسعود لنذبحنه ولنحرقنه ولنحرقنه القراءتان من الاحراق وذكر ابو علي الفارسي في
لنحرقنه انه يجوز ان يكون حرق مبالغة في حرق اذا برد بالمبرد وعليه القراءة الثالثة وهي
قراءة علي بن ابي طالب رضي الله عنه لننسفنه بكسر السين وضمها وهذه عقوبة ثالثة وهي
ابطال ما افتتن به وفتن واهدار سعيه وهدم مكره ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين
وقرا طلحة الله الذي لا اله الا هو الرحمن رب العرش وسع كل شيء علما وعن مجاهد وقتادة
وسع ووجهه ان وسع متعد الى مفعول واحد وهو كل شيء واما علما فانتصابه على التمييز وهو
في المعنى فاعل فلما ثقل نقل الى التعدية الى مفعولين فنصبهما معا على المفعولية لان المميز فاعل
في المعنى كما تقول في خاف زيد عمرا خوفت زيدا عمرا فترد بالنقل ما كان فاعلا مفعولا الكاف في
كذلك منصوب المحل وهذا موعد من الله عز وجل لرسوله اي مثل ذلك الاقتصاص ونحو ما
اقتصصنا عليك قصة موسى عليه السلام وفرعون نقص عليك من سائر اخبار الامم وقصصهم واحوالهم
تكثيرا لبيناتك وزيادة في معجزاتك وليعتبر السامع ويزداد المستبصر في دينه بصيرة وتتاكد الحجة
على من عاند وكابر وان هذا الذكر الذي آتيناك يعني القرآن مشتملا على هذه الاقاصيص
والاخبار الحقيقة بالتفكر والاعتبار لذكر عظيم وقرآن كريم فيه النجاة والسعادة لمن
اقبل عليه ومن اعرض عنه فقد هلك وشقي يريد بالوزر العقوبة الثقيلة الباهظة سماها
وزرا تشبيها في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذي يفدح الحامل وينقض
ظهره ويلقي عليه بهره او لانها جزاء الوزر وهو الاثم وقرئ يحمل جمع خالدين على المعنى
لان من مطلق متناول لغير معرض واحد وتوحيد الضمير في اعرض وما بعده للحمل على
اللفظ ونحوه قوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها فيه اي في ذلك
الوزر او في احتماله ساء في حكم بئس والضمير الذي فيه يجب ان يكون مبهما يفسره حملا والمخصوص
بالذم محذوف لدلالة الوزر السابق عليه تقديره ساء حملا وزرهم كما حذف في قوله تعالى نعم العبد
انه اواب ايوب عليه السلام هو المخصوص بالمدح ومنه قوله تعالى وساءت مصيرا اي وساءت مصيرا جهنم

فان قلت اللام في لهم ما هي وبم تتعلق قلت هي للبيان كما في هيت لك فان قلت ما يكون ان
يكون في ساء ضمير الوزر قلت لا يصح ان يكون في ساء وحكمه حكم بئس ضمير شيء بعينه غير مبهم
فان قلت فلا يكون ساء الذي حكمه حكم بئس ولكن ساء الذي منه قوله تعالى سيئت وجوه
الذين كفروا بمعنى اهم واحزن قلت كفاك صادا عنه ان يؤول كلام الله الى قولك واحزن
الوزر لهم يوم القيامة حملا وذلك بعد ان تخرج من عهدة هذه اللام وعهدة هذا المنصوب
اسند النفخ الى الآمر به فيمن قرأ ننفخ بالنون ولان الملائكة المقربين واسرافيل منهم
بالمنزلة التي هم بها من رب العزة فصح لكرامتهم عليه وقربهم منه ان يسند ما يتولونه الى ذاته
وقرئ ينفخ بلفظ ما لم يسم فاعله وينفخ ونحشر بالياء المفتوحة على الغيبة والضمير لله تعالى
او لاسرافيل عليه السلام واما يحشر المجرمون فلم يقرأ به الا الحسن وقرئ في الصور جمع صورة
وفي الصور قولان احدهما انه بمعنى الصور وهذه القراءة تدل عليه والثاني انه القرن
قيل في الزرق قولان احدهما ان الزرقة ابغض شيء من الوان العيون الى العرب لان الروم
اعداؤهم وهم زرق العيون ولذلك قالوا في صفة العدو اسود الكبد اصهب السبال
ازرق العين والثاني ان المراد العمى لان حدقة من يذهب نور بصره تزراق يتخافتون لما
يملأ صدورهم من الرعب والهول يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا اما لما يعاينون من الشدائد
التي تذكرهم ايام النعمة والسرور فيتأسفون عليها ويصفونها بالقصر لان ايام السرور
قصار واما لانها ذهبت عنهم وتقضت والذاهب وان طالت مدته قصير بالانتهاء
ومنه توقيع عبد الله بن المعتز تحت اطال الله بقاءك كفى بالانتهاء قصرا واما لاستطالتهم
الآخرة وانها ابد سرمد يستقصر اليها عمر الدنيا ويتقال لبث اهلها فيها بالقياس الى
لبثهم في الآخرة وقد استرجح الله قول من يكون اشد تقالا منهم في قوله اذ يقول امثلهم
طريقة ان لبثتم الا يوما ونحوه قوله تعالى قال كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما
او بعض يوم فسئل العادين وقيل المراد لبثهم في القبور ويعضده قوله عز وجل ويوم تقوم
الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين اوتوا العلم
والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث ينسفها يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها
الرياح فتفرقها كما يذرى الطعام فيذرها اي فيذر مقارها ومراكزها او يجعل الضمير
للارض وان لم يجر لها ذكر كقوله ما ترك على ظهرها من دابة فان قلت قد فرقوا بين العوج
والعوج فقالوا العوج بالكسر في المعاني والعوج بالفتح في الاعيان والارض عين فكيف
صح فيها المكسور العين قلت اختيار هذا اللفظ له موقع حسن بديع في وصف الارض
بالاستواء والملاسة ونفي الاعوجاج عنها على ابلغ ما يكون وذلك انك لو عمدت الى قطعة
ارض فسويتها وبالغت في التسوية على عينك وعيون البصراء من الفلاحة واتفقتم على انه
لم يبق فيها اعوجاج قط ثم استطلعت رأي المهندس فيها وامرته ان يعرض استواءها
على المقاييس الهندسية لعثر فيها على عوج في غير موضع لا يدرك ذلك بحاسة البصر ولكن
بالقياس الهندسي فنفى الله عز وعلا ذلك العوج الذي دق ولطف عن الادراك اللهم
الا بالقياس الذي يعرفه صاحب التقدير والهندسة وذلك الاعوجاج لما لم يدرك الا
بالقياس دون الاحساس لحق بالمعاني فقيل فيه عوج بالكسر الامت النتو اليسير
يقال مد حبله حتى ما فيه امت اضاف اليوم الى وقت نسف الجبال في قوله يومئذ اي يوم
اذ نسفت ويجوز ان يكون بدلا بعد بدل من يوم القيامة والمراد الداعي الى المحشر قالوا
هو اسرافيل قائما على صخرة بيت المقدس يدعو الناس فيقبلون من كل اوب الى صوبه لا

يعدلون لا عوج له

يعدلون لا عوج له اي لا يعوج له مدعو بل يستوون اليه من غير انحراف متبعين لصوته
اي خفضت الاصوات من شدة الفزع وخفتت فلا تسمع الا همسا وهو الركز الخفي
ومنه الحروف المهموسة وقيل هو من همس الابل وهو صوت اخفافها اذا مشت اي لا تسمع
الا خفق الاقدام ونقلها الى المحشر من يصلح ان يكون مرفوعا ومنصوبا فالرفع على البدل
من الشفاعة بتقدير حذف المضاف اي لا تنفع الشفاعة الا شفاعة من اذن له
الرحمن والنصب على المفعولية ومعنى اذن له ورضي له لاجله اي اذن للشافع ورضي قوله
لاجله ونحو هذه اللام اللام في قوله وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه اي
يعلم ما تقدمهم من الاحوال وما يستقبلونه بمعلوماته علما المراد بالوجوه
وجوه العصاة وانهم اذا عاينوا يوم القيامة الخيبة والشقوة وسوء الحساب صارت وجوههم
عانية اي ذليلة خاشعة مثل وجوه العناة وهم الاسارى ونحوه قوله تعالى فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين
كفروا ووجوه يومئذ باسرة وقوله وقد خاب وما بعده اعتراض كقولك خابوا
وخسروا وكل من ظلم فهو خائب خاسر الظلم ان يأخذ من صاحبه فوق حقه والهضم
ان يكسر من حق اخيه فلا يوفيه له كصفة المطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون ويبخسون
واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون اي فلا يخاف جزاء ظلم ولا هضم لانه لم يظلم ولم يهضم وقرئ فلا
يخف على النهي وكذلك عطف على كذلك نقص اي ومثل ذلك الانزال وكما انزلنا عليك
هؤلاء الآيات المتضمنة للوعيد انزلنا القرآن كله على هذه الوتيرة مكررين فيه آيات الوعيد
ليكونوا بحيث يراد منهم ترك المعاصي او فعل الخير والطاعة والذكر كما ذكرنا يطلق على
الطاعة والعبادة وقرئ نحدث وتحدث بالنون والتاء اي تحدث انت وسكن بعضهم الثاء
للتخفيف كما في وما يشعركم فتعالى الله الملك الحق استعظام له ولما يصرف
عليه عباده من اوامره ونواهيه ووعده ووعيده والادارة بين ثوابه وعقابه على حسب
اعمالهم وغير ذلك مما يجري عليه امر ملكوته ولما ذكر القرآن وانزاله قال على سبيل
الاستطراد واذا لقنك جبريل ما يوحى اليك من القرآن فتأن عليك ريثما يسمعك ويفهمك
ثم اقبل عليه بالتحفظ بعد ذلك ولا تكن قراءتك مساوقة لقراءته ونحوه قوله لا تحرك به
لسانك لتعجل به وقيل معناه لا تبلغ ما كان منه مجملا حتى يأتيك البيان وقرئ حتى يقضي
اليك وحيه وقوله رب زدني علما متضمن للتواضع لله والشكر له عندما علم من ترتيب
التعلم اي علمتني يا رب لطيفة في باب التعلم وادبا جميلا ما كان عندي فزدني علما الى علم فان
لك في كل شيء حكمة وعلما وقيل ما امر الله رسوله بطلب الزيادة في شيء الا في طلب العلم
يقال في اوامر الملوك ووصاياهم تقدم الملك الى فلان واوعز اليه وعزم عليه وعهد اليه
عطف الله سبحانه قصة آدم على قوله وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون والمعنى واقسم
قسما لقد امرنا اباهم آدم ووصيناه ان لا يقرب الشجرة وتوعدناه بالدخول في جملة الظالمين
ان قربها وذلك من قبل وجودهم ومن قبل ان نتوعدهم فخالف الى ما نهي عنه وتوعد في ارتكابه
مخالفتهم ولم يلتفت الى الوعيد كما لا يلتفتون اليه كأنه يقول ان اساس امر بني آدم على ذلك
وعرق فيهم راسخ فيه فان قلت ما المراد بالنسيان قلت يجوز ان يراد النسيان الذي هو نقيض
الذكر وانه لم يعن بالوصية العناية الصادقة ولم يستوثق منها بعقد القلب عليها
وضبط النفس حتى تولد من ذلك النسيان وان يراد الترك وانه ترك ما وصي به من الاحتراس
عن الشجرة واكل ثمرتها فنسي اي نسي السلطان والعزم التصميم والمضي على ترك
الاكل وان يتصلب في ذلك تصلبا يؤيس الشيطان من التسويل له والوجود يجوز ان يكون

بمعنى العلم ومفعولاه له عزما او ان يكون بمعنى العدم كانه قال وعدمنا له عزما **اذ**
منصوب بمضمر اي واذكر وقت ما جرى عليه من معاداة ابليس ووسوسته اليه وتزيينه له
الاكل من الشجرة وطاعته له بعد ما تقدمت معه النصيحة والموعظة البليغة والتحذير
من كيده حتى يتبين لك انه لم يكن من اولي العزم والثبات فان قلت ابليس كان جنيا
بدليل قوله تعالى كان من الجن ففسق عن امر ربه فمن اين تناوله الامر وهو للملائكة خاصة
قلت كان في صحبتهم وكان يعبد الله تعالى عبادتهم فلما امروا بالسجود لادم والتواضع له
كرامة له كان الجني الذي معهم اجدر بان يتواضع كما لو قام لمقبل على المجلس علية اهله
وسراتهم كان القيام على واحد منهم هو دونهم في المنزلة اوجب حتى ان لم يقم عنف
وقيل له قد قام فلان وفلان فمن انت حتى تترفع عن القيام فان قلت كيف صح استثناؤه
وهو جني من الملائكة قلت عمل على حكم التغليب في اطلاق اسم الملائكة عليهم وعليه فاخرج
الاستثناء على ذلك كقولك خرجوا الا فلانة لامرأة بين الرجال **ابى** جملة مستأنفة كانه
جواب قائل قال لم لم يسجد والوجه ان لا يقدر له مفعول وهو السجود المدلول عليه بقوله
فسجدوا وان يكون معناه اظهر الاباء وتوقف وتثبط **فلا يخرجنكما** فلا يكونن سببا لاخراجكما
وانما اسند الى ادم وحده فعل الشقاء دون حواء بعد اشراكهما في الخروج لان في ضمن
شقاء الرجل وهو قيم اهله واميرهم شقاءهم كما ان في ضمن سعادته سعادتهم فاختصر
الكلام باسناده اليه دونها مع المحافظة على الفاصلة او اريد بالشقاء التعب في طلب
القوت وذلك معصوب براس الرجل وهو راجع اليه وروي انه اهبط الى ادم ثور
احمر فكان يحرث عليه ويمسح العرق من جبينه وقرئ **وانك** بالكسر والفتح ووجه
الفتح العطف على ان لا تجوع فان قلت ان لا تدخل على ان فلا يقال ان ان زيدا منطلق
والواو نائبة عن ان وقائمة مقامها فلم ادخلت عليها قلت الواو لم توضع لتكون ابدا
نائبة عن ان انما هي نائبة عن كل عامل فلما لم تكن حرفا موضوعا للتحقيق خاصة
كان لم يمتنع اجتماعهما كما امتنع اجتماع ان وان الشبع والري والكسوة والكن
هي الاقطاب التي يدور عليها كفاف الانسان فذكر استجماعها له في الجنة وانه مكفي لا
يحتاج الى كفاية كاف ولا الى كسب كاسب كما يحتاج الى ذلك اهل الدنيا وذكرها بلفظ
النفي لنقائضها التي هي الجوع والعري والظمأ والضحو ليطرق سمعه باسامي اصناف
الشقوة التي حذره منها حتى يتحامى السبب الموقع فيها كراهة لها فان قلت كيف عدي
وسوس تارة باللام في قوله فوسوس لهما الشيطان واخرى بالى قلت وسوسة الشيطان
كولولة الثكلى ووعوعة الذئب ووقوقة الدجاجة في انها حكايات الاصوات وحكمها
حكم صوت واجرس ومنه وسوس المبرسم وهو موسوس بالكسر والفتح لحن وانشد
ابن الاعرابي ○ وسوس يدعو مخلصا رب الفلق ○ فاذا قلت وسوس له فمعناه لاجله
كقوله ○ اجرس لها يا ابن ابي كباش ○ ومعنى وسوس اليه انهى اليه الوسوسة كقولك
حدث اليه واسر اليه **اضاف** الشجرة الى **الخلد** وهو الخلود لان من اكل منها خلد
بزعمه كما قيل لحيزوم فرس الحياة لان من باشر اثره حيي **وملك لا يبلى** دليل على قراءة الحسن
بن علي وابن عباس الا ان تكونا ملكين بالكسر وطفق يفعل كذا مثل جعل يفعل واخذ
وانشأ وحكمها حكم كاد في وقوع الخبر فعلا مضارعا وبينها وبينه مسافة قصيرة
هي للشروع في اول الامر وكاد لمشارفته والدنو منه وقرئ **يخصفان** للتكثير والتكرير من

خصف النعل وهو ان يخرز عليها الخصاف اي يلزقان الورق بسوآتهما للتستر وهو ورق
التين وقيل كان مدورا فصار على هذا الشكل من تحت اصابعهما وقيل كان لباسهما الظفر
فلما اصابا الخطيئة نزع عنهما وتركت هذه البقايا في اطراف الاصابع عن ابن عباس لا شبهة في ان
ادم صلوات الله عليه لم يمتثل ما رسم الله له وتخطى فيه ساحة الطاعة وذلك هو العصيان
ولما عصى خرج فعله من ان يكون رشدا وخيرا فكان غيا لا محالة لان الغي خلاف الرشد ولكن
قوله **وعصى ادم ربه فغوى** بهذا الاطلاق وبهذا التصريح وحيث لم يقل وزل ادم واخطأ
وما اشبه ذلك مما يعبر به عن الزلات والفرطات فيه لطف بالمكلفين ومزجرة بليغة وموعظة
كافة وكانه قيل لهم انظروا واعتبروا كيف نعيت على النبي المعصوم حبيب الله الذي
لا يجوز عليه الا اقتراف الصغيرة غير المنفرة زلته بهذه الغلظة وبهذا اللفظ الشنيع فلا
تتهاونوا بما يفرط منكم من السيئات والصغائر فضلا ان تجسروا على التورط في الكبائر
وعن بعضهم فغوى فبشم من كثرة الاكل وهذا وان صح على لغة من يقلب الياء المكسور ما قبلها
الفا فيقول في فني وبقي فنا وبقا وهم بنو طي تفسير خبيث فان قلت ما معنى **ثم اجتباه**
ربه قلت ثم قبله بعد التوبة وقربه اليه من جبى الي كذا فاجتبيته ونظيره جليت علي العروس
فاجتليتها ومنه قوله عز وجل واذا لم تأتهم باية قالوا لولا اجتبيتها اي هلا جبيت اليك
فاجتبيتها واصل الكلمة الجمع ويقولون اجتبت الفرس نفسها اذا اجتمعت نفسها
راجعة اليك بعد النفار **وهدى** اي وفقه لحفظ التوبة وغيره من اسباب العصمة
والتقوى لما كان ادم وحواء عليهما السلام اصلي البشر والسببين اللذين منهما نشأوا وتفرعوا
جعلا كانهما البشر في انفسهما فخوطبا مخاطبتهم فقيل **فاما يأتينكم** على لفظ الجماعة
ونظيره اسنادهم الفعل الى السبب وهو في الحقيقة للمسبب **هدى** كتاب وشريعة وعن ابن
عباس ضمن الله لمن اتبع القران ان لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الاخرة ثم تلا قوله **فمن**
اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى والمعنى ان الشقاء في الاخرة هو عقاب من ضل في الدنيا
عن طريق الدين فمن اتبع كتاب الله وامتثل اوامره وانتهى عن نواهيه نجا من الضلال ومن
عقابه **الضنك** مصدر يستوي في الوصف به المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى على فعلى
ومعنى ذلك ان مع الدين التسليم والقناعة والتوكل على الله وعلى قسمته فصاحبه ينفق
ما رزقه بسماح وسهولة فيعيش عيشا رافغا كما قال الله عز وجل فلنحيينه حياة طيبة
والمعرض مستول عليه الحرص الذي لا يزال يطمح به الى الازدياد من الدنيا مسلط عليه الشح
الذي يقبض يده عن الانفاق فعيشه ضنك وحاله مظلمة كما قال بعض المتصوفة لا يعرض
احد عن ذكر ربه الا اظلم عليه وقته وتشوش عليه رزقه ومن الكفرة من ضرب الله عليه
الذلة والمسكنة لكفره قال الله تعالى وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله
ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله وقال ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من
ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقال ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم
بركات من السماء والارض وقال استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا
وقال وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا وعن الحسن هو الضريع والزقوم
في النار وعن ابي سعيد عذاب القبر وقرئ **ونحشره** بالجزم عطفا على محل فان له معيشة ضنكا
لانه جواب الشرط وقرئ ونحشره بسكون الهاء على لفظ الوقف وهذا مثل قوله ونحشرهم
يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما وكما فسر الزرق بالعمى **كذلك** اي مثل ذلك فعلت انت

ثم فسر بأن آياتنا أتتك واضحة مستنيرة فلم تنظر إليها بعين المعتبر ولم تتبصر وتركتها
وعميت عنها فكذلك اليوم نتركك على عماك ولا نزيل غطاءه عن عينيك لما توعد المعرض
عن ذكره بعقوبتين المعيشة الضنك في الدنيا وحشره أعمى في الآخرة ختم آيات الوعيد
بقوله ولعذاب الآخرة أشد وأبقى كأنه قال وللحشر على العمى الذي لا يزول أبدا أشد من ضيق
العيش المنقضي أو أراد ولتركنا إياه في العمى أشد وأبقى من تركه لآياتنا فاعل لم يهد
الجملة بعده يريد ألم يهد لهم هذا بمعناه ومضمونه ونظيره قوله تعالى وتركنا عليه في الآخرين
سلام على نوح في العالمين أي تركنا عليه هذا الكلام ويجوز أن يكون فيه ضمير الله أو الرسول
ويدل عليه القراءة بالنون وقرئ يمشون يريد أن قريشا يتقلبون في بلاد عاد وثمود و
يمشون في مساكنهم ويعاينون آثار هلاكهم الكلمة السابقة هي العدة بتأخير
جزائهم إلى الآخرة يقول لولا هذه العدة لكان مثل إهلاكنا عادا وثمود لازما لهؤلاء
الكفرة واللزام إما مصدر لازم وصف به وإما فعال بمعنى مفعل أي ملزم كأنه آلة
اللزوم لفرط لزومه كما قالوا لزاز خصم وأجل مسمى لا يخلو من أن يكون معطوفا على
كلمة أو على الضمير في كان أي لكان الأخذ العاجل وأجل مسمى لازمين له كما كانا لازمين
لعاد وثمود ولم ينفرد الأجل المسمى دون الأخذ العاجل بحمد ربك في موضع الحال
أي وأنت حامد لربك على أن وفقك للتسبيح وأعانك عليه والمراد بالتسبيح الصلاة أو على
ظاهره قدم الفعل على الأوقات أولا والأوقات على الفعل آخرا فكأنه قال صل لله
قبل طلوع الشمس يعني الفجر وقبل غروبها يعني الظهر والعصر لأنهما واقعتان في النصف
الأخير من النهار بين زوال الشمس وغروبها وتعمد آناء الليل وأطراف النهار مختصا
لها بصلاتك وذلك أن أفضل الذكر ما كان بالليل لاجتماع القلب وهدوء
الرجل والخلو بالرب وقال الله عز وجل إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا وقال أمن هو
قانت آناء الليل ساجدا وقائما ولأن الليل وقت السكون والراحة فإذا صرف إلى العبادة كانت
على النفس أشد وأشق وللبدن أتعب وأنصب فكانت أدخل في معنى التكليف وأفضل عند
الله وقد تناول التسبيح في آناء الليل صلاة العتمة وفي أطراف النهار صلاة المغرب وصلاة
الفجر على التكرار إرادة الاختصاص كما اختصت في قوله حافظوا على الصلوات والصلاة
الوسطى عند بعض المفسرين فإن قلت ما وجه قوله وأطراف النهار على الجمع وإنما هما
طرفان كما قال أقم الصلاة طرفي النهار قلت الوجه أمن الإلباس وفي التثنية زيادة بيان
ونظير مجيء الأمرين في الآيتين مجيئهما في قوله ○ ظهراهما مثل ظهور الترسين ○ وقرئ وأطراف
النهار عطفا على آناء الليل ولعلك ترضى أي اذكر الله في هذه الأوقات طمعا ورجاء أن
تنال عند الله ما به ترضى نفسك ويسر قلبك وقرئ ترضى أي يرضيك ربك ولا تمدن عينيك
أي نظر عينيك ومد النظر تطويله وأن لا يكاد يرده استحسانا للمنظور إليه وإعجابا به
وتمنيا أن يكون له كما فعل نظارة قارون حيث قالوا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه
لذو حظ عظيم حتى واجههم أولو العلم بقولهم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا وفيه
أن النظر غير الممدود معفو عنه وذلك مثل نظر من باده الشيء بالنظر ثم غض الطرف ولما
كان النظر إلى الزخارف كالمركوز في الطباع وأن من أبصر منها شيئا أحب أن يمد إليه
نظره ويملأ منه عينيه قيل ولا تمدن عينيك أي لا تفعل ما أنت معتاد له وضار به ولقد
شدد العلماء من أهل التقوى في وجوب غض البصر عن أبنية الظلمة وعدد الفسقة في

اللباس

اللباس والمراكب وغير ذلك لأنهم إنما اتخذوا هذه الأشياء لعيون النظارة فالناظر
إليها محصل لغرضهم وكالمغري لهم على اتخاذها أزواجا منهم أصنافا من الكفرة
ويجوز أن ينتصب حالا من هاء الضمير والفعل واقع على منهم كأنه قال إلى الذي متعنا
به وهو أصناف بعضهم وناسا منهم فإن قلت علام انتصب زهرة قلت على أحد
أربعة أوجه على الذم وهو النصب على الاختصاص وعلى تضمين متعنا معنى أعطينا
وخولنا وكونه مفعولا ثانيا له وعلى إبداله من محل الجار والمجرور وعلى إبداله من
أزواجا على تقدير ذوي زهرة فإن قلت ما معنى الزهرة فيمن حرك قلت معنى الزهرة
بعينه وهي الزينة والبهجة كما جاء في الجهرة الجهرة وقرئ أرنا الله جهرة وأن يكون
جمع زاهر وصفا لهم بأنهم زاهرو هذه الدنيا لصفاء ألوانهم مما يلهون ويتنعمون
وتهلل وجوههم وبهاء زيهم وشارتهم بخلاف ما عليه المؤمنون والصلحاء من شحوب
الألوان والتقشف في الثياب لنفتنهم لنبلوهم حتى يستوجبوا العذاب لوجود
الكفران منهم أو لنعذبهم في الآخرة بسببه ورزق ربك هو ما ادخر له من ثواب
الآخرة الذي هو خير منه في نفسه وأدوم أو ما رزقه من نعمة الإسلام والنبوة أو لأن
أموالهم الغالب عليها الغصب والسرقة والحرمة من بعض الوجوه والحلال خير
وأبقى لأن الله لا ينسب إلى نفسه إلا ما حل وطاب دون ما حرم وخبث والحرام لا يسمى
رزقا وعن عبد الله بن قسيط عن رافع أنه قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يهودي
وقال قل له يقول لك رسول الله أقرضني إلى رجب فقال والله لا أقرضته إلا برهن
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لأمين في السماء وأمين في الأرض احمل إليه درعي الحديد
فنزلت ولا تمدن عينيك وأمر أهلك بالصلاة أي وأقبل أنت مع أهلك على عبادة الله
والصلاة واستعينوا بها على خصاصتكم ولا تهتم بأمر الرزق والمعيشة فإن رزقك مكفي من
عندنا ونحن رازقوك ولا نسألك أن ترزق نفسك ولا أهلك ففرغ بالك لأمر الآخرة وفي
معناه قول الناس من كان في عمل الله كان الله في عمله وعن عروة بن الزبير أنه كان إذا
رأى ما عند السلاطين قرأ ولا تمدن عينيك الآية ثم ينادي الصلاة الصلاة رحمكم الله وعن
بكر بن عبد الله المزني كان إذا أصاب أهله خصاصة قال قوموا فصلوا بهذا أمر الله
رسوله صلى الله عليه وسلم ثم يتلو هذه الآية اقترحوا على عادتهم في التعنت آية على النبوة فقيل لهم
أولم تأتكم آية هي أم الآيات وأعظمها في باب الإعجاز يعني القرآن من قبل أن القرآن
برهان ما في سائر الكتب المنزلة ودليل صحته لأنه معجز وتلك ليست بمعجزات فهي مفتقرة إلى
شهادته على صحة ما فيها افتقار المحتج عليه إلى شهادة الحجة وقرئ الصحف
بالتخفيف ذكر الضمير الراجع إلى البينة لأنها في معنى البرهان والدليل وقرئ نذل ونخزى
على لفظ ما لم يسم فاعله كل أي كل واحد منا ومنكم متربص للعاقبة ولما يؤول إليه أمرنا
وأمركم وقرئ السواء بمعنى الوسط والجيد أو المستوي والسوء والسوأى والسوى تصغير
السوء وقرئ فتمتعوا فسوف تعلمون قال أبو رافع حفظته من رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة طه أعطي يوم القيامة ثواب المهاجرين والأنصار وقال
لا يقرأ أهل الجنة من القرآن إلا طه ويس ○

سورة الأنبياء مكية وهي مائة واثنتا عشرة آية ○

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه اللام لا تخلو اما ان تكون صلة لاقترب او تاكيدا لاضافة الحساب اليهم كقولك ازف
للحي رحيلهم والاصل ازف رحيل الحي ثم ازف للحي رحيلهم ونحوه ما اورده
سيبويه في باب ما تثنى فيه المستقر توكيدا عليك زيد حريص عليك وفيك زيد
راغب فيك ومنه قولهم لا ابا لك لان اللام مؤكدة لمعنى الاضافة وهذا الوجه اغرب من
الاول والمراد اقتراب الساعة واذا اقتربت الساعة فقد اقترب ما يكون فيها من الحساب
والثواب والعقاب وغير ذلك ونحوه واقترب الوعد الحق فان قلت كيف وصف
بالاقتراب وقد عدت دون هذا القول اكثر من خمسمائة عام قلت هو مقترب عند
الله والدليل عليه قوله عز وعلا ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة
مما تعدون ولان كل آت وان طالت اوقات استقباله وترقبه قريب وانما البعيد
هو الذي وجد وانقرض ولان ما بقي من الدنيا اقصر واقل مما سلف منها بدليل
انبعاث خاتم النبيين الموعود مبعثه في آخر الزمان وقال عليه السلام بعثت في نسم الساعة
وفي خطبة بعض المتقدمين ولت الدنيا حذاء ولم تبق الا صبابة كصبابة الاناء واذا
كانت بقية الشيء وان كثرت في نفسها قليلة بالاضافة الى معظمه كانت خليقة بان توصف
بالقلة وقصر الذرع وعن ابن عباس ان المراد بالناس المشركون وهذا من اطلاق اسم الجنس
على بعضه للدليل القائم وهو ما يتلوه من صفات المشركين وصفهم بالغفلة مع الاعراض
على معنى انهم غافلون عن حسابهم ساهون لا يتفكرون في عاقبتهم ولا يتفطنون لما
ترجع اليه خاتمة امرهم مع اقتضاء عقولهم انه لا بد من جزاء للمحسن والمسيء واذا قرعت
لهم العصا ونبهوا عن سنة الغفلة وفطنوا لذلك بما يتلى عليهم من الآيات والنذر
اعرضوا وسدوا اسماعهم ونفروا وقرر اعراضهم عن تنبيه المنبه وايقاظ الموقظ بان
الله يجدد لهم الذكر وقتا فوقتا ويحدث لهم الآية بعد الآية والسورة بعد السورة ليكرر
على اسماعهم التنبيه والموعظة لعلهم يتعظون فما يزيدهم استماع الآي والسور وما فيها
من فنون المواعظ والبصائر التي هي احق الحق واجد الجد الا لعبا وتلهيا واستسخارا
والذكر هو الطائفة النازلة من القرآن وقرأ ابن ابي عبلة محدث بالرفع صفة على المحل وقوله
وهم يلعبون لاهية قلوبهم حالان مترادفتان او متداخلتان ومن قرأ لاهية بالرفع فالحال
واحدة لان لاهية قلوبهم خبر بعد خبر لقوله وهم واللاهية من لهى عنه اذا ذهل وغفل
يعني انهم وان فطنوا فهم في قلة جدوى فطنتهم كانهم لم يفطنوا اصلا وثبتوا على راس غفلتهم
وذهولهم عن التامل والتبصر بقلوبهم فان قلت النجوى وهي اسم من التناجي لا تكون الا خفية
فما معنى قوله واسروا قلت معناه وبالغوا في اخفائها او جعلوها بحيث لا يفطن احد لتناجيهم
ولا يعلم انهم متناجون ابدل الذين ظلموا من واو واسروا اشعارا بانهم الموسومون بالظلم
الفاحش فيما اسروا به او جاء على لغة من قال اكلوني البراغيث او هو منصوب المحل على الذم
او هو مبتدا خبره اسروا النجوى قدم عليه والمعنى وهؤلاء اسروا النجوى فوضع المظهر موضع
المضمر تسجيلا على فعلهم بانه ظلم هل هذا الا بشر مثلكم افتاتون السحر وانتم تبصرون
هذا الكلام كله في محل النصب بدلا من النجوى اي واسروا هذا الحديث ويجوز ان يتعلق
بقالوا مضمرا اعتقدوا ان رسول الله لا يكون الا ملكا وان كل من ادعى الرسالة من
البشر وجاء بالمعجزة فهو ساحر ومعجزته سحر فلذلك قالوا على سبيل الانكار افتحضرون السحر
وانتم تشاهدون وتعاينون انه سحر فان قلت لم اسروا هذا الحديث وبالغوا في اخفائه

قلت كان ذلك شبه التشاور فيما بينهم والتحاور في طلب الطريق الى هدم امره وعمل
المنصوبة في التثبيط عنه وعادة المتشاورين في خطب ان لا يشركوا اعداءهم في
شوراهم ويتجاهدوا في طي سرهم عنهم ما امكن واستطيع ومنه قول الناس استعينوا
على حوائجكم بالكتمان ويرفع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يسروا نجواهم بذلك ثم يقولوا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ان كان ما تدعونه حقا فاخبرونا بما اسررنا فان قلت هلا قيل
يعلم السر لقوله واسروا النجوى قلت القول عام يشمل السر والجهر فكان في العلم به
العلم بالسر وزيادة فكان آكد في بيان الاطلاع على نجواهم من ان يقول يعلم السر كما ان
قوله يعلم السر آكد من ان يقول يعلم سرهم ثم بين ذلك بانه السميع العليم لذاته فكيف
تخفى عليه خافية فان قلت فلم ترك هذا الآكد في سورة الفرقان في قوله قل انزله الذي
يعلم السر في السموات والارض قلت ليس بواجب ان يجيء بالآكد في كل موضع ولكن يجيء
بالوكيد تارة وبالآكد اخرى كما يجيء بالحسن في موضع وبالاحسن في غيره ليفتن الكلام
افتنانا وتجمع الغاية وما دونها على ان اسلوب تلك الآية خلاف اسلوب هذه من قبل انه
قدم ههنا انهم اسروا النجوى فكانه اراد ان يقول ان ربي يعلم ما اسروه فوضع القول
موضع ذلك للمبالغة وثم قصد وصف ذاته بان انزله الذي يعلم السر في السموات والارض فهو
كقوله علام الغيوب عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة وقرئ قال ربي حكاية لقول
رسول الله صلى الله عليه وسلم اضربوا عن قولهم هو سحر الى انه تخاليط احلام ثم الى انه كلام مفترى
من عنده ثم الى انه قول شاعر وهكذا الباطل لجلج والمبطل متحير رجاع غير ثابت على قول
واحد ويجوز ان يكون تنزيلا من الله تعالى لاقوالهم في درج الفساد وان قولهم الثاني افسد
من الاول والثالث افسد من الثاني وكذلك الرابع من الثالث صحة التشبيه في قوله كما
ارسل الاولون من حيث انه في معنى كما اتى الاولون بالآيات لان ارسال الرسل متضمن
للاتيان بالآيات الا ترى انه لا فرق بين ان تقول ارسل محمد وبين قولك اتى محمد بالمعجزة
افهم يؤمنون فيه انهم اعتى من الذين اقترحوا على انبيائهم الآيات وعاهدوا انهم يؤمنون
عندها فلما جاءتهم نكثوا وخالفوا فاهلكهم الله فلو اعطيناهم ما يقترحون لكانوا انكث
امرهم ان يستعلموا اهل الذكر حتى يعلموهم ان رسل الله الموحى اليهم كانوا
بشرا ولم يكونوا ملائكة كما اعتقدوا وانما احالهم على اولئك لانهم كانوا يشايعون المشركين
في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم
ومن الذين اشركوا اذى كثيرا فلا يكادون يتواطئون على ما هم فيه ردءا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأكلون
الطعام صفة لجسدا والمعنى وما جعلنا الانبياء ذوي جسد غير طاعمين ووحد الجسد
لارادة الجنس كانه قال ذوي ضرب من الاجساد وهذا رد لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام فان قلت
نعم قد رد انكارهم ان يكون الرسول بشرا يأكل ويشرب بما ذكرت فماذا رد من قولهم بقوله
وما كانوا خالدين قلت يحتمل ان يقولوا انه بشر مثلنا يعيش كما نعيش ويموت كما نموت او
يقولوا هلا كان ملكا لا يطعم ويخلد اما معتقدين ان الملائكة لا يموتون او مسمين حياتهم
المتطاولة وبقاءهم الممتد خلودا صدقناهم الوعد مثل واختار موسى قومه والاصل في
الوعد ومن قومه ومنه صدقوهم القتال وصدقني سن بكره ومن نشاء هم المؤمنون
ومن في ابقائه مصلحة ذكركم شرفكم وصيتكم كما قال وانه لذكر لك ولقومك او موعظتكم او فيه
مكارم الاخلاق التي كنتم تطلبون بها الثناء وحسن الذكر كحسن الجوار والوفاء بالعهد وصدق

الحدث وادا الامانة والسخا وما اشبه ذلك وكم قصمنا من قرية واردة عن غضب شديد
ومنادية على سخط عظيم لان القصم افظع الكسر وهو الكسر الذي يبين تلاؤم الاجزا بخلاف الفصم
واراد بالقرية اهلها ولذلك وصفها بالظلم وقال قوما اخرين لان المعنى اهلكنا قوما
وانشانا قوما اخرين وعن ابن عباس انها حضور وهي وسحول قريتان باليمن تنسب اليهما
الثياب وفي الحديث كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثوبين سحوليين وروي حضوريين بعث
الله اليهم نبيا فقتلوه فسلط الله عليهم بخت نصر كما سلطه على اهل بيت المقدس فاستاصلهم
وروي انه لما اخذتهم السيوف ونادى مناد من السما يا لثارات الانبيا ندموا واعترفوا بالخطا
وذلك حين لم ينفعهم الندم وظاهر الاية على الكثرة ولعل ابن عباس رضي الله عنه ذكر حضور
بانها احدى القرى التي ارادها الله بهذه الاية فلما علموا شدة عذابنا وبطشتنا علم حس
ومشاهدة لم يشكوا فيها ركضوا من ديارهم والركض ضرب الدابة بالرجل ومنه قوله تعالى
اركض برجلك فيجوز ان يركبوا دوابهم يركضونها هاربين منهزمين من قريتهم لما ادركتهم
مقدمة العذاب ويجوز ان يشبهوا في سرعة عدوهم على ارجلهم بالراكبين الراكضين لدوابهم
فقيل لهم لا تركضوا والقول محذوف فان قلت من القائل قلت يحتمل ان يكون بعض
الملائكة او من ثم من المومنين او يجعلون خلقا بان يقال لهم ذلك وان لم يقل او يقوله
رب العزة ويسمعه ملائكته لينفعهم في دينهم او يلهمهم ذلك فيحدثوا به نفوسهم
وارجعوا الى ما اترفتم فيه من العيش الرافه والحال الناعمة والاتراف ابطار النعمة وهي
الترفة لعلكم تسئلون تهكم بهم وتوبيخ اي ارجعوا الى نعمتكم ومساكنكم لعلكم تسألون
غدا عما جرى عليكم ونزل باموالكم ومساكنكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة او ارجعوا
واجلسوا كما كنتم في مجالسكم وترتبوا في مراتبكم حتى يسألكم عبيدكم وحشمكم ومن تملكون امره
وينفذ فيه امركم ونهيكم ويقولوا لكم بم تامرون وماذا ترسمون وكيف ناتي ونذر كعادة
المنعمين المخدمين او يسألكم الناس في انديتكم المعاون في نوازل الخطوب ويستشيرونكم
في المهمات والعوارض ويستشفون بتدابيركم ويستضيئون بارائكم او يسألكم الوافدون
عليكم والطماع ويستمطرون سحاب اكفكم ويمترون اخلاف معروفكم واياديكم اما لانهم
كانوا اسخيا ينفقون اموالهم رئا الناس وطلب الثنا او كانوا بخلا فقيل لهم ذلك تهكما الى
تهكم وتوبيخا الى توبيخ تلك اشارة الى يا ويلنا لانها دعوى كانه قيل فما زالت تلك الدعوى
دعواهم والدعوى بمعنى الدعوة قال الله تعالى واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين فان قلت
لم سميت دعوى قلت لان المولول كانه يدعو الويل فيقول تعال يا ويل فهذا اوانك وكل واحد من تلك
ودعواهم مرفوع او منصوب اسما او خبرا وكذلك دعواهم الحصيد الزرع المحصود اي جعلناهم
مثل الحصيد شبههم في استئصالهم واصطلامهم كما تقول جعلناهم رمادا اي مثل الرماد والضمير
المنصوب هو الذي كان مبتدا والمنصوبان بعد كانا خبرين له فلما دخل عليها جعل
نصبهما جميعا على المفعولية فان قلت كيف ينصب جعل ثلاثة مفاعيل قلت حكم الاثنين
الاخرين حكم الواحد لان معنى قولك جعلته حلوا حامضا جعلته جامعا للطعمين وكذلك
معنى ذلك جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود والخمود عطف على المماثلة لا على الحصيد
اي وما سوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من اصناف
الخلائق مشحونة بضروب البدائع والعجائب كما تسوي الجبابرة سقوفهم وفرشهم وسائر
زخارفهم للهو واللعب وانما سويناها للفوائد الدينية والحكم الربانية لتكون مطارح

افكار

افكار واعتبار واستدلال ونظر لعبادنا مع ما يتعلق لهم بها من المنافع التي لا تعد
والمرافق التي لا تحصى ثم بين ان السبب في ترك اتخاذ اللهو واللعب وانتفائه عن افعالي هو ان
الحكمة صارفة عنه والا فانا قادر على اتخاذه ان كنت فاعلا لاني على كل شي قدير وقوله
لاتخذناه من لدنا كقوله رزقا من لدنا اي من جهة قدرتنا وقيل اللهو الولد بلغة اليمن
وقيل المراة وقيل من لدنا اي من الملائكة لا من الانس ردا لولادة المسيح وعزير بل اضراب عن
اتخاذ اللهو واللعب وتنزيه منه لذاته كانه قال سبحاننا ان نتخذ اللهو واللعب بل من
عادتنا وموجب حكمتنا واستغنائنا عن القبيح ان نغلب اللعب بالجد وندحض الباطل بالحق
واستعار لذلك القذف والدمغ تصويرا لابطاله واهداره ومحقه فجعله كانه جرم صلب
كالصخرة مثلا قذف به على جرم رخو اجوف فدمغه ثم قال ولكم الويل مما تصفونه به
مما لا يجوز عليه وعلى حكمته وقرئ فيدمغه بالنصب وهو في ضعف قوله سأترك منزلي
لبني تميم والحق بالحجاز فاستريحا وقرئ فيدمغه ومن عنده هم الملائكة والمراد انهم
مكرمون منزلون لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك على طريق التمثيل والبيان
لشرفهم وفضلهم على جميع خلقه فان قلت الاستحسار مبالغة في الحسور فكان الابلغ
في وصفهم ان ينفى عنهم ادنى الحسور قلت في الاستحسار بيان ان ما هم فيه يوجب غاية الحسور
واقصاه وانهم احقا لتلك العبادات الباهظة بان يستحسروا فيما يفعلون اي تسبيحهم
متصل دائم في جميع اوقاتهم لا يتخلله فترة بفراغ او بشغل اخر هذه ام المنقطعة الكائنة
بمعنى بل والهمزة قد اذنت بالاضراب عما قبلها والانكار لما بعدها والمنكر هو اتخاذهم
الهة من الارض هم ينشرون الموتى ولعمري ان من اعظم المنكرات ان ينشر الموتى بعض
الموات فان قلت كيف انكر عليهم اتخاذ الهة تنشر وما كانوا يدعون ذلك لالهتهم وكيف وهم
ابعد شي من هذه الدعوى وذلك انهم كانوا مع اقرارهم لله عز وجل بانه خالق السموات
والارض ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله وبانه القادر على المقدورات كلها وعلى
النشاة الاولى منكرين للبعث ويقولون من يحيي العظام وهي رميم وكان عندهم من قبيل
المحال الخارج عن قدرة القادر كالثاني القديم فكيف يدعونه للجماد الذي لا يوصف بالقدرة
راسا قلت الامر كما ذكرت ولكنهم بادعائهم لها الالهية يلزمهم ان يدعوا لها الانشار
لانه لا يستحق هذا الاسم الا القادر على كل مقدور والانشار من جملة المقدورات وفيه
باب من التهكم بهم والتوبيخ والتجهيل واشعار بان ما استبعدوه لا يصح استبعاده لان
الالهية لما صحت صح معها الاقتدار على الابدا والاعادة ونحو قوله من الارض قولك فلان
من مكة او من المدينة تريد مكي او مدني ومعنى نسبتها الى الارض الايذان بانها الاصنام التي
تعبد في الارض لان الالهة على ضربين ارضية وسماوية ومن ذلك حديث الامة التي قال
لها رسول الله صلى الله عليه وسلم اين ربك فاشارت الى السما فقال انها مومنة لانه فهم منها ان
مرادها نفي الالهة الارضية التي هي الاصنام لا اثبات السما مكانا لله عز وجل ويجوز ان يراد
الهة من جنس الارض لانها اما ان تنحت من بعض الحجارة او تعمل من بعض جواهر الارض
فان قلت لا بد من نكتة في قوله هم قلت النكتة فيه افادة معنى الخصوصية كانه قيل ام
اتخذوا الهة لا يقدر على الانشار الا هم وحدهم وقرا الحسن ينشرون وهما لغتان انشر الله
الموتى ونشرها وصفت الهة بالا كما توصف بغير لو قيل الهة غير الله فان قلت ما
منعك من الرفع على البدل قلت لان لو بمنزلة ان في ان الكلام معه موجب والبدل لا يسوغ الا في

الكلام غير الموجب كقوله تعالى ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك وذلك لأن أعم العام يصح
نفيه ولا يصح إثباته والمعنى لو كان يتولاهما ويدبر أمرهما آلهة شتى غير الواحد الذي
هو فاطرهما لفسدتا وفيه دلالة على أمرين أحدهما وجوب أن لا يكون مدبرهما إلا واحدا
والثاني أن لا يكون ذلك الواحد إلا إياه وحده لقوله إلا الله فإن قلت لم وجب الأمران
قلت لعلمنا أن الرعية تفسد بتدبير الملكين لما يحدث بينهما من التغالب والتناكر
والاختلاف وعن عبد الملك بن مروان حين قتل عمرو بن سعيد الأشدق كان والله أعز
علي من دم ناظري ولكن لا يجتمع فحلان في شول وهذا ظاهر وأما طريقة التمانع فللمتكلمين
فيها تجاول وطراد ولأن هذه الأفعال محتاجة إلى تلك الذات المتميزة بتلك الصفات
حتى تثبت وتستقر إذا كانت عادة الملوك والجبابرة أن لا يسألهم من في مملكتهم عن
أفعالهم وعما يوردون ويصدرون من تدبير ملكهم تهيبا وإجلالا مع جواز الخطأ
والزلل وأنواع الفساد عليهم كان ملك الملوك ورب الأرباب خالقهم ورازقهم أولى
بأن لا يسأل عن أفعاله مع ما علم واستقر في العقول من أن ما يفعله كله مفعول بدواعي
الحكمة ولا يجوز عليه الخطأ ولا فعل القبائح وهم يسألون أي هم مملوكون مستعبدون خطاؤون
فما أخلقهم بأن يقال لهم لم فعلتم في كل شيء فعلوه كرر أم اتخذوا من دونه آلهة استفظاعا
لشأنهم واستعظاما لكفرهم أي وصفتم الله تعالى بأن له شريكا فقل هاتوا برهانكم على ذلك
إما من جهة العقل وإما من جهة الوحي فإنكم لا تجدون كتابا من كتب الأولين إلا وتوحيد
الله وتنزيهه عن الأنداد مدعو إليه والإشراك به منهي عنه متوعد عليه أي هذا الوحي
الوارد في معنى توحيد الله ونفي الشركاء عنه كما ورد علي فقد ورد على جميع الأنبياء فهو ذكر
أي عظة للذين معي يعني أمته وذكر للذين من قبلي يريد أمم الأنبياء وقرئ ذكر من معي وذكر من
قبلي بالتنوين ومن مفعول منصوب بالذكر كقوله أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيما وهو
الأصل والإضافة من إضافة المصدر إلى المفعول كقوله تعالى غلبت الروم وهم من بعد غلبهم
سيغلبون وروي يحيى بن يعمر وبن فتلى على من الإضافة في هذه القراءة وإدخال الجار على مع
غريب والعذر فيه أنه اسم هو ظرف نحو قبل وبعد وعند ولدن وما أشبه ذلك فدخل
عليه من كما يدخل على أخواته وقرئ ذكر معي وذكر قبلي كأنه قيل بل عندهم ما هو أصل الشر
والفساد كله وهو الجهل وفقد العلم وعدم التمييز بين الحق والباطل فمن ثم جاء هذا الإعراض
ومن هناك ورد هذا الإنكار وقرئ الحق بالرفع على توسيط التوكيد بين السبب والمسبب
والمعنى أن إعراضهم بسبب الجهل هو الحق لا الباطل ويجوز أن يكون المنصوب أيضا على
هذا المعنى كما تقول هذا عبد الله الحق لا الباطل يوحى ونوحي مشهورتان وهذه الآية
مقررة لما سبقها من آي التوحيد نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله نزه ذاته
ثم أخبر عنهم بأنهم عباد والعبودية تنافي الولادة إلا أنهم مكرمون مقربون عندك
مفضلون على سائر العباد لما هم عليه من أحوال وصفات ليست لغيرهم فذلك هو الذي غر
منهم من زعم أنهم أولاد تعالت عن ذلك علوا كبيرا وقرئ مكرمون ولا يسبقونه بالضم
من سابقته فسبقته أسبقه والمعنى أنهم يتبعون قوله ولا يقولون شيئا حتى يقوله فلا يسبق
قولهم قوله والمراد بقولهم فأنيب اللام مناب الإضافة أي لا يتقدمون قوله بقولهم كما
تقول سبقت بفرسي فرسه وكما أن قولهم تابع لقوله فعملهم أيضا كذلك مبني على أمره لا
يعملون عملا ما لم يؤمروا به وجميع ما يأتون ويذرون مما قدموا وأخروا بعين الله وهو مجازيهم

عليه فلإحاطتهم بذلك يضبطون أنفسهم ويراعون أحوالهم ويعمرون أوقاتهم ومن تحفظهم
أنهم لا يجسرون أن يشفعوا إلا لمن ارتضاه الله وأهله للشفاعة في ازدياد الثواب والتعظيم
ثم إنهم مع هذا كله من خشية الله مشفقون أي متوقعون من أمارة ضعيفة كائنون
على حذر ورقبة لا يأمنون مكر الله وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى جبريل عليه السلام ليلة المعراج
ساقطا كالحلس من خشية الله تعالى وبعد أن وصف كرامتهم عليه وقرب منزلتهم عنده وأثنى عليهم
وأضاف إليهم تلك الأفعال السنية والأعمال المرضية فاجأ بالوعيد الشديد وأنذر بعذاب
جهنم من أشرك منهم إن كان ذلك على سبيل الفرض والتمثيل مع إحاطة علمه بأنه لا يكون
كما قال ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون وقصد بذلك تفظيع أمر الشرك وتعظيم
شأن التوحيد وقرئ ألم ير بغير واو ورتقا بفتح التاء وكلاهما في معنى المفعول كالخلق
والنقض أي كانتا مرتوقتين فإن قلت الرتق صالح لأن يقع موقع مرتوقين لأنه مصدر
فما بال الرتق قلت هو على تقدير موصوف أي كانتا شيئا رتقا ومعنى ذلك أن السماء كانت
لاصقة بالأرض لا فضاء بينهما أو كانت السماوات متلاصقات وكذلك الأرضون لا فرج بينها
ففتقها الله وفرج بينها وقيل ففتقناهما بالمطر والنبات بعدما كانت مصمتة وإنما قيل
كانتا دون كن لأن المراد جماعة السماوات وجماعة الأرض ونحوه قولهم لقاحان سوداوان
أي جماعتان فعل في المضمر نحو ما فعل في المظهر فإن قلت متى رأوهما رتقا حتى جاء
تقريرهم بذلك قلت فيه وجهان أحدهما أنه وارد في القرآن الذي هو معجزة في نفسه
فقام مقام المرئي المشاهد والثاني أن تلاصق الأرض والسماء وتباينهما كلاهما جائز
في العقل فلا بد للتباين دون التلاصق من مخصص وهو القديم سبحانه وجعلنا لا يخلو
أن يتعدى إلى واحد أو اثنين فإن تعدى إلى واحد فالمعنى خلقنا من الماء كل حيوان كقوله
والله خلق كل دابة من ماء أو كأنما خلقناه من الماء لفرط احتياجه إليه وحبه له وقلة صبره
عنه كقوله خلق الإنسان من عجل وإن تعدى إلى اثنين فالمعنى صيرنا كل شيء حي بسبب
من الماء لا بد له منه ومن هذا نحو من في قوله عليه السلام ما أنا من دد ولا الدد مني وقرئ حيا
وهو المفعول الثاني والظرف لغو أي كراهة أن تميد بهم وتضطرب أو لئلا تميد بهم
فحذف لا واللام وإنما جاز حذف لا لعدم الالتباس كما تزاد لذلك في نحو قوله لئلا يعلم أهل
الكتاب وهذا مذهب الكوفيين الفج الطريق الواسع فإن قلت في الفجاج معنى الوصف فما
لها قدمت على السبل ولم تؤخر كما في قوله لتسلكوا منها سبلا فجاجا قلت لم تقدم
وهي صفة ولكن جعلت حالا كقوله لعزة موحشا طلل قديم فإن قلت ما الفرق بينهما
من جهة المعنى قلت أحدهما إعلام بأنه جعل فيها طرقا واسعة والثاني بأنه حين خلقها
خلقها على تلك الصفة فهو بيان لما أبهم ثمة محفوظا حفظه بالإمساك بقدرته من أن
يقع على الأرض ويتزلزل أو بالشهب عن تسمع الشياطين على سكانه من الملائكة عن
آياتها أي عما وضع الله فيها من الأدلة والعبر بالشمس والقمر وسائر النيرات ومسايرها
وطلوعها وغروبها على الحساب القويم والترتيب العجيب الدال على الحكمة البالغة والقدرة الباهرة
وأي جهل أعظم من جهل من أعرض عنها ولم يذهب به وهمه إلى تدبرها والاعتبار بها والاستدلال
على عظمة شأن من أوجدها ودبرها ونصبها هذه النصبة وأودعها ما أودعها
مما لا يعرف كنهه إلا هو عزت قدرته ولطف علمه وقرئ عن آيتها بالتوحيد اكتفاء
بالواحدة في الدلالة على الجنس أي هم متفطنون لما يرد عليهم من السماء من المنافع الدنيوية

كما لا يستضاء بغيرها ولا يهتدى إلا بكواكبها وحياة الأرض والحيوان بأمطارها وهم عن
كونها آية بينة على الخالق معرضون كل التنوين فيه عوض من المضاف إليه أي كلهم
في فلك يسبحون والضمير للشمس والقمر والمراد بهما جنس الطوالع كل يوم وليلة
جعلوها متكاثرة لتكاثر مطالعها وهو السبب في جمعها بالشموس والأقمار وإلا فالشمس
واحدة والقمر واحد وإنما جعل الضمير واو العقلاء للوصف بفعلهم وهو السباحة
فإن قلت الجملة ما محلها قلت محلها النصب على الحال من الشمس والقمر فإن قلت كيف
استبد بهما دون الليل والنهار بنصب الحال عنهما قلت كما تقول رأيت زيدا وهندا متبرجة
ونحو ذلك إذا جئت بصفة تختص بها بعض ما تعلق به العامل ومنه قوله تعالى في هذه السورة
ووهبنا له إسحق ويعقوب نافلة أو لا محل لها لاستئنافها فإن قلت لكل واحد من
القمرين فلك على حدة فكيف قيل جميعهم يسبحون في فلك قلت هذا كقولهم كساهم الأمير
حلة وقلدهم سيفا أي كل واحد منهم أو كساهم وقلدهم هذين الجنسين فاكتفى بما يدل
على الجنس اختصارا ولأن الغرض الدلالة على الجنس كانوا يقدرون أنه سيموت فيشمتون
بموته فنفى الله عنه الشماتة بهذا أي قضى الله أن لا يخلد في الدنيا بشرا فلا أنت ولا هم
إلا عرضة للموت فإذا كان الأمر كذلك فإن مت أيبقى هؤلاء وفي معناه قول القائل
فقل للشامتين بنا أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا أي نختبركم بما يجب فيه الصبر
من البلايا وبما يجب فيه الشكر من النعم وإلينا مرجعكم فنجازيكم على حسب ما يوجد منكم
من الصبر أو الشكر وإنما سمى ذلك ابتلاء وهو عالم بما سيكون من أعمال العاملين قبل
وجودهم لأنه في صورة الاختبار وفتنة مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظه الذكر
يكون بخير وبخلافه فإذا دلت الحال على أحدهما أطلق ولم يقيد كقولك للرجل سمعت
فلانا يذكرك فإن كان الذاكر صديقا فهو ثناء وإن كان عدوا فذم ومنه قوله تعالى سمعنا
فتى يذكرهم وقوله أهذا الذي يذكر آلهتكم والمعنى أنهم عاكفون هممهم على ذكر
آلهتهم وما يجب أن يذكروا به من كونهم شفعاء وشهداء ويسوؤهم أن يذكرها ذاكر بخلاف
ذلك وأما ذكر الله وما يجب أن يذكر به من الوحدانية فهم به كافرون لا يصدقون به
أصلا فهم أحق بأن يتخذوا هزؤا منك فإنك محق وهم مبطلون وقيل معنى بذكر الرحمن
قولهم ما نعرف الرحمن إلا مسيلمة وقولهم وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وقيل بذكر الرحمن
بما أنزل عليك من القرآن والجملة في موضع الحال أي يتخذونك هزؤا وهم على حال هي أصل
الهزء والسخرية وهي الكفر بالله كانوا يستعجلون عذاب الله وآياته الملجئة إلى العلم
والإقرار ويقولون متى هذا الوعد فأراد نهيهم عن الاستعجال وزجرهم فقدم أولا
ذم الإنسان على إفراط العجلة وأنه مطبوع عليها ثم نهاهم وزجرهم كأنه قال ليس ببدع
منكم أن تستعجلوا فإنكم مجبولون على ذلك وهو طبعكم وسجيتكم وعن ابن عباس أنه
أراد بالإنسان آدم وأنه حين بلغ الروح صدره ولم يتبالغ فيه أراد أن
يقوم وروي لما دخل الروح في عينه نظر إلى ثمار الجنة ولما دخل جوفه اشتهى الطعام
وقيل خلقه الله في آخر النهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس فأسرع في خلقه قبل مغيبها
وعن ابن عباس أنه النضر بن الحرث والظاهر أن المراد الجنس وقيل العجل الطين بلغة
حمير وقال شاعرهم والنخل ينبت بين الماء والعجل والله أعلم بصحته فإن قلت لم

نهاهم عن الاستعجال مع قوله خلق الإنسان من عجل وقوله وكان الإنسان عجولا أليس هذا
من تكليف ما لا يطاق قلت هذا كما ركب فيه الشهوة وأمره أن يغلبها لأنه أعطاه القدرة
التي يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة وقرئ خَلَق الإنسانَ جواب لو محذوف وحين
مفعول به ليعلم أي لو يعلمون الوقت الذي يستعلمون عنه بقولهم متى هذا الوعد وهو
وقت صعب شديد تحيط بهم النار من وراء وقدام فلا يقدرون على دفعها ومنعها من
أنفسهم ولا يجدون ناصرا ينصرهم لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال
ولكن جهلهم به هو الذي هونه عندهم ويجوز أن يكون يعلم متروكا بلا تعدية بمعنى لو كان
معهم علم ولم يكونوا جاهلين لما كانوا مستعجلين وحين منصوب بمضمر أي حين لا يكفون
عن وجوههم النار يعلمون أنهم كانوا على الباطل وينتفي عنهم هذا الجهل العظيم
أي لا يكفونها بل تفجؤهم فتغلبهم يقال للمغلوب في المحاجة مبهوت ومنه فبهت الذي
كفر أي غلب إبرهيم الكافر وقرأ الأعمش يأتيهم فيبهتهم على التذكير والضمير للوعد
أو للحين فإن قلت فإلام يرجع الضمير المؤنث في هذه القراءة قلت إلى النار أو إلى الوعد لأنه
في معنى النار وهي التي وعدوها أو على تأويل العدة والموعدة أو إلى الحين لأنه في معنى الساعة
أو إلى البغتة وقيل في القراءة الأولى الضمير للساعة وقرأ الأعمش بغتة بفتح الغين ولا هم
ينظرون تذكير بإنظاره إياهم وإمهاله وتفسيح وقت التذكر عليهم أي لا يمهلون بعد طول
الإمهال سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزائهم به بأن له في الأنبياء عليهم السلام أسوة وأن
ما يفعلونه به يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالأنبياء ما فعلوا من الرحمن أي من بأسه
وعذابه بل هم معرضون عن ذكره لا يخطرونه ببالهم فضلا أن يخافوا بأسه حتى إذا رزقوا
الكلاءة منه عرفوا من الكالئ وصلحوا للسؤال عنه والمراد أنه أمر رسوله بسؤالهم
عن الكالئ ثم بين أنهم لا يصلحون لذلك لإعراضهم عن ذكر من يكلؤهم ثم أضرب عن ذلك
بما في أم من معنى بل وقال أم لهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا وحفظنا ثم استأنف
فبين أن ما ليس بقادر على نصر نفسه ومنعها ولا بمصحوب من الله بالنصر والتأييد كيف
يمنع غيره وينصره ثم قال بل ما هم فيه من الحفظ والكلاءة إنما هو منا لا من مانع يمنعهم
من إهلاكنا وما كلأناهم وآباءهم الماضين إلا تمتيعا لهم بالحياة الدنيا وإمهالا كما
متعنا غيرهم من الكفار وأمهلناهم حتى طال عليهم الأمد وامتدت أيام الروح والطمأنينة
فحسبوا أن لا يزالوا على ذلك لا يغلبون ولا ينزع عنهم ثوب أمنتهم واستمتاعهم وذلك طمع
فارغ وأمل كاذب أفلا يرون أنا ننقص أرض الكفر ونحذف أطرافها بتسليط
المسلمين عليها وإظهارهم على أهلها وردها دار إسلام فإن قلت أي فائدة في قوله
نأتي الأرض قلت الفائدة فيه تصوير ما كان الله يجريه على أيدي المسلمين وأن عساكرهم
وسراياهم كانت تغزو أرض المشركين وتأتيها غالبة عليها ناقصة من أطرافها قرئ
ولا يسمع الصم ولا تسمع الصم بالتاء والياء أي لا تسمع أنت الصم ولا يسمع رسول الله ولا يسمع
الصم من أسمع فإن قلت الصم لا يسمعون دعاء المبشر كما لا يسمعون دعاء المنذر
فكيف قيل إذا ما ينذرون قلت اللام في الصم إشارة إلى هؤلاء المنذرين كائنة للعهد
لا للجنس والأصل ولا يسمعون إذا ما ينذرون فوضع الظاهر موضع المضمر للدلالة
على تصامهم وسدهم أسماعهم إذا أنذروا أي هم على هذه الصفة من الجراءة والجسارة على
التصام من آيات الإنذار ولئن مستهم من هذا الذي ينذرون به أدنى شيء لأذعنوا وذلوا

واقروا بانهم ظلموا انفسهم حين تصاموا واعرضوا وفي المس والنفحة ثلاث مبالغات لان
النفح في معنى القلة والنزارة يقال نفحته الدابة وهو رمح يسير ونفحه بعطية رضخه ولبناء
المرة ونضع الموازين القسط وهو العدل مبالغة كانها في انفسها قسط او على
حذف المضاف اي ذوات القسط واللام في ليوم القيامة مثلها في قولك جئته لخمس
ليال خلون من الشهر ومنه بيت النابغة توسمت آيات لها فعرفتها لستة اعوام وذا العام
سابع وقيل لاهل يوم القيامة اي لاجلهم فان قلت ما المراد بوضع الموازين قلت فيه قولان
احدهما ارصاد الحساب السوي والجزاء على حسب الاعمال بالعدل والنصفة من غير ان
يظلم عباده مثقال ذرة فمثل ذلك بوضع الموازين لتوزن بها الموزونات والثاني انه
يضع الموازين الحقيقية ويزن بها الاعمال عن الحسن هو ميزان له كفتان ولسان ويروى
ان داود عليه السلام سال ربه ان يريه الميزان فلما راه غشي عليه ثم افاق فقال يا الهي من الذي
يقدر ان يملا كفته حسنات فقال يا داود اني اذا رضيت عن عبدي ملاتها بتمرة فان قلت
كيف توزن الاعمال وانما هي اعراض قلت فيه قولان احدهما توزن صحائف الاعمال والثاني
تجعل في كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة وفي كفة السيئات جواهر سود مظلمة وقرئ مثقال
حبة على كان التامة كقوله تعالى وان كان ذو عسرة وقرا ابن عباس ومجاهد آتينا بها وهي مفاعلة
من الاتيان بمعنى المجازاة والمكافاة لانهم اتوه بالاعمال واتاهم بالجزاء وقرا حميد اثبنا
بها من الثواب وفي حرف ابي جئنا بها وانث ضمير المثقال لاضافته الى الحبة كقولهم
ذهبت بعض اصابعه اي آتيناها الفرقان وهو التوراة واتيناه به ضياء وذكرا
للمتقين والمعنى انه في نفسه ضياء وذكر او واتيناهما بما فيه من الشرائع والمواعظ
ضياء وذكرا وعن ابن عباس الفرقان الفتح كقوله يوم الفرقان وعن الضحاك فلق البحر
وعن محمد بن كعب المخرج من الشبهات وقرا ابن عباس ضياء بغير واو وهو حال عن الفرقان
والذكر الموعظة او ذكر ما يحتاجون اليه في دينهم ومصالحهم او الشرف محل الذين جر على
الوصفية او نصب على المدح او رفع عليه ذكر مبارك هو القرآن وبركته كثرة منافعه
وغزارة خيره رشده الاهتداء لوجوه الصلاح قال الله تعالى فان آنستم منهم رشدا فادفعوا
اليهم اموالهم وقرئ رشده والرشد والرشد كالعدم والعدم ومعنى اضافته اليه انه
رشد مثله وانه رشد له شان من قبل من قبل موسى وهرون ومعنى علمه به انه علم منه
احوالا بديعة واسرارا عجيبة وصفات قد رضيها واحمدها حتى اهله لمخالته
ومخالصته وهذا كقولك في خير من الناس انا عالم بفلان فكلامك هذا من الاحتواء على
محاسن الاوصاف بمنزل اذ اما ان يتعلق بآتينا او برشده او بمحذوف اي اذكر من اوقات رشده
هذا الوقت قوله ما هذه التماثيل تجاهل لهم وتغاب ليحقر آلهتهم ويصغر شانها مع علمه بتعظيمهم
واجلالهم لها لم ينو للعاكفين مفعولا واجراه مجرى ما لا يتعدى كقولك فاعلون العكوف لها
او واقفون لها فان قلت هلا قيل عليها عاكفون كقوله يعكفون على اصنام لهم
قلت لو قصد التعدية لعداه بصلته التي هي على ما اقبح التقليد والقول المتقبل بغير برهان
وما اعظم كيد الشيطان للمقلدين حين استدرجهم الى ان قلدوا الاباء في عبادة التماثيل
وعفروا لها جباههم وهم معتقدون انهم على شيء وجادون في نصرة مذهبهم ومجادلون
لاهل الحق عن باطلهم وكفى اهل التقليد سبة ان عبدة الاصنام منهم انتم من التاكيد
الذي لا يصح الكلام مع الاخلال به لان العطف على ضمير هو في حكم بعض الفعل ممتنع ونحو

اذكر

اسكن انت

اسكن انت وزوجك اراد ان المقلدين والمقلدين جميعا منخرطون في سلك ضلال لا يخفى
على من له ادنى مسكة لاستناد الفريقين الى غير دليل بل الى هوى متبع وشيطان مطاع
لاستبعادهم ان يكون ما هم عليه ضلالا بقوا متعجبين من تضليله اياهم وحسبوا ان ما
قاله انما قاله على وجه المزاح والمداعبة لا على طريق الجد فقالوا له هذا الذي جئتنا به اهو
جد وحق ام لعب وهزل الضمير في فطرهن للسموات والارض او للتماثيل وكونه للتماثيل
ادخل في تضليلهم واثبت للاحتجاج عليهم وشهادته على ذلك ادلاؤه بالحجة عليه وتصحيحه
بها كما تصح الدعوى بالشهادة كانه قال وانا ابين ذلك وابرهن عليه كما تبين الدعاوى
بالبينات لاني لست مثلكم فاقول ما لا اقدر على اثباته بالحجة كما لم تقدروا على الاحتجاج
لمذهبكم ولم تزيدوا على انكم وجدتم عليه اباءكم تالله قرا معاذ بن جبل بالله وقرئ تولوا بمعنى
تتولوا ويقويها قوله فتولوا عنه مدبرين فان قلت ما الفرق بين الباء والتاء قلت ان الباء هي
الاصل والتاء بدل من الواو المبدلة منها وان التاء فيها زيادة معنى وهو التعجب كانه تعجب
من تسهل الكيد على يده وتاتيه لان ذلك كان امرا مقنوطا منه لصعوبته وتعذره ولعمري
ان مثله صعب متعذر في كل زمان خصوصا في زمن نمروذ مع عتوه واستكباره وقوة
سلطانه وتهالكه على نصرة دينه ولكن اذا الله سنى عقد شيء تيسرا روي ان آزر خرج
به في يوم عيد لهم فبدءوا ببيت الاصنام فدخلوه وسجدوا لها ووضعوا بينها طعاما
خرجوا به معهم وقالوا الى ان نرجع بركت الالهة على طعامنا فذهبوا وبقي ابرهيم فنظر الى
الاصنام وكانت سبعين صنما مصطفة وثم صنم عظيم مستقبل الباب وكان من ذهب
وفي عينيه جوهرتان تضيئان بالليل فكسرها كلها بفاس في يده حتى لم يبق الا الكبير علق
الفاس في عنقه عن قتادة قال ذلك سرا من قومه وروي سمعه رجل منهم جذاذا قطاعا
من الجذ وهو القطع وقرئ بالكسر والفتح وقرئ جذذا جمع جذيذ وجذذا جمع جذة وانما
استبقى الكبير لانه غلب في ظنه انهم لا يرجعون الا اليه لما تسامعوه من انكاره لدينهم
وسبه لآلهتهم فبكتهم بما اجاب به من قوله بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم وعن الكلبي اليه
الى كبيرهم ومعنى هذا لعلهم يرجعون اليه كما يرجع الى العالم في حل المشكلات فيقولون له
ما لهؤلاء مكسورة وما لك صحيحا والفاس على عاتقك قال هذا بناء على ظنه بهم لما جرب
وذاق من مكابرتهم لعقولهم واعتقادهم في آلهتهم وتعظيمهم لها او قاله مع علمه انهم
لا يرجعون اليه استهزاء بهم واستجهالا وان قياس حال من يسجد له ويؤهل للعبادة
ان يرجع اليه في حل المشكل فان قلت فاذا رجعوا الى الصنم بمكابرتهم لعقولهم ورسوخ
الاشراك في اعراقهم فاي فائدة دينية في رجوعهم اليه حتى يجعله ابرهيم صلوات الله عليه
غرضا قلت اذا رجعوا اليه تبين انه عاجز لا ينفع ولا يضر وظهر انهم في عبادته على
جهل عظيم اي ان من فعل هذا الكسر والحطم لشديد الظلم معدود في الظلمة اما لجراته على
الالهة الحقيقة عندهم بالتوقير والاعظام واما لانهم راوا افراطا في حطمها وتماديا في
الاستهانة بها فان قلت ما حكم الفعلين بعد سمعنا فتى واي فرق بينهما قلت هما صفتان
لفتى الا ان الاول وهو يذكرهم لا بد منه لسمع لانك لا تقول سمعت زيدا وتسكت حتى تذكر
شيئا مما يسمع واما الثاني فليس كذلك فان قلت ابرهيم ما هو قلت هو خبر مبتدا محذوف
او منادى والصحيح انه فاعل يقال لان المراد الاسم لا المسمى على اعين الناس في محل الحال
بمعنى معاينا مشاهدا اي بمرأى منهم ومنظر فان قلت ما معنى الاستعلاء في على قلت

هو وارد على طريق المثل اي يثبت اتيانه في الاعين ويتمكن ثبات الراكب على المركوب وتمكنه منه
لعلهم يشهدون عليه بما سمع منه وبما فعله او يحضرون عقوبتنا له روي ان الخبر بلغ
نمرود واشراف قومه فامروا باحضاره هذا من معاريض الكلام ولطائف هذا النوع
لا يتغلغل فيها الا اذهان الراضة من علماء المعاني والقول فيه ان قصد ابرهيم صلوات الله عليه
لم يكن الى ان ينسب الفعل الصادر منه الى الصنم وانما قصد تقريره لنفسه واثباته لها
على اسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه من الزامهم الحجة وتبكيتهم وهذا كما لو قال لك صاحبك
وقد كتبت كتابا بخط رشيق وانت شهير بحسن الخط أانت كتبت هذا وصاحبك امي لا يحسن الخط
او لا يقدر الا على خرمشة فاسدة فقلت له بل كتبته انت كان قصدك بهذا الجواب تقريره
لك مع الاستهزاء به لا نفيه عنك واثباته للامي او المخرمش لان اثباته والامر دائر بينكما
للعاجز منكما استهزاء به واثبات للقادر ولقائل ان يقول غاظته تلك الاصنام حين
ابصرها مصطفة مرتبة وكان غيظ كبيرها اكبر واشد لما راى من زيادة تعظيمهم له
فاسند الفعل اليه لانه هو الذي تسبب لاستهانته بها وحطمه لها والفعل كما يسند الى
مباشره يسند الى الحامل عليه ويجوز ان يكون حكاية لما يقود الى تجويزه مذهبهم كانه قال
لهم ما تنكرون ان يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى الها ان يقدر على هذا واشد
منه ويحكى انه قال فعله كبيرهم هذا غضب ان تعبد معه هذه الصغار وهو اكبر منها
وقرا محمد بن السميفع فعلّه كبيرهم بمعنى فلعله اي فلعل الفاعل كبيرهم فلما الزمهم الحجة واخذ
بمخانقهم رجعوا الى انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون على الحقيقة لا من ظلمتموه حين قلتم
من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين نكسته قلبت اسفله اعلاه وانتكس انقلب اي
استقاموا حين رجعوا الى انفسهم وجاؤا بالفكرة الصالحة ثم انتكسوا وانقلبوا عن تلك
الحالة فاخذوا في المجادلة بالباطل والمكابرة وان هؤلاء مع تقاصر حالها عن حال
الحيوان الناطق آلهة معبودة مضارة منهم او انتكسوا عن كونهم مجادلين لابرهيم مجادلين
عنه حين نفوا عنها القدرة على النطق او قلبوا على رؤوسهم حقيقة لفرط اطراقهم خجلا
وانكسارا وانخزالا مما بهتهم به ابرهيم فما احاروا جوابا الا ما هو حجة عليهم وقرئ نكّسوا
بالتشديد ونُكِسوا على لفظ ما لم يسم فاعله اي نكسوا انفسهم على رؤوسهم وقرا بعد صوان
عبدة المعبود اف صوت اذا صوت به علم ان صاحبه متضجر اضجره ما راى من ثباتهم على
عبادتها بعد انقطاع عذرهم وبعد وضوح الحق وزهوق الباطل فتافف بهم واللام
لبيان المتأفف به اي لكم ولالهتكم هذا التأفف اجمعوا رايهم لما علموا انها هلاكه وهكذا
المبطل اذا قرعت شبهته بالحجة وافتضح لم يكن احد ابغض اليه من المحق ولم يبق له
مفزع الا مناصبته كما فعلت قريش برسول الله صلى الله عليه وسلم حين عجزوا عن المعارضة والذي
اشار باحراقه نمرود وعن ابن عمر رضي الله عنهما رجل من اعراب العجم يريد الاكراد وروي انهم
حين هموا باحراقه حبسوه ثم بنوا بيتا كالحظيرة بكوثى وجمعوا شهرا اصناف الخشب الصلاب
حتى ان كانت المراة لتمرض فتقول ان عافاني الله لاجمعن حطبا لابرهيم ثم اشعلوا نارا
عظيمة كادت الطير تحترق في الجو من وهجها ثم وضعوه في المنجنيق مقيدا مغلولا فرموا
به فيها يا نار كوني بردا وسلاما وحكي انه ما احرقت منه الا
وثاقه وقال له جبريل عليه السلام حين رمي به هل لك حاجة فقال اما اليك فلا فقال فسل
ربك فقال حسبي من سؤالي علمه بحالي وعن ابن عباس انما نجا بقوله حسبي الله ونعم الوكيل

واطلع عليه نمرود من الصرح فاذا هو في روضة ومعه جليس له من الملائكة فقال اني مقرب الى
الهك فذبح اربعة الاف بقرة وكف عن ابرهيم وكان ابرهيم عليه السلام اذ ذاك ابن ست عشرة سنة
واختار المعاقبة بالنار لانها اهول ما يعاقب به وافظعه ولذلك جاء لا يعذب بالنار
الا خالقها ومن ثم قالوا ان كنتم فاعلين اي ان كنتم ناصرين الهتكم نصرا مؤزرا فاختاروا
له اهول المعاقبات وهي الاحراق بالنار والا فرطتم في نصرتها ولهذا عظموا النار وتكلفوا
في تشهير امرها وتفخيم شانها ولم يألوا جهدا في ذلك جعلت النار لمطاوعتها فعل الله
وارادته كمامور امر بشيء فامتثله والمعنى ذات برد وسلام فبولغ في ذلك كان ذاتها
برد وسلام والمراد ابردي فيسلم منك ابرهيم او ابردي بردا غير ضار وعن ابن عباس
لو لم يقل ذلك لاهلكته بردها فان قلت كيف بردت النار وهي نار قلت نزع
الله عنها طبعها الذي طبعها عليه من الحر والاحراق وابقاها على الاضاءة والاشراق
والاشتعال كما كانت والله على كل شيء قدير ويجوز ان يدفع بقدرته عن جسم ابرهيم عليه السلام
اذى حرها ويذيقه فيها عكس ذلك كما يفعل بخزنة جهنم ويدل عليه قوله على ابرهيم
وارادوا به كيدا ان يكيدوه ويمكروا به فما كانوا الا مغلوبين مقهورين غالبوه بالجدال فغلبه
الله ولقنه المبكت وفزعوا الى القوة والجبروت فنصره وقواه ونجيناه من العراق الى الشام
وبركاته الواصلة الى العالمين ان اكثر الانبياء بعثوا فيه فانتشرت في العالمين شرائعهم
وآثارهم الدينية وهي البركات الدينية الحقيقية وقيل بارك الله فيه بكثرة الماء والشجر
والثمر والخصب وطيب العيش للغني والفقير وعن سفيان انه خرج الى الشام فقيل له
الى اين فقال الى بلد يملأ فيه الجراب بدرهم وقيل ما من ماء عذب الا وينبع اصله من تحت
الصخرة التي ببيت المقدس روي انه نزل بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم
وليلة النافلة ولد الولد وقيل سال اسحق فاعطيه واعطي يعقوب نافلة اي زيادة
وفضلا من غير سؤال يهدون بامرنا فيه ان من صلح ليكون قدوة في دين الله
فالهداية محتومة عليه مأمور هو بها من جهة الله ليس له ان يخل بها ويتثاقل عنها
واول ذلك ان يهتدي بنفسه لان الانتفاع بهداه اعم والنفوس الى الاقتداء بالمهتدي اميل
فعل الخيرات اصله ان تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات وكذلك اقام الصلاة
وايتاء الزكاة حكما حكمة وهو ما يجب فعله او فصلا بين الخصوم وقيل هو النبوة والقرية
سدوم اي في اهل رحمتنا او في الجنة ومنه الحديث هذه رحمتي ارحم بها من اشاء من قبل من
قبل هؤلاء المذكورين هو نصرناه الذي مطاوعه انتصر وسمعت هذيليا يدعو على سارق
اللهم انصرهم منه اي اجعلهم منتصرين منه والكرب الطوفان وما كان فيه من تكذيب قومه
اي واذكرهما واذ بدل منهما والنفش الانتشار بالليل وجمع الضمير لانه ارادهما والمتحاكمين
اليهما وقرئ لحكمهما والضمير في ففهمناها للحكومة او الفتوى وقرئ فافهمناها حكم
داود بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمن وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا ارفق بالفريقين
فعزم عليه ليحكمن فقال ارى ان تدفع الغنم الى اهل الحرث ينتفعون بالبانها واولادها
واصوافها والحرث الى ارباب الشاء يقومون عليه حتى يعود كهيئته يوم افسد ثم يترادان
فقال القضاء ما قضيت وامضى الحكم بذلك فان قلت احكما بوحي ام باجتهاد قلت حكما
جميعا بالوحي الا ان حكومة داود نسخت بحكومة سليمن وقيل اجتهدا جميعا فجاء اجتهاد
سليمن اشبه بالصواب فان قلت ما وجه كل واحدة من الحكومتين قلت اما وجه حكومة

داود ولان الضرر لما وقع بالغنم سلمت بجنايتها الى المجني عليه كما قال ابو حنيفة في العبد اذا
جنى على النفس يدفعه المولى بذلك او يفديه وعند الشافعي يبيعه في ذلك او يفديه ولعل قيمة
الغنم كانت على قدر النقصان في الحرث ووجه حكومة سليمن انه جعل الانتفاع بالغنم
بازاء ما فات من الانتفاع بالحرث من غير ان يزول ملك المالك عن الغنم واوجب على صاحب
الغنم ان يعمل في الحرث حتى يزول الضرر والنقصان مثاله ما قال اصحاب الشافعي فيمن
غصب عبدا فابق من يده انه يضمن القيمة فينتفع بها المغصوب منه بازاء ما فوته الغاصب
من منافع العبد فاذا ظهر ترادا فان قلت فلو وقعت هذه الواقعة في شريعتنا ما
حكمها قلت ابو حنيفة واصحابه لا يرون فيه ضمانا بالليل او بالنهار الا ان يكون مع البهيمة
سائق او قائد والشافعي يوجب الضمان بالليل وفي قوله ففهمناها سليمن دليل على ان
الاصوب كان مع سليمن وفي قوله وكلا اتينا حكما وعلما دليل على انهما جميعا كانا على الصواب
يسبحن حال بمعنى مسبحات او استيناف كان قائلا قال كيف سخرهن فقال يسبحن والطير
اما معطوف على الجبال واما مفعول معه فان قلت لم قدمت الجبال على الطير قلت لان
تسخيرها وتسبيحها اعجب وادل على القدرة وادخل في الاعجاز لانها جماد والطير حيوان ناطق
روي انه كان يمر بالجبال مسبحا وهي تجاوبه وقيل كانت تسير معه حيث سار فان قلت
كيف تنطق الجبال وتسبح قلت بان يخلق فيها الكلام كما خلقه في الشجرة حين كلم موسى
وجواب اخر وهو ان يسبح من راها تسير بتسيير الله فلما حملت على التسبيح وصفت به وكنا
فاعلين اي قادرين على ان نفعل هذا وان كان عجبا عندكم وقيل وكنا نفعل بالانبياء مثل ذلك
اللبوس اللباس قال البس لكل حالة لبوسها والمراد الدرع قال قتادة كانت صفائح
فاول من سردها وحلقها داود فجمعت الخفة والتحصين لتحصنكم قرئ بالنون والتاء
والياء وتخفيف الصاد وتشديدها فالنون لله عز وجل والتاء للصنعة او للبوس على
تاويل الدرع والياء لداود عليه السلام او للبوس قرئ الريح والرياح بالرفع والنصب فيهما
فالرفع على الابتداء والنصب للعطف على الجبال فان قلت وصفت هذه الرياح بالعصف
تارة وبالرخاوة اخرى فما التوفيق بينهما قلت كانت في نفسها رخية طيبة كالنسيم فاذا مرت
بكرسيه ابعدت به في مدة يسيرة على ما قال غدوها شهر ورواحها شهر فكان جمعها
بين الامرين ان تكون رخاء في نفسها وعاصفة في عملها مع طاعتها لسليمن وهبوبها
على حسب ما يريد ويحكم اية الى اية معجزة مع معجزة وقيل كانت في وقت رخاء وفي وقت
عاصفا لهبوبها على حكم ارادته وقد احاط علمنا بكل شي فنجري الاشيا كلها على ما
تقتضيه علمنا وحكمتنا اي يغوصون له في البحار فيستخرجون الجواهر ويتجاوزون
ذلك الى الاعمال والمهن وبنا المداين والقصور واختراع الصنائع العجيبة كما قال
يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل والله حافظهم ان يزيغوا عن امره او يبدلوا او
يغيروا او يوجد منهم فساد في الجملة فيما هم مسخرون فيه اي ناداه باني مسني وقرئ
اني بالكسر على اضمار القول او لتضمن النداء معناه والضر بالفتح الضرر في كل شي وبالضم
الضرر في النفس من مرض وهزال فرق بين البنائين لافتراق المعنيين الطف في السوال
حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة وذكر ربه بغاية الرحمة ولم يصرح بالمطلوب ويحكى ان
عجوزا تعرضت لسليمن بن عبد الملك فقالت يا امير المومنين مشت جرذان بيتي على العصي
فقال لها الطفت في السوال لا جرم لاردنها تثب وثب الفهود وملا بيتها حبا كان
ايوب عليه السلام روميا من ولد اسحق بن يعقوب عليهم السلم وقد استنباه الله وبسط عليه الدنيا

وكثر اهله وماله كان له سبعة بنين وسبع بنات وله اصناف البهائم وخمس مائة فدان
يتبعها خمس مائة عبد لكل عبد امراة وولد ونخيل فابتلاه الله بذهاب ولده انهدم عليهم
البيت فهلكوا وبذهاب ماله وبالمرض في بدنه ثماني عشرة سنة وعن قتادة ثلاث عشرة وعن
مقاتل سبعا وسبعة اشهر وسبع ساعات وقالت له امراته يوما لو دعوت الله فقال لها
كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال انا استحي من الله ان ادعوه وما بلغت مدة
بلائي مدة رخائي فلما كشف الله عنه الضر احيا ولده ورزقه مثلهم ونوافل منهم وروي ان
امراته ولدت بعد ستة وعشرين ابنا اي لرحمتنا العابدين وانا نذكرهم بالاحسان لا
ننساهم او رحمة منا لايوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر حتى
يثابوا كما اثيب في الدنيا والاخرة قيل في ذي الكفل هو الياس وقيل زكريا وقيل يوشع
بن نون وكانه سمي بذلك لانه ذو الحظ من الله والجد وقيل على الحقيقة وقيل كان له ضعف
عمل الانبياء في زمانه وضعف ثوابهم وقيل خمسة من الانبياء ذوو اسمين اسرائيل ويعقوب
الياس وذو الكفل عيسى والمسيح يونس وذو النون محمد واحمد النون الحوت فاضيف اليه
برم بقومه لطول ما ذكرهم فلم يذكروا واقاموا على كفرهم فراغمهم وظن ان ذلك يسوغ
حيث لم يفعله الا غضبا لله وانفة لدينه وبغضا للكفر واهله وكان عليه ان يصابر
وينتظر الاذن من الله في المهاجرة عنهم فابتلي ببطن الحوت ومعنى مغاضبته لقومه
انه اغضبهم بمفارقته لخوفهم حلول العقاب عليهم عندها وقرا ابو شرف مغضبا قرئ
نقدر ونقدر بالنون مخففا ومثقلا ويقدر بالياء بالتخفيف ويقدر ويقدر على البنا
للمفعول مخففا ومثقلا وفسرت بالتضييق عليه وبتقدير الله عليه عقوبة وعن ابن عباس
انه دخل على معاوية فقال لقد ضربتني امواج القران البارحة فغرقت فيها فلم اجد لنفسي
خلاصا الا بك قال وما هي يا معاوية فقرا هذه الاية وقال او يظن نبي الله ان لا نقدر
عليه قال هذا من القدر لا من القدرة والمخفف يصح ان يفسر بالقدرة على معنى ان لن
نعمل فيه قدرتنا وان يكون من باب التمثيل بمعنى فكانت حاله ممثلة بحال من ظن
ان لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لامر الله ويجوز ان يسبق ذلك الى وهمه
بوسوسة الشيطان ثم يردعه ويرده بالبرهان كما يفعل المومن المحقق بنزغات
الشيطان وما يوسوس اليه في كل وقت ومنه قوله تعالى وتظنون بالله الظنونا والخطاب
للمومنين في الظلمات اي في الظلمة الشديدة المتكاثفة في بطن الحوت كقوله ذهب الله
بنورهم وتركهم في ظلمات وقوله يخرجونهم من النور الى الظلمات وقيل ظلمات بطن الحوت
والبحر والليل وقيل ابتلع حوته حوت اكبر منه فحصل في ظلمتي بطني الحوتين وظلمة البحر
اي بانه لا اله الا انت او بمعنى اي عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعا الا
استجيب له وعن الحسن ما نجاه الله الا اقراره على نفسه بالظلم نجي وننجي ونجي والنون لا
تدغم في الجيم ومن تمحل لصحته فجعله فعل وقال نجي النجاء المومنين فارسل الياء واسنده
الى مصدره ونصب المومنين بالنجاء فمتعسف بارد التعسف سال ربه ان يرزقه ولدا
يرثه ولا يدعه وحيدا بلا وارث ثم رد امره الى الله مستسلما فقال وانت خير الوارثين اي
ان لم ترزقني من يرثني فلا ابالي فانك خير وارث اصلاح زوجه ان جعلها صالحة للولادة
بعد عقرها وقيل تحسين خلقها وكانت سيئة الخلق الضمير للمذكورين من الانبيا يريد
انهم ما استحقوا الاجابة الى طلباتهم الا لمبادرتهم ابواب الخير ومسارعتهم في تحصيلها كما

يسعد الراغبون في الأمور الجادّون وقرئ رغبًا ورهبًا بالإسكان وهو كقوله يحذر
الآخرة ويرجو رحمة ربه خاشعين قال الحسن ذُلُلًا لأمر الله وعن مجاهد الخشوع الخوف
الدائم في القلب وقيل متواضعين وسئل الأعمش فقال أما إني سألت إبراهيم فقال ألا تدري
قلت أفدني قال بينه وبين الله إذا أرخى ستره وأغلق بابه فليُرِ الله منه خيرًا لعلك ترى
أنه أن يأكل خشنًا ويلبس خشنًا ويطأطئ رأسه أحصنت فرجها إحصانًا كليًّا من الحلال والحرام
جميعًا كما قالت ولم يمسسني بشر ولم أك بغيًا فإن قلت نفخ الروح في الجسد عبارة عن
إحيائه قال الله تعالى فإذا سويته ونفخت فيه من روحي وإذا ثبت ذلك كان قوله فنفخنا
فيها من روحنا ظاهر الإشكال لأنه يدل على إحياء مريم قلت معناه فنفخنا الروح في عيسى
فيها أي أحييناه في جوفها ونحو ذلك أن يقول الزمّار نفخت في بيت فلان أي نفخت في المزمار
في بيته ويجوز أن يراد وفعلنا النفخ في مريم من جهة روحنا وهو جبريل عليه السلام لأنه نفخ في
جيب درعها فوصل النفخ إلى جوفها فإن قلت هلّا قيل آيتين كما قيل وجعلنا الليل والنهار
آيتين قلت لأن حالهما بمجموعهما آية واحدة وهي ولادتها إياه من غير فحل الأمة الملة وهذه
إشارة إلى ملة الإسلام أي إن ملة الإسلام هي ملتكم التي يجب أن تكونوا عليها لا تنحرفون
عنها يشار إليها ملة واحدة غير مختلفة وأنا إلهكم إله واحد فاعبدون ونصب
الحسن أمتكم على البدل من هذه ورفع أمة خبرًا وعنه رفعهما جميعًا خبرين لهذه أو نوى
للثاني مبتدأ والخطاب للناس كافة والأصل وتقطعتم إلا أن الكلام حرف إلى الغيبة على
طريقة الالتفات كأنه ينعى عليهم ما أفسدوه إلى آخرين ويقبح عندهم فعلهم ويقول لهم ألا
ترون إلى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله والمعنى جعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعًا
كما يتوزع الجماعة الشيء ويقتسمونه فيطير لهذا نصيب ولذاك نصيب تمثيلًا لاختلافهم فيه
وصيرورتهم فرقًا وأحزابًا شتى ثم توعدهم بأن هؤلاء الفرق المختلفة إلينا يرجعون فهو
محاسبهم ومجازيهم الكفران مثل في حرمان الثواب كما أن الشكر مثل في إعطائه إذا قيل
لله شكور وقد نفى نفي الجنس ليكون أبلغ من أن يقول فلا نكفر سعيه وإنا له كاتبون
أي نحن كاتبو ذلك السعي ومثبتوه في صحيفة عمله وما نحن مثبتوه فهو غير ضائع ومثاب عليه
صاحبه استعير الحرام للممتنع وجوده ومنه قوله عز وعلا إن الله حرمهما على الكافرين أي
منعهما منهم وأبى أن يكونا لهم وقرئ وحِرْم وحَرْم بالفتح والكسر وحَرُم وحَرِم ومعنى
أهلكناها عزمنا على إهلاكها أو قدرنا إهلاكها ومعنى الرجوع الرجوع من الكفر إلى
الإسلام والإنابة ومجاز الإيمان وما عزم الله على إهلاكهم غير متصور أن يرجعوا
وينيبوا إلى أن تقوم القيامة فحينئذ يرجعون ويقولون يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل
كنا ظالمين يعني أنهم مطبوع على قلوبهم فلا يزالون على كفرهم ويموتون عليه حتى يروا العذاب
وقرئ إنهم بالكسر وحق هذا أنه تم الكلام قبله فلا بد من تقدير محذوف كأنه قيل وحرام
على قرية أهلكناها ذاك وهو المذكور في الآية المتقدمة من العمل الصالح والسعي المشكور
غير المكفور ثم علل فقيل إنهم لا يرجعون عن الكفر فكيف لا يمتنع ذلك والقراءة بالفتح يصح
حملها على هذا أي لأنهم لا يرجعون ولا صلة على الوجه الأول فإن قلت بمَ تعلقت حتى واقعة
غاية له وأية الثلاث هي قلت هي متعلقة بحرام وهي غاية له لأن امتناع رجوعهم لا يزول
حتى تقوم القيامة وهي حتى التي يحكى بعدها الكلام والكلام المحكي الجملة من الشرط والجزاء
أعني إذا وما في حيزها حذف المضاف إلى يأجوج ومأجوج وهو سدهما كما حذف المضاف
إلى القرية وهو أهلها وقيل فتحت كما قيل أهلكناها وقرئ آجوج وهما قبيلتان من جنس الإنس

يقال الناس عشرة أجزاء تسعة منها يأجوج ومأجوج وهم راجع إلى الناس المسوقين إلى المحشر
وقيل هم يأجوج ومأجوج يخرجون حين يفتح السد الحدب النشز من الأرض وقرأ ابن عباس
من كل جدث وهو القبر الثاء حجازية والفاء تميمية وقرئ ينسلون بضم السين ونسل وعسل
أسرع وإذا هي إذا المفاجأة وهي تقع في المجازاة سادة مسد الفاء كقوله تعالى إذا هم يقنطون
فإذا جاءت الفاء معها تعاونتا على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد ولو قيل إذا هي شاخصة أو فهي
شاخصة كان سديدًا هي ضمير مبهم توضحه الأبصار وتفسره كما فسر الذين ظلموا وأسروا
يا ويلنا متعلق بمحذوف تقديره يقولون يا ويلنا ويقولون في موضع الحال من الذين كفروا
ما تعبدون من دون الله يحتمل الأصنام وإبليس وأعوانه لأنهم بطاعتهم لهم واتباعهم
خطواتهم في حكم عبدتهم ويصدقه ما روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وصناديد
قريش في الحطيم وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنمًا فجلس إليهم فعرض له النضر بن الحارث
فكلمه رسول الله حتى أفحمه ثم تلا عليهم إنكم وما تعبدون من دون الله الآية فأقبل
عبد الله بن الزبعرى فرآهم يتهامسون فقال فيم خوضكم فأخبره الوليد بن المغيرة بقول
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله أما والله لو وجدته لخصمته فدعوه فقال ابن الزبعرى أأنت
قلت ذلك قال نعم قال قد خصمتك ورب الكعبة أليس اليهود عبدوا عزيرًا والنصارى عبدوا
المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هم عبدوا الشياطين التي
أمرتهم بذلك فأنزل الله تعالى إن الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية يعني عزيرًا والمسيح والملائكة
فإن قلت لم قرنوا بآلهتهم قلت لأنهم لا يزالون لمقارنتهم في زيادة غم وحسرة حيث أصابهم
ما أصابهم بسببهم والنظر إلى وجه العدو باب من أبواب العذاب ولأنهم قدروا أنهم
يستشفعون بهم في الآخرة ويستنفعون بشفاعتهم فإذا صادفوا الأمر على عكس ما قدروا
لم يكن شيء أبغض إليهم منهم فإن قلت إذا عنيت بما تعبدون الأصنام فما معنى لهم فيها زفير
قلت إذا كانوا هم وأصنامهم في قرن واحد جاز أن يقال لهم زفير وإن لم يكن الزافرين
إلا هم دون الأصنام للتغليب ولعدم الإلباس والحصب المحصوب به أي يحصب بهم
في النار والحصب الرمي وقرئ بسكون الصاد وصفًا بالمصدر وقرئ حطب وحضب بالضاد
متحركًا وساكنًا وعن ابن مسعود يجعلون في توابيت من نار فلا يسمعون ويجوز أن يصمهم
الله كما يعميهم الحسنى الخصلة المفضلة في الحسن تأنيث الأحسن إما السعادة وإما البشرى
بالثواب وإما التوفيق للطاعة ويروى أن عليًا رضي الله عنه قرأ هذه الآية ثم قال أنا منهم وأبو بكر
وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف ثم أقيمت الصلاة فقام يجر رداءه
وهو يقول لا يسمعون حسيسها والحسيس الصوت الذي يحس والشهوة طلب النفس
اللذة وقرئ لا يُحزنهم من أحزن والفزع الأكبر قيل النفخة الأخيرة لقوله يوم ينفخ في الصور
ففزع من في السموات ومن في الأرض وعن الحسن الانصراف إلى النار وعن الضحاك حين يطبق على
النار وقيل حين يذبح الموت على صورة كبش أملح أي تستقبلهم الملائكة مهنئين على أبواب
الجنة ويقولون هذا وقت ثوابكم الذي وعدكم ربكم قد حل والعامل في يوم نطوي
لا يحزنهم أو الفزع أو تتلقاهم وقرئ تُطوى السماء على البناء للمفعول والسجل بوزن العُتُلّ والسِّجْل
بلفظ الدلو وروي فيه الكسر وهو الصحيفة أي كما يطوى الطومار للكتابة أي ليكتب
فيه أو لما يكتب فيه لأن الكتاب أصله المصدر كالبناء ثم يوقع على المكتوب ومن جمع فمعناه
للمكتوبات أي لما يكتب فيه من المعاني الكثيرة وقيل السجل ملك يطوي كتب بني آدم إذا

رفعت اليه وقيل كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم والكتاب على هذا اسم الصحيفة المكتوب فيها
اول خلق مفعول نعيد الذي يفسره نعيده والكاف مكفوفة بما والمعنى نعيد اول الخلق
كما بدأناه تشبيها للاعادة بالابتداء في تناول القدرة لهما على السواء فان قلت وما اول الخلق
حتى يعيده كما بدأه قلت اوله ايجاده عن العدم فكما اوجده اولا عن عدم يعيده ثانيا عن
عدم فان قلت ما بال خلق منكرا قلت هو كقولك هو اول رجل جاءني تريد اول الرجال
ولكنك وحدته ونكرته ارادة تفصيلهم رجلا رجلا فكذلك معنى اول خلق بمعنى اول الخلق
لان الخلق مصدر لا يجمع ووجه اخر وهو ان ينتصب الكاف بفعل مضمر يفسره نعيده وما
موصولة اي نعيد مثل الذي بدأناه نعيده واول خلق ظرف لبدأناه اي اول ما خلق او حال من
ضمير الموصول الساقط من اللفظ الثابت في المعنى وعدا مصدر مؤكد لان قوله نعيده
عدة للاعادة انا كنا فاعلين اي قادرين على ان نفعل ذلك عن السعدي رحمه الله زبور
داود والذكر التوراة وقيل اسم لجنس ما انزل على الانبياء من الكتب والذكر ام الكتاب يعني
اللوح اي يرثها المؤمنون بعد اجلاء الكفار كقوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
مشارق الارض ومغاربها قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله
يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وعن ابن عباس هي ارض الجنة وقيل الارض المقدسة
يرثها امة محمد صلى الله عليه وسلم الاشارة الى المذكور في هذه السورة من الاخبار والوعد والوعيد
والمواعظ البالغة والبلاغ الكفاية وما تبلغ به البغية ارسل صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين لانه جاء
بما يسعدهم ان اتبعوه ومن خالف ولم يتبع فانما اتي من عند نفسه حيث ضيع نصيبه منها ومثاله
ان يفجر الله عينا غديقة فيسقي ناس زروعهم ومواشيهم بمائها فيفلحوا ويبقى ناس مفرطون
عن السقي فيضيعوا فالعين المفجرة في نفسها نعمة من الله ورحمة للفريقين ولكن الكسلان محنة
على نفسه حيث حرمها ما ينفعها وقيل كونه رحمة للفجار من حيث ان عقوبتهم اخرت
بسببه وامنوا به عذاب الاستئصال انما لقصر الحكم على شيء او لقصر الشيء على حكم كقولك
انما زيد قائم وانما يقوم زيد وقد اجتمع المثالان في هذه الاية لان انما يوحى الي مع فاعله
بمنزلة انما يقوم زيد وانما الهكم اله واحد بمنزلة انما زيد قائم وفائدة اجتماعهما الدلالة على
ان الوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقصور على استئثار الله بالوحدانية وفي قوله فهل انتم مسلمون
ان الوحي الوارد على هذا السنن موجب ان تخلصوا التوحيد لله وان تخلعوا الانداد وفيه
ان صفة الوحدانية يصح ان يكون طريقها السمع ويجوز ان يكون المعنى ان الذي يوحى الي فتكون
ما موصولة آذن منقول من اذن اذا علم ولكنه كثر استعماله في الجري مجرى الانذار ومنه
قوله تعالى فأذنوا بحرب من الله ورسوله وقول ابن حلزة ۝ آذنتنا ببينها اسماء ۝ والمعنى اني
بعد توليكم واعراضكم عن قبول ما عرض عليكم من وجوب توحيد الله وتنزيهه عن الانداد
والشركاء كرجل بينه وبين اعدائه هدنة فاحس منهم بغدرة فنبذ اليهم العهد وشهر النبذ
واشاعه واذنهم جميعا بذلك على سواء اي مستوين في الاعلام به لم يطوه عن احد منهم
وكاشف كلهم وقشر العصا عن لحائها وما توعدون من غلبة المسلمين عليكم كائن لا محالة
ولا بد من ان يلحقكم بذلك الذلة والصغار وان كنت لا ادري متى يكون ذلك لان الله لم
يعلمني علمه ولم يطلعني عليه والله عالم لا يخفى عليه ما تجاهرون به من كلام الطاعنين في
الاسلام وما تكتمونه في صدوركم من الاحن والاحقاد للمسلمين وهو مجازيكم عليه وما
ادري لعل تأخير هذا الموعد امتحان لكم لينظر كيف تعملون او تمتيع لكم الى حين ليكون ذلك

حجة عليكم وليقع الموعد في وقت هو فيه حكمة وقرئ قل رب وقال على حكاية قول رسول الله ورب
احكم على الاكتفاء بالكسرة ورب احكم على الضم وربي احكم على افعل التفضيل وربي احكم امر
باستعجال العذاب لقومه فعذبوا ببدر ومعنى بالحق لا تحابهم وشدد عليهم كما هو
حقهم كما قال اشدد وطأتك على مضر وقرئ يصفون بالتاء والياء كانوا يصفون الحال على
خلاف ما جرت عليه وكانوا يطمعون ان تكون لهم الشوكة والغلبة فكذب الله ظنونهم
وخيب امالهم ونصر رسول الله والمؤمنين وخذلهم ۝ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ اقترب
للناس حسابهم حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن

سورة الحج مكية غير ست آيات هذان خصمان الى صراط الحميد وهي ثمان وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الزلزلة شدة التحريك والازعاج وان يضاعف زليل الاشياء عن مقارها ومراكزها
ولا تخلو الساعة من ان تكون على تقدير الفاعلة لها كأنها هي التي تزلزل الاشياء على المجاز
الحكمي فتكون الزلزلة مصدرا مضافا الى فاعله او على تقدير المفعول فيها على طريقة
الاتساع في الظرف واجرائه مجرى المفعول به كقوله تعالى بل مكر الليل والنهار وهي الزلزلة
المذكورة في قوله اذا زلزلت الارض زلزالها واختلف في وقتها فعن الحسن انها تكون يوم
القيامة وعن علقمة والشعبي عند طلوع الشمس من مغربها امرهم بالتقوى ثم علل
وجوبها عليهم بذكر الساعة ووصفها باهول صفة لينظروا الى تلك الصفة ببصائرهم
ويتصوروها بعقولهم حتى يبقوا على انفسهم ويرحموها من شدائد ذلك اليوم بامتثال
ما امرهم به ربهم من التردي بلباس التقوى الذي لا يؤمنهم من تلك الافزاع الا ان
يتردوا به وروي ان هاتين الايتين نزلتا ليلا في غزوة بني المصطلق فقرأهما رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلم ير اكثر باكيا من تلك الليلة فلما اصبحوا لم يحطوا السروج عن الدواب ولم يضربوا
الخيام وقت النزول ولم يطبخوا قدرا وكانوا من بين حزين وباك ومفكر يوم ترونها
منصوب بتذهل والضمير للزلزلة وقرئ تذهل كل مرضعة على البناء للمفعول وتذهل
كل مرضعة اي تذهلها الزلزلة والذهول الذهاب عن الامر مع دهشة فان قلت
لم قيل مرضعة دون مرضع قلت المرضعة التي هي في حال الارضاع ملقمة ثديها الصبي
والمرضع التي شأنها ان ترضع وان لم تباشر الارضاع في حال وصفها به فقيل مرضعة
ليدل على ان ذلك الهول اذا فوجئت به هذه وقد القمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه لما
يلحقها من الدهشة عما ارضعت عن ارضاعها او عن الذي ارضعته وهو الطفل وعن
الحسن تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام وقرئ
وترى بالضم من اريتك قائما او رأيتك قائما والناس مرفوع ومنصوب والنصب ظاهر ومن
رفع جعل الناس اسم ترى وانثه على تأويل الجماعة وقرئ سكرى وسكرى وهو نظير
جوعى وعطشى في جوعان وعطشان وسكارى وسكارى نحو كسالى وكسالى وعن الاعمش
سكرى وبسكرى بالضم وهو غريب والمعنى وتراهم سكارى على التشبيه وما هم بسكارى
على الحقيقة ولكن ما رهقهم من خوف عذاب الله هو الذي اذهب عقولهم وطير
تمييزهم وردهم في نحو حال من يذهب السكر بعقله وتمييزه وقيل وتراهم سكارى من الخوف
وما هم بسكارى من الشراب فان قلت لم قيل اولا ترون ثم قيل ترى على الافراد قلت
لان الرؤية اولا علقت بالزلزلة فجعلت الناس جميعا رائين لها وهي معلقة آخرا بكون
الناس على حال السكر فلا بد ان يجعل كل واحد منهم رائيا لسائرهم قيل نزلت في النضر

ان الحرث وكان جدلا بقوله الملائكة بنات الله والقرآن اساطير الاولين والله غير
قادر على احياء من بلي وصار ترابا وهي عامة في كل من تعاطى الجدال فيما يجوز على الله عز وجل
وما لا يجوز من الصفات والافعال ولا يرجع الى علم ولا يعض فيه بضرس قاطع
وليس فيه اتباع للبرهان ولا نزول على النصفة فهو يخبط خبط عشواء غير فارق بين الحق
والباطل ويتبع في ذلك خطوات كل شيطان عات علم من حاله وظهر وتبين انه من جعله
واليا له لم يثمر له الولاية الا الاضلال عن طريق الجنة والهداية الى النار وما ارى رؤساء
اهل الاهواء والبدع والحشوية المتلقبين بالامامة في دين الله الا داخلين تحت كل
هذا وهم اولياؤهم اشد الشياطين اضلالا واقطعهم لطريق الحق حيث دونوا الضلال
تدوينا ولقنوه اشياعهم تلقينا وكانهم شياطين ملحوبهم ودماثتهم واياهم عنى من قال
ويا رب مقفو الخطى بين قومه طريق نجاة عندهم مستوي النهج ولو قرؤوا في اللوح ما
خطه من شأن اعوجاج في طريقه عوجا اللهم ثبتنا على المعتقد الصحيح الذي
رضيته لملائكتك في سمواتك وانبيائك في ارضك وادخلنا برحمتك في عبادك الصالحين
الكتبة عليه اي كانما كتب اضلال من تولاه عليه ورقم به لظهور ذلك في حاله وقرئ انه
فانه بالفتح والكسر فمن فتح فلان الاول فاعل كتب والثاني عطف عليه ومن كسر فعلى حكاية
المكتوب كما هو كانما كتب عليه هذا الكلام كما تقول كتبت ان الله هو الغني الحميد او على
تقدير قيل او على ان كتب فيه معنى القول الحسن من البعث بالتحريك وسكن الجلب في الطرد
في الجلب والطرد كانه قيل ان ارتبتم في البعث فمزيل ريبكم ان تنظروا في بدء خلقكم والعلقة
قطعة الدم الجامدة والمضغة اللحمة الصغيرة قدر ما يمضغ والمخلقة المسواة الملساء
من النقصان والعيب يقال خلق السواك والعود اذا سواه وملسه من قولهم صخرة خلقاء
اذا كانت ملساء كان الله تعالى خلق المضغ متفاوتة منها ما هو كامل الخلقة املس من العيوب
ومنها ما هو على عكس ذلك فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس في خلقهم وصورهم وطولهم
وقصرهم وتمامهم ونقصانهم وانما نقلناكم من حال الى حال ومن خلقة الى خلقة لنبين لكم بهذا
التدريج قدرتنا وحكمتنا وان من قدر على خلق البشر من تراب اولا ثم من نطفة ثانيا ولا تناسب
بين التراب والماء وقدر على ان يجعل النطفة علقة وبينهما تباين ظاهر ثم يجعل العلقة
مضغة والمضغة عظاما قدر على اعادة ما ابداه بل هذا ادخل في القدرة من تلك واهون
في القياس وورود الفعل غير معدى الى المبين اعلام بان افعاله هذه يتبين بها من قدرته
وعلمه ما لا يكتنهه الذكر ولا يحيط به الوصف وقرأ ابن ابي عبلة ليبين لكم ويقر بالياء وقرئ ونقر
ونخرجكم بالنون والنصب ويقر ويخرجكم بالنصب والرفع وعن يعقوب نقر بالنون وضم القاف
من قر الماء اذا صبه فالقراءة بالرفع اخبار بانه يقر في الارحام ما يشاء ان يقره من
ذلك الى اجل مسمى وهو وقت الوضع آخر ستة اشهر او تسعة اشهر او سنتين او اربع
او كما شاء وقدر وما لم يشأ اقراره مجته الارحام او اسقطته والقراءة بالنصب تعليل معطوف
على تعليل ومعناه خلقناكم مدرجين هذا التدريج لغرضين احدهما ان نبين قدرتنا والثاني
ان نقر في الارحام من نقر حتى يولد وينشأ ويبلغوا حد التكليف فاكلفهم ويعضد
هذه القراءة قوله ثم لتبلغوا اشدكم ووحد لان الغرض الدلالة على الجنس او اريد يخرج
كل واحد منكم طفلا الاشد كمال القوة والعقل والتمييز وهو من الفاظ الجموع التي لم
يستعمل لها واحد كالاسنة والقتود والاباطيل وغير ذلك وكانها شدة في غير شيء واحد
فبنيت لذلك على لفظ الجمع وقرئ ومنكم من يتوفى اي يتوفاه الله على ارذل العمر الهرم والخرف

حتى يعود كهيئته الاولى في اوان طفولته ضعيف البنية سخيف العقل قليل الفهم بين انه كما
قدر على ان يرقيه في درجات الزيادة حتى يبلغه حد التمام فهو قادر على ان يحطه حتى ينتهي به
الى الحالة السفلى لكيلا يعلم من بعد علم شيئا اي ليصير نساء بحيث اذا كسب علما في شيء لم ينشب
ان ينساه ويزول عنه علمه حتى يسأل عنه من ساعته يقول لك من هذا فتقول فلان فما يلبث
لحظة الا سألك عنه وقرأ ابو عمرو والعمري بسكون الميم الهامدة الميتة اليابسة وهذه دلالة ثانية
على البعث ولظهورها وكونها مشاهدة معاينة كررها الله تعالى في كتابه اهتزت وربت
تحركت بالنبات وانتفخت وقرئ ربأت اي ارتفعت البهيج الحسن السار للناظر اليه اي ذلك
الذي ذكرنا من خلق بني آدم واحياء الارض مع ما في تضاعيف ذلك من اصناف الحكم واللطائف
حاصل بهذا وهو السبب في حصوله ولولاه لم يتصور كونه وهو ان الله هو الحق الثابت
الموجود وانه قادر على احياء الموتى وعلى كل مقدور وانه حكيم لا يخلف ميعاده وقد
وعد الساعة والبعث فلا بد ان يفي بما وعد عن ابن عباس انه ابو جهل بن هشام وقيل
كرر كما كررت سائر الاقاصيص وقيل الاول في المقلدين وهذا في المقلدين والمراد بالعلم
العلم الضروري وبالهدى الاستدلال والنظر لانه يهدي الى المعرفة وبالكتاب المنير الوحي
اي يجادل بظن وتخمين لا باحد هذه الثلاثة وثني العطف عبارة عن الكبر والخيلاء كتصعير
الخد ولي الجيد وقيل عن الاعراض عن الذكر وعن الحسن ثاني عطفه بفتح العين اي
مانع تعطفه ليضل تعليل للمجادلة وقرئ بضم الياء وفتحها فان قلت ما كان غرضه في جداله
الضلال عن سبيل الله فكيف علل به وما كان ايضا مهتديا حتى اذا جادل خرج بالجدال من
الهدى الى الضلال قلت لما ادى جداله الى الضلال جعل كانه غرضه ولما كان الهدى
معرضا له فتركه واعرض عنه واقبل على الجدال بالباطل جعل كالخارج من الهدى الى الضلال
وخزيه ما اصابه يوم بدر من الصغار والقتل والسبي وما مني به من خزي الدنيا
وعذاب الآخرة هو ما قدمت يداه وعدل الله في معاقبته الفجار واثابته الصالحين
على حرف على طرف من الدين لا في وسطه وقلبه وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في
دينهم لا على سكون وطمأنينة كالذي يكون على طرف من العسكر فان احس بظفر وغنيمة
قر واطمأن والا فر وطار على وجهه قالوا نزلت في اعاريب قدموا المدينة وكان احدهم اذا
صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امرأته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال
ما اصبت منذ دخلت في ديني هذا الا خيرا واطمأن وان كان الامر بخلافه قال ما اصبت الا
شرا وانقلب وعن ابي سعيد الخدري ان رجلا من اليهود اسلم فاصابته مصائب فتشاءم
بالاسلام فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اقلني فقال ان الاسلام لا يقال فنزلت المصاب بالمحنة
ترك التسليم لقضاء الله والخروج الى ما يسخط الله جامع على نفسه محنتين احداهما ذهاب
ما اصيب به والثانية ذهاب ثواب الصابرين فهو خسر الدارين وقرئ خاسر الدنيا والآخرة
بالنصب والرفع فالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير وهو
وجه حسن او على انه خبر مبتدأ محذوف استعير الضلال البعيد من ضلال من ابعد في
التيه ضالا فطالت وبعدت مسافة ضلالته فان قلت الضرر والنفع منفيان عن الاصنام
مثبتان لها في الآيتين وهذا تناقض قلت اذا حصل المعنى ذهب هذا الوهم وذلك ان الله تعالى
سفه الكافر بانه يعبد جمادا لا يملك ضرا ولا نفعا وهو يعتقد فيه بجهله وضلالته انه
يستشفع به حين يستشفع به ثم قال يوم القيامة يقول هذا الكافر بدعاء وصراخ حين يرى

استضراره بالأصنام ودخوله النار بعبادتها ولا يرى أثر الشفاعة التي ادعاها لها لمن
ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير إذ كرر يدعو كأنه قال يدعو يدعو من
دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ثم قال لمن ضره بكونه معبودا أقرب من نفعه بكونه شفيعا
لبئس المولى وفي حرف عبد الله من ضره بغير لام المولى الناصر والعشير الصاحب كقوله
فبئس القرين هذا كلام قد دخله اختصار والمعنى أن الله ناصر رسوله في الدنيا والآخرة
فمن كان يظن من حاسديه وأعاديه أن الله يفعل خلاف ذلك ويطمع فيه ويغيظه
أنه لا يظفر بمطلوبه فليستقص وسعه وليستفرغ مجهوده في إزالة ما يغيظه بأن يفعل ما
يفعل من بلغ منه الغيظ كل مبلغ حتى مد حبلا إلى سماء بيته فاختنق فلينظر ويتصور في
نفسه أنه إن فعل ذلك هل يذهب نصر الله الذي يغيظه وسمي الاختناق قطعا لأن المختنق
يقطع نفسه بحبس مجاريه ومنه قيل للبهر القطع وسمي فعله كيدا لأنه وضعه موضع الكيد
حيث لم يقدر على غيره أو على سبيل الاستهزاء لأنه لم يكد به محسوده إنما كاد به نفسه والمراد
ليس في يده إلا ما ليس بمذهب لما يغيظ وقيل فليمدد بحبل إلى السماء المظلة وليصعد عليه فليقطع
الوحي أن ينزل عليه وقيل كان قوم من المسلمين لشدة غيظهم وحنقهم على المشركين يستبطئون
ما وعد الله رسوله من النصر وآخرون من المشركين يريدون اتباعه ويخشون أن لا يثبت
أمره فنزلت وقد فسر النصر بالرزق وقيل معناه أن الأرزاق بيد الله لا تنال إلا بمشيئته
ولا بد للعبد من الرضى بقسمته فمن ظن أن الله غير رازقه وليس به صبر واستسلام فليبلغ
غاية الجزع وهو الاختناق فإن ذلك لا يقلب القسمة ولا يرده مرزوقا وكذلك أي ومثل
ذلك الإنزال أنزلناه القرآن كله آيات بينات وأن الله يهدي به الذين يعلم أنهم يؤمنون
أو يثبت الذين آمنوا أو يزيدهم هدى أنزله كذلك مبينا الفصل مطلق يحتمل الفصل بينهم
في الأحوال والأماكن جميعا فلا يجازيهم جزاء واحدا بلا تفاوت ولا يجمعهم في موطن واحد
وقيل الأديان خمسة أربعة للشيطان وواحد للرحمن جعل الصابئون مع النصارى لأنهم
نوع منهم وقيل يفصل بينهم يقضي بينهم أي بين المؤمنين والكافرين وأدخلت إن على
كل واحد من جزئي الجملة لزيادة التأكيد ونحوه قول جرير إن الخليفة إن الله سربله
سربال ملك به ترجى الخواتيم سميت مطاوعتها له فيما يحدث فيها من أفعاله ويجريها
عليه من غير تأب وتسخيره لها سجودا له تشبيها لمطاوعتها بإدخال أفعال المكلف في
باب الطاعة والانقياد وهو السجود الذي كل خضوع دونه فإن قلت فما تصنع بقوله
وكثير من الناس وبما فيه من الاعتراضين أحدهما أن السجود على المعنى الذي فسرته به لا
يسجده بعض الناس دون بعض والثاني أن السجود قد أسند على سبيل العموم إلى من في الأرض
من الإنس والجن أولا فإسناده إلى كثير منهم آخرا مناقضة قلت لا أنظم كثيرا في المفردات المتناسقة
الداخلة تحت حكم الفعل وإنما أرفعه بفعل مضمر يدل عليه قوله يسجد أي ويسجد له كثير
من الناس سجود طاعة وعبادة ولم أقل أفسر يسجد الذي هو ظاهره بمعنى الطاعة والعبادة في
حقهم لأن اللفظ الواحد لا يصح استعماله في حالة واحدة على معنيين مختلفين أو أرفعه
على الابتداء والخبر محذوف وهو مثاب لأن خبر مقابله يدل عليه وهو قوله حق عليه العذاب ويجوز
أن يجعل من الناس خبرا له أي من الناس الذين هم الناس على الحقيقة وهم الصالحون والمتقون
ويجوز أن يبالغ في تكثير المحقوقين بالعذاب فيعطف كثير على كثير ثم يخبر عنهم بحق عليهم العذاب
كأنه قيل وكثير وكثير من الناس حق عليهم العذاب وقرئ حُق بالضم وقرئ حقا أي حق عليهم

العذاب حقا ومن يهن الله بأن كتب عليه الشقاوة لما سبق في علمه من كفره أو فسقه فقد
بقي مهانا لن تجد له مكرما وقرئ مكرم بفتح الراء بمعنى الإكرام إنه يفعل ما يشاء من الإكرام
والإهانة ولا يشاء من ذلك إلا ما يقتضيه عمل العاملين واعتقاد المعتقدين الخصم صفة
وصف بها الفوج أو الفريق فكأنه قيل هذان فوجان أو فريقان يختصمان وقوله هذان
للفظ واختصموا للمعنى كقوله ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا ولو قيل هؤلاء خصمان أو
اختصما جاز أن يراد المؤمنون والكافرون قال ابن عباس رجع إلى أهل الأديان الستة في ربهم
أي في دينه وصفاته وروي أن أهل الكتاب قالوا للمؤمنين نحن أحق بالله وأقدم منكم كتابا
ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن أحق بالله آمنا بمحمد وآمنا بنبيكم وبما أنزل الله من كتاب
وأنتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم تركتموه وكفرتم به حسدا فهذه خصومتهم في ربهم فالذين كفروا
هو فصل الخصومة المعني بقوله إن الله يفصل بينهم يوم القيامة وفي رواية عن الكسائي خصمان
بالكسر وقرئ قطعت بالتخفيف كأن الله يقدر لهم نيرانا على مقادير جثثهم تشتمل عليهم كما
تقطع الثياب الملبوسة ويجوز أن تظاهر على كل واحد منهم تلك النيران كالثياب المظاهرة
على اللابس بعضها فوق بعض ونحوه سرابيلهم من قطران الحميم الماء الحار عن ابن عباس لو
سقطت منه نقطة على جبال الدنيا لأذابتها يصهر يذاب وعن الحسن بتشديد الهاء للمبالغة
أي إذا صب الحميم على رؤوسهم كان تأثيره في الباطن نحو تأثيره في الظاهر فيذيب أمعاءهم وأحشاءهم
كما يذيب جلودهم وهو أبلغ من قوله وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم والمقامع السياط
في الحديث لو وضعت مقمعة منها في الأرض فاجتمع عليها الثقلان ما أقلوها وقرأ الأعمش
ردوا فيها والرد لا يكون إلا بعد الخروج فالمعنى كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم فخرجوا
أعيدوا فيها ومعنى الخروج ما يروى عن الحسن أن النار تضربهم بلهبها فترفعهم حتى إذا
كانوا في أعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق
والحريق الغليظ من النار المنتشر العظيم الإهلاك يحلون عن ابن عباس من حليت المرأة
فهي حال ولؤلؤا بالنصب على ويؤتون لؤلؤا كقوله وحورا عينا ولولؤا بقلب الهمزة
الثانية واوا ولولوا ولوليا بقلبهما واوين ثم بقلب الثانية ياء كأدل ولول من جر
ولولو وليلي بقلبهما ياءين عن ابن عباس وهداهم الله وألهمهم أن يقولوا الحمد لله الذي
صدقنا وعده وهداهم إلى طريق الجنة يقال فلان يحسن إلى الفقراء وينعش المضطهدين
لا يراد حال ولا استقبال وإنما يراد استمرار وجود الإحسان منه والنعشة في جميع أزمنته
وأوقاته ومنه قوله ويصدون عن سبيل الله أي الصد ومنهم مستمر دائم للناس
أي للذين يقع عليهم اسم الناس من غير فرق بين حاضر وباد وتاني وطارئ ومكي وآفاقي
وقد استشهد به أصحاب أبي حنيفة قائلين إن المراد بالمسجد الحرام مكة على امتناع
جواز بيع دور مكة وإجارتها وعند الشافعي لا يمتنع ذلك وقد حاور إسحق بن راهويه
فاحتج بقوله الذين أخرجوا من ديارهم وقال أنسب الديار إلى مالكيها أو غير مالكيها
واشترى عمر بن الخطاب رضي الله عنه دار السجن من مالكيه أو غير مالكيه سواء بالنصب
قراءة حفص والباقون على الرفع ووجه النصب أنه ثاني مفعولي جعلناه أي جعلناه مستويا العاكف
فيه والباد وفي القراءة بالرفع الجملة مفعول ثان الإلحاد العدول عن القصد وأصله إلحاد
الحافر وقوله بإلحاد بظلم حالان مترادفتان ومفعول يرد متروك ليتناول كل متناول
كأنه قال ومن يرد فيه مرادا ما عادلا عن القصد ظالما نذقه من عذاب أليم يعني أن الواجب

على من كان فيه ان يضبط نفسه ويسلك طريق السداد والعدل في جميع ما يهم به ويقصده
وقيل الالحاد في الحرم منع الناس عن عمارته وعن سعيد بن جبير الاحتكار وعن عطا
قول الرجل في المبايعة لا والله وبلى والله وعن عبد الله بن عمر انه كان له فسطاطان احدهما
في الحل والآخر في الحرم فاذا اراد ان يعاتب اهله عاتبهم في الحل فقيل له فقال كنا نحدث
ان من الالحاد فيه ان يقول الرجل لا والله وبلى والله وقرئ يرد بفتح اليا من الورود
ومعناه من اتى فيه بالحاد ظالما وعن الحسن ومن يرد الحاده بظلم اراد الحادا فيه فاضافه
على الاتساع في الظرف كمكر الليل ومعناه من يرد ان يلحد فيه ظالما وخبر ان محذوف
لدلالة جواب الشرط عليه تقديره ان الذين كفروا ويصدون عن المسجد الحرام نذيقهم
من عذاب اليم وكل من ارتكب فيه ذنبا فهو كذلك عن ابن مسعود الهمة في الحرم تكتب ذنبا
واذكر حين جعلنا لابرهيم مكان البيت مباءة اي مرجعا يرجع اليه للعمارة والعبادة
رفع البيت الى السما ايام الطوفان وكان من ياقوتة حمرا فاعلم الله ابرهيم مكانه بريح
ارسلها يقال لها الخجوج كنست ما حوله فبناه على اسه القديم وان هي المفسرة فان قلت
كيف يكون النهي عن الشرك والامر بتطهير البيت تفسيرا للتبوئة قلت كانت التبوئة مقصودة
من اجل العبادة فكانه قيل تعبدنا ابرهيم قلنا له لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي من الاصنام
والاوثان والاقذار ان تطرح حوله وقرئ يشرك بالياء على الغيبة واذن في الناس
ناد فيهم وقرا ابن محيصن واذن والندا بالحج ان يقول حجوا او عليكم بالحج وروي انه صعد
ابا قبيس فقال يا ايها الناس حجوا بيت ربكم وعن الحسن انه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم امر
ان يفعل ذلك في حجة الوداع يأتوك رجالا مشاة جمع راجل كقائم وقيام وقرئ رجالا بضم
الرا مخفف الجيم ومثقله ورجالى كعجالى عن ابن عباس وعلى كل ضامر حال معطوفة على
حال كانه قيل رجالا وركبانا يأتين صفة لكل ضامر لانه في معنى الجمع وقرئ يأتون
صفة للرجال والركبان من كل فج عميق بعيد وقرا ابن مسعود معيق يقال بير بعيدة العمق
والمعق ليشهدوا منافع لهم نكر المنافع لانه اراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودنيوية لا توجد في
غيرها من العبادات وعن ابي حنيفة رحمه الله انه كان يفاضل بين العبادات قبل ان
حج فلما حج فضل الحج على العبادات كلها لما شاهد من تلك الخصائص وكنى عن الذبح و
النحر بذكر اسم الله لان اهل الاسلام لا ينفكون عن ذكر اسمه اذا نحروا او ذبحوا وفيه تنبيه
على ان الغرض الاصلي فيما يتقرب به الى الله ان يذكر اسمه وقد حسن الكلام تحسينا بينا
ان جمع بين قوله ليذكروا اسم الله وبين قوله على ما رزقهم ولو قيل لينحروا في ايام معلومات
بهيمة الانعام لم تر شيئا من ذلك الحسن والروعة في ايام معلومات ايام العشر عند ابي
حنيفة وهو قول الحسن وقتادة وعن صاحبيه هي ايام النحر البهيمة مبهمة في كل ذات اربع في
البر والبحر فبينت بالانعام وهي الابل والبقر والضان والمعز فكلوا منها الامر بالاكل منها امر
اباحة لان اهل الجاهلية كانوا لا ياكلون من نسائكهم ويجوز ان يكون ندبا لما فيه من مساواة الفقرا
ومواساتهم ومن استعمال التواضع ومن ثم استحب الفقها ان ياكل الموسع من اضحيته مقدار
الثلث وعن ابن مسعود انه بعث بهدي وقال فيه اذا نحرته فكل وتصدق وابعث منه الى عتبة
يعني ابنه وفي الحديث كلوا وادخروا وائتجروا واطعموا البائس الذي اصابه بؤس اي شدة والفقير
الذي اضعفه الاعسار ثم ليقضوا تفثهم قص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد
والتفث الوسخ فالمراد قضاء ازالة التفث وقرئ ثم ليقضوا بكسر اللام وليوفوا نذورهم مواجب

حجهم او ما عسى ينذرونه من اعمال البر في حجهم وليطوفوا طواف الافاضة وهو
طواف الزيارة الذي هو من اركان الحج ويقع به تمام التحلل وقيل طواف الصدر وهو
طواف الوداع بالبيت العتيق القديم لانه اول بيت وضع للناس عن الحسن وعن قتادة
اعتق من الجبابرة كم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله وعن مجاهد لم يملك قط
وعنه اعتق من الغرق وقيل بيت كريم من قولهم عتاق الخيل والطير فان قلت
قد تسلط عليه الحجاج فلم يمنع قلت ما قصد التسلط على البيت وانما تحصن به ابن الزبير رضي الله عنه
فاحتال لاخراجه ثم بناه ولما قصد التسلط عليه ابرهة فعل به ما فعل ذلك خبر مبتدا
محذوف اي الامر والشان ذلك كما يقدم الكاتب جملة من كتابه في بعض المعاني ثم اذا اراد
الخوض في معنى آخر قال هذا وقد كان كذا ومن يعظم حرمات الله الحرمة ما لا يحل هتكه وجميع ما كلفه الله عز وعلا
بهذه الصفة من مناسك الحج وغيرها فيحتمل ان يكون عاما في جميع تكاليفه ويحتمل ان
يكون خاصا فيما يتعلق بالحج وعن زيد بن اسلم الحرمات خمس الكعبة الحرام والبلد الحرام والمسجد
الحرام والشهر الحرام والمحرم حتى يحل فهو خير له اي فالتعظيم خير له ومعنى التعظيم
العلم بانها واجبة المراعاة والحفظ والقيام بمراعاتها المتلو لا يستثنى من الانعام
ولكن المعنى الا ما يتلى عليكم آية تحريمه وذلك قوله في سورة المائدة حرمت عليكم الميتة
والمعنى ان الله قد احل لكم الانعام كلها الا ما استثناه في كتابه فحافظوا على حدوده
واياكم ان تحرموا مما احل شيا كتحريم عبدة الاوثان البحيرة والسائبة وغير ذلك وان
تحلوا مما حرم كاحلالهم اكل الموقوذة والميتة وغير ذلك لما حث على تعظيم حرماته واحمد
من يعظمها اتبعه الامر باجتناب الاوثان وقول الزور لان توحيد الله ونفي الشركا
عنه وصدق القول اعظم الحرمات واسبقها خطوا وجمع الشرك وقول الزور في قران
واحد وذلك ان الشرك من باب الزور لان المشرك زاعم ان الوثن تحق العبادة له فكانه قال
فاجتنبوا عبادة الاوثان التي هي راس الزور واجتنبوا قول الزور كله لا تقربوا شيا منه
لتماديه في القبح والسماجة وما ظنك بشي من قبيلة عبادة الاوثان وسمى الاوثان رجسا وكذلك
الخمر والميسر والازلام على طريق التشبيه يعني انكم كما تنفرون بطباعكم عن الرجس وتجتنبونه
فعليكم ان تنفروا عن هذه الاشيا مثل تلك النفرة ونبه على هذا المعنى بقوله رجس من عمل
الشيطان فاجتنبوه جعل العلة في اجتنابه انه رجس والرجس مجتنب من الاوثان بيان
للرجس وتمييز له كقولك عندي عشرون من الدراهم لان الرجس مبهم يتناول غير شي كانه
قيل فاجتنبوا الرجس الذي هو الاوثان والزور من الزور والازورار وهو الانحراف
كما ان الافك من افكه اذا صرفه وقيل قول الزور قولهم هذا حلال وهذا حرام وما اشبه ذلك
من افترائهم وقيل شهادة الزور عن النبي صلى الله عليه وسلم انه صلى الصبح فلما سلم قام قائما واستقبل
الناس بوجهه وقال عدلت شهادة الزور الاشراك بالله عدلت شهادة الزور الاشراك بالله
عدلت شهادة الزور الاشراك بالله وتلا هذه الآية وقيل الكذب والبهتان وقيل قول
اهل الجاهلية في تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك ويجوز في هذا
التشبيه ان يكون من المركب والمفرق فان كان تشبيها مركبا فكانه قال من اشرك
بالله فقد اهلك نفسه اهلاكا ليس بعده بان صور حاله بصورة حال من خر من السما
فاختطفته الطير فتفرق مزعا في حواصلها او عصفت به الريح حتى هوت به في بعض
المطاوح البعيدة وان كان مفرقا فقد شبه الايمان في علوه بالسما والذي ترك الايمان

واشرك بالله بالساقط من السماء والاهوا التي توزع افكاره بالطير المختطفة والشيطان
الذي يطوح به في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي
المتلفة وقرى فتخطفه بكسر الخاء والطاء وبكسر التاء مع كسرهما وهي قراءة الحسن واصلها
تختطفه وقرى الرياح تعظيم الشعائر وهي الهدايا لانها من معالم الحج ان يختارها عظام
الاجرام حسانا سمانا غالية الاثمان ويترك المكاس فقد كانوا يتغالون في ثلاث
ويكرهون المكاس فيهن الهدي والاضحية والرقبة وروى ابن عمر عن ابيه رضي الله عنهما
انه اهدى نجيبة طلبت منه بثلاثمائة دينار فسال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبيعها ويشتري
بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل اهدها واهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة بدنة فيها
جمل لابي جهل في انفه برة من ذهب وكان ابن عمر يسوق البدن مجللة بالقباطي فيتصدق
بلحومها وجلالها ويعتقد ان طاعة الله في التقرب بها واهدائها الى بيته المعظم
امر عظيم لابد ان يقام به ويسارع فيه **فانها من تقوى القلوب** اي فان تعظيمها
من افعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات ولا يستقيم المعنى الا بتقديرها لانه لابد
من راجع من الجزاء الى من ليرتبط به وانما ذكرت القلوب لانها مراكز التقوى التي اذا
ثبتت فيها وتمكنت ظهر اثرها في سائر الاعضاء **الى اجل مسمى** الى ان تنحر ويتصدق بلحومها
ويوكل منها **ثم** للتراخي في الوقت فاستعيرت للتراخي في الاحوال والمعنى ان لكم في
الهدايا منافع كثيرة في دنياكم ودينكم وانما يعتد الله بالمنافع الدينية قال سبحانه تريدون
عرض الدنيا والله يريد الاخرة واعظم هذه المنافع وابعدها شوطا في النفع **محلها الى**
البيت اي وجوب نحرها او وقت وجوب نحرها منتهية الى البيت كقوله هديا بالغ الكعبة
والمراد نحرها في الحرم الذي هو في حكم البيت لان الحرم هو حرم البيت ومثل هذا في
الاتساع قولك بلغنا البلد وانما شارفتموه واتصل مسيركم بحدوده وقيل المراد
بالشعائر المناسك كلها ومحلها الى البيت العتيق ياباه شرع الله **لكل امة** ان ينسكوا
له اي يذبحوا لوجهه على وجه التقرب وجعل العلة في ذلك ان يذكر اسمه تقدست اسماؤه
على النسائك وقرى **منسكا** بفتح السين وكسرها وهو مصدر بمعنى النسك والمكسور
يكون بمعنى الموضع **فله اسلموا** اي اخلصوا له الذكر خاصة واجعلوه لوجهه سالما
اي خالصا لا تشوبوه باشراك المخبتين المتواضعين الخاشعين من الخبت وهو
المطمئن من الارض وقيل هم الذين لا يظلمون واذا ظلموا لم ينتصروا وقرا الحسن **والمقيمي**
الصلاة بالنصب على تقدير النون وقرا ابن مسعود والمقيمين الصلاة على الاصل **البدن**
جمع بدنة سميت لعظم بدنها وهي الابل خاصة ولان رسول الله صلى الله عليه وسلم الحق البقر بالابل
حين قال البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة فجعل البقر في حكم الابل صارت البدنة في
الشريعة متناولة للجنسين عند ابي حنيفة واصحابه والا فالبدن هي الابل وعليه تدل الاية
وقرا الحسن والبدن بضمتين كثمر في جمع ثمرة وابن ابي اسحق بالضمتين وتشديد النون على
لفظ الوقف وقرى بالنصب والرفع كقوله والقمر قدرناه **من شعائر الله** اي من اعلام
الشريعة التي شرعها الله واضافتها الى اسمه تعظيم لها **لكم فيها خير** كقوله لكم فيها منافع
ومن شان الحاج ان يحرص على شيء فيه خير ومنافع بشهادة الله عن بعض السلف انه لم يملك
الا تسعة دنانير فاشترى بها بدنة فقيل له في ذلك فقال سمعت ربي يقول لكم فيها خير وعن

ابن عباس دنيا وآخرة وعن ابراهيم من احتاج الى ظهرها ركب ومن احتاج الى لبنها شرب واذكروا
اسم الله ان تقولوا عند النحر الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك واليك **صواف**
قائمات قد صففن ايديهن وارجلهن وقرى صوافن من صفون الفرس وهو ان يقوم
على ثلاث وينصب الرابعة على طرف سنبكه لان البدنة تعقل احدى يديها فتقوم على ثلاث
وقرى صوافي اي خوالص لوجه الله وعن عمرو بن عبيد صوافنا بالتنوين عوضا من
حرف الاطلاق عند الوقف وعن بعضهم صوافٍ نحو مثل العرب اعط القوس باريها
بسكون الياء **وجبت جنوبها** وقوعها على الارض من وجب الحائط وجبة اذا سقط
ووجبت الشمس جبة غربت والمعنى **فاذا وجبت جنوبها** وسكنت نسائسها حل لكم
الاكل منها والاطعام **القانع** السائل من قنعت اليه وكنعت اذا خضعت له وسالته
خضوعا **والمعتر** المعترض بغير سؤال او القانع الراضي بما عنده وبما يعطى من غير سؤال
من قنعت قنعا وقناعة والمعتر المعترض بالسؤال وقرا الحسن والمعتري وعره
وعراه واعتره واعتراه بمعنى وقرا ابو رجاء القنع وهو الراضي لا غير يقال قنع
فهو قنع وقانع من الله على عباده واستحمد اليهم بان سخر لهم البدن مثل
التسخير الذي رأوا وعلموا يأخذونها منقادة للاخذ طيعة فيعقلونها ويحبسونها
صافة قوائمها ثم يطعنون في لباتها ولولا تسخير الله لم تطق ولم تكن باعجز من
بعض الوحوش التي هي اصغر منها جرما واقل قوة وكفى بما يتابد من الابل شاهدا
وعبرة اي لن يصيب رضى الله اللحوم المتصدق بها ولا الدماء المهراقة بالنحر
والمراد اصحاب اللحوم والدماء والمعنى لن يرضي المضحون والمقربون ربهم الا
بمراعاة النية والاخلاص والاحتفاظ بشروط التقوى في حل ما قرب به وغير ذلك
من المحافظات الشرعية واوامر الورع فاذا لم يراعوا ذلك لم تغن عنهم التضحية والتقريب
وان كثر ذلك منهم وقرى لن ينال ولكن يناله بالياء والتاء وقيل كان اهل الجاهلية
اذا نحروا البدن نضحوا الدماء حول البيت ولطخوه بالدم فلما حج المسلمون ارادوا
مثل ذلك فنزلت كرر تذكير النعمة بالتسخير ثم قال **لتكبروا الله على** هدايته اياكم
لاعلام دينه ومناسك حجه بان تكبروا وتهللوا فاختصر الكلام بان ضمن التكبير معنى
الشكر وعدي تعديته خص المؤمنين بدفعه عنهم ونصرته لهم كما قال انا لننصر
رسلنا والذين آمنوا وقال انهم لهم المنصورون واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب
وجعل العلة في ذلك انه لا يحب اضدادهم وهم الخونة الكفرة الذين يخونون الله والرسول
ويخونون اماناتهم ويكفرون نعم الله ويغمطونها ومن قرا **يدافع** فمعناه يبالغ في الدفع
عنهم كما يبالغ من يغالب فيه لان فعل المغالب يجيء اقوى وابلغ **اذن** و**يقاتلون** قرئا
على لفظ المبني للفاعل والمفعول جميعا والمعنى **اذن** لهم في القتال فحذف الماذون فيه
لدلالة يقاتلون عليه **بانهم ظلموا** اي بسبب كونهم مظلومين وهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان مشركو مكة يؤذونهم اذى شديدا وكانوا ياتون رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين مضروب
ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فاني لم اومر بالقتال حتى هاجر فنزلت هذه
الاية وهي اول اية اذن فيها بالقتال بعدما نهي عنه في نيف وسبعين اية وقيل نزلت في قوم
خرجوا مهاجرين فاعترضهم مشركو مكة فاذن لهم في مقاتلتهم والاخبار بكونه قادرا

على نصرهم عِدة منه بالنصر واردة على سنن كلام الجبابرة وما مر من دفعه عن الذين امنوا
مؤذن بمثل هذه العدة ايضا ان يقولوا في محل الجر على الابدال من حق اي بغير موجب
سوى التوحيد الذي ينبغي ان يكون موجب الاقرار والتمكين لا موجب الاخراج والتسيير
ومثله هل تنقمون منا الا ان امنا بالله دفع الله بعض الناس ببعض اظهاره وتسليطه
المسلمين منهم على الكافرين بالمجاهدة ولولا ذلك لاستولى المشركون على اهل الملل
المختلفة في ازمنتهم وعلى متعبداتهم فهدموها ولم يتركوا للنصارى بيعا ولا لرهبانهم
صوامع ولا لليهود صلوات ولا للمسلمين مساجد او لغلب المشركون في امة محمد صلى الله عليه وسلم
على المسلمين وعلى اهل الكتاب الذين في ذمتهم وهدموا متعبدات الفريقين
وقرئ دفاع الله ولهدمت بالتخفيف وسميت الكنيسة صلاة لانه يصلى فيها وقيل
هي كلمة معربة اصلها بالعبرانية صلوثا من ينصره اي ينصر دينه واولياءه هو
اخبار من الله عز وجل بظهر الغيب عما ستكون عليه سيرة المهاجرين رضي الله عنهم
ان مكنهم في الارض وبسط لهم في الدنيا وكيف يقومون بامر الدين وعن عثمان رضي الله عنه
هذا والله ثناء قبل بلاء يريد ان الله قد اثنى عليهم قبل ان يحدثوا من الخير ما احدثوا
قالوا فيه دليل على صحة امر الخلفاء الراشدين لان الله لم يعط التمكين ونفاذ الامر مع
السيرة العادلة غيرهم من المهاجرين لا حظ في ذلك للانصار والطلقاء وعن الحسن هم
امة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الذين منصوب بدل من قوله من ينصره والظاهر انه مجرور
تابع للذين اخرجوا ولله عاقبة الامور اي مرجعها الى حكمه وتقديره وفيه تاكيد لما
وعده من اظهار اوليائه واعلاء كلمتهم يقول لرسوله صلى الله عليه وسلم تسلية له لست باوحدي
في التكذيب فقد كذب الرسل قبلك اقوامهم وكفاك بهم اسوة فان قلت لم قيل وكذب
موسى ولم يقل وقوم موسى قلت لان موسى ما كذبه قومه بنو اسرائيل وانما كذبه غير
قومه وهم القبط وفيه شيء اخر كأنه قيل بعدما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم وكذب موسى
ايضا مع وضوح اياته وعظم معجزاته فما ظنك بغيره النكير بمعنى الانكار والتغيير حيث
ابدلهم بالنعمة محنة وبالحياة هلاكا وبالعمارة خرابا كل مرتفع اظلك من سقف بيت
او خيمة او ظلة او كرم فهو عرش والخاوي الساقط من خوى النجم اذا سقط او الخالي من
خوى المنزل اذا خلا من اهله وخوى بطن الحامل وقوله على عروشها لا يخلو من ان
يتعلق بخاوية فيكون المعنى انها ساقطة على سقوفها اي خرت سقوفها على
الارض ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف او انها ساقطة او خالية مع بقاء
عروشها وسلامتها واما ان يكون خبرا بعد خبر كأنه قيل هي خالية وهي على عروشها
اي قائمة مظلة على عروشها على معنى ان السقوف سقطت الى الارض فصارت في قرار
الحيطان وبقيت الحيطان ماثلة فهي مشرفة على السقوف الساقطة فان قلت ما محل
الجملتين من الاعراب اعني وهي ظالمة فهي خاوية قلت الاولى في محل النصب على الحال والثانية
لا محل لها لانها معطوفة على اهلكناها وهذا الفعل ليس له محل وقرأ الحسن معطلة من
اعطله بمعنى عطله ومعنى المعطلة انها عامرة فيها الماء ومعها الات الاستقاء الا انها
عطلت اي تركت لا يستقى منها لهلاك اهلها والمشيد المجصص او المرفوع البنيان و
المعنى كم قرية اهلكنا وكم بئر عطلنا عن سقاتها وقصر مشيد اخليناه عن ساكنيه
فترك ذلك لدلالة معطلة عليه وفي هذا دليل على ان على عروشها بمعنى مع اوجه وروي

ان هذه بئر نزل عليها صالح معه اربعة الاف نفر ممن امن به مع اربعة الاف نفر ممن امن
ونجاهم الله من العذاب وهي بحضرموت وانما سميت بذلك لان صالحا عليه السلام حين حضرها
مات وثم بلدة عند البئر اسمها حاضورا بناها قوم صالح وامروا عليهم جلهس
بن جلاس واقاموا بها زمانا ثم كفروا وعبدوا صنما وارسل الله اليهم حنظلة بن
صفوان نبيا فقتلوه فاهلكهم الله وعطل بئرهم وخرب قصورهم يحتمل انهم لم
يسافروا وحثوا على السفر ليروا مصارع من اهلكهم الله بكفرهم ويشاهدوا اثارهم
فيعتبروا وان يكونوا قد سافروا وراوا ذلك ولكن لم يعتبروا فجعلوا كان لم
يسافروا ولم يروا وقرئ فيكون لهم قلوب بالياء اي يعقلون ما يجب ان يعقل من
التوحيد ويسمعون ما يجب سماعه من الوحي فانها الضمير ضمير الشان والقصة يجيء
مذكرا ومؤنثا وفي قراءة ابن مسعود فانه ويجوز ان يكون ضميرا مبهما يفسره الابصار وفي
تعمى راجع اليه والمعنى ان ابصارهم صحيحة سالمة لا عمى بها وانما العمى بقلوبهم او لا يعتد
بعمى الابصار فكانه ليس بعمى بالاضافة الى عمى القلوب فان قلت اي فائدة في ذكر الصدور
قلت الذي قد تعورف واعتقد ان العمى على الحقيقة مكانه البصر وهو ان تصاب
الحدقة بما يطمس نورها واستعماله في القلب استعارة ومثل فلما اريد اثبات ما هو خلاف
المعتقد من نسبة العمى الى القلوب حقيقة ونفيه عن الابصار احتاج هذا التصوير الى
زيادة تعيين وفضل تعريف ليتقرر ان مكان العمى هو القلوب لا الابصار كما تقول ليس
المضاء للسيف ولكنه للسانك الذي بين فكيك فقولك الذي بين فكيك تقرير لما ادعيته
للسانه وتثبيت لان محل المضاء هو هو لا غير وكانك قلت ما نفيت المضاء عن السيف
واثبته للسانك فلتة ولا سهوا مني ولكن تعمدت به اياه بعينه تعمدا انكر استعجالهم
بالمتوعد به من العذاب العاجل او الاجل كأنه قال ولم يستعجلون به كأنهم يجوزون
الفوت وانما يجوز ذلك على ميعاد من يجوز عليه الخلف والله عز وعلا لا يخلف الميعاد
وما وعده ليصيبنهم ولو بعد حين وهو سبحانه حليم لا يعجل ومن حلمه ووقاره استقصاره
المدد الطوال ان يوما واحدا عنده كالف سنة عندكم وقيل معناه كيف يستعجلون بعذاب
من يوم واحد من ايام عذابه في طول الف سنة من سنيكم لان ايام الشدائد مستطالة
او كأن ذلك اليوم الواحد لشدة عذابه كالف سنة من سني العذاب وقيل ولن يخلف الله
وعده في النظرة والامهال وقرئ يعدون بالياء والتاء ثم قال وكم من اهل قرية كانوا
مثلكم ظالمين قد انظرتهم حينا ثم اخذتهم بالعذاب والمرجع الي والى حكمي فان قلت
لم كانت الاولى معطوفة بالفاء وهذه بالواو قلت الاولى وقعت بدلا عن قوله فكيف كان
نكير واما هذه فحكمها حكم ما تقدمها من الجملتين المعطوفتين بالواو اعني قوله ولن
يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة تعالى سعيت في امر فلان اذا اصلحه
او افسده بسعيه وعاجزه سابقه لان كل واحد منهما في طلب اعجاز الاخر عن
اللحاق به فاذا سبقه قيل اعجزه وعجزه والمعنى سعوا في معناها بالفساد من الطعن
فيها حيث سموها سحرا وشعرا واساطير ومن تثبيط الناس عنها سابقين او مسابقين
في زعمهم وتقديرهم طامعين ان كيدهم للاسلام يتم لهم فان قلت كان القياس ان يقال
بشير ونذير لذكر الفريقين بعده قلت الحديث مسوق الى المشركين

وبايها الناس ندالهم وهم الذين قيل فيهم افلم يسيروا ووصفوا بالاستعجال وانما اقحم
المومنون وثوابهم ليتغاظوا من رسول ولا نبي دليل بين على تغاير الرسول والنبي وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انه سئل عن الانبيا فقال مائة الف واربعة وعشرون الفا قيل فكم الرسل منهم قال ثلثمائة
وثلثة عشر جما غفيرا والفرق بينهما ان الرسول من الانبيا من جمع الى المعجزة الكتاب
المنزل عليه والنبي غير الرسول من لم ينزل عليه كتاب وانما امر ان يدعو الناس الى شريعة
من قبله والسبب في نزول هذه الاية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اعرض عنه قومه
وشاقوه وخالفه عشيرته ولم يشايعوه على ما جاء به تمنى لفرط ضجره من اعراضهم
ولحرصه وتهالكه على اسلامهم ان لا ينزل عليه ما ينفرهم لعله يتخذ ذلك طريقا الى استمالتهم
واستنزالهم عن غيهم وعنادهم فاستمر به ما تمناه حتى نزلت عليه سورة النجم وهو في نادي
قومه وذلك التمني في نفسه فاخذ يقروها فلما بلغ قوله ومناة الثالثة الاخرى القى
الشيطان في امنيته التي تمناها اي وسوس اليه بما شيعها به فسبق لسانه على سبيل السهو
والغلط الى ان قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى وروي الغرانقة ولم يفطن له
حتى ادركته العصمة فتنبه عليه وقيل نبهه جبريل عليه السلام او تكلم الشيطان بذلك
فاسمعه الناس فلما سجد في اخرها سجد معه جميع من في النادي وطابت نفوسهم
وكان تمكين الشيطان من ذلك محنة من الله وابتلا زاد المنافقون به شكا وظلمة
والمومنون نورا وايقانا والمعنى ان الرسل والانبيا من قبلك كانت هجيراهم كذلك
اذا تمنوا مثل ما تمنيت مكن الله الشيطان ليلقي في امانيهم مثل ما القى في امنيتك
ارادة امتحان من حولهم والله سبحانه له ان يمتحن عباده بما شاء من صنوف المحن
وانواع الفتن ليضاعف ثواب الثابتين ويزيد في عقاب المذبذبين وقيل تمنى قرا
وانشد ٥ تمنى كتاب الله اول ليله ٭ تمني داود الزبور على رسل ٥ وامنيته قراته
وقيل تلك الغرانيق اشارة الى الملائكة اي هم الشفعا لا الاصنام فينسخ ما يلقي
الشيطان اي يذهب به ويبطله ثم يحكم الله اياته اي يثبتها الذين في قلوبهم
مرض المنافقون والشاكون والقاسية قلوبهم المشركون المكذبون وان الظالمين
يريد وان هولا المنافقين والمشركين واصله وانهم فوضع الظاهر موضع الضمير
قضا عليهم بالظلم انه الحق من ربك اي ليعلموا ان تمكين الشيطان من الالقا هو
الحق من ربك والحكمة وان الله لهاد الذين امنوا الى ان يتاولوا ما يتشابه في الدين بالتا
ويلات الصحيحة ويطلبوا لما اشكل منه المحمل الذي تقتضيه الاصول المحكمة والقوانين
الممهدة حتى لا تلحقهم حيرة ولا تعتريهم شبهة ولا تزل اقدامهم وقرئ لهاد الذين امنوا
بالتنوين في مرية منه للقران او للرسول اليوم العقيم يوم بدر وانما وصف
يوم الحرب بالعقيم لان اولاد النسا يقتلون فيه فيصرن كانهن عقم لم يلدن او لان
المقاتلين يقال لهم ابنا الحرب فاذا قتلوا وصف يوم الحرب بالعقيم على سبيل المجاز
وقيل هو الذي لا خير فيه يقال ريح عقيم اذا لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا او لانه لا
مثل له في عظم امره لقتال الملائكة فيه وعن الضحاك انه يوم القيامة وان
المراد بالساعة مقدماته ويجوز ان يراد بالساعة ويوم عقيم يوم القيامة كانه قيل
حتى تاتيهم الساعة او ياتيهم عذابها فوضع يوم عقيم موضع الضمير فان قلت

التنوين في يومئذ عن اي جملة ينوب قلت تقديره الملك يوم يومنون او يوم
تزول مريتهم لقوله ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تاتيهم الساعة لما
جمعهم المهاجرة في سبيل الله سوى بينهم في الموعد ان يعطي من مات منهم مثل
ما يعطي من قتل تفضلا منه واحسانا والله عليم بدرجات العاملين ومراتب
استحقاقهم حليم عن تفريط المفرط منهم بفضله وكرمه روي ان طوائف من
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله هولا الذين قتلوا قد علمنا ما اعطاهم
الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا معك فانزل الله
هاتين الايتين تسمية الابتدا بالجزا لملابسته له من حيث انه سبب وذاك
مسبب عنه كما يحملون النظير على النظير والنقيض على النقيض فان قلت كيف
طابق ذكر العفو الغفور هذا الموضع قلت المعاقب مبعوث من جهة الله
عز وجل على الاخلال بالعقاب والعفو عن الجاني على طريق التنزيه لا التحريم ومندوب
اليه ومستوجب عند الله المدح ان اثر ما ندب اليه وسلك سبيل التنزيه فحين
لم يوثر ذلك وانتصر وعاقب ولم ينظر في قوله فمن عفا واصلح فاجره على الله
وان تعفوا اقرب للتقوى ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور فان الله
لعفو غفور اي لا يلومه على ترك ما بعثه عليه وهو ضامن لنصره في كرته
الثانية من اخلاله بالعفو وانتقامه من الباغي عليه ويجوز ان يضمن له النصر
على الباغي ويعرض مع ذلك بما كان اولى به من العفو ويلوح به بذكر هاتين
الصفتين او دل بذكر العفو والمغفرة على انه قادر على العقوبة لانه لا يوصف
بالعفو الا القادر على ضده ذلك اي ذلك النصر بسبب انه قادر ومن ايات
قدرته البالغة انه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل او بسبب انه
خالق الليل والنهار ومصرفهما فلا يخفى عليه ما يجري فيهما على ايدي عباده من
الخير والشر والبغي والانصاف وانه سميع لما يقولون بصير بما يفعلون فان
قلت ما معنى ايلاج احدهما في الاخر قلت تحصيل ظلمة هذا في مكان ضيا ذلك
بغيبوبة الشمس وضيا ذاك في مكان ظلمة هذا بطلوعها كما يضي البيت بالسراج
ويظلم بفقده وقيل هو زيادته في احدهما ما ينقص من الاخر من الساعات وقرئ يدعون
بالتا واليا وقرا اليماني وان ما يدعون بلفظ المبني للمفعول والواو راجعة الى ما لانه في
معنى الالهة اي ذلك الوصف بخلق الليل والنهار والاحاطة بما يجري فيهما
وادراك كل قول وفعل بسبب انه الله الحق الثابت الالهية وان كل ما يدعى الها
دونه باطل الدعوة وانه لا شي اعلا منه شانا واكبر سلطانا وقرئ مخضرة اي ذات
خضر على مفعلة كمبقلة ومسبعة فان قلت هلا قيل فاصبحت ولم صرف
الى لفظ المضارع قلت لنكتة فيه وهي افادة بقا اثر المطر زمانا بعد زمان كما
تقول انعم علي فلان عام كذا فاروح واغدو شاكرا له ولو قلت فرحت وغدوت
لم يقع ذلك الموقع فان قلت فما له رفع ولم ينصب جوابا للاستفهام قلت
لو نصب لاعطى ما هو عكس الغرض لان معناه اثبات الاخضرار فينقلب بالنصب
الى نفي الاخضرار مثاله ان تقول لصاحبك الم تر اني انعمت عليك فتشكر ان نصبته

فانت نافٍ للشك شاكٌ في ربطه فيه وان رفعته فانت مثبت للشكر وهذا وامثاله
مما يجب ان ترغب له من اتسم بالعلم في علم الاعراب وتوقير اهله لطيف واصل
علمه وفضله الى كل شي خبير بمصالح الخلق ومنافعهم ما في الارض من البهائم
مذللة للركوب في البر ومن المراكب جارية في البحر وغير ذلك من سائر المسخرات وقرئ
والفلك بالرفع على الابتداء ان تقع اي كراهة ان تقع الا باذنه احياكم بعد ان
كنتم جمادا ترابا ونطفة وعلقة ومضغة لكفور لجحود لما افاض عليه من ضروب النعم
هو نهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي لا تلتفت الى قولهم ولا تمكنهم من ان ينازعوك او هو زجر
لهم عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالمنازعة في الدين وهم جهال لا علم عندهم وهم كفار
خزاعة روي ان بديل بن ورقاء وبشر بن سفيان الخزاعيين وغيرهما قالوا للمسلمين ما
لكم تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتله الله يعنون الميتة وقال الزجاج هو نهي
له عن منازعتهم كما تقول لا يضاربنك فلان اي لا تضاربه وهذا جائز في الفعل الذي
لا يكون الا بين اثنين في الامر في امر الدين وقيل في امر النسائك وقرئ فلا ينزعنك
اي اثبت في دينك ثباتا لا يطمعون ان يجذبوك ليزيلوك عنه والمراد زيادة التثبيت
لرسول الله صلى الله عليه وسلم بما يهيج حميته ويلهب غضبه لله ولدينه ومنه قوله ولا يصدنك
عن آيات ولا تكونن من المشركين فلا تكونن ظهيرا للكافرين وهيهات ان ترتع
همة رسول الله صلى الله عليه وسلم حول ذلك الحمى ولكنه وارد على ما قلت لك من ارادة التهييج
والالهاب وقال الزجاج هو من نازعته فنزعته انزعه اي غلبته اي لا يغلبنك
في المنازعة فان قلت لم جاءت نظيرة هذه الآية معطوفة بالواو وقد نزعت عن
هذه قلت لان تلك وقعت مع ما يدانيها ويناسبها من الآي الواردة في
امر النسائك فعطفت على اخواتها واما هذه فواقعة مع اباعد عن معناها فلم
تجد معطفا اي وان ابوا للجاجهم الا المجادلة بعد اجتهادك ان لا يكون بينك
وبينهم تنازع فادفعهم بان الله اعلم باعمالكم وبقبحها وبما تستحقون عليها من الجزاء
فهو مجازيكم به وهذا وعيد وانذار ولكن برفق ولين الله يحكم بينكم خطاب من
الله للمؤمنين والكافرين اي يفصل بينكم بالثواب والعقاب ومسلاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
مما كان يلقى منهم وكيف يخفى عليه ما يعملون ومعلوم عند العلماء بالله انه
يعلم كل ما يحدث في السموات والارض وقد كتبه في اللوح المحفوظ قبل حدوثه
والاحاطة بذلك واثباته وحفظه عليه يسير لان العالم الذات لا يتعذر عليه ولا
يمتنع تعلقه بمعلوم ويعبدون ما لم يتمسكوا في صحة عبادته ببرهان سماوي
من جهة الوحي والسمع ولا الجاهم اليها علم ضروري ولا حملهم عليها دليل عقلي
وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من احد ينصرهم ويصوب مذهبهم المنكر الفظيع
من التجهم والبسور او الانكار كالمكرم بمعنى الاكرام وقرئ يعرف والمنكر السطو
الوثب والبطش وقرئ النار بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف كان قائلا قال ما هو
فقيل النار اي هو النار وبالنصب على الاختصاص وبالجر على البدل من بشر من ذلكم
من غيظكم على التالين وسطوكم عليهم او مما اصابكم من الكراهة والضجر بسبب ما
تلي عليكم وعدها الله استئناف كلام ويحتمل ان تكون النار مبتدا ووعدها خبرا

وان يكون حالا عنها اذا نصبتها او جررتها باضمار قد فان قلت الذي جاء به
ليس بمثل فكيف سماه مثلا قلت قد سميت الصفة او القصة الرائعة الملتقاة
بالاستحسان والاستغراب مثلا تشبيها لها ببعض الامثال المسيرة لكونها مستحسنة مستغربة
عندهم وقرئ يدعون بالتاء والياء ويدعون مبنيا للمفعول لن اخت لا في نفي المستقبل
الا ان لن تنفيه نفيا موكدا وتاكيده هاهنا الدلالة على ان خلق الذباب منهم
مستحيل مناف لاحوالهم كانه قال محال ان يخلقوا فان قلت ما محل ولو اجتمعوا
له قلت النصب على الحال كانه قال مستحيل ان يخلقوا الذباب مشروطا عليهم
اجتماعهم جميعا لخلقه وتعاونهم عليه وهذا من ابلغ ما انزله الله في تجهيل
قريش واستركاك عقولهم والشهادة على ان الشيطان قد خزمهم بخزائمه حيث
وصفوا بالالهية التي تقتضي الاقتدار على المقدورات كلها والاحاطة بالمعلومات
عن آخرها صورا وتماثيل يستحيل منها ان تقدر على اقل ما خلقه واذله واصغره
واحقره ولو اجتمعوا لذلك وتساندوا وادل من ذلك على عجزهم وانتفاء قدرتهم
ان هذا الخلق الاقل الاذل لو اختطف منهم شيئا فاجتمعوا على ان يستخلصوه
منه لم يقدروا وقوله ضعف الطالب والمطلوب كالتسوية بينهم وبين الذباب
في الضعف ولو حققت وجدت الطالب اضعف واضعف لان الذباب حيوان
وهو جماد وهو غالب وذاك مغلوب وعن ابن عباس انهم كانوا يطلونها بالزعفران
ورؤسها بالعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فياكله
ما قدروا الله حق قدره اي ما عرفوه حق معرفته حتى لا يسموا باسمه من هو منسلخ
عن صفاته باسرها ولا يؤهلوه للعبادة ولا يتخذوه شريكا له ان الله قادر غالب
فكيف يتخذ العاجز المغلوب شبيها به هذا رد لما انكروه من ان يكون الرسول
من البشر وبيان ان رسل الله على ضربين ملائكة وبشر ثم ذكر انه عز وجل دراك
للمدركات عالم باحوال المكلفين ما مضى منها وما غبر لا تخفى عليه منهم خافية واليه
مرجع الامور كلها والذي هو بهذه الصفات لا يسئل عما يفعل وليس لاحد ان
يعترض عليه في حكمه وتدابيره واختيار رسله لما ذكر شانا ليس لغيره من الطاعات
وفي هذه السورة دلالات على ذلك فمن ثم دعا المؤمنين اولا الى الصلاة التي هي
ذكر خالص ثم الى العبادة بغير الصلاة كالصوم والحج والغزو ثم عم بالحث على
سائر الخيرات وقيل كان الناس اول ما اسلموا يسجدون بلا ركوع ويركعون
بلا سجود فامروا ان تكون صلاتهم بركوع وسجود وقيل معنى واعبدوا ربكم
اقصدوا بركوعكم وسجودكم وجه الله تعالى وعن ابن عباس في قوله وافعلوا
الخير صلة الارحام ومكارم الاخلاق لعلكم تفلحون اي افعلوا هذا كله
وانتم راجون للفلاح طامعون فيه غير مستيقنين ولا تتكلوا على اعمالكم وعن عقبة
بن عامر رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله في سورة الحج سجدتان قال نعم ان لم تسجدهما
فلا تقراها وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فضلت سورة الحج بسجدتين وبذلك احتج
الشافعي فراى سجدتين في سورة الحج وابو حنيفة واصحابه لا يرون فيها الا سجدة

واجب لانهم يقولون خرّ من السجود بالركوع فدل ذلك على انها سجدة صلاة لا سجدة تلاوة
وجاهدوا امر بالغزو او بمجاهدة النفس والهوى وهو الجهاد الاكبر عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه رجع من بعض غزواته فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر في الله
اي في ذات الله ومن اجله تعالى هو حق عالم وجد عالم اي عالم حقا وجدا ومنه حق جهاده
فان قلت ما وجه هذه الاضافة وكان القياس حق الجهاد فيه او حق جهادكم فيه كما قال
وجاهدوا في الله قلت الاضافة تكون بادنى ملابسة واختصاص فلما كان الجهاد
مختصا بالله من حيث انه مفعول لوجهه ومن اجله صحت اضافته اليه ويجوز ان يتسع
في الظرف كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا اجتباكم اختاركم لدينه ولنصرته
ما جعل عليكم في الدين من حرج فتح باب التوبة للمجرمين وفسح بانواع الرخص والكفارات
والديات والاروش ونحوه قوله يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وامة محمد هي الامة
المرحومة الموسومة بذلك في الكتب المتقدمة نصب الملة بمضمون ما تقدمها كانه
قيل وسع دينكم توسعة ملة ابيكم ثم حذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه او
على الاختصاص اي اعني بالدين ملة ابيكم كقولك الحمد لله الحميد فان قلت لم
يكن ابراهيم ابا للامة كلها قلت هو ابو رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان ابا لامته لان
امة الرسول في حكم اولاده هو يرجع الى الله تعالى وقيل الى ابراهيم ويشهد للاول
للقول الاول قراءة ابي بن كعب الله سماكم من قبل وفي هذا اي من قبل القران في
سائر الكتب وفي القران اي فضلكم على الامم وسماكم بهذا الاسم الاكرم ليكون الرسول
شهيدا عليكم انه قد بلغكم وتكونوا شهداء على الناس بان الرسل قد بلغتهم
واذ خصكم بهذه الكرامة والاثرة فاعبدوه وثقوا به ولا تطلبوا النصرة والولاية
الا منه فهو خير مولى وناصر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحج
اعطي من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقي

سورة المؤمنين مكية وهي مائة وسبع عشرة آية وثماني عشرة عند
الكوفيين

بسم الله الرحمن الرحيم

قد نقيضة لما هي تثبت المتوقع ولما تنفيه ولا شك ان المؤمنين كانوا متوقعين
لمثل هذه البشارة وهي الاخبار بثبات الفلاح لهم فخوطبوا بما دل على ثبات ما توقعوه
والفلاح الظفر بالمراد وقيل البقاء في الخير وافلح دخل في الفلاح كابشر دخل في البشارة
ويقال افلحه اصاره الى الفلاح وعليه قراءة طلحة بن مصرف افلح على البناء للمفعول وعنه
افلحوا على اكلوني البراغيث او على الابهام والتفسير وعنه افلح بضمة بغير واو
اجتزاء بها عنها كقوله فلو ان الاطبا كان حولي فان قلت ما المؤمن قلت
هو في اللغة المصدق واما في الشريعة فقد اختلف فيه على قولين احدهما ان كل من
نطق بالشهادتين مواطئا قلبه لسانه فهو مؤمن والاخر انه صفة مدح لا يستحقها
الا البر التقي دون الفاسق الشقي الخشوع في الصلاة خشية القلب والباد البصر
عن قتادة وهو الزام موضع السجود وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يصلي رافعا بصره
الى السماء فلما نزلت هذه الاية رمى ببصره نحو مسجده وكان الرجل من العلماء اذا قام
الى الصلاة هاب الرحمن ان يشد بصره الى شيء او يحدث نفسه بشان من شان الدنيا

وقيل هو جمع الهمة لها والاعراض عما سواها ومن الخشوع ان يستعمل الاداب
فيتوقى كف الثوب والعبث بجسده وثيابه والالتفات والتمطي والتثاؤب والتغميض
وتغطية الفم والسدل والفرقعة والتشبيك والاختصار وتقليب الحصى روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ابصر رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال لو خشع قلب هذا لخشعت
جوارحه ونظر الحسن الى رجل يعبث بالحصى وهو يقول اللهم زوجني الحور العين
فقال بئس الخاطب انت تخطب وانت تعبث فان قلت لم اضيفت الصلاة اليهم
قلت لان الصلاة دائرة بين المصلي والمصلى له فالمصلي هو المنتفع بها وحده وهي
عدته وذخيرته فهي صلاته واما المصلى له فغني متعال عن الحاجة اليها والانتفاع بها
اللغو ما لا يعنيك من قول او فعل كاللعب والهزل وما توجب المروءة الغاءه واطراحه
يعني ان بهم من الجد ما يشغلهم عن الهزل لما وصفهم بالخشوع في الصلاة اتبعه الوصف
بالاعراض عن اللغو ليجمع لهم الفعل والترك الشاقين على الانفس اللذين هما قاعدتا
بناء التكليف الزكاة اسم مشترك بين عين ومعنى فالعين القدر الذي يخرجه
المزكي من النصاب الى الفقير والمعنى فعل المزكي الذي هو التزكية وهو الذي
اراده الله تعالى فجعل المزكين فاعلين له ولا يسوغ فيه غيره لانه ما من مصدر الا يعبر
عن معناه بالفعل ويقال لمحدثه فاعل تقول للضارب فاعل الضرب وللقاتل
فاعل القتل وللمزكي فاعل التزكية وعلى هذا الكلام كله والتحقيق فيه انك تقول
في جميع الحوادث من فاعل هذا فيقال لك فاعله الله او بعض الخلق ولم يمتنع
الزكاة الدالة على العين ان يتعلق بها فاعلون لخروجها من صحة ان يتناولها
الفاعل ولكن لان الخلق ليسوا بفاعليها وقد انشد لامية بن ابي الصلت
المطعمون الطعام في السنة الازمة والفاعلون للزكوات ويجوز ان يراد بالزكاة
العين ويقدر مضاف محذوف وهو الاداء وحمل البيت على هذا اصح لانها فيه
مجموعة على ازواجهم في موضع الحال اي الا والين على ازواجهم او قوامين
عليهن من قولك كان فلان على فلانة فمات عنها فخلف عليها فلان ونظيره كان
زياد على البصرة اي واليا عليها ومنه قولهم فلانة تحت فلان ومن ثم سميت المرأة فراشا
والمعنى انهم لفروجهم حافظون في كافة الاحوال الا في حال تزوجهم او تسريهم او
تعلق على بمحذوف يدل عليه غير ملومين كانه قيل يلامون الا على ازواجهم اي
يلامون على كل مباشر الا على ما اطلق لهم فانهم غير ملومين عليه او تجعله صلة
لحافظين من قولك احفظ علي عنان فرسي على تضمينه معنى النفي كما ضمن قولهم
نشدتك بالله الا فعلت بمعنى ما طلبت منك الا فعلك فان قلت هلا قيل من
ملكت قلت لانه اريد من جنس العقلاء ما يجري مجرى غير العقلاء وهم الاناث
جعل المستثنى حدا واوجب الوقوف عنده ثم قال فمن احدث ابتغاء وراء هذا الحد
مع فسحته وسعته وهو اباحة اربع من الحرائر ومن الاماء ما شئت فاولئك هم
الكاملون في العدوان المتناهون فيه فان قلت هل فيه دليل على تحريم المتعة
قلت لا لان المنكوحة نكاح المتعة من جملة الازواج اذا صح النكاح وقرئ
لاماناتهم سمي الشيء المؤتمن عليه والمعاهد عليه امانة وعهدا ومنه قوله ان

الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها وقال لا تخونوا اماناتكم وانما تؤدى العيون
لا المعاني ويخان المؤتمن عليه لا الامانة في نفسها والراعي القائم على الشيء بحفظ واصلاح
كراعي الغنم وراعي الرعية ويقال من راعي هذا الشيء اي متوليه وصاحبه ويحتمل
العموم في كل ما ائتمنوا عليه وعوهدوا من جهة الله عز وجل ومن جهة
الخلق والخصوص في ما حملوه من امانات الناس وعهودهم وقرئ على صلاتهم
فان قلت كيف كرر ذكر الصلاة اولا وآخرا قلت هما ذكران مختلفان فليس
بتكرير وصفوا اولا بالخشوع في صلاتهم وآخرا بالمحافظة عليها وذلك ان لا يسهوا
عنها ويؤدوها في اوقاتها ويقيموا اركانها ويوكلوا نفوسهم بالاهتمام بها وبما
ينبغي ان تتم به اوصافها وايضا فقد وحدت اولا ليفاد الخشوع في جنس
الصلاة اي صلاة كانت وجمعت آخرا لتفاد المحافظة على اعدادها وهي الصلوات
الخمس والوتر والسنن المرتبة مع كل صلاة وصلاة الجمعة والعيدين والجنازة
والاستسقاء والكسوف والخسوف وصلاة الضحى والتهجد وصلاة التسبيح
وصلاة الحاجة وغيرها من النوافل اولئك اي الجامعون لهذه الاوصاف هم
الوارثون الاحقاء بان يسموا وراثا دون من عداهم ثم ترجم الوارثين بقوله الذين
يرثون الفردوس فجاء بفخامة وجزالة لارثهم لا تخفى على الناظر ومعنى الارث ما
مر في سورة مريم انث الفردوس على تأويل الجنة وهو البستان الواسع الجامع
لاصناف الثمر روي ان الله عز وجل بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب ولبنة من فضة
وجعل خلالها المسك الاذفر وفي رواية ولبنة من مسك مذرى وغرس فيها
من جيد الفاكهة وجيد الريحان السلالة الخلاصة لانها تسل من بين الكدر
وفعالة بناء للقلة كالقلامة والقمامة وعن الحسن ما بين ظهراني الطين فان
قلت ما الفرق بين من ومن قلت الاول للابتداء والثاني للبيان كقوله من الاوثان
فان قلت ما معنى قوله جعلنا الانسان نطفة قلت معناه انه خلق جوهر الانسان
اولا طينا ثم جعل جوهره بعد ذلك نطفة القرار المستقر والمراد الرحم وصفت
بالمكانة التي هي صفة المستقر فيها كقولك طريق سائر او لمكانتها في نفسها
لانها مكنت بحيث هي واحرزت وقرئ عظما فكسونا العظم وعظاما فكسونا
العظام وعظما فكسونا العظام وعظاما فكسونا العظم وضع الواحد مكان
الجمع لزوال اللبس لان الانسان ذو عظام كثيرة خلقا آخر اي خلقا مباينا للخلق
الاول مباينة ما ابعدها حيث جعله حيوانا وكان جمادا وناطقا وكان ابكم وسميعا
وكان اصم وبصيرا وكان اكمه واودع باطنه وظاهره بل كل عضو من اعضائه
وكل جزء من اجزائه عجائب فطرة وغرائب حكمة لا يدرك بوصف الواصف ولا يبلغ
بشرح الشارح وقد احتج به ابو حنيفة في من غصب بيضة فافرخت عنده قال
يضمن البيضة ولا يرد الفرخ لانه خلق آخر سوى البيضة فتبارك الله فتعالى امره
في قدرته وعلمه احسن الخالقين اي احسن المقدرين تقديرا فترك ذكر المميز
لدلالة الخالقين عليه ونحوه طرح المأذون فيه في قوله اذن للذين يقاتلون لدلالة
الصلة وروي عن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلعم لما بلغ قوله خلقا آخر

قال فتبارك الله احسن الخالقين وروي انه عبد الله بن سعد بن ابي سرح كان
يكتب لرسول الله صلعم فنطق بذلك قبل املائه فقال له رسول الله صلعم
اكتب هكذا نزلت فقال عبد الله ان كان محمد نبيا يوحى اليه فانا نبي يوحى الي فلحق
بمكة كافرا ثم اسلم يوم الفتح وقرأ ابن ابي عبلة وابن محيصن لمائتون و
الفرق بين الميت والمائت ان الميت كالحي صفة ثابتة واما المائت فيدل على
الحدوث تقول زيد مائت الآن ومائت غدا كقولك يموت ونحوهما ضيق
وضائق في قوله وضائق به صدرك جعل الاماتة التي هي اعدام الحياة
والبعث الذي هو اعادة ما يفنيه ويعدمه دليلين ايضا على اقتدار عظيم
بعد الانشاء والاختراع فان قلت فاذن لا حياة الا حياة الانشاء وحياة البعث
قلت ليس في ذكر الحياتين نفي الثالثة وهي حياة القبر كما لو ذكرت ثلثي ما
عندك وطويت ذكر ثلثه لم يكن دليلا على ان الثلث ليس عندك وايضا فالغرض
ذكر هذه الاجناس الثلاثة الانشاء والاماتة والاعادة والمطوي ذكرها من
جنس الاعادة الطرائق السموات لانه طورق بعضها فوق بعض كمطارقة
النعل وكل شيء فوقه مثله فهو طريقة او لانها طرق الملائكة ومتقلباتهم
وقيل الافلاك لانها طرائق الكواكب فيها مسيرها اراد بالخلق السموات
كانه قال خلقناها فوقهم وما كنا عنها غافلين وعن حفظها وامسا
كها ان تقع فوقهم بقدرتنا او اراد به الناس وانه انما خلقها فوقهم ليفتح عليهم
الارزاق والبركات منها وينفعهم بانواع منافعها وما كان غافلا عنهم وما
يصلحهم بقدر بتقدير يسلمون معه من المضرة ويصلون الى المنفعة او بمقدار ما
علمنا من حاجاتهم ومصالحهم فاسكناه في الارض كقوله فسلكه ينابيع في الارض
وقيل جعلناه ثابتا في الارض وقيل انها خمسة انهار سيحون نهر الهند وجيحون
نهر بلخ ودجلة والفرات نهرا العراق والنيل نهر مصر انزلها الله من عين واحدة
من عيون الجنة فاستودعها الجبال واجراها في الارض وجعل فيها منافع للناس
في اصناف معايشهم وكما قدر على انزاله فهو قادر على رفعه وازالته وقوله على
ذهاب به من اوقع النكرات واحزها للمفصل والمعنى على وجه من وجوه الذهاب
به وطريق من طرقه وفيه ايذان باقتدار المذهب وانه لا يتعايا عليه شيء اذا اراده
وهو ابلغ في الايعاد من قوله قل ارأيتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين
فعلى العباد ان يستعظموا النعمة في الماء ويقيدوها بالشكر الدائم ويخافوا نفارها
اذا لم تشكر خص هذه الانواع الثلاثة لانها اكرم الشجر وافضلها واجمعها للمنافع
ووصف النخل والعنب بان ثمرهما جامع بين امرين انه فاكهة يتفكه بها وطعام
يؤكل رطبا ويابسا رطبا وعنبا وتمرا وزبيبا والزيتون بان دهنه صالح للاستصباح
والاصطباغ جميعا ويجوز ان يكون قوله ومنها تأكلون من قولهم فلان يأكل
من حرفة يحترفها ومن صنعة يغتلها ومن تجارة يتربح بها يعنون انها طعمته و
جهته التي منها يحصل رزقه كانه قال وهذه الجنات وجوه ارزاقكم ومعايشكم منها
ترتزقون وتتعيشون وشجرة عطف على جنات وقرئت مرفوعة على الابتداء اي
ومما انشئ لكم شجرة طور سيناء وطور سينين لا يخلو اما ان يضاف فيه الطور الى بقعة

اسمها سيناء وسينون واما ان يكون اسما للجبل مركبا من مضاف ومضاف اليه
كامرئ القيس وكبعلبك في من اضاف ومن كسر سين سيناء فقد منع الصرف
للتعريف والعجمة او التانيث لانها بقعة وفعلاء لا يكون الفه للتانيث كعلباء وحرباء
ومن فتح لم يصرفه لان الالف للتانيث كصحراء وقيل هو جبل فلسطين وقيل بين مصر
وايلة ومنه نودي موسى عليه السلام وقرا الاعمش سينا تنبت بالدهن في موضع الحال اي تنبت
وفيها الدهن وقرئ تُنبِت وفيه وجهان احدهما ان انبت بمعنى نبت وانشد
لزهير * رايت ذوي الحاجات حول بيوتهم * قطينا لهم حتى اذا انبت البقل * والثاني
ان مفعوله محذوف اي تنبت زيتونها وفيها الزيت وقرئ تنبت بضم التاء وفتح
الباء وحكمه حكم تنبت وقرا ابن مسعود تخرج الدهن وصبغ الآكلين وعن غيره تخرج
بالدهن وفي حرف ابي تثمر بالدهن وعن بعضهم تنبت بالدهان وقرا الاعمش وصبغا
وقرئ وصباغ ونحوهما دبغ ودباغ والصبغ الغمس للايتدام وقيل هي اول شجرة
نبتت بعد الطوفان ووصفها الله تعالى بالبركة في قوله يوقد من شجرة مباركة وقرئ
تَسقيكم بتاء مفتوحة اي تسقيكم الانعام ومنها تاكلون اي تتعلق بها منافع
من الركوب والحمل وغير ذلك كما تتعلق بما لا يوكل لحمه من البغال والحمير والخيل
وفيها منفعة زائدة وهي الاكل الذي هو انتفاع بذواتها والقصد بالانعام الى
الابل لانها هي المحمول عليها في العادة وقرنها بالفلك التي هي السفائن لانها
سفائن البر قال ذو الرمة * سفينة بر تحت خدي زمامها * يريد صيدحه
غيره بالرفع على المحل وبالجر على اللفظ والجملة استيناف تجري مجرى
التعليل للامر بالعبادة افلا تتقون افلا تخافون ان يرفضوا عبادة الله الذي
هو ربكم وخالقكم ورازقكم وشكر نعمته التي لا تحصونها واجب عليكم ان تذهبوا
فتعبدوا غيره مما ليس من استحقاق العبادة في شيء ان يتفضل عليكم ان يطلب
الفضل عليكم ويسودكم كقوله تعالى ويكون لكما الكبرياء في الارض بهذا اشارة
الى نوح عليه السلام او الى ما كلمهم به من الحث على عبادة الله تعالى اي ما سمعنا بمثل هذا الكلام
او بمثل هذا الذي يدعي وهو بشر انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وما اعجب شان الضلال
لم يرضوا للنبوة ببشر وقد رضوا للالهية بحجر وقولهم ما سمعنا بهذا يدل على انهم
وآباءهم كانوا في فترة متطاولة او تكذبوا في ذلك لانهماكهم في الغي وتشمرهم
لان يدفعوا الحق بما امكنهم وبما عن لهم من غير تمييز منهم بين صدق وكذب
الا تراهم كيف جننوه وقد علموا انه ارجح الناس عقلا واوزنهم قولا والجنة
الجنون او الجن اي به جن يخبلونه حتى حين اي احتملوه واصبروا عليه الى
زمان حتى ينجلي امره عن عاقبة فان افاق من جنونه والا قتلتموه رب انصرني
باهلاكهم فكانه قال اهلكهم بسبب تكذيبهم اياي او انصرني بدل ما كذبوني
كما تقول هذا بذاك اي بدل ذاك ومكانه والمعنى ابدلني من غم تكذيبهم سلوة
النصرة عليهم او انصرني بانجاز ما وعدتهم من العذاب وهو ما كذبوه فيه
حين قال لهم اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم باعيننا بحفظنا وكلائتنا كان معه
من الله حفاظا يكلؤونه بعيونهم لئلا يتعرض له ولا يفسد عليه مفسد عمله ومنه
قولهم عليه من الله عين كالئة ووحينا اي امرنا كيف تصنع وتعليمنا روي

انه اوحي اليه ان يصنعها على مثال جؤجؤ الطائر وروي انه قيل لنوح اذا رايت الماء
يفور من التنور فاركب انت ومن معك في السفينة فلما نبع الماء من التنور اخبرته
امراته فركب وقيل كان تنور آدم وكان من حجارة فصار الى نوح عليه السلام واختلف في مكانه
فعن الشعبي في مسجد الكوفة عن يمين الداخل مما يلي باب كندة وكان نوح عمل السفينة
وسط المسجد وقيل بالشام بموضع يقال له عين وردة وقيل بالهند وعن ابن
عباس التنور وجه الارض وعن قتادة اشرف موضع في الارض اي اعلاه وعن
علي رضي الله عنه فار التنور طلع الفجر وقيل معناه ان فوران التنور كان عند تنوير
الفجر وقيل هو مثل كقولهم حمي الوطيس والقول هو الاول فاسلك فيها فادخل فيها
يقال سلك فيه وسلكه غيره قال * حتى اذا سلكوهم في قتائده * من كل زوجين من كل
امتي زوجين وهما امة الذكر وامة الانثى كالجمال والنوق والحصن والرماك اثنين
واحدين مزدوجين كالجمل والناقة والحصان والرمكة روي انه لم يحمل الا ما
يلد ويبيض وقرئ من كلٍ بالتنوين اي من كل امة زوجين واثنين تاكيد و
زيادة بيان جيء بعلى مع سبق الضار كما جيء باللام مع سبق النافع قال الله تعالى
ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ونحوه قوله
تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وقول عمر رضي الله عنه ليتها كانت كفافا
لا علي ولا لي فان قلت لم نهاه عن الدعاء لهم بالنجاة قلت لما يتضمنه الآية من
كونهم ظالمين وايجاب الحكمة ان يغرقوا لا محالة لما عرف من المصلحة في اغراقهم
والمفسدة في استبقائهم وبعد ان املي لهم الدهر المتطاول فلم يزيدوا الا
ضلالا ولزمتهم الحجة البالغة لم يبق الا ان يجعلوا عبرة للمعتبرين ولقد بالغ في
ذلك حيث اتبع النهي عنه الامر بالحمد على هلاكهم والنجاة منهم كقوله عز وعلا
فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ثم امره ان يدعوه بدعاء هو
اهم وانفع له وهو طلب ان ينزله في السفينة او في الارض عند خروجه منها
منزلا يبارك له فيه ويعطيه الزيادة في خير الدارين وان يشفع الدعاء بالثناء
عليه المطابق لمسالته وهو قوله وانت خير المنزلين فان قلت هلا قيل
فقولوا لقوله فاذا استويت انت ومن معك لانه في معنى فاذا استويتم قلت
لانه نبيهم وامامهم فكان قوله قولهم مع ما فيه من الاشعار بفضل النبوة
واظهار كبرياء الربوبية وان رتبة تلك المخاطبة لا يترقى اليها الا ملك او نبي
وقرئ منزلا بمعنى انزالا او موضع انزال كقوله ليدخلنهم مدخلا يرضونه
ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بين النافية وبينها والمعنى وان
الشان والقصة كنا مبتلين اي مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد
او مختبرين بهذه الآيات عبادنا لننظر من يعتبر ويذكر كقوله ولقد تركناها
آية فهل من مدكر قرنا آخرين هم عاد قوم هود عن ابن عباس ويشهد
له حكاية الله تعالى قول هود واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ومجيء قصة
هود على اثر قصة نوح في سورة الاعراف وسورة هود والشعراء فارسلنا فيهم
حق ارسل ان يعدى بالى كاخواته التي هي وجه وانفذ وبعث فما باله عدي في

القرآن بالى تارة وبفي أخرى كقوله كذلك أرسلناك في أمة وما أرسلنا في قرية
من نذير فأرسلنا فيهم رسولاً أي في عاد وفي موضع آخر وإلى عاد أخاهم هوداً
قلت لم يعد بفي كما عدي بإلى ولم يجعل صلة مثله ولكن الأمة أو
القرية جعلت موضعاً للإرسال كما قال رؤبة أرسلت فيها مصعباً
ذا إقحام وقد جاء بعث على ذلك في قوله ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيراً
أن مفسرة لأرسلنا أي قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله فإن قلت
ذكر مقال قوم هود في جوابه في سورة الأعراف وسورة هود بغير واو
قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة قالوا يا هود ما جئتنا
ببينة وههنا مع الواو فأي فرق بينهما قلت الذي بغير واو على
تقدير سؤال سائل قال فما قال قومه فقيل له قالوا كيت وكيت وأما الذي
مع الواو فعطف لما قالوه على ما قاله ومعناه أنه اجتمع في الحصول هذا
الحق وهذا الباطل وشتان ما هما بلقاء الآخرة بلقاء ما فيها من الحساب
والثواب والعقاب كقولك يا حبذا جوار مكة أي جوار الله في مكة حذف
الضمير والمعنى من مشروبكم أو حذف منه لدلالة ما قبله عليه إذن واقع في
جزاء الشرط وجواب للذين قاولوهم من قومهم أي تخسرون عقولكم وتغبنون
في آرائكم ثنى أنكم للتوكيد وحسن ذلك لفصل ما بين الأول والثاني بالظرف
ومخرجون خبر عن الأول أو جعل أنكم مخرجون مبتدأ وإذا متم خبراً
على معنى إخراجكم إذا متم ثم أخبر بالجملة عن أنكم أو رفع أنكم مخرجون بفعل
هو جزاء الشرط كأنه قيل إذا متم وقع إخراجكم ثم أوقعت الجملة الشرطية
خبراً عن أنكم وفي قراءة ابن مسعود أيعدكم إذا متم وقرئ هيهات بالفتح
والكسر والضم كلها بتنوين وبلا تنوين وبالسكون على لفظ الوقف فإن
قلت ما توعدون هو المستبعد ومن حقه أن يرتفع بهيهات كما
ارتفع في قوله فهيهات هيهات العقيق وأهله فما هذه اللام قلت
قال الزجاج في تفسيره البعد لما توعدون أو بعد لما توعدون فيمن نون
فنزله منزلة المصدر وفيه وجه آخر وهو أن تكون اللام لبيان المستبعد
ما هو بعد التصويت بكلمة الاستبعاد كما جاءت اللام في هيت لك لبيان
المهيت به هي هذا ضمير لا يعلم ما يعنى به إلا بما يتلوه من بيانه وأصله إن
الحياة إلا حياتنا الدنيا ثم وضع هي موضع الحياة لأن الخبر يدل عليها ويبينها
ومنه هي النفس تحمل ما حملت وهي العرب تقول ما شاءت والمعنى لا حياة إلا
هذه الحياة لأن إن النافية دخلت على هي التي في معنى الحياة الدالة على الجنس فنفتها
فوازنت لا التي نفت ما بعدها نفي الجنس نموت ونحيا أي يموت بعض ويولد
بعض ينقرض قرن ويأتي قرن آخر ثم قالوا ما هو إلا مفتر على الله فيما
يدعيه من استنبائه له وفيما يعدنا من البعث وما نحن بمصدقين قليل
صفة للزمان كقديم وحديث في قولك ما رأيته قديماً ولا حديثاً وفي معناه عن

سفها

قريب

قريب وما توكيد لمعنى قلة المدة وقصرها الصيحة صيحة جبريل عم صاح عليهم
فدمرهم بالحق بالوجوب لأنهم قد استوجبوا الهلاك أو بالعدل من الله
من قولك فلان يقضي بالحق إذا كان عادلاً في قضاياه شبههم في دمارهم
بالغثاء وهو حميل السيل مما بلي واسود من الورق والعيدان ومنه قوله فجعله
غثاء أحوى وقد جاء مشدداً في قول امرئ القيس من السيل والغثاء
فلكة مغزل بعداً وسحقاً ودفراً ونحوها مصادر موضوعة مواضع
أفعالها وهي من جملة المصادر التي قال سيبويه نصبت بأفعال لا يستعمل
إظهارها ومعنى بعداً بعدوا أي هلكوا يقال بعد بعداً وبعداً نحو رشد
رشداً ورشداً للقوم الظالمين بيان لمن دعي عليه بالبعد نحو هيت لك
ولما توعدون قروناً قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم وعن ابن عباس
بني إسرائيل أجلها الوقت الذي حد لهلاكها وكتب تترى فعلى الألف
للتأنيث لأن الرسل جماعة وقرئ تترى بالتنوين والتاء بدل من الواو
كما في تولج ويتقوا أي متواترين واحداً بعد واحد من الوتر وهو
الفرد أضاف الرسل إليه وإلى أممهم ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ولقد
جاءهم رسلهم بالبينات لأن الإضافة تكون بالملابسة والرسول ملابس
المرسل والمرسل إليه جميعاً فأتبعنا الأمم والقرون بعضهم بعضاً في
الإهلاك وجعلناهم أخباراً يسمر بها ويتعجب منها والأحاديث تكون
اسم جمع للحديث ومنه أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وتكون جمعاً للأحدوثة
التي هي مثل الأضحوكة والألعوبة والأعجوبة وهي ما يتحدث به الناس
تلهياً وتعجباً وهو المراد ههنا فإن قلت ما المراد بالسلطان المبين
قلت يجوز أن يراد العصا لأنها كانت أم آيات موسى عليه السلام وأولاها
وقد تعلقت بها معجزات شتى من انقلابها حية وتلقفها ما أفكته السحرة
وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربهما بها وكونها حارساً و
شمعة وشجرة خضراء مثمرة ودلواً ورشاء فجعلت كأنها ليست بعضها لما
استبدت به من الفضل فلذلك عطفت عليها كقوله وجبريل وميكال و
يجوز أن يراد الآيات أنفسها أي هي آيات وحجة بينة عالين متكبرين
إن فرعون علا في الأرض لا يريدون علواً في الأرض أو متطاولين على
الناس قاهرين بالبغي والظلم البشر يكون واحداً أو جمعاً بشراً سوياً
لبشرين فإما ترين من البشر ومثل وغير يوصف بهما الاثنان والجمع و
المذكر والمؤنث إنكم إذاً مثلهم ومن الأرض مثلهن ويقال أيضاً هما مثلاه
وهم أمثاله إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم وقومهما يعني
بني إسرائيل كأنهم يعبدوننا خضوعاً وتذللاً أو لأنه كان يدعي الإلهية
فادعى للناس العبادة وأن طاعتهم له عبادة على الحقيقة موسى الكتاب
أي قوم موسى التوراة لعلهم يعملون بشرائعها ومواعظها كما قال
على خوف من فرعون وملئهم يريد آل فرعون وكما يقولون هاشم وثقيف

وقومهم ويراد قومهم ولا يجوز ان يرجع الضمير في لعلهم الى فرعون وملائه لان التورية انما اوتيها بنو اسرائيل بعد اغراق فرعون وملائه ولقد اتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى فان قلت لو قيل ايتين هل كان يكون له وجه قلت نعم لان مريم ولدت من غير مسيس وعيسى روح من الله القي اليها وقد تكلم في المهد وكان يحيي الموتى مع معجزات اخر فكان اية من غير وجه واللفظ محتمل للتثنية على تقدير وجعلنا ابن مريم اية وامه اية فحذفت الاولى لدلالة الثانية عليها الربوة والرباوة في رائها الحركات وقرئ ربوة ورباوة بالضم ورباوة بالكسر وهي الارض المرتفعة قيل هي ايليا ارض بيت المقدس وانها كبد الارض واقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا عن كعب وقيل دمشق وغوطتها وعن الحسن فلسطين والرملة وعن ابي هريرة الزموا هذه الرملة رملة فلسطين فانها الربوة التي ذكرها الله تعالى وقيل مصر والقرار المستقر من ارض مستوية منبسطة وعن قتادة ذات ثمار وماء يعني انه لاجل الثمار يستقر فيها ساكنوها والمعين الماء الظاهر الجاري على وجه الارض وقد اختلف في زيادة ميمه واصالته فوجه من جعله مفعولا انه مدرك بالعين لظهوره من عانه اذا ادركه بعينه كقولك ركبه اذا ضربه بركبته ووجه من جعله فعيلا انه نفاع لظهوره وجريه من الماعون وهو المنفعة هذا النداء والخطاب ليسا على ظاهرهما كيف والرسل انما ارسلوا متفرقين في ازمنة مختلفة وانما المعنى الاعلام بان كل رسول في زمانه نودي لذلك ووصي به ليعتقد السامع ان امرا نودي له جميع الرسل ووصوا به حقيق ان يؤخذ به ويعمل عليه والمراد بالطيبات ما حل وطاب وقيل طيبات الرزق حلال وصاف وقوام فالحلال الذي لا يعصى الله فيه والصافي الذي لا ينسى الله فيه والقوام ما يمسك النفس ويحفظ العقل او اريد ما يستطاب ويستلذ من الماكل والفواكه ويشهد له مجيئه على عقب قوله واويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين ويجوز ان يقع هذا الاعلام عند ايواء عيسى ومريم الى الربوة فذكر على سبيل الحكاية اي اويناهما وقلنا لهما هذا اي اعلمناهما ان الرسل كلهم خوطبوا بهذا فكلا مما رزقناكما واعملا صالحا اقتداء بالرسل قرئ وان بالكسر على الاستئناف وان بمعنى ولان وان مخففة من المثقلة وامتكم مرفوعة معها وقرئ زبرا اي كتبا مختلفة يعني جعلوا دينهم اديانا او زبرا قطعا استعيرت من زبر الفضة والحديد وزبرا مخففة الباء كرسل في رسل اي كل فرقة من فرق هؤلاء المختلفين المتقطعين دينهم فرحون باطله مطمئن النفس معتقد انه على الحق غمرتهم الماء الذي يغمر القامة فضربت مثلا لما هم مغمورون فيه من جهلهم وعمايتهم او شبهوا باللاعبين في غمرة الماء لما هم عليه من الباطل قال كأنني ضارب في غمرة لعب وعن علي رضي الله عنه في غمرتهم

الرسل كلهم

حتى حين الى ان يقتلوا او يموتوا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ونهي عن الاستعجال بعذابهم والجزع من تاخيره وقرئ يمدهم ويسارع ويسرع بالياء والفاعل الله سبحانه ويجوز في يسارع ويسرع ان يتضمن ضمير الممد به ويسارع مبنيا للمفعول والمعنى ان هذا الامداد ليس الا استدراجا لهم الى المعاصي واستجرارا الى زيادة الاثم وهم يحسبونه مسارعة لهم في الخيرات وفيما لهم فيه نفع واكرام ومعاجلة بالثواب قبل وقته ويجوز ان يراد في جزاء الخيرات كما يفعل باهل الخير من المسلمين وبل استدراك لقوله ايحسبون يعني بل هم اشباه البهائم لا فطنة لهم ولا شعور حتى يتاملوا ويتفكروا في ذلك اهو استدراج ام مسارعة في الخير فان قلت اين الراجع من خبر ان الى اسمها اذا لم يستكن فيه ضمير قلت هو محذوف تقديره نسارع به ويسارع به ويسارع الله به كقوله ان ذلك لمن عزم الامور اي ان ذلك منه وذلك لاستطالة الكلام مع امن الالتباس يؤتون ما اتوا يعطون ما اعطوا وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة رضي الله عنها ياتون ما اتوا اي يفعلون ما فعلوا وعنها انها قالت قلت يا رسول الله هو الذي يزني ويسرق ويشرب الخمر وهو على ذلك يخاف الله قال لا يا بنت الصديق ولكن هو الذي يصلي ويصوم ويتصدق وهو على ذلك يخاف الله ان لا يقبل منه يسارعون في الخيرات يحتمل معنيين احدهما ان يراد يرغبون في الطاعات اشد الرغبة فيبادرونها والثاني انهم يتعجلون في الدنيا المنافع ووجوه الاكرام كما قال تعالى فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة واتيناه اجره في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين لانهم اذا سورع بها لهم فقد سارعوا في نيلها وتعجلوها وهذا الوجه احسن طباقا للاية المتقدمة لان فيه اثبات ما نفي عن الكفار للمؤمنين وقرئ يسرعون في الخيرات لها سابقون اي فاعلون السبق لاجلها او سابقون الناس لاجلها او اياها سابقون اي ينالونها قبل الاخرة حيث عجلت لهم في الدنيا ويجوز ان يكون لها سابقون خبرا بعد خبر ومعنى وهم لها كمعنى قوله انت لها احمد من بين البشر يعني ان هذا الذي وصف به الصالحين غير خارج من حد الوسع والطاقة وكذلك كل ما كلفه عباده وما عملوه من الاعمال فغير ضائع عنده بل هو مثبت لديه في كتاب يريد اللوح او صحيفة الاعمال ينطق بالحق لا يقرؤون منه يوم القيامة الا ما هو صدق وعدل لا زيادة فيه ولا نقصان ولا يظلم منهم احد او اراد ان الله لا يكلف الا الوسع فان لم يبلغ المكلف ان يكون على صفة هؤلاء السابقين بعد ان يستفرغ وسعه ويبذل طاقته فلا عليه ولدينا كتاب فيه عمل السابق والمقتصد ولا نظلم احدا منهم من حقه ولا نحطه دون درجته بل قلوبهم قلوب الكفرة في غمرة غافلة غامرة لها من هذا اي مما عليه هؤلاء الموصوفون من المؤمنين ولهم اعمال متجاوزة متخطية لذلك اي لما وصف به المؤمنون هم لها معتادون وبها ضارون لا يفطمون عنها حتى ياخذهم الله بالعذاب وحتى هذه هي التي يبتدأ بعدها الكلام والكلام

الجمله الشرطيه والعذاب قتلهم يوم بدر او الجوع حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اللهم اشدد وطاتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فا
بتلاهم الله تعالى بالقحط حتى اكلوا الجيف والكلاب والعظام المحرقه والقد
والاولاد الجؤار الصراخ باستغاثه قال جار ساعات النيام لربه
اى يقال لهم حينئذ لا تجاروا فان الجؤار غير نافع لكم منا لا تنصرون
لا تغاثون ولا تمنعون منا او من جهتنا لا يلحقكم نصر ومعونه قالوا
الضمير في به للبيت العتيق او للحرم كانوا يقولون لا يظهر علينا احد
لانا اهل الحرم والذي سوغ هذا الاضمار شهرتهم بالاستكبار بالبيت
وانه لم يكن لهم مفخر الا انهم ولاته والقائمون به ويجوز ان يرجع الى
اياتي الا انه ذكر لانها في معنى كتابي ومعنى استكبارهم بالقران تكذيبهم
به استكبارا ضمن مستكبرين معنى مكذبين فعدي تعديته او يحدث لكم
استماعه استكبارا وعتوا فانتم مستكبرون بسببه او تتعلق الباء بسامرا
اى تسمرون بذكر القران وبالطعن فيه وكانوا يجتمعون حول البيت
بالليل وكانت عامه سمرهم ذكر القران وتسميته سحرا وشعرا وسب
رسول الله صلى الله عليه وسلم او بتهجرون والسامر نحو الحاضر في الاطلاق على
الجمع وقرى سمرا وسمارا او تهجرون وتهجرون من اهجر في منطقه اذا
افحش والهجر بالضم الفحش ومن هجر الذي هو مبالغه في هجر اذا هذى
والهجر بالفتح الهذيان القول القران يقول افلم يتدبروه ليعلموا انه
الحق المبين فيصدقوا به وبمن جاء به بل اجاءهم ما لم يات اباءهم فلذلك
انكروه واستبدعوه كقوله لتنذر قوما ما انذر اباؤهم فهم غافلون او
ليخافوا عند تدبر اياته واقاصيصه مثل ما نزل بمن قبلهم من المكذبين
ام جاءهم من الامن ما لم يات اباءهم حين خافوا الله فامنوا به وبكتبه
ورسله واطاعوه واباؤهم اسمعيل عليه السلام واعقابه من عدنان وقحطان
وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا مضر ولا ربيعه فانهما كانا مسلمين ولا تسبوا
قسا فانه كان مسلما ولا تسبوا الحرث بن كعب ولا اسد بن خزيمه ولا تميم بن
مر فانهم كانوا على الاسلام وما شككتم فيه من شي فلا تشكوا في ان تبعا
كان مسلما وروى ان ضبه كان مسلما وكان على شرطه سليمن بن داود عليه السلام
ام لم يعرفوا محمدا صلى الله عليه وسلم وصحه نسبه وحلوله في سطه هاشم وامانته
وصدقه وشهامته وعقله واتسامه بانه خير فتيان قريش والخطبه
التي خطبها ابو طالب في نكاح خديجه بنت خويلد كفى برغائها مناديا والجنه
الجنون وكانوا يعلمون انه بري منها وانه ارجحهم عقلا واثقبهم ذهنا ولكنه
جاءهم بما خالف شهواتهم واهواءهم ولم يوافق ما نشاوا عليه وسيط
بلحومهم ودماءهم من اتباع الباطل ولم يجدوا له مردا ولا مدفعا لانه الحق
الابلج والصراط المستقيم فاخلدوا الى البهت وعولوا على الكذب من النسبه

خالف شهواتهم واهواءهم

الى الجنون

الى الجنون والسحر والشعر وان قلت قوله واكثرهم فيه ان اقلهم كانوا
لا يكرهون الحق قلت كان فيهم من يترك الايمان به انفه واستنكافا من
توبيخ قومه وان يقولوا صبا وترك دين ابائه لا كراهه للحق كما يحكى عن
ابي طالب فان قلت يزعم بعض الناس ان ابا طالب صح اسلامه قلت يا
سبحان الله كان ابو طالب كان اخمل اعمام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يشتهر
اسلام حمزه والعباس ويخفى اسلام ابي طالب دل بهذا على عظم شان الحق وان
السموات والارض ما قامت ولا من فيهن الا به فلو اتبع اهواءهم
لانقلب باطلا ولذهب ما يقوم به العالم فلا يبقى له بعده قوام او اراد ان
الحق الذي جاء به محمد وهو الاسلام لو اتبع اهواءهم وانقلب شركا لجاء الله
بالقيامه ولاهلك العالم ولم يؤخر وعن قتاده ان الحق هو الله تعالى ومعناه ولو
كان الله الها يتبع اهواءهم ويامر بالشرك والمعاصي لما كان الها ولكان
شيطانا ولما قدر على ان يمسك السموات والارض بذكرهم اى بالكتاب الذي
هو ذكرهم اى وعظهم او وصيتهم وفخرهم او بالذكر الذي كانوا يتمنونه ويقولو
لو ان عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين وقرى بذكراهم
وقرى خرجا فخراج وخرجا فخرج وخرجا فخراج وهو ما تخرجه الى الامام
من زكاه ارضك والى كل عامل من اجرته وجعله وقيل الخرج ما تبرعت به
والخراج ما لزمك اداؤه والوجه ان الخرج اخص من الخراج كقولك خراج
القريه وخرج الكرده زياده اللفظ لزياده المعنى ولذلك حسنت قراه من قرا
خرجا فخراج ربك يعني ام تسالهم على هدايتك لهم قليلا من عطا الخلق
فالكثير من عطا الخالق خير الزمهم الحجه في هذه الايات وقطع معاذيرهم
وعللهم بان الذي ارسل اليهم رجل معروف امره وحاله مخبور سره وعلنه خليق
بان يجتبى مثله للرساله من بين ظهرانيهم وانه لم يعرض له حتى يدعي مثل
هذه الدعوى العظيمه بباطل ولم يجعل ذلك سلما الى النيل من دنياهم و
استعطا اموالهم ولم يدعهم الا الى دين الاسلام الذي هو الصراط المستقيم
مع ابراز المكنون من ادوائهم وهو اخلالهم بالتدبر والتامل واستهتارهم
بدين الاباء الضلال من غير برهان وتعللهم بانه مجنون بعد ظهور الحق
وثبات التصديق من الله بالمعجزات والايات النيره وكراهتهم للحق
واعراضهم عما فيه حظهم من الذكر يحتمل ان هؤلاء وصفتهم انهم لا يؤمنون
بالاخره لناكبون اى عادلون عن هذا الصراط المذكور وهو قوله الى
صراط مستقيم وان كل من لا يؤمن بالاخره فهو عن القصد ناكب لما اسلم ثمامه
ابن اثال الحنفي ولحق باليمامه ومنع الميره من اهل مكه واخذهم الله بالسنين
حتى اكلوا العلهز جاء ابو سفين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انشدك الله
والرحم الست تزعم انك بعثت رحمه للعالمين فقال بلى فقال قتلت الاباء بالسيف
والابناء بالجوع والمعنى لو كشف الله عنهم هذا الضر وهو الهزال والقحط
الذي اصابهم برحمته عليهم ووجدوا الخصب لارتدوا الى ما كانوا عليه من

الاستكبار وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين والافراط فيها ولقد
اخذناهم هذا الابلاس وهذا التملق ينسبونه ويسرحونه واستشهد على ذلك
بانا اخذناهم اولا بالسيوف وبما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم
واسرهم فما وجدت منهم بعد ذلك استكانة ولا تضرع حتى فتحنا عليهم
باب الجوع الذي هو اشد من الاسر والقتل وهو اطم العذاب فابلسوا الساعة
وخضعت رقابهم وجا اعتاهم واشدهم شكيمة في العناد يستعطفك او
محناهم بكل محنة من القتل والجوع فما رئي فيهم لين مقادة وهم كذلك
حتى اذا عذبوا بنار جهنم فحينئذ يبلسون كقوله ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون لا
يفتر عنهم وهم فيه مبلسون والابلاس الياس من كل خير وقيل السكوت
مع التحير فان قلت ما وزن استكان قلت استفعل من الكون اي انتقل
من كون الى كون كما قيل استحال اذا انتقل من حال الى حال ويجوز ان يكون
افتعل من السكون اشبعت فتحة عينه كما جا بمنتزاح فان قلت هلا
قيل وما تضرعوا او فما يتضرعون قلت لان المعنى محناهم فما وجدت منهم
عقيب المحنة استكانة وما من عادة هولا ان يستكينوا ويتضرعوا حتى يفتح
عليهم باب العذاب الشديد وقرى فتحنا انما خص السمع والابصار والا
فئدة لانه يتعلق بها من المنافع الدينية والدنياوية ما لا يتعلق بغيرها ومقدمة
منافعها ان يعملوا اسماعهم وابصارهم في ايات الله وافعاله ثم ينظروا
ويستدلوا بقلوبهم ومن لم يعملها فيما خلقت له فهو كعادمها كما قال عز وجل
فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شي اذ كانوا يجحدون بايات
الله ومقدمة شكر النعمة فيها الاقرار بالمنعم بها وان لا يجعل له ند ولا
شريك اي تشكرون شكرا قليلا وما مزيدة للتاكيد بمعنى حقا ذراكم
خلقكم وبثكم بالتناسل واليه تحشرون يوم القيمة بعد تفرقكم وله
اختلاف الليل والنهار اي هو مختص به وهو متوليه ولا يقدر على
تصريفهما غيره وقرى يعقلون بالياء عن ابي عمرو اي قال اهل مكة كما
قال الكفار قبلهم الاساطير جمع اسطار جمع سطر قال روبة اني
واسطار سطرن سطرا وهي ما كتبه الاولون مما لا حقيقة له وجمع
اسطورة اوفق اي اجيبوني عما استعلمتكم منه ان كان عندكم فيه
علم وفيه استهانة بهم وتجويز لفرط جهالتهم بالديانات ان يجهلوا
مثل هذا الظاهر البين وقرى تذكرون بحذف التا الثانية ومعناه
افلا تذكرون فتعلموا ان من فطر الارض ومن فيها اختراعا كان قادرا
على اعادة الخلق وكان حقيقا بان لا يشرك به بعض خلقه في الربوبية
قرى الاول باللام لا غير والاخران باللام وهو هكذا في مصاحف اهل
الحرمين والكوفة والشام وبغير اللام وهو هكذا في مصاحف اهل البصرة
فباللام على المعنى لان قولك من ربه ولمن هو في معنى واحد وبغير اللام على
اللفظ ونحوه قوله الاول بغير لام ولكنها لم تثبت في الرواية افلا تتقون

افلا تخافونه فلا تشركوا به وتعصوا رسله اجرت فلانا على فلان اذا اغثته
منه ومنعته يعني وهو يغيث من يشا ممن يشا ولا يغيث احد منه احدا
تسحرون تخدعون عن توحيده وطاعته والخادع هو الشيطان والهوى وقرى
اتيتهم واتيناهم بالفتح والضم بالحق بان نسبة الولد اليه محال والشرك باطل
وانهم لكاذبون حيث يدعون له ولدا ومعه شريكا لذهب كل اله بما خلق
لانفرد كل واحد من الالهة بخلقه الذي خلقه واستبد به ولرايتم ملك كل
واحد منهم متميزا عن ملك الاخرين ولغلب بعضهم بعضا كما ترون حال
ملوك الدنيا ممالكهم متمايزة وهم متغالبون وحين لم تروا اثرا لتمايز الممالك
وللتغالب فاعلموا انه اله واحد بيده ملكوت كل شي فان قلت اذن لا تدخل
الا على كلام هو جزا وجواب فكيف وقع قوله لذهب جزا وجوابا ولم يتقدمه
شرط ولا سوال سايل قلت الشرط محذوف تقديره ولو كان معه الهة وانما
حذف لدلالة قوله وما كان معه من اله عليه وهو جواب لمن معه المحاجة من
المشركين عما يصفون من الانداد والاولاد عالم الغيب بالجر صفة لله و
بالرفع خبر مبتدا محذوف ما والنون موكدتان اي ان كان لا بد من ان تريني
ما تعدهم من العذاب في الدنيا او في الاخرة فلا تجعلني قرينا لهم ولا تعذبني
بعذابهم عن الحسن اخبره الله ان له في امته نقمة ولم يخبره افي حياته
ام بعد موته فامره ان يدعو بهذا الدعا فان قلت كيف يجوز ان يجعل
الله نبيه المعصوم مع الظالمين حتى يطلب ان لا يجعله معهم قلت يجوز ان
يسال العبد ربه ما علم انه يفعله وان يستعيذ به مما علم انه لا يفعله اظهارا
للعبودية وتواضعا لربه واخباتا له واستغفاره صلى الله عليه وسلم اذا قام من
مجلسه سبعين مرة او مائة مرة لذلك وما احسن قول الحسن في قول ابي بكر رضي الله عنه
وليتكم ولست بخيركم كان يعلم انه خيرهم ولكن المومن يهضم نفسه وقرى
اما ترينهم بالهمز مكان تريني كما قرى فاما ترين ولترون الجحيم وهي ضعيفة
وقوله رب مرتين قبل الشرط وقبل الجزا حث على فضل تضرع وجوار كانوا
ينكرون الموعد بالعذاب ويضحكون منه واستعجالهم له لذلك فقيل لهم
ان الله قادر على انجاز ما وعد ان تاملتم فما وجه هذا الانكار هو ابلغ من ان
يقال بالحسنة السيئة لما فيه من التفضيل كانه قال ادفع بالحسنى السيئة و
المعنى الصفح عن اسااتهم ومقابلتها بما امكن من الاحسان حتى اذا اجتمع الصفح
والاحسان وبذل الاستطاعة فيه كانت حسنة مضاعفة بازا سيئة وهذه
قضية قوله بالتي هي احسن وعن ابن عباس هي شهادة ان لا اله الا الله والسيئة
الشرك وعن مجاهد السلام يسلم عليه اذا لقيه وعن الحسن الاغضا والصفح
وقيل هي منسوخة باية السيف وقيل محكمة لان المداراة محثوث عليها ما لم
تود الى ثلم دين وازرا بمروة بما يصفون بما يذكرونه من احوالك بخلاف
صفتها او بوصفهم لك وسو ذكرهم والله اعلم بذلك منك واقدر على جزايهم

طس

همزات الشياطين والهمزات جمع المرة منه ومنه مهماز الرائض والمعنى ان الشياطين
يحثون الناس على المعاصي ويغرونهم عليها كما تهمز الرائضة الدواب حثا لها
على المشي ونحو الهمز الاز في قوله تؤزهم ازا امر بالتعوذ من نخساتهم بلفظه
المبتهل الى ربه المكرر لندائه وبالتعوذ من ان يحضروه اصلا ويحوموا
حوله وعن ابن عباس عند تلاوة القرآن وعن عكرمة عند النزع اعوذ
بالله من النزع عند النزع حتى يتعلق بيصفون اي لا يزالون على سوء
الذكر الى هذا الوقت والاية فاصلة بينهما على وجه الاعتراض والتاكيد
للاغضاء عنهم مستعينا بالله على الشيطان ان يستزله عن الحلم ويغريه
على الانتصار منهم او على قوله وانهم لكاذبون خطاب الله بلفظ الجمع
للتعظيم كقوله فان شئت حرمت النساء سواكم وقوله الا فارحموني
يا اله محمد اذا ايقن بالموت واطلع على حقيقة الامر ادركته الحسرة على
ما فرط فيه من الايمان والعمل الصالح فيه فسال ربه الرجعة وقال لعلي
اعمل صالحا في الايمان الذي تركته والمعنى لعلي اتي بما تركته من الايمان
واعمل فيه صالحا كما تقول لعلي ابني على اس يريد اسس اسا وابني عليه
وقيل فيما تركت من المال وعن النبي صلعم اذا عاين المومن الملائكة
قالوا نرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما
الى الله واما الكافر فيقول رب ارجعون كلا ردع عن طلب الرجعة
وانكار واستبعاد والمراد بالكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها
مع بعض وهي قوله لعلي اعمل صالحا فيما تركت هو قائلها لا محالة لا
يخليها ويسكت عنها لاستيلاء الحسرة عليه وتسلط الندم او هو قائلها
وحده لا يجاب اليها ولا تسمع منه ومن ورائهم برزخ والضمير للجماعة
اي امامهم حائل بينهم وبين الرجعة الى يوم البعث وليس المعنى انهم
يرجعون يوم البعث وانما هو اقناط كلي لما علم انه لا رجعة يوم البعث الا
الى الاخرة الصور بفتح الواو عن الحسن والصور بالكسر والفتح عن ابي رزين
وهذا دليل لمن فسر الصور بجمع الصورة ونفي الانساب يحتمل ان التقاطع
يقع بينهم حيث يتفرقون معاقبين ومثابين ولا يكون التواصل بينهم
والتآلف الا بالاعمال فتلغو الانساب وتبطل وانه لا يعتد بالانساب
لزوال التعاطف والتراحم بين الاقارب اذ يفر المرء من اخيه وامه وابيه
وصاحبته وبنيه وعن ابن مسعود ولا يتساءلون بادغام التاء في السين
فان قلت قد ناقض هذا ونحو قوله ولا يسأل حميم حميما قوله واقبل بعضهم
على بعض يتساءلون وقوله يتعارفون بينهم فكيف التوفيق بينهما قلت
فيه جوابان احدهما ان يوم القيامة مقداره خمسون الف سنة ففيه ازمنة
واحوال مختلفة يتساءلون ويتعارفون في بعضها وفي بعضها لا يفطنون لذلك
لشدة الهول والفزع والثاني ان التناكر يكون عند النفخة الاولى فاذا

فان لم اكن اهلا
فانتم له اهل

كانت الثانية قاموا فتعارفوا وتساءلوا وعن ابن عباس الموازين جمع موزون
وهي الموزونات من الاعمال اي الصالحات التي لها وزن وقدر عند الله من
قوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا في جهنم خالدون بدل من خسروا انفسهم
ولا محل للبدل والمبدل منه لان الصلة لا محل لها او خبر بعد خبر لاولئك او خبر
مبتدا محذوف تلفح تسفع وقال الزجاج اللفح والنفح واحد الا ان اللفح اشد تاثيرا
والكلوح ان تتقلص الشفتان وتتشمرا عن الاسنان كما ترى الرؤوس المشوية
وعن مالك بن دينار كان سبب توبة عتبة الغلام انه مر في السوق براس اخرج
من التنور فغشي عليه ثلاثة ايام ولياليهن وروي عن النبي صلعم انه قال
تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط راسه وتسترخي شفته
السفلى حتى تبلغ سرته وقرئ كلحون غلبت علينا ملكتنا من قولك غلبني فلان
على كذا اذا اخذه منك وامتلكه والشقاوة سوء العاقبة التي علم الله انهم
يستحقونها بسوء اعمالهم قرئ شقوتنا وشقاوتنا بفتح الشين وكسرها فيهما
اخسئوا فيها ذلوا فيها وانزجروا كما تنزجر الكلاب اذا زجرت يقال
خسا الكلب وخسا بنفسه ولا تكلمون في رفع العذاب فانه لا يرفع
ولا يخفف قيل هو اخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك الا الشهيق
والزفير والعواء كعواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون وعن ابن عباس رضي الله عنه
ان لهم ست دعوات اذا دخلوا النار قالوا الف سنة ربنا ابصرنا وسمعنا فيجابون
حق القول مني فينادون الفا اميتنا اثنتين فيجابون ذلكم بانه اذا دعي الله
وحده كفرتم فينادون الفا يا مالك ليقض علينا ربك فيجابون انكم ماكثون
فينادون الفا ربنا اخرجنا فيجابون اولم تكونوا اقسمتم فينادون الفا اخرجنا نعمل صالحا
فيجابون اولم نعمركم فينادون الفا رب ارجعون فيجابون اخسئوا فيها
في حرف ابي انه كان فريق بالفتح بمعنى لانه سخريا بالضم والكسر مصدر
سخر كالسخر الا ان في ياء النسب زيادة قوة في الفعل كما قيل الخصوصية في
الخصوص وعن الكسائي والفراء ان المكسور من الهزء والمضموم من السخرة
والعبودية اي تسخروهم واستعبدوهم والاول مذهب الخليل وسيبويه قيل
هم الصحابة وقيل اهل الصفة خاصة ومعناه اتخذتموهم هزوا وتشاغلتم
بهم ساخرين حتى انسوكم بتشاغلكم بهم على تلك الصفة ذكري
فتركتموه اي تركتم ان تذكروني فتخافوني في اوليائي وقرئ انهم بالفتح والكسر
فالكسر استئناف اي قد فازوا حيث صبروا فجوزوا بصبرهم احسن
الجزاء والفتح على انه مفعول جزيتهم كقولك جزيتهم فوزهم قال في مصاحف
اهل الكوفة وقل في مصاحف اهل الحرمين والبصرة والشام ففي قال ضمير
الله او المامور بسؤالهم من الملائكة وفي قل ضمير الملك او بعض رؤساء اهل
النار استقصروا مدة لبثهم في الدنيا بالاضافة الى خلودهم ولما هم فيه من
عذابها لان الممتحن يستطيل ايام محنته ويستقصر ما مر عليه من ايام
الدعة اليها او لانهم كانوا في سرور وايام السرور قصار او لان المنقضي

في حكم ما لم يكن وصدّهم الله في تقالّهم لينسيهم في الدنيا ويحتجّ على
غفلتهم التي كانوا عليها وقرئ فاسأل العادين والمعنى لا نعرف
من عدد تلك السنين إلا أنا نستقلّه ونحسبه يوما أو بعض يوم لما نحن
فيه من العذاب وما فينا أن نعدّها فسل من فيه أن يعدّ ومن
يقدر أن يلقي إليه فكره وقيل فاسأل الملائكة الذين يعدّون أعمار العباد
ويحصون أعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف أي الظلمة فإنهم يقولون
كما نقول وقرئ العاديين أي القدماء المعمّرين فإنهم يستقصرونها
فكيف بمن دونهم وعن ابن عباس رضي الله عنه أنساهم ما كانوا فيه من العذاب
بين النفختين عبثا حال أي عابثين كقوله لاعبين أو مفعول له أي ما
خلقناكم للعبث ولم يدعنا إلى خلقكم إلا حكمة اقتضت ذلك وهي أن
نتعبّدكم ونكلّفكم المشاقّ من الطاعات وترك المعاصي ثم نرجعكم من
دار التكليف إلى دار الجزاء فنثيب المحسن ونعاقب المسيء وأنكم إلينا
لا ترجعون معطوف على أنما خلقناكم ويجوز أن يكون معطوفا على عبثا
أي للعبث ولترككم غير مرجوعين وقرئ ترجعون بفتح التاء الحق الذي
يحق له الملك لأن كل شيء منه وإليه أو الثابت الذي لا يزول ولا يزول
ملكه وصف العرش بالكريم لأن الرحمة تنزل منه والخير والبركة
أو لنسبته إلى أكرم الأكرمين كما يقال بيت كريم إذا كان ساكنوه كراما
وقرئ الكريم بالرفع ونحوه ذو العرش المجيد لا برهان له به كقوله تعالى
ما لم ينزل به سلطانا وهي صفة لازمة نحو قوله يطير بجناحيه جيء بها للتوكيد
لا أن يكون في الآلهة ما يجوز أن يقوم عليه برهان ويجوز أن يكون اعتراضا
بين الشرط والجزاء كقولك من أحسن إلى زيد لا أحق بالإحسان منه فالله
مثيبه وقرئ أنه لا يفلح بفتح الهمزة ومعناه حسابه عدم الفلاح والأصل
حسابه أنه لا يفلح هو فوضع الكافرون موضع الضمير لأن من يدعو في
معنى الجمع وكذلك حسابه أنه لا يفلح في معنى حسابهم أنهم لا يفلحون ○
جعل فاتحة السورة قد أفلح المؤمنون وأورد في خاتمتها أنه لا يفلح الكافرون
فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة ○ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
المؤمنين بشّرته الملائكة بالروح والريحان وما تقرّ به عينه عند نزول
ملك الموت وروي أن أول سورة قد أفلح وآخرها من كنوز العرش من عمل
بثلاث آيات من أولها واتّعظ بأربع آيات من آخرها فقد نجا وأفلح وعن
عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي
يسمع عنده دويّ كدويّ النحل فمكثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه
وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنّا وأعطنا ولا تحرمنا وآثرنا
ولا تؤثر علينا وارض عنا وأرضنا ثم قال لقد أنزلت علي عشر آيات من أقامهن
دخل الجنة ثم قرأ قد أفلح المؤمنون حتى ختم العشر ○○○

سورة النور مدنية وهي ثنتان وستون آية وقيل أربع وستون

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة خبر مبتدأ محذوف وأنزلناها صفة أو هي مبتدأ موصوف والخبر
محذوف أي فيما أوحينا إليك سورة أنزلناها وقرئ بالنصب على زيدا ضربته
ولا محل لأنزلناها لأنها مفسرة للمضمر فكانت في حكمه أو على دونك سورة أو اتل
سورة وأنزلناها صفة ومعنى فرضناها فرضنا أحكامها التي فيها وأصل
الفرض القطع أي جعلناها واجبة مقطوعا بها والتشديد للمبالغة في الإيجاب
وتوكيده أو لأن فيها فرائض شتى وأنك تقول فرضت الفريضة وفرّضت الفرائض
أو لكثرة المفروض عليهم من السلف ومن بعدهم تذكرون بتشديد الذال
وتخفيفها رفعهما على الابتداء والخبر محذوف عند الخليل وسيبويه على معنى
وفيما فرض عليكم الزانية والزاني أي جلدهما ويجوز أن يكون الخبر فاجلدوا
وإنما دخلت الفاء لكون الألف واللام بمعنى الذي وتضمينه معنى الشرط تقديره
التي زنت والذي زنا فاجلدوهما كما تقول من زنا فاجلدوه وكقوله سبحانه والذين
يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم وقرئ بالنصب على
إضمار فعل يفسره الظاهر وهو أحسن من سورة أنزلناها لأجل الأمر
وقرئ والزان بلا ياء والجلد ضرب الجلد يقال جلده كقولك ظهره وبطنه
ورأسه فإن قلت أهذا حكم جميع الزناة والزواني أم حكم بعضهم قلت بل هو
حكم من ليس بمحصن منهم فإن المحصن حكمه الرجم وشرائط الإحصان عند
أبي حنيفة رحمه الله ست الإسلام والحرية والعقل والبلوغ والتزوج
بنكاح صحيح والدخول إذا فقدت واحدة منها فلا إحصان وعند الشافعي رحمه الله
الإسلام ليس بشرط لما روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رجم يهوديين زنيا وحجة
أبي حنيفة رحمه الله قوله صلى الله عليه وسلم من أشرك بالله فليس بمحصن فإن قلت
اللفظ يقتضي تعليق الحكم بجميع الزناة والزواني لأن قوله الزانية والزاني
عامّ في الجميع يتناول المحصن وغير المحصن قلت الزانية والزاني يدلان
على الجنسين المنافيين لجنسي العفيف والعفيفة دلالة مطلقة والجنسية
قائمة في الكل والبعض جميعا فأيهما قصد المتكلم فلا عليه كما يفعل بالاسم
المشترك وقرئ ولا تأخذكم بالياء ورأفة بفتح الهمزة ورآفة على فعالة والمعنى
أن الواجب على المؤمنين أن يتصلّبوا في دين الله ويستعملوا الجد والمتانة
فيه ولا يأخذهم اللين والهوادة في استيفاء حدوده وكفى برسول الله صلى الله عليه وسلم
أسوة في ذلك حيث قال لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها وقوله إن
كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر من باب التهييج وإلهاب الغضب
لله ولدينه وقيل لا ترحموا عليهما حتى تعطلوا الحدود أو حتى لا توجعوهما
ضربا وفي الحديث يؤتى بوال نقص من الحد سوطا فيقول رحمة لعبادك فيقال له
أنت أرحم بهم مني فيؤمر به إلى النار ويؤتى بمن زاد سوطا فيقول لينتهوا
عن معاصيك فيؤمر به إلى النار وعن أبي هريرة رضي الله عنه إقامة حد بأرض
خير لأهلها من مطر أربعين ليلة وعلى الإمام أن ينصب للحد رجلا عالما

بصيرا بعقل كيف يضرب والرجل يجلد قائما على مجرده ليس عليه الا ازاره
ضربا وسطا لا مبرحا ولا هينا مفرقا على الاعضا كلها لا يستثنى منها الا
ثلثه الوجه والراس والفرج وفي لفظ الجلد اشاره الى انه لا ينبغي ان يجاوز
الالم الى اللحم والمراه تجلد قاعده ولا ينزع من ثيابها الا الحشو والفرو وبهذه
الايه استشهد ابو حنيفه رحمه الله على ان الجلد حد غير المحصن بلا تغريب
وما احتج به الشافعي رحمه الله على وجوب التغريب من قوله صلى الله عليه وسلم البكر
بالبكر جلد مايه وتغريب عام وما روي عن الصحابه انهم جلدوا ونفوا منسوخ
عندنا وعند اصحابه بالايه او محمول على وجه التعزير والتاديب من غير
وجوب وقول الشافعي في تغريب الحر واحد وله في العبد ثلثه اقاويل يغرب
سنه كالحر ويغرب نصف سنه كما يجلد خمسين جلده ولا يغرب كما قال
ابو حنيفه وبهذه الايه نسخ الحبس والاذى في قوله فامسكوهن في البيوت
وقوله فاذوهما قيل تسميته عذابا دليل على انه عقوبه ويجوز ان يسمى عذابا لانه
يمنع من المعاوده كما سمي نكالا الطايفه الفرقه التي يمكن ان تكون حلقه
واقلها ثلثه او اربعه وهي صفه غالبه كانها الجماعه الحافه حول الشي وعن
ابن عباس رضي الله عنه في تفسيرها اربعه الى اربعين رجلا من المصدقين
بالله وعن الحسن عشره وعن قتاده ثلثه فصاعدا وعن عكرمه رجلان
فصاعدا وعن مجاهد الواحد فما فوقه وفضل قول ابن عباس لان الاربعه هي
التي يثبت بها هذا الواحد والصحيح ان هذه الكبيره من امهات الكباير
ولهذا قرنها الله عز وجل بالشرك وقتل النفس في قوله ولا يزنون ومن يفعل
ذلك يلق اثاما وقال ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشه وسا سبيلا وعن النبي صلى الله عليه وسلم
يا معشر الناس اتقوا الزنا فان فيه ست خصال ثلث في الدنيا وثلث في الاخره
فاما اللاتي في الدنيا فيذهب البها ويورث الفقر وينقص العمر واما اللاتي
في الاخره فيوجب السخطه وسو الحساب والخلود في النار ولذلك وفى الله عز وجل
فيه عقد المايه بكماله بخلاف حد القذف وشرب الخمر وشرع فيه القتله
الهوله وهي الرجم ونهى المومنين عن الرافه على المجلود فيه وامر بشهاده
الطايفه للتشهير والواحد والاثنان ليسوا بتلك المثابه واختصاصه
المومنين لان ذلك افضح والفاسق بين صلحا قومه اخجل ويشهد له قول ابن
عباس الى اربعين رجلا من المصدقين بالله الفاسق الخبيث الذي من شانه
الزنا والتقحب لا يرغب في نكاح الصوالح من النسا واللاتي على خلاف صفته وانما
يرغب في فاسقه خبيثه من شكله او في مشركه والفاسقه الخبيثه المسافحه
كذلك لا يرغب في نكاحها الصلحا من الرجال وينفرون عنها وانما يرغب
فيها من هو من شكلها من الفسقه او المشركين ونكاح المومن الممدوح عند
الله الزانيه ورغبته فيها وانخراطه بذلك في سلك الفسقه المتسمين بالزنا
محرم عليه محظور لما فيه من التشبه بالفساق وحضور موقع التهمه
والتسبب لسو القاله فيه والغيبه وانواع المفاسد ومجالسه الخاطيين كم

فيها من التعرض لاقتراف الاثام فكيف بمزاوجه الزواني والقحاب وقد نبه
سبحانه وتعالى على ذلك بقوله وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم
وامايكم وقيل كان بالمدينه موسرات من بغايا المشركين فرغب فقرا المهاجرين
في نكاحهن فاستاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وعن عايشه رضي الله عنها
ان الرجل اذا زنى بامراه ليس له ان يتزوجها لهذه الايه واذا باشرها كان زانيا
وقد اجازه ابن عباس رضي الله عنه وشبهه بمن سرق ثمر شجره ثم اشتراه وعن
النبي صلى الله عليه وسلم انه سيل عن ذلك فقال اوله سفاح واخره نكاح والحرام لا يحرم
الحلال وقيل المراد بالنكاح الوطء وليس بقول لامرين احدهما ان هذه
الكلمه اينما وردت في القران لم ترد الا في معنى العقد والثاني فساد المعنى واداوه
الى قولك الزاني لا يزني الا بزانيه والزانيه لا يزني بها الا زان وقيل كان نكاح
الزانيه محرما في اول الاسلام ثم نسخ والناسخ قوله وانكحوا الايامى منكم وقيل
الاجماع وروي ذلك عن سعيد بن المسيب فان قلت اي فرق بين معنى
الجمله الاولى ومعنى الثانيه قلت معنى الاولى صفه الزاني بكونه غير راغب في
العفايف ولكن في الفواجر ومعنى الثانيه صفه الزانيه بكونها غير مرغوب
فيها للاعفا ولكن للزناه وهما معنيان مختلفان فان قلت كيف قدمت
الزانيه على الزاني اولا ثم قدم عليها ثانيا قلت سيقت تلك الايه لعقوبتهما
على ما جنيا والمراه هي الماده التي منها نشات الجنايه لانها لو لم تطمع الرجل
ولم تومض له ولم تمكنه لم يطمع ولم يتمكن فلما كانت اصلا واولا في ذلك
بدي بذكرها واما الثانيه فمسوقه لذكر النكاح والرجل اصل فيه لانه هو الراغب
والخاطب ومنه يبدا الطلب وعن عمرو بن عبيد لا ينكح بالجزم على النهي
والمرفوع ايضا فيه معنى النهي ولكن ابلغ واكد كما ان رحمك الله ويرحمك الله
ابلغ من ليرحمك ويجوز ان يكون خبرا محضا على معنى ان عادتهم جاريه على ذلك
وعلى المومن ان لا يدخل نفسه تحت هذه العاده ويتصون عنها وحرم
[illegible] القذف يكون بالزنا وبغيره والذي دل على ان المراد قذفهن بالزنا
شيان احدهما ذكر المحصنات عقيب الزواني والثاني اشتراط اربعه شهدا
لان القذف بغير الزنا يكفي فيه شاهدان والقذف بالزنا ان يقول الحر العاقل
البالغ لمحصنه يا زانيه او لمحصن يا زاني يا ابن الزاني يا ابن الزانيه يا ولد الزنا
لست لابيك لست لرشده والقذف بغير الزنا ان يقول يا اكل الربا يا شارب الخمر
يا يهودي يا مجوسي يا فاسق يا خبيث يا ماص بظر امه فعليه التعزير ولا
يبلغ به ادنى حد العبيد وهو اربعون بل ينقص منه وقال ابو يوسف يجوز ان
يبلغ به تسعه وسبعون وقال للامام ان يعزر الى المايه وشروط احصان
القذف خمسه الحريه والبلوغ والعقل والاسلام والعفه ثم لم ياتوا باربعه
شهدا يشهدون وشهدا صفه فان قلت كيف يشهدون مجتمعين او متفرقين
قلت الواجب عند ابي حنيفه واصحابه ان يحضروا في مجلس واحد
وان جاوا متفرقين كانوا قذفه وعند الشافعي يجوز ان يحضروا متفرقين

فان قلت هل يجوز ان يكون زوج المقذوفة واحدا منهم قلت يجوز عند
ابي حنيفة خلافا للشافعي فان قلت كيف يجلد القاذف قلت كما جلد
الزاني الا انه لا ينزع عنه من ثيابه الا ما ينزع عن المراة من الحشو والفرو
والقاذفة ايضا كالزانية واشد الضرب ضرب التعزير ثم ضرب الزنا ثم
شرب الخمر ثم ضرب القاذف قالوا لان سبب عقوبته محتمل للصدق والكذب
الا انه عوقب صيانة للاعراض وردعا عن هتكها فان قلت فاذا لم يكن
المقذوف محصنا قلت يعزر القاذف ولا يحد الا ان يكون المقذوف
معروفا بما قذف به فلا حد ولا تعزير رد شهادة القاذف معلق عند ابي
حنيفة رحمه الله باستيفاء الحد فاذا شهد قبل الحد او قبل تمام استيفائه
قبلت شهادته فاذا استوفي لم تقبل شهادته ابدا وان تاب وكان من الابرار
الاتقياء وعند الشافعي رحمه الله يتعلق رد شهادته بنفس القذف فاذا تاب
عن القذف بان رجع عنه عاد مقبول الشهادة وكلاهما متمسك بالاية فابو
حنيفة رحمه الله جعل جزاء الشرط الذي هو الرمي الجلد ورد الشهادة عقيب الجلد
على التابيد فكانوا مردودي الشهادة عنده في ابدهم وهو مدة حياتهم وجعل
قوله واولئك هم الفاسقون كلاما مستانفا غير داخل في حيز جزاء
الشرط كانه حكاية حال الرامين عند الله بعد انقضاء الجملة الشرطية
والا الذين تابوا استثناء من الفاسقين ويدل عليه قوله عز وجل فان
الله غفور رحيم والشافعي رحمه الله جعل جزاء الشرط الجملتين ايضا غير
انه صرف الابد الى مدة كونه قاذفا وهي تنتهي بالتوبة والرجوع عن القذف
وجعل الاستثناء متعلقا بالجملة الثانية وحق المستثنى عنده ان يكون
مجرورا بدلا من هم في لهم وحقه عند ابي حنيفة ان يكون منصوبا لانه عن موجب
والذي يقتضيه ظاهر الاية ونظمها ان تكون الجمل الثلاث بمجموعهن جزاء
الشرط كانه قيل ومن قذف المحصنات فاجلدوهم وردوا شهادتهم
وفسقوهم اي فاجمعوا لهم الجلد والرد والتفسيق الا الذين تابوا عن القذف
واصلحوا فان الله يغفر لهم فينقلبون غير مجلودين ولا مردودين ولا
مفسقين فان قلت الكافر يقذف فيتوب عن الكفر فتقبل شهادته بالاجماع
والقاذف من المسلمين يتوب عن القذف فلا تقبل شهادته عند ابي حنيفة
كان القذف مع الكفر اهون من القذف مع الاسلام قلت المسلمون لا
يعباون بسب الكفار لانهم شهروا بعداوتهم والطعن فيهم بالباطل فلا يلحق المقذوف
بقذف الكافر من الشين والشنار ما يلحقه بقذف مسلم مثله فشدد على
القاذف من المسلمين ردعا وكفا عن الحاق الشنار فان قلت هل للمقذوف
او للامام ان يعفو عن حد القاذف قلت لهما ذلك قبل ان يشهد الشهود
ويثبت الحد والمقذوف مندوب الى ان لا يرافع القاذف ولا يطالبه بالحد ويحسن
من الامام ان يحمل المقذوف على كظم الغيظ ويقول له اعرض عن هذا ودعه
لوجه الله قبل ثبات الحد فاذا ثبت لم يكن لواحد منهما ان يعفو لانه
خالص حق الله تعالى ولهذا لم يصح ان يصالح عنه بمال فان قلت هل يورث الحد

قلت عند ابي حنيفة لا يورث لقوله عليه السلام الحد لا يورث ويورث عند الشافعي واذا
تاب القاذف قبل ان يثبت الحد سقط وقيل نزلت هذه الاية في حسان بن ثابت
حين تاب مما قال في عائشة رضي الله عنها فاذا قذف امراته اذا كان مسلما حرا
عاقلا بالغا غير محدود في القذف والمراة بهذه الصفة مع العفة صح اللعان
بينهما اذا قذفها بصريح الزنا وهو ان يقول لها يا زانية او زنيت او رايتك تزنين
واذا كان الزوج عبدا او محدودا في القذف والمراة محصنة جلد كما في قذف
الاجنبيات وما لم ترافعه الى الامام لم يجب اللعان واللعان ان يبدا
الرجل فيشهد اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين فيما رماها
به من الزنا ثم يقول في الخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين
فيما رماها به من الزنا وتقول المراة اربع مرات اشهد بالله انه لمن الكاذبين
فيما رماني به من الزنا ثم تقول في الخامسة ان غضب الله عليها ان كان من
الصادقين فيما رماني به من الزنا وعند الشافعي رحمه الله يقام الرجل
قائما حتى يشهد والمراة قاعدة وتقام المراة والرجل قاعد حتى تشهد
ويامر الامام من يضع يده على فيه ويقول له اني اخاف ان لم تكن صادقا ان
تبوء بلعنة الله تعالى وقال اللعان بمكة بين المقام والبيت وبالمدينة على المنبر
وببيت المقدس في مسجده ولعان المشرك في الكنيسة وحيث يعظم واذا
لم يكن له دين ففي مساجدنا الا في المسجد الحرام لقوله تعالى انما المشركون
نجس فلا يقربوا المسجد الحرام ثم يفرق القاضي بينهما ولا تقع الفرقة الا بتفرقته
عند ابي حنيفة واصحابه الا عند زفر فان الفرقة تقع باللعان وعن عثمان البتي
لا فرقة اصلا وعن الشافعي تقع بلعان الزوج وتكون هذه الفرقة في حكم
التطليقة البائنة عند ابي حنيفة ومحمد ولا يتابد حكمها فاذا اكذب الرجل
نفسه بعد ذلك فحد جاز له ان يتزوجها وعند ابي يوسف وزفر والحسن بن
زياد والشافعي هي فرقة بغير طلاق توجب تحريما مؤبدا ليس لهما ان يجتمعا
بعد ذلك بوجه وروي ان اية القذف لما نزلت قراها رسول الله صلى الله عليه وسلم
على المنبر فقام عاصم بن عدي الانصاري فقال جعلني الله فداك ان وجد
رجل مع امراته رجلا فاخبر جلد ثمانين وردت شهادته ابدا وفسق وان
ضربه بالسيف قتل وان سكت سكت على غيظ والى ان يجيء باربعة شهداء فقد
قضى الرجل حاجته ومضى اللهم افتح وخرج فاستقبله هلال بن امية
او عويمر فقال ما وراءك فقال شر وجدت على بطن امراتي خولة وهي بنت
عاصم شريك بن سحماء فقال هذا والله سؤالي ما اسرع ما ابتليت به
فرجعا فاخبر عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلم خولة فقالت لا ادري الغيرة
ام بخلا على الطعام وكان شريك نزيلهم وقال هلال لقد رايته على بطنها
فنزلت ولاعن بينهما وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند قوله وقولها ان لعنة
الله عليه ان غضب الله عليها امين وقال القوم امين وقال لها
ان كنت الممت بذنب فاعترفي به فالرجم اهون عليك من غضب الله

ان عصبه هو الناس وقال احبسوها الى الولاده فان جات به اصيهب اثيبج
يضرب الى السواد فهو لشريك وان جات به اورق جعدا جماليا خدلج الساقين
فهو للذي رميت به قال ابن عباس فجات به اشبه خلق الله لشريك
فقال عليه السلام لولا الايمان لكان لي ولها شان وقرئ ولم تكن بالتاء لان الشهدا
جماعه اولانهم في معنى الانفس التي هي بدل ووجه من قرا اربع ان
ينصب لانه في حكم المصدر والعامل فيه المصدر الذي هو فشهاده
احدهم وهو مبتدا محذوف الخبر تقديره فواجب شهاده احدهم اربع
شهادات وقرئ ان لعنة الله وان غضب الله على تخفيف ان ورفع
ما بعدها وقرئ ان غضب على فعل الغضب وقرئ بنصب الخامسة
على معنى وتشهد الخامسة فان قلت لم خصت الملاعنه بان تخمس
بغضب الله قلت تغليظا عليها لانها هي اصل الفجور ومنبعه بخلابتها
واطماعها ولذلك كانت مقدمه في ايه الجلد ويشهد لذلك قوله عليه السلام
لخوله فالرجم اهون عليك من غضب الله الفضل التفضل وجواب
لولا متروك وتركه دال على امر عظيم لا يكتنه ورب مسكوت عنه ابلغ
من منطوق به الافك ابلغ ما يكون من الكذب والافترا وقيل هو البهتان
لا تشعر به حتى يفجاك واصله الافك وهو القلب لانه قول مافوك عن
وجهه والمراد ما افك به على عائشه رضي الله عنها والعصبه الجماعه من
العشره الى الاربعين وكذلك العصابه واعصوصبوا اجتمعوا وهم
عبد الله بن ابي راس النفاق وزيد بن رفاعه وحسان بن ثابت ومسطح بن
اثاثه وحمنه بنت جحش ومن ساعدهم وقرئ كبره بالضم والكسر وهو
عظمه والذي تولاه عبد الله لامعانه في عداوه رسول الله صلى الله عليه وسلم
واستهاره الغرض وطلبه سبيلا الى الغميزه اي يصيب كل خائض في حديث
الافك من تلك العصبه نصيبه من الاثم على مقدار خوضه والعذاب
العظيم لعبد الله لان معظم الشر كان منه يحكى ان صفوان مر بهودجها
عليه وهو في ملا من قومه فقال من هذه فقالوا عائشه فقال والله ما نجت منه
ولا نجا منها وقال امراه نبيكم باتت مع رجل حتى اصبحت ثم جا يقودها والخطاب
في قوله هو خير لكم لمن ساءه ذلك من المومنين وخاصه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابو بكر وعائشه وصفوان بن المعطل ومعنى كونه خيرا لهم انهم اكتسبوا
فيه الثواب العظيم لانه كان بلا مبينا ومحنه ظاهره وانه انزلت
فيه ثماني عشره ايه كل واحده منها مستقله بما هو تعظيم لشان رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتسليه له وتنزيه لام المومنين رضوان الله عليها وتطهير لاهل البيت وتهويل
لمن تكلم في ذلك او سمع به فلم تمجه اذناه وعده الطاف للسامعين والتالين
الى يوم القيمه وفوائد دينيه واحكام واداب لا تخفى على متاملها بانفسهم
اي بالذين منهم من المومنين والمومنات كقوله ولا تلمزوا انفسكم وذلك لحوما
روي ان ابا ايوب الانصاري قال لام ايوب الا ترين ما يقال فقالت لو كنت
بدل صفوان اكنت تظن بحرمه رسول الله صلى الله عليه وسلم سوا قال لا قالت ولو كنت

انا بدل عائشه ما خنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعائشه خير مني وصفوان خير منك
فان قلت هلا قيل لولا اذ سمعتموه ظننتم بانفسكم خيرا وقلتم ولم عدل
عن الخطاب الى الغيبه وعن الضمير الى الظاهر قلت ليبالغ في التوبيخ بطريقه
الالتفات وليصرح بلفظ الايمان دلاله على ان الاشتراك فيه مقتض ان
لا يصدق مومن على اخيه ولا مومنه على اختها قول عائب ولا طاعن وفيه
تنبيه على ان حق المومن اذا سمع قاله في اخيه ان يبني الامر فيها على الظن لا
على الشك وان يقول بملء فيه بناء على ظنه بالمومن الخير هذا افك مبين
هكذا بلفظ المصرح ببراءه ساحته كما يقول المستيقن المطلع على حقيقه
الحال وهذا من الادب الحسن الذي قل القائم به والحافظ له وليتك تجد من
يسمع ويسكت ولا يشيع ما سمعه باخوات جعل الله التفصله بين الرمي
الصادق والكاذب ثبوت شهاده الشهود الاربعه وانتفاها والذين
رموا عائشه لم يكن لهم بينه على قولهم فقامت عليهم الحجه وكانوا عند الله
اي في حكمه وشريعته كاذبين وهذا توبيخ وتعنيف للذين سمعوا الافك فلم
يجدوا في دفعه وانكاره واحتجاج عليهم بما هو ظاهر مكشوف في الشرع من
وجوب تكذيب القاذف بغير بينه والتنكيل به اذا قذف محصنه من عرض
نسا المومنين فكيف بام المومنين الصديقه بنت الصديق حرمه رسول الله
صلى الله عليه وسلم وحبيبه حبيب الله لولا الاولى للتحضيض وهذه لامتناع الشي
لوجود غيره والمعنى ولولا اني قضيت ان اتفضل عليكم في الدنيا بضروب
النعم التي من جملتها الامهال للتوبه وان ارحم عليكم في الاخره بالعفو والمغفره
لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم فيه من حديث الافك يقال افاض في الحديث
واندفع وهضب وخاض اذ ظرف لمسكم او لافضتم تلقونه ياخذه بعضكم
من بعض يقال تلقى القول وتلقنه وتلقفه ومنه قوله تعالى فتلقى ادم من ربه كلمات
وقرئ على الاصل تتلقونه واذ تلقونه بادغام الذال في التاء وتلقونه من لقيه
بمعنى لقفه وتلقونه من القاه بعضهم على بعض وتلقونه وتالقونه من الولق
والالق وهو الكذب وتلقونه محكيه عن عائشه رضي الله عنها وعن سفيان
سمعت امي تقرا اذ تثقفونه وكان ابوها يقرا بحرف عبد الله بن مسعود فان
قلت ما معنى قوله بافواهكم والقول لا يكون الا بالفم قلت معناه ان الشي
المعلوم يكون علمه في القلب فيترجم عنه اللسان وهذا الافك ليس الا قولا
يجري على السنتكم ويدور في افواهكم من غير ترجمه عن علم في القلب كقوله تعالى
يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم اي وتحسبونه صغيره وهو عند الله
كبيره وعن بعضهم انه جزع عند الموت فقيل له فقال اخاف ذنبا لم يكن مني على بال
وهو عند الله عظيم وفي كلام بعضهم لا تقولن لشي من سيئاتك حقير فلعله عند الله
نخله وهو عندك نقير وصفهم بارتكاب ثلاثه اثام وعلق مس العذاب العظيم
بها احدها تلقي الافك بالسنتهم وذلك ان الرجل كان يلقى الرجل فيقول له

ما ورائك فيحدثه بحديث الافك حتى شاع وانتشر فلم يبق بيت ولا ناد الا طار
فيه والثاني التكلم بما لا علم لهم به والثالث استصغارهم لذلك وهو عظيمة
من العظائم فان قلت كيف جاز الفصل بين لولا وقلتم قلت للظروف
شان وهو تنزلها من الاشياء منزلة انفسها لوقوعها فيها وانها لا تنفك
عنها فلذلك يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها فان قلت فاي فائدة في
تقديم الظرف حتى اوقع فاصلا قلت الفائدة فيه بيان انه كان الواجب
عليهم ان يتفادوا اول ما سمعوا بالافك عن التكلم به فلما كان ذكر
الوقت اهم وجب التقديم فان قلت ما معنى يكون والكلام بدونه
متلئب لو قيل ما لنا ان نتكلم بهذا قلت معناه معنى ينبغي ويصح اي ما
ينبغي لنا ان نتكلم بهذا وما يصح لنا ونحوه ما يكون لي ان اقول ما ليس لي
بحق وسبحانك للتعجب من عظم الامر فان قلت ما معنى التعجب
في كلمة التسبيح قلت الاصل في ذلك ان يسبح الله عند رؤية العجيب من
صنائعه ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه او لتنزيه الله سبحانه من ان
تكون حرمة نبيه عليه السلم فاجرة فان قلت كيف جاز ان تكون امراة النبي صلعم
كافرة كامراة نوح ولوط عليهما السلم ولم يجز ان تكون فاجرة قلت لان الانبياء عليهم
مبعوثون الى الكفار ليدعوهم ويستعطفوهم فيجب ان لا يكون معهم ما ينفرهم
عنهم ولم يكن الكفر عندهم مما ينفر واما الكشخنة فمن اعظم المنفرات اي
كراهة ان تعودوا او في ان تعودوا من قولك وعظت فلانا في كذا فتركه
وابدا ما داموا احياء مكلفين وان كنتم مؤمنين فيه تهييج لهم ليتعظوا
وتذكير بما يوجب ترك العود وهو اتصافهم بالايمان الصاد عن كل مقبح و
يبين الله لكم الايات الدلالات على علمه وحكمته بما ينزل عليكم من الشرائع ويعلمكم
من الاداب الجميلة ويعظكم به من المواعظ الشافية والله عالم بكل شيء
فاعل لما يفعله بدواعي الحكمة المعنى يشيعون الفاحشة عن قصد الى
الاشاعة وارادة ومحبة لها عذاب الدنيا الحد ولقد ضرب رسول الله صلعم
عبد الله بن ابي وحسانا ومسطحا وقعد صفوان لحسان فضربه ضربة
بالسيف وكف بصره وقيل هو المراد بقوله والذي تولى كبره منهم والله يعلم
ما في القلوب من الاسرار والضمائر وانتم لا تعلمون يعني انه قد علم محبة
من احب الاشاعة وهو معاقبه عليها وكرر المنة بترك المعاجلة بالعقاب
حاذفا جواب لولا كما حذفه ثمة وفي هذا التكرير مع حذف الجواب مبالغة
عظيمة وكذلك في التواب والرؤوف والرحيم الفحشاء والفاحشة ما افرط قبحه
قال ابو ذؤيب ٥ ضرائر حرمي تفاحش غارها ٥ اي افرطت غيرتها
والمنكر ما تنكره النفوس فتنفر عنه ولا ترتضيه وقرئ خطوات بفتح الطاء
وسكونها وزكى بالتشديد والضمير لله عز وجل ولولا ان الله تفضل عليكم
بالتوبة الممحصة لما طهر منكم احد اخر الدهر من دنس اثم الافك ولكن الله
يطهر التائبين بقبول توبتهم اذا محضوها وهو سميع لقولهم عليم بضمائرهم

واخلاصهم هو من ائتلى اذا حلف افتعال من الالية وقيل من قولهم ما
الوت جهدا اذا لم يدخر منه شيئا ويشهد للاول قراءة الحسن ولا يتال
والمعنى لا يحلفوا على ان لا يحسنوا الى المستحقين للاحسان او لا
يقصروا في ان يحسنوا اليهم وان كانت بينهم وبينهم شحناء لجناية اقترفوها
فليعودوا عليهم بالعفو والصفح وليفعلوا بهم مثل ما يرجون ان يفعل بهم
ربهم مع كثرة خطاياهم وذنوبهم نزلت في شان مسطح وكان ابن خالة
ابي بكر الصديق رضي الله عنه وكان فقيرا من فقراء المهاجرين وكان
ابو بكر ينفق عليه فلما فرط منه ما فرط آلى ان لا ينفق عليه وكفى به داعيا
الى المجاملة وترك الاشتغال بالمكافاة للمسيء ويروى ان رسول الله
صلعم قراها على ابي بكر فقال بلى احب ان يغفر الله لي ورجع الى مسطح
نفقته وقال والله لا انزعها ابدا وقرا ابو حيوة وابن قطيب ان تؤتوا بالتاء
على الالتفات ويعضده قوله الا تحبون ان يغفر الله لكم الغافلات
السليمات الصدور النقيات القلوب اللاتي ليس فيهن دهاء ولا مكر لانهن
لم يجربن الامور ولم يرزن الاحوال فلا يفطن لما يفطن له المجربات العرافات
قال ٥ ولقد لهوت بطفلة ميالة بلهاء تطلعني على اسرارها ٥ وكذلك البله
من الرجال في قوله اكثر اهل الجنة البله وقرئ يشهد بالياء والحق
بالنصب صفة للدين وهو الجزاء وبالرفع صفة لله ولو فليت القرآن كله
وفتشت عما اوعد به العصاة لم تر الله عز وجل قد غلظ في شيء تغليظه
في افك عائشة رضوان الله عليها ولا انزل من الايات القوارع المشحونة
بالوعيد الشديد والعتاب البليغ والزجر العنيف واستعظام ما ركب
من ذلك واستفظاع ما اقدم عليه ما انزل فيه على طرق مختلفة واساليب
مفتنة كل واحد منها كاف في بابه ولو لم ينزل الا هذه الثلاث لكفى بها
حيث جعل القذفة ملعونين في الدارين جميعا وتوعدهم بالعذاب العظيم
في الاخرة وبان السنتهم وايديهم وارجلهم تشهد عليهم بما افكوا وبهتوا
وانه يوفيهم جزاءهم الحق الواجب الذي هم اهله حتى يعلموا عند ذلك ان
الله هو الحق المبين فاوجز في ذلك واشبع وفصل واجمل واكد وكرر
وجاء بما لم يقع في وعيد المشركين عبدة الاوثان الا ما هو دونه في الفظاعة
وما ذاك الا لامر وعن ابن عباس رضي الله عنه انه كان بالبصرة يوم عرفة
وكان يسال عن تفسير القرآن حتى سئل عن هذه الايات فقال من اذنب
ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته الا من خاض في امر عائشة وهذه منه مبالغة
وتعظيم لامر الافك ولقد برا الله اربعة باربعة برا يوسف عم بلسان
الشاهد وشهد شاهد وبرا موسى عم من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه
وبرا مريم بانطاق ولدها حين نادى من حجرها اني عبد الله وبرا عائشة بهذه
الايات العظام في كتابه المعجز المتلو على وجه الدهر مثل هذه التبرئة بهذه
المبالغات فانظر كم بينها وبين تبرئة اولئك وما ذاك الا لاظهار علو

منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتنبيه على أنها صاحبة محل سيد ولد آدم وخيرة الأولين
والآخرين وحجة الله على العالمين ومن أراد أن يتحقق عظمة شأنه وتقدم
قدمه وإحرازه لقصب السبق دون كل سابق فليتلق ذلك من آيات الإفك
وليتأمل كيف غضب الله له في حرمته وكيف بالغ في نفي التهمة عن حجابه فإن قلت
إن كانت عائشة هي المرادة فكيف قيل المحصنات قلت فيه وجهان أحدهما أن
يراد بالمحصنات أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يخصصن بأن من قذفهن
فهذا الوعيد لاحق به وإذا أردن وعائشة كبراهن منزلة وقربة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
كانت المرادة أولا والثاني أنها أم المؤمنين فجمعت إرادة لها ولبناتها من نساء
الأمة الموصوفات بالإحصان والغفلة والإيمان كما قال ٥ قدني من نصر
الخبيبين قدي ٥ أراد عبد الله بن الزبير وأشياعه وكان أعداؤه يكنونه بخبيب
ابنه وكان مضعوفا وكنيته المشهورة أبو بكر إلا أن هذا في الاسم وذاك في الصفة
فإن قلت ما معنى قوله هو الحق المبين قلت معناه ذو الحق المبين أي العادل
الظاهر العدل الذي لا ظلم في حكمه والمحق الذي لا يوصف بباطل ومن هذه صفته
لم يسقط عنده إساءة مسيء ولا إحسان محسن فحق مثله أن يتقى وتجتنب محارمه
أي الخبيثات من القول تقال أو تعد للخبيثين من الرجال والنساء والخبيثون
منهم يتعرضون للخبيثات من القول وكذلك الطيبات والطيبون وأولئك
إشارة إلى الطيبين وأنهم مبرؤون مما يقول الخبيثون من خبيثات الكلم وهو
كلام جار مجرى المثل لعائشة وما رميت به من قول لا يطابق حالها في النزاهة
والطيب ويجوز أن يكون أولئك إشارة إلى أهل البيت وأنهم مبرؤون مما يقول
أهل الإفك وأن يراد بالخبيثات والطيبات النساء أي الخبائث يتزوجن الخباث
والخباث الخبائث وكذلك أهل الطيب وذكر الرزق الكريم ههنا مثله
في قوله وأعتدنا لها رزقا كريما وعن عائشة رضي الله عنها لقد أعطيت تسعا ما
أعطيتهن امرأة لقد نزل جبريل عليه السلام بصورتي في راحته حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن يتزوجني ولقد تزوجني بكرا وما تزوج بكرا غيري ولقد توفي وإن رأسه لفي
حجري ولقد قبر في بيتي ولقد حفته الملائكة في بيتي وإن الوحي لينزل عليه في أهله
فيتفرقون عنه وإن كان لينزل عليه وأنا معه في لحافه وإني لابنة خليفته وصديقه
ولقد نزل عذري من السماء ولقد خلقت طيبة عند طيب ولقد وعدت مغفرة
ورزقا كريما تستأنسوا فيه وجهان أحدهما أنه من الاستئناس الظاهر
الذي هو خلاف الاستيحاش لأن الذي يطرق باب غيره لا يدري أيؤذن له أم لا
فهو كالمستوحش من خفاء الحال عليه فإذا أذن له استأنس فالمعنى حتى يؤذن
لكم كقوله لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم وهذا من باب الكناية والإرداف
لأن هذا النوع من الاستئناس يردف الإذن فوضع موضع الإذن والثاني
أن يكون من الاستئناس الذي هو الاستعلام والاستكشاف استفعال
من أنس الشيء إذا أبصره ظاهرا مكشوفا والمعنى حتى تستعلموا وتستكشفوا
الحال هل يراد دخولكم أم لا ومنه قولهم استأنس هل ترى أحدا واستأنست

فلم أر أحدا أي تعرفت واستعلمت ومنه بيت النابغة ٥ على مستأنس وحد ٥
ويجوز أن يكون من الإنس وهو أن يتعرف هل ثم إنسان وعن أبي أيوب الأنصاري
قلنا يا رسول الله ما الاستئناس قال يتكلم الرجل بالتسبيحة والتكبيرة
والتحميدة ويتنحنح يؤذن أهل البيت والتسليم أن يقول السلام عليكم أأدخل
ثلاث مرات فإن أذن له وإلا رجع وعن أبي موسى الأشعري أنه أتى باب
عمر رضي الله عنه فقال السلام عليكم أأدخل قالها ثلاثا ثم رجع وقال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الاستئذان ثلاث واستأذن رجل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال أألج فقال صلى الله عليه وسلم لامرأة يقال لها روضة قومي إلى هذا
فعلميه فإنه لا يحسن أن يستأذن قولي له يقول السلام عليكم أأدخل
فسمعها الرجل فقالها فقال ادخل وكان أهل الجاهلية يقول الرجل منهم
إذا دخل بيتا غير بيته حييتم صباحا وحييتم مساء ثم يدخل فربما أصاب
الرجل مع امرأته في لحاف واحد فصد الله عن ذلك وعلم الأحسن والأجمل
وكم من باب من أبواب الدين هو عند الناس كالشريعة المنسوخة
قد تركوا العمل به وباب الاستئذان من ذلك بينا أنت في بيتك إذ رعف
عليك الباب بواحد من غير استئذان ولا تحية من تحايا إسلام ولا جاهلية
وهو ممن سمع ما أنزل الله فيه وما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن أين
الأذن الواعية وفي قراءة عبد الله حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا وعن
ابن عباس وسعيد بن جبير إنما هو حتى تستأذنوا فأخطأ الكاتب ولا يعول
على هذه الرواية وفي قراءة أبي حتى تستأذنوا ذلكم الاستئذان والتسليم
خير لكم من تحية الجاهلية والدمور وهو الدخول بغير إذن واشتقاقه
من الدمار وهو الهلاك كأن صاحبه دامر لعظم ما ارتكب وفي الحديث من
سبقت عينه استئذانه فقد دمر وروي أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم أأستأذن
على أمي قال نعم قال إنها ليس لها خادم غيري أأستأذن عليها كلما دخلت قال
أتحب أن تراها عريانة قال الرجل لا قال فاستأذن لعلكم تذكرون أي أنزل
عليكم أو قيل لكم هذا إرادة أن تذكروا وتتعظوا وتعملوا بما أمرتم به في باب
الاستئذان ويحتمل فإن لم تجدوا فيها أحدا من الآذنين فلا تدخلوها
واصبروا حتى تجدوا من يأذن لكم ويحتمل فإن لم تجدوا فيها أحدا من أهلها
ولكم فيها حاجة فلا تدخلوها إلا بإذن أهلها وذلك أن الاستئذان لم يشرع
لئلا يطلع الدامر على عورة ولا تسبق عينه إلى ما لا يحل النظر إليه فقط وإنما
شرع لئلا يوقف على الأحوال التي يطويها الناس في العادة عن غيرهم ويتحفظون
من اطلاع أحد عليها ولأنه تصرف في ملك غيرك فلا بد أن يكون برضاه وإلا
أشبه الغصب والتغلب فارجعوا أي لا تلحوا في إطلاق الإذن ولا تلجوا
في تسهيل الحجاب ولا تقفوا على الأبواب منتظرين لأن هذا مما يجلب الكراهة
ويقدح في قلوب الناس خصوصا إذا كانوا ذوي مروءة ومرتاضين بالآداب
الحسنة وإذا نهي عن ذلك لأدائه إلى الكراهة وجب الانتهاء عن كل ما يؤدي
إليها من قرع الباب بعنف والتصييح بصاحب الدار وغير ذلك مما يدخل في

عادات من لم يتهذب من اكثر الناس وعن ابي عبيد رحمه الله ما قرعت بابا على
عالم قط ذكي بعثه سى اسبد راجعا وما نزل فيهما من قوله ان الذين ينادونك من
وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون فان قلت هل يصح ان يكون المعنى وان
لم يؤذن لكم وامرتم بالرجوع فامتثلوا ولا تدخلوا مع كراهتهم قلت بعد
ان جزم النهي عن الدخول مع فقد الاذن وحده من اهل الدار حاضرين
وغائبين لم يبق شبهة في كونه منهيا عنه مع انضمام الامر بالرجوع الى فقد
الاذن فان قلت فاذا عرض امر في دار من حريق او هجوم سارق
او ظهور منكر يجب انكاره قلت ذلك مستثنى بالدليل اي الرجوع اطيب
لكم واطهر لما فيه من سلامة الصدور والبعد عن الريبة او انفع وانمى خيرا
ثم اوعد المخاطبين بذلك بانه عالم بما يأتون وما يذرون مما خوطبوا به
فموف جزاءه عليه استثنى من البيوت التي يجب الاستئذان على داخلها ما ليس
بمسكون منها وذلك نحو الفنادق وهي الخانات والربط وحوانيت البياعين
والمتاع المنفعة كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الرجال والسلع والشراء
والبيع ويروى ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه قال يا رسول الله ان الله
قد انزل عليك اية في الاستئذان وانا نختلف في تجاراتنا فننزل هذه الخانات
افلا ندخلها الا باذن وقيل الخربات يتبرز فيها والمتاع التبرز علم ما
تبدون وما تكتمون وعيد للذين يدخلون الخربات والدور الخالية من
اهل الريبة من للتبعيض والمراد غض البصر عما يحرم والاقتصار به على
ما يحل وجوز الاخفش ان تكون مزيدة واباه سيبويه فان قلت كيف دخل
في غض البصر دون حفظ الفرج قلت دلالة على ان امر النظر اوسع
الا ترى ان المحارم لا بأس بالنظر الى شعورهن وصدورهن وثديهن
واعضادهن واسوقهن واقدامهن وكذلك الجواري المستعرضات
والاجنبية ينظر الى وجهها وكفيها وقدميها في احدى الروايتين واما امر
الفرج فمضيق وكفاك فرقا ان ابيح النظر الا ما استثني منه وحظر الجماع
الا ما استثني منه ويجوز ان يراد مع حفظها عن الافضاء الى ما لا يحل حفظها
عن الابداء وعن ابن زيد كل ما في القران من حفظ الفرج فهو
عن الزنا الا هذا فانه اراد به الاستتار ثم اخبر انه خبير باحوالهم وافعالهم
وكيف يجيلون ابصارهم وكيف يصنعون بسائر حواسهم وجوارحهم
فعليهم اذا عرفوا ذلك ان يكونوا منه على تقوى وحذر في كل حركة وسكون
النساء مأمورات ايضا بغض الابصار ولا يحل للمراة ان تنظر من الاجنبي الى
ما تحت سرته الى ركبته وان اشتهت غضت بصرها رأسا ولا تنظر من
المراة الا الى مثل ذلك وغضها بصرها من الاجانب اصلا اولى بها واحسن
ومنه حديث ابن ام مكتوم عن ام سلمة قالت كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وعنده
ميمونة فاقبل ابن ام مكتوم وذلك بعد ان امرنا بالحجاب فدخل علينا فقال
احتجبا فقلنا يا رسول الله اليس اعمى لا يبصرنا فقال افعمياوان انتما الستما
تبصرانه فان قلت لم قدم غض الابصار على حفظ الفروج قلت لان النظر

النظر

النظر بريد الزنا ورائد الفجور والبلوى فيه اشد واكثر ولا يكاد يقدر على
الاحتراس منه الزينة ما تزينت به المراة من حلي او كحل او خضاب فما كان
ظاهرا منها كالخاتم والفتخة والكحل والخضاب فلا بأس بابدائه للاجانب
وما خفي منها كالسوار والخلخال والدملج والقلادة والاكليل والوشاح
والقرط فلا تبديه الا لهؤلاء المذكورين وذكر الزينة دون مواقعها للمبالغة
في الامر بالتصون والتستر لان هذه الزين واقعة على مواضع من الجسد لا
يحل النظر اليها لغير هؤلاء وهي الذراع والساق والعضد والعنق والرأس
والصدر والاذن فنهى عن ابداء الزين نفسها ليعلم ان النظر اذا لم يحل اليها
لملابستها تلك المواقع بدليل ان النظر اليها غير ملابسة لها لا مقال في حله
كان النظر الى المواقع انفسها متمكنا في الحظر ثابت القدم في الحرمة شاهدا
على ان النساء حقهن ان يحتطن في سترها ويتقين الله في الكشف عنها
فان قلت ما تقول في القراميل هل يحل نظر هؤلاء اليها قلت نعم فان قلت
اليس موقعها الظهر ولا يحل لهم النظر الى ظهرها وبطنها وربما ورد الشعر
فوقعت القراميل على ما يحاذي ما تحت السرة قلت الامر كما قلت ولكن
امر القراميل خلاف امر سائر الحلي لانه لا يقع الا فوق اللباس ويجوز النظر
الى الثوب الواقع على الظهر والبطن للاجانب فضلا عن هؤلاء الا اذا كان
يصف لرقته فلا يحل النظر اليه فلا يحل النظر الى القراميل واقعة عليه فان
قلت ما المراد بموقع الزينة ذلك العضو كله ام المقدار الذي تلابسه
الزينة منه قلت الصحيح انه العضو كله كما فسرت مواقع الزينة الخفية
وكذلك مواقع الزينة الظاهرة الوجه موقع الكحل في عينيه والخضاب
بالوسمة في حاجبيه وشاربيه والغمرة في خديه والكف والقدم موقعا الخاتم
والفتخة والخضاب بالحناء فان قلت لم سومح مطلقا في الزينة الظاهرة
قلت لان سترها فيه حرج فان المراة لا تجد بدا من مزاولة الاشياء بيديها
ومن الحاجة الى كشف وجهها خصوصا في الشهادة والمحاكمة والنكاح
وتضطر الى المشي في الطرقات وظهور قدميها وخاصة الفقيرات منهن
وهذا معنى قوله سبحانه الا ما ظهر منها يعني الا ما جرت العادة والجبلة
على ظهوره والاصل فيه الظهور وانما سومح في الزينة الخفية اولئك المذكورون
لما كانوا مختصين به من الحاجة المضطرة الى مداخلتهم ومخالطتهم ولقلة توقع
الفتنة من جهاتهم ولما في الطباع من النفرة عن مماسة القرائب وتحتاج
المراة الى صحبتهم في الاسفار للنزول والركوب وغير ذلك كانت جيوبهن
واسعة تبدو منها نحورهن وصدورهن وما حواليها وكن يسدلن الخمر من
ورائهن فتبقى مكشوفة فامرن بان يسدلنها من قدامهن حتى يغطينها
ويجوز ان يراد بالجيوب الصدور تسمية بما يليها ويلابسها ومنه قولهم ناصح
الجيب وقولك ضربت بخمارها على جيبها كقولك ضربت بيدي على الحائط اذا
وضعتها عليه وعن عائشة رضي الله عنها ما رأيت نساء خيرا من نساء الانصار لما

مرّت بها الإماء فأمّت كل واحدة منهن إلى مرطها المرحّل فصدعت منه صدعة
فاختمرن فأصبحن كأن على رؤوسهن الغربان. وقرئ **جيوبهن** بكسر الجيم
لأجل الياء وكذلك بيوتا غير بيوتكم قبل. **نسائهن** هن المؤمنات لأنه
ليس للمؤمنة أن تتجرد بين يدي مشركة أو كتابية عن ابن عباس. والظاهر
أنه عنى بنسائهن **وما ملكت أيمانهن** من في صحبتهن وخدمتهن من الحرائر
والإماء والنساء كلهن سواء في حل نظر بعضهن إلى بعض. وقيل ما ملكت أيمانهن
هم الذكور والإناث جميعا. وعن عائشة رضي الله عنها أنها أباحت النظر
إليها لعبدها وقالت لذكوان إنك إذا وضعتني في القبر وخرجت فأنت حر.
وعن سعيد بن المسيب مثله ثم رجع وقال لا تغرنكم آية النور فإن المراد بها
الإماء. وهذا هو الصحيح لأن عبد المرأة بمنزلة الأجنبي عنها خصيا كان أو
فحلا. وعن ميسون بنت بحدل الكلابية أن معاوية دخل عليها ومعه خصي
فتقنعت منه فقال هو خصي فقالت يا معاوية أترى أن المثلة به تحلل ما حرم
الله. وعند أبي حنيفة رحمه الله لا يحل إمساك الخصيان واستخدامهم وبيعهم
وشراؤهم ولم ينقل عن أحد من السلف إمساكهم. فإن قلت روي أنه
أهدي لرسول الله صلى الله عليه وسلم خصي فقبله. قلت لا يقبل فيما تعم به البلوى
إلا حديث مكشوف وإن صح فلعله قبله ليعتقه أو لسبب من الأسباب.
الإربة الحاجة قيل هم الذين يتبعونكم ليصيبوا من فضل طعامكم ولا حاجة لهم
إلى النساء لأنهم بله لا يعرفون شيئا من أمرهن أو شيوخ صلحاء إذا كانوا معهن
غضوا أبصارهم أو بهم عنانة. وقرئ **غير** بالنصب على الاستثناء أو الحال والجر
على الوصفية. وضع الواحد موضع الجمع لأنه يفيد الجنس ويبين ما بعده
أنه يراد به الجمع ونحوه نخرجكم طفلا. **لم يظهروا** إما من ظهر على الشيء إذا اطلع
عليه أي لا يعرفون ما العورة ولا يميزون بينها وبين غيرها وإما من ظهر على
فلان إذا قوي عليه وظهر على القرآن أخذه وأطاقه أي لم يبلغوا أوان القدرة
على الوطء. وقرئ **عورات** وهي لغة هذيل. فإن قلت لم لم يذكر الله الأعمام
والأخوال. قلت سئل الشعبي عن ذلك فقال لئلا يصفها العم عند ابنه والخال
كذلك. ومعناه أن سائر القرابات تشترك الأب والابن في المحرمية إلا
العم والخال وأبناءهما فإذا رآها الأب فربما وصفها لابنه وليس بمحرم فيداني
تصوره لها بالوصف نظره إليها. وهذا أيضا من الدلالات البليغة على
وجوب الاحتياط عليهن في التستر. كانت المرأة تضرب الأرض برجلها
ليتقعقع خلخالها فيعلم أنها ذات خلخال وقيل كانت تضرب بإحدى رجليها
الأخرى ليعلم أنها ذات خلخالين. وإذا نهين عن إظهار صوت الحلي بعدما
نهين عن إظهار الحلي علم بذلك أن النهي عن إظهار مواضع الحلي أبلغ وأبلغ.
أوامر الله عز وجل ونواهيه في كل باب لا يكاد العبد الضعيف يقدر على مراعاتها
وإن ضبط نفسه واجتهد ولا يخلو من تقصير يقع منه فلذلك وصى المؤمنين
جميعا بالتوبة والاستغفار وبتأميل الفلاح إذا تابوا واستغفروا. وعن

ابن عباس توبوا مما كنتم تفعلونه في الجاهلية لعلكم تسعدون في الدنيا والآخرة.
فإن قلت قد صحت التوبة بالإسلام والإسلام يجب ما قبله فما معنى هذه التوبة.
قلت أراد بها ما يحكيه علماؤنا أن من أذنب ذنبا ثم تاب عنه يلزمه كلما
تذكره أن يجدد عنه التوبة لأنه يلزمه أن يستمر على ندمه وعزمه إلى أن يلقى ربه.
وقرئ **أيه المؤمنون** بضم الهاء ووجهه أنها كانت مفتوحة لوقوعها قبل
الألف فلما سقطت الألف لالتقاء الساكنين أتبعت حركتها حركة ما قبلها.
الأيامى واليتامى أصلهما أيايم ويتايم فقلبا. والأيم للرجل والمرأة وقد آم
وآمت وتأيما إذا لم يتزوجا بكرين كانا أو ثيبين قال: فإن تنكحي أنكح وإن تتأيمي
وإن كنت أفتى منكم أتأيم. وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم إنا نعوذ بك من
من العيمة والغيمة والأيمة والكرم والقرم. والمراد **أنكحوا** من تأيم **منكم** من
الأحرار والحرائر ومن كان فيه صلاح من غلمانكم وجواريكم. وقرئ من عبيدكم.
وهذا الأمر للندب لما علم من أن النكاح أمر مندوب إليه وقد يكون للوجوب
في حق الأولياء عند طلب المرأة ذلك. وعند أصحاب الظواهر النكاح واجب. ومما
يدل على كونه مندوبا إليه قوله عليه السلام من أحب فطرتي فليستن بسنتي وهي النكاح.
وعنه عليه السلام من كان له ما يتزوج به فلم يتزوج فليس منا. وعنه عليه السلام إذا تزوج أحدكم
عج شيطانه يا ويله عصم ابن آدم مني ثلثي دينه. وعنه عليه السلام يا عياض لا تزوجن عجوزا
ولا عاقرا فإني مكاثر. والأحاديث فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والآثار كثيرة. وربما كان
واجب الترك إذا أدى إلى معصية أو مفسدة. وعن النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتى على أمتي
مائة وثمانون سنة فقد حلت لهم العزبة والعزلة والترهب على رؤوس الجبال.
وفي الحديث يأتي على الناس زمان لا تنال المعيشة فيه إلا بالمعصية فإذا كان
ذلك الزمان حلت العزوبة. فإن قلت لم خص **الصالحين**. قلت ليحصن
دينهم ويحفظ عليهم صلاحهم ولأن الصالحين من الأرقاء هم الذين مواليهم
يشفقون عليهم وينزلونهم منزلة الأولاد في الأثرة والمودة فكانوا مظنة للتوصية
بشأنهم والاهتمام بهم وتقبل الوصية فيهم وأما المفسدون منهم فحالهم
عند مواليهم على عكس ذلك. أو أريد بالصلاح القيام بحقوق النكاح. ينبغي أن
تكون شريطة الله غير منسية في هذا الموعد ونظائره وهي مشيئته.
ولا يشاء الحكيم إلا ما اقتضته الحكمة وما كان مصلحة. ونحوه ومن يتق
الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب. وقد جاءت الشريطة منصوصة
في قوله وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء إن الله عليم حكيم.
ومن لم ينس هذه الشريطة لم ينتصب معترضا بعزب كان غنيا فأفقره
النكاح وبفاسق تاب واتقى الله وكان له شيء ففني وأصبح مسكينا. وعن النبي
صلى الله عليه وسلم التمسوا الرزق بالنكاح وشكا إليه رجل الحاجة فقال عليك
بالباءة. وعن عمر رضي الله عنه عجب لمن لا يطلب الغنى بالباءة. ولقد كان عندنا
رجل رازح الحال ثم رأيته بعد سنين وقد انتعشت حاله وحسنت فسألته
فقال كنت في أول عمري على ما علمت وذلك قبل أن أرزق ولدا فلما رزقت بكر ولدي
تراخيت عن الفقر فلما ولد الثاني زدت خيرا فلما تتاموا ثلاثة صب الله علي

الخير صبا فاصبحت الى ما ترى **والله واسع** اى غنى ذو سعة لا يرزؤه
اغنا الخلائق ولكنه **عليم** يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر **وليستعفف**
وليجتهد فى العفة وظلف النفس كأن المستعفف طالب من نفسه العفاف
وحاملها عليه **الذين لا يجدون نكاحا** اى استطاعة تزوج ويجوز ان يراد
بالنكاح ما ينكح به من المال **حتى يغنيهم الله** ترجية للمستعففين وتقدمة
وعد بالتفضل عليهم بالغنى ليكون انتظار ذلك وتأميله لطفا لهم فى
استعفافهم وربطا على قلوبهم وليظهر بذلك ان فضله اولى بالاعفاء
وادنى من الصلحاء وما احسن ما رتب هذه الاوامر حيث امر اولا بما يعصم
من الفتنة ويبعد عن مواقعة المعصية وهو غض البصر ثم بالنكاح
الذى يحصن به الدين ويقع به الاستغناء بالحلال عن الحرام ثم بالحمل على
النفس الامارة بالسوء وعزفها عن الطموح الى الشهوة عند العجز عن النكاح
الى ان يرزق القدرة عليه **والذين يبتغون** مرفوع على الابتداء او منصوب
بفعل مضمر يفسره **فكاتبوهم** كقولك زيدا فاضربه ودخلت الفاء لتضمن معنى
الشرط **والكتاب** والمكاتبة كالعتاب والمعاتبة وهو ان يقول الرجل
لمملوكه كاتبتك على الف درهم فان اداها عتق ومعناه كتبت لك على نفسى
ان تعتق منى اذا وفيت بالمال وكتبت لى على نفسك ان تفى بذلك او كتبت عليك
الوفاء بالمال وكتبت على العتق ويجوز عند ابى حنيفة حالا او مؤجلا ومنجما
وغير منجم لان الله عز وجل لم يذكر التنجيم وقياسا على سائر العقود وعند
الشافعى لا يجوز الا مؤجلا منجما ولا يجوز عنده بنجم واحد لان العبد لا يملك
شيئا فعقده حالا منع من حصول الغرض لانه لا يقدر على اداء البدل عاجلا
ويجوز عقده على مال قليل وكثير وعلى خدمة فى مدة معلومة وعلى عمل معلوم
موقت مثل حفر بئر فى مكان بعينه معلومة الطول والعرض وبناء دار قد
اراه اجرها وجصها وما يبنى به وان كاتبه على قيمته لم يجز فان اداها
عتق وان كاتبه على وصيف جاز لقلة الجهالة ووجب الوسط وليس له
ان يطأ المكاتبة واذا ادى عتق وكان ولاؤه لمولاه لانه جاد عليه بالكسب
الذى هو فى الاصل له وهذا الامر للندب عند عامة العلماء وعن الحسن
ليس ذلك بعزم ان شاء كاتب وان شاء لم يكاتب وعن عمر رضى الله عنه هى
عزمة من عزمات الله وعن ابن سيرين مثله وهو مذهب داود **خيرا**
قدرة على اداء ما يفارقون عليه وقيل امانة وتكسبا وعن سلمان رضى الله عنه
ان مملوكا له ابتغى ان يكاتبه فقال اعندك مال قال لا قال افتأمرنى ان اكل
غسالة ايدى الناس **وآتوهم** امر للمسلمين على وجه الوجوب باعانة المكاتبين
واعطائهم سهمهم الذى جعل الله لهم من بيت المال كقوله وفى الرقاب عند ابى
حنيفة واصحابه فان قلت هل يحل لمولاه اذا كان غنيا ان يأخذ ما تصدق
به عليه قلت نعم وكذلك اذا لم تف الصدقة بجميع البدل وعجز عن اداء الباقى
طاب للمولى بان يأخذه لانه لم يأخذه بسبب الصدقة ولكن بسبب عقد الكتابة

كمن اشترى الصدقة من الفقير او ورثها او وهبت له ومنه قوله عليه السلام فى حديث
بريرة هو لها صدقة ولنا هدية وعند الشافعى هو ايجاب على الموالى ان
يحطوا عنهم لهم من مال الكتابة وان لم يفعلوا اجبروا وعن على رضى الله عنه
يحط له الربع وعن ابن عباس رضى الله عنه يرضخ له من كتابته شيئا وعن عمر
رضى الله عنه انه كاتب عبدا له يكنى ابا امية وهو اول عبد كوتب فى الاسلام
فاتاه باول نجم فدفعه اليه عمر وقال استعن به على مكاتبتك فقال لو اخرته الى
اخر نجم فقال اخاف ان لا ادرك ذلك وهذا عند ابى حنيفة على وجه الندب
وقال انه عقد معاوضة فلا يجبر على الحطيطة كالبيع وقيل معنى وآتوهم
اسلفوهم وقيل انفقوا عليهم بعد ان يؤدوا ويعتقوا وهذا كله مستحب
وروى انه كان لحويطب بن عبد العزى مملوك يقال له الصبيح سأل مولاه ان
يكاتبه فابى فنزلت كانت اماء الجاهلية يساعين على مواليهن وكان
لعبد الله بن ابى رأس النفاق ست جوار معاذة ومسيكة واميمة وعمرة
واروى وقتيلة يكرههن على البغاء وضرب عليهن ضرائب فشكت ثنتان منهن
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت ويكنى بالفتى والفتاة عن العبد والامة وفى الحديث
ليقل احدكم فتاى وفتاتى ولا يقل عبدى وامتى **والبغاء** مصدر البغى فان قيل
لم اقحم قوله **ان اردن تحصنا** قلت لان الاكراه لا يتأتى الا مع ارادة التحصن وامر
المطيعة المواتية للبغاء لا يسمى مكرها ولا امره اكراها وكلمة ان وايثارها
على اذا ايذان بان المساعيات كن يفعلن ذلك برغبة وطواعية منهن وان
ما وجد من معاذة ومسيكة من حيز الشاذ النادر **غفور رحيم** لهن او لهم
او لهما ولهن ان تابوا واصلحوا وفى قراءة ابن عباس لهن غفور رحيم فان قلت
لا حاجة الى تعليق المغفرة بهن لان المكرهة على الزنا بخلاف المكره عليه فى
انها غير اثمة قلت لعل الاكراه كان دون ما اعتبرته الشريعة من اكراه
بقتل او بما يخاف منه التلف او ذهاب العضو من ضرب عنيف او غيره حتى
تسلم من الاثم وربما قصرت عن الحد الذى تعذر فيه فتكون اثمة **مبينات** هى
الايات التى بينت فى هذه السورة واوضحت فى معانى الاحكام والحدود ويجوز
ان يكون الاصل مبينا فيها فاتسع فى الظرف وبالكسر اى بينت هى الاحكام
والحدود جعل الفعل لها على المجاز او من بين بمعنى تبين ومنه المثل قد بين
الصبح لذى عينين **ومثلا من** امثال من **قبلكم** اى قصة عجيبة من قصصهم
كقصة يوسف ومريم يعنى قصة عائشة رضى الله عنها **وموعظة** ما وعظ به فى
الايات والمثل من نحو قوله تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله لولا اذ سمعتموه
ولولا اذ سمعتموه يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا نظير قوله تعالى **الله نور السموات**
مع قوله مثل نوره ويهدى الله لنوره زيد كرم وجود ثم تقول ينعش الناس بكرمه
وجوده والمعنى ذو نور السموات وصاحب نور السموات ونور السموات والارض
الحق شبهه بالنور فى ظهوره وبيانه كقوله الله ولى الذين امنوا يخرجهم من الظلمات
الى النور اى من الباطل الى الحق واضاف النور الى السموات والارض لاحد معنيين

اما للدلالة على سعة اشراقه وفشو اضاءته حتى يضيء له السموات والارض واما
ان يراد اهل السموات والارض وانهم يستضيئون به **مثل نوره** اي صفة
نوره العجيبة الشان في الاضاءة **كمشكاة** كصفة مشكاة وهي الكوة
في الجدار غير النافذة **فيها مصباح** سراج ضخم ثاقب **في زجاجة** اراد قنديلا
من زجاج شامي ازهر شبهه في زهرته باحد الدراري من الكواكب وهي
المشاهير كالمشتري والزهرة والمريخ وسهيل ونحوها **يوقد** هذا المصباح
من شجرة اي ابتدا ثقوبه من شجرة الزيتون يعني رويت ذبالته بزيتها **مباركة**
كثيرة المنافع او لانها تنبت في الارض التي بارك فيها للعالمين وقيل بارك
فيها سبعون نبيا منهم ابرهيم عليه السلام وعن النبي صلى الله عليه وسلم عليكم بهذه الشجرة
زيت الزيتون فتداووا به فانه مصحة من الباسور **لا شرقية ولا غربية** اي
منبتها الشام واجود الزيتون زيتون الشام وقيل لا في مضحى ولا في مقناة
ولكن الشمس والظل يتعاقبان عليها وذلك اجود لحملها واصفى لدهنها
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا خير في شجرة في مقناة ولا نبات في مقناة ولا خير فيهما
في مضحى وقيل ليست مما تطلع عليه الشمس في وقت شروقها او غروبها فقط
بل تصيبها بالغداة والعشي جميعا فهي شرقية وغربية ثم وصف زيتها بالصفا
والوبيص وانه لتلالؤه **يكاد يضيء** من غير نار **نور على نور** اي هذا الذي
شبهت به الحق نور متضاعف قد تناصر فيه المشكاة والزجاجة والمصباح
والزيت حتى لم يبق مما يقوي به النور ويزيد اشراقا ويمده باضاءة بقية
وذلك ان المصباح اذا كان في مكان متضايق كالمشكاة كان اضوأ له واجمع
لنوره بخلاف المكان الواسع فان الضوء ينبث فيه وينتشر والقنديل اعون
شيء على زيادة الانارة وكذلك الزيت وصفاؤه **يهدي الله** لهذا النور
من يشاء من عباده اي يوفق لاصابة الحق من نظر وتدبر بعين عقله والانصاف
من نفسه ولم يذهب عن الجادة الموصلة اليه يمينا ولا شمالا ومن لم يتدبر فهو
كالاعمى الذي سواء عليه جنح الليل الدامس وضحوة النهار الشامس وعن
علي رضي الله عنه الله نور السموات والارض اي نشر فيها الحق وبثه
فاضاءت بنوره او نور قلوب اهلها به وعن ابي بن كعب مثل نور من آمن به
وقرئ زجاجة الزجاجة بالفتح والكسر ودري منسوب الى الدر اي
ابيض متلالئ ودريء يدرأ الظلام بضوئه ودريء كمريق ودريء
ودري كالسكينة عن ابي زيد وتوقد بمعنى تتوقد والفعل للزجاجة
ويوقد وتوقد بالتخفيف ويوقد بالتشديد ويوقد بفتح اليا وحذف التا لاجتماع
حرفين زائدين وهو غريب ويمسسه باليا لان التانيث ليس بحقيقي والضمير
فاصل **في بيوت** يتعلق بما قبله اي كمشكاة في بعض بيوت الله وهي
المساجد كانه قيل مثل نوره كما يرى في المسجد نور المشكاة التي من صفتها كيت
وكيت او بما بعده وهو **يسبح** اي يسبح له رجال في بيوت وفيها تكرير كقولك زيد

في الدار

في الدار جالس فيها او بمحذوف كقوله في تسع آيات اي سبحوا في بيوت والمراد بالاذن
الامر ورفعها بناؤها كقوله بناها رفع سمكها فسواها واذ يرفع ابرهيم
القواعد وعن ابن عباس هي المساجد امر الله ان تبنى او تعظيمها والرفع
من قدرها وعن الحسن ما امر الله ان ترفع بالبناء ولكن بالتعظيم **ويذكر فيها اسمه**
اوفق له وهو عام في كل ذكر وعن ابن عباس وان يتلى فيها كتابه وقرئ **يسبح**
على البناء للمفعول ويسند الى احد الظروف الثلثة اعني **له فيها بالغدو** **ورجال**
مرفوع بما دل عليه يسبح وهو يسبح له وتسبح بالتا وكسر البا وعن ابي جعفر
بالتا وفتح البا ووجهها ان يسند الى اوقات الغدو والاصال على زيادة البا
وتجعل الاوقات مسبحة والمراد بها كصيد عليه يومان والمراد وحشها **و**
الاصال جمع اصل وهو العشي والمعنى باوقات الغدو اي بالغدوات
وقرئ والايصال وهو الدخول في الاصيل يقال آصل كاظهر واعتم التجارة صناعة
التاجر وهو الذي يبيع ويشتري للربح فاما ان يريد لا يشغلهم نوع من هذه
الصناعة ثم خص البيع لانه ادخل في الالهاء من قبل ان التاجر اذا اتجهت له
بيعة رابحة وهي طلبته الكلية من صناعته الهته ما لا يلهيه شراء شيء يتوقع
فيه الربح في الوقت الثاني لان هذا يقين وذاك مظنون واما ان يسمي الشراء
تجارة اطلاقا لاسم الجنس على النوع كما تقول رزق فلان تجارة رابحة اذا اتجه له
بيع صالح او شراء وقيل التجارة لاهل الجلب تجر فلان في كذا اذا جلبه التا
في اقامة عوض من العين الساقطة للاعلال والاصل اقوام فلما اضيفت
اقيمت الاضافة مقام حرف التعويض فاسقطت ونحوه واخلفوك
عد الامر الذي وعدوا وتتقلب القلوب والابصار اما ان تتقلب وتتغير في
انفسها وهو ان تضطرب من الهول والفزع وتشخص كقوله واذ زاغت الابصار
وبلغت القلوب الحناجر واما ان تتقلب احوالها وتتغير فتفقه القلوب بعد
ان كانت مطبوعا عليها لا تفقه وتبصر الابصار بعد ان كانت عميا لا تبصر **احسن**
ما عملوا اي احسن جزاء اعمالهم كقوله للذين احسنوا الحسنى والمعنى يسبحون
ويخافون **ليجزيهم** ثوابا مضاعفا **ويزيدهم** على الثواب تفضلا وكذلك معنى
قوله الحسنى وزيادة المثوبة الحسنى وزيادة عليها من التفضل وعطاء الله عز وجل
اما تفضل واما ثواب واما عوض **والله يرزق** ما يتفضل به **بغير حساب**
واما الثواب فله حساب لكونه على حسب الاستحقاق السراب ما يرى في
الفلاة من ضوء الشمس وقت الظهيرة يسرب على وجه الارض كانه ماء يجري
والقيعة بمعنى القاع او جمع قاع وهو المنبسط المستوي من الارض كجيرة في جار
وقرئ بقيعات بتاء مطوله كديمات وقيمات في ديمة وقيمة وقد جعل بعضهم
بقيعاة بتاء مدورة كرجل عزهاة شبه ما يعمله من لا يعتقد الايمان ولا يتبع
الحق من الاعمال الصالحة التي يحسبها تنفعه عند الله وتنجيه من عذابه ثم تخيب
في العاقبة امله ويلقى خلاف ما قدر بسراب يراه الكافر بالساهرة وقد غلبه
عطش يوم القيمة فيحسبه ماء فياتيه فلا يجد ما رجاه ويجد زبانية الله **عنده** ياخذونه

يعتلونه الى جهنم فيسقونه الحميم والغساق وهم الذين قال الله عز وجل فيهم عاملة
ناصبة ويحسبون انهم يحسنون صنعا وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هبا
منثورا وقيل نزلت في عتبة بن ربيعة بن امية قد كان تعبد ولبس المسوح والتمس
الدين في الجاهلية ثم كفر في الاسلام اللجي العميق الكثير الما منسوب الى
اللج وهو معظم ماء البحر وفي اخرج ضمير الواقع فيه لم يكد يراها مبالغة في
لم يرها اي لم يقرب ان يراها فضلا عن ان يراها ومثله قول ذي الرمة ٥
اذا غير النأي المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح ٥ اي لم يقرب
من البراح فما باله يبرح شبه اعمالهم اولا في فوات نفعها وحصول ضررها
بسراب لم يجد من خدعه من بعيد شيا ولم يكفه خيبة وكمدا ان لم يجد شيا
كغيره من السراب حتى وجد عنده الزبانية تعتله الى النار ولا اسعل ظماه
بالما وشبهها ثانيا في ظلمتها وسوادها لكونها باطلة وفي خلوها عن نور
الحق بظلمات متراكمة من لج البحر والامواج والسحاب ثم قال ومن لم يوله نور
توفيقه وعصمته ولطفه فهو في ظلمة الباطل لا نور له وهذا الكلام مجراه مجرى
الكنايات لان الالطاف انما ترد في الايمان والعمل او كونهما مترقبين الا ترى
الى قوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقوله ويضل الله الظالمين وقرى
سحاب ظلمات على الاضافة وسحاب ظلمات برفع سحاب وتنوينه وجر
ظلمات بدلا من ظلمات الاولى صافات يصففن اجنحتهن في الهواء والضمير
في علم لكل او لله وكذلك في صلاته وتسبيحه والصلاة الدعاء ولا يبعد
ان يلهم الله الطير دعاه وتسبيحه كما الهمها سائر العلوم الدقيقة التي لا
يكاد العقلاء يهتدون اليها يزجي يسوق ومنه البضاعة المزجاة
التي يزجيها كل احد والسحاب يكون واحدا كالعماء وجمعا كالرباب ومعنى
تاليف الواحد انه يكون قزعا فيضم بعضه الى بعض وجاز بينه وهو واحد
لان المعنى بين اجزائه كما قيل في قوله ٥ بين الدخول فحومل ٥ والركام
المتراكم بعضه فوق بعض والودق المطر من خلاله من فتوقه
فتوقه ومخارجه جمع خلل كجبال في جبل وقرى من خلله وينزل بالتشديد
ويكاد سنا على الادغام وبرقه جمع برقة وهي المقدار من البرق كالغرفة
واللقمة وبرقه بضمتين للاتباع كما قيل في جمع فعلة فعلات كظلمات وسنا
برقه على المد المقصور بمعنى الضوء والممدود بمعنى العلو والارتفاع من قولك
سني للمرتفع ويذهب بالابصار على زيادة الباء كقوله ولا تلقوا بايديكم
عن ابي جعفر المدني وهذا من تعديد الدلائل على ربوبيته وظهور امره حيث
ذكر تسبيح من في السموات والارض وكل ما يطير بين السماء والارض ودعاءهم
له وابتهالهم اليه وانه سخر السحاب التسخير الذي وصفه وما يحدث فيه من
افعاله حتى ينزل المطر منه وانه يقسم رحمته بين خلقه ويقبضها ويبسطها
على ما تقتضيه حكمته ويريهم البرق في السحاب الذي يكاد يخطف

ابصارهم ليعتبروا ويحذروا ويعاقب بين الليل والنهار ويخالف بينهما بالطول
والقصر وما هذه الا براهين في غاية الوضوح على وجوده وثباته ودلائل منادية
على صفاته لمن نظر وفكر وتبصر وتدبر فان قلت متى راى رسول الله صلى الله عليه وسلم
تسبيح من في السموات ودعاءهم وتسبيح الطير ودعاءه وتنزيل المطر من جبال برد
في السماء حتى قال له الم تر قلت علمه من جهة اخبار الله اياه بذلك على طريق
الوحي فان قلت ما الفرق بين من الاولى والثانية والثالثة في قوله من
السماء من جبال فيها من برد قلت الاولى لابتداء الغاية والثانية للتبعيض
والثالثة للبيان او الاوليان للابتداء والاخرة للتبعيض ومعناه انه ينزل البرد
من السماء من جبال فيها وعلى الاول مفعول ينزل من جبال فان قلت ما
معنى من جبال فيها من برد قلت فيه معنيان احدهما ان يخلق الله في السماء جبال
برد كما خلق في الارض جبال حجر والثاني ان يريد الكثرة بذكر الجبال كما يقال فلان
يملك جبالا من ذهب وقرى خالق كل دابة ولما كان اسم الدابة موقعا على المميز
وغير المميز غلب المميز فاعطي ما وراءه حكمه كان الدواب كلهم مميزون فمن
ثم قيل فمنهم وقيل من يمشي في الماشي على بطن والماشي على اربع قوائم فان قلت
لم نكر الماء في قوله من ماء قلت لان المعنى انه خلق كل دابة من نوع من الماء
مختص بتلك الدابة او خلقها من ماء مخصوص وهو النطفة ثم خالف بين المخلوقات
من النطفة فمنها هوام ومنها بهائم ومنها ناس ونحوه قوله يسقى بماء واحد ونفضل
بعضها على بعض في الاكل فان قلت فما باله معرفا في قوله وجعلنا من الماء
كل شيء حي قلت قصد ثم معنى اخر وهو ان اجناس الحيوان كلها مخلوقة من
هذا الجنس الذي هو جنس الماء وذلك انه هو الاصل وان تخللت بينه وبينها وسائط
قالوا خلق الملائكة من ريح خلقها من الماء والجن من نار خلقها منه وادم من تراب
خلقه منه فان قلت لم جاءت الاجناس الثلاثة على هذا الترتيب قلت قدم
ما هو اعرق في القدرة وهو الماشي بغير الة مشي من ارجل او قوائم ثم الماشي على
رجلين ثم الماشي على اربع فان قلت لم سمي الزحف على البطن مشيا قلت على سبيل
الاستعارة كما قالوا في الامر المستمر قد مشى هذا الامر ويقال فلان لا يتمشى له امر
ونحوه استعارة الشفة مكان الجحفلة والمشفر مكان الشفة ونحو ذلك او
على طريق المشاكلة لذكر الزاحف مع الماشين وما اولئك بالمؤمنين اشارة الى
القائلين امنا واطعنا او الى الفريق المتولي منهم فمعناه على الاول اعلام من الله
بان جميعهم منتف عنهم الايمان لا الفريق المتولي وحده وعلى الثاني اعلام بان الفريق
المتولي لم يكن ما سبق لهم من الايمان ايمانا انما كان ادعاء باللسان من
غير مواطاة القلب لانه لو كان صادرا عن صحة معتقد وطمانينة نفس لم يتعقبه
التولي والاعراض والتعريف في قوله بالمؤمنين دلالة على انهم ليسوا بالمؤمنين
الذين عرفت وهم الثابتون المستقيمون على الايمان الموصوفون في قوله تعالى
انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا معنى الى الله ورسوله الى
رسول الله كقولك اعجبني زيد وكرمه تريد كرم زيد ومنه قوله ٥ غلسته

قيل القطا وفرطه ٥ اراد قبل فرط القطا روى انها نزلت في بشر المنافق وخصمه
اليهودي حين اختصما في ارض فجعل اليهودي يجره الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمنافق يجره الى كعب بن الاشرف ويقول ان محمدا يحيف علينا وروى ان
المغيرة بن وائل كان بينه وبين علي بن ابي طالب رضي الله عنه خصومة في ما
وارض فقال المغيرة اما محمد فلست اتيه ولا احاكم اليه فانه يبغضني
واخاف ان يحيف علي الى صلة ياتوا لان اتى وجاء قد جاء معديين بالى او
متصل بمذعنين لانه في معنى مسرعين في الطاعة وهذا احسن لتقدم صلته
ودلالته على الاختصاص والمعنى انهم لمعرفتهم انه ليس معك الا الحق المر
والعدل البحت يزورون عن المحاكمة اليك اذا ركبهم الحق لئلا تنتزعه من
من احداقهم بقضائك عليهم لخصومهم وان ثبت لهم الحق على خصم
اسرعوا اليك ولم يرضوا الا بحكومتك لتاخذ لهم ما ذاب في ذمة الخصم
ثم قسم الامر في صدودهم عن حكومته اذا كان الحق عليهم بين ان يكونوا
مرضى القلوب منافقين او مرتابين في امر نبوته او خائفين الحيف في قضائه
ثم ابطل خوفهم حيفه بقوله بل اولئك هم الظالمون اي لا يخافون ان يحيف
عليهم لمعرفتهم بحاله وانما هم ظالمون يريدون ان يظلموا من له الحق عليهم ويتم
لهم جحوده وذلك شيء لا يستطيعونه في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن ثم
يابون المحاكمة اليه وعن الحسن قول المؤمنين بالرفع والنصب اقوى لان
اولى الاسمين بكونه اسما لكان اوغلهما في التعريف وان يقولوا اوغل لانه لا
سبيل عليه للتنكير بخلاف قول المؤمنين وكان هذا من قبيل كان في قوله ما
كان لله ان يتخذ من ولد ما يكون لنا ان نتكلم بهذا وقرى ليحكم على البناء للمفعول
فان قلت الام اسند ليحكم ولا بد له من فاعل قلت هو مسند الى مصدره
لان معناه ليفعل الحكم بينهم ومثله جمع بينهما والف بينهما ومثله لقد تقطع بينكم
فيمن قرا بينكم منصوبا اي وقع التقطع بينكم وهذه العبارة مجاوبة لقوله
دعوا وقرى ويتقه بكسر القاف والهاء مع الوصل وبغير وصل وبسكون الهاء
وبسكون القاف وكسر الهاء شبه تقه بكتف فخفف كقوله قالت سليمى اشتر لنا
سويقا ٥ ولقد جمع الله سبحانه في هذه الاية اسباب الفوز وعن ابن عباس رضي الله عنه
في تفسيرها ومن يطع الله في فرائضه ورسوله في سننه ويخش الله على ما
مضى من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل وعن بعض الملوك انه سال عن اية كافية
فتليت له هذه الاية جهد ايمانهم مستعار من جهد نفسه اذا بلغ اقصى وسعها
وذلك اذا بالغ في اليمين وبلغ غاية شدتها ووكادتها وعن ابن عباس رضي الله عنه
من قال بالله فقد جهد يمينه واصل اقسم جهد اليمين اقسم يجهد اليمين جهدا
فحذف الفعل وقدم المصدر فوضع موضعه مضافا الى المفعول كقوله
فضرب الرقاب وحكم هذا المنصوب حكم الحال كانه قال جاهدين ايمانهم
وطاعة معروفة خبر مبتدا محذوف او مبتدا محذوف الخبر اي امركم والذي
يطلب منكم طاعة معروفة معلومة لا يشك فيها ولا يرتاب كطاعة الخلص

من المؤمنين الذين طابق باطنهم ظاهرهم لا ايمان تقسمون بها بافواهكم
وقلوبكم على خلافها او طاعتكم طاعة معروفة بانها بالقول دون الفعل او
طاعة معروفة امثل واولى بكم من هذه الايمان الكاذبة وقرا اليزيدي
طاعة معروفة بالنصب على معنى اطيعوا الطاعة ان الله خبير يعلم ما في ضمائركم
ولا يخفى عليه شيء من سرائركم وانه فاضحكم لا محالة ومجازيكم على نفاقكم صرف
الكلام من الغيبة الى الخطاب على طريقة الالتفات وهو ابلغ في تبكيتهم يريد
فان تولوا فما ضررتموه وانما ضررتم انفسكم فان الرسول ليس عليه الا ما
حمله الله وكلفه من اداء الرسالة فاذا ادى فقد خرج عن عهدة تكليفه واما
انتم فعليكم ما كلفتم من التلقي بالقبول والاذعان فان لم تفعلوا وتوليتم فقد عرضتم
نفوسكم لسخط الله وعذابه وان اطعتموه فقد احرزتم نصيبكم من الخروج عن
الضلالة الى الهدى فالنفع والضرر عائدان اليكم وما الرسول الا ناصح وهاد
وما عليه الا ان يبلغ ماله نفع في قبولكم ولا عليه ضرر في توليكم والبلاغ بمعنى
التبليغ كالاداء بمعنى التادية ومعنى المبين كونه مقرونا بالايات والمعجزات
الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن معه ومنكم للبيان كالتي في اخر سورة
الفتح وعدهم الله سبحانه ان ينصر الاسلام على الكفر ويورثهم الارض ويجعلهم
فيها خلفاء كما فعل ببني اسرائيل حين اورثهم مصر والشام بعد اهلاك الجبابرة
وان يمكن الدين المرتضى وهو دين الاسلام وتمكينه تثبيته وتوطيده
وان يؤمن سربهم ويزيل عنهم الخوف الذي كانوا عليه وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ولما هاجروا كانوا بالمدينة
يصبحون في السلاح ويمسون فيه حتى قال رجل ما ياتي علينا يوم نامن فيه
ونضع السلاح فقال عليه السلام لا تغبرون الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملا
العظيم محتبيا ليس فيه حديدة فانجز الله وعده واظهرهم على جزيرة العرب
وافتتحوا بعد بلاد المشرق والمغرب ومزقوا ملك الاكاسرة وملكوا
خزائنهم واستولوا على الدنيا ثم خرج الذين على خلاف سيرتهم فكفروا بتلك
الانعم وفسقوا وذلك قوله عليه السلام الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم يملك الله من يشاء
فتصير ملكا ثم تصير بزيزى قطع سبيل وسفك دماء واخذ اموال بغير حقها
وقرى كما استخلف على البناء للمفعول وليبدلنهم بالتشديد فان قلت اين
القسم المتلقى باللام والنون في ليستخلفنهم قلت هو محذوف تقديره وعدهم
الله واقسم ليستخلفنهم او نزل وعد الله في تحققه منزلة القسم فتلقى بما يتلقى
به القسم كانه قيل اقسم الله ليستخلفنهم فان قلت ما محل يعبدونني قلت
ان جعلته استئنافا لم يكن له محل كان قائلا قال ما لهم يستخلفون ويؤمنون
فقال يعبدونني وان جعلته حالا عن وعدهم اي وعدهم الله ذلك في حال
عبادتهم واخلاصهم فمحله النصب ومن كفر يريد كفران النعمة كقوله فكفرت
بانعم الله فاولئك هم الفاسقون اي هم الكاملون في فسقهم حيث كفروا
تلك النعمة العظيمة وجسروا على غمطها فان قلت هل في هذه الاية دليل على امر

الخلفاء الراشدين قلت اوضح دليل وابينه لان المستخلفين الذين امنوا وعملوا
الصالحات هم هم واقيموا الصلاة معطوف على اطيعوا الله واطيعوا الرسول
وليس ببعيد ان يقع بين المعطوف والمعطوف عليه فاصل وان طال لان حق
المعطوف ان يكون غير المعطوف عليه وكررت طاعة الرسول تاكيدا لوجوبها
وقرئ لا يحسبن بالياء وفيه اوجه ان يكون معجزين في الارض هما المفعولان
والمعنى لا يحسبن الذين كفروا احدا يعجز الله في الارض حتى يطمعوا هم
في مثل ذلك وهذا معنى قوي جيد وان يكون فيه ضمير الرسول لتقدم ذكره في
قوله واطيعوا الرسول وان يكون الاصل لا يحسبنهم الذين كفروا معجزين
في الارض ثم حذف الضمير الذي هو المفعول الاول وكان الذي سوغ ذلك
ان الفاعل والمفعولين لما كانت لشيء واحد اقتنع بذكر اثنين عن ذكر الثالث
وعطف قوله وماواهم النار على لا يحسبن الذين كفروا معجزين كانه قيل الذين
كفروا لا يفوتون الله وماواهم النار والمراد بهم المقسمون جهد ايمانهم امر
بان يستاذن العبيد وقيل العبيد والاماء والاطفال الذين لم يحتلموا من الاحرار
ثلاث مرات في اليوم والليلة قبل صلاة الفجر لانه وقت القيام من المضاجع وطرح
ما ينام فيه من الثياب ولبس ثياب اليقظة وبالظهيرة لانها وقت وضع
الثياب للقائلة وبعد صلاة العشاء لانه وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف
بثياب النوم وسمى كل واحدة من الاحوال عورة لان الناس يختل تسترهم وتحفظهم
فيها والعورة الخلل ومنها اعور الفارس واعور المكان والاعور المختل
العين ثم عذرهم في ترك الاستئذان وراء هذه المرات وبين وجه العذر في قوله
طوافون عليكم يعني ان بكم وبهم حاجة الى المخالطة والمداخلة يطوفون
عليكم للخدمة وتطوفون عليهم للاستخدام فلو جزم الامر بالاستئذان في كل وقت
لادى الى الحرج روى ان مدلج بن عمرو وكان غلاما انصاريا ارسله رسول الله صلعم
وقت الظهر الى عمر رضي الله عنه ليدعوه فدخل عليه وهو نائم وقد انكشف عنه
ثوبه فقال عمر لوددت ان الله عز وجل نهى اباءنا وابناءنا وخدمنا ان لا يدخلوا
علينا هذه الساعات الا باذن ثم انطلق معه الى النبي صلعم فوجده وقد
انزلت هذه الاية وهي احدى الايات المنزلة بسبب عمر وقيل نزلت في اسماء بنت
ابي مرثد قالت انا لندخل على الرجل والمراة ولعلهما يكونان في لحاف واحد
وقيل دخل عليها غلام لها كبير في وقت كرهت دخوله فاتت رسول الله صلعم
فقالت ان خدمنا وغلماننا يدخلون علينا في حال نكرهها وعن ابي عمرو الحلم
بالسكون وقرئ ثلاث عورات بالنصب بدلا من ثلاث مرات اي اوقات
ثلاث عورات وعن الاعمش عورات على لغة هذيل فان قلت ما محل ليس عليكم
قلت اذا رفعت ثلاث عورات كان ذلك في محل الرفع على الوصف والمعنى هن
ثلاث عورات مخصوصة بالاستئذان واذا نصبت لم يكن له محل وكان
كلاما مقررا للامر بالاستئذان في تلك الاحوال خاصة فان قلت بم ارتفع
بعضكم قلت بالابتداء وخبره على بعض على معنى طائف على بعض وحذف

لان طوافون

لان طوافون يدل عليه ويجوز ان يرتفع بيطوف مضمرا لتلك الدلالة الاطفال منكم
اي من الاحرار دون المماليك الذين من قبلهم يريد الذين بلغوا الحلم من قبلهم
وهم الرجال او الذين ذكروا من قبلهم في قوله يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا
غير بيوتكم حتى تستانسوا الاية والمعنى ان الاطفال ماذون لهم في الدخول بغير
اذن الا في العورات الثلاث فاذا اعتاد الاطفال ذلك ثم خرجوا من حد الطفولة
بان يحتلموا او يبلغوا السن التي يحكم فيها عليهم بالبلوغ وجب ان يفطموا عن تلك
العادة ويحملوا على ان يستاذنوا في جميع الاوقات كما الرجال الكبار الذين
لم يعتادوا الدخول عليكم الا باذن وهذا مما الناس منه في غفلة وهو عندهم
كالشريعة المنسوخة وعن ابن عباس اية لا يومن بها اكثر الناس اية الاذن
واني لامر جاريتي ان تستاذن علي وساله عطا استاذن على اختي قال نعم وان
كانت في حجرك تمونها وتلا هذه الاية وعنه ثلاث ايات جحدهن الناس الاذن
كله وقوله ان اكرمكم عند الله اتقاكم فقال ناس اعظمكم بيتا وقوله واذا حضر
القسمة وعن ابن مسعود عليكم ان تستاذنوا على ابائكم وامهاتكم واخواتكم وعن
الشعبي ليست منسوخة فقيل له ان الناس لا يعملون بها فقال الله المستعان
وعن سعيد بن جبير يقولون هي منسوخة ولا والله ما هي منسوخة ولكن الناس
تهاونوا بها فان قلت ما السن التي يحكم فيها بالبلوغ قلت قال ابو حنيفة
ثماني عشرة سنة في الغلام وسبع عشرة في الجارية وعامة العلماء على خمس عشرة
فيهما وعن علي رضي الله عنه انه كان يعتبر القامة ويقدره بخمسة اشبار وبه
اخذ الفرزدق في قوله ٥ ما زال مذ عقدت يداه ازاره ۞ فسما فادرك خمسة الاشبار ٥
واعتبر غيره الانبات وعن عثمان رضي الله عنه انه سال عن غلام فقال هل
اخضر ازاره القواعد التي قعدت عن الحيض والولد لكبرها لا يرجون نكاحا
لا يطمعن فيه والمراد بالثياب الثياب الظاهرة كالملحفة والجلباب الذي فوق الخمار
غير متبرجات بزينة غير مظهرات زينة يريد الزينة الخفية التي ارادها في
قوله ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن او غير قاصدات بالوضع التبرج ولكن
التخفف اذا احتجن اليه والاستعفاف من الوضع خير لهن لما ذكر الجائز
عقبه بالمستحب بعثا منه على اختيار افضل الاعمال واحسنها كقوله وان
تعفوا اقرب للتقوى وان تصدقوا خير لكم فان قلت ما حقيقة التبرج
قلت تكلف اظهار ما يجب اخفاؤه من قولهم سفينة بارج لا غطاء عليها
والبرج سعة العين يرى بياضها محيطا بسوادها كله لا يغيب منه شيء
الا انه اختص بان تتكشف المراة للرجال بابداء زينتها واظهار محاسنها
وبدا وبرز بمعنى ظهر من اخوات تبرج وتبلج كذلك كان المؤمنون يذهبون
بالضعفاء وذوي العاهات الى بيوت ازواجهم واولادهم والى بيوت قراباتهم
واصدقائهم فيطعمونهم منها فخالج قلوب المطعمين والمطعمين ريبة في ذلك
وخافوا ان يلحقهم فيه حرج وكرهوا ان يكون اكلا بغير حق لقوله تعالى ولا
تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل فقيل لهم ليس على الضعفاء ولا على انفسكم
يعني عليكم وعلى من في مثل حالكم من المؤمنين حرج في ذلك وعن عكرمة

كانت الانصار في انفسها قزازة فكانت لا تاكل من هذه البيوت اذا استغنوا
وقيل كان هؤلاء يتوقون مجالسة الناس ومؤاكلتهم لما عسى يؤدي الى الكراهة
من قبلهم ولان الاعمى ربما سبقت يده الى ما سبقت عين اكيله اليه وهو لا
يشعر والاعرج يتفسح في مجلسه وياخذ اكثر من موضعه فيضيق على جليسه
والمريض لا يخلو من رائحة تؤذي او جرح يبض او انف يذن ونحو ذلك وقيل
كانوا يخرجون الى الغزو ويخلفون الضعفاء في بيوتهم ويدفعون اليهم
المفاتيح وياذنون لهم ان ياكلوا من بيوتهم فكانوا يتحرجون وحكي عن الحرث بن
عمرو انه خرج غازيا وخلف مالك بن زيد في بيته وماله فلما رجع راه مجهودا
فقال ما اصابك قال لم يكن عندي شيء ولم يحل لي ان اكل من مالك فقيل ليس
على هؤلاء الضعفاء حرج فيما تحرجوا عنه ولا عليكم ان تاكلوا من هذه البيوت
وهذا كلام صحيح وكذلك اذا فسر بان هؤلاء ليس عليهم حرج في القعود عن الغزو
ولا عليكم ان تاكلوا من هذه البيوت المذكورة لالتقاء الطائفتين في ان
كل واحدة منهما منفي عنها الحرج ومثال هذا ان يستفتيك مسافر عن الافطار
في رمضان وحاج مفرد عن تقديم الحلق على النحر فقلت ليس على المسافر حرج
ان يفطر ولا عليك يا حاج ان تقدم الحلق على النحر فان قلت هلا ذكر
الاولاد قلت دخل ذكرهم تحت قوله من بيوتكم لان ولد الرجل بعضه وحكمه
حكم نفسه وفي الحديث ان اطيب ما ياكل المرء من كسبه وان ولده من كسبه
ومعنى من بيوتكم من البيوت التي فيها ازواجكم وعيالكم ولان الولد
اقرب ممن عدد من القرابات فاذا كان سبب الرخصة هو القرابة
كان الذي هو اقرب منهم اولى فان قلت ما معنى او ما ملكتم مفاتحه
قلت اموال الرجل اذا كان له عليها قيم ووكيل يحفظها له ان ياكل
من ثمر بستانه ويشرب من لبن ماشيته وملك المفاتح كونها في يده
وحفظه وقيل بيوت المماليك لان مال العبد لمولاه وقرئ مفتاحه
فان قلت فما معنى او صديقكم قلت معناه او بيوت اصدقائكم
والصديق يكون واحدا وجمعا وكذلك الخليط والقطين والعدو
يحكى عن الحسن انه دخل داره واذا حلقة من اصدقائه وقد استلوا سلالا
من تحت سريره فيها الخبيص واطايب الاطعمة وهم مكبون عليها ياكلون
فتهللت اسارير وجهه سرورا وضحك وقال هكذا وجدناهم هكذا
وجدناهم يريد كبراء الصحابة ومن لقيهم من البدريين وكان الرجل
منهم يدخل دار صديقه وهو غائب فيسال جاريته كيسه فياخذ منه ما شاء
فاذا حضر مولاها فاخبرته اعتقها سرورا بذلك وعن جعفر بن محمد من
عظم حرمة الصديق ان جعله الله من الانس والثقة والانبساط وطرح
الحشمة بمنزلة النفس والاب والاخ والابن وعن ابن عباس الصديق اكبر
من الوالدين ان الجهنميين لما استغاثوا لم يستغيثوا بالاباء والامهات وانما
قالوا فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وقالوا اذا دل ظاهر الحال على رضا

المالك قام ذلك مقام الاذن الصريح وربما سمج الاستئذان وثقل كمن قدم اليه
طعام فاستاذن صاحبه في الاكل منه جميعا او اشتاتا اي مجتمعين او
متفرقين نزلت في بني ليث بن عمرو من كنانة كانوا يتحرجون ان ياكل الرجل وحده
فربما قعد منتظرا نهاره الى الليل فان لم يجد من يواكله اكل ضرورة وقيل في قوم
من الانصار اذا نزل بهم ضيف لا ياكلون الا مع ضيفهم وقيل تحرجوا عن
الاجتماع الى الطعام لاختلاف الناس في الاكل وزيادة بعضهم على بعض فاذا
دخلتم بيوتا من هذه البيوت لتاكلوا فابدؤوا بالسلام على اهلها الذين هم منكم
دينا وقرابة تحية من عند الله اي ثابتة بامره مشروعة من لدنه او لان التسليم
والتحية طلب سلامة وحياة للمسلم عليه والمحيا من عند الله ووصفها بالبركة
والطيب لانها دعوة مؤمن لمؤمن يرجى بها من الله عز وجل زيادة الخير
وطيب الرزق وعن انس قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين وروي تسع
سنين فما قال لشيء فعلته لم فعلته ولا قال لشيء كسرته لم كسرته وكنت واقفا
على راسه اصب الماء على يديه فرفع راسه فقال الا اعلمك ثلاث خصال تنتفع بها
قلت بلى بابي وامي يا رسول الله قال متى لقيت من امتي احدا فسلم عليه يطل عمرك
واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة الابرار
الاوابين وقالوا ان لم يكن في البيت احد فليقل السلام علينا من ربنا السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين السلام على اهل البيت ورحمة الله وعن ابن عباس اذا دخلت
المسجد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين تحية من عند الله وانتصب تحية
بسلموا لانها في معنى تسليما كقولك قعدت جلوسا اراد عز وجل ان يريهم عظم الجناية
في ذهاب الذاهب عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير اذنه اذا كانوا معه على امر
جامع فجعل ترك ذهابهم حتى يستاذنوه ثالث الايمان بالله والايمان برسوله
وجعلهما كالتشبيب له والبساط لذكره وذلك مع تصدير الجملة بانما وايقاع المؤمنين
مبتدا مخبرا عنه بموصول احاطت صلته بذكر الايمانين ثم عقبه بما يزيده توكيدا
وتشديدا حيث اعاده على اسلوب اخر وهو قوله ان الذين يستاذنونك
اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله وضمنه شيئا اخر وهو انه جعل الاستئذان
كالمصداق لصحة الايمانين وعرض بحال المنافقين وتسللهم لواذا ومعنى قوله
لم يذهبوا حتى يستاذنوه لم يذهبوا حتى يستاذنوه ويأذن لهم الا ترى كيف علق
الامر بعد وجود استئذانهم بمشيئته واذنه لمن استصوب ان ياذن له والامر الجامع
الذي يجمع له الناس فوصف الامر بالجمع على سبيل المجاز وذلك نحو مقاتلة عدو
او تشاور في خطب مهم او تضام لارهاب مخالف او تماسح في حلف وغير ذلك
او الامر الذي يعم بضرره او نفعه وقرئ امر جميع وفي قوله اذا كانوا معه على امر
جامع انه خطب جليل لا بد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيه من ذوي راي وقوة يظاهرونه
ويعاونونه ويستضيء باراءهم ومعارفهم وتجاربهم في كفايته فمفارقة احدهم في مثل
تلك الحال مما يشق على قلبه ويشعث عليه رايه فمن ثم غلظ عليهم وضيق عليهم الامر
في الاستئذان مع العذر المبسوط ومساس الحاجة اليه واعتراض ما يهمهم

ويعنيهم وذلك قوله لبعض شأنهم وذكر الاستئذان دليل على أن الأحسن الأفضل
أن لا يحدثوا أنفسهم بالذهاب ولا يستأذنوا فيه وقيل نزلت في حفر الخندق
وكان قوم يتسللون بغير إذن وقالوا كذلك ينبغي أن يكون الناس مع أئمتهم
ومقدميهم في الدين والعلم يظاهرونهم ولا يخذلونهم في نازلة من النوازل ولا
يتفرقون عنهم والأمر في الإذن مفوض إلى الإمام إن شاء أذن وإن شاء لم يأذن
على حسب ما اقتضاه رأيه إذا احتاج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اجتماعكم
عنده لأمر فدعاكم فلا تفرقوا عنه إلا بإذنه ولا تقيسوا دعاءه إياكم على دعاء
بعضكم بعضا ورجوعكم عن المجمع بغير إذن الداعي أو لا تجعلوا
تسميته ونداءه بينكم كما يسمي بعضكم بعضا ويناديه باسمه الذي سماه
به أبواه ولا تقولوا يا محمد ولكن يا نبي الله ويا رسول الله مع التوقير والتعظيم
والصوت المخفوض والتواضع ويحتمل لا تجعلوا دعاء الرسول ربه مثل
ما يدعو صغيركم كبيركم وفقيركم غنيكم يسأله حاجة فربما أجابه
وربما رده فإن دعوات رسول الله صلى الله عليه وسلم مسموعة مستجابة يتسللون ينسلون
قليلا قليلا ونظير تسلل تدرج وتدخل واللواذ الملاوذة وهو أن يلوذ هذا
بذاك وذاك بهذا يعني ينسلون عن الجماعة في الخفية على سبيل الملاوذة واستتار
بعضهم ببعض ولواذا حال أي ملاوذين وقيل كان بعضهم يلوذ ببعض
بالرجل إذا استأذن فيأذن له فينطلق الذي لم يؤذن له معه وقرئ لواذا
بالفتح يقال خالفه إلى الأمر إذا ذهب إليه دونه ومنه قوله تعالى وما أريد أن
أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه وخالفه عن الأمر إذا صد عنه دونه ومعنى
الذين يخالفون عن أمره الذين يصدون عن أمره دون المؤمنين وهم المنافقون
فحذف المفعول لأن الغرض ذكر المخالف والمخالف عنه الضمير في أمره لله سبحانه
أو للرسول عليه السلام والمعنى عن طاعته ودينه فتنة محنة في الدنيا أو يصيبهم
عذاب أليم في الآخرة وعن ابن عباس فتنة قتل وعن عطاء زلازل وأهوال وعن
جعفر بن محمد يسلط عليهم سلطان جائر أدخل قد ليؤكد علمه بما هم عليه
من المخالفة عن الدين والنفاق ويرجع توكيد العلم إلى توكيد الوعيد وذلك
أن قد إذا دخلت على المضارع كانت بمعنى ربما فوافقت ربما في خروجها إلى
معنى التكثير في نحو قوله ٥ فإن تمس مهجور الفناء فربما أقام به بعد الوفود وفود ٥
ونحوه قول زهير ٥ أخي ثقة لا تهلك الخمر ماله ولكنه قد يهلك المال نائله ٥
والمعنى أن جميع ما في السموات والأرض مختصة به خلقا وملكا وعلما
فكيف تخفى عليه أحوال المنافقين وإن كانوا يجتهدون في سترها عن العيون
وإخفائها وسينبئهم يوم القيامة بما أبطنوا من سوء أعمالهم وسيجازيهم حق
جزائهم والخطاب والغيبة في قوله قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون إليه
يجوز أن يكونا جميعا للمنافقين على طريق الالتفات ويجوز أن يكون ما أنتم عليه عاما
ويرجعون للمنافقين والله أعلم ٥ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النور
أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي ٥

سورة الفرقان مكية وهي سبعون وسبع آيات ٥

بسم الله الرحمن الرحيم

البركة كثرة الخير وزيادته ومنها تبارك الله وفيه معنيان تزايد خيره وتكاثر
أو تزايد عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته وأفعاله والفرقان مصدر فرق
بين الشيئين إذا فصل بينهما وسمي به القرآن لفصله بين الحق والباطل أو
لأنه لم ينزل جملة واحدة ولكن مفروقا مفصولا بين بعضه وبين بعض في الإنزال
ألا ترى إلى قوله وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا
وقد جاء الفرق بمعناه قال ٥ ومشركي كافر بالفرق ٥ وعن ابن الزبير
على عباده وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمته كما قال لقد أنزلنا إليكم وقولوا آمنا بالله
وما أنزل إلينا والضمير في ليكون لعبده أو للفرقان ويعضد رجوعه إلى
الفرقان قراءة ابن الزبير للعالمين للجن والإنس نذيرا منذرا أي مخوفا أو إنذارا
كالنكير بمعنى الإنكار ومنه قوله فكيف كان عذابي ونذر الذي له رفع على
الإبدال من الذي نزل أو رفع على المدح أو نصب عليه فإن قلت كيف جاز
الفصل بين البدل والمبدل منه قلت ما فصل بينهما بشيء لأن المبدل منه صلته
نزل وليكون تعليل له فكان المبدل منه لم يتم إلا به فإن قلت في الخلق
معنى التقدير فما معنى قوله وخلق كل شيء فقدره تقديرا كأنه قال وقدر
كل شيء فقدره قلت المعنى أنه أحدث كل شيء إحداثا مراعى فيه التقدير و
التسوية فقدره وهيأه لما يصلح له مثاله أنه خلق الإنسان على هذا الشكل
المقدر المهيأ المسوى الذي تراه فقدره للتكاليف والمصالح المنوطة في بابي
الدين والدنيا وكذلك كل حيوان وجماد جاء به على الجبلة المستوية المقدرة بأمثلة
الحكمة والتدبير فقدره لأمر ما ومصلحة مطابقا لما قدر له غير متجاف عنه أو
سمي إحداث الله خلقا لأنه لا يحدث شيئا لحكمته إلا على وجه التقدير فإذا
قيل خلق الله كذا فهو بمنزلة قولك أحدث وأوجد من غير نظر إلى وجه الاشتقاق
فكأنه قيل وأوجد كل شيء فقدره في إيجاده لم يوجد متفاوتا وقيل فجعل
له غاية ومنتهى ومعناه فقدره للبقاء إلى أمد معلوم الخلق بمعنى الافتعال كما
في قوله إنما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون إفكا والمعنى أنهم آثروا
على عبادة الله سبحانه عبادة آلهة لا عجز أبين من عجزهم لا يقدرون على شيء من
أفعال الله ولا من أفعال العباد حيث لا يفتعلون شيئا وهم يفتعلون لأن
عبدتهم يصنعونهم بالنحت والتصوير ولا يملكون أي لا يستطيعون لأنفسهم
دفع ضرر عنها أو جلب نفع إليها وهم يستطيعون وإذا عجزوا عن الافتعال
ودفع الضرر وجلب النفع التي يقدر عليها العباد كانوا عن الموت والحياة
والنشور التي لا يقدر عليها إلا الله أعجز قوم آخرون هم اليهود وقيل عداس
مولى حويطب بن عبد العزى ويسار مولى العلاء بن الحضرمي وأبو فكيهة الرومي
قال ذلك النضر بن الحارث بن عبد الدار جاءوا أتى يستعملان في معنى فعل فيعديان
تعديته وقد يكون على معنى وردوا كما يقول جئت المكان ويجوز أن يحذف الجار
ويوصل الفعل فقد جاءوا ظلما

وبوصل الفعل وظلمهم ان جعلوا العربي يتلقف من العجمي الرومي كلاما عربيا
اعجز بفصاحته جميع فصحاء العرب والزور ان بهتوه بنسبة ما هو بريء منه اليه
اساطير الاولين ما سطره المتقدمون من نحو احاديث رستم واسفنديار
جمع اسطار او اسطورة كاحدوثة اكتتبها كتبها لنفسه واخذها كما تقول
استكب الماء واصطبه اذا سكبه وصبه لنفسه واخذه ويجوز اكتتبها على البناء
للمفعول والمعنى اكتتبها كاتب له لانه صلى الله عليه وسلم كان اميا لا يكتب بيده وذلك من
تمام اعجازه ثم حذفت اللام فافضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب
كقوله واختار موسى قومه ثم بني الفعل للضمير الذي هو اياه فانقلب مرفوعا
مستترا بعد ان كان بارزا منصوبا وبقي ضمير الاساطير على حاله فصار اكتتبها
كما ترى فان قلت كيف قيل اكتتبها فهي تملى عليه وانما يقال امليت عليه
فهو يكتتبها قلت فيه وجهان احدهما اراد اكتتابها او طلبه فهي تملى عليه
او كتبت له وهو امي فهي تملى عليه اي تلقى عليه من كتابه يتحفظها لان صورة
الالقاء على الحافظ كصورة الالقاء على الكاتب وعن الحسن انه قول الله سبحانه
يكذبهم وانما يستقيم ان لو فتحت الهمزة للاستفهام الذي في معنى الانكار ووجهه
ان يكون نحو قوله ٥ افرح ان ارزأ الكرام ٥ وحق الحسن ان يقف على الاولين
بكرة واصيلا اي دائما او في الخفية قبل ان ينتشر الناس وحين يأوون الى
مساكنهم اي يعلم كل سر خفي في السموات والارض ومن جملته ما تسرونه
انتم من الكيد لرسول الله صلعم مع علمكم ان ما تقولونه باطل وزور وكذلك
باطن امر رسول الله صلعم وبراءته مما تبهتونه به وهو يجازيكم ويجازيه على ما
علم منكم وعلم منه فان قلت كيف طابق قوله انه كان غفورا رحيما هذا
المعنى قلت لما كان ما تقدمه في معنى الوعيد عقبه بما يدل على القدرة عليه
لانه لا يوصف بالمغفرة والرحمة الا القادر على العقوبة او هو تنبيه على انهم استوجبوا
بمكابرتهم هذه ان يصب عليهم العذاب صبا ولكن صرف ذلك انه غفور رحيم
يمهل ولا يعاجل ووقعت اللام في المصحف مفصولة عن هذا خارجة عن اوضاع
الخط العربي وخط المصحف سنة لا تغير وفي هذا استهانة وتصغير لشانه
وتسميته بالرسول سخرية منهم وطنز كانهم قالوا ما لهذا الزاعم انه رسول
ونحو قول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون اي ان صح انه رسول
الله فما باله حاله مثل حالنا يأكل الطعام كما نأكل ويتردد في الاسواق لطلب
المعاش كما نتردد يعنون انه كان يجب ان يكون ملكا مستغنيا عن الاكل
والتعيش ثم نزلوا عن اقتراحهم ان يكون ملكا الى اقتراح ان يكون انسانا
معه ملك حتى يتساندا في الانذار والتخويف ثم نزلوا ايضا فقالوا وان لم يكن مرفودا
بملك فليكن مرفودا بكنز يلقى اليه من السماء يستظهر به ولا يحتاج الى تحصيل المعاش
ثم نزلوا فاقتنعوا بان يكون رجلا له بستان يأكل منه ويرتزق كالدهاقين
والمياسير او يأكلون هم من ذلك البستان فينتفعون به في دنياهم ومعاشهم
وارادوا بالظالمين اياهم باعيانهم وضع الظاهر موضع المضمر ليسجل عليهم بالظلم فيما
المضمر

ما قالوا

ما قالوا وقرئ فيكون بالرفع او يكون له جنة بالياء ونأكل بالنون فان قلت
ما وجه الرفع والنصب في فيكون قلت النصب لانه جواب لولا بمعنى هلا
وحكمه حكم الاستفهام والرفع على انه معطوف على انزل ومحله الرفع الا ترى انك
تقول لولا ينزل بالرفع وقد عطف عليه يلقى وتكون مرفوعين ولا يجوز النصب
فيهما لانهما في حكم الواقع بعد لولا ولا يكون الا مرفوعا والقائلون هم كفار
قريش النضر بن الحرث وعبد الله بن ابي امية ونوفل بن خويلد ومن ضامهم
مسحورا سحر فغلب على عقله او ذا سحر وهو الرئة عنوا انه بشر لا ملك ضربوا
لك الامثال اي قالوا فيك تلك الاقوال واخترعوا لك تلك الصفات والاحوال
النادرة من نبوة مشتركة بين انسان وملك والقاء كنز عليك من السماء وغير
ذلك فبقوا متحيرين ضلالا لا يجدون قولا يستقرون عليه او فضلوا عن
الحق فلا يجدون طريقا اليه تكاثر خير الذي ان شاء وهب لك في الدنيا خيرا مما
قالوا وهو ان يعجل لك مثل ما وعدك في الآخرة من الجنات والقصور وقرئ
ويجعل بالرفع عطفا على جعل لان الشرط اذا وقع ماضيا جاز في جزائه الجزم
والرفع كقوله ٥ وان اتاه خليل يوم مسئلة يقول لا غائب مالي ولا حرم ٥
ويجوز في يجعلك اذا ادغمت ان يكون اللام في تقدير الجزم والرفع جميعا وقرئ
بالنصب على انه جواب الشرط بالواو بل كذبوا عطف على ما حكى عنهم يقول بل اتوا
باعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة ويجوز ان يتصل بما يليه كانه قال بل
كذبوا بالساعة فكيف يلتفتون الى هذا الجواب وكيف يصدقون بتعجيل مثل
ما وعدك في الآخرة وهم لا يؤمنون بالآخرة السعير النار الشديدة الاستعار
وعن الحسن انه اسم من اسماء جهنم رأتهم من قولهم دورهم تتراءى وتتناظر ومن قوله
عليه السلام لا تتراءى ناراهما كأن بعضها يرى بعضا على سبيل المجاز والمعنى اذا كانت
منهم بمرأى الناظر في البعد سمعوا صوت غليانها وشبه ذلك بصوت المتغيظ
والزافر ويجوز ان يراد اذا رأتهم زبانيتها تغيظوا وزفروا غضبا على الكفار و
شهوة للانتقام منهم الكرب مع الضيق كما ان الروح مع السعة ولذلك وصف
الله الجنة بان عرضها السموات والارض وجاء في الاحاديث ان لكل مؤمن
من القصور والجنان كذا وكذا ولقد جمع الله على اهل النار انواع التضييق
والارهاق حيث القاهم في مكان ضيق يتراصون فيه تراصا كما روي عن
ابن عباس في تفسيره انه تضيق عليهم كما يضيق الزج في الرمح وهم مع ذلك
الضيق مسلسلون مقرنون في السلاسل قرنت ايديهم الى اعناقهم في الجوامع و
قيل يقرن مع كل كافر شيطانه في سلسلة وفي ارجلهم الاصفاد والثبور الهلاك
ودعاؤه ان يقال واثبوراه اي تعال يا ثبور فهذا حينك وزمانك لا تدعوا اليوم
اي يقال لهم ذلك او هم احقاء بان يقال لهم ذلك وان لم يكن ثم قول ومعنى وادعوا
ثبورا كثيرا انكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه واحدا انما هو ثبور كثير اما
لان العذاب انواع والوان كل نوع منها ثبور لشدته وفظاعته او لانهم كلما

بضج جلودهم بدلوا جلودا غيرها فلا غاية لهلاكهم. الراجع الى الموصولين محذوف يعني
وعدها المتقون وما يشاؤونه وانما قيل كانت لان ما وعده الله عز وجل وحقه
فهو في تحققه كأنه قد كان او كان مكتوبا في اللوح قبل ان برأهم بأزمنة متطاولة
ان الجنة جزاؤهم ومصيرهم فان قلت ما معنى قوله كانت لهم جزاء ومصيرا
قلت هو كقوله نعم الثواب وحسنت مرتفقا فمدح الثواب ومكانه كما قال بئس الشراب
وساءت مرتفقا فذم العقاب ومكانه لان النعيم لا يتم للمتنعم الا بطيب المكان و
سعته وموافقته للمراد والشهوة وان لا ينغص وكذلك العقاب يتضاعف
بغثاثة الموضع وضيقه وظلمته وجمعه لاسباب الاجتواء والكراهة فلذلك ذكر
المصير مع ذكر الجزاء. والضمير في كان لما يشاؤون. والوعد الموعود اي كان ذلك
موعودا واجبا على ربك انجازه حقيقا ان يسأل ويطلب لانه جزاء واجر مستحق.
وقيل قد سأله الناس والملائكة في دعواتهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ربنا آتنا
في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم. يحشرهم فيقول
كلاهما بالنون والياء وقرئ يحشرهم بكسر الشين. وما يعبدون يريد المعبودين
من الملائكة والمسيح وعزير. وعن الكلبي الاصنام ينطقها الله ويجوز ان يكون عاما
لهم جميعا. فان قلت كيف صح استعمال ما في العقلاء قلت هو موضوع على العموم
للعقلاء وغيرهم بدليل قولك اذا رأيت شبحا من بعيد ما هو فاذا قيل لك انسان
قلت حينئذ من هو ويدلك قولهم من لما يعقل او اريد به الوصف كأنه قيل و
معبودهم. الا تراك تقول اذا اردت السؤال عن صفة زيد ما زيد تعني أطويل ام
قصير أفقيه ام طبيب. فان قلت ما فائدة انتم وهم وهلا قيل أأضللتم عبادي هؤلاء
ام ضلوا السبيل قلت ليس السؤال عن الفعل ووجوده لانه لولا وجوده لما
توجه هذا العتاب وانما هو عن متوليه فلا بد من ذكره وايلائه حرف الاستفهام
حتى يعلم انه المسؤول عنه. فان قلت فالله سبحانه قد سبق علمه بالمسؤول عنه
فما فائدة هذا السؤال قلت فائدته ان يجيبوا بما اجابوا به حتى يبكت
عبدتهم بتكذيبهم اياهم فيبهتوا ويخذلوا وتزيد حسرتهم ويكون ذلك نوعا مما
يلحقهم من غضب الله وعذابه ويغتبط المؤمنون ويفرحوا بحالهم ونجاتهم من فضيحة
اولئك وليكون حكاية ذلك في القرآن لطفا للمكلفين. وفيه كسر بين لقول من
يزعم ان الله يضل عباده على الحقيقة حيث يقول للمعبودين من دونه أأنتم اضللتموهم
ام هم ضلوا السبيل بانفسهم فيتبرؤون من اضلالهم ويستعيذون به ان يكونوا
مضلين ويقولون بل انت تفضلت من غير سابقة على هؤلاء وآبائهم تفضل جواد
كريم فجعلوا النعمة التي حقها ان تكون سبب الشكر سبب الكفر ونسيان الذكر
وكان ذلك سبب هلاكهم. فاذا برأت الملائكة والرسل انفسهم من نسبة الاضلال
الذي هو عمل الشياطين اليهم واستعاذوا منه فهم لربهم الغني العدل اشد تبرئة وتنزيها
منه. ولقد نزهوه حين اضافوا اليه التفضل بالنعمة والتمتع بها واسندوا النسيان
الذكر والتسبب به للبوار الى الكفرة فشرحوا الاضلال المجازي الذي اسنده الله عز وجل

الى ذاته

الى ذاته في قوله يضل من يشاء ولو كان هو المضل على الحقيقة لكان الجواب العتيد
ان يقولوا بل انت اضللتهم. والمعنى أأنتم اوقعتموهم في الضلال عن طريق الحق ام
هم ضلوا عنه بانفسهم. وضل مطاوع اضله. وكان القياس ضلوا عن السبيل
الا انهم تركوا الجار كما تركوه في هداه الطريق والاصل الى الطريق وللطريق.
وقولهم اضل البعير في معنى جعله ضالا اي ضائعا لما كان اكثر ذلك بتفريط
من صاحبه وقلة احتياطه في حفظه قيل اضله سواء كان منه فعل او لم يكن.
سبحانك تعجب منهم قد تعجبوا مما قيل لهم لانهم ملائكة وانبياء معصومون
فما ابعدهم عن الاضلال الذي هو مختص بابليس وحزبه. او نطقوا بسبحانك
ليدلوا على انهم المسبحون المقدسون الموسومون بذلك فكيف يليق بحالهم
ان يضلوا عباده. او قصدوا به تنزيهه عن الانداد وان يكون له ملك او نبي
او غيرهما ندا. ثم قالوا ما كان ينبغي لنا ولا يستقيم ونحن معصومون ان نتولى احدا
دونك فكيف يصح لنا ان نحمل غيرنا على ان يتولونا دونك. او ما كان ينبغي لنا ان
نكون امثال الشياطين في توليهم الكفار كما تولاهم الكفار. قال الله تعالى فقاتلوا
اولياء الشيطان يريد الكفرة وقال والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت. وقرأ
ابو جعفر المدني نتخذ على البناء للمفعول. وهذا الفعل اعني اتخذ يتعدى الى
مفعول واحد كقولك اتخذ وليا والى مفعولين كقولك اتخذ فلانا وليا قال الله
تعالى ام اتخذوا آلهة من الارض وقال واتخذ الله ابراهيم خليلا. فالقراءة الاولى
من المتعدي الى واحد وهو من اولياء والاصل ان نتخذ اولياء فزيدت من
لتأكيد معنى النفي. والثانية من المتعدي الى مفعولين فالاول ما بني له الفعل
والثاني من اولياء ومن للتبعيض اي لا نتخذ بعض اولياء. وتنكير اولياء من حيث
انهم اولياء مخصوصون وهم الجن والاصنام. والذكر ذكر الله والايمان به
او القرآن والشرائع. والبور الهلاك يوصف به الواحد والجمع ويجوز ان يكون
جمع بائر كعائذ وعوذ. هذه المفاجأة بالاحتجاج والالزام حسنة رائعة
وخاصة اذا انضم اليها الالتفات وحذف القول ونحوها قوله عز وعلا
يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ما
جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير. وقول القائل:
قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا ... ثم القفول فقد جئنا خراسانا. وقرئ
يقولون بالتاء والياء فمعنى من قرأ بالتاء فقد كذبوكم بقولكم انهم آلهة ومعنى
من قرأ بالياء فقد كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك
من اولياء. فان قلت هل يختلف حكم الباء مع التاء والياء قلت اي والله
هي مع التاء كقوله بل كذبوا بالحق والجار والمجرور بدل من الضمير كأنه قيل
فقد كذبوا بما تقولون وهي مع الياء كقولك كتبت بالقلم. وقرئ يستطيعون
بالتاء والياء ايضا يعني فما تستطيعون انتم يا كفار صرف العذاب عنكم. وقيل
الصرف التوبة. وقيل الحيلة من قولهم انه ليتصرف اي يحتال. او فما يستطيع
آلهتكم ان يصرفوا عنكم او ان يحتالوا لكم. الخطاب على العموم للمكلفين

العذاب

والعذاب الكبير لاحق بكل من ظلم والكافر ظالم لقوله ان الشرك لظلم عظيم
والفاسق ظالم لقوله ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون وقرئ يذقه بالياء
وفيه ضمير الله او ضمير مصدر يظلم. الجملة بعد الا صفة لموصوف محذوف
والمعنى وما ارسلنا قبلك احدا من المرسلين الا آكلين وماشين وانما حذف
اكتفاء بالجار والمجرور اعني من المرسلين ونحوه قوله عز من قائل وما منا الا له
مقام معلوم على معنى وما منا احد. وقرئ ويمشون على البناء للمفعول اي
يمشيهم حوائجهم او الناس ولو قرئ يمشّون لكان اوجه لولا الرواية وقيل
هو احتجاج على من قال ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق
فتنة اي محنة وابتلاء وهذا تصبير لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما قالوه
واستبعدوه من اكله الطعام ومشيه في الاسواق بعدما احتج عليهم
بسائر الرسل يقول وجرت عادتي وموجب حكمتي على ابتلاء بعضكم ايها الناس
ببعض والمعنى انه ابتلى المرسلين بالمرسل اليهم وبمناصبتهم لهم العداوة و
اقاويلهم الخارجة عن حد الانصاف وانواع اذاهم وطلب منهم الصبر الجميل
ونحوه ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا
وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور. وموقع اتصبرون بعد ذكر
الفتنة موقع ايكم بعد الابتلاء في قوله ليبلوكم ايكم احسن عملا. بصيرا عالما
بالصواب فيما يبتلي به وغيره فلا يضيقن صدرك ولا يستخفنك اقاويلهم
فان في صبرك عليها سعادتك وفوزك في الدارين وقيل هو تسلية له عما
عيروه به من الفقر حين قالوا او يلقى اليه كنز او يكون له جنة وانه جعل
الاغنياء فتنة للفقراء لننظر هل يصبرون وانها حكمته ومشيئته يغني من يشاء
ويفقر من يشاء وقيل جعلناك فتنة لهم لانك لو كنت غنيا صاحب كنوز وجنات
لكان ميلهم اليك وطاعتهم لك للدنيا او ممزوجة بالدنيا فانما بعثناك
فقيرا لتكون طاعة من يطيعك خالصة لوجه الله من غير طمع دنيوي وقيل
كان ابو جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل ومن في طبقتهم يقولون
ان اسلمنا وقد اسلم قبلنا عمار وصهيب وبلال وفلان وفلان ترفعوا
علينا ادلالا بالسابقة فهو افتتان بعضهم ببعض. اي لا يأملون لقاءنا
بالخير لانهم كفرة او لا يخافون لقاءنا بالشر والرجاء في لغة تهامة الخوف وبه فسر
قوله ما لكم لا ترجون لله وقارا جعلت الصيرورة الى دار جزائه بمنزلة لقائه
لو كان ملقيا. اقترحوا من الآيات ان ينزل الله عليهم الملائكة فتخبرهم بان محمدا
صادق حتى يصدقوه او يروا الله جهرة فيامرهم بتصديقه واتباعه ولا يخلو
اما ان يكونوا عالمين بان الله لا يرسل الملائكة الى غير الانبياء وان الله لا يصح ان
يرى وانما علقوا ايمانهم بما لا يكون واما ان لا يكونوا عالمين بذلك وانما ارادوا
التعنت باقتراح آيات سوى الآيات التي نزلت وقامت بها الحجة عليهم كما فعل
قوم موسى حين قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فان قلت ما معنى في انفسهم
قلت معناه انهم اضمروا الاستكبار عن الحق وهو الكفر والعناد في قلوبهم

واعتقدوه كما قال ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه وعتوا وتجاوزوا
الحد في الظلم يقال عتا علينا فلان وقد وصف العتو بالكبير فبالغ في افراطه
يعني انهم لم يجسروا على هذا القول العظيم الا لانهم بلغوا غاية الاستكبار واقصى
العتو. واللام جواب قسم محذوف وهذه الجملة في حسن استئنافها غاية وفي
اسلوبها قول القائل ٥ وجارة جساس ابأنا بنابها كليبا غلت ناب كليب بواؤها ٥
وفي فحوى هذا الفعل دليل على التعجب من غير لفظ تعجب الا ترى ان المعنى ما
اشد استكبارهم وما اكبر عتوهم وما اغلى نابا بواؤها كليب. يوم يرون
منصوب باحد شيئين اما بما دل عليه لا بشرى اي يوم يرون الملائكة يمنعون
البشرى او يعدمونها ويومئذ للتكرير واما باضمار اذكر اي اذكر يوم يرون
الملائكة ثم قال لا بشرى يومئذ للمجرمين وقوله للمجرمين اما ظاهر في موضع
ضمير واما لانه عام فقد تناولهم بعمومه حجرا محجورا ذكره سيبويه في باب
المصادر غير المتصرفة المنصوبة بافعال متروك اظهارها نحو معاذ الله وقعدك
الله وعمرك الله وهذه كلمة كانوا يتكلمون بها عند لقاء عدو موتور او هجوم
نازلة او نحو ذلك يضعونها موضع الاستعاذة قال سيبويه ويقول الرجل للرجل
اتفعل كذا وكذا فيقول حجرا وهي من حجره اذا منعه لان المستعيذ طالب من الله
ان يمنع المكروه فلا يلحقه فكان المعنى اسأل الله ان يمنع ذلك منعا ويحجره
حجرا ومجيئه على فِعل او فُعل في قراءة الحسن تصرف فيه لاختصاصه بموضع واحد
كما كان قعدك وعمرك كذلك وانشدت لبعض الرجاز ٥
قالت وفيها حيدة وذعر عوذ بربي منكم وحجر ٥ فان قلت فاذ قد ثبت
انه من باب المصادر فما معنى وصفه بمحجورا قلت جاءت هذه الصفة لتاكيد
معنى الحجر كما قالوا ذيل ذائل والذيل الهوان وموت مائت والمعنى في الاية
انهم يطلبون نزول الملائكة ويقترحونه وهم اذا رأوهم عند الموت او يوم
القيامة كرهوا لقاءهم وفزعوا منهم لانهم لا يلقونهم الا بما يكرهون وقالوا عند
رؤيتهم ما كانوا يقولونه عند لقاء العدو الموتور وشدة النازلة وقيل هو
من قول الملائكة ومعناه حراما محرما عليكم الغفران والجنة او البشرى اي
جعل الله ذلك حراما عليكم ليس ههنا قدوم ولا ما يشبه القدوم ولكن مثلت
حال هؤلاء واعمالهم التي عملوها في كفرهم من صلة رحم واغاثة ملهوف وقرى
ضيف ومن على اسير وغير ذلك من مكارمهم ومحاسنهم بحال قوم خالفوا
سلطانهم واستعصوا عليه فقدم الى اشيائهم وقصد الى ما تحت ايديهم فافسدها
ومزقها كل ممزق ولم يترك لها اثرا ولا عثيرا. والهباء والهباء ما يخرج من الكوة
مع ضوء الشمس شبيه بالغبار وفي امثالهم اقل من الهباء منثورا صفة للهباء
شبهه بالهباء في قلته وحقارته عنده وانه لا ينتفع به ثم بالمنثور منه لانك
تراه منتظما مع الضوء فاذا حركته الريح رايته قد تناثر وذهب كل مذهب ونحوه
قوله كعصف ماكول لم يكف ان شبههم بالعصف حتى جعله موؤفا بالاكال
ولا ان شبه عملهم بالهباء حتى جعله متناثرا او مفعول ثالث لجعلناه

اى جعلناه جامعاً لحقارة الهباء والتناثر كقوله سبحانه فكانت هباء منبثا
اى جامعاً للمسخ والخبث ولام الهباء واو بدليل الهبوة المستقر المكان الذى
يكونون فيه فى اكثر اوقاتهم مستقرين يتجالسون ويتحادثون والمقيل المكان
الذى ياوون اليه للاسترواح الى ازواجهم والتمتع بمغازلتهن وملامستهن
كما ان المترفين فى الدنيا يعيشون على ذلك الترتيب وروى انه يفرغ من
الحساب فى نصف ذلك اليوم فيقيل اهل الجنة فى الجنة واهل النار فى النار وفى
معناه قوله عز وعلا ان اصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون هم وازواجهم فى ظلال
على الارائك متكئون قيل فى تفسير الشغل افتضاض الابكار ولا نوم فى الجنة
وانما سمى مكان دعتهم واسترواحهم الى الحور مقيلا على طريق التشبيه وفى لفظ
الاحسن رمز الى ما يتزين به مقيلهم من حسن الوجوه وملاحة الصور الى غير
ذلك من التزين وقرئ تشقق والاصل تتشقق فحذف بعضهم التاء وغيره
ادغمها ولما كان انشقاق السماء بسبب طلوع الغمام منها جعل الغمام كانه
الذى تشقق به السماء كما يقول شق السنام بالشفرة وانشق بها ونظيره قوله
السماء منفطر به فان قلت اى فرق بين قولك انشقت الارض بالنبات وانشقت
عن النبات قلت معنى انشقت به ان الله عز وجل شقها بطلوعه فانشقت به
ومعنى انشقت عنه ان التربة ارتفعت عنه عند طلوعه والمعنى ان السماء
تنفتح بغمام يخرج منها وفى الغمام الملائكة ينزلون وفى ايديهم صحائف اعمال
العباد وروى تنشق سماء سماء وتنزل الملائكة الى الارض وقيل هو غمام
ابيض رقيق مثل الضبابة ولم يكن الا لبنى اسرائيل فى تيههم وفى معناه قوله تعالى
هل ينظرون الا ان ياتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة وقرئ ونزل الملائكة
وننزل وننزل الملائكة ونزلت الملائكة وانزل الملائكة ونزل الملائكة ونزل الملائكة
على حذف النون الذى هو فاء الفعل من تنزل قراه اهل مكة الحق الثابت لان
كل ملك يزول يومئذ ويبطل ولا يبقى الا ملكه عض اليدين والانامل
والسقوط فى اليد واكل البنان وحرق الاسنان والارم وقرعها
كنايات عن الغيظ والحسرة لانها من روادفها فيذكر الرادفة ويدل بها على
المردوف فيرتفع الكلام به فى طبقة الفصاحة ويجد السامع عنده فى نفسه من
الروعة والاستحسان ما لا يجده عند لفظ المكنى عنه وقيل نزلت فى عقبة
ابن ابى معيط بن امية بن عبد شمس وكان يكثر مجالسة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقيل اتخذ ضيافة فدعا اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فابى ان ياكل من طعامه
حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان ابى بن خلف صديقه فعاتبه وقال
صبات يا عقبة قال لا ولكن ابى ان ياكل من طعامى وهو فى بيتى فا
ستحييت منه فشهدت له والشهادة ليست فى نفسى فقال وجهى من وجهك
حرام ان لقيت محمدا فلم تطا قفاه وتبزق فى وجهه وتلطم عينه فوجده سا
جدا فى دار الندوة ففعل ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا القاك خارجا من
مكة الا علوت راسك بالسيف فقتل يوم بدر امر عليا رضى الله عنه بقتله

وقيل قتله عاصم بن ثابت بن افلح الانصارى وقال يا محمد الى من الصبية قال
الى النار وطعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ابيا باحد فرجع الى مكة فمات واللام فى
الظالم يجوز ان يكون للعهد يراد به عقبة خاصة ويجوز ان يكون للجنس
فيتناول عقبة وغيره تمنى ان لو صحب الرسول وسلك معه طريقا واحدا وهو
طريق الحق ولم يتشعب به طرق الضلالة والهوى او اراد انى كنت ضالا
لم يكن لى سبيل قط فليتنى حصلت لنفسى فى صحبة الرسول سبيلا وقرئ يا
ويلتى بالياء وهو الاصل لان الرجل ينادى ويلته وهى هلكته يقول لها تعالى
فهذا اوانك وانما قلبت الياء الفا كما فى صحارى ومدارى فلان كناية عن
الاعلام كما ان الهن كناية عن الاجناس فان اريد بالظالم عقبة فالمعنى
ليتنى لم اتخذ ابيا خليلا فكنى عن اسمه وان اريد به الجنس فكل من اتخذ من
المضلين خليلا كان لخليله اسم علم لا محالة فجعله كناية عنه عن الذكر عن
ذكر الله او القرآن او موعظة الرسول صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يريد نطقه بشهادة
الحق وعزمه على الاسلام والشيطان اشارة الى خليله سماه شيطانا لانه اضله
كما يضل الشيطان ثم خذله ولم ينفعه فى العاقبة او اراد ابليس وكل من تشيطن
وانه هو الذى حمله على مخالة المضل ومخالفة الرسول ثم خذله او اراد الجنس
وكل من تشيطن من الجن والانس ويحتمل ان يكون وكان الشيطان
حكاية كلام الظالم وان يكون كلام الله الحرب يقرا على الادغام والا
ظهار والادغام اكثر الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وقومه قريش حكى الله عنه
شكواه قومه اليه وفى هذه الحكاية تعظيم للشكاية وتخويف لقومه لان الانبياء
عليهم السلام كانوا اذا التجؤا اليه وشكوا اليه قومهم حل بهم العذاب ولم ينظروا
ثم اقبل عليه مسليا ومؤتسيا وواعدا النصر عليهم فقال وكذلك كان كل نبى
قبلك مبتلى بعداوة قومه وكفاك بى هاديا الى طريق قهرهم والانتصار
منهم وناصرا لك عليهم مهجورا تركوه وصدوا عنه وعن الايمان به وعن النبى
صلى الله عليه وسلم من تعلم القرآن وعلمه وعلق مصحفا لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء
يوم القيامة متعلقا به يقول يا رب العالمين عبدك هذا اتخذنى مهجورا اقض
بينى وبينه وقيل هو من هجر اذا هذى اى جعلوه مهجورا فيه فحذف الجار
وهو على وجهين احدهما زعمهم انه هذيان وباطل واساطير الاولين والثانى
انهم كانوا اذا سمعوه هجروا فيه كقوله عز وجل لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه
ويجوز ان يكون المهجور بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول والمعنى اتخذوه هجرا
والعدو يجوز ان يكون واحدا وجمعا كقوله فانهم عدو لى وقيل المعنى وقال
الرسول يوم القيامة نزل ههنا بمعنى انزل لا غير كخبر بمعنى اخبر والا كان
متدافعا وهذا ايضا من اعتراضاتهم واقتراحاتهم الدالة على شرادهم عن الحق
وتجافيهم عن اتباعه قالوا هلا انزل عليه دفعة واحدة فى وقت واحد كما
انزلت الكتب الثلثة وماله انزل على التفاريق والقائلون قريش وقيل

اليهود وهذا فضول من القول ومماراة بما لا طائل تحته لأن أمر الإعجاز والاحتجاج
به لا يختلف بنزوله جملة واحدة أو مفرقا وقوله كذلك جواب لهم أي كذلك
أنزل مفرقا والحكمة فيه أن نقوي بتفريقه فؤادك حتى تعيه وتحفظه لأن
المتلقن إنما يقوى قلبه على حفظ العلم شيئا بعد شيء وجزءا عقيب جزء ولو
ألقي عليه جملة واحدة لتبعل به وتعيا بحفظه والرسول صلى الله عليه وسلم فارقت حاله
حال موسى وداود وعيسى عليهم السلام حيث كان أميا لا يقرأ ولا يكتب وهم كانوا
قارئين كاتبين فلم يكن له بد من التلقن والتحفظ فأنزل عليه منجما في عشرين
سنة وقيل في ثلاث وعشرين وأيضا فكان ينزل على حسب الحوادث وجوابات
السائلين ولأن بعضه منسوخ وبعضه ناسخ ولا يتأتى ذلك إلا فيما أنزل
مفرقا فإن قلت ذلك في كذلك يجب أن يكون إشارة إلى شيء تقدمه والذي
تقدم هو إنزاله جملة فكيف فسرته بكذلك أنزلناه مفرقا قلت لأن قولهم
لولا أنزل عليه جملة معناه لم أنزل مفرقا والدليل على فساد هذا الاعتراض
أنهم عجزوا عن أن يأتوا بنجم واحد من نجومه وتحدوا بسورة واحدة من
أصغر السور فأبرزوا صفحة عجزهم وسجلوا به على أنفسهم حين لاذوا
بالمناصبة وفزعوا إلى المحاربة ثم قالوا هلا أنزل جملة واحدة كأنهم قدروا
على تفاريقه حتى يقدروا على جملته ورتلناه معطوف على الفعل الذي تعلق به
كذلك كأنه قال كذلك فرقناه ورتلناه ومعنى ترتيله أن قدره آية بعد آية
ووقفة عقيب وقفة ويجوز أن يكون المعنى وأمرنا بترتيل قراءته وذلك قوله
ورتل القرآن ترتيلا أي اقرأه بترسل وتثبت ومنه حديث عائشة في صفة قراءته عليه السلام
لا كسردكم هذا لو أراد السامع أن يعد حروفه لعدها وأصله الترتيل في
الأسنان وهو تفليجها يقال ثغر رتل ومرتل ويشبه بنور الأقحوان في تفليجه
وقيل هو أن نزله مع كونه مفرقا على تمكث وتمهل في مدة متباعدة وهي عشرون
سنة ولم يفرقه في مدة متقاربة ولا يأتونك بسؤال عجيب من سؤالاتهم الباطلة
كأنه مثل في البطلان إلا أتيناك نحن بالجواب الحق الذي لا محيد عنه وبما
هو أحسن معنى ومؤدى من سؤالهم ولما كان التفسير هو التكشيف عما يدل
عليه الكلام وضع موضع معناه فقالوا تفسير هذا الكلام كيت وكيت كما قيل
معناه كذا وكذا أو لا يأتونك بحال وصفة عجيبة يقولون هلا كانت هذه
صفتك وحالك بجواب نحو أن يكون ملك ينذر معك أو يلقى إليك كنز أو تكون
لك جنة أو ينزل عليك القرآن جملة إلا أعطيناك نحن من الأحوال ما يحق
لك في حكمتنا ومشيئتنا أن نعطاه وما هو أحسن تكشيفا لما بعثت عليه
ودلالة على صحته يعني أن تنزيله مفرقا وتحديهم بأن يأتوا ببعض تلك التفاريق
كلما نزل شيء منها أدخل في الإعجاز وأنور للحجة من أن ينزل كله جملة ويقال لهم
جيئوا بمثل هذا الكتاب في فصاحته مع بعد ما بين طرفيه كأنه قيل لهم
إن حاملكم على هذه السؤالات أنكم تضللون سبيله وتحقرون مكانه ومنزلته
ولو نظرتم بعين الإنصاف وأنتم من المسحوبين على وجوههم إلى جهنم لعلمتم

أن مكانكم شر من مكانه وسبيلكم أضل من سبيله وفي طريقته قوله هل أنبئكم
بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه الآية ويجوز أن يراد
بالمكان الشرف والمنزلة وأن يراد الدار والمسكن كقوله أي الفريقين خير مقاما
وأحسن نديا ووصف السبيل بالضلال من المجاز الحكمي وعن النبي صلى الله عليه وسلم
يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أثلاث ثلث على الدواب وثلث على وجوههم
وثلث على أقدامهم ينسلون نسلا الوزير لا ينافي النبوة فقد كان يبعث في
الزمن الواحد أنبياء ويؤمرون بأن يوازر بعضهم بعضا والمعنى فذهبا إليهم
فكذبوهما فدمرناهم كقوله اضرب بعصاك البحر فانفلق أي فضرب فانفلق
أراد اختصار القصة فذكر حاشيتيها أولها وآخرها لأنهما المقصود من القصة
بطولها أعني إلزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم وعن
علي رضي الله عنه فدمرتهم وعنه فدمرانهم وقرئ فدمرانهم على التأكيد بالنون
الثقيلة كأنهم كذبوا نوحا عليه السلام ومن قبله من الرسل صريحا أو كان تكذيبهم
لواحد منهم تكذيبا للجميع أو لم يروا بعثة الرسل أصلا كالبراهمة وجعلناهم
لغرقهم أو قصتهم للناس آية وأعتدنا للظالمين إما أن يعني بهم قوم نوح وأصله وأعتدنا لهم
إلا أنه قصد تظليمهم فأظهر وإما أن يتناولهم بعمومه عطف عادا على هم
في جعلناهم أو على الظالمين لأن المعنى ووعدنا الظالمين وقرئ وثمود على
تأويل القبيلة وأما المنصرف فعلى تأويل الحي أو لأنه اسم الأب الأكبر قيل في
أصحاب الرس كانوا قوما من عبدة الأصنام أصحاب آبار ومواش فبعث
الله إليهم شعيبا فدعاهم إلى الإسلام فتمادوا في طغيانهم وفي إيذائه فبينا
هم حول الرس وهو البئر غير المطوية عن أبي عبيدة انهارت بهم فخسف بهم
وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة قتلوا نبيهم فهلكوا وهم بقية ثمود قوم
صالح عليه السلام وقيل هم أصحاب النبي حنظلة بن صفوان كانوا مبتلين بالعنقاء وهي
أعظم ما يكون من الطير سميت لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال
له فتخ وهي تنقض على صبيانهم فتخطفهم إن أعوزها الصيد فدعا عليها
حنظلة عليه السلام فأصابتها الصاعقة ثم إنهم قتلوا حنظلة فأهلكوا وقيل هم
أصحاب الأخدود والرس هو الأخدود وقيل الرس بأنطاكية قتلوا فيها
حبيبا النجار وقيل كذبوا نبيهم ورسوه في بئر أي دسوه فيها بين ذلك أي
بين ذلك المذكور وقد يذكر الذاكر أشياء مختلفة ثم يشير إليها بذلك ويحسب
الحاسب أعدادا متكاثرة ثم يقول فذلك كيت وكيت على معنى فذلك المحسوب
أو المعدود ضربنا له الأمثال بينا له القصص العجيبة من قصص الأولين
ووصفنا لهم ما أجروا إليه من تكذيب الأنبياء عليهم السلام وجرى عليهم من عذاب
الله عز وجل وتدميره والتتبير التفتيت والتكسير ومنه التبر وهو كسار
الذهب والفضة والزجاج وكلا الأول منصوب بما دل عليه ضربنا له الأمثال
أي أنذرنا أو حذرنا والثاني بتبرنا لأنه فارغ له أراد بالقرية سدوم
من قرى قوم لوط وكانت خمسا أهلك الله عز وجل أربعا بأهلها وبقيت واحدة

ومطر السوء الحجارة يعني ان قريشا مروا مرارا كثيرة في متاجرهم الى الشام على
تلك القرية التي اهلكت بالحجارة من السما افلم يكونوا في مرار مرورهم
ينظرون الى اثار عذاب الله ونكاله ويذكرون بل كانوا قوما كفرة
بالبعث لا يتوقعون نشورا وعاقبة فوضع الرجا موضع التوقع لانه
انما يتوقع العاقبة من يومن فمن ثم لم ينظروا ولم يذكروا ومروا بها
كما مرت ركابهم او لا يأملون نشورا كما يامله المومنون لطمعهم في الو
صول الى ثواب اعمالهم او لا يخافون على اللغة التهامية ان الاولى نافية
والثانية مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينهما واتخذه هزوا في معنى
استهزا به والاصل اتخذ موضع هزو او مهزوا به اهذا محكي بعد القول
المضمر وهذا استصغار وبعث الله رسولا واخراجه في معرض التسليم
والاقرار وهم على غاية الجحود والانكار سخرية واستهزا ولو لم
يستهزئوا لقالوا اهذا الذي زعم او ادعى انه مبعوث من عند الله رسولا
وقولهم ان كاد ليضلنا دليل على فرط مجاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوتهم
وبذله قصارى الوسع والطاقة في استعطافهم مع عرض الايات والمعجزات
عليهم حتى شارفوا بزعمهم ان يتركوا دينهم الى دين الاسلام لولا فرط لجاجهم
واستمساكهم بعبادة الهتهم ولولا في مثل هذا الكلام جار من حيث المعنى
لا من حيث الصنعة مجرى التقييد للحكم المطلق وسوف يعلمون وعيد
ودلالة على انهم لا يفوتونه وان طالت مدة الامهال ولا بد للوعيد ان يلحقهم
فلا يغرنهم التاخير وقوله من اضل سبيلا كالجواب عن قولهم ان كاد ليضلنا
لانه نسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى الضلال من حيث لا يضل غيره الا من هو
ضال في نفسه ويروى انه من قول ابي جهل لعنه الله من كان في طاعة الهوى
في دينه يتبعه في كل ما ياتي ويذر لا يتبصر دليلا ولا يصغي الى برهان فهو عابد
هواه وجاعله الهه فيقول لرسوله هذا الذي لا يرى معبودا الا هواه
كيف تستطيع ان تدعوه الى الهدى افتتوكل عليه وتجبره على الاسلام وتقول
لا بد ان تسلم شئت او ابيت ولا اكراه في الدين وهذا كقوله لست عليهم بمصيطر
ويروى ان الرجل منهم كان يعبد الحجر فاذا راى احسن منه رمى به واخذ اخر
ومنهم الحرث بن قيس السهمي ام هذه منقطعة معناه بل اتحسب كان هذه
المذمة اشد من التي تقدمتها حتى حقت بالاضراب عنها اليها وهي كونهم مسلوبي
الاسماع والعقول لانهم لا يلقون الى استماع الحق اذنا ولا الى تدبره عقلا ومشبهين
بالانعام التي هي مثل في الغفلة والضلالة ثم ارجح ضلالة منها فان قلت
لم اخر هواه والاصل قولك اتخذ الهوى الها قلت ما هو الا تقديم المفعول
الثاني على الاول للعناية كما تقول علمت منطلقا زيدا لفضل عنايتك بالمنطلق فان
قلت ما معنى ذكر الاكثر قلت كان فيهم من لم يصده عن الاسلام الا داء
واحد وهو حب الرياسة وكفى به داء عضالا فان قلت كيف جعلوا اضل
من الانعام قلت لان الانعام تنقاد لاربابها التي تعلفها وتتعهدها

وما انت عليهم بجبار

وتعرف من يحسن اليها ممن يسي اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها
وتهتدي لمراعيها ومشاربها وهولاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه
اليهم من اساءة الشيطان الذي هو عدوهم ولا يطلبون الثواب الذي هو
اعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو اشد المضار والمهالك ولا
يهتدون للحق الذي هو المشرع الهني والعذب الروي الم تر الى ربك
الم تنظر الى صنع ربك وقدرته ومعنى مد الظل ان جعله يمتد وينبسط فينتفع
به الناس ولو شا لجعله ساكنا اي لاصقا باصل كل مظل من جبل وبنا وشجر
غير منبسط فلم ينتفع به احد سمى انبساط الظل وامتداده تحركا منه وعدم
ذلك سكونا ومعنى كون الشمس دليلا ان الناس يستدلون بالشمس
وباحوالها في مسيرها على احوال الظل من كونه ثابتا في مكان وزائلا ومتسعا
ومتقلصا فيبنون حاجتهم الى الظل واستغناءهم عنه على حسب ذلك وقبضه
اليه انه ينسخه بضح الشمس يسيرا اي على مهل وفي هذا القبض اليسير شيئا
بعد شي من المنافع ما لا يعد ولا يحصر ولو قبض دفعة واحدة لتعطلت اكثر
مرافق الناس بالظل والشمس جميعا فان قلت ثم في هذين الموضعين
كيف موقعها قلت موقعها لبيان تفاضل الامور الثلثة كان الثاني اعظم
من الاول والثالث اعظم منهما تشبيها لتباعد ما بينها في الفضل بتباعد ما
بين الحوادث في الوقت ووجه اخر وهو انه مد الظل حين بنى السما
كالقبة المضروبة ودحا الارض تحتها فالقت القبة ظلها على الارض
فينانا ما في اديمه جوب لعدم النير ولو شا لجعله ساكنا مستقرا على
تلك الحالة ثم خلق الشمس وجعلها على ذلك الظل اي سلطها عليه ونصبها
دليلا متبوعا له كما يتبع الدليل في الطريق فهو يزيد بها وينقص ويمتد
ويتقلص ثم نسخه بها فقبضه قبضا سهلا يسيرا غير عسير ويحتمل ان
يريد قبضه عند قيام الساعة بقبض اسبابه وهي الاجرام التي تلقي
الظل فيكون قد ذكر اعدامه باعدام اسبابه كما ذكر انشاءه بانشاء
اسبابه وقوله قبضناه الينا يدل عليه وكذلك قوله يسيرا كما قال ذلك
حشر علينا يسير شبه ما يستر من ظلام الليل باللباس الساتر والسبات
الموت والمسبوت الميت لانه مقطوع الحياة وهذا كقوله وهو الذي يتوفاكم
بالليل فان قلت هلا فسرته بالراحة قلت النشور في مقابلته يأباه اباء
العيوف الورد وهو مرنق وهذه الاية مع دلالتها على قدرة الخالق فيها
اظهار لنعمته على خلقه لان الاحتجاب بستر الليل كم فيه لكثير من الناس من
فوائد دينية ودنيوية والنوم واليقظة وشبههما بالموت والحياة اي عبرة
فيها لمن اعتبر وعن لقمن انه قال لابنه يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت
فتنشر وقرئ الريح والرياح نشرا احيا ونشرا جمع نشور وهي المحيية ونشرا
تخفيف نشر وبشرا تخفيف بشر جمع بشور وبشرى وبين يدي رحمته
استعارة مليحة اي قدام المطر طهورا بليغا في طهارته وعن احمد بن يحيى هو

ما كان طاهرا في نفسه مطهرا لغيره فان كان ما قاله شرحا لبلاغته في
الطهارة كان سديدا ويعضده قوله وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به
والا فليس فعول من التفعيل في شيء والطهور على وجهين في العربية صفة
واسم غير صفة فالصفة قولك ماء طهور كقولك طاهر والاسم قولك لما
يتطهر به طهور كالوضوء والوقود لما يتوضأ به ويوقد به النار وقولهم تطهرت
طهورا حسنا كقولك وضوءا حسنا ذكره سيبويه ومنه قوله عليه السلام لا صلاة الا
بطهور اي بطهارة فان قلت ما الذي يزيل عن الماء اسم الطهور قلت
تيقن مخالطة النجاسة او غلبتها على الظن تغير احد اوصافه الثلاثة او لم
يتغير او استعماله في البدن لاداء عبادة عند ابي حنيفة وعند مالك بن انس
ما لم يتغير احد اوصافه فهو طهور فان قلت فما تقول في قوله عليه السلام حين سئل
عن بئر بضاعة فقال الماء طهور لا ينجسه شيء الا ما غير لونه او طعمه او ريحه
قلت قال الواقدي كان بئر بضاعة طريقا للماء الى البساتين وانما قال ميتا
لان البلدة في معنى البلد في قوله فسقناه الى بلد ميت وانه غير جار على الفعل
كفعول ومفعال ومفعيل وقرئ نسقيه بالفتح وسقى واسقى لغتان وقيل
اسقاه جعل له سقيا الاناسي جمع انسي او جمع انسان ونحوه ظرابي في
ظربان على قلب النون ياء والاصل اناسين وظرابين وقرئ بالتخفيف بحذف
ياء افاعيل كقولك اناعم في اناعيم فان قلت انزال الماء موصوفا بالطهارة
وتعليله بالاحياء والسقي يؤذن بان الطهارة شرط في صحة ذلك كما تقول
حملني الامير على فرس جواد لاصيد عليه الوحش قلت لما كان سقي
الاناسي من جملة ما انزل له الماء وصفه بالطهور اكراما لهم وتتميما للمنة
عليهم وبيانا ان من حقهم حين اراد الله لهم الطهارة وارادهم عليها
ان يؤثروها في بواطنهم ثم في ظواهرهم وان يربؤوا بانفسهم عن مخالطة
القاذورات كلها كما ربأ بهم ربهم فان قلت لم خص الانعام من بين
ما خلق من الحيوان الشارب قلت لان الطير والوحش تبعد في طلب الماء
فلا يعوزها الشرب بخلاف الانعام ولانها قنية الاناسي وعامة منافعهم
متعلقة بها فكان الانعام عليهم بسقي انعامهم كالانعام بسقيهم فان
قلت فما معنى تنكير الانعام والاناسي ووصفها بالكثرة قلت معنى
ذلك ان علية الناس وجلهم منيخون بالقرب من الاودية والانهار ومنابع
الماء فبهم غنية عن سقي الماء واعقابهم وهم كثير منهم لا يعيشهم الا ما ينزل الله
من رحمته وسقيا سمائه وكذلك قوله لنحيي به بلدة ميتا يريد بعض بلاد
هؤلاء المتبعدين عن مظان الماء فان قلت لم قدم احياء الارض وسقي
الانعام على سقي الاناسي قلت لان حياة الاناسي بحياة ارضهم وحياة
انعامهم فقدم ما هو سبب حياتهم وتعيشهم على سقيهم ولانهم اذا ظفروا
بما يكون سقيا ارضهم ومواشيهم لم يعدموا سقياهم من بعد ولقد صرفنا

هذا القول بين الناس في القرآن وفي سائر الكتب والصحف التي انزلت على الرسل
وهو ذكر انشاء السحاب وانزال القطر ليفكروا ويعتبروا ويعرفوا حق النعمة فيه
ويشكروا فابى اكثرهم الا كفران النعمة وجحودها وقلة الاكتراث
لها وقيل صرفنا المطر بينهم في البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة وعلى
الصفات المتفاوتة من وابل وطل وجود ورذاذ وديمة ورهام فابوا
الا الكفور وان يقولوا مطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله ورحمته وعن
ابن عباس ما من عام اقل مطرا من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده على
ما شاء وتلا هذه الاية وروي ان الملائكة يعرفون عدد المطر ومقداره في كل
عام لانه لا يختلف ولكن تختلف فيه البلاد وينتزع من هاهنا جواب في
تنكير البلدة والانعام والاناسي كانه قال لنحيي به بعض البلاد الميتة ونسقيه
بعض الانعام والاناسي وذلك البعض كثير فان قلت هل يكفر من ينسب
الامطار الى الانواء قلت ان كان لا يراها الا من الانواء ويجحد ان تكون هي
والانواء من خلق الله فهو كافر وان كان يرى ان الله خالقها وقد نصب
الانواء دلائل وامارات عليها لم يكفر يقول لرسوله صلى الله عليه وسلم ولو شئنا
لخففنا عنك اعباء نذارة جميع القرى ولبعثنا في كل قرية نبيا ينذرها
وانما قصرنا الامر عليك وعظمناك به واجللناك وفضلناك على سائر الرسل
فقابل ذلك بالتشدد والتصبر فلا تطع الكافرين فيما يريدونك عليه وانما
اراد بهذا تهييجه وتهييج المؤمنين وتحريكهم والضمير للقرآن او لترك الطاعة
الذي يدل عليه ولا تطع والمراد ان الكفار يجدون ويجتهدون في توهين
امرك فقابلهم من جدك واجتهادك وعضك على نواجذك بما تغلبهم به
وتعلوهم وجعله جهادا كبيرا لما يحتمل فيه من المشاق العظام ويجوز
ان يرجع الضمير في به الى ما دل عليه قوله ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا
من كونه نذير كافة القرى لانه لو بعث في كل قرية نذيرا لوجبت على كل
نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المجاهدات
كلها فكبر جهاده من اجل ذلك وعظم فقال له وجاهدهم بسبب كونك
نذير كافة القرى جهادا كبيرا جامعا لكل مجاهدة سمي الماءين الكثيرين
الواسعين بحرين والفرات البليغ العذوبة حتى يضرب الى الحلاوة
والاجاج نقيضه ومرجهما خلاهما متجاورين متلاصقين وهو بقدرته
يفصل بينهما ويمنعهما التمازج وهذا من عظيم اقتداره وفي كلام بعضهم
وبحران احدهما مع الاخر ممزوج وماء العذب منهما بالاجاج ممزوج برزخا
حائلا من قدرته كقوله بغير عمد ترونها يريد بغير عمد مرئية وهو قدرته سبحانه
وقرئ ملح على فعل وقيل كانه حذف من مالح تخفيفا كما قال وصليانا بردا
يريد باردا فان قلت وحجرا محجورا ما معناه قلت هي الكلمة التي يقولها
المتعوذ وقد فسرناها وهي هاهنا واقعة على سبيل المجاز كأن كل واحد من
البحرين يتعوذ من صاحبه ويقول له حجرا محجورا كما قال لا يبغيان اي لا يبغي

احدهما على صاحبه بالممازجة فانتفى البغي ثم كالعذب هاهنا فجعل كل واحد
منهما في صورة الباغي على صاحبه فهو يتعوذ منه وهو من احسن الاستعارات
واشهدها على البلاغة اراد فقسم البشر قسمين ذوي نسب اي ذكورا
ينسب اليهم فيقال فلان بن فلان وفلانة بنت فلان وذوات صهر اي اناثا
يصاهر بهن ونحوه قوله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى وكان
ربك قديرا حيث خلق من النطفة الواحدة بشرا نوعين ذكرا وانثى
الظهير والمظاهر كالعوين والمعاون وفعيل بمعنى مفاعل غير عزيز
والمعنى ان الكافر يظاهر الشيطان على ربه بالعداوة والشرك روي
انها نزلت في ابي جهل ويجوز ان يريد بالظهير الجماعة كقوله والملائكة بعد
ذلك ظهير كما جاء الصديق والخليط ويريد بالكافر الجنس وان بعضهم
مظاهر لبعض على اطفاء نور دين الله وقيل معناه وكان الذي يفعل هذا
الفعل وهو عبادة ما لا يسمع ولا يبصر على ربه هينا مهينا من قولهم ظهرت
به اذا خلفته خلف ظهرك لا تلتفت اليه وهذا نحو قوله اولئك لا خلاق لهم
في الاخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم مثال الا من شاء والمراد الا فعل
من شاء واستثناؤه عن الاجر قول ذي شفقة عليك قد سعى لك في تحصيل
مال ما اطلب منك ثوابا على ما سعيت الا ان تحفظ هذا المال ولا تضيعه
فليس حفظك المال لنفسك من جنس الثواب ولكن صوره هو بصورة
الثواب وسماه باسمه فافاد فائدتين احداهما قلع شبهة الطمع في الثواب
من اصله كانه يقول لك ان كان حفظك لمالك ثوابا فاني اطلب الثواب
والثانية اظهار الشفقة البالغة وانك ان حفظت مالك اعتد بحفظك
ثوابا ورضي به كما يرضى المثاب بالثواب ولعمري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
مع المبعوث اليهم بهذا الصدد وفوقه ومعنى اتخاذهم الى الله سبيلا
تقربهم اليه وطلبهم عنده الزلفى بالايمان والطاعة وقيل المراد التقرب بالصدقة
والنفقة في سبيل الله امره الله بان يثق به ويسند امره اليه في استكفاء
شرورهم مع التمسك بقاعدة التوكل واساس الالتجاء وهو طاعته وعبادته
وتنزيهه وتحميده وعرفه ان الحي الذي لا يموت حقيق بان يتوكل عليه وحده
ولا يتكل على غيره من الاحياء الذين يموتون وعن بعض السلف انه قرأها فقال
لا يصح لذي عقل ان يثق بعدها بمخلوق ثم اراه انه ليس اليه من امر عباده
شيء امنوا ام كفروا وانه خبير باحوالهم كاف في جزاء اعمالهم في ستة ايام
يعني في مدة مقدارها هذه المدة لانه لم يكن حينئذ نهار ولا ليل وقيل ستة ايام
من ايام الاخرة وكل يوم الف سنة والظاهر انها من ايام الدنيا وعن مجاهد
اولها يوم الاحد واخرها يوم الجمعة ووجهه ان اسامي الله عز وجل للملائكة تلك
الايام المقدرة بهذه الاسامي فلما خلق الشمس وادارها وترتب امر العالم على
ما هو عليه جرت التسمية على هذه الايام واما الداعي الى هذا العدد اعني الستة
دون سائر الاعداد فلا نشك انه داعي حكمة لعلمنا انه لا يقدر تقديرا الا بداعي

حكمة وان كنا لا نطلع عليه ولا نهتدي الى معرفته ومن ذلك تقديره الملائكة الذين
هم اصحاب النار تسعة عشر وحملة العرش ثمانية والشهور اثني عشر
والسموات سبعا والارض كذلك والصلوات خمسا واعداد النصب و
الحدود والكفارات وغير ذلك والاقرار بدواعي الحكمة في جميع افعاله
وبان ما قدره حق وصواب هو الايمان وقد نص عليه في قوله وما جعلنا
اصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن
الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين امنوا ايمانا ولا يرتاب الذين اوتوا
الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا
اراد الله بهذا مثلا ثم قال وما يعلم جنود ربك الا هو وهو الجواب ايضا
في انه لم يخلقها في لحظة وهو قادر على ذلك وعن سعيد بن جبير انما خلقها
في ستة ايام وهو قادر على ان يخلقها في لحظة تعليما لخلقه الرفق والتثبت
وقيل اجتمع خلقها يوم الجمعة فجعله الله عيدا للمسلمين الذي خلق
مبتدأ والرحمن خبره او هو صفة للحي والرحمن خبر مبتدأ محذوف او بدل
عن المستتر في استوى وقرئ الرحمن بالجر صفة للحي وقرئ فاسال
والباء في به صلة سل كقوله سال سائل بعذاب واقع كما تكون عن
صلته في نحو قوله ثم لتسألن يومئذ عن النعيم فسال به كقولك اهتم به
واعتنى به واشتغل به وسال عنه كقولك بحث عنه وفتش عنه ونقر
عنه او صلة خبيرا وتجعل خبيرا مفعول سل يريد فاسال عنه رجلا خبيرا
عارفا يخبرك برحمته او فاسال رجلا خبيرا به وبرحمته او فاسال بسؤاله خبيرا
كقولك رايت به اسدا اي برؤيته والمعنى ان سالته وجدته خبيرا او
تجعله حالا عن الهاء تريد فاسال عنه عالما بكل شيء وقيل الرحمن اسم من
اسماء الله عز وجل مذكور في الكتب المتقدمة ولم يكونوا يعرفونه فقيل
فاسال بهذا الاسم من يخبرك من اهل الكتاب حتى يعرف من ينكره ومن
ثم كانوا يقولون ما نعرف الرحمن الا الذي باليمامة يعنون مسيلمة الكذاب
وكان يقال له رحمن اليمامة وما الرحمن يجوز ان يكون سؤالا عن المسمى
به لانهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم والسؤال عن المجهول بما ويجوز ان يكون
سؤالا عن معناه لانه لم يكن مستعملا في كلامهم كما استعمل الرحيم والرحوم
والراحم او لانهم انكروا اطلاقه على الله لما تامرنا اي للذي تامرناه بمعنى
تامرنا سجوده على قوله امرتك الخير او لامرك لنا وقرئ بالياء كان
بعضهم قال لبعض انسجد لما يامرنا محمد او يامرنا المسمى بالرحمن ولا نعرف
ما هو وزادهم قوله اسجدوا للرحمن نفورا لانه هو المقول البروج منازل
الكواكب السبعة السيارة الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد
والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت سميت
بالبروج التي هي القصور العالية لانها لهذه الكواكب كالمنازل لسكانها

واستعاق البرج من التبرج لظهوره والسراج الشمس كقوله وجعل
الشمس سراجا وقرئ سرجا وهي الشمس والكواكب الكبار معها وقرأ الحسن
والاعمش وقمرا منيرا وهو جمع ليلة قمراء كأنه قال وذا قمر منيرا لان الليالي
تكون قمرا بالقمر فأضافه اليها ونظيره في بقاء حكم المضاف بعد سقوطه وقيام
المضاف اليه مقامه قول حسان ٥ بردى يصفق بالرحيق السلسل ٥
يريد ماء بردى ولا يبعد ان يكون القمر بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب
والعرب الخلفة من خلف كالركبة من ركب وهي الحالة التي يخلف عليها
الليل والنهار كل واحد منهما الآخر والمعنى جعلهما ذوي خلفة اي ذوي عقبة
يعقب هذا ذاك وذاك هذا ويقال الليل والنهار يختلفان كما يقال يعتقبان
ومنه قوله سبحانه واختلاف الليل والنهار ويقال بفلان خلفة واختلاف
اذا اختلف كثيرا الى متبرزه وقرئ يذكر ويذكر وعن ابي بن كعب يتذكر
والمعنى لينظر في اختلافهما الناظر فيعلم ان لابد لانتقالهما من حال الى
حال وتغيرهما من ناقل ومغير ويستدل بذلك على عظم قدرته
ويشكر الشاكر على النعمة فيهما من السكون بالليل والتصرف بالنهار كما قال عز وجل
ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله او ليكونا
وقتين للمتذكرين والشاكرين من فاته في احدهما ورده من العبادة
قام به في الآخر وعن الحسن رحمه الله من فاته عمله من التذكر والشكر
بالنهار كان له في الليل مستعتب ومن فاته بالليل كان له في النهار مستعتب
وعباد الرحمن مبتدأ خبره في آخر السورة كأنه قال وعباد الرحمن الذين
هذه صفاتهم اولئك يجزون الغرفة ويجوز ان يكون خبره الذين يمشون
واضافهم الى الرحمن تخصيصا وتفضيلا وقرئ وعباد الرحمن وقرئ
يمشون هونا حال او صفة للمشي بمعنى هينين او مشيا هينا الا ان في
وضع المصدر موضع الصفة مبالغة والهون الرفق واللين ومنه
الحديث احبب حبيبك هونا ما وقوله المؤمنون هينون لينون والمثل
اذا عز اخوك فهن ومعناه اذا عاسر فياسر والمعنى انهم يمشون بسكينة
ووقار وتواضع لا يضربون باقدامهم ولا يخفقون بنعالهم اشرا وبطرا
ولذلك كره بعض العلماء الركوب في الاسواق ولقوله ويمشون في الاسواق
سلاما تسلما منكم لا نجاهلكم ومتاركة لا خير بيننا ولا شر اي نتسلم
منكم تسلما فاقيم السلام مقام التسلم وقيل قالوا سدادا من القول
يسلمون فيه من الايذاء والاثم والمراد بالجهل السفه وقلة الادب وسوء الرعة
من قوله ٥ الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا ٥
وعن ابي العالية نسختها آية القتال ولا حاجة الى ذلك لان الاغضاء عن
السفهاء وترك المقابلة مستحسن في الادب والمروءة والشريعة واسلم
للعرض والورع البيتوتة خلاف الظلول وهي ان يدركك الليل نمت

اولم تنم وقالوا من قرأ شيئا من القرآن في صلاة وان قل فقد بات ساجدا وقائما
وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء والظاهر انه وصف
لهم باحياء الليل او اكثره يقال فلان يظل صائما ويبيت قائما غراما هلاكا
وخسرانا ملحا لازما قال ٥ ويوم النسار ويوم الجفار كانا عذابا وكانا غراما ٥
وقال ٥ ان يعاقب يكن غراما وان يعط جزيلا فانه لا يبالي ٥ ومنه
الغريم لالحاحه ولزامه وصفهم باحياء الليل ساجدين وقائمين ثم عقبه
بذكر دعوتهم هذه ايذانا بانهم مع اجتهادهم خائفون مبتهلون الى الله
في صرف العذاب عنهم كقوله والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة ساءت
في حكم بئست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقرا والمخصوص بالذم محذوف
معناه ساءت مستقرا ومقاما هي وهذا الضمير هو الذي ربط الجملة باسم ان
وجعلها خبرا لها ويجوز ان يكون ساءت بمعنى احزنت وفيها ضمير اسم ان
ومستقرا حال او تمييز والتعليلان يصح ان يكونا متداخلين ومترادفين
وان يكونا من كلام الله وحكاية لقولهم وقرئ يقتروا بكسر التاء وضمها
ويقتروا بتخفيف التاء وتشديدها والقتر والاقتار والتقتير التضييق الذي
هو نقيض الاسراف والاسراف مجاوزة الحد في النفقة ووصفهم بالقصد الذي
هو بين الغلو والتقصير وبمثله امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تجعل يدك مغلولة
الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقيل الاسراف انما هو الانفاق في المعاصي
فاما في القرب فلا اسراف وسمع رجل رجلا يقول لا خير في الاسراف فقال لا
اسراف في الخير وعن عمر بن عبد العزيز انه شكر عبد الملك بن مروان حين
زوجه ابنته واحسن اليه فقال وصلت الرحم وفعلت وصنعت وجاء بكلام
حسن فقال ابن لعبد الملك انما هو كلام اعد لهذا المقام فسكت عبد الملك فلما
كان بعد ايام دخل عليه والابن حاضر فسأله عن نفقته واحواله فقال الحسنة بين
السيئتين فعرف عبد الملك انه اراد ما في هذه الآية فقال لابنه يا بني اهذا ايضا مما
اعد وقيل اولئك اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا لا يأكلون طعاما للتنعم واللذة
ولا يلبسون ثوبا للجمال والزينة ولكن كانوا يأكلون ما يسد جوعتهم ويعينهم
على عبادة ربهم ويلبسون ما يستر عوراتهم ويكنهم من الحر والقر وقال عمر
رضي الله عنه كفى سرفا ان لا يشتهي الرجل شيئا الا اشتراه فأكله والقوام العدل
بين الشيئين لاستقامة الطرفين واعتدالهما ونظير القوام من الاستقامة
السواء من الاستواء وقرئ قواما بالكسر وهو ما يقام به الشيء يقال انت
قوامنا بمعنى ما تقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص والمنصوبان اعني بين ذلك
قواما جائز ان يكونا خبرين معا وان يجعل بين ذلك لغوا وقواما مستقرا وان
يكون الظرف خبرا وقواما حالا مؤكدة واجاز الفراء ان يكون بين ذلك اسم كان
على انه مبني لاضافته الى غير متمكن كقوله ٥ لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت ٥
وهو من جهة الاعراب لا بأس به ولكن المعنى ليس بقوي لان ما بين الاسراف
والتقتير قوام لا محالة فليس في الخبر الذي هو معتمد الفائدة فائدة حرم الله

أي حرمها والمعنى حرم قتلها و إلا بالحق متعلق بهذا القتل المحذوف أو بلا
يقتلون ونفى هذه المقبحات العظام عن الموصوفين بتلك الخلال العظيمة
في الدين للتعريض بما كان عليه أعداء المؤمنين من قريش وغيرهم كأنه
قيل والذين برأهم الله وطهرهم مما أنتم عليه والقتل بغير حق يدخل فيه الوأد
وغيره وعن ابن مسعود رضي الله عنه قلت يا رسول الله أي الذنب أعظم قال أن تجعل
لله ندا وهو خلقك قلت ثم أي قال أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك
قلت ثم أي قال أن تزاني حليلة جارك فأنزل الله تصديقه وقرئ يلق أثاما
وقرئ يلقى بإثبات الألف وقد مر مثله والأثام جزاء الإثم بوزن الوبال و
النكال ومعناهما قال ۵ جزى الله ابن عروة حيث أمسى عقوقا والعقوق
له أثام ۵ وقيل هو الإثم ومعناه يلق جزاء أثام وقرأ ابن مسعود أياما أي
شدائد يقال يوم ذو أيام لليوم العصيب يضاعف بدل من يلق لأنهما
في معنى واحد كقوله ۵ متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا ۵
وقرئ يضعف ونضعف له العذاب بالنون ونصب العذاب وقرئ بالرفع
على الاستئناف أو على الحال وكذلك يخلد وقرئ ويخلد على البناء للمفعول
مخففا ومثقلا من الإخلاد والتخليد وقرئ وتخلد بالتاء على الالتفات يبدل
مخففا ومثقلا وكذلك سيئاتهم فإن قلت ما معنى مضاعفة العذاب
وإبدال الحسنات سيئات قلت إذا ارتكب المشرك معاصي مع الشرك
عذب على الشرك وعلى المعاصي جميعا فتضاعف العقوبة لمضاعفة
المعاقب عليه وإبدال السيئات حسنات أنه يمحوها بالتوبة ويثبت مكانها
الإيمان والطاعة والتقوى وقيل يبدلهم بالشرك إيمانا وبقتل المسلمين
قتل المشركين وبالزنا عفة وإحصانا تريد ومن يترك المعاصي ويندم عليها
ويدخل في العمل الصالح فإنه بذلك تائب إلى الله متابا مرضيا عنده مكفرا
للخطايا محصلا للثواب أو فإنه تائب متابا إلى الله الذي يعرف حق التائبين
ويفعل بهم ما يستوجبون والذي يحب التوابين ويحب المتطهرين وفي كلام
بعض العرب لله أفرح بتوبة العبد من المضل الواجد والظمآن
الوارد والعقيم الوالد أو فإنه يرجع إلى الله وإلى ثوابه مرجعا حسنا وأي
مرجع يحتمل أنهم ينفرون عن محاضر الكذابين ومجالس الخطائين فلا
يحضرونها ولا يقربونها تنزها عن مخالطة الشر وأهله وصيانة لدينهم
عن ما يثلمه لأن مشاهد الباطل شركة فيه ولذلك قيل في النظارة إلى
كل ما لم تسوغه الشريعة هم شركاء فاعليه في الإثم لأن حضورهم ونظرهم
دليل الرضى به وسبب وجوده والزيادة فيه لأن الذي سلطه على فعله هو
استحسان النظار ورغبتهم في النظر إليه وفي مواعظ عيسى بن مريم صلوات الله عليه
إياكم ومجالسة الخطائين ويحتمل أنهم لا يشهدون شهادة الزور فحذف
المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وعن قتادة مجالس الباطل وعن ابن الحنفية
اللهو والغناء وعن مجاهد أعياد المشركين اللغو كل ما ينبغي أن يلغى ويطرح

ح السيئات حسنات

والمعنى وإذا مروا بأهل اللغو والمشتغلين به مروا معرضين عنهم مكرمين
أنفسهم عن الوقوف عليهم والخوض معهم كقوله وإذا سمعوا اللغو أعرضوا
عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين وعن
الحسن لم تسفههم المعاصي وقيل إذا سمعوا من الكفار الشتم والأذى أعرضوا
عنه وصفحوا وقيل إذا ذكروا النكاح كنوا عنه لم يخروا عليها ليس بنفي
للخرور وإنما هو إثبات له ونفي للصمم والعمى كما تقول لا يلقاني زيد مسلما هو
نفي للسلام لا للقاء والمعنى أنهم إذا ذكروا بها أكبوا عليها حرصا على استماعها
وأقبلوا على المذكر بها وهم في إكبابهم عليها سامعون بآذان واعية مبصرون
بعيون راعية لا كالذين يذكرون بها فتراهم مكبين عليها مقبلين على
من يذكر بها مظهرين الحرص الشديد على استماعها وهم كالصم العميان
حيث لا يعونها ولا يبصرون ما فيها كالمنافقين وأشباههم قرئ ذريتنا
وذرياتنا وقرة أعين وقرات أعين سألوا ربهم أن يرزقهم أزواجا
وأعقابا عمالا لله يسرون بمكانهم وتقر بهم عيونهم وعن محمد بن كعب ليس
شيء أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله وعن ابن
عباس هو الولد إذا رآه يكتب الفقه وقيل سألوا أن يلحق الله بهم أزواجهم
وذريتهم في الجنة ليتم لهم سرورهم أراد أئمة فاكتفى بالواحد لدلالته على
الجنس ولعدم اللبس كقوله ثم يخرجكم طفلا أو أراد واجعل كل واحد
منا إماما أو أراد جمع آم كصائم وصيام أو أراد واجعلنا إماما
واحدا لاتحادنا واتفاق كلمتنا وعن بعضهم في الآية ما يدل على أن الرياسة
في الدين يجب أن تطلب ويرغب فيها وقيل نزلت هذه الآيات في العشرة
المبشرين بالجنة فإن قلت من في قوله من أزواجنا ما هي قلت يحتمل
أن تكون بيانية كأنه قيل هب لنا قرة أعين ثم بينت القرة وفسرت بقوله
من أزواجنا وذرياتنا ومعناه أن يجعلهم الله لهم قرة أعين وهو من
قولهم رأيت منك أسدا أي أنت أسد وأن تكون ابتدائية على معنى هب لنا
من جهتهم ما تقر به عيوننا من طاعة وصلاح فإن قلت لم قال قرة أعين
فنكر وقلل قلت أما التنكير فلأجل تنكير القرة لأن المضاف لا سبيل
إلى تنكيره إلا بتنكير المضاف إليه كأنه قال هب لنا منهم سرورا وفرحا
وإنما قيل أعين دون عيون لأنه أراد أعين المتقين وهي قليلة بالإضافة
إلى عيون غيرهم قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور ويجوز أن يقال في
تنكير أعين أنها أعين خاصة وهي أعين المتقين المراد يجزون الغرفات
وهي العلالي في الجنة فوحد اقتصارا على الواحد الدال على الجنس والدليل
على ذلك قوله وهم في الغرفات آمنون وقراءة من قرأ في الغرفة آمنون بما صبروا
بصبرهم على الطاعات وعن الشهوات وعلى أذى الكفار ومجاهدتهم وعلى
الفقر وغير ذلك وإطلاقه لأجل الشياع في كل مصبور عليه وقرئ
يلقون كقوله ولقاهم نضرة ويلقون كقوله يلق أثاما التحية دعاء

بالتعمير والسلام دعا بالسلامة يعني ان الملائكة يحيونهم ويسلمون عليهم
او يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه او يعطون التبقيه والتخليد مع السلا
من كل افة اللهم وفقنا لطاعتك واجعلنا مع اهل رحمتك وارزقنا ما
رزقتهم في دار رضوانك لما وصف عباده العباد وعدد صالحاتهم وحسناتهم
واثنى عليهم من اجلها ووعدهم الرفع من درجاتهم في الجنة اتبع ذلك بان
انه انما اكترث لاولئك وعبا بهم واعلى ذكرهم ووعدهم ما وعدهم لاجل
عبادتهم وامر رسوله صلى الله عليه وسلم ان يصرح للناس ويجزم لهم القول بان
الاكتراث لهم عند ربهم انما هو للعبادة وحدها لا لمعنى اخر ولولا عبادتهم
لم يكترث لهم البتة ولم يعتد بهم ولم يكونوا عنده شيئا يبالى به والدعا العبادة
وما متضمنه لمعنى الاستفهام وهي في محل النصب وعبارة عن المصدر
كانه قيل واي عبء يعبا بكم لولا دعاؤكم يعني انكم لا تستاهلون شيئا
من العبء بكم لولا عبادتكم وحقيقة قولهم ما عبات به ما اعتددت به من
فوادح همومي ومما يكون عبئا علي كما تقول ما اكترثت له اي ما اعتددت
به من كوارثي ومما يهمني وقال الزجاج في تاويل ما يعبا بكم ربي اي وزن
يكون لكم عنده ويجوز ان تكون ما نافية فقد كذبتم يقول اذا اعلمتكم
ان حكمي اني لا اعتد بعبادي الا لعبادتهم فقد خالفتم بتكذيبكم حكمي فسوف
يلزمكم اثر تكذيبكم حتى يكبكم في النار ونظيره في الكلام ان يقول
الملك لمن استعصى عليه ان من عادتي ان احسن الى من يطيعني ويتبع
امري فقد عصيت فسوف ترى ما احل بك بسبب عصيانك وقيل
معناه ما يصنع بكم ربي لولا دعاؤه اياكم الى الاسلام وقيل ما يصنع
بعذابكم لولا دعاؤكم معه الهة فان قلت الى من يوجه هذا الخطاب
قلت الى الناس على الاطلاق ومنهم مؤمنون عابدون ومكذبون
عاصون فخوطبوا بما وجد في جنسهم من العبادة والتكذيب وقرئ فقد
كذب الكافرون وقيل يكون العذاب لزاما وعن مجاهد هو القتل يوم
بدر وانه لوزم بين القتلى لزاما وقرئ لزاما بالفتح بمعنى اللزوم كالثبات
والثبوت والوجدان ترك اسم كان غير منطوق به بعد ما علم انه
مما توعد به لاجل الابهام وتناول ما لا يكتنهه الوصف والله اعلم بالصواب
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الفرقان لقي الله يوم
القيمة وهو مومن بان الساعة لا ريب فيها وادخل الجنة بغير نصب
سورة الشعرا مكية الا قوله والشعرا الى اخر السورة وهي مايتان
وسبع وعشرون اية وفي رواية ست وعشرون
بسم الله الرحمن الرحيم
طسم بتفخيم الالف وامالتها واظهار النون وادغامها الكتاب المبين
الظاهر اعجازه وصحة انه من عند الله والمراد به السورة او القران

والمعنى

والمعنى ايات هذا المؤلف من الحروف المبسوطة تلك ايات الكتاب المبين
البخع ان يبلغ بالذبح البخاع بالباء وهو عرق مستبطن الفقار وذلك اقصى
حد الذابح ولعل للاشفاق يعني اشفق على نفسك ان تقتلها حسرة على ما
فاتك من اسلام قومك الا يكونوا مؤمنين لئلا يؤمنوا او لامتناع ايمانهم
او خيفة ان لا يؤمنوا وعن قتادة باخع نفسك على الاضافة اراد اية
ملجئة الى الايمان قاسرة عليه فظلت اعناقهم معطوف على الجزا الذي
هو ننزل لانه لو قيل انزلنا لكان صحيحا ونظيره فاصدق واكن كانه قيل
اصدق واكن وقد قرئ لو شئنا لانزلنا وقرئ فتظل اعناقهم فان قلت
كيف صح مجي خاضعين خبرا عن الاعناق قلت اصل الكلام فظلوا لها
خاضعين فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الكلام على اصله
كقولهم ذهبت اهل اليمامة كان الاهل غير مذكور او لما وصفت بالخضوع
الذي هو للعقلاء قيل خاضعين كقوله لي ساجدين وقيل اعناق الناس
رؤساؤهم ومقدموهم شبهوا بالاعناق كما قيل لهم الرؤوس والنواصي والصدور
قال في محفل من نواصي الناس مشهود وقيل جماعات الناس
يقال جاءنا عنق من الناس لفوج منهم وقرئ فظلت اعناقهم لها خاضعة
وعن ابن عباس نزلت هذه الاية فينا وفي بني امية قال ستكون لنا عليهم
الدولة فتذل لنا اعناقهم بعد صعوبة ويلحقهم هوان بعد عزة اي وما
يجدد لهم الله بوحيه موعظة وتذكيرا الا جددوا اعراضا عنه وكفرا به
فان قلت كيف خولف بين الالفاظ والغرض واحد وهو الاعراض والتكذيب
والاستهزا قلت انما خولف بينها لاختلاف الاغراض كانه قيل حين
اعرضوا عن الذكر فقد كذبوا به وحين كذبوا به فقد خف عندهم قدره
وصار عرضة للاستهزاء والسخرية لان من كان قابلا للحق مقبلا عليه
كان مصدقا به لا محالة ولم يظن به التكذيب ومن كان مصدقا به كان
موقرا له فسياتيهم وعيد لهم وانذار بانهم سيعلمون اذا مسهم عذاب الله
يوم بدر او يوم القيمة ما الشي الذي كانوا به يستهزءون وهو القران
وسياتيهم انباؤه واحواله التي كانت خافية عليهم وصف الزوج وهو
الصنف من النبات بالكريم والكريم صفة لكل ما يرضى ويحمد في بابه يقال
وجه كريم اذا رضي في حسنه وجماله وكتاب كريم مرضي في معانيه وفوائده وقال
حتى يشق الصفوف من كرمه اي من كونه مرضيا في شجاعته وباسه والنبات
الكريم المرضي فيما يتعلق به من المنافع ان في انبات تلك الاصناف لاية على
ان منبتها قادر على احيا الموتى وقد علم الله ان اكثرهم مطبوع على قلوبهم
غير مرجو ايمانهم وان ربك لهو العزيز في انتقامه من الكفرة الرحيم
لمن تاب وامن وعمل صالحا فان قلت ما معنى الجمع بين كم وكل ولو
قيل كم انبتنا فيها من زوج كريم كان كافيا قلت قد دل كل على الاحاطة

بازواج النبات على سبيل التفصيل وكم على ان هذا المحيط متكاثر مفرط
فهذا معنى الجمع بينهما ونبه على كمال قدرته فان قلت ما معنى وصف
الزوج بالكريم قلت يحتمل معنيين احدهما ان النبات على نوعين نافع
وضار فذكر كثرة ما انبت في الارض من جميع اصناف النبات النافع
وخلى ذكر الضار والثاني ان يعم جميع اصناف النبات نافعه وضاره
ويصفهما جميعا بالكرم وينبه على انه ما انبت شيئا الا وفيه فائدة لان
الحكيم لا يفعل فعلا الا لغرض صحيح ولحكمة بالغة وان غفل عنها الغافلون
ولم يتوصل الى معرفتها العاقلون فان قلت فحين ذكر الازواج ودل
عليها بكلمتي الكثرة والاحاطة وكانت بحيث لا يحصيها الا عالم
الغيب كيف قال ان في ذلك لاية وهلا قال لايات قلت فيه وجهان ان
يكون ذلك مشارا به الى مصدر انبتنا فكانه قال ان في الانبات لاية اي اية
وان يراد ان في كل واحد من تلك الازواج لاية وقد سبقت لهذا الوجه
نظائر سجل عليهم بالظلم بان قدم القوم الظالمين ثم عطفهم عليهم عطف
البيان كان معنى القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون وكانهما عبارتان
تعتقبان على مؤدى واحد ان شاء ذاكرهم عبر عنهم بالقوم الظالمين وان
شاء عبر بقوم فرعون وقد استحقوا هذا الاسم من جهتين من جهة
ظلمهم انفسهم بكفرهم وشرارتهم ومن جهة ظلمهم لبني اسرائيل باستعبادهم
لهم وقرئ الا يتقون بكسر النون بمعنى الا يتقونني فحذفت النون لاجتماع
النونين والياء للاكتفاء بالكسرة فان قلت بم تعلق قوله الا يتقون قلت
هو كلام مستانف اتبعه الله عز وجل ارساله اليهم للانذار والتسجيل
عليهم بالظلم تعجيبا لموسى عليه السلام من حالهم التي شنعت في الظلم والعسف ومن
امنهم العواقب وقلة خوفهم وحذرهم من ايام الله ويحتمل ان يكون
لا يتقون حالا من الضمير في الظالمين اي يظلمون غير متقين الله وعقابه
فادخلت همزة الانكار على الحال واما من قرا الا تتقون على الخطاب فعلى
طريقة الالتفات اليهم وجبههم وضرب وجوههم بالانكار والغضب عليهم
كما ترى من يشكو من ركب جناية الى بعض اخصائه والجاني حاضر فاذا
اندفع في الشكاية وحر مزاجه وحمي غضبه قطع مباثة صاحبه واقبل
على الجاني يوبخه ويعنف به ويقول له الم تتق الله الم تستحي من الناس فان
قلت فما فائدة هذا الالتفات والخطاب مع موسى عليه السلام في وقت المناجاة
والملتفت اليهم غيب لا يشعرون قلت اجراء ذلك في تكليم المرسل اليهم في
معنى اجرائه بحضرتهم والقائه الى مسامعهم لانه مبلغه ومنهيه وناشره بين
الناس وله فيه لطف وحث على زيادة التقوى وكم من اية انزلت في شان
الكافرين وفيها اوفر نصيب للمؤمنين تدبرا لها واعتبارا بموردها وفي
الا يتقون بالياء وكسر النون وجه اخر وهو ان يكون المعنى الا يا ناس اتقون
كقوله الا يسجدوا ويضيق ويطلق بالرفع لانهما معطوفان على خبر ان

وبالنصب لعطفهما على صلة ان والفرق بينهما في المعنى ان الرفع يفيد ان
فيه ثلث علل خوف التكذيب وضيق الصدر وامتناع انطلاق اللسان و
النصب على ان خوفه متعلق بهذه الثلث فان قلت في النصب تعليق
الخوف بالامور الثلثة وفي جملتها نفي انطلاق اللسان وحقيقة الخوف انما هي غم
يلحق الانسان لامر سيقع وذلك كان واقعا فكيف جاز تعليق الخوف به قلت
قد علق الخوف بتكذيبهم وبما يحصل له بسببه من ضيق الصدر والحبسة
في اللسان زائدة على ما كان به على ان تلك الحبسة التي كانت به قد زالت
بدعوته وقيل بقيت منها بقية يسيرة فان قلت اعتذارك هذا
يرده الرفع لان المعنى اني خائف ضيق الصدر غير منطلق اللسان قلت
يجوز ان يكون هذا قبل الدعوة واستجابتها ويجوز ان يريد القدر اليسير
الذي كان بقي به ويجوز ان لا يكون مع حل العقدة من لسانه من الفصحاء
المصاقع الذين اوتوا سلاطة الالسنة وبسطة المقال وهرون عليه السلام كان
بتلك الصفة فاراد ان يقرن به ويدل عليه قوله عز وجل واخي هرون هو
افصح مني لسانا ومعنى فارسل الى هرون ارسل اليه جبريل واجعله نبيا
وازرني به واشدد به عضدي وهذا كلام مختصر وقد بسطه في غير هذا
الموضع وقد احسن في الاختصار حيث قال فارسل الى هرون فجاء بما يتضمن
معنى الاستنباء ومثله في تقصير الطويلة والحسن قوله تعالى فقلنا اذهبا
الى القوم الذين كذبوا باياتنا فدمرناهم تدميرا حيث اقتصر على طرفي القصة
اولها واخرها وهما الانذار والتدمير ودل بذكرهما على ما هو الغرض من
القصة الطويلة كلها وهو انهم قوم كذبوا بايات الله عز وجل فاراد
الزام الحجة عليهم فبعث اليهم رسولين فكذبوهما فاهلكهم فان قلت
كيف ساغ لموسى عليه السلام ان يامره الله عز وجل بامر فلا يتقبله بسمع وطاعة
من غير توقف وتشبث بعلل وقد علم ان الله عز وجل من ورائه قلت قد
امتثل وتقبل ولكنه التمس من ربه ان يعضده باخيه حتى يتعاونا على
تنفيذ امره وتبليغ رسالته فمهد قبل التماسه عذره فيما التمسه ثم
التمس بعد ذلك وتمهيد العذر في التماس المعين على تنفيذ الامر ليس بتوقف
في امتثال الامر ولا بتعلل فيه وكفى بطلب العون دليلا على التقبل لا على
التعلل اراد بالذنب قتله القبطي وقيل كان خباز فرعون واسمه فاتون
يعني ولهم علي تبعة ذنب وهي قود ذلك القتل فاخاف ان يقتلوني به فحذف
المضاف او سمى تبعة الذنب ذنبا كما سمى جزاء السيئة سيئة فان قلت
قد ابيت ان تكون تلك الثلث عللا وجعلتها تمهيدا للعذر فيما التمسه
فما قولك في هذه الرابعة قلت هذه استدفاع للبلية المتوقعة وفرق من
ان يقتل قبل اداء الرسالة فكيف يكون تعللا والدليل عليه ما جاء بعده من كلمة
الردع والموعد بالكلاءة والدفع جمع الله عز وجل له الاستجابتين معا في
قوله كلا فاذهبا لانه استدفعهم بلاءهم فوعده الدفع بردعه عن الخوف

والتمس منه الموازرة باخيه فاجابه بقوله اذهبا اي اذهب انت والذي
طلبته وهو هرون فان قلت علام عطف قوله فاذهبا قلت على
الفعل الذي يدل عليه كلا كانه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب
انت وهرون وقوله معكم مستمعون من مجاز الكلام يريد انا لكما
ولعدوكما كالناصر الظهير لكما عليه اذا حضر واستمع ما يجري بينكما
وبينه فاظهركما وغلبكما وكسر شوكته عنكما ونكسه ويجوز ان يكونا
خبرين لان او يكون مستمعون مستقرا ومعكم لغوا فان قلت
لم جعلت مستمعون قرينة معكم في كونه من باب المجاز والله تعالى يوصف
على الحقيقة بانه سميع وسامع قلت ولكن لا يوصف بالمستمع على الحقيقة
لان الاستماع جار مجرى الاصغاء والاستماع من السمع بمنزلة النظر من الرؤية
ومنه قوله تعالى قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرانا عجبا
ويقال استمع الى حديثه وسمع حديثه اي اصغى اليه وادركه بحاسة السمع
ومنه قوله عليه السلام من استمع الى حديث قوم وهم له كارهون صب الله في
اذنيه البرم فان قلت هلا ثني الرسول كما ثني في قوله انا رسولا ربك
قلت الرسول يكون بمعنى المرسل وبمعنى الرسالة فجعل ثم بمعنى المرسل
فلم يكن بد من تثنيته وجعل هاهنا بمعنى الرسالة فجازت التسوية فيه
اذا وصف به بين الواحد والتثنية والجمع كما يفعل في الصفة بالمصادر
نحو صوم وزور قال ⊙ الكني اليها وخير الرسول اعلمهم بنواحي الخبر ⊙
فجعله للجماعة والشاهد في الرسول بمعنى الرسالة قوله ⊙
لقد كذب الواشون ما فهت عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول ⊙
ويجوز ان يوحد لان حكمهما لتساندهما واتفاقهما على شريعة واحدة و
اتحادهما لذلك وللاخوة كان حكما واحدا فكانهما رسول واحد او
اريد ان كل واحد منا ان ارسل بمعنى اي ارسل لتضمن الرسول معنى الا
رسال وتقول ارسلت اليك ان افعل كذا لما في الارسال من معنى القول كما
في المناداة والكتابة ونحو ذلك ومعنى هذا الارسال التخلية والاطلاق كقولك
ارسل البازي يريد خلهم يذهبوا معنا الى فلسطين وكانت مسكنهما
ويروى انهما انطلقا الى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب ان
هاهنا انسانا يزعم انه رسول رب العالمين فقال ائذن له لعلنا نضحك منه
فاديا اليه الرسالة فعرف موسى فقال له الم نربك حذف فاتيا فرعون فقالا
له ذلك لانه معلوم لا يشتبه وهذا النوع من الاختصار كثير في التنزيل الوليد
الصبي لقرب عهده من الولادة وفي رواية عن ابي عمرو من عمرك بسكون
الميم سنين قيل مكث عندهم ثلاثين سنة وقيل وكز القبطي وهو ابن ثنتي عشرة
سنة وفر منهم على اثرها والله اعلم بصحيح ذلك وعن الشعبي فعلتك بالكسر
وهي قتلة القبطي لانه قتله بالوكز وهو ضرب من القتل واما الفعلة

فلانها كانت وكزة واحدة عدد عليه نعمته من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال
ووبخه بما جرى على يده من قتل خبازه وعظم ذلك وفظعه بقوله وفعلت فعلتك
التي فعلت وانت من الكافرين يجوز ان يكون حالا اي قتلته وانت لذلك
من الكافرين بنعمتي او وانت اذ ذاك ممن تكفرهم الساعة وقد افترى عليه او
جهل امره لانه كان يعايشهم بالتقية فان الله عز وعلا عاصم من يريد ان
يستنبئه من كل كبيرة ومن بعض الصغائر فما بال الكفر ويجوز ان يكون
قوله وانت من الكافرين حكما عليه بانه من الكافرين بالنعم ومن كانت عادته
كفران النعم لم يكن قتل خواص المنعم عليه بدعا منه او بانه من الكافرين
لفرعون والاهيته او من الذين كانوا يكفرون في دينهم فقد كانت لهم
الهة يعبدونهم يشهد لذلك قوله تعالى ويذرك والهتك فاجابه موسى صلوات الله عليه
بان تلك الفعلة انما فرطت منه وهو من الضالين اي الجاهلين وقراءة
ابن مسعود رضي الله عنه من الجاهلين مفسرة والمعنى من الفاعلين فعل
اولي الجهل والسفه كما قال يوسف عليه السلام لاخوته هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه
اذ انتم جاهلون او المخطئين كمن يقتل خطا من غير تعمد للقتل او الذاهبين
عن الصواب او الناسين من قوله ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى
وكذب فرعون ودفع الوصف بالكفر عن نفسه وبرا ساحته بان وضع
الضالين موضع الكافرين ربا بمحل من رشح للنبوة عن تلك الصفة ثم كر
على امتنانه عليه بالتربية فابطله من اصله واستاصله من سنخه وابى ان
يسمي نعمته الا نقمة حيث بين ان حقيقة انعامه عليه تعبيد بني اسرائيل
لان تعبيدهم وقصدهم بذبح ابنائهم هو السبب في حصوله عنده وتربيته
فكانه امتن عليه بتعبيد قومه اذا حققت وتعبيدهم تذليلهم واتخاذهم
عبيدا يقال عبدت الرجل واعبدته اذا اتخذته عبدا قال ⊙
علام يعبدني قومي وقد كثرت فيهم اباعر ما شاؤوا وعبدان ⊙ فان قلت
اذن جواب وجزاء معا والكلام وقع جوابا لفرعون فكيف وقع جزاء قلت
قول فرعون وفعلت فعلتك فيه معنى انك جازيت نعمتي بما فعلت فقال
له موسى نعم فعلتها مجازيا لك تسليما لقوله لان نعمته كانت عنده جديرة بان
تجازى بنحو ذلك الجزاء فان قلت لم جمع الضمير في منكم وخفتكم مع افراده
في تمنها وعبدت قلت الخوف والفرار لم يكونا منه وحده ولكن منه ومن
ملئه المؤتمرين بقتله بدليل قوله ان الملا ياتمرون بك ليقتلوك واما الامتنان
فمنه وحده وكذلك التعبيد فان قلت تلك اشارة الى ماذا وان عبدت
ما محلها من الاعراب قلت تلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة
لا يدرى ما هي الا بتفسيرها ومحل ان عبدت الرفع عطف بيان لتلك ونظيره
قوله وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع والمعنى تعبيدك بني اسرائيل
نعمة تمنها علي وقال الزجاج ويجوز ان يكون ان في موضع نصب المعنى انما

فما رب نعمة علي لان عبدت بني اسرائيل اي لو لم تفعل ذلك لكفلني اهلي ولم
يلقوني في اليم فلما قال له بوابه ان هاهنا من يزعم انه رسول رب العالمين
قال له عند دخوله وما رب العالمين يريد اي شي رب العالمين وهذا السوال
لا يخلو اما ان يريد به اي شي هو من الاشيا التي شوهدت وعرفت اجناسها
شبهها فاجاب بما يستدل به عليه من افعاله الخاصة ليعرفه انه ليس بشي
مما شوهد وعرف من الاجرام والاعراض وانه شي مخالف لجميع الاشيا
ليس كمثله شي واما ان يريد به اي شي هو على الاطلاق تفتيشا عن حقيقته
الخاصة ما هي فاجابه بان الذي اليه سبيل وهو الكافي في معرفته معرفة
ثباته بصفاته استدلالا بافعاله الخاصة على ذلك واما التفتيش عن حقيقته
الخاصة التي هي فوق فطر العقول فتفتيش عن ما لا سبيل اليه والسائل
عنه متعنت غير طالب للحق والذي يليق بحال فرعون ويدل عليه الكلام
ان يكون سواله هذا انكارا لان يكون للعالمين رب سواه لادعائه
الالهية فلما اجاب موسى بما اجاب عجب قومه من جوابه حيث نسب
الربوبية الى غيره فلما ثنى بتقرير قوله جننه الى قومه وطنز به حيث سماه
رسولهم فلما ثلث بتقرير اخر احتد واحتدم و قال لئن اتخذت الها
غيري وهذا يدل على صحة هذا الوجه الاخير فان قلت كيف قيل وما
بينهما على التثنية والمرجوع اليه مجموع قلت اريد وما بين الجنسين فعل
بالمضمر ما فعل بالظاهر من قال ۞ في الهيجا جمالين ۞ فان قلت ما
معنى قوله ان كنتم موقنين واين عن فرعون وملايه الايقان قلت معناه
ان كان يرجى منكم الايقان الذي يودي اليه النظر الصحيح نفعكم هذا
الجواب والا لم ينفع او ان كنتم موقنين بشي قط فهذا اولى ما توقنون
لظهوره وانارة دليله فان قلت ومن كان حوله قلت اشراف قومه
قيل كانوا خمسماية رجل عليهم الاساور وكانت للملوك خاصة
فان قلت ذكر السموات والارض وما بينهما قد استوعب به الخلايق
كلها فما معنى ذكرهم وذكر ابايهم بعد ذلك وذكر المشرق والمغرب
قلت قد عمم اولا ثم خصص من العام للبيان انفسهم واباهم
لان اقرب المنظور فيه من العاقل نفسه ومن ولد منه وما شاهد
وعاين من الدلايل على الصانع والناقل من هيئة الى هيئة وحال الى حال من
وقت ميلاده الى وقت وفاته ثم خصص المشرق والمغرب لان طلوع الشمس
من احد الخافقين وغروبها في الاخر على تقدير مستقيم في فصول السنة
وحساب مستو من اظهر ما استدل به ولظهوره انتقل الى الاحتجاج به
خليل الله عن الاحتجاج بالاحيا والاماتة على نمرود بن كنعان فبهت الذي
كفر وقرى رب المشارق والمغارب الذي ارسل اليكم بفتح الهمزة فان
قلت كيف قال اولا ان كنتم موقنين واخرا ان كنتم تعقلون قلت لاين
اولا فلما راى منهم شدة الشكيمة في العناد وقلة الاصغا الى عرض الحجج خاشن

وعارض ان

وعارض ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون بقوله ان كنتم تعقلون
فان قلت الم يكن لاسجننك اخصر من قوله لاجعلنك من المسجونين
ومود يا موداه قلت اما اخصر فنعم واما مود موداه فلا لان معناه
لاجعلنك واحدا ممن عرفت حالهم في سجوني وكان من عادته ان ياخذ
من يريد سجنه فيطرحه في هوة ذاهبة في الارض بعيدة العمق فردا لا يبصر
فيها ولا يسمع فكان ذلك اشد من القتل واشد الواو في قوله اولو
جيتك واو الحال دخلت عليها همزة الاستفهام معناه اتفعل بي ذلك ولو
جيتك بشي مبين اي جايا بالمعجزة وفي قوله ان كنت من الصادقين انه
لا ياتي بالمعجزة الا الصادق في دعواه لان المعجزة تصديق من الله سبحانه
لمدعي النبوة والحكيم لا يصدق الكاذب ومن العجب ان مثل فرعون لم
يخف عليه هذا وخفي على ناس من اهل القبلة حيث جوزوا القبيح على الله
حتى لزمهم تصديق الكاذبين بالمعجزات وتقديره ان كنت من الصادقين
في دعواك اتيت به فحذف الجزا لان الامر بالاتيان به يدل عليه ثعبان
مبين ظاهر الثعبانية لا شي يشبه الثعبان كما يكون الاشيا المزورة بالشعوذة
والسحر وروي انها انقلبت حية ارتفعت في السما قدر ميل ثم انحطت مقبلة
الى فرعون وجعلت تقول يا موسى مرني بما شيت ويقول فرعون اسالك
بالذي ارسلك الا اخذتها فاخذها فعادت عصا للناظرين دليل على
ان بياضها كان شيا يجتمع النظارة على النظر اليه لخروجه عن العادة
وكان بياضا نوريا روي ان فرعون لما ابصر الاية الاولى قال فهل غيرها
فاخرج يده فقال له ما هذه قال فرعون يدك فما فيها فادخلها في ابطه ثم
نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الابصار ويسد الافق فان قلت ما العامل
في حوله قلت هو منصوب نصبين نصب في اللفظ ونصب في المحل فالعامل
في النصب اللفظي ما يقدر في الظرف والعامل في النصب المحلي وهو النصب
على الحال قال ولقد تحير فرعون لما ابصر الايتين وبقي لا يدري اي طرفيه
اطول حتى زل عنه ذكر دعوى الالهية وحط عن منكبيه كبريا الربوبية
وارتعدت فرايصه واستطار شعاع خوفا وفرقا وبلغت به الاستكانة لقومه
الذين هم بزعمه عبيده وهو الههم ان طفق يوامرهم ويعترف لهم بما حذر
منه وتوقعه واحس به من جهة موسى وغلبته على ملكه وارضه وقوله
ان هذا لساحر عليم قول باهت اذا غلب ومتمحل اذا الزم تامرون من
المؤامرة وهي المشاورة او من الامر الذي هو ضد النهي جعل العبيد امرين
وربهم مامورا لما استولى عليه من فرط الدهش والحيرة ماذا منصوب اما
لكونه في معنى المصدر واما لانه مفعول به من قوله ۞ امرتك الخير ۞ قرى
ارجيه وارجه بالهمز والتخفيف وهما لغتان يقال ارجاته وارجيته اذا
اخرته ومنه المرجية وهم الذين لا يقطعون بوعيد الفساق ويقولون هم

مرجون لامر الله والمعنى اخّر ومناظرته لوقت اجتماع السحرة وقيل احبسه
حاشرين شرطا يحشرون السحرة وعارضوا قوله ان هذا الساحر بقولهم
بكل سحار فجاؤا بكلمة الاحاطة وصفة المبالغة ليطامنوا من نفسه و
يسكنوا بعض قلقه وقرأ الاعمش بكل ساحر اليوم المعلوم يوم الزينة
وميقاته وقت الضحى لانه الوقت الذي وقته لهم موسى صلوات الله عليه من
يوم الزينة في قوله موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى والميقات
ما وقت به اي حدد به من زمان او مكان ومنه مواقيت الاحرام هل
انتم مجتمعون استبطاء لهم في الاجتماع والمراد به استعجالهم واستحثاثهم
كما يقول الرجل لغلامه هل انت منطلق اذا اراد ان يحرك منه ويحثه على الا
نطلاق كانما تخيل له ان الناس قد انطلقوا وهو واقف ومنه قول تأبط شرا
هل انت باعث دينار لحاجتنا او عبد رب اخا عون بن مخراق
ابعثه الينا سريعا ولا تبطئ به لعلنا نتبع السحرة اي في دينهم ان غلبوا
موسى ولا نتبع موسى في دينه وليس غرضهم اتباع السحرة وانما الغرض
الكلي ان لا يتبعوا موسى فساقوا الكلام مساق الكناية لانهم اذا اتبعوهم
لم يكونوا متبعين لموسى عليه السلام وقرئ نعم بالكسر وهما لغتان ولما كان
قوله ان لنا لاجرا في معنى جزاء الشرط لدلالته عليه وكان قوله وانكم
اذا لمن المقربين معطوفا عليه ومدخلا في حكمه دخلت اذا قارّة في مكانها
الذي تقتضيه من الجواب والجزاء وعدهم ان يجمع لهم الى الثواب على سحرهم
الذي قدروا انهم يغلبون به موسى عليه السلام القربة عنده والزلفى اقسموا بعزة
فرعون وهي من ايمان الجاهلية وهكذا كل حلف بغير الله ولا يصح في
الاسلام الا الحلف بالله معلقا ببعض اسمائه او صفاته كقولك بالله و
الرحمن وربي ورب العرش وعزة الله وقدرة الله وجلال الله وعظمة الله
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحلفوا بآبائكم ولا بامهاتكم ولا بالطواغيت
ولا تحلفوا الا بالله ولا تحلفوا بالله الا وانتم صادقون ولقد استحدث الناس
في هذا الباب في اسلامهم جاهلية نسيت لها الجاهلية الاولى وذلك ان الواحد
منهم لو اقسم باسماء الله تعالى وصفاته على شيء لم يقبل منه ولم يعتد بها حتى
يقسم برأس سلطانه فاذا اقسم به فتلك عندهم جهد اليمين التي ليس
وراءها حلف لحالف ما يأفكون ما يقلبونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم
وكيدهم ويزورونه فيخيلون في حبالهم وعصيهم انها حيات تسعى بالتمويه
على الناظرين او افكهم سمى تلك الاشياء افكا مبالغة روي انهم قالوا ان
يك ما جاء به موسى سحرا فلن يغلب وان كان من عند الله فلن يخفى علينا
فلما القى عصاه تلقفت ما اتوا به علموا انه من الله فآمنوا وعن عكرمة
اصبحوا سحرة وامسوا شهداء وانما عبر عن الخرور بالالقاء لانه ذكر مع الالقاءات

فسلك به طريق المشاكلة وفيه ايضا مع مراعاة المشاكلة انهم حين رأوا
ما رأوا لم يتمالكوا ان رموا بانفسهم الى الارض ساجدين كانهم اخذوا
فطرحوا طرحا فان قلت فاعل الالقاء ما هو لو صرح به قلت هو
الله عز وجل بما خولهم من التوفيق او ايمانهم او ما عاينوا من المعجز
الباهر ولك ان لا تقدر فاعلا لان القوا بمعنى خرّوا وسقطوا رب موسى
وهرون عطف بيان لرب العالمين لان فرعون لعنه الله واخزاه كان
يدعي الربوبية فارادوا ان يعزلوه ومعنى اضافته اليهما في ذلك المقام انه الذي
يدعو اليه هذان والذي اجرى على ايديهما ما اجرى فلسوف تعلمون اي
وبال ما فعلتم الضير والضر والضير والضور واحد ارادوا لا ضير علينا
في ذلك بل لنا فيه اعظم النفع لما يحصل لنا في الصبر عليه لوجه الله من تكفير
الخطايا والثواب العظيم مع الاعواض الكثيرة او لا ضير علينا في ما
تتوعدنا به من القتل انه لا بد لنا من الانقلاب الى ربنا بسبب من اسباب
الموت والقتل اهون اسبابه واوحاها او لا ضير علينا في قتلك انك ان
قتلتنا انقلبنا الى ربنا انقلاب من يطمع في مغفرته ويرجو رحمته لما رزقنا من
السبق الى الايمان وخبر لا محذوف والمعنى لا ضير علينا ان كنا معناه
لان كنا وكانوا اول جماعة مؤمنين من اهل زمانهم او من رعية فرعون
او من اهل المشهد وقرئ إن كنا بالكسر وهو من الشرط الذي يجيء به
المدل بامره المتحقق لصحته وهم كانوا متحققين انهم اول المؤمنين ونظيره
قول العامل لمن يؤخر جعله ان كنت عملت لك فوفني حقي ومنه قوله عز وجل
ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي مع علمه سبحانه انهم لم يخرجوا
الا لذلك وقرئ اسر بقطع الهمزة ووصلها واسر ان اسر بعبادي علل الامر
بالاسراء باتباع فرعون وجنوده آثارهم والمعنى اني بنيت تدبير امركم وامرهم
على ان تتقدموا ويتبعوكم حتى يدخلوا مدخلكم ويسلكوا مسلككم في
طريق البحر فاطبقه عليهم فاهلكهم روي انه مات في تلك الليلة في كل بيت من
بيوتهم ولد فاشتغلوا بموتاهم حتى خرج موسى عليه السلام وروي ان الله سبحانه وتعالى
اوحى الى موسى ان اجمع بني اسرائيل كل اربعة ابيات في بيت ثم اذبحوا الجداء واضربوا
بدمائها على ابوابكم فاني سآمر الملائكة ان لا تدخلوا بيتا على بابه دم وسآمرهم
بقتل ابكار القبط واخبزوا خبزا فطيرا فانه اسرع لكم ثم اسر بعبادي حتى
تنتهي الى البحر فيأتيك امري فارسل فرعون في اثر الف الف وخمسمائة الف
ملك مسور مع كل ملك الف وخرج فرعون في جمع عظيم وكانت مقدمته
سبعمائة الف كل رجل على حصان وعلى راسه بيضة وعن ابن عباس رضي الله عنه
خرج فرعون في الف الف حصان سوى الاناث فلذلك استقل قوم موسى وكانوا
ستمائة الف وسبعين الفا وسماهم شرذمة قليلين ان هؤلاء محكي بعد قول
مضمر والشرذمة الطائفة القليلة ومنها قولهم ثوب شراذم للذي بلي وتقطع
قطعا ذكرهم بالاسم الدال على القلة ثم جعلهم قليلا بالوصف ثم جمع القليل

فجعل كل حزب منهم قليلا واختار جمع السلامة الذي هو للقلة وقد يجمع القليل
على قلة وقلل ويجوز ان يريد بالقلة الذلة والقماءة ولا يريد قلة العدد والمعنى
انهم لقلتهم لا يبالى بهم ولا يتوقع غلبتهم وعلوهم ولكنهم يفعلون افعالا
تغيظنا وتضيق صدورنا ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال
الحزم في الامور فاذا خرج علينا خارج سارعنا الى حسم فساده وهذه معاذير
اعتذر بها الى اهل المدائن لئلا يظن به ما يكسر من قهره وسلطانه وقرئ
حذرون وحاذرون وحادرون بالدال غير المعجمة فالحذر اليقظ والحاذر
الذي يجدد حذره وقيل المؤدي في السلاح وانما يفعل ذلك حذرا واحتياطا
لنفسه والحادر السمين القوي قال ٥ احب الصبي السوء من اجل امه
وابغضه من بغضها وهو حادر ٥ اراد انهم اقوياء اشداء وقيل مدججون
في السلاح قد كسبهم ذلك حدارة في اجسامهم وعن مجاهد سماها كنوزا
لانهم لم ينفقوا منها في طاعة الله والمقام المكان يريد المنازل الحسنة والمجا
لس البهية وعن الضحاك المنابر وقيل السرر في الحجال كذلك يحتمل
ثلاثة اوجه النصب على اخرجناهم مثل ذلك الاخراج الذي وصفناه والجر على
انه وصف لمقام اي مقام كريم مثل ذلك المقام الذي كان لهم والرفع على انه
خبر لمبتدا محذوف اي الامر كذلك وقرئ فاتبعوهم
داخلين في وقت الشروق من شرقت الشمس شروقا اذا طلعت
طريق النجاة من ادراكهم واضرارهم وقرئ فلما تراءت الفئتان انا لمدّركون
بتشديد الدال وكسر الراء من ادرك الشيء اذا تتابع ففني ومنه قوله تعالى بل
ادرك علمهم في الآخرة قال الحسن جهلوا علم الآخرة وفي معناه بيت الحماسة ٥
ابعد بني امي الذين تتابعوا ارجي الحياة ام من الموت اجزع ٥ والمعنى انا لمتتابعون
في الهلاك على ايديهم حتى لا يبقى منا احد الفرق الجزء المتفرق منه وقرئ
كل فلق والمعنى واحد والطود الجبل العظيم المنطاد في السماء وازلفنا
ثم حيث انفلق البحر الآخرين قوم فرعون اي قربناهم من بني اسرائيل او ادنينا
بعضهم من بعض وجمعناهم حتى لا ينجو منهم احد او قدمناهم الى البحر وقرئ
وازلقنا بالقاف اي ازللنا اقدامهم والمعنى اذهبنا عزهم كقوله ٥
تداركتما عبسا وقد ثل عرشها وذبيان اذ زلت باقدامها النعل ٥ ويحتمل
ان يجعل الله عز وجل طريقهم في البحر على خلاف ما جعله لبني اسرائيل يبسا
فيزلقهم فيه عن عطاء بن السائب ان جبريل عليه السلام كان بين بني اسرائيل وبين
آل فرعون فكان يقول لبني اسرائيل ليلحق آخركم اولكم ويستقبل القبط
فيقول رويدكم ليلحق آخركم فلما انتهى موسى عليه السلام الى البحر قال له مؤمن آل
فرعون وكان بين يدي موسى اين امرت فهذا البحر امامك وقد
غشيك آل فرعون قال امرت بالبحر ولا يدري موسى ما يصنع فاوحى
الله اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فصار فيه اثنا عشر طريقا
لكل سبط طريق وروي ان يوشع قال يا كليم الله اين امرت فقد غشينا

فرعون والبحر امامنا قال موسى عليه السلام ههنا فخاض يوشع الماء وضرب موسى
عليه السلام بعصاه البحر فدخلوا وروي ان موسى عليه السلام قال عند ذلك يا من كان قبل كل
شيء والمكون لكل شيء والكائن بعد كل شيء ويقال هذا البحر هو بحر القلزم
وقيل هو بحر من وراء مصر يقال له اساف ان في ذلك لاية اية اية
واية لا توصف وقد عاينها الناس وشاع امرها فيهم وما تنبه عليها
اكثرهم ولا آمن بالله وبنو اسرائيل الذين كانوا اصحاب موسى المخصوصين
بالانجاء قد سالوه بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وطلبوا رؤية الله
جهرة وان ربك لهو العزيز الرحيم المنتقم من اعدائه الرحيم باوليائه كان
ابراهيم صلوات الله عليه وسلامه يعلم انهم عبدة اصنام ولكنه سالهم
ليريهم ان ما يعبدونه ليس من استحقاق العبادة في شيء كما تقول للتاجر
ما مالك وانت تعلم ان ماله الرقيق ثم تقول له الرقيق جمال وليس بمال قالوا
نعبد اصناما سؤال عن المعبود فحسب فكان القياس ان يقولوا
اصناما كقوله ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو ماذا قال ربكم قالوا
الحق ماذا انزل ربكم قالوا خيرا قلت هؤلاء قد جاؤوا بقصة امرهم كاملة
كالمبتهجين بها والمفتخرين فاشتملت على جواب ابراهيم عليه السلام وعلى ما قصدوه من
اظهار ما في نفوسهم من الابتهاج والافتخار الا تراهم كيف عطفوا على قولهم نعبد
فنظل لها عاكفين ولم يقتصروا على زيادة نعبد وحده ومثاله ان تقول لبعض
الشطار ما تلبس في بلادك فيقول البس البرد الاتحمي فاجر ذيله بين جواري
الحي وانما قالوا نظل لانهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل لا بد في
يسمعونكم من تقدير حذف المضاف معناه هل يسمعون دعاءكم وقرا
قتادة يُسمعونكم اي هل يسمعونكم الجواب عن دعائكم وهل يقدرون على
ذلك وجاء مضارعا مع ايقاعه في اذ على حكاية الحال الماضية ومعناه
استحضروا الاحوال الماضية التي كنتم تدعونها فيها وقولوا هل سمعوا
او اسمعوا قط وهذا ابلغ في التبكيت لما اجابوه بجواب المقلدين لآبائهم
قال لهم رقوا امر تقليدكم هذا الى اقصى غاياته وهي عبادة الاقدمين الاولين
من آبائكم فان التقدم والاولية لا يكون برهانا على الصحة والباطل لا ينقلب
حقا بالقدم وما عبادة من عبد هذه الاصنام الا عبادة اعداء ومعنى
العداوة قوله كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ولان
المغري على عبادتها اعدى اعداء الانسان وهو الشيطان وانما قال عدو
لي تصويرا للمسالة في نفسه على معنى اني فكرت في امري فرايت عبادتي لها عبادة
للعدو فاجتنبتها وآثرت عبادة من الخير كله منه واراهم بذلك انها نصيحة
نصح بها نفسه اولا وبنى عليها تدبير امره لينظروا فيقولوا ما نصحنا ابراهيم الا
بما نصح به نفسه وما اراد لنا الا ما اراد لروحه ليكون ادعى لهم الى القبول
وابعث على الاستماع منه ولو قال فانهم عدو لكم لم يكن بتلك المثابة ولانه

دخل في باب من التعريض وقد يبلغ التعريض للمنصوح ما لا يبلغه التصريح
لانه يتامل فيه فربما افاده التامل الى التقبل ومنه ما يحكى عن الشافعي رضي الله عنه
ان رجلا واجهه بشي فقال لو كنت بحيث انت لاحتجت الى ادب وسمع رجل
ناسا يتحدثون في الحجر فقال ما هو بيتي ولا بيتكم والعدو والصديق
يجيئان في معنى الوحدة والجماعة قال ○ وقوم علي ذوي مِبرة اراهم عدوا
وكانوا صديقا ○ ومنه قوله سبحانه وتعالى وهم لكم عدو وشبههما بالمصادر
للموازنة كالقبول والولوع والحنين والصهيل
استثناء منقطع كانه قال لكن رب العالمين [illegible] يريد انه حين
اتم خلقه ونفخ فيه الروح عقب ذلك هدايته المتصلة التي لا تنقطع الى كل ما
يصلحه ويعنيه والا فمن هداه الى ان يغتذي بالدم في البطن امتصاصا
ومن هداه الى معرفة الثدي عند الولادة والى معرفة مكانه ومن هداه
لكيفية الارتضاع الى غير ذلك من هدايات المعاش والمعاد وانما قال
دون امرضني لان كثيرا من اسباب المرض تحدث بتفريط من
الانسان في مطاعمه ومشاربه وغير ذلك ومن ثم قالت الحكما لو قيل لاكثر
الموتى ما سبب اجالكم لقالوا التخم وقرئ خطاياي والمراد ما يندر منه
من بعض الصغائر لان الانبيا معصومون مختارون على العالمين وقيل
هي قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقوله لسارة هي اختي وما هي الا
معاريض كلام وتخيلات للكفرة وليست بخطايا يطلب لها الاستغفار
فان قلت اذا لم يندر منهم الا الصغائر وهي تقع مكفرة فما له اثبت لنفسه
خطيئة او خطايا وطمع ان تغفر له قلت الجواب ما سبق لي ان استغفار
الانبيا تواضع منهم لربهم وهضم لانفسهم ويدل عليه قوله اطمع ولم
يجزم القول بالمغفرة وفيه تعليم لاممهم وليكون لطفا لهم في اجتناب المعاصي
والحذر منها وطلب المغفرة مما يفرط منهم فان قلت لم علق مغفرة الخطيئة
يوم الدين وانما تغفر في الدنيا قلت لان اثرها يتبين يومئذ وهو الان
خفي لا يعلم الحكم الحكمة او الحكم بين الناس بالحق وقيل النبوة لان النبي صلعم
ذو حكمة وذو حكم بين عباد الله والالحاق بالصالحين ان يوفقه لعمل
ينتظم به في جملتهم او يجمع بينه وبينهم في الجنة ولقد اجابه حيث قال
وانه في الاخرة لمن الصالحين والاخزاء من الخزي وهو الهوان ومن الخزاية
وهي الحيا وهذا الضامن نحو استغفارهم بما علموا انه مغفور وفي يبعثون
ضمير العباد لانه معلوم او ضمير الضالين وان يجعل من جملة الاستغفار
لابيه يعني ولا تخزني يوم [illegible] الضالون واني فيهم الا [illegible] الا
حال من اتى الله [illegible] وهو من قوله ○ تحية بينهم ضرب وجيع ○
وما ثوابه الا السيف وبيانه ان يقال لك هل لزيد مال وبنون فتقول ماله
وبنوه سلامة قلبه تريد نفي البنين والمال عنه واثبات سلامة القلب له

بدلا عن ذلك وان شئت حملت الكلام على المعنى وجعلت المال والبنين في معنى
الغنى كانه قيل يوم لا ينفع غنى الا غنى من اتى الله بقلب سليم لان غنى الرجل في
دينه بسلامة قلبه كما ان غناه في دنياه بماله وبنيه ولك ان تجعل الاستثنا
منقطعا ولا بد لك مع ذلك من تقدير المضاف وهو الحال والمراد بها سلامة
القلب وليست هي من جنس المال والبنين حتى يؤول المعنى الى ان المال
والبنين لا ينفعان وانما ينفع سلامة القلب ولو لم يقدر المضاف لم
يتحصل للاستثنا معنى وقد جعل من مفعولا لينفع اي [illegible]
الا رجلا سلم قلبه مع ماله حيث انفقه في طاعة الله ومع بنيه حيث
ارشدهم الى الدين وعلمهم الشرائع ويجوز على هذا الا من اتى الله بقلب سليم
من فتنة المال والبنين ومعنى سلامة القلب سلامته من افات الكفر والمعا
صي ومما اكرم الله به خليله ونبه على جلالة محله في الاخلاص انه حكى استثناه
هذا حكاية راض باصابته فيه ثم جعله صفة له في قوله وان من شيعته لابرهيم
اذ جاء ربه بقلب سليم ومن بدع التفاسير تفسير بعضهم السليم باللديغ من خشية
الله وقول اخر هو الذي سلم وسلم واسلم وسالم واستسلم وما احسن
ما رتب ابرهيم عليه السلام كلامه مع المشركين حيث سالهم اولا عما يعبدون سوال
مقرر لا مستفهم ثم انحى على الهتهم فابطل امرها بانها لا تضر ولا تنفع
ولا تبصر ولا تسمع وعلى تقليدهم اباهم الاقدمين فكسره واخرجه من ان
يكون شبهة فضلا ان يكون حجة ثم صور المسالة في نفسه دونهم حتى
تخلص منها الى ذكر الله عز وجل فعظم شانه وعدد نعمه من لدن خلقه وانشائه
الى حين وفاته مع ما يرجى في الاخرة من رحمته ثم اتبع ذلك ان دعاه بدعوات
المخلصين وابتهل اليه ابتهال الاوابين ثم وصله بذكر يوم القيمة وثواب
الله وعقابه وما يدفع اليه المشركون يومئذ من الندم والحسرة على ما كانوا
فيه من الضلال وتمني الكرة الى الدنيا ليؤمنوا ويطيعوا الجنة تكون
قريبة من موقف السعدا ينظرون اليها ويغتبطون بانهم المحشورون اليها
والنار تكون بارزة مكشوفة للاشقيا بمراى منهم يتحسرون على انهم المسوقون
اليها قال الله تعالى وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد وقال فلما راوه زلفة سيئت
وجوه الذين كفروا ويجمع عليهم الغموم كلها والحسرات فتجعل النار بمراى
منهم فيهلكون غما في كل لحظة ويوبخون على اشراكهم فيقال لهم اين الهتكم
هل ينفعونكم بنصرتهم لكم او هل ينفعون انفسهم بانتصارهم لانهم
والهتهم وقود النار وهو قوله [illegible] اي الالهة [illegible]
وعبدتهم الذين برزت لهم الجحيم والكبكبة تكرير الكب جعل التكرير في
اللفظ دليلا على التكرير في المعنى كانه اذا القي في جهنم ينكب مرة بعد اخرى
حتى يستقر في قعرها اللهم اجرنا منها يا خير مستجار [illegible] شيا
طينه او متبعوه من عصاة الانس والجن يجوز ان ينطق الله عز وجل الاصنام

حتى يصح التعاون والتخاصم ويجوز أن يجري ذلك بين العصاة والشياطين والمراد
بالمجرمين الذين أضلوهم رؤساؤهم وكبراؤهم كقوله ربنا إنا أطعنا سادتنا
وكبراءنا فأضلونا السبيلا وعن السدي الأولون الذين اقتدينا بهم وعن
ابن جريج إبليس وابن آدم القاتل لأنه أول من سن القتل وأنواع المعاصي
فما لنا من شافعين كما نرى المؤمنين لهم شفعاء من الملائكة والنبيين
ولا صديق حميم كما نرى لهم أصدقاء لأنه لا يتصادق في الآخرة إلا المؤمنون
وأما أهل النار فبينهم التعادي والتباغض قال الله تعالى الأخلاء يومئذ بعضهم
لبعض عدو إلا المتقين أو فما لنا من شافعين ولا صديق حميم من الذين كنا
نعدهم شفعاء وأصدقاء لأنهم كانوا يعتقدون في أصنامهم أنهم شفعاؤهم
عند الله وكان لهم الأصدقاء من شياطين الإنس أو أرادوا أنهم وقعوا
في مهلكة علموا أن الشفعاء والأصدقاء لا ينفعونهم ولا يدفعون عنهم
فقصدوا بنفيهم نفي ما يتعلق بهم من النفع لأن ما لا ينفع حكمه حكم المعدوم
والحميم من الاحتمام وهو الاهتمام وهو الذي يهمه ما يهمك أو من الحامة
بمعنى الخاصة وهو الصديق الخاص فإن قلت لم جمع الشافع ووحد الصديق
قلت لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الصديق ألا ترى أن الرجل إذا امتحن
بإرهاق ظالم نهضت جماعة وافرة من أهل بلده لشفاعته رحمة له وحسبة
وإن لم يسبق له بأكثرهم معرفة وأما الصديق وهو الصادق في ودادك
الذي يهمه ما أهمك فأعز من بيض الأنوق وعن بعض الحكماء أنه سئل عن
الصديق فقال اسم لا معنى له ويجوز أن يريد بالصديق الجمع الكرة الرجعة
إلى الدنيا ولو في مثل هذا الموضع في معنى التمني كأنه قيل فليت لنا كرة وذلك
لما بين معنى لو وليت من التلاقي في التقدير ويجوز أن تكون على أصلها
ويحذف الجواب وهو لفعلنا كيت وكيت القوم مؤنثة وتصغيرها قويمة
ونظيره قوله المرسلين والمراد نوح عليه السلام كقولك فلان يركب الدواب ويلبس
البرود وما له إلا دابة وبرد أخوهم لأنه كان منهم من قول العرب
يا أخا بني تميم يريدون يا واحدا منهم ومنه بيت الحماسة ٥ لا يسألون أخاهم
حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا ٥ أمين كان أمينا فيهم مشهورا بالأمانة
كمحمد صلوات الله عليه وسلامه في قريش وينصح لكم فيما أدعوكم
إليه من الحق عليه على هذا الأمر وعلى ما أنا فيه يعني دعاءه ونصحه ومعنى فاتقوا
الله وأطيعون فاتقوا الله في طاعتي وكرره ليؤكده عليهم ويقرره في
نفوسهم مع تعليق كل واحد منهما بعلة جعل علة الأول كونه أمينا فيما
بينهم وفي الثاني حسم طمعه عنهم وقرئ وأتباعك جمع تابع كشاهد وأشهاد
أو جمع تبع كبطل وأبطال والواو للحال وحقها أن يضمر بعدها قد في واتبعك
وقد جمع الأرذل على الصحة وعلى التكسير في قوله الذين هم أراذلنا والرذالة
والنذالة الخسة والدناءة وإنما استرذلوهم لاتضاع نسبهم وقلة نصيبهم

من الدنيا وقيل كانوا من أهل الصناعات الدنية كالحياكة والحجامة والصناعة
لا تزري بالديانة وهكذا كانت قريش تقول في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما زالت أتباع الأنبياء كذلك حتى صارت من سماتهم وأماراتهم ألا ترى إلى
هرقل حين سأل أبا سفيان عن أتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قال ضعفاء
الناس وأراذلهم قال ما زالت أتباع الأنبياء كذلك وعن ابن عباس رضي الله عنه
هم الغاغة وعن عكرمة الحاكة والأساكفة وعن مقاتل السفلة وما
علمي وأي شيء علمي والمراد انتفاء علمه بإخلاص أعمالهم لله واطلاعه على سر
أمرهم وباطنه وإنما قال هذا لأنهم قد طعنوا مع استرذالهم في إيمانهم
وأنهم لم يؤمنوا عن نظر وبصيرة وإنما آمنوا هوى وبديهة كما حكى الله عز وجل
عنهم في قوله الذين هم أراذلنا بادي الرأي ويجوز أن يتغابى لهم نوح عليه السلام فيفسر
قولهم الأرذلين بما هو الرذالة عنده من سوء الأعمال وفساد العقائد ولا
يلتفت إلى ما هو الرذالة عندهم ثم يبني جوابه على ذلك فيقول ما علي إلا اعتبار
الظاهر دون التفتيش عن أسرارهم والشق عن قلوبهم وإن كان لهم
عمل سيء فالله محاسبهم ومجازيهم عليه وما أنا إلا منذر لا محاسب ولا مجاز لو
تشعرون ذلك ولكنكم تجهلون فتنساقون مع الجهل حيث سيركم وقصد
بذلك رد اعتقادهم وإنكار أن يسمى المؤمن رذلا وإن كان أفقر الناس
وأوضعهم نسبا فإن الغنى غنى الدين والنسب نسب التقوى وما أنا بطارد
المؤمنين يريد ليس من شأني أن أتبع شهواتكم وأطيب نفوسكم بطرد المؤمنين
الذين صح إيمانهم طمعا في إيمانكم وما علي إلا أن أنذركم إنذارا بينا بالبرهان
الصحيح الذي يتميز به الحق من الباطل ثم أنتم أعلم بشأنكم ليس هذا بإخبار
بالتكذيب لعلمه أن عالم الغيب والشهادة أعلم ولكنه أراد إني لا أدعوك عليهم
لما غاظوني وآذوني وإنما أدعوك لأجلك ولأجل دينك ولأنهم كذبوني في
وحيك ورسالتك فاحكم بيني وبينهم والفتاحة الحكومة والفتاح الحاكم لأنه
يفتح المستغلق كما سمي فيصلا لأنه يفصل بين الخصومات الفلك السفينة
وجمعه فلك قال الله تعالى وترى الفلك فيه مواخر فالواحد بوزن قفل والجمع بوزن
أسد كسروا فعلا على فعل كما كسروا فعلا على فعل لأنهما أخوان في قولك
العرب والعرب والرشد والرشد فقالوا أسد وأسد وفلك وفلك ونظيره
بعير هجان وإبل هجان ودرع دلاص ودروع دلاص فالواحد بوزن كناز والجمع
بوزن كرام والمشحون المملوء يقال شحنها عليهم خيلا ورجالا وقرئ بكل ريع
بالكسر والفتح وهو المكان المرتفع قال المسيب بن علس ٥ في الآل يرفعها ويخفضها
ريع يلوح كأنه سحل ٥ ومنه قولهم كم ريع أرضك وهو ارتفاعها والآية
العلم وكانوا ممن يهتدون بالنجوم في أسفارهم فاتخذوا في طرقها أعلاما طوالا
فعبثوا بذلك لأنهم كانوا مستغنين عنها بالنجوم وعن مجاهد بنوا بكل ريع
بروج الحمام والمصانع مآخذ الماء وقيل القصور المشيدة والحصون لعلكم
تخلدون ترجون الخلود في الدنيا أو تشبه حالكم حال من يخلد في الأرض

وفي حرف أبي رضي الله عنه كأنكم وقرئ تخلدون بضم التاء مخففا ومشددا
بطشتم بسوط أو سيف كان ذلك ظلما وعلوا وقيل الجبار الذي يقتل و
يضرب على الغضب وعن الحسن تبادرون بتعجيل العذاب لا تتثبتون متفكرين
في العواقب بالغ في تنبيههم على نعم الله حيث أجملها ثم فصلها مستشهدا
بعلمهم وذلك أنه أيقظهم عن سنة غفلتهم عنها حين قال أمدكم بما تعلمون
ثم عددها عليهم وعرفهم المنعم بتعديد ما يعلمون من نعمته وأنه كما قدر أن
يتفضل عليكم بهذه النعمة فهو قادر على الثواب والعقاب فاتقوه
ونحوه قوله سبحانه وتعالى ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد فإن قلت
كيف قرن البنين بالأنعام قلت هم الذين يعينونهم على حفظها والقيام عليها
فإن قلت لو قيل أوعظت أم لم تعظ كان أخصر والمعنى واحد قلت
ليس المعنى بواحد وبينهما فرق لأن المراد سواء علينا أفعلت هذا الفعل
الذي هو الوعظ أم لم تكن أصلا من أهله ومباشريه فهو أبلغ في قلة
اعتدادهم بوعظه من قولك أم لم تعظ من قرأ خلق بالفتح فمعناه
إن ما جئت به اختلاق الأولين وتخرصهم كما قالوا أساطير الأولين أو ما
خلقنا هذا إلا خلق القرون الخالية نحيا كما حيوا ونموت كما ماتوا ولا
بعث ولا حساب ومن قرأ خلق بضمتين وبواحدة فمعناه ما هذا الذي نحن
عليه من الدين إلا خلق الأولين وعادتهم كانوا يدينونه ويعتقدونه
ونحن بهم مقتدون أو ما هذا الذي نحن عليه من الحياة والموت إلا عادة
لم يزل عليها الناس في قديم الدهر أو ما هذا الذي جئت به من الكذب إلا
عادة الأولين كانوا يلفقون مثله ويسطرونه أتتركون يجوز أن يكون
إنكارا لأن يتركوا مخلدين في نعيمهم لا يزالون عنه وأن يكون تذكيرا
بالنعمة في تخلية الله إياهم وما يتنعمون فيه من الجنات وغير ذلك مع
الأمن والدعة في ما هاهنا في الذي استقر في هذا المكان من النعيم ثم
فسره بقوله في جنات وعيون وهذا أيضا إجمال ثم تفصيل فإن قلت
لم قال ونخل بعد قوله في جنات والجنة تتناول النخل أول شيء كما يتناول
النعم الإبل كذلك من بين الأزواج حتى إنهم ليذكرون الجنة ولا يقصدون
إلا النخيل كما يذكرون النعم ولا يريدون إلا الإبل قال زهير
تسقي جنة سحقا قلت فيه وجهان أن يخص النخل بإفراده بعد دخوله
في جملة سائر الشجر تنبيها على انفراده عنها بفضله عليها وأن يريد بالجنات
غيرها من الشجر لأن اللفظ يصلح لذلك ثم يعطف عليها النخل الطلعة هي
التي تطلع من النخلة كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو والقنو اسم
للخارج من الجذع كما هو بعرجونه وشماريخه والهضيم اللطيف
الضامر من قولهم كشح هضيم وطلع إناث النخل فيه لطف وفي طلع
الفحاحيل جفاء وكذلك طلع البرني ألطف من طلع اللون فذكرهم

نعمة الله في أن وهب لهم أجود النخل وأنفعه لأن الإناث ولادة التمر والبرني
أجود التمر وأطيبه ويجوز أن يريد أن نخيلهم أصابت جودة المنابت وسعة
الماء وسلمت من العاهات فحملت الحمل الكثير وإذا كثر الحمل هضم وإذا قل
جاء فاخرا وقيل الهضيم اللين النضيج كأنه قال ونخل قد أرطب ثمره وقرأ الحسن
وتنحتون بفتح الحاء وقرئ فرهين وفارهين والفراهة الكيس والنشاط
ومنه خيل فرهة استعير لا تطيعوا امتثال الأمر وارتسامه طاعة الآمر المطاع
أو جعل الأمر مطاعا على المجاز الحكمي والمراد الآمر ومنه قولهم لك علي
إمرة مطاعة وقوله سبحانه وتعالى وأطيعوا أمري فإن قلت ما فائدة
قوله ولا يصلحون قلت فائدته أن فسادهم فساد مصمت ليس معه شيء
من الصلاح كما يكون حال بعض المفسدين مخلوطة ببعض الصلاح المسحر
الذي سحر كثيرا حتى غلب على عقله وقيل هو من السحر الرئة وأنه بشر
الشرب النصيب من الماء نحو السقي والقيت للحظ من السقي والقوت وقرئ
بالضم روي أنهم قالوا نريد ناقة عشراء تخرج من هذه الصخرة فتلد سقبا
فقعد صالح عليه السلام يتفكر فقال له جبريل عليه السلام صل ركعتين وسل ربك الناقة
ففعل فخرجت الناقة وبركت بين أيديهم ونتجت سقبا مثلها في
العظم وعن أبي موسى رأيت مصدرها فإذا هو ستون ذراعا وعن
قتادة إذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله ولهم شرب يوم لا تشرب
فيه الماء بسوء بضرب أو عقر أو غير ذلك عظم اليوم لحلول العذاب فيه
ووصف اليوم به أبلغ من وصف العذاب لأن الوقت إذا عظم بسببه كان
موقعه من العظم أشد وروي أن مسطعا ألجأها إلى مضيق في شعب
فرماها بسهم فأصاب رجلها فسقطت ثم ضربها قدار وروي أن
عاقرها قال لا أعقرها حتى ترضوا أجمعين فكانوا يدخلون على المرأة في
خدرها فيقولون أترضين فتقول نعم وكذلك صبيانهم فإن قلت
لم أخذهم العذاب وقد ندموا قلت لم يكن ندمهم ندم تائبين ولكن
ندم خائفين أن يعاقبوا على العقر عقابا عاجلا كمن يرى في بعض
الأمور رأيا فاسدا ويبني عليه ثم يندم ويتحسر كندامة الكسعي أو
ندموا ندم تائبين ولكن في غير وقت التوبة وذلك عند معاينة العذاب
وقال عز وجل وليست التوبة للذين يعملون السيئات الآية وقيل كانت
ندامتهم على ترك الولد وهو بعيد واللام في العذاب إشارة إلى
عذاب يوم عظيم أراد بالعالمين الناس أي أتأتون من بين أولاد آدم
على فرط كثرتهم وتفاوت أجناسهم وغلبة إناثهم على ذكورهم في الكثرة
ذكرانهم كأن الإناث قد أعوزتكم أو أتأتون أنتم من بين من عداكم
من العالمين الذكران يعني أنكم يا قوم لوط وحدكم مختصون بهذه
الفاحشة والعالمون على هذا كل ما ينكح من الحيوان من أزواجكم يصلح
أن يكون تبيينا لما خلق وأن يكون للتبعيض ويراد بما خلق العضو المباح

منهن وفي قراءة ابن مسعود ما أصلح لكم ربكم من أزواجكم وكأنهم كانوا يفعلون
مثل ذلك بنسائهم العادي المتعدي في ظلمه المتجاوز فيه الحد ومعناه أتركبون
هذه المعصية على عظمها بل أنتم قوم عادون في جميع المعاصي فهذا من جملة
ذاك أو بل أنتم قوم أحقاء بأن توصفوا بالعدوان حيث ارتكبتم مثل هذه
العظيمة لئن لم تنته عن نهينا وتقبيح أمرنا لتكونن من جملة من أخرجناه
من بين أظهرنا وطردناه من بلدنا ولعلهم كانوا يخرجون من أخرجوه على
أسوأ حال من تعنيف به واحتباس لأملاكه وكما يكون حال الظلمة إذا
أجلوا بعض من يغضبون عليه وكما كان يفعل أهل مكة بمن يريد المهاجرة
من القالين أبلغ من أن يقول إني لعملكم قال كما تقول فلان من العلماء فيكون
أبلغ من قولك فلان عالم لأنك تشهد له بكونه معدودا في زمرتهم ومعروفة
مساهمته لهم في العلم ويجوز أن يريد من الكاملين في قلاكم والقلا البغض الشديد
كأنه بغض يقلي الفؤاد والكبد وفي هذا دليل على عظم المعصية والمراد القلي
من حيث الدين والتقوى وقد تقوى همة الديّن في دين الله حتى تقرب كراهته
للمعاصي من الكراهة الجبلية مما يعملون من عقوبة عملهم وهو الظاهر
ويحتمل أن يريد بالتنجية العصمة فإن قلت فما معنى قوله فنجيناه وأهله أجمعين إلا عجوزا
قلت معناه أنه عصمه وأهله من ذلك إلا العجوز فإنها كانت غير
معصومة منه لكونها راضية به ومعينة عليه ومحرشة والراضي بالمعصية
في حكم العاصي فإن قلت كان أهله مؤمنين ولولا ذلك لما طلب لهم النجاة
فكيف استثنيت الكافرة منهم قلت الاستثناء إنما وقع من الأهل وفي
هذا الاسم لها معهم شركة بحق الزواج وإن لم تشاركهم في الإيمان فإن قلت
في الغابرين صفة لها كأنه قيل إلا عجوزا غابرة ولم يكن الغبور صفتها
وقت تنجيتهم قلت معناه إلا عجوزا مقدرا غبورها والمعنى الغابرين في
الهلاك والعذاب غير الناجين قيل إنها هلكت مع من خرج من القرية بما أمطر
عليهم من الحجارة والمراد بتدميرهم الائتفاك بهم وأما الإمطار فعن قتادة
أمطر الله عز وجل على شذاذ القوم حجارة من السماء فأهلكهم وعن ابن زيد لم
يرض بالائتفاك حتى أتبعه مطرا من حجارة وفاعل ساء مطر المنذرين ولم
يرد بالمنذرين قوما بأعيانهم إنما هو للجنس والمخصوص بالذم محذوف وهو
مطرهم قرئ أصحاب الأيكة بالهمزة وبتخفيفها وبالجر على الإضافة وهو الوجه
ومن قرأ بالنصب وزعم أن ليكة بوزن ليلة اسم بلد فتوهم قاد إليه خط المصحف
وحيث وجدت مكتوبة في هذه السورة وفي سورة ص بغير ألف وفي المصحف أشياء كتبت
على خلاف قياس الخط المصطلح عليه وإنما كتبت في هاتين السورتين على حكم لفظ
اللافظ كما يكتب أصحاب النحو لان ولولى على هذه الصورة لبيان لفظ المخفف
وقد كتبت في سائر القرآن على الأصل والقصة واحدة على أن ليكة اسم لا يعرف
وروي أن أصحاب الأيكة كانوا أصحاب شجر ملتف وكان شجرهم الدوم

فان

فإن قلت هلا قيل أخوهم شعيب كما قيل في سائر المواضع قلت قالوا إن شعيبا
لم يكن من أصحاب الأيكة وفي الحديث إن شعيبا أخا مدين أرسل إليهم وإلى
أصحاب الأيكة الكيل على ثلاثة أضرب واف وطفيف وزائد فأمر بالواجب
الذي هو الإيفاء ونهى عن المحرم الذي هو التطفيف ولم يذكر الزائد وكان تركه
تركه عن الأمر والنهي دليل على أنه إن فعله فقد أحسن وإن لم يفعله فلا عليه
احسن قرئ بالقسطاس مضموما ومكسورا وهو الميزان وقيل القرسطون
فإن كان من القسط وهو العدل وجعلت العين مكررة فوزنه فعلاس
وإلا فهو رباعي وقيل هو بالرومية العدل يقال بخسته حقه إذا نقصته إياه
ومنه قيل للمكس البخس وهو عام في كل حق ثبت لأحد أن لا يهضم وفي كل
ملك أن لا يغصب عليه مالكه ولا يتحيف منه ولا يتصرف فيه إلا بإذنه تصرفا
شرعيا يقال عثى في الأرض وعثي وعاث وذلك نحو قطع الطريق والغارة
وإهلاك الزروع وكانوا يفعلون ذلك مع توليهم أنواع الفساد فنهوا عن
ذلك وقرئ الجبلة بوزن الأبلة والجبلة بوزن الخلقة ومعناهن واحد أي
ذوي الجبلة وهو كقولك والخلق الأولين فإن قلت هل اختلف المعنى بإدخال
الواو هاهنا وتركها في قصة ثمود قلت إذا أدخلت الواو فقد قصد معنيان
كلاهما مناف للرسالة عندهم التسحير والبشرية وأن الرسول لا يجوز أن يكون
مسحرا ولا يجوز أن يكون بشرا وإذا تركت الواو فلم يقصد إلا معنى واحد
وهو كونه مسحرا ثم قرر بكونه بشرا مثلهم فإن قلت إن المخففة من
الثقيلة ولامها كيف تفرقتا على فعل الظن وثاني مفعوليه قلت أصلهما أن
يتفرقا على المبتدأ والخبر كقولك إن زيد لمنطلق فلما كان البابان أعني باب
كان وباب ظننت من جنس باب المبتدأ والخبر فعل ذلك في البابين فقيل
إن كان زيد لمنطلقا وإن ظننته لمنطلقا قرئ كسفا بالسكون والحركة وكلاهما
جمع كسفة نحو قطع وسدر وقيل الكسف والكسفة كالريع والريعة وهي
القطعة وكسفه قطعه والسماء السحاب أو المظلة وما كان طلبهم ذلك إلا
لتصميمهم على الجحود والتكذيب ولو كان فيهم أدنى ميل إلى التصديق لما أخطروه
ببالهم فضلا أن يطلبوه والمعنى إن كنت صادقا أنك نبي فادع الله أن يسقط
علينا كسفا من السماء ربي أعلم بما تعملون يريد أن الله أعلم بأعمالكم
وبما تستوجبون عليها من العقاب فإن أراد أن يعاقبكم بإسقاط كسف
من السماء فعل وإن أراد عقابا آخر فإليه الحكم والمشيئة فأخذهم الله عز وجل
بنحو ما اقترحوا من عذاب الظلة إن أرادوا بالسماء السحاب وإن أرادوا
المظلة فقد خالف بهم عن مقترحهم يروى أنه حبس عنهم الريح سبعا وسلط
عليهم الومد فأخذ بأنفاسهم لا ينفعهم ظل ولا ماء ولا سرب فاضطروا إلى
أن خرجوا إلى البرية فأظلتهم سحابة وجدوا لها بردا ونسيما فاجتمعوا
تحتها فأمطرت عليهم نارا فاحترقوا وروي أن شعيبا صلوات الله عليه بعث

الى المنتهى اصحاب مدين واصحاب ليكة فاهلكت مدين بصيحة جبريل عم
واصحاب ليكة بعذاب يوم الظلة فان قلت كيف كرر في هذه السورة
في اول كل قصة واخرها ما هو مكرر قلت كل قصة منها كتنزيل براسه
وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها فكانت كل واحدة منها تدلي بحق
في ان تفتتح بما افتتحت به صاحبتها وان تختتم بما اختتمت به ولان
في التكرير تقريرا للمعاني في الانفس وتثبيتا لها في الصدور الا ترى انه لا
طريق الى تحفظ العلوم الا ترديد ما يراد تحفظه منها وكلما زاد ترديده
كان امكن له في القلب وارسخ في الفهم واثبت للذكر وابعد من النسيان
ولان هذه القصص طرقت بها اذان وقر عن الانصات للحق وقلوب
غلف عن تدبره فكوثرت بالوعظ والتذكير وروجعت بالترديد والتكرير
لعل ذلك يفتح اذنا او يفتق ذهنا او يصقل عقلا طال عهده بالصقل او يجلو
فهما قد غطى عليه تراكم الصدا وانه وان هذا المنزل يعني ما نزل من هذه
القصص والايات والمراد بالتنزيل المنزل والباء في نزل به الروح ونزل به
الروح على القراءتين للتعدية ومعنى نزله جعل الله الروح نازلا به على
قلبك اي حفظك وفهمك اياه واثبته في قلبك اثبات ما لا ينسى كقوله تعالى
سنقرئك فلا تنسى بلسان اما ان يتعلق بالمنذرين فيكون المعنى لتكون من
الذين انذروا بهذا اللسان وهم خمسة هود وصالح وشعيب واسمعيل
ومحمد عليهم الصلاة والسلم واما ان يتعلق بنزل فيكون المعنى نزله بلسان عربي
لتنذر به لانه لو نزله باللسان الاعجمي لتجافوا عنه اصلا ولقالوا ما نصنع بما
لا نفهمه فيتعذر الانذار به وفي هذا الوجه ان تنزيله بالعربية التي هي لسانك
ولسان قومك تنزيل له على قلبك لانك تفهمه ويفهمه قومك ولو كان اعجميا
لكان نازلا على سمعك دون قلبك لانك تسمع اجراس حروف لا تفهم معانيها
ولا تعيها وقد يكون الرجل عارفا بعدة لغات فاذا كلم بلغته التي لقنها اولا
ونشا عليها وتطبع بها لم يكن قلبه الا الى معاني الكلام يتلقاها بقلبه
ولا يكاد يفطن للالفاظ كيف جرت وان كلم بغير تلك اللغة وان كان
ماهرا بمعرفتها كان نظره اولا في الالفاظ ثم في معانيها فهذا تقرير انه
نزل على قلبه لنزوله بلسان عربي مبين وانه وان القران يعني ذكره مثبت
في سائر الكتب السماوية وقيل ان معانيه فيها وبه يحتج لابي حنيفة رحمه الله في
جواز القراءة بالفارسية في الصلاة على ان القران قران اذا ترجم بغير العربية
حيث قيل وانه لفي زبر الاولين لكون معانيه فيها وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وكذلك الحق ان تعلمه وليس بواضح قرئ يكن بالتذكير واية بالنصب على
ان اية خبره وان يعلمه هو الاسم وقرئ تكن بالتانيث وجعلت اية اسما
وان يعلمه خبرا وليست كالاولى لوقوع النكرة اسما والمعرفة خبرا وقد خرج
لها وجه اخر ليتخلص من ذلك فقيل في تكن ضمير القصة واية ان يعلمه

جملة واقعة موقع الخبر ويجوز على هذا ان يكون لهم اية هي جملة البيان وان
يعلمه بدلا عن اية ويجوز مع نصب الاية تانيث تكن كقوله ثم لم تكن فتنتهم
الا ان قالوا ومنه بيت لبيد فمضى وقدمها وكانت عادة منه اذا هي
عردت اقدامها وقرئ تعلمه بالتاء وعلماء بني اسرائيل عبد الله بن سلام
وغيره قال الله تعالى واذا يتلى عليهم قالوا امنا به انه الحق من ربنا انا
كنا من قبله مسلمين فان قلت كيف خط في المصحف علموا بواو قبل
الالف قلت خط على لغة من يميل الالف الى الواو وعلى هذه اللغة كتبت
الصلوة والزكوة والربوا الاعجمين الذي لا يفصح وفي لسانه عجمة واستعجام والاعجمي
مثله الا ان فيه لزيادة ياء النسبة زيادة تاكيد وقرا الحسن الاعجميين ولما
كان من يتكلم بلسان غير لسانهم لا يفقهون كلامه قالوا له اعجم واعجمي
شبهوه بمن لا يفصح ولا يبين وقالوا لكل ذي صوت من البهائم والطيور
وغيرها اعجم قال حميد ولا عربيا شاقه صوت اعجما سلكناه ادخلناه
ومكناه والمعنى انا انزلنا هذا القران على رجل عربي بلسان عربي مبين
فسمعوا به وفهموه وعرفوا فصاحته وانه معجز لا يعارض بكلام مثله وانضم
الى ذلك اتفاق علماء اهل الكتب المنزلة قبله على ان البشارة بانزاله وتحلية
المنزل عليه وصفته في كتبهم وقد تضمنت معانيه وقصصه وصح بذلك انها
من عند الله وليست باساطير كما زعموا فلم يؤمنوا به وجحدوه وسموه شعرا
تارة وسحرا اخرى وقالوا هو من تلقين محمد وافترائه ولو نزلناه على بعض
الاعاجم الذي لا يحسن العربية فضلا ان يقدر على نظم مثله فقرأه عليهم
هكذا معجزا فصيحا متحدى به لكفروا به كما كفروا ولتمحلوا لجحودهم عذرا
ولسموه سحرا ثم قال كذلك سلكناه اي مثل هذا السلك سلكناه في
قلوبهم وهكذا مكناه وقررناه فيها وعلى مثل هذه الحال وهذه الصفة من
الكفر به والتكذيب له وضعناه فيها فكيف ما فعل بهم وصنع وعلى
اي وجه دبر امرهم فلا سبيل الى ان يتغيروا عما هم عليه من جحوده وانكاره
كما قال ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين
كفروا ان هذا الا سحر مبين فان قلت كيف اسند السلك بصفة
التكذيب الى ذاته قلت اراد به الدلالة على تمكنه مكذبا في قلوبهم اشد
التمكن واثبته فجعله بمنزلة امر قد جبلوا عليه وفطروا الا ترى الى قولهم
هو مجبول على الشح يريدون تمكن الشح فيه لان الامور الخلقية اثبت من
العارضة والدليل عليه انه اسند ترك الايمان به اليهم على عقبه وهو قوله
لا يؤمنون به فان قلت ما موقع لا يؤمنون به من قوله سلكناه في
قلوب المجرمين قلت موقعه منه موقع الموضح والملخص لانه مسوق لثباته
مكذبا مجحودا في قلوبهم فاتبع ما يقرر هذا المعنى من انهم لا يزالون على التكذيب
به وجحوده حتى يعاينوا الوعيد ويجوز ان يكون حالا اي سلكناه فيها
غير مؤمن به وقرا الحسن فتاتيهم بالتاء يعني الساعة وبغتة بالتحريك

بفعل

وفي حرف أبي رضي الله عنه ويروه بغتة فإن قلت ما معنى التعقيب في قوله
فيأتيهم بغتة فيقولوا قلت ليس المعنى ترادف رؤية العذاب ومفاجأته
وسؤال النظرة فيه في الوجود وإنما المعنى ترتبها في الشدة كأنه قيل لا يؤمنون
بالقرآن حتى تكون رؤيتهم العذاب فما هو أشد منها وهو لحوقه بهم
مفاجأة فما هو أشد منه وهو سؤالهم النظرة ومثال ذلك أن تقول لمن
تعظه إن أسأت مقتك الصالحون فمقتك الله عز وجل فإنك لا تقصد بهذا
الترتيب أن مقت الله عز وجل يوجد عقيب مقت الصالحين وإنما قصدك
إلى ترتيب شدة الأمر على المسيء وأنه يحصل له بسبب الإساءة مقت الصالحين
فما هو أشد من مقتهم وهو مقت الله وترى ثم يقع في هذا الأسلوب
فيحل موقعه أفبعذابنا يستعجلون تبكيت لهم بإنكار وتهكم
ومعناه كيف يستعجل العذاب من هو معرض لعذاب يسأل فيه من جنس
ما هو فيه اليوم من النظرة والإمهال طرفة عين فلا يجاب إليها
ويحتمل أن يكون هذا حكاية توبيخ يوبخون به عند استنظارهم يومئذ
ويستعجلون على هذا الوجه حكاية حال ماضية ووجه آخر متصل بما
بعده وذلك أن استعجالهم بالعذاب إنما كان لاعتقادهم أنه غير كائن
ولا لاحق بهم وأنهم ممتعون بأعمار طوال في سلامة وأمن فقال عز وعلا أفبعذابنا
يستعجلون أشرا وبطرا واستهزاء واتكالا على الأمل الطويل ثم قال
هب أن الأمر كما يعتقدون من تمتيعهم وتعميرهم فإذا لحقهم الوعيد بعد
ذلك ما ينفعهم حينئذ ما مضى من طول أعمارهم وطيب معايشهم وعن ميمون بن
مهران أنه لقي الحسن في الطواف وكان يتمنى لقاءه فقال له عظني فلم يزده
على تلاوة هذه الآية فقال ميمون لقد وعظت فأبلغت وقرئ يمتعون با
لتخفيف منذرون رسل ينذرونهم ذكرى منصوبة بمعنى تذكرة إما لأن
أنذر وذكر متقاربان فكأنه قيل مذكرون تذكرة وإما لأنها حال من
الضمير في منذرون أي ينذرونهم ذوي تذكرة وإما لأنها مفعول له على
معنى أنهم ينذرون لأجل الموعظة والتذكرة أو مرفوعة على أنها خبر مبتدأ
محذوف بمعنى هذه ذكرى والجملة اعتراضية أو صفة بمعنى منذرون ذوو ذكرى
أو جعلوا ذكرى لإمعانهم في التذكرة وإطنابهم فيها ووجه آخر وهو أن
يكون ذكرى متعلقة بأهلكنا مفعولا له والمعنى وما أهلكنا من أهل
قرية ظالمين إلا بعدما ألزمناهم الحجة بإرسال المنذرين إليهم ليكون
إهلاكهم تذكرة وعبرة لغيرهم فلا يعصوا مثل عصيانهم وما كنا
ظالمين فنهلك قوما غير ظالمين وهذا الوجه عليه المعول فإن قلت كيف
عزلت الواو عن الجملة بعد إلا ولم تعزل عنها في قوله وما أهلكنا من قرية إلا
ولها كتاب معلوم قلت الأصل عزل الواو لأن الجملة صفة لقرية وإذا
زيدت فلتأكيد وصل الصفة بالموصوف كما في قوله سبعة وثامنهم كلبهم
كانوا يقولون إن محمدا كاهن وما يتنزل عليه من جنس ما يتنزل به الشياطين

على الكهنة

على الكهنة فكذبوا بأن ذلك مما لا يتسهل للشياطين ولا يقدرون عليه
لأنهم مرجومون بالشهب معزولون عن استماع كلام أهل السماء وقرأ
الحسن الشياطون ووجهه أنه رأى آخره كآخر يبرين وفلسطين فتخير
بين أن يجري الإعراب على النون وبين أن يجريه على ما قبله فيقول الشياطين
والشياطون كما تخيرت العرب بين أن يقولوا هذه يبرين يبرون ويبرين
وفلسطون وفلسطين وحقه أن تشتقه من الشيطوطة وهي الهلاك
كما سمي بالباطل وعن الفراء غلط الشيخ في قراءته الشياطون ظن أنها النون
التي على هجائين فقال النضر بن شميل إن جاز أن يحتج بقول العجاج ورؤبة فهلا
جاز أن يحتج بقول الحسن وصاحبه يريد محمد بن السميفع مع أنا نعلم أنهما
لم يقرآ به إلا وقد سمعا فيه قد علم أن ذلك لا يكون ولكنه أراد أن يحرك منه
لازدياد الإخلاص والتقوى وفيه لطف لسائر المكلفين كما قال ولو تقول
علينا بعض الأقاويل فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فيه وجهان أحدهما
أن يؤمر بإنذار الأقرب فالأقرب من قومه ويبدأ في ذلك بمن هو أولى
بالبداءة ثم بمن يليه وأن يقدم إنذارهم على إنذار غيرهم كما روي عنه عليه الصلاة
والسلام أنه لما دخل مكة قال كل ربا في الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين
وأول ما أضعه ربا العباس والثاني أن يؤمر بأن لا يأخذه ما يأخذ
القريب للقريب من العطف والرأفة ولا يحابيهم في الإنذار والتخويف وروي
أنه صعد الصفا لما نزلت فنادى الأقرب فالأقرب فخذا فخذا وقال يا بني عبد
المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف يا عباس عم النبي يا صفية عمة رسول الله
صلى الله عليه وسلم إني لا أملك لكم من الله شيئا سلوني من مالي ما شئتم وروي أنه جمع
بني عبد المطلب وهم يومئذ أربعون رجلا الرجل منهم يأكل الجذعة ويشرب
العس على رجل شاة وقعب من لبن فأكلوا وشربوا حتى صدروا ثم أنذرهم
فقال يا بني عبد المطلب لو أخبرتكم أن بسفح هذا الجبل خيلا أكنتم مصدقي
قالوا نعم قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد وروي أنه قال يا بني
عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف افتدوا أنفسكم فإني لا أغني عنكم
شيئا ثم قال يا عائشة بنت أبي بكر ويا حفصة بنت عمر ويا فاطمة بنت محمد
ويا صفية عمة محمد اشترين أنفسكن من النار فإني لا أغني عنكن شيئا
الطائر إذا أراد أن ينحط للوقوع كسر جناحه وخفضه وإذا أراد أن
ينهض للطيران رفع جناحه فجعل خفض جناحه عند الانحطاط مثلا
في التواضع ولين الجانب ومنه قول بعضهم ۞ وأنت الشهير بخفض
الجناح فلا تك في رفعه أجدلا ۞ ينهاه عن التكبر بعد التواضع فإن قلت
المتبعون للرسول صلى الله عليه وسلم هم المؤمنون والمؤمنون هم المتبعون للرسول
صلى الله عليه وسلم فما معنى قوله لمن اتبعك من المؤمنين قلت فيه وجهان
أن يسميهم قبل الدخول في الإيمان مؤمنين لمشارفتهم ذلك وأن يريد بالمؤمنين

المصدقين بالله وهم صنفان صنف صدق واتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيما جاء به وصنف ما وجد منه التصديق فحسب ثم اما ان يكونوا منافقين
او فاسقين والمنافق والفاسق لا يخفض لهما الجناح والمعنى من المؤمنين
من عشيرتك وغيرهم يعني انذر قومك فان اتبعوك واطاعوك
فاخفض لهم جناحك وان عصوك ولم يتبعوك فتبرأ منهم ومن اعمالهم
من الشرك بالله وغيره وتوكل على الله يكفك شر من يعصيك منهم ومن
غيرهم والتوكل تفويض الرجل امره الى من يملك امره ويقدر على نفعه وضره
وقالوا المتوكل من ان دهمه امر لم يحاول دفعه عن نفسه بما هو معصية
الله فعلى هذا اذا وقع الانسان في محنة ثم سأل غيره خلاصه لم يخرج
من حد التوكل لانه لم يحاول دفع ما نزل به عن نفسه بمعصية الله عز وجل
وفي مصاحف اهل المدينة والشام فتوكل وبه قرأ نافع وابن عامر وله محملان
في العطف ان يعطف على فقل او فلا تدع على الذي يقهر اعداءك
بعزته وينصرك عليهم برحمته ثم اتبع كونه رحيما على رسوله ما هو من
اسباب الرحمة وهو ذكر ما كان يفعله في جوف الليل من قيامه للتهجد
وتقلبه في تصفح احوال المتهجدين من اصحابه ليطلع عليهم من حيث لا يشعرون
ويستبطن سر امرهم وكيف يعبدون الله عز وجل وكيف يعملون لآخرتهم
كما يحكى انه حين نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت اصحابه
لينظر ما يصنعون لحرصه عليهم وعلى ما يوجد منهم من فعل الطاعات
وتكثير الحسنات فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع منها من دندنتهم
بذكر الله والتلاوة والمراد بالساجدين المصلون وقيل معناه
يراك حين تقوم للصلاة بالناس جماعة وتقلبه في الساجدين تصرفه فيما
بينهم بقيامه وركوعه وسجوده اذا امهم وعن مقاتل انه سأل ابا حنيفة رحمه الله
هل تجد الصلاة في الجماعة في القرآن فقال لا يحضرني فتلا له هذه الآية ويحتمل
انه لا يخفى عليه حالك كلما قمت وتقلبت مع الساجدين في كفاية امور الدين
انه هو السميع لما تقوله العليم بما تنويه وتعمله وقيل هو تقلب بصره
فيمن يصلي خلفه من قوله عليه السلام اتموا الركوع والسجود فوالله اني لأراكم من
خلف ظهري اذا ركعتم وسجدتم وقرئ ويقلبك على كل افاك اثيم هم الكهنة
والمتنبئة كشق وسطيح ومسيلمة وطليحة يلقون السمع هم الشياطين كانوا
قبل ان يحجبوا بالرجم يسمعون الى الملأ الاعلى فيختطفون بعض ما يتكلمون
به مما اطلعوا عليه من الغيوب ثم يوحون به الى اوليائهم من اولئك
واكثرهم كاذبون فيما يوحون به اليهم لانهم يسمعونهم ما لم يسمعوا
وقيل يلقون الى اوليائهم السمع اي المسموع من الملائكة وقيل الافاكون
يلقون السمع الى الشياطين فيتلقون وحيهم اليهم او يلقون المسموع
من الشياطين الى الناس واكثر الافاكين كاذبون يفترون على الشياطين
ما لم يوحوا اليهم وترى اكثر ما يحكمون به باطلا وزورا وفي الحديث الكلمة

يخطفها الجني فيقرها في اذن وليه فيزيد فيها اكثر من مائة كذبة والقر الصب
فان قلت كيف دخل حرف الجر على من المتضمنة لمعنى الاستفهام والاستفهام
له صدر الكلام الا ترى الى قولك أعلى زيد مررت ولا تقول على ازيد مررت
قلت ليس معنى التضمن ان الاسم دل على معنيين معا معنى الاسم ومعنى الحرف
وانما معناه ان الاصل أمن فحذف حرف الاستفهام واستمر الاستعمال على
حذفه كما حذف من هل والاصل أهل قال أهل رأونا بسفح القاع ذي الاكم
فاذا ادخلت حرف الجر على من فقدر الهمزة قبل حرف الجر في ضميرك كأنك تقول
أعلى من تنزل الشياطين كقولك أعلى زيد مررت فان قلت يلقون ما محله
قلت يجوز ان يكون في محل النصب على الحال اي تنزل ملقين السمع وفي محل
الجر صفة لكل افاك لانه في معنى الجمع وان لا يكون له محل بان يستأنف كأن
قائلا قال لم تنزل على الافاكين فقيل يفعلون كيت وكيت فان قلت
كيف قيل واكثرهم كاذبون بعد ما قضي عليهم ان كل واحد منهم افاك قلت
الافاكون هم الذين يكثرون الافك ولا يدل ذلك على انهم لا ينطقون الا بالافك
فاراد ان هؤلاء الافاكين قل من يصدق منهم فيما يحكي عن الجني واكثرهم
مفتر عليه فان قلت وانه لتنزيل رب العالمين وما تنزلت به الشياطين
هل اتصلتا على من تنزل الشياطين لم فرق بينهن وهن اخوات قلت اريد
التفريق بينهن بآيات ليست في معناهن ليرجع الى المجيء بهن وتطريته ذكر
ما فيهن كرة بعد كرة فيدل بذلك على ان المعنى الذي نزلن فيه من المعاني
التي اشتدت كراهة الله عز وجل لخلافها ومثاله ان يحدث الرجل بحديث
وفي صدره اهتمام بشيء منه وفضل عناية فتراه يعيد ذكره ولا ينفك عن الرجوع
اليه والشعراء مبتدأ ويتبعهم الغاوون خبره ومعناه انه لا يتبعهم
على باطلهم وكذبهم وفضول قولهم وما هم عليه من الهجاء وتمزيق اعراض
الناس والقدح في الانساب والتشبيب بالحرم والغزل والابتهار ومدح من
لا يستحق المدح ولا يستحسن ذلك منهم ولا يطرب على قولهم الا الغاوون
والسفهاء والشطار وقيل الغاوون الراوون وقيل الشياطين وقيل هم
شعراء قريش عبد الله بن الزبعرى وهبيرة بن ابي وهب المخزومي ومسافع بن
عبد مناف وابو عزة الجمحي ومن ثقيف امية بن ابي الصلت قالوا نحن نقول مثل قول
محمد وكانوا يهجونه ويجتمع اليهم الاعراب من قومهم يستمعون اشعارهم
واهاجيهم وقرأ عيسى بن عمر والشعراء بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر
قال ابو عبيد كان الغالب عليه حب النصب قرأ حمالة الحطب والسارق والسارقة
وسورة انزلناها وقرئ يتبعهم على التخفيف ويتبعهم بسكون العين تشبيها لبعه
بعضد ذكر الوادي والهيوم فيه تمثيل لذهابهم في كل شعب من القول
واعتسافهم وقلة مبالاتهم بالغلو في المنطق ومجاوزة حد القصد فيه حتى

يفعلوا اجبن الناس على عنتره واشحهم على حاتم وان يبهتوا البري
ويفسقوا التقي وعن الفرزدق ان سليمن بن عبد الملك سمع قوله ٥
فبتن بجانبي مصرعات وبت افض اغلاق الختام ٥ فقال قد وجب
عليك الحد فقال يا امير المومنين قد درا الله عني الحد بقوله وانهم يقولون
ما لا يفعلون استثنى الشعرا المومنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله
وتلاوة القران وكان ذلك اغلب عليهم من الشعر واذا قالوا شعرا قالوه
في توحيد الله والثنا عليه والحكمة والموعظة والزهد والاداب الحسنة
ومدح رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة وصلحا الامة وما لا باس به من
المعاني التي لا يتلطخون فيها بذنب ولا يتلبسون بشاينة ولا منقصة
وكان هجاوهم على سبيل الانتصار ممن يهجوهم قال الله تعالى لا يحب الله
الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وذلك من غير اعتدا ولا زيادة على ما
هو جواب لقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى
عليكم وعن عمرو بن عبيد رحمه الله ان رجلا من العلوية قال له ان صدري
ليجيش بالشعر فقال فما يمنعك منه فيما لا باس به والقول فيه ان الشعر
باب من الكلام فحسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام وقيل
المراد بالمستثنين عبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت والكعبان كعب
بن مالك وكعب بن زهير والذين كانوا ينافحون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويكافحون هجاة قريش وعن كعب بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال له اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو اشد عليهم من النبل وكان يقول
لحسان قل وروح القدس معك ختم السورة باية ناطقة بما لا شي اهيب
منه واهول ولا انكى لقلوب المتاملين ولا اصدع لاكباد المتدبرين وذلك
قوله وسيعلم وما فيه من الوعيد البليغ وقوله الذين ظلموا
وقوله اي منقلب ينقلبون وابهامه وقد تلاها ابو بكر لعمر رضي الله عنهما
حين عهد اليه وكان السلف الصالح يتواعظون بها ويتناذرون شدتها
وتفسير الظلم بالكفر تعليل ولان تخاف فتبلغ الامن خير من ان تامن
فتبلغ الخوف وقرا ابن عباس رضي الله عنه اي منفلت ينفلتون ومعناها
ان الذين ظلموا يطمعون ان ينفلتوا من عذاب الله وسيعلمون ان ليس
لهم وجه من وجوه الانفلات وهو النجاه اللهم اجعلنا ممن جعل
هذه الاية بين عينيه فلم يغفل عنها وعلم ان من عمل سيئة فهو من الذين ظلموا
والله اعلم بالصواب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
الشعرا كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به
وهود وشعيب وصالح وابرهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين ٥

سورة النمل مكية وهي ثلث وتسعون اية وقيل اربع وتسعون

بسم الله الرحمن الرحيم طس

في التفخيم والامالة وتلك اشارة الى ايات السورة والكتاب المبين اما
اللوح وابانته انه قد خط فيه كل ما هو كاين فهو يبينه للناظرين فيه ابانة واما
السورة واما القران وابانتهما انهما يبينان ما اودعاه من العلوم والحكم
والشرايع وان اعجازهما ظاهر مكشوف واضافة الايات الى القران
والكتاب المبين على سبيل التفخيم لها والتعظيم لان المضاف الى العظيم يعظم
بالاضافة اليه فان قلت لم نكر الكتاب المبين قلت ليبهم بالتنكير
فيكون افخم له كقوله سبحانه وتعالى في مقعد صدق عند مليك مقتدر
فان قلت ما وجه عطفه على القران اذا اريد به القران قلت كما يعطف
احدى الصفتين على الاخرى نحو قولك هذا فعل السخي والجواد الكريم لان
القران هو المنزل المبارك المصدق لما بين يديه فكان حكمه حكم الصفات
المستقلة بالمدح فكانه قيل تلك الايات ايات المنزل المبارك واي كتاب
مبين وقرا ابن ابي عبلة وكتاب مبين بالرفع على تقدير وايات كتاب مبين
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فان قلت ما الفرق بين هذا
وبين قوله الر تلك ايات الكتاب وقران مبين قلت لا فرق بينهما الا ما
بين المعطوف والمعطوف عليه من التقدم والتاخر وذلك على ضربين
ضرب جار مجرى التثنية لا يترجح فيه جانب على جانب وضرب فيه ترجح
فالاول نحو قوله وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا ومنه ما نحن بصدده والثاني نحو قوله
شهد الله انه لا اله الا هو والملايكة واولوا العلم هدى وبشرى في محل
النصب او الرفع فالنصب على الحال اي هادية ومبشرة والعامل فيها ما في
تلك من معنى الاشارة والرفع على ثلثة اوجه على هي هدى وعلى البدل
من الايات وعلى ان يكون خبرا بعد خبر اي جمعت انها ايات وانها هدى
وبشرى والمعنى في كونها هدى للمومنين انها زايدة في هداهم قال الله تعالى
فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا فان قلت وهم بالاخرة هم يوقنون كيف
يتصل بما قبله قلت يحتمل ان يكون من جملة صلة الموصول ويحتمل ان
تتم الصلة عنده ويكون جملة اعتراضية كانه قيل وهولا الذين يومنون
ويعملون الصالحات من اقامة الصلاة وايتا الزكوة هم الموقنون بالاخرة
وهو الوجه ويدل عليه انه عقد جملة ابتداية وكرر فيها المبتدا الذي هو
هم حتى صار معناها وما يوقن بالاخرة حق الايقان الا هولا الجامعون بين
الايمان والعمل الصالح لان خوف العاقبة يحملهم على تحمل المشاق فان قلت
كيف اسند تزيين اعمالهم الى ذاته تعالى وقد اسنده الى الشيطان في قوله وزين
لهم الشيطان اعمالهم قلت بين الاسنادين فرق وذلك ان اسناده الى
الشيطان حقيقة واسناده الى الله عز وجل مجاز وله طريقان في علم البيان
احدهما ان يكون من المجاز الذي يسمى الاستعارة والثاني ان يكون من المجاز الحكمي
فالطريق الاول انه لما متعهم بطول العمر وسعة الرزق وجعلوا انعام

الله بذلك عليهم وإحسانه إليهم وسعة الى اتباع شهواتهم وبطرهم وإيثارهم
الروح والترفه ونفارهم عما يلزمهم فيه التكاليف الصعبة والمشاق
المتعبة فكأنه زين لهم بذلك أعمالهم وإليه أشارت الملائكة صلوات الله عليهم
في قولهم ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر والطريق الثاني أن إمهاله
الشيطان وتخليته حتى يزين لهم ملابسة ظاهرة للتزيين فأسند إليه لأن
المجاز الحكمي يصححه بعض الملابسات وقيل هي أعمال الخير التي وجب عليهم
أن يعملوها زينها لهم الله فعمهوا عنها وضلوا ويعزى إلى الحسن
والعمه التحير والتردد كما يكون حال الضال عن الطريق وعن بعض
الأعراب أنه دخل السوق وما أبصرها قط فقال رأيت الناس عمهين أراد
مترددين في أعمالهم وأشغالهم سوء العذاب القتل والأسر يوم بدر
والأخسرون أشد الناس خسرانا لأنهم لو آمنوا لكانوا من الشهداء
على جميع الأمم فخسروا ذلك مع خسران النجاة وثواب الله لتلقى القرآن
لتؤتاه وتلقنه من عند أي حكيم وأي عليم وهذا معنى مجيئهما نكرتين وهذه
الآية بساط وتمهيد لما يريد أن يسوق بعدها من الأقاصيص وما في
ذلك من لطائف حكمته ودقائق علمه إذ منصوب بمضمر وهو اذكر كأنه
قيل على إثر ذلك خذ من آثار حكمته وعلمه قصة موسى عليه السلام ويجوز أن ينتصب
بعليم روي أنه لم يكن مع موسى عليه السلام غير امرأته وقد كنى الله عز وجل عنها
بالأهل فتبع ذلك ورود الخطاب على لفظ الجمع وهو قوله امكثوا الشهاب
الشعلة والقبس النار المقبوسة وأضاف الشهاب إلى القبس لأنه يكون
قبسا وغير قبس ومن قرأ بالتنوين جعل القبس بدلا أو صفة لما فيه من
معنى القبس والخبر ما يخبر به عن حال الطريق لأنه كان قد ضله فإن
قلت سآتيكم منها بخبر ولعلي آتيكم منها بخبر كالمتدافعين لأن
أحدهما ترج والآخر تيقن قلت قد يقول الراجي إذا قوي رجاؤه سأفعل
كذا وسيكون كذا مع تجويزه الخيبة فإن قلت كيف جاء بسين
التسويف قلت عدة لأهله أنه يأتيهم به وإن أبطأ أو كانت المسافة بعيدة
فإن قلت فلم جاء بأو دون الواو قلت بنى الرجاء على أنه إن لم يظفر
بحاجتيه جميعا لم يعدم واحدة منهما إما هداية الطريق وإما اقتباس
النار ثقة بعادة الله أنه لا يكاد يجمع بين حرمانين على عبده وما أدراه
حين قال ذلك أنه ظافر على النار بحاجتيه الكليتين جميعا وهما العزان
عز الدنيا وعز الآخرة أن هي المفسرة لأن النداء فيه معنى القول والمعنى قيل
له بورك فإن قلت هل يجوز أن تكون المخففة من الثقيلة وتقديره نودي
بأنه بورك والضمير ضمير الشأن قلت لا لأنه لا بد من قد فإن قلت فعلى
إضمارها قلت لا يصح لأنها علامة لا تحذف ومعنى
بورك من في مكان النار ومن حول مكانها ومكانها البقعة
التي حصلت فيها وهي البقعة المباركة المذكورة في قوله تعالى نودي من شاطئ

الوادي الأيمن في البقعة المباركة وتدل عليه قراءة أبي رضي الله عنه تباركت الأرض
ومن حولها وعنه بوركت النار والذي بوركت له البقعة وبورك من فيها
وحواليها حدوث أمر ديني فيها وهو تكليم الله عز وجل موسى عليه السلام واستنباؤه
له وإظهار المعجزات عليه ورب خير يتجدد في بعض البقاع فينشر الله بركة
ذلك الخير في أقاصيها ويبث آثار يمنه في أباعدها فكيف بمثل ذلك الأمر
العظيم الذي جرى في تلك البقعة وقيل المراد بالمبارك فيهم موسى
والملائكة الحاضرون والظاهر أنه عام في كل من كان في تلك الأرض
وفي ذلك الوادي وحواليهما من أرض الشام ولقد جعل الله أرض الشام
بالبركات موسومة في قوله ونجيناه ولوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين
وحقت أن تكون كذلك فهي مبعث الأنبياء صلوات الله عليهم ومهبط الوحي
إليهم وكفاتهم أحياء وأمواتا فإن قلت فما معنى ابتداء خطاب الله موسى
بذلك عند مجيئه قلت هي بشارة له بأنه قد قضي أمر عظيم تنتشر منه في
أرض الشام كلها البركة سبحان الله رب العالمين تعجيب لموسى من ذلك
وإيذان بأن ذلك الأمر مريده ومكونه رب العالمين تنبيها على أن
الكائن من جلائل الأمور وعظائم الشؤون إنه يجوز أن يكون
ضمير الشأن والشأن أنا الله مبتدأ وخبر والعزيز الحكيم صفتان للخبر
وأن يكون راجعا إلى ما دل عليه ما قبله يعني أن مكلمك أنا والله بيان
لأنا والعزيز الحكيم صفتان للمبين وهذا تمهيد لما أراد أن يظهره على
يده من المعجزة يريد أنا القوي القادر على ما يبعد من الأوهام كقلب العصا
حية الفاعل كل ما أفعله بحكمة وتدبير فإن قلت علام عطف قوله
وألق عصاك قلت على بورك لأن المعنى نودي أن بورك من في النار
وأن ألق عصاك والمعنى قيل له بورك من في النار وقيل له ألق عصاك والدليل
على ذلك قوله عز من قائل وأن ألق عصاك بعد قوله أن يا موسى إني أنا الله
على تكرير حرف التفسير كما تقول كتبت إليه أن حج وأن اعتمر وإن شئت أن
حج واعتمر وقرأ الحسن جأن على لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين فقال شأبة
ودأبة ومنها قراءة عمرو بن عبيد ولا الضألين ولم يعقب لم يرجع يقال عقب
المقاتل إذا كر بعد الفرار قال فما عقبوا إذ قيل هل من معقب ولا نزلوا
يوم الكريهة منزلا وإنما رعب لظنه أن ذلك لأمر أريد به ويدل عليه
إلا من ظلم وإلا بمعنى لكن لأنه لما أطلق نفي الخوف عن
الرسل كان ذلك مظنة لطرو الشبهة فاستدرك ذلك والمعنى ولكن من ظلم
منهم أي فرطت منه صغيرة مما يجوز على الأنبياء كالذي فرط من آدم و
يونس وداود وسليمن وإخوة يوسف ومن موسى عليه السلام بوكز القبطي ويوشك
أن يقصد بهذا التعريض بما وجد من موسى وهو من التعريضات التي يلطف
مأخذها وسماه ظلما كما قال موسى رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي والحسن والسو

كلاهما تفسير لنودي

حسن التوبة وفتح الذنب وقرئ الاسى على حرف التشبيه وعن ابي عمرو في رواية
عصمة حسنا ... كلام مستأنف وحرف الجر فيه متعلق
بمحذوف والمعنى اذهب في تسع آيات ... ونحوه ... تعلق
الى الطعام فقال منهم فريق نحسد الانس الطعام ان ويجوز ان يكون
والق عصاك وادخل يدك في تسع آيات اي في جملة تسع آيات وعدادهن
ولقائل ان يقول كانت الآيات احدى عشرة ثنتان منها اليد والعصا والتسع
الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب
في بواديهم والنقصان في مزارعهم مبصرة الظاهرة البينة جعل
الابصار لها وهو في الحقيقة لمتأمليها لانهم لابسوها وكانوا بسبب منها
بنظرهم وتفكرهم فيها ويجوز ان يراد بحقيقة الابصار كل ناظر فيها من
كافة اولي العقل وجوّز ان يراد ابصار فرعون وملائه لقوله وجحدوا بها
واستيقنتها انفسهم او جعلت كأنها تبصر فتهدي لأن العمي لا تقدر
على الاهتداء فضلا ان تهدي غيرها ومنه قولهم كلمة عيناء وكلمة عوراء لان
الكلمة الحسنة ترشد والسيئة تغوي ونحوه قوله سبحانه وتعالى لقد
علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر فوصفها بالبصارة
كما وصفها بالابصار وقرأ علي بن الحسين وقتادة مَبْصَرة وهي نحو مجبنة
ومبخلة ومجفرة اي مكانا يكثر فيه التبصر الواو في ... واو
الحال وقد بعدها مضمرة والعلو الكبر والترفع عن الايمان بما جاء به موسى عليه السلام
كقوله فاستكبروا وكانوا قوما عالين فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا وقومهما
لنا عابدون وقرئ عُليا وعِليا بالضم والكسر كما قرئ عُتيا وعِتيا وفائدة
ذكر الانفس انهم جحدوها بالسنتهم واستيقنوها في قلوبهم وضمائرهم
والاستيقان ابلغ من الايقان وقد قوبل بين المبصرة والمبين واي ظلم
افحش من ظلم من اعتقد واستيقن انها آيات بينة واضحة جاءت من
عند الله ثم كابر بتسميتها سحرا بينا مكشوفا لا شبهة فيه ... طائفة
من العلم او علما شريفا غزيرا فان قلت اليس هذا موضع الفاء
دون الواو كقولك اعطيته فشكر ومنعته فصبر قلت بلى ولكن
عطفه بالواو اشعار بان ما قالاه بعض ما احدث فيهما ايتاء العلم
وشيء من مواجبه فاضمر ذلك ثم عطف عليه التحميد كأنه قال
... فعملا به وعلماه وعرفا حق النعمة فيه والفضيلة
... والكثير المفضل عليه من لم يؤت علما او من لم
يؤت مثل علمهما وفيه انهما فضلا على كثير وفضل عليهما كثير وفي الآية
دليل على شرف العلم وانافة محله وتقدم حملته واهله وان نعمة العلم
من اجل النعم واجزل القسم وان من اوتيه فقد اوتي فضلا على كثير
من عباد الله كما قال الذين اوتوا العلم درجات وما سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

ربع

ورثة الانبياء الا لمداناتهم لهم في الشرف والمنزلة لانهم القوام بما بعثوا
من اجله وفيها انه يلزم من اوتي هذه النعمة الفاضلة لوازم منها ان يحمدوا
الله عز وجل على ما اوتوه من تفضيلهم على غيرهم وفيها التذكير بالتواضع
وان يعتقد العالم انه ان فضل على كثير فقد فضل عليه مثلهم وما احسن
قول عمر رضي الله عنه كل الناس افقه من عمر ورث منه النبوة والملك
دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر وكان داود اكثر تعبدا وسليمان
اقضى واشكر لنعمة ابيه ... تشهيرا لنعمة الله عز وجل
وتنويها بها واعترافا بمكانها ودعا للناس الى التصديق بذكر المعجزة
التي هي علم منطق الطير وغير ذلك مما اوتيه من عظائم الامور والمنطق
كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد وقد ترجم
يعقوب كتابه باصلاح المنطق وما اصلح فيه الا مفردات الكلم وقالت
العرب نطقت الحمامة وكل صنف من الطير يتفاهم اصواته والذي علمه سليمان عليه السلام
من منطق الطير هو ما يفهم بعضه من بعض من معانيه واغراضه ويحكى
انه مر على بلبل في شجرة يحرك راسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه اتدرون ما
يقول قالوا الله ونبيه اعلم قال يقول اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفا
وصاحت فاختة فاخبر انها تقول ليت الخلق لم يخلقوا وصاح طاووس
فقال يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال يقول استغفروا الله
يا مذنبون وصاح طيطوى فقال يقول كل حي ميت وكل جديد بال وصاح
خطاف فقال يقول قدموا خيرا تجدوه وصاحت رخمة فقال تقول
سبحان ربي الاعلى ملء سمائه وارضه وصاح قمري فاخبر انه يقول سبحان
ربي الاعلى وقال الحدأ يقول كل شيء هالك الا الله والقطاة تقول من
سكت سلم والببغاء تقول ويل لمن الدنيا همه والديك يقول اذكروا الله
يا غافلون والنسر يقول يا ابن آدم عش ما شئت آخرك الموت والعقاب
يقول في البعد من الناس انس والضفدع يقول سبحان ربي القدوس
واراد بقوله ... كثرة ما اوتي كما تقول فلان يقصده كل احد ويعلم
كل شيء تريد كثرة قصاده ورجوعه الى غزارة في العلم واستكثاره منه و
مثله واوتيت من كل شيء ... قول وارد على
سبيل الشكر والمحمدة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم
ولا فخر اي اقول هذا القول شكرا ولا اقوله فخرا فان قلت كيف قال
علمنا واوتينا وهو من كلام المتكبرين قلت فيه وجهان احدهما
ان يريد نفسه واباه والثاني ان هذه النون يقال لها نون الواحد المطاع
وكان ملكا مطاعا فكلم اهل طاعته على صفته وحاله التي كان عليها
وليس التكبر من لوازم ذلك وقد يتعلق بتجمل الملك وتفخيمه واظهار آيينه
وسياسته مصالح فيعود تكلف ذلك واجبا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

فعل الجواهر من ذلك اذا وفد عليه وفد او احتاج ان يرجع في عمل والا
ترى كيف امر العباس رضي الله عنه ان يحبس ابا سفيان حتى يمر عليه
الكتائب وروي ان معسكره كان مائة فرسخ في مائة خمسة وعشرون للجن
وخمسة وعشرون للانس وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش
وكان له الف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة منكوحة وسبعمائة
سرية وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب وابريسم فرسخا في فرسخ وكان
يوضع منبره في وسطه وهو من ذهب فيقعد عليه وحوله ستمائة الف
كرسي من ذهب وفضة فيقعد الانبياء على كراسي الذهب والعلماء على
كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله
الطير باجنحتها حتى لا يقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير
به مسيرة شهر ويروى انه كان يامر الريح العاصف تحمله ويامر الرخاء
تسيره فاوحى الله اليه وهو يسير بين السماء والارض اني قد زدت في
ملكك لا يتكلم احد بشيء الا القته الريح في سمعك فيحكى انه مر بحراث
فقال لقد اوتي آل داود ملكا عظيما فالقته الريح في اذنه فنزل ومشى الى الحراث
وقال انما مشيت اليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه ثم قال لتسبيحة واحدة
يقبلها الله خير مما اوتي آل داود فهم يوزعون يحبس اولهم على آخرهم اي
يوقف سلاف العسكر حتى تلحقهم التوالي فيكونوا مجتمعين لا يتخلف منهم
احد وذلك للكثرة العظيمة [...] هو واد بالشام كثير النمل فان قلت
لم عدي اتوا بعلى قلت يتوجه على معنيين احدهما ان اتيانهم كان من
من فوق فاتى بحرف الاستعلاء كما قال ابو الطيب ولشد ما قربت عليك
الانجم لما كان قربا من فوق والثاني ان يراد قطع الوادي وبلوغ آخره
من قولهم اتى على الشيء اذا انفده وبلغ آخره كانهم ارادوا ان ينزلوا عند مقطع
الوادي لانهم ما دامت الريح تحملهم في الهواء لا يخاف حطمهم وقرئ نملة
يا ايها النمل بضم الميم وبضم النون والميم وكان الاصل النمل بوزن الرجل
والنمل الذي عليه الاستعمال تخفيف عنه كقولهم السبع في السبع قيل
كانت تمشي وهي عرجاء تتكاوس فنادت يا ايها النمل الآية فسمع سليمن
كلامها من ثلثة اميال وقيل كان اسمها طاخية وعن قتادة انه دخل
الكوفة فالتف عليه الناس فقال سلوني عما شئتم وكان ابو حنيفة رحمه الله
حاضرا وهو غلام حدث فقال سلوه عن نملة سليمن اكانت ذكرا ام انثى
فسالوه فافحم فقال ابو حنيفة كانت انثى فقيل له من اين عرفت فقال من كتاب
الله وهو قوله قالت نملة ولو كانت ذكرا لقال قال نملة وذلك ان
النملة مثل الحمامة والشاة في وقوعها على الذكر والانثى فيميز بينهما بعلامة
نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة انثى وهو وهي وقرئ مسكنكم ولا
يحطمنكم بتخفيف النون وقرئ لا يحطمنكم بفتح الحاء وكسرها واصله

يحطمنكم ولما جعلها قائلة والنمل مقولا لهم كما يكون في اولي العقل اجرى
خطابهم مجرى خطابهم فان قلت لا يحطمنكم ما هو قلت يحتمل ان يكون
جوابا للامر وان يكون نهيا بدلا من الامر والذي جوز ان يكون بدلا منه انه في
معنى لا تكونوا حيث انتم فيحطمنكم على طريقة لا ارينك ههنا اراد لا يحطمنكم
جنود سليمن فجاء بما هو ابلغ ونحوه عجبت من نفسي ومن اشفاقها ومعنى
فتبسم ضاحكا تبسم شارعا في الضحك واخذا فيه يعني انه قد تجاوز حد
التبسم الى الضحك وكذلك ضحك الانبياء واما ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم ضحك
حتى بدت نواجذه فالغرض المبالغة في وصف ما وجد منه من الضحك النبوي
والا فبدو النواجذ على الحقيقة انما يكون عند الاستغراب وقرا ابن السميفع
ضحكا فان قلت ما اضحكه من قولها قلت شيئان اعجابه بما دل من
قولها على ظهور رحمته ورحمة جنوده وشفقتهم وعلى شهرة حاله وحالهم
في باب التقوى وذلك قولها وهم لا يشعرون وذلك انهم لو شعروا لم يفعلوا
وسروره بما آتاه الله مما لم يؤت احدا من ادراكه بسمعه ما همس به بعض
الحكل الذي هو مثل في الصغر والقلة ومن احاطته بمعناه ولذلك
اشتمل دعاؤه على استيزاع الله شكر ما انعم به عليه من ذلك وعلى
استيفاقه لزيادة العمل الصالح والتقوى وحقيقة اوزعني اجعلني ازع
شكر نعمتك عندي واكفه وارتبطه لا ينفلت عني حتى لا انفك شاكرا
لك وانما ادرج ذكر والديه لان النعمة على الولد نعمة على الوالدين خصوصا
النعمة الراجعة الى الدين فانه اذا كان تقيا نفعهما بدعائه وشفاعته وبدعاء
المؤمنين لهما كلما دعوا له وقالوا رضي الله عنك وعن والديك وروي
ان النملة احست بصوت الجنود ولا تعلم انهم في الهواء فامر سليمن عليه السلام الريح
فوقفت لئلا يذعرن حتى دخلن مساكنهن ثم دعا بالدعوة ومعنى وادخلني
برحمتك في عبادك الصالحين واجعلني من اهل الجنة وتفقد الطير ام هي المنقطعة
نظر الى مكان الهدهد فلم يبصره فقال ما لي لا ارى على معنى انه لا يراه وهو
حاضر لساتر ستره او غير ذلك ثم لاح له انه غائب فاضرب عن ذلك واخذ
يقول اهو غائب كانه يسال عن صحة ما لاح له ونحوه قولهم انها لابل ام
شاء وذكر من قصة الهدهد ان سليمن عليه السلام حين تم له بناء بيت المقدس تجهز للحج
بحشره فوافى الحرم واقام به ما شاء وكان يقرب كل يوم طول مقامه بخمسة
آلاف ناقة وخمسة آلاف بقرة وعشرين الف شاة ثم عزم على السير الى اليمن
فخرج من مكة صباحا يؤم سهيلا فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر
فراى ارضا حسناء اعجبته خضرتها فنزل ليتغدى ويصلي فلم يجدوا الماء وكان
الهدهد قناقنه وكان يرى الماء من تحت الارض كما يرى الماء في الزجاجة فيجيء
الشياطين فيسلخونها كما يسلخ الاهاب ويستخرجون الماء فتفقده لذلك وحين
نزل سليمن عليه السلام حلق الهدهد فراى هدهدا واقعا فانحط اليه فوصف له ملك سليمن
وما سخر له من كل شيء وذكر له صاحبه ملك بلقيس وان تحت يدها اثني عشر الف

فابدلت كل فابد مائة الف وذهب معه لسطر فما رجع الا بعد العصر وذكر
انه وقعت نفحة من الشمس على راس سليمان عليه السلام فنظر فاذا موضع الهدهد
خال فدعا عفريت الطير وهو النسر فساله عنه فلم يجد عنده علمه ثم قال
لسيد الطير وهو العقاب على به فارتفع فنظر فاذا هو مقبل فقصده
فناشدها الله وقال بحق الذى قواك واقدرك على الا رحمتنى فتركته
وقالت ثكلتك امك ان نبى الله قد حلف ليعذبنك قال وما استثنى قالت بلى
او لياتينى بعذر مبين فلما قرب من سليمان ارخى ذنبه وجناحيه يجرها على
الارض تواضعا له فلما دنا منه اخذ براسه فمده اليه فقال يا نبى الله اذكر
وقوفك بين يدى الله فارتعد سليمان وعفا عنه ثم ساله تعذيبه ان يؤدب
بما يحتمله حاله ليعتبر به ابناء جنسه وقيل كان عذاب سليمان عليه السلام للطير
ان ينتف ريشه ويشمسه وقيل ان يطلى بالقطران ويشمس وقيل ان يلقى
للنمل تاكله وقيل ايداعه القفص وقيل التفريق بينه وبين الفه وقيل
لالزمنه صحبة الاضداد وعن بعضهم اضيق السجون معاشرة الاضداد
وقيل لالزمنه خدمة اقرانه فان قلت من اين حل له تعذيب الهدهد قلت
يجوز ان يبيح الله عز وجل له ذلك لما راى فيه من المصلحة والمنفعة كما
اباح ذبح البهائم والطيور للاكل وغيره من المنافع واذا سخر له الطير
ولم يتم ما سخر من اجله الا بالتاديب والسياسة جاز ان يباح له ما
يستصلح به وقرئ ليأتينى ولياتينن والسلطان الحجة فان قلت قد
حلف على احد ثلاثة اشياء فحلفه على فعليه لا مقال فيه ولكن كيف صح
حلفه على فعل الهدهد ومن اين درى انه ياتى بسلطان حتى يقول والله
لياتينى بسلطان قلت لما نظم الثلاثة باو فى الحكم الذى هو الحلف آل
كلامه الى قولك ليكونن احد الامور يعنى ان كان الاتيان بالسلطان
لم يكن تعذيب ولا ذبح وان لم يكن كان احدهما وليس فى هذا ادعاء دراية
على انه يجوز ان يتعقب حلفه بالفعل وحى من الله بانه سياتيه بسلطان
مبين فثلث بقوله او لياتينى بسلطان مبين عن دراية وايقان فمكث
قرئ بفتح الكاف وضمها غير بعيد غير زمان بعيد كقولك عن قريب
ووصف مكثه بقصر المدة للدلالة على اسراعه خوفا من سليمان وليعلم
كيف كان الطير مسخرا له ولبيان ما اعطى من المعجزة الدالة على نبوته وعلى
قدرة الله عز وجل احطت بادغام الطاء فى التاء باطباق وبغير اطباق
الهم الله عز وجل الهدهد فكافح سليمان بهذا الكلام على ما اوتى من فضل
النبوة والحكمة والعلوم الجمة والاحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلاء
له فى علمه وتنبيها على ان فى ادنى خلقه واضعفه من احاط علما بما لم
يحط به لتتحاقر اليه نفسه ويتصاغر اليه علمه ويكون لطفا له فى ترك الاعجاب
الذى هو فتنة العلماء واعظم بها فتنة والاحاطة بالشى علما ان يعلم من جميع
جهاته لا يخفى منه معلوم قالوا وفيه دليل على بطلان قول الرافضة
ان الامام لا يخفى عليه شى ولا يكون فى زمانه احد اعلم منه ... وى

بالصرف ومنعه وقد روى بسكون الهمزة وعن ابن كثير فى رواية سبا بالالف
كقولهم ايدى سبا وهو سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان فمن جعله اسما
للقبيلة لم يصرف ومن جعله للحى او للاب الاكبر صرف قال من سبا
الحاضرين مارب اذ يبنون من دون سيله العرما وقال
الواردون وتيم فى ذرا سبا قد عض اعناقهم جلد الجواميس ثم
سميت مدينة مارب بسبا وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلث كما سميت معافر
بمعافر بن اد ويحتمل ان يراد المدينة والقوم والنبا الخبر الذى له شان
وقوله من سبا بنبا من جنس الكلام الذى سماه المحدثون البديع
وهو من محاسن الكلام الذى يتعلق باللفظ بشرط ان يجى مطبوعا او
يصنعه عالم بجوهر الكلام يحفظ معه صحة المعنى وسداده ولقد جا
ها هنا زائدا على الصحة فحسن وبدع لفظا ومعنى الا ترى انه لو وضع
مكان بنبا بخبر لكان المعنى صحيحا وهو كما جاء اصح لما فى النبا من
الزيادة التى يطابقها وصف الحال المراة بلقيس بنت شراحيل وكان
ابوها ملك ارض اليمن كلها وقد ولده اربعون ملكا ولم يكن له ولد غيرها
فغلبت على الملك وكانت هى وقومها مجوسا يعبدون الشمس والضمير فى
تملكهم راجع الى سبا فان اريد به القوم فالامر ظاهر وان اريدت
المدينة فمعناه تملك اهلها وقيل فى وصف عرشها كان ثمانين ذراعا
فى ثمانين وسمكه ثمانين وقيل ثلثين مكانه ثمانين وكان من ذهب
وفضة مكللا بانواع الجواهر وكانت قوائمه من ياقوت احمر واخضر
ودر وزمرد وعليه سبعة ابيات على كل بيت باب مغلق فان
قلت كيف استعظم عرشها مع ما يرى من ملك سليمان قلت يجوز ان
يستصغر حالها الى حال سليمان عليه السلام فاستعظم لها ذلك العرش ويجوز ان
لا يكون لسليمان عليه السلام مثله وان عظمت مملكته فى كل شى كما يكون لبعض امرا
الاطراف شى لا يكون مثله للملك الذى يملك عليهم امرهم ويستخدمهم ومن
نوكى القصاص من يقف على قوله ولها عرش ثم يبتدى عظيم وجدتها يريد
امر عظيم ان وجدتها فر من استعظام الهدهد
عرشها فوقع فى عظيمة وهى مسخ كتاب الله عز وجل فان قلت كيف قال
واوتيت من كل شى مع قول سليمان واوتينا من كل شى كانه سوى بينهما
قلت بينهما فرق بين لان سليمان عليه السلام عطف قوله على ما هو معجزة من الله
عز وجل وهو تعليم منطق الطير فرجع اولا الى ما اوتى من النبوة والحكمة
واسباب الدين ثم الى الملك واسباب الدنيا وعطفه الهدهد على
الملك فلم يرد الا ما اوتيت من اسباب الدنيا اللائقة بحالها فبين الكلامين
بون بعيد فان قلت كيف خفى على سليمان مكانها وكانت المسافة بين
محطه وبين بلدها قريبة وهى مسيرة ثلث بين صنعاء ومارب

قلت لعل الله عز وجل اخفى ذلك عنه لمصلحة رآها كما اخفى مكان يوسف على
يعقوب عليهما فان قلت من اين للهدهد التهدي الى معرفة الله عز وجل
ووجوب السجود له وانكار سجودهم للشمس واضافته الى الشيطان
وتزيينه قلت لا يبعد ان يلهمه الله ذلك كما الهمه وغيره من الطيور
وسائر الحيوان المعارف اللطيفة التي لا يكاد العقلاء الرجاح العقول
يهتدون لها ومن اراد استقراء ذلك فعليه بكتاب الحيوان خصوصا في
زمن نبي سخرت له الطيور وعلم منطقها وجعل ذلك معجزة له من قرأ الا يسجدوا بالتشديد
اراد فصدهم عن السبيل لئلا يسجدوا لان فحذف الجار مع ان ويجوز ان
تكون لا مزيدة ويكون المعنى فهم لا يهتدون الى ان يسجدوا ومن قرأ
بالتخفيف فهو الا يا اسجدوا الا للتنبيه ويا حرف النداء ومناداه محذوف
كما حذفه من قال الا يا اسلمي يا دارمي على البلى وفي حرف عبد الله
وهي قراءة الاعمش هلا وهلا بقلب الهمزتين هاء وعن عبد الله هلا تسجدون
بمعنى الا تسجدون على الخطاب وفي قراءة ابي رضي الله عنه الا تسجدون
لله الذي يخرج الخبء في السما والارض ويعلم سركم وما تعلنون وسمي
المخبوء بالمصدر وهو النبات والمطر وغيرهما مما خبأه الله عز وجل من
غيوبه وقرئ الخب على تخفيف الهمزة بالحذف والخبا على تخفيفها بالقلب
وهي قراءة ابن مسعود ومالك بن دينار رضي الله عنهما ووجهها ان تخرج على
لغة من يقول في الوقف هذا الخبو ورأيت الخبا ومررت بالخبي ثم اجرى
الوصل مجرى الوقف لا على لغة من يقول الكماة والحماة لانها ضعيفة
مستندها وقرئ يخفون ويعلنون بالياء والتاء وقيل من احطت الى
العظيم هو كلام الهدهد وقيل كلام رب العزة وفي اخراج الخبء امارة
على انه من كلام الهدهد لهندسته ومعرفته الماء تحت الارض وذلك بالهام
من يخرج الخبء في السموات والارض جلت قدرته ولطف علمه ولا يكاد تخفى
على ذي الفراسة النظار بنور الله مخايل كل مختص بصناعة او فن من
العلم في روائه ومنطقه وشمائله ولهذا ورد ما عمل عبد عملا الا القى الله
عليه رداء عمله فان قلت اسجدة التلاوة واجبة في القراءتين جميعا ام في
احداهما قلت هي واجبة فيهما جميعا لان مواضع السجدة اما امر بها او
مدح لمن اتى بها او ذم لمن تركها واحدى القراءتين امر بالسجود والاخرى
ذم للتارك وقد اتفق ابو حنيفة والشافعي رحمهما الله على ان سجدات القرآن
اربع عشرة وانما اختلفا في سجدة ص فهي عند ابي حنيفة سجدة تلاوة وعند
الشافعي سجدة شكر وفي سجدتي سورة الحج وما ذكره الزجاج من وجوب
السجدة مع التخفيف دون التشديد فغير مرجوع اليه فان قلت هل
يفرق الواقف بين القراءتين قلت نعم اذا خفف وقف على فهم لا يهتدون ثم
ابتدأ الا يا اسجدوا وان شاء وقف على الا يا ثم ابتدأ اسجدوا واذا شدد لم يقف

الا على العرش العظيم فان قلت كيف سوى الهدهد بين عرش بلقيس
وعرش الله عز وجل في الوصف بالعظيم قلت بين الوصفين بون عظيم
لان وصف عرشها بالعظيم تعظيم له بالاضافة الى عروش ابناء جنسها
من الملوك ووصف عرش الله سبحانه بالعظيم تعظيم له بالنسبة الى سائر ما
خلق من السموات والارض وقرئ العظيم بالرفع سننظر من النظر الذي
هو التأمل والتصفح واراد اصدقت ام كذبت الا ان كنت من الكاذبين
ابلغ لانه اذا كان معروفا بالانخراط في سلك الكاذبين كان كاذبا لا محالة
واذا كان كاذبا اتهم بالكذب فيما اخبر به فلم يوثق به ثم تول عنهم
الى مكان قريب تتوارى فيه ليكون ما يقولونه بمسمع منك و من
قوله حتى يرجع بعضهم الى بعض القول فيقال دخل عليها من كوة فالقى
الكتاب اليها وتوارى في الكوة فان قلت لم قال
على لفظ الجمع قلت لانه قال وجدتها وقومها يسجدون للشمس فقال فالقه
اليهم هذا دينهم اهتماما منه بامر الدين واشتغالا به عن غيره وبنى
الخطاب في الكتاب على لفظ الجمع لذلك كريم حسن مضمونه وما فيه او
وصفه بالكرم لانه من عند ملك كريم او مختوم قال عليه السلام كرم الكتاب
ختمه وكان عليه السلام كتب الى العجم فقيل له انهم لا يقبلون الا كتابا عليه
خاتم فاصطنع خاتما وعن ابن المقفع من كتب الى اخيه كتابا ولم يختمه فقد
استخف به وقيل مصدر ببسم الله الرحمن الرحيم هو استئناف
وتبيين لما القي عليها كانها لما قالت اني القي الي كتاب كريم قيل لها ممن هو وما هو
فقالت انه من سليمن و كيت وكيت وقرأ عبد الله رضي الله عنه وانه من
سليمن وانه عطفا على اني وقرئ انه من سليمن وانه بالفتح على انه بدل من كتاب
كانه قيل القي الي انه من سليمن ويجوز ان يريد لانه من سليمن ولانه كانها
عللت كرمه بكونه من سليمن وتصديره باسم الله وقرأ ابي رضي الله عنه ان
من سليمن وان بسم الله على ان المفسرة وان في ان لا تعلوا مفسرة ايضا
لا تعلوا لا تتكبروا كما يفعل الملوك وقرأ ابن عباس رضي الله عنه بالغين معجمة
من الغلو وهو مجاوزة الحد يروى ان نسخة الكتاب من عبد الله سليمن
بن داود الى بلقيس ملكة سبا السلام على من اتبع الهدى اما بعد فلا تعلوا
علي واتوني مسلمين وكانت كتب الانبياء جملا لا يطيلون ولا يكثرون وطبع
الكتاب بالمسك وختمه بخاتمه فوجدها الهدهد راقدة في قصرها بمارب
وكانت اذا رقدت غلقت الابواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها فدخل من
كوة وطرح الكتاب على نحرها وهي مستلقية وقيل نقرها فانتبهت فزعة
وقيل اتاها والقادة والجنود حواليها فرفرف ساعة والناس ينظرون حتى رفعت
رأسها فالقى الكتاب في حجرها وكانت كاتبة قارئة عربية من نسل تبع بن
شراحيل الحميري فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت وقالت لقومها ما قالت
مسلمين منقادين او مؤمنين الفتوى الجواب في الحادثة اشتقت على طريق

الاستعارة من الفتاء في السن والمراد بالفتوى هاهنا الاشارة عليها بما
عندهم فيما حدث لها من الراي والتدبير وقصدت بالانقطاع اليهم والرجوع
الى استشارتهم واستطلاع ارائهم استعطافهم وتطييب نفوسهم ليمالئوها
ويقوموا معها ما كنت قاطعة امرا فاصلة وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه قاضية
اي لا ابت امرا الا بمحضركم وقيل كان اهل مشورتها ثلثمائة وثلثة عشر
رجلا كل واحد على عشرة الاف قالوا نحن اولوا قوة ارادوا بالقوة قوة الاجساد وقوة الالات
والعدد واولوا باس شديد النجدة والبلاء في الحرب والامر اليك اي هو موكول اليك
ونحن مطيعون لك فمرينا بامرك نطعك ولا نخالفك كانهم اشاروا
عليها بالقتال او ارادوا نحن من ابناء الحرب لا من ابناء الراي والمشورة
وانت ذات الراي والتدبير فانظري ماذا تامرين نتبع رايك فلما احست
منهم بالميل الى المحاربة رات من الراي الميل الى الصلح والابتداء بما هو احسن
ورتبت الجواب فزيفت اولا ما ذكروه واريتهم الخطا فيه قالت ان الملوك اذا
دخلوا قرية عنوة وقهرا افسدوها اي خربوها ومن ثم قالوا للفساد
الخربة واذلوا اعزتها واهانوا اشرافها وقتلوا واسروا فذكرت لهم
عاقبة الحرب وسوء مغبتها ثم قالت وكذلك يفعلون ارادت وهذه عادتهم
المستمرة الثابتة التي لا تتغير لانها كانت في بيت الملك القديم فسمعت نحو
ذلك ورات ثم ذكرت بعد ذلك حديث الهدية وما رات من الراي السديد
وقيل هو تصديق من الله عز وجل لقولها وقد يتعلق الساعون في الارض
بالفساد بهذه الاية ويجعلونها حجة لانفسهم ومن استباح حراما فقد كفر
فاذا احتج له بالقران على وجه التحريف فقد جمع بين كفرين وانى مرسلة اليهم
بهدية اي مرسلة رسلا بهدية اصانعه بها عن ملكي فناظرة ما يكون منه
حتى اعمل على حسب ذلك فروي انها بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجواري
وحليهن الاساور والاطواق والقرطة راكبي خيل مغشاة بالديباج محلاة
اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك في
زي الغلمان والف لبنة من ذهب وفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت
المرتفع والمسك والعنبر وحقة فيها درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وبعثت
رجلين من اشراف قومها المنذر بن عمرو واخر ذا راي وعقل وقالت ان كان
نبيا ميز بين الغلمان والجواري وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك في الخرزة
خيطا ثم قالت للمنذر ان نظر اليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك وان
رايته بشا لطيفا فهو نبي فاقبل الهدهد فاخبر سليمان فامر الجن فضربوا
لبن الذهب والفضة وفرشوه في ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا
حول الميدان حائطا شرفه من الذهب والفضة وامر باحسن الدواب في البر
والبحر فربطوها عن يمين الميدان ويساره على اللبن وامر باولاد الجن وهم خلق
كثير فاقيموا عن اليمين واليسار ثم قعد على سريره والكراسي من جانبيه

وام

حش والطيور والهوام

واصطفت الشياطين صفوفا فراسخ والانس صفوفا فراسخ والسباع والو
حش والطيور والهوام كذلك فلما دنا القوم ونظروا بهتوا وراوا الدوا
ب تروث على اللبن فتقاصرت اليهم نفوسهم ورموا بما معهم ولما وقفوا بين
يديه نظر اليهم بوجه طلق وقال ما وراءكم وقال اين الحق واخبره جبريل عليه السلام
بما فيه فقال لهم ان فيه كذا وكذا ثم امر الارضة فاخذت شعرة ونفذت فيها
فجعل رزقها في الشجر واخذت دودة بيضاء الخيط بفيها ونفذت فيها فجعل رزقها
في الفواكه ودعا بالماء فكانت الجارية تاخذ الماء بيدها فتجعله في الاخرى ثم
تضرب به وجهها والغلام كما ياخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية وقال
للمنذر ارجع اليهم فقالت هو نبي ما لنا به طاقة فشخصت اليه في اثني عشر
الف قيل تحت كل قيل الوف وفي قراءة ابن مسعود فلما جاءوا سليمان قال اتمدونن
وقرئ بحذف الياء والاكتفاء بالكسرة وبالادغام كقوله اتحاجوني وبنون
واحدة اتمدوني الهدية اسم المهدى كما ان العطية اسم المعطى فتضاف
الى المهدي والمهدى له تقول هذه هدية فلان تريد هي التي اهداها او اهد
يت اليه والمضاف اليه هاهنا هو المهدى اليه والمعنى ان ما عندي خير
مما عندكم وذلك ان الله تعالى اتاني الدين الذي فيه الحظ الاوفر والغنى
الاوسع واتاني من الدنيا ما لا يستزاد عليه فكيف يرضى مثلي بان يمد
بمال ويصانع عليه بل انتم قوم لا تعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا فلذلك
تفرحون بما تزادون ويهدى اليكم لان ذلك مبلغ همتكم وحالي خلاف
حالكم وما ارضى منكم بشيء ولا افرح به الا بالايمان وترك المجوسية
فان قلت ما الفرق بين قولك اتمدني بمال وانا اغنى منك وبين ان
تقوله بالفاء قلت اذا قلته بالواو فقد جعلت مخاطبي عالما بزيادتي عليه
في الغنى واليسار وهو مع ذلك يمدني بالمال واذا قلته بالفاء فقد جعلته
ممن خفيت عليه حالي فانا اخبره الساعة بما لا احتاج معه الى امداده
كاني اقول له انكر عليك ما فعلت فاني غني عنه وعليه ورد قوله فما
اتاني الله خير مما اتاكم فان قلت فما وجه الاضراب قلت لما انكر عليهم
الامداد وعلل انكاره اضرب عن ذلك الى بيان السبب الذي حملهم عليه
وهو انهم لا يعرفون سبب رضى ولا فرح الا ان يهدى اليهم حظ من الدنيا التي
لا يعلمون غيرها ويجوز ان تجعل الهدية مضافة الى المهدى ويكون
المعنى بل انتم بهديتكم هذه التي اهديتموها تفرحون فرح افتخار على
الملوك بانكم قدرتم على اهداء مثلها ويحتمل ان يكون عبارة عن الرد كانه
قال بل انتم من حقكم ان تاخذوا هديتكم وتفرحوا بها ارجع خطاب للرسول
وقيل للهدهد محملا كتابا اخر لا قبل لا طاقة وحقيقة القبل المقاومة و
المقابلة اي لا يقدرون ان يقابلوهم وقرا ابن مسعود لا قبل لهم بهم والضمير
في منها لسبا والذل ان يذهب عنهم ما كانوا فيه من العز والملك والصغار
ان يقعوا في اسر واستعباد ولا يقتصر بهم على ان يرجعوا سوقة بعد ان

كانوا ملوكا تروى انها امرت عند خروجها الى سليمن عليه السلم فجعل عرشها
في اخر سبعة ابيات بعضها في بعض في اخر قصر من قصور سبعة لها و
غلقت الابواب ووكلت به حرسا يحفظونه ولعله اوحى الى سليمن عليه السلم
باستيثاقها من عرشها فاراد ان يغرب عليها ويريها بذلك بعض ما
خصه الله عز وجل به من اجرا العجائب على يده مع اطلاعها على عظيم
قدرة الله سبحنه وعلى ما يشهد لنبوة سليمن عليه السلم ويصدقها وعن قتادة اراد
ان ياخذه قبل ان تسلم لعلمه انها اذا اسلمت لم يحل له اخذ مالها وقيل
اراد ان يؤتى به فينكر ويغير ثم ينظر اتثبته ام تنكره اختبارا لعقلها
وقرئ ... والعفر والعفريت والعفرية والعفراة والعفارية من
الرجال الخبيث المنكر الذي يعفر اقرانه ومن الشياطين الخبيث المارد
وقالوا كان اسمه ذكوان ... على حمله ... اي به كما هو لا اختزل
منه شيا ولا ابدله ... رجل كان عنده اسم
الله الاعظم وهو يا حي يا قيوم وقيل يا الهنا واله كل شي الها واحدا لا
اله الا انت وقيل يا ذا الجلال والاكرام وعن الحسن الله والرحمن وقيل
هو اصف بن برخيا كاتب سليمن عليه السلم وكان صديقا عالما وقيل اسمه
اسطوس وقيل هو جبريل عليه السلم وقيل ملك ايد الله عز وجل سليمن به
وقيل هو سليمن نفسه كانه استبطا العفريت فقال له انا اريك ما هو
اسرع مما تقول وعن ابن لهيعة بلغني انه الخضر عليه السلم ... من
الكتاب المنزل وهو علم الوحي والشرائع وقيل هو اللوح والذي عنده علم
منه جبريل عليه السلم و ... في الموضعين يجوز ان يكون فعلا واسم فاعل والطرف
تحريكك اجفانك اذا نظرت فوضع موضع النظر ولما كان الناظر موصوفا
بارسال الطرف في نحو قوله ... وكنت اذا ارسلت طرفك رائدا لقلبك يوما
اتعبتك المناظر ... وصف برد الطرف ووصف الطرف بالارتداد ومعنى
قوله ... انك ترسل طرفك الى شي فقبل ان ترده ابصرت
العرش بين يديك ويروى ان اصف رضي الله عنه قال لسليمن عليه السلم مد عينيك
حتى ينتهي طرفك فمد عينيه فنظر نحو اليمن ودعا اصف فغار العرش في مكانه
ثم نبع عند مجلس عليه السلم بالشام بقدرة الله عز وجل قبل ان يرد طرفه و
يجوز ان يكون هذا مثلا لاستقصار مدة المجيء به كما تقول لصاحبك افعل
ذلك في لحظة وفي ردة طرف والتفت ترنى وما اشبه ذلك تريد السرعة ليشكر
... لانه يحط به عنها عب الواجب ويصونها عن سمة الكفران وترتبط
به النعمة ويستمد المزيد وقيل الشكر قيد للنعمة الموجودة وصيد للنعمة
المفقودة وفي كلام بعض المتقدمين ان كفران النعمة بوار وقلما اقشعت نافرة
فرجعت في نصابها فاستدع شاردها بالشكر واستدم راهنها بكرم الجوار
واعلم ان سبوغ ستر الله متقلص عما قريب اذا انت لم ترج لله وقارا ... عن
السكر ... بالانعام على من يكفر نعمته والذي قاله سليمن عليه السلم عند

رؤية العرش شاكرا لربه تعلى جرى على شاكلة ابنا جنسه من انبيا الله و
المخلصين من عباده يتلقون النعمة القادمة بحسن الشكر كما يشيعون
النعمة المودعة بجميل الصبر ... اجعلوه متنكرا متغيرا عن هيئته وشكله
كما يتنكر الرجل للناس لئلا يعرفوه قالوا وسعوه وجعلوا مقدمه موخره واعلاه
اسفله ... بالجزم على الجواب وبالرفع على الاستيناف ... لمعرفة
او للجواب الصواب اذا سئلت عنه او للدين والايمان بنبوة سليمن اذا رات
تلك المعجزة البينة من تقدم عرشها وقد خلفته واغلقت عليه الابواب ونصبت
عليه الحرس ... ثلاث كلمات حرف التنبيه وكاف التشبيه واسم الاشارة
لم يقل اهذا عرشك ولكن امثل هذا ... لئلا يكون تلقينا
... ولم يقل هو هو ولا ليس به وذلك من رجاحة عقلها حيث لم تقطع
في المحتمل ... من كلام سليمن وملائه فان قلت علام عطف
هذا الكلام وبم اتصل قلت لما كان المقام الذي سئلت فيه عن عرشها
واجابت بما اجابت به مقاما اجرى فيه سليمن وملاؤه ما يناسب قولهم واوتينا
العلم نحو ان يقولوا عند قولها كانه هو قد اصابت في جوابها وطبقت المفصل
وهي عاقلة لبيبة وقد رزقت الاسلام وعلمت قدرة الله عز وجل وصحة النبوة
بالايات التي تقدمت عند وفدة المنذرة وبهذه الاية العجيبة من امر عرشها
عطفوا على ذلك قولهم واوتينا نحن العلم بالله وبقدرته وبصحة ما جاء من
عنده قبل علمها ولم نزل على دين الاسلام شكرا لله عز وجل على فضلهم عليها
وسبقهم الى العلم بالله والاسلام قبلها وصدها عن التقدم الى الاسلام
عبادة الشمس ونشوها بين ظهراني الكفرة ويجوز ان يكون من كلام
بلقيس موصولا بقولها كانه هو والمعنى واوتينا العلم بالله وبقدرته وبصحة
نبوة سليمن قبل هذه المعجزة او قبل هذه الحالة تعني ما تبينت من الايات
عند وفدة المنذرة ودخلنا في الاسلام ثم قال الله سبحنه وتعلى وصدها قبل
ذلك عما دخلت فيه ضلالها عن سوا السبيل وقيل وصدها الله او
سليمن عما كانت تعبد بتقدير حذف الجار وايصال الفعل وقرئ انها
بالفتح على انه بدل من فاعل صد او بمعنى لانها ... القصر وقيل صحن
الدار وقرا ابن كثير ... بالهمز وجهه انه سمع سؤقا فاجرى عليه
الواحد والممرد المملس وروى ان سليمن امر قبل قدومها فبني له على طريقها
قصر من زجاج ابيض واجرى من تحته الما والقى فيه من دواب البحر السمك
وغيره ووضع سريره في صدره فجلس عليه وعكف عليه الطير والانس والجن وانما
فعل ذلك ليزيدها استعظاما لامره وتحققا لنبوته وثباتا على الدين وزعموا
ان الجن كرهوا ان يتزوجها فتفضي اليه باسرارهم لانها كانت بنت جنية و
قيل خافوا ان يولد له ولد منها فيجمع له فطنة الجن والانس فيخرجون من ملك
سليمن عليه السلم الى ملك هو اشد منه وافظع فقالوا ان في عقلها شيا وهي شعرا
الساقين ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش واتخذ الصرح

لتعرف ساقها ورجلها فكشفت عنهما فإذا هي أحسن الناس قدما وساقا إلا أنها
شعراء ثم صرف بصره وناداها وقيل هي السبب
في اتخاذ النورة أمر بها الشياطين فاتخذوها واستنكحها سليمان عليه السلام وأحبها
وأقرها على ملكها وأمر الجن فبنوا لها سيلحين ومارب وغمدان وكان يزورها في
الشهر مرة فيقيم عندها ثلاثة أيام وولدت له وقيل بل زوجها ذا تبع ملك
همدان وسلطه على اليمن وأمر زوبعة أمير جن اليمن أن يطيعه فبنى له
المصانع ولم يزل أميرا حتى مات سليمان يريد بكفرها في ما
تقدم وقيل حسبت أن سليمان عليه السلام يغرقها في اللجة فقالت ظلمت نفسي بسوء ظني
بسليمان وقرئ بالضم على اتباع النون الباء فريق مؤمن
وفريق كافر وقيل أريد بالفريقين صالح وقومه قبل أن يؤمن منهم أحد
يقول كل فريق منهم الحق معي العقوبة و التوبة
فإن قلت ما معنى استعجالهم وإنما يكون
ذلك إذا كانا متوقعين إحداهما قبل الأخرى قلت كانوا يقولون
لجهلهم إن العقوبة التي يعدها صالح إن وقعت على زعمه تبنا حينئذ
واستغفرنا مقدرين أن التوبة مقبولة في ذلك الوقت وإن لم تقع فنحن على
ما نحن عليه فخاطبهم صالح على حسب قولهم واعتقادهم ثم قال لهم هلا تستغفرون
قبل نزول العذاب تنبيها لهم على الخطأ فيما قالوه
وتجهيلا فيما اعتقدوه كان الرجل يخرج مسافرا فيمر بطائر فيزجره
فإن مر سانحا تيمن وإن مر بارحا تشاءم فلما نسبوا الخير والشر إلى الطائر
استعير لما كان سببهما من قدر الله عز وجل وقسمته أو من عمل العبد
الذي هو السبب في الرحمة والنقمة ومنه قالوا طائر الله لا طائرك أي قدر
الله الغالب الذي ينسب إليه الخير والشر لا طائرك الذي تتشاءم به وتتيمن
به فلما أي تشاءمنا وكانوا قد قحطوا قال طائركم
عند الله أي سببكم الذي يجيء منه خيركم وشركم عند الله وهو قدره
وقسمته إن شاء رزقكم وإن شاء حرمكم ويجوز أن يريد عملكم مكتوب عند
الله فمنه نزل بكم ما نزل عقوبة لكم وفتنة ومنه قوله طائركم معكم وكل
إنسان ألزمناه طائره في عنقه وقرئ تطيرنا بكم على الأصل ومعنى تطير
به تشاءم به وتطير منه نفر منه تختبرون أو تعذبون أو يفتنكم
الشيطان بوسوسته إليكم الطيرة الحجر وإنما جاز تمييز التسعة
بالرهط والنفر لأنه في معنى الجماعة فكأنه قيل تسعة أنفس والفرق بين
الرهط والنفر أن الرهط من الثلاثة إلى العشرة أو من السبعة إلى العشرة
والنفر من الثلاثة إلى التسعة وأسماؤهم عن وهب الهذيل بن عبد رب
غنم بن غنم رئاب بن مهرج مصدع بن مهرج عمير بن كردبة عاصم بن مخرمة
سبيط بن صدقة سمعان بن صفي قدار بن سالف وهم الذين سعوا في

عقر الناقة

عقر الناقة وكانوا عتاة قوم صالح وكانوا من أبناء أشرافهم ولا يصلحون
يعني أن شأنهم الإفساد البحت الذي لا يخلط بشيء من الصلاح كما ترى
بعض المفسدين قد يندر منه بعض الصلاح تقاسموا يحتمل أن يكون
أمرا وخبرا في محل الحال بإضمار قد أي قالوا متقاسمين وقرئ تقسموا وقرئ
لنبيتنه بالتاء والياء والنون فتقاسموا مع النون والتاء يصح فيها الوجهان
ومع الياء لا يصح فيه إلا أن يكون خبرا والتقاسم والتقسم كالتظاهر والتظهر
التحالف والبيات مباغتة العدو ليلا وعن الإسكندر أنه أشير عليه
بالبيات فقال ليس من آيين الملوك استراق الظفر وقرئ مهلك بفتح الميم
واللام وكسرها من هلك ومهلك بضم الميم من أهلك ويحتمل أن يكون
المصدر والمكان والزمان فإن قلت كيف يكونون صادقين وقد جحدوا
ما فعلوا فأتوا بالخبر على خلاف المخبر عنه قلت كأنهم اعتقدوا أنهم إذا
بيتوا صالحا وبيتوا أهله فجمعوا بين البياتين ثم قالوا ما شهدنا مهلك
أهله فذكروا أحدهما كانوا صادقين لأنهم فعلوا البياتين جميعا لا
أحدهما وفي هذا دليل قاطع على أن الكذب قبيح عند الكفرة الذين لا يعرفون
الشرع ونواهيه ولا يخطر ببالهم ألا ترى أنهم قصدوا قتل نبي الله ولم يرضوا
لأنفسهم بأن يكونوا كاذبين حتى سووا للصدق في خبرهم حيلة يتفصون
بها عن الكذب مكرهم ما أخفوه من تدبير الفتك بصالح عليه السلام وأهله ومكر
الله عز وجل إهلاكهم من حيث لا يشعرون شبه بمكر الماكر على سبيل
الاستعارة روي أنه كان لصالح عليه السلام مسجد في الحجر في شعب يصلي فيه فقالوا
زعم صالح أنه يفرغ منا إلى ثلاث فنحن نفرغ منه ومن أهله قبل الثلاث فخرجوا
إلى الشعب وقالوا إذا جاء يصلي قتلناه ثم رجعنا إلى أهله فقتلناهم فبعث الله
عز وجل صخرة من الهضب حيالهم فبادروا فطبقت الصخرة عليهم فم الشعب
فلم يدر قومهم أين هم ولم يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله كلا منهم
في مكانه ونجى صالحا ومن معه وقيل جاؤوا بالليل شاهري سيوفهم وقد
أرسل الله سبحانه الملائكة ملء دار صالح عليه السلام فدمغوهم بالحجارة يرون الحجارة
ولا يرون راميا أنا دمرناهم استئناف ومن قرأ بالفتح رفعه بدلا من العاقبة
أو خبر مبتدأ محذوف تقديره هي تدميرهم أو نصبه على معنى لأنا أو على أنه خبر كان
أي كان عاقبة مكرهم الدمار خاوية حال عمل فيها ما دل عليه تلك وقرأ
عيسى بن عمر بالرفع على خبر المبتدأ المحذوف واذكر لوطا أو وأرسلنا لوطا
لدلالة ولقد أرسلنا عليه وإذ بدل على الأول ظرف على الثاني وأنتم تبصرون
من بصر القلب أي تعلمون أنها فاحشة لم تسبقوا إليها وأن الله إنما خلق الأنثى
للذكر ولم يخلق الذكر للذكر ولا الأنثى للأنثى فهي مضادة لله في حكمته وحكمه
وعلمكم بذلك أعظم لذنوبكم وأدخل في القبح والسماجة وفيه دليل على أن
القبيح من الله سبحانه أقبح منه من عباده لأنه أعلم العالمين وأحكم الحاكمين
أو تبصرونها بعضكم من بعض لأنهم كانوا في ناديهم يرتكبونها معالنين بها لا

تبصر بعضهم من بعض خلاعة ومجانة وانهماكاً في المعصية وكان ابو نواس
بنى على مذهبهم قوله ٥ وبح باسم من انت وذرني من الكنى فلا خير في اللذات من
دونها ستر ٥ او تبصرون آثار العصاة قبلكم وما نزل بهم فان قلت
فسرت تبصرون بالعلم وبعده بل انتم قوم تجهلون فكيف يكونون
علماً جهلاً قلت اراد تفعلون فعل الجاهلين بانها فاحشة مع علمكم
بذلك او تجهلون العاقبة او اراد بالجهل السفاهة والمجانة التي كانوا عليها
فان قلت تجهلون صفة لقوم والموصوف لفظه لفظ الغائب فهلا طابقت
الصفة الموصوف وقرئ بالياء دون التاء وكذلك بل انتم قوم تفسقون قلت
اجتمعت الغيبة والمخاطبة فغلبت المخاطبة لانها اقوى وارسخ اصلاً من
الغيبة وقرأ الاعمش بالرفع والمشهور احسن يتطهرون
يتنزهون عن القاذورات كلها فينكرون هذا العمل القذر ويغيظنا
انكارهم وعن ابن عباس رضي الله عنه هو استهزا قدرناها قدرنا كونها
كقوله قدرنا انها لمن الغابرين فالتقدير واقع على الغبور في
المعنى امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتلو هذه الآيات الناطقة بالبراهين
على وحدانيته وقدرته على كل شيء وحكمته وان يستفتح بتحميده والسلام
على انبيائه والمصطفين من عباده وفيه تعليم حسن وتوقيف على ادب جميل
وبعث على التيمن بالذكرين والتبرك بهما والاستظهار بمكانهما على قبول
ما يلقى الى السامعين واصغائهم اليه وانزاله من قلوبهم المنزلة التي يبتغيها
المسمع ولقد توارث العلماء والخطباء والوعاظ كابراً عن كابر هذا الادب
فحمدوا الله عز وجل وصلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم امام كل مفاد وقبل
كل عظة وتذكرة وفي مفتتح كل خطبة وتبعهم المترسلون فاجروا عليه
اوائل كتبهم في الفتوح والتهاني وغير ذلك من الحوادث التي لها شان
وقيل هو متصل بما قبله وامر بالتحميد على الهالكين من كفار الامم
والصلاة على الانبياء واشياعهم الناجين وقيل هو خطاب للوط عليه السلام وان
يحمد الله عز وجل على هلاك كفار قومه ويسلم على من اصطفاه الله عز وجل
ونجاه من هلكتهم وعصمه من ذنوبهم معلوم ان لا خير فيما اشركوه
اصلاً حتى يوازن بينه وبين من هو خالق كل خير ومالكه وانما هو
الزام لهم وتبكيت وتهكم بحالهم وذلك انهم آثروا عبادة الاصنام على
عبادة الله سبحانه ولا يؤثر عاقل شيئاً على شيء الا لداع يدعوه الى ايثاره من زيادة
خير ومنفعة فقيل لهم مع العلم بانه لا خير فيما آثروه وانهم لم يؤثروه لزيادة
الخير ولكن هوى وعبثاً لينبهوا على الخطأ المفرط والجهل المورط واضلالهم
التمييز ونبذهم العقول وليعلموا ان الايثار يجب ان يكون للخير الزائد
ونحوه ما حكاه فرعون ام انا خير من هذا الذي هو مهين مع علمه ان ليس
لموسى مثل انهاره التي كانت تجري تحته ثم عدد سبحانه الخيرات والمنافع التي
هي آثار رحمته وفضله كما عددها في موضع آخر ثم قال هل من شركائكم

من يفعل من ذلكم من شيء وقرئ بالياء والتاء وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه كان اذا قرأها قال بل الله خير وابقى واجل واكرم فان قلت ما
الفرق بين ام وام في اما يشركون وامن خلق قلت تلك متصلة لان
المعنى ايهما خير وهذه منقطعة بمعنى بل والهمزة لما قال الله خير الا لهة
قال بل امن خلق السموات والارض خير تقريراً لهم بان من قدر على خلق
العالم خير من جماد لا يقدر على شيء وقرأ الاعمش امن بالتخفيف ووجهه
ان يجعل بدلاً من الله كانه قال امن خلق السموات والارض خير اما يشركون
فان قلت اي نكتة في نقل الاخبار من الغيبة الى التكلم عن ذاته في قوله فانبتنا
قلت تاكيد معنى اختصاص الفعل بذاته والايذان بان انبات
الحدائق المختلفة الاصناف والالوان والطعوم والروائح والاشكال مع حسنها
حسنها وبهجتها بماء واحد لا يقدر عليه الا هو وحده الا ترى كيف رشح معنى
الاختصاص بقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها ومعنى الكينونة الانبغاء
اراد ان تأتي ذلك محال من غيره وكذلك بل هم بعد الخطاب ابلغ في تخطئة
رايهم والحديقة البستان عليه حائط من الاحداق وهو الاحاطة وقيل
ذات لان المعنى جماعة ذات بهجة كما يقال النساء ذهبت والبهجة
الحسن لان الناظر يبتهج به اغيره يقرن به ويجعل شريكاً له
وقرئ أإلهاً مع الله بمعنى اتدعون او اتشركون ولك ان تحقق الهمزتين وتوسط
بينهما مدة وتخرج الثانية بين بين به غيره او يعدلون عن الحق
الذي هو التوحيد وما بعد خلق السموات من امن خلق فكان حكمها حكمه
دحاها وسواها للاستقرار عليها حاجزاً كقوله برزخاً الضرورة
الحالة المحوجة الى اللجأ والاضطرار افتعال منها يقال اضطره الى كذا والفاعل
والمفعول مضطر والمضطر الذي احوجه مرض او فقر او نازلة من نوازل
الدهر الى اللجأ والتضرع الى الله سبحانه وتعالى وعن ابن عباس رضي الله عنه هو المجهود
وعن السدي الذي لا حول له ولا قوة وقيل المذنب اذا استغفر فان قلت
قد عم المضطرين بقوله يجيب المضطر اذا دعاه وكم من مضطر يدعو فلا
يجاب قلت الاجابة موقوفة على ان يكون المدعو به مصلحة ولهذا لا
يحسن دعاء العبد الا شارطاً فيه المصلحة واما المضطر فمتناول للجنس مطلقاً
يصلح لكله ولبعضه فلا طريق الى الجزم على احدهما الا بدليل وقد قام الدليل
على البعض وهو الذي اجابته مصلحة فبطل التناول على العموم
الارض خلفاء فيها وذلك توارثهم سكناها والتصرف فيها قرناً بعد قرن او اراد
او اراد بالخلافة الملك والتسلط وقرئ بالياء مع الادغام وبالتاء
مع الادغام والحذف وما مزيدة اي يذكرون تذكراً قليلاً والمعنى نفي التذكر
والقلة تستعمل في معنى النفي يهديكم بالنجوم في السماء والعلامات في الارض اذا
جن الليل عليكم مسافرين في البر والبحر فان قلت كيف قيل لهم بعدا

وهم مكثرون للاعادة قلت قد ازيحت علتهم بالتمكين من
المعرفة والاقرار فلم يبق لهم عذر في الانكار أمن [illegible] الا ومن
الارض النبات [illegible] ان مع الله الها فاين دليلكم عليه
فان قلت لم رفع اسم الله والله تعالى ان يكون ممن في السموات
والارض قلت جاء على لغة بني تميم حيث يقولون ما في الدار احد الا حمار
يريدون ما فيها الا حمار كان احدا لم يذكر ومنه قوله ۞ عشية
ما تغني الرماح مكانها ولا النبل الا المشرفي المصمم ۞ وقولهم
ما اتاني زيد الا عمرو وما اعانه اخوانكم الا اخوانه فان قلت ما
الداعي الى اختيار المذهب التميمي على الحجازي قلت دعت اليه نكتة
سرية حيث اخرج المستثنى مخرج قوله الا اليعافير بعد قوله ليس
بها انيس ليؤول المعنى الى قولك ان كان الله ممن في السموات والارض
فهم يعلمون الغيب يعني ان علمهم الغيب في استحالته كاستحالة ان يكون
الله منهم كما ان معنى ما في البيت ان كانت اليعافير انيسا ففيها
انيس بتاً للقول بخلوها عن الانيس فان قلت هلا زعمت ان الله
ممن في السموات والارض كما يقول المتكلمون الله في كل مكان على معنى
ان علمه في الاماكن كلها فكان ذاته فيها حتى لا تحمله على مذهب بني تميم
قلت يأبى ذلك ان كونه في السموات والارض مجاز وكونهم فيهن
حقيقة وارادة المتكلم بعبارة واحدة حقيقة ومجازا غير صحيحة
على ان قولك من في السموات والارض وجمعك بينه وبينهم في اطلاق
اسم واحد فيه ايهام تسوية والايهامات مزالة عنه سبحانه وعن صفاته
الا ترى كيف قال عليه السلام لمن قال ومن يعصهما فقد غوى بئس خطيب القوم
انت وعن عائشة رضي الله عنها من زعم انه يعلم ما في غد فقد اعظم على الله
الفرية والله تعالى يقول قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله
وعن بعضهم اخفى غيبه عن الخلق ولم يطلع عليه احدا لئلا يأمن احد
من عبيده مكره وقيل نزلت في المشركين حين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن وقت الساعة أيان بمعنى متى ولو سمي به لكان فعالا من آن يئين
ولا نصرف وقرئ إيان بكسر الهمزة وقرئ بل ادارك بل أادرك بل
تدارك بل ادرك بل أأدرك بهمزتين بل آأدرك بالف بينهما بل ادرك بالتخفيف
والنقل بل ادّرك بفتح اللام وتشديد الدال واصله بل أدرك على
الاستفهام بلى أدرك بلى أأدرك ام تدارك ام أدرك فهذه ثنتا عشرة
قراءة وادارك اصله تدارك فادغمت التاء في الدال وادّرك افتعل
ومعنى ادرك علمهم انتهى وتكامل وادارك تتابع واستحكم وهو على
وجهين احدهما ان اسباب استحكام العلم وتكامله بان القيامة كائنة
لا ريب فيها قد حصلت لهم ومكنوا من معرفته وهم شاكون جاهلون

وذلك قوله [illegible] يريد المشركين ممن في السموات
والارض لانهم لما كانوا في جملتهم نسب فعلهم الى الجميع كما يقال بنو فلان
فعلوا كذا وانما فعله ناس منهم فان قلت ان الاية سيقت لاختصاص
الله سبحانه بعلم الغيب وان العباد لا علم لهم بشيء منه وان وقت بعثهم ونشورهم
من جملة الغيب وهم لا يشعرون به فكيف لاءم هذا المعنى وصف المشركين
بانكارهم البعث مع استحكام اسباب العلم والتمكن من المعرفة قلت
لما ذكر ان العباد لا يعلمون الغيب ولا يشعرون بالبعث الكائن ووقته
الذي يكون فيه وكان هذا بيانا لعجزهم ووصفا لقصور علمهم وصل به
ان عندهم عجزا ابلغ منه وهو انهم يقولون للكائن الذي لا بد ان يكون
وهو وقت جزاء اعمالهم لا يكون مع ان عندهم اسباب معرفة كونه واستحكام
العلم به والوجه الثاني ان وصفهم باستحكام العلم وتكامله تهكم بهم
كما تقول لاجهل الناس ما اعلمك على سبيل الهزؤ وذلك حيث شكوا وعموا
عن اثباته الذي الطريق الى علمه ومعرفته مسلوك فضلا ان يعرفوا وقت
كونه الذي لا طريق الى معرفته وفي أدرك علمهم وادارك وجه آخر وهو
ان يكون ادرك بمعنى انتهى وفني من قولك ادركت الثمرة لان تلك غايتها التي
عندها تعدم وقد فسره الحسن باضمحل علمهم وتدارك من تدارك
بنو فلان اذا تتابعوا في الهلاك فان قلت فما وجه قراءة من قرأ بل أأدرك
على سبيل الاستفهام قلت هو استفهام على وجه الانكار لادراك
علمهم وكذلك من قرأ ام ادرك وام تدارك لانها ام التي بمعنى بل
والهمزة فان قلت فمن قرأ بلى ادرك وبلى ادّرك قلت لما جاء بلى بعد
قوله وما يشعرون كان معناه بلى يشعرون ثم فسر الشعور بقوله ادرك
علمهم في الآخرة على سبيل التهكم الذي معناه المبالغة في نفي العلم فكأنه قال
شعورهم بوقت الآخرة انهم لا يعلمون كونها فيرجع الى نفي الشعور على
ابلغ ما يكون واما من قرأ بلى أأدرك على الاستفهام فمعناه بلى يشعرون
متى يبعثون ثم انكر علمهم بكونها واذا انكر علمهم بكونها لم يتحصل لهم
شعور بوقت كونها لان العلم بوقت الكائن تابع للعلم بكون الكائن في
الآخرة في شأن الآخرة ومعناها فان قلت هذه الاضرابات الثلاث ما معناها
قلت ما هي الا تنزيل لاحوالهم وصفهم اولا بانهم لا يشعرون وقت البعث ثم بانهم
لا يعلمون ان القيامة كائنة ثم بانهم يخبطون في شك ومرية فلا يزيلونه والازالة
مستطاعة الا ترى ان من لم يسمع اختلاف المذاهب وتضليل اربابها بعضهم
لبعض كان امره اهون ممن سمع بها وهو جاثم لا يتشخص به طلب التمييز بين
الحق والباطل ثم بما هو اسوأ حالا وهو العمى وان يكون مثل البهيمة قد عكف
همه على بطنه وفرجه لا يخطر بباله حقا ولا باطلا ولا يفكر في عاقبة وقد جعل
الآخرة مبدأ عماهم ومنشأه فلذلك عداه بمن دون عن لان الكفر بالعاقبة
والجزاء هو الذي جعلهم كالبهائم لا يتدبرون ولا يتبصرون العاملة

ما دل عليه ائنا لمخرجون وهو نخرج لان بين يدى عمل اسم الفاعل فيه عقابات
وهى همزة الاستفهام وان ولام الابتداء وواحدة منها كافية فكيف اذا
اجتمعن والمراد الاخراج من الارض او من حال الفنا الى الحيوة وتكرير حرف
الاستفهام بادخاله على اذا وان جميعا انكار على انكار وجحود عقيب جحود
ودليل على كفر مؤكد مبالغ فيه والضمير فى انا لهم ولابائهم لان كونهم
ترابا قد تناولهم واباهم فان قلت قدم فى هذه الاية هذا على نحن
واباؤنا وفى اية اخرى قدم نحن واباؤنا على هذا قلت التقديم دليل
على ان المقدم هو الغرض المتعمد بالذكر وان الكلام انما سيق لاجله ففى
احدى الايتين دل على ان اتخاذ البعث هو الذى تعمد بالكلام وفى الاخرى
دل على اتخاذ المبعوث بذلك الصدد لم يلحق علامة التانيث بفعل العاقبة
لان تانيثها غير حقيقى ولان المعنى كيف كان اخر المجرمين واراد بالمجرمين
الكافرين وانما عبر عن الكفر بلفظ الاجرام ليكون لطفا للمسلمين فى ترك
الجرائم وتخوف عاقبتها الا ترى الى قوله فدمدم عليهم ربهم بذنبهم وقوله مما
خطيئاتهم اغرقوا ولا تحزن عليهم لانهم لم يتبعوك ولم يسلموا فيسلموا وهم
قومه قريش كقوله تعالى فلعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم يؤمنوا بهذا
الحديث اسفا ولا تكن فى حرج صدرك من مكرهم وكيدهم لك ولا تبال
بذلك فان الله يعصمك من الناس يقال ضاق الشئ ضيقا وضيقا بالفتح و
الكسر وقد قرى بهما والضيق ايضا تخفيف الضيق قال الله تعالى ضيقا حرجا
قرى مخففا ومثقلا ويجوز ان يراد فى امر ضيق من مكرهم استعجلوا العذاب
الموعود فقيل لهم عسى ان يكون ردف لكم وهو عذاب يوم بدر فزيدت
اللام للتاكيد كالباء فى ولا تلقوا بايديكم او ضمن معنى فعل يتعدى باللام
نحو دنا لكم وازف لكم ومعناه تبعكم ولحقكم وقد عدى بمن قال
فلما ردفنا من عمير وصحبه تولوا سراعا والمنية تعنق يعنى دنونا من عمير
وقرا الاعرج ردف لكم بوزن ذهب وهما لغتان والكسر افصح وعسى ولعل
وسوف فى وعد الملوك ووعيدهم يدل على صدق الامر وجده وما لا مجال للشك
بعده وانما يعنون بذلك اظهار وقارهم وانهم لا يعجلون بالانتقام لادلالهم
بقهرهم وغلبتهم ووثوقهم بان عدوهم لا يفوتهم وان الرمزة الى الاغراض
كافية من جهتهم فعلى ذلك جرى وعد الله ووعيده الفضل والفاضلة
الافضال ولفلان فواضل فى قومه وفضول ومعناه انه مفضل عليهم بتاخير
العقوبة وانه لا يعاجلهم بها واكثرهم لا يعرف حق النعمة فيه ولا يشكره
ولكنهم بجهلهم يستعجلون وقوع العذاب وهم قريش وقرى تكن يقال
كننت الشئ واكننته اذا سترته واخفيته يعنى انه يعلم ما يخفون وما يعلنون
من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكايدهم وهو معاقبهم على ذلك بما يستوجبونه
سمى الشئ الذى يغيب ويخفى غائبة وخافية فكانت التاء فيهما بمنزلتها فى العافية

والعاقبة ونظائرها النطيحة والرمية والذبيحة فى انها اسما غير صفات ويجوز
ان يكونا صفتين وتاؤهما للمبالغة كالراوية فى قولهم ويل للشاعر من راوية
السوء كانه قال وما من شئ شديد الغيبوبة والخفاء الا وقد علمه الله عز وجل
واحاط به واثبته فى اللوح المبين الظاهر البين لمن ينظر فيه من الملائكة
قد اختلفوا فى المسيح فتحزبوا فيه احزابا ووقع بينهم التناكر فى اشيا
كثيرة حتى لعن بعضهم بعضا وقد نزل القران ببيان ما اختلفوا فيه لو
انصفوا واخذوا به واسلموا يريد اليهود والنصارى لمن انصف
منهم وامن اى من بنى اسرائيل او منهم ومن غيرهم بين من امن
بالقران ومن كفر به فان قلت ما معنى بحكمه ولا يقال زيد يضرب
بضربه ويمنع بمنعه قلت معناه بما يحكم به وهو عدله لانه لا يقضى الا
بالعدل فسمى المحكوم به حكما او اراد بحكمته ويدل عليه قراءة من قرا بحكمه
جمع حكمة وهو العزيز فلا يرد قضاؤه العليم بمن يقضى له وبمن يقضى
عليه او العزيز فى انتقامه من المبطلين العليم بالفصل بينهم وبين
المحقين امره بالتوكل على الله وقلة المبالاة باعداء الدين وعلل التوكل
بانه على الحق الابلج الذى لا يتعلق به الشك والظن وفيه بيان ان صاحب
الحق حقيق بالوثوق بصنع الله عز وجل وبنصرته وان مثله لا يخذل
فان قلت انك لا تسمع الموتى يشبه ان يكون تعليلا اخر للتوكل فما
وجه ذلك قلت وجهه ان الامر بالتوكل جعل مسببا عن ما كان يغيظ
رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة المشركين واهل الكتاب من ترك اتباعه وتشييع
ذلك بالعداوة فلاءم ذلك ان يعلل توكل متوكل مثله بان اتباعهم امر قد
يئس منه فلم يبق الا الاستنصار عليهم لعداوتهم واستكفاء شرورهم
واذاهم وشبهوا بالموتى وهم احياء صحاح الحواس لانهم اذا سمعوا ما
يتلى عليهم من ايات الله فكانوا اقماع القول لا تعيه اذانهم وكان سماعهم
كلا سماع كانت حالهم لانتفاء جدوى السماع كحال الموتى الذين فقدوا
مصحح السماع وكذلك تشبيههم بالصم الذين ينعق بهم فلا يسمعون وشبهوا
بالعمى حيث يضلون الطريق ولا يقدر احد ان ينزع ذلك عنهم وان يجعلهم
هداة بصراء الا الله عز وجل فان قلت ما معنى قوله اذا ولوا مدبرين
قلت هو تاكيد لحال الاصم لانه اذا تباعد عن الداعى بان تولى عنه مدبرا
كان ابعد عن ادراك صوته وقرى ولا يسمع الصم على الاصنام
ويهدى العمى وعن ابن مسعود وما ان تهدى العمى وهداه عن الضلال
كقولك سقاه عن العيمة اى ابعده عنها بالسقى وابعده عن الضلال بالهدى
ان تسمع اى ما يجدى اسماعك الا على الذين علم الله انهم يؤمنون باياته اى يصدقون
بها فهم مسلمون اى مخلصون من قوله بلى من اسلم وجهه لله يعنى جعله سالما
لله خالصا له ووقع القول يعنى معنى القول ومؤداه بالقول وهو ما وعدوا من قيام

الساعة والعذاب ووقوعه حصوله والمراد مشارفة الساعة وظهور اشراطها
وحين لا ينفع التوبة ودابة الارض الجساسة جاء في الحديث ان طولها ستون
ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب وروى ان لها اربع قوائم وزغب
وريش وجناحان وعن ابن جريج في وصفها راس ثور وعين خنزير واذن فيل
وقرن ايل وعنق نعامة وصدر اسد ولون نمر وخاصرة هر وذنب كبش
وخف بعير وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعا بذراع ادم عليه السلام وروى
لا تخرج الا راسها وراسها يبلغ اعنان السماء او يبلغ السحاب وعن ابي هريرة رضي الله عنه
فيها من كل لون وما بين قرنيها فرسخ للراكب وعن الحسن لا يتم خروجها الا
بعد ثلثة ايام وعن علي عليه السلام انها تخرج ثلثة ايام والناس ينظرون فلا يخرج الا
ثلثها وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل من اين تخرج الدابة فقال من اعظم المساجد
حرمة على الله تعالى يعني المسجد الحرام وروى انها تخرج ثلث خرجات
تخرج باقصى اليمن ثم تكمن ثم تخرج بالبادية ثم تكمن دهرا طويلا فبينا
الناس في اعظم المساجد حرمة واكرمها على الله تعالى فما يهولهم الا
خروجها من بين الركن حذاء دار بني مخزوم عن يمين الخارج من
المسجد فقوم يهربون وقوم يقفون نظارة وقيل تخرج من الصفا فتكلمهم
بالعربية بلسان ذلق فتقول ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون اى
ان الناس كانوا لا يوقنون بخروجي لان خروجها من الايات وتقول الا
لعنة الله على الظالمين وعن السدي تكلمهم ببطلان الاديان كلها
سوى دين الاسلام وعن ابن عمر رضي الله عنه تستقبل المغرب فتصرخ
صرخة تنفذه ثم تستقبل المشرق ثم الشام ثم اليمن فتفعل مثل ذلك وروى
تخرج من اجياد وروى بينا عيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون اذ تضطرب
الارض تحتهم تحرك القنديل وينشق الصفا مما يلي المسعى فتخرج الدابة من
الصفا ومعها عصا وخاتم سليمان فتضرب المؤمن في مسجده او فيما بين عينيه
بعصا موسى فتنكت نكتة بيضاء فتفشو تلك النكتة في وجهه حتى يضيء لها وجهه
او فتترك وجهه كانه كوكب درى وتكتب بين عينيه مؤمن وتنكت الكافر بالخاتم
في انفه فتفشو تلك النكتة حتى يسود لها وجهه وتكتب بين عينيه هو كافر
وروى فتجلو وجه المؤمن بالعصا وتخطم انف الكافر بالخاتم ثم تقول لهم يا فلان انت
من اهل الجنة ويا فلان انت من اهل النار وقرئ تكلمهم من الكلم وهو
الجرح والمراد به الوسم بالعصا والخاتم ويجوز ان يكون تكلمهم من الكلم
ايضا على معنى التكثير يقال فلان مكلم اى مجرح ويجوز ان يستدل بالتخفيف
على ان المراد بالتكليم التجريح كما فسر لتحرقنه بقراءة علي لنحرقنه وان يستدل
بقراءة ابي رضي الله عنه تنبئهم وبقراءة ابن مسعود رضي الله عنه تكلمهم بان الناس
على انه من الكلام والقراءة بان مكسورة بحكاية لقول الدابة اما لان الكلام
بمعنى القول او باضمار القول اى تقول الدابة ذلك او هي حكاية لقوله سبحانه وتعالى عند

موسى

ذلك فان قلت اذا كانت حكاية لقول الدابة فكيف تقول باياتنا قلت قولها
حكاية لقول الله او على معنى بايات ربنا او لاختصاصها بالله واثرتها عنده
وانها من خواص خلقه اضافت ايات الله عز وجل الى نفسها كما يقول بعض
خاصة الملك خيلنا وبلادنا وانما هي خيل مولاه وبلاده ومن قرأ بالفتح فعلى
حذف الجار اى تكلمهم بان فهم يوزعون يحبس اولهم على اخرهم حتى يجتمعوا
فيكبكبوا في النار وهذه عبارة عن كثرة العدد وتباعد اطرافه كما وصفت
جنود سليمن عليه السلام بذلك وكذلك قوله فوجا فان الفوج الجماعة الكثيرة
ومنه قوله تعالى يدخلون في دين الله افواجا وعن ابن عباس رضي الله عنه ابو جهل
والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة يساقون بين يدي اهل مكة وكذلك يحشر
قادة سائر الامم بين ايديهم فان قلت اى فرق بين من الاولى والثانية
قلت الاولى للتبعيض والثانية للتبيين كقوله من الاوثان الواو للحال
كانه قال اكذبتم بها بادي الراى من غير فكر ولا نظر يؤدي الى احاطة العلم
بكنهها وانها حقيقة بالتصديق او بالتكذيب او للعطف اى اجحدتموها
ومع جحودكم لم تلقوا اذهانكم لتحققها وتبصرها فان المكتوب اليه قد يجحد ان
يكون الكتاب من عند من كتبه ولا يدع مع ذلك ان يقراه ويتفهم مضامينه
ويحيط بمعانيه اماذا كنتم تعملون بها للتبكيت لا غير وذلك انهم لم يعملوا
الا التكذيب فلا يقدرون ان يكذبوا ويقولوا قد صدقنا بها وليس الا
التصديق بها او التكذيب ومثاله ان تقول لراعيك وقد عرفته رويعي سوء اتاكل
نعمي ام ماذا تعمل بها فتجعل ما ابتدأت به وجعلته اصل كلامك واساسه هو الذي
صح عندك من اكله وفساده وترمي بقولك ام ماذا تعمل بها مع علمك انه لا
يعمل بها الا الاكل لتبهته وتعلمه علمك بانه لا يجيء منه الا اكلها وانه لا يقدر
ان يدعي الحفظ والاصلاح لما شهر من خلاف ذلك او اراد اما كان لكم عمل
في الدنيا الا الكفر والتكذيب بايات الله ام ماذا كنتم تعملون من غير ذلك يعني
انه لم يكن لهم عمل غيره كانهم لم يخلقوا الا للكفر والمعصية وانما خلقوا للايمان
والطاعة يخاطبون بهذا قبل كبهم في النار ثم يكبون فيها وذلك قوله تعالى
ووقع القول عليهم يريد ان العذاب الموعود يغشاهم بسبب ظلمهم وهو
التكذيب بايات الله فيشغلهم عن النطق والاعتذار كقوله تعالى هذا يوم لا ينطقون
جعل الابصار للنهار وهو لاهله فان قلت ما للتقابل لم يراع في قوله ليسكنوا
ومبصرا حيث كان احدهما علة والاخر حالا قلت هو مراعى من حيث المعنى
وهكذا النظم المطبوع غير المتكلف لان معنى مبصرا ليبصروا فيه طرق التقلب
في المكاسب فان قلت لم قيل ففزع دون فيفزع قلت لنكتة وهي الاشعار
بتحقق الفزع وثبوته وانه كائن لا محالة واقع على اهل السموات والارض لان
الفعل الماضي يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعا به والمراد فزعهم عند
النفخة الاولى حين يصعقون الا من شاء الله الا من ثبت الله قلبه من الملئكة

قالوا هم جبريل واسرافيل وميكائيل وملك الموت وقيل الشهداء وعن الضحاك
الحور وخزنة النار وحملة العرش وعن جابر رضي الله عنه منهم موسى لانه صعق
مرة ومثله قوله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شا
الله وقرئ [illegible] و [illegible] فالجمع على المعنى والتوحيد على
اللفظ والداخر والدخر الصاغر وقيل معنى الاتيان حضورهم الموقف
بعد النفخة الثانية ويجوز ان يراد رجوعهم الى امره وانقيادهم له [illegible] من
جمد في مكانه اذا لم يبرح تجمع الجبال فتسير كما تسير الريح السحاب فاذا
نظر اليها الناظر حسبها واقفة ثابتة في مكان واحد وهي تمر مر السحاب كما
تمر [illegible] وهكذا الاجرام العظام المتكاثرة العدد اذا تحركت لا تكاد
تتبين حركتها كما قال النابغة في صفة جيش بارعن مثل الطود تحسب انهم
وقوف لحاج والركاب تهملج [illegible] من المصادر المؤكدة كقوله وعد الله
وصبغة الله الا ان مؤكده محذوف وهو الناصب ليوم ينفخ والمعنى [illegible]
فكان كيت وكيت اثاب الله المحسنين وعاقب المجرمين ثم قال صنع
الله يريد به الاثابة والمعاقبة وجعل هذا الصنع من جملة الاشياء التي اتقنها
واتى بها على الحكمة والصواب حيث قال [illegible] يعني
ان مقابلته الحسنة بالثواب والسيئة بالعقاب من جملة احكامه للاشياء واتقانه
لها واجرائه اياها على قضايا الحكمة [illegible] انه عالم بما يفعل العباد وبما يستوجبون عليه
فيكافئهم على حسب ذلك ثم لخص ذلك بقوله [illegible] الى آخر الآيتين فانظر
الى بلاغة هذا الكلام وحسن نظمه وترتيبه ومكانة اضماره ورصانة تفسيره
واخذ بعضه بحجز بعض كانما افرغ افراغا واحدا ولامر ما اعجز القوى واخرس
الشقاشق ونحو هذا المصدر اذا جاء عقيب كلام جاء كالشاهد بصحته
والمنادي على سداده وانه ما كان ينبغي ان يكون الا كما قد كان الا ترى
الى قوله صنع الله وصبغة الله ووعد الله وفطرة الله بعدما وسمها باضافتها
اليه بسمة التعظيم كيف تلاها بقوله الذي اتقن كل شيء ومن احسن من الله
صبغة ان الله لا يخلف الميعاد لا تبديل لخلق الله وقرئ تفعلون على الخطاب
يريد الاضعاف وان العمل ينقضي والثواب يدوم وشتان
ما بين فعل العبيد وفعل السيد وقيل فله خير منها اي له خير حاصل من جهتها
وهو الجنة وعن ابن عباس رضي الله عنه الحسنة كلمة الشهادة وقرئ [illegible]
مفتوحا مع الاضافة لانه اضيف الى غير متمكن ومنصوبا مع تنوين فزع فان قلت
ما الفرق بين الفزعين قلت الفزع الاول هو ما لا يخلو منه احد عند
الاحساس بشدة تقع وهول يفجأ من رعب وهيبة وان كان المحسن يامن
لحاق الضرر به كما يدخل الرجل على الملك بصدر هياب وقلب وجاب وان
كانت ساعة اعزاز وتكرمة واحسان وتولية واما الثاني فالخوف من العذاب

فان قلت من قرا من فزع بالتنوين ما معناه قلت يحتمل معنيين من فزع
واحد وهو خوف العقاب واما ما يلحق الانسان من التهيب والرعب لما يرى
من الاهوال والعظائم فلا يخلون منه لان البشرية تقتضي ذلك وفي الاخبار والآثار
ما يدل عليه ومن فزع شديد مفرط الشدة لا يكتنهه الوصف وهو خوف
النار امن يعدى بالجار وبنفسه كقوله تعالى افامنوا مكر الله وقيل السيئة الا
شراك يعبر عن الجملة بالوجه والراس والرقبة فكانه قيل فكبوا في النار كقوله
تعالى فكبكبوا فيها ويجوز ان يكون ذكر الوجوه ايذانا بانهم يكبون على وجوههم
فيها منكوسين هل تجزون يجوز فيه الالتفات وحكاية ما يقال لهم عند
الكب باضمار القول امر رسوله بان يقول امرت ان اخص الله وحده
بالعبادة ولا اتخذ له شريكا كما فعلت قريش وامرت ان اكون من الحنفاء الثا
بتين على ملة الاسلام وان اتلو القرآن من التلاوة او من التلو كقوله تعالى
واتبع ما يوحى اليك البلدة مكة حرسها الله واختصها من بين سائر البلاد
باضافة اسمه اليها لانها احب بلاده اليه واكرمها عليه واعظمها عنده
وهكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج في مهاجره فلما بلغ الحزورة
استقبلها بوجهه الكريم فقال اني اعلم انك احب بلاد الله الى الله ولولا
ان اهلك اخرجوني ما خرجت واشار اليها اشارة تعظيم لها وتقريب
دالا على انها موطن نبيه ومهبط وحيه ووصف ذاته بالتحريم الذي هو
خاص وصفها فاجزل بذلك قسمها في الشرف والعلو ووصفها بانها
محرمة لا ينتهك حرمتها الا ظالم مضاد لربه ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه
من عذاب اليم لا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها ولا ينفر صيدها واللاجئ
اليها آمن وجعل دخول كل شيء تحت ربوبيته وملكوته كالتابع لدخولها
تحتها وفي ذلك اشارة الى ان ملكا ملك مثل هذه البلدة عظيم الشان
قد ملكها وملك اليها كل شيء اللهم بارك لنا في سكناها وآمنا فيها
شر كل ذي شر ولا تنقلنا من جوار بيتك الا الى دار رحمتك وقرئ التي
حرمها وان اتل عليهم هذا القرآن عن ابي رضي الله عنه وان اتل عن ابن مسعود
رضي الله عنه فمن اهتدى باتباعه اياي فيما انا بصدده من توحيد الله
ونفي الانداد عنه والدخول في الملة الحنيفية واتباع ما انزل علي من الوحي
فمنفعة اهتدائه راجعة اليه لا الي ومن ضل ولم يتبعني فلا علي وما انا الا
رسول منذر وما على الرسول الا البلاغ ثم امره ان يحمد الله عز وجل على ما
خوله من نعمة النبوة التي لا توازيها نعمة وان يهدد اعداءه بما سيريهم الله
عز وجل من آياته التي تلجئهم الى المعرفة والاقرار بانها آيات الله وذلك حين
لا تنفعهم المعرفة يعني في الآخرة عن الحسن وعن الكلبي الدخان وانشقاق
القمر وما حل بهم من نقمات الله تعالى في الدنيا وقيل هو كقوله سنريهم آياتنا
في الآفاق وفي انفسهم الآية وكل عمل يعملونه فالله عز وجل عالم به غير غافل
عنه لان الغفلة والسهو لا يجوزان على عالم الذات وهو من وراء جزاء العاملين

وقرئ يعملون بالتاء والياء ○ عن رسول الله صلعم من قرا طس سليمان كان
له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق سليمان وكذب به وهود وشعيب
وصالح وابراهيم وخرج من قبره وهو ينادي لا اله الا الله ○ سورة
القصص مكية وهي ثمان وثمانون اية ○

بسم الله الرحمن الرحيم نتلو عليك من نبا موسى وفرعون
مفعول نتلو اي نتلو عليك بعض خبرهما بالحق محقين كقوله تعالى
تنبت بالدهن لقوم يؤمنون لمن سبق في علمنا انه يؤمن لان التلاوة انما تنفع
هولاء دون غيرهم ان فرعون جملة مستانفة كالتفسير للمجمل كان قائلا قال
وكيف كان نباهما فقال ان فرعون علا في الارض يعني ارض مملكته قد
طغى فيها وجاوز الحد في الظلم والعسف شيعا فرقا يشيعونه على ما يريد
ويطيعونه لا يملك احد منهم ان يلوي عنقه قال الاعشى ○ وبلدة يرهب
الجواب دلجتها حتى تراه عليها يبتغي الشيعا ○ او يشيع بعضهم بعضا في
طاعته او اصنافا في استخدامه يسخر صنفا في بناء وصنفا في حرث وصنفا
في حفر ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية او فرقا مختلفة قد اغرى بينهم
العداوة وهم بنو اسرائيل والقبط والطائفة المستضعفة بنو اسرائيل
وسبب ذبح الابناء ان كاهنا قال له يولد مولود في بني اسرائيل يذهب ملكك
على يده وفيه دليل على ثخانة حمق فرعون فانه ان صدق الكاهن لم
ينفع القتل وان كذب فما وجه القتل و يستضعف حال من الضمير في
وجعل او صفة لشيعا او كلام مستانف و يذبح بدل من يستضعف
وقوله انه كان من المفسدين بيان ان القتل ما كان الا فعل المفسدين
فحسب لانه فعل لا طائل تحته صدق الكاهن او كذب فان قلت علام عطف
ونريد ان نمن وعطفه على نتلو ويستضعف غير سديد قلت هي جملة
معطوفة على قوله ان فرعون علا في الارض لانها نظيرة تلك في وقوعها
تفسيرا لنبا موسى وفرعون واقتصاصا له ونريد حكاية حال ماضية
ويجوز ان يكون حالا من يستضعف اي يستضعفهم فرعون ونحن نريد ان
نمن عليهم فان قلت كيف يجتمع استضعافهم وارادة الله المنة عليهم
واذا اراد الله شيئا كان ولم يتوقف الى وقت اخر قلت لما كانت منة الله بخلاصهم
من فرعون قريبة الوقوع جعلت ارادة وقوعها كانها مقارنة
لاستضعافهم ائمة مقدمين في الدين والدنيا يطأ الناس اعقابهم وعن
ابن عباس رضي الله عنه قادة يقتدى بهم في الخير وعن مجاهد دعاة الى
الخير وعن قتادة ولاة كقوله وجعلكم ملوكا ونجعلهم الوارثين يرثون فرعون
وقومه ملكهم وكل ما كان لهم مكن له اذا جعل له مكانا يقعد عليه
او يرقد فوطاه ومهده ونظيره ارض له ومعنى التمكين لهم في الارض
وهي ارض مصر والشام ان يجعلها بحيث لا تنبو بهم ولا تغث عليهم كما كانت

في ايام الجبابرة وينفذ امرهم ويطلق ايديهم ويسلطهم وقوله ونري فرعون
وهامان وجنودهما منهم اي يرون ما حذروه من ذهاب ملكهم
وهلاكهم على يد مولود منهم اليم البحر قيل هو نيل مصر فان قلت
ما الفرق بين الخوفين حتى اوجب احدهما ونهى عن الاخر قلت اما
الاول فالخوف عليه من القتل لانه كان اذا صاح خافت ان يسمع الجيران
صوته فينموا عليه واما الثاني فالخوف من الغرق ومن الضياع ومن
الوقوع في يد بعض العيون المبثوثة من قبل فرعون في تطلب الولدان وغير
ذلك من المخاوف فان قلت ما الفرق بين الخوف والحزن قلت الخوف غم
يلحق الانسان لمتوقع والحزن غم يلحقه لواقع وهو فراقه والاخطار به
فنهيت عنهما جميعا وامنت بالوحي اليها ووعدت ما يسليها ويطامن
قلبها ويملؤها غبطة وسرورا وهو رده اليها وجعله من المرسلين
وروي انه ذبح في طلب موسى تسعون الف وليد وروي انها حين اقربت
وضربها الطلق وكانت بعض القوابل الموكلات بحبالى بني اسرائيل مصافية
لها فقالت لها لينفعني حبك اليوم فعالجتها فلما وقع الى الارض هالها
نور بين عينيه وارتعش كل مفصل منها ودخل حبه قلبها ثم قالت ما جئتك الا
لاقبل مولودك واخبر فرعون ولكني وجدت لابنك حبا ما وجدت مثله فاحفظيه
فلما خرجت جاء عيون فرعون فلفته في خرقة ووضعته في تنور مسجور لم
تعلم ما تصنع لما طاش من عقلها فطلبوا فلم يلفوا شيئا فخرجوا وهي لا تدري
مكانه فسمعت بكاءه من التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله النار عليه بردا
وسلاما فلما الح فرعون في طلب الولدان اوحى الله عز وجل اليها فالقته في اليم
وقد روي انها ارضعته ثلاثة اشهر في تابوت من بردي مطلي بالقار من داخله
اللام في ليكون هي لام كي التي معناها التعليل كقولك جئتك لتكرمني
سواء بسواء ولكن معنى التعليل فيها وارد على طريق المجاز دون الحقيقة لانه
لم يكن داعيهم الى الالتقاط ان يكون لهم عدوا وحزنا ولكن المحبة والتبني
غير ان ذلك لما كان نتيجة التقاطهم له وثمرته شبه بالداعي الذي يفعل الفعل
لاجله وهو الاكرام الذي هو نتيجة المجيء والتادب الذي هو ثمرة الضرب في
قولك ضربته ليتادب وتحريره ان هذه اللام حكمها حكم الاسد حيث استعيرت
لما يشبه التعليل كما يستعار الاسد لمن يشبه الاسد وقرئ
وحزنا وهما لغتان كالعدم والعدم كانوا خاطئين في كل شيء فليس خطاؤهم
في تربية عدوهم ببدع منهم او كانوا مذنبين مجرمين فعاقبهم الله بان
ربى عدوهم ومن هو سبب هلاكهم على ايديهم وقرئ خاطين بغير همز
او خاطين الصواب الى الخطا روي انهم حين التقطوا التابوت عالجوا فتحه
فلم يقدروا عليه فعالجوا كسره فاعياهم فدنت آسية فرات في جوف التابوت
نورا فعالجته ففتحته فاذا بصبي نوره بين عينيه وهو يمص ابهامه لبنا

فاخذوه وكانت لفرعون بنت برصا فقالت له الاطبا لا تبرا الا من قبل البحر
يوجد فيه شبه انسان دواوها ريقه فلطخت البرصا بريقها فبرات وقيل
لما نظرت الى وجهه برات فقالت ان هذه لنسمة مباركة فهذا احد
ما عطفهم عليه فقالت الغواة من قومه هو الصبي الذي نحذر منه فاذن لنا
في قتله فهم بذلك فقالت آسية قرة عين لي ولك فقال فرعون لك لا لي وروي
في حديث لو قال هو قرة عين لي كما هو لك لهداه الله عز وجل كما هداها
وهذا على سبيل الفرض والتقدير اي لو كان غير مطبوع على قلبه كآسية
لقال مثل قولها ولاسلم كما اسلمت هذا ان صح الحديث تاويله والله اعلم بصحته
وروي انها قالت له لعله من قوم اخرين ليس من بني اسرائيل قرة عين
خبر مبتدا محذوف ولا يقوى ان تجعله مبتدا و لا تقتلوه خبرا ولو نصب
لكان اقوى وقراءة ابن مسعود رضي الله عنه دليل على انه خبر قرا لا تقتلوه
قرة عين لي ولك بتقديم لا تقتلوه عسى ان ينفعنا فان فيه مخايل اليمن
ودلائل النفع لاهله وذلك لما عاينت من النور وارتضاع الابهام وبرء
البرصا ولعلها توسمت في سيماه النجابة المؤذنة بكونه نفاعا او نتخذه ولدا فانه
اهل للتبني ولان يكون ولدا لبعض الملوك فان قلت وهم لا يشعرون
حال ذو حالها قلت ذو حالها ال فرعون وتقدير الكلام فالتقطه ال فرعون
ليكون لهم عدوا وحزنا وقالت امراة فرعون كذا وهم لا يشعرون انهم على
خطا عظيم في التقاطه ورجا النفع منه وتبنيه وقوله ان فرعون الاية جملة
اعتراضية واقعة بين المعطوف والمعطوف عليه مؤكدة لمعنى خطائهم وما
احسن نظم هذا الكلام عند المرتاض بعلم محاسن النظم فارغا صفرا
من العقل والمعنى انها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون طار عقلها لما
دهمها من فرط الجزع والدهش ونحوه قوله تعالى وافئدتهم هواء اي جوف
لا عقول فيها ومنه بيت حسان رضي الله عنه الا ابلغ ابا سفيان عني
فانت مجوف نخب هواء ٥ وذلك ان القلوب مراكز العقول الا ترى الى قوله فتـ
كون لهم قلوب يعقلون بها ويدل عليه قراءة من قرا فزعا وقرئ قرعا
اي خاليا من قولهم اعوذ بالله من صفر الاناء وقرع الفناء وفرغا من قولهم
دماؤهم بينهم فرغ اي هدر يعني بطل قلبها وذهب وبقيت لا قلب لها
من شدة ما ورد عليها لتبدي به لتصحر به والضمير لموسى عليه السلام والمراد
بامره وقصته وانه ولدها لولا ان ربطنا على قلبها بالهام الصبر
كما يربط على الشيء المنفلت ليقر ويطمئن لتكون من المؤمنين من
المصدقين بوعد الله وهو قوله انا رادوه اليك واصبح فؤادها فارغا
من الهم حين سمعت ان فرعون عطف عليه وتبناه ان كادت لتبدي به بانه ولدها
لانها لم تملك نفسها فرحا وسرورا بما سمعت لولا انا طامنا قلبها و
سكنا قلقه الذي حدث به من شدة الفرح والابتهاج لتكون من المؤمنين
الواثقين بوعد الله لا بتبني فرعون وتعطفه وقرئ موسى بالهمز جعلت الضمة

في جارة الواو وهي الميم كانها فيها فهمزت كما همز واو وجوه فقصيه اتبعي اثره
وتتبعي خبره وقرئ فبصرت بالكسر يقال بصرت به عن جنب وعن جنابة بمعنى
عن بعد وقرئ عن جانب وعن جنب والجنب الجانب يقال قعد الى جنبه والى
جانبه اي نظرت اليه مزورة متجانفة مخاتلة وهم لا يحسون بانها اخته
وكان اسمها مريم التحريم مستعار للمنع لان من حرم عليه الشيء فقد منعه
الا ترى الى قولهم محظور وحجر وذلك لان الله منعه ان يرضع ثديا فكان لا يقبل
ثدي مرضع قط حتى اهمهم ذلك المراضع جمع مرضع وهي المراة التي ترضع
او جمع مرضع وهو موضع الرضاع يعني الثدي او الرضاع من قبل من قبل
قصصها اثره وروي انها لما قالت وهم له ناصحون قال هامان انها لتعرفه
وتعرف اهله فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون والنصح اخلاص العمل
من شائب الفساد فانطلقت الى امها بامرهم فجاءت بها والصبي على يد فرعون
يعلله شفقة عليه وهو يبكي يطلب الرضاع فحين وجد ريحها استانس والتقم
ثديها فقال لها فرعون ومن انت منه فقد ابى كل ثدي الا ثديك فقالت اني
امراة طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبي الا قبلني فدفعه اليها واجرى
عليها وذهبت به الى بيتها وانجز الله وعده في الرد فعندها ثبت واستقر في
علمها ان سيكون نبيا وذلك قوله ولتعلم ان وعد الله حق يريد وليثبت علمها
ويتمكن فان قلت كيف حل لها ان تاخذ الاجر على ارضاع ولدها قلت ما
كانت تاخذه على انه اجر الرضاع ولكنه مال حربي كانت تاخذه على وجه
الاستباحة وقوله ولكن اكثرهم لا يعلمون
داخل تحت علمها والمعنى لتعلم
ان وعد الله حق ولكن اكثر الناس لا يعلمون انه حق فيرتابون ويشبه التعريض
بما فرط منها حين سمعت بخبر موسى فجزعت واصبح فؤادها فارغا وروي انها
حين القت التابوت في اليم جاءها الشيطان فقال لها يا ام موسى كرهت ان
يقتل فرعون موسى فتوجري ثم ذهبت فتوليت قتله فلما اتاها الخبر بان
فرعون اصابه قالت وقع في يد العدو فنسيت وعد الله ويجوز ان يتعلق
ولكن بقوله ولتعلم ومعناه ان الرد انما كان لهذا الغرض الديني وهو علمها
بصدق وعد الله ولكن الاكثر لا يعلمون بان هذا هو الغرض الاصلي الذي ما
سواه تبع له من قرة العين وذهاب الحزن واعتدل وتم استحكامه
وبلغ المبلغ الذي لا يزاد عليه كما قال لقيط ٥ واستحملوا امركم لله دركم
شزر المريرة لا قحما ولا ضرعا ٥ وذلك اربعون سنة ويروى انه لم يبعث نبي الا
على راس اربعين العلم التوراة والحكم السنة وحكمة الانبياء سنتهم
قال الله تعالى واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة وقيل معناه آتيناه
سيرة الحكماء العلماء وسمتهم قبل البعث فكان لا يفعل فعلا يستجهل فيه
المدينة مصر وقيل مدينة منف من اعمال مصر غفلتهم ما بين
العشاءين وقيل وقت القائلة وقيل يوم عيد لهم هم مشتغلون فيه

بلهوهم وقيل لما شب وعقل اخذ يتكلم بالحق وينكر عليهم فاخافوه فلا رجل
قريه الاعلى تفعل وقد اشبوه فاستغاثه ممن سابعه على دينه
من بني اسرايل وقيل هو السامري من مخالفيه من القبط وهو
فاتون وكان يسخر الاسرايلي لحمل الحطب الى مطبخ فرعون والوكز الدفع
باطراف الاصابع وقيل بجمع الكف وقرا ابن مسعود رضي الله عنه فلكزه باللام
فقتله فان قلت لم قتل الكافر وسماه
ظلما لنفسه واستغفر منه قلت لانه قتله قبل ان يوذن له في القتل فكان
ذنبا يستغفر منه وعن ابن جريج ليس لنبي ان يقتل مالم يومر
يجوز ان يكون قسما جوابه محذوف تقديره اقسم بانعامك على بالمغفرة لاتوبن
وان يكون استعطافا فكانه قال رب اعصمني
بحق ما انعمت علي من المغفرة فلن اكون ان عصمتني ظهيرا للمجرمين واراد
بمظاهرة المجرمين اما صحبة فرعون وانتظامه في جملته وتكثيره سواده
حيث كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد وكان يسمى ابن فرعون واما مظاهرة
من ادت مظاهرته الى الجرم والاثم كمظاهرة الاسرايلي المودية الى القتل
الذي لم يحل له وعن ابن عباس رضي الله عنه لم يستثن فابتلي به مرة اخرى
يعني لم يقل فلن اكون ان شا الله وهذا نحو قوله ولا تركنوا الى الذين ظلموا
وعن عطا ان رجلا قال له ان اخي يضرب بقلمه ولا يعدو رزقه قال فمن الراس
يعني من يكتب له قال خالد بن عبد الله القسري قال فاين قول موسى عليه السلام وتلا
هذه الاية وفي الحديث ينادي مناد يوم القيمة اين الظلمة واشباه الظلمة
واعوان الظلمة حتى من لاق لهم دواة او برى لهم قلما فيجمعون في تابوت من حديد
فيرمى به في جهنم وقيل معناه بما انعمت علي من القوة فلن استعملها الا في
مظاهرة اوليايك واهل طاعتك والايمان بك ولا ادع قبطيا يغلب احدا
من بني اسرايل المكروه وهو الاستقادة منه او الاخبار وما يقال
فيه ووصف الاسرايلي بالغي لانه كان سبب قتل رجل وهو يقاتل اخر وقرى
بالضم و القبطي لانه ليس على دينهما ولان القبط كانوا
اعدا بني اسرايل والجبار الذي يفعل ما يريد من الضرب والقتل بظلم لا
ينظر في العواقب ولا يدفع بالتي هي احسن وقيل المتعظم الذي لا يتواضع لامر
الله عز وجل ولما قال هذا افشى على موسى صلى الله عليه وسلم فانتشر الحديث في المدينة و
رقي الى فرعون وهموا بقتله قيل الرجل مومن ال فرعون وكان ابن عم فرعون
و يجوز ارتفاعه وصفا للرجل وانتصابه حالا عنه لانه قد تخصص
بقوله واذا جعل صلة لجا لم يجز في يسعى الا الوصف و
الايتمار التشاور يقال الرجلان ياتمران ويتامران لان كل واحد منهما يامر صاحبه
بشي او يشير عليه بامر والمعنى يتشاورون بسببك بيان وليس بصلة
الناصحين المتعرض له في الطريق اوان يلحق تقصدها

ونحوها

ونحوها ومدين قرية شعيب عليه السلام سميت بمدين بن ابرهيم ولم تكن في سلطان
فرعون وبينها وبين مصر مسيرة ثمان وكان موسى عليه السلام لا يعرف اليها
الطريق قال ابن عباس رضي الله عنهما خرج وليس له علم بالطريق الا حسن ظنه
بربه و وسيطه ومعظم نهجه وقيل خرج حافيا لا يعيش الا
بورق الشجر فما وصل حتى سقط خف قدمه وقيل جاءه ملك على فرس بيده
عنزة فانطلق به الى مدين ما وهم الذي يستقون منه وكان
بيرا فيما يروى وروده مجيه والوصول اليه وجد فوق شفيره
ومستقاه امة جماعة كثيفة العدد من اناس مختلفين
في مكان اسفل من مكانهم والذود الطرد والدفع وانما كانتا
لان على الماء من هو اقوى منهما فلا يتمكنان من السقي وقيل كانتا تكرهان
المزاحمة على الماء وقيل لئلا تختلط اغنامهما باغنامهم وقيل يذودان عن
وجوههما نظر الناظر لتسترهما ما خطبكما ما شانكما وحقيقته ما مخطوبكما
اي مطلوبكما من الذياد فسمي المخطوب خطبا كما سمي المشؤون شانا في قولك
ما شانك يقال شانت شانه اي قصدت قصده وقرى و
بضم النون والبنا والرعا اسم جمع كالرجال والنسا واما الرعا بالكسر
فقياس كصيام وقيام شيخ كبير السن فسقى لهما فسقى غنمهما لاجلهما
وروي ان الرعاة كانوا يضعون على راس البير حجرا لا يقله الا سبعة رجال
وقيل عشرة وقيل اربعون وقيل مائة فاقله وحده وروي انه سالهم دلوا
من ما فاعطوه دلوهم وقالوا استق بها وكانت لا ينزعها الا اربعون فاستقى
بها وصبها في الحوض ودعا بالبركة وروى غنمهما واصدرهما وروي انه
دفعهم عن الما حتى سقى لهما وقيل كانت بيرا اخرى عليها الصخرة وانما
فعل هذا رغبة في المعروف واغاثة للملهوف والمعنى انه وصل الى ذلك
الماء وقد ازدحمت عليه امة من اناس مختلفة متكاثفة العدد وراى
الضعيفتين من ورائهم مع غنيمتهما مترقبتين لفراغهم فما اخطات همته في دين
الله تلك الفرصة مع ما كان به من النصب وسقوط خف القدم والجوع
ولكنه رحمهما فاغاثهما وكفاهما امر السقي في مثل تلك الزحمة بقوة قلبه
وقوة ساعده وما اتاه الله عز وجل من الفضل في متانة الفطرة ورصانة
الجبلة وفيه مع ارادة اقتصاص امره وما اوتي من البطش والقوة وما لم
يغفل عنه على ما كان به من انتهاز فرصة الاحتساب ترغيب في الخير
وانتهاز فرصه وبعث على الاقتدا في ذلك بالصالحين والاخذ بسيرهم ومذاهبهم
فان قلت لم ترك المفعول غير مذكور في قوله يسقون وتذودان و لا
نسقي قلت لان الغرض هو الفعل لا المفعول الا ترى انه انما رحمهما لانهما
كانتا على الذياد وهم على السقي ولم يرحمهما لان مذودهما غنم ومسقيهم ابل
مثلا وكذلك قولهما لا نسقي حتى يصدر الرعا المقصود منه السقي لا المسقي

فان قلت كيف طابق جوابهما سواله قلت سالهما عن سبب الذود
فقالتا السبب في ذلك انا امراتان ضعيفتان مستورتان لا نقدر على مساجلة
الرجال ومزاحمتهم فلابد لنا من تاخير السقي الى ان يفرغوا وما لنا رجل
يقوم بذلك وابونا شيخ كبير قد اضعفه الكبر فلا يصلح للقيام به ابلغتا اليه
عذرهما في توليهما السقي بانفسهما فان قلت كيف ساغ لنبي الله الذي هو شعيب صلعم
ان يرضى لابنتيه بسقي الماشية قلت الامر في نفسه ليس بمحظور فالدين
لا ياباه واما المروة فالناس يختلفون في ذلك والعادات متباينة فيه واحوال
العرب فيه خلاف احوال العجم ومذهب اهل البدو فيه غير مذهب اهل الحضر
خصوصا اذا كانت الحالة حالة ضرورة [illegible] لاي شي قليل او كثير غث
او سمين [illegible] واما عدي فقير باللام لانه ضمن معنى سائل وطالب وقيل
ذكر ذلك وان خضرة البقل يتراءى في بطنه من الهزال ما سال الله الا اكلة وحمل
ان يريد اني فقير من الدنيا لاجل ما انزلت الي من خير الدارين وهو النجاة من
الظالمين لانه كان عند فرعون في ملك وثروة قال ذلك رضى بالبدل السني
وفرحا به وشكرا له وكان [illegible] ظل سمرة في موضع الحار اي
مستحيية متخفرة وقيل قد استترت بكم درعها وروي انهما لما رجعتا الى
ابيهما قبل الناس واغنامهما حفل بطان قال لهما ما اعجلكما قالتا وجدنا
رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا فقال لاحداهما اذهبي فادعيه لي فتبعها موسى عليه السلام
فالزقت الريح ثوبها بجسدها فوصفته فقال لها امشي خلفي وانعتي لي الطريق
فلما قص عليه قصته قال له لا تخف فلا سلطان لفرعون بارضنا فان قلت
كيف ساغ لموسى عليه السلام ان يعمل بقول امراة وان يمشي معها وهي اجنبية قلت
اما العمل بقول امراة فكما يعمل بقول الواحد حرا كان او عبدا ذكرا كان او
انثى في الاخبار وما كانت الا مخبرة عن ابيها بانه يدعوه ليجزيه واما
مماشاته امراة اجنبية فلا باس بها في تلك الحال مع ذلك الاحتياط والتورع
فان قلت كيف صح له اخذ الاجر على البر والمعروف قلت يجوز ان يكون قد
فعل ذلك لوجه الله وعلى سبيل البر والمعروف وقبل اطعام شعيب واحسانه
لا على سبيل اخذ الاجر ولكن على سبيل التقبل لمعروف مبتدا كيف وقد قص
عليه قصصه وعرفه انه من بيت النبوة من اولاد يعقوب ومثله حقيق
بان يضيف ويكرم خصوصا في دار نبي من انبياء الله وليس بمنكر ان يفعل
ذلك لاضطرار الفقر والفاقة طلبا للاجر وقد روي ما يعضد كلا من القولين
روي انها لما قالت ليجزيك كره ذلك ولما قدم الطعام اليه امتنع وقال انا
اهل بيت لا نبيع ديننا بطلاع الارض ذهبا ولا ناخذ على المعروف ثمنا حتى
قال شعيب هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا وعن عطاء بن السائب رفع صوته
بدعائه ليسمعهما فلذلك قيل له ليجزيك اجر ما سقيت اي جزاء سقيك و
القصص مصدر كالعلل سمي به المقصوص كبراهما كانت تسمى صفرا

والصغرى صفيرا وصفيرا هي التي ذهبت به وطلبت الى ابيها ان يستاجره وهي التي
تزوجها وعن ابن عباس رضى الله عنه ان شعيبا عليه السلام احفظته الغيرة فقال وما
علمك بقوته وامانته فذكرت اقلال الحجر ونزع الدلو وانه صوب راسه حتى
بلغته رسالته وامرها بالمشي خلفه وقولها [illegible]
كلام حكيم جامع لا يزاد عليه لانها اذا اجتمعت هاتان الخصلتان اعني الكفاية
والامانة في القائم بامرك فقد فرغ بالك وتم مرادك وقد استغنت بارسال
هذا الكلام الذي سياقه سياق المثل والحكمة ان تقول استاجره لقوته
وامانته فان قلت كيف جعل خير من استاجرت اسما لان والقوي
الامين خبرا قلت هو مثل قوله ٥ الا ان خير الناس حيا وهالكا اسير ثقيف
عندهم في السلاسل ٥ في ان العناية هي سبب التقديم وقد صدقت حتى جعل لها
ما هو احق بان يكون خبرا اسما وورود الفعل بلفظ الماضي للدلالة على انه امر
قد جرب وعرف ومنه قولهم اهون ما اعملت لسان ممح وعن ابن مسعود رضي الله عنه
افرس الناس ثلاثة بنت شعيب وصاحب يوسف في قوله عسى ان ينفعنا وابو بكر
في عمر رضي الله عنهما روي انه انكحه صفورا وقوله [illegible] فيه دليل على انه كانت
له غيرهما [illegible] من اجرته اذا كنت له اجيرا كقولك ابوته اذا كنت له ابا
و [illegible] ظرف او من اجرته كذا اذا اثبته اياه ومنه تعزية رسول الله صلعم
اجركم الله ورحمكم و ثماني حجج مفعول به ومعناه رعيه ثماني حجج فان قلت
كيف صح ان ينكحه احدى ابنتيه من غير تمييز قلت لم يكن ذلك عقد النكاح
ولكن مواعدة ومواضعة امر قد عزم عليه ولو كان عقدا لقال قد انكحتك ولم يقل
اني اريد ان انكحك فان قلت كيف صح ان يمهرها اجارة نفسه في رعية
الغنم ولابد من تسليم ما هو مال الا ترى الى ابي حنيفة رحمه الله كيف منع ان يتزوج
امراة بان يخدمها سنة وجوز ان يتزوجها بان يخدمها عبده سنة او يسكنها
داره سنة لانه في الاول مسلم نفسه وليس بمال وفي الثاني هو مسلم مالا
وهو العبد او الدار قلت الامر على مذهب ابي حنيفة على ما ذكرت واما الشافعي
رضى الله عنه فقد جوز التزوج على الاجارة لبعض الاعمال والخدمة اذا كان المستاجر
له او المخدوم فيه امرا معلوما ولعل ذلك كان جائزا في تلك الشريعة ويجوز
ان يكون المهر شيئا اخر وانما اراد ان يكون راعي غنمه هذه المدة واراد ان
ينكحه ابنته فذكر له المرادين وعلق الانكاح بالرعية على معنى اني افعل
هذا اذا فعلت ذلك على وجه المعاهدة لا على وجه المعاقدة ويجوز ان يستاجره
لرعيه بثماني حجج بمبلغ معلوم ويوفيه اياه ثم ينكحه ابنته به ويجعل قوله
على ان تاجرني ثماني حجج عبارة عما جرى بينهما [illegible] عشر حجج
[illegible] فاتمامه من عندك والمعنى فهو من عندك لا من عندي يعني لا
الزمكه ولا احتمه عليك ولكن ان فعلته فهو منك تفضل وتبرع والا
فلا عليك [illegible] بالزام اتم الاجلين او ايجابه فان قلت
ما حقيقة قولهم شققت عليه وشق عليه الامر قلت حقيقته ان الامر

إذا أتعب طمك وكأنه يشق عليك ظنك بالشيء يقول تارة أطيقه وتارة لا
أطيقه أو من المشاق والمسامحة من نفسه وأنه لا يشق عليه فيما
استأجره له من رعي غنمه ولا يفعل نحو ما يفعل المعاسرون من المسترعين
من المناقشة في مراعاة الأوقات والمداقة في استيفاء الأعمال وتكليف
الرعاة أشغالا خارجة من حد الشرط وهكذا كان الأنبياء عليهم السلام آخذين
بالأسمح في معاملات الناس ومنه الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شريكي
فكان خير شريك لا يداري ولا يشاري ولا يماري وقوله ستجدني إن شاء
الله من الصالحين يدل على ذلك يريد بالصلاح حسن المعاملة ووطاءة
الخلق ولين الجانب ويجوز أن يريد الصلاح على العموم ويدخل تحته حسن
المعاملة والمراد باشتراط مشيئة الله فيما وعد من الصلاح
الاتكال على توفيقه فيه ومعونته لا أنه يستعمل الصلاح إن شاء الله وإن
شاء استعمل خلافه ذلك مبتدأ وبيني وبينك خبره وهو إشارة إلى ما
عاهده عليه شعيب عليه السلام يريد ذلك الذي قلته وعاهدتني فيه وشارطتني
عليه قائم بيننا جميعا لا يخرج كلانا عنه لا أنا عما شرطت علي ولا
أنت عما شرطت على نفسك ثم قال أي أجل قضيت من الأجلين أطولهما
الذي هو العشر أو أقصرهما الذي هو الثماني فلا عدوان علي أي فلا يعتدى
علي في طلب الزيادة عليه فإن قلت تصور العدوان إنما هو في أحد
الأجلين الذي هو الأقصر وهو المطالبة بتتمة العشر فما معنى تعلق
العدوان بهما جميعا قلت معناه كما أني إن طولبت بالزيادة على الثماني
العشر كان عدوانا لا شك فيه فكذلك إن طولبت بالزيادة على الثماني
أراد بذلك تقرير أمر الخيار وأنه ثابت مستقر وأن الأجلين على السواء
إما هذا وإما هذا من غير تفاوت بينهما في القضاء وأما التتمة فموكولة إلى
رأيي إن شئت أتيت بها وإلا لم أجبر عليها وقيل معناه فلا أكون
متعديا وهو في نفي العدوان عن نفسه كقولك لا إثم علي ولا تبعة علي وفي
قراءة ابن مسعود أي الأجلين ما قضيت وقرئ أيما بسكون الياء كقوله
تنظرت نصرا والسماكين أيهما علي من الغيث استهلت مواطره وعن
ابن قطيب عدوان بالكسر فإن قلت ما الفرق بين موقعي ما المزيدة
في القراءتين قلت وقعت في المستفيضة مؤكدة لإبهام أي زائدة في شياعها
وفي الشاذة تأكيدا للقضاء كأنه قال أي الأجلين صممت على قضائه
وجردت عزيمتي له والوكيل الذي وكل إليه الأمر ولما استعمل في معنى
الشاهد والمهيمن والمقيت عدي بعلى لذلك روي أن شعيبا عليه السلام كانت
عنده عصي الأنبياء عليهم السلام فقال لموسى عليه السلام بالليل ادخل ذلك البيت فخذ عصا
من تلك العصي فأخذ عصا هبط بها آدم عليه السلام من الجنة ولم يزل الأنبياء
يتوارثونها حتى وقعت إلى شعيب فمسها وكان مكفوفا فضن بها فقال
غيرها فما وقع في يده إلا هي سبع مرات فعلم أن له شأنا وقيل أخذها جبريل عليه السلام

بعد موت آدم عليه السلام فكانت معه حتى لقي بها موسى ليلا وقيل أودعها ملكا
شعيب في صورة رجل فأمر بنته أن تأتيه بعصا فأتته بها فردها سبع مرات
فلم يقع في يدها غيرها فدفعها إليه ثم تندم لأنها وديعة فتبعه فاختصما
فيها ورضيا أن يحكم بينهما أول طالع فأتاهما الملك فقال ألقياها فمن رفعها
فهي له فعالجها الشيخ فلم يطقها ورفعها موسى عليه السلام وعن الحسن ما كانت إلا
عصا من الشجر اعترضها اعتراضا وعن الكلبي الشجرة التي منها نودي
شجرة العوسج ومنها كانت عصاه ولما أصبح قال له شعيب إذا بلغت مفرق
الطريق فلا تأخذ على يمينك فإن الكلأ وإن كان بها أكثر إلا أن فيها
تنينا أخشاه عليك وعلى الغنم فأخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفها
فمشى على أثرها فإذا عشب وريف لم ير مثله فنام فإذا بالتنين قد أقبل فحاربته
العصا حتى قتلته وعادت إلى جنب موسى دامية فلما أبصرها دامية والتنين
مقتولا ارتاح لذلك ولما رجع إلى شعيب عليه السلام مس الغنم فوجدها ملأى البطون
غزيرة اللبن فأخبره موسى ففرح وعلم أن لموسى والعصا شأنا وقال له إني
وهبت لك من نتاج غنمي هذا العام كل أدرع ودرعاء فأوحي إليه في المنام
أن اضرب بعصاك مستقى الغنم ففعل ثم سقى فما أخطأت واحدة إلا وضعت
أدرع ودرعاء فوفى له بشرطه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الأجلين قضى موسى
فقال أبعدهما وأبطأهما وروي أنه قال قضى أوفاهما وتزوج صغراهما وهذا
خلاف الرواية التي سبقت الجذوة باللغات الثلاث وقرئ بهن جميعا العود
الغليظ كانت في رأسه نار أو لم تكن قال كثير باتت حواطب ليلى
يلتمسن لها جزل الجذا غير خوار ولا دعر وقال والقى على قبس من النار
جذوة شديدا عليه حرها التهابها من الأولى والثانية لابتداء الغاية
أي أتاه النداء من شاطئ الوادي من قبل الشجرة ومن الشجرة بدل من قوله من شاطئ
الوادي بدل الاشتمال لأن الشجرة كانت نابتة على الشاطئ كقوله لجعلنا لمن
يكفر بالرحمن لبيوتهم وقرئ البقعة بالضم والفتح والرهب بفتحتين وضمتين
وفتح وسكون وضم وسكون وهو الخوف فإن قلت ما معنى قوله اضمم
إليك جناحك من الرهب قلت فيه معنيان أحدهما أن موسى عليه السلام لما
قلب الله العصا حية فزع واضطرب فاتقاها بيده كما يفعل الخائف من الشيء
فقيل له إن اتقاءك بيدك فيه غضاضة عند الأعداء فإذا ألقيتها فكما تنقلب
حية فأدخل يدك تحت عضدك مكان اتقائك بها ثم أخرجها بيضاء ليحصل
الأمران اجتناب ما هو غضاضة عليك وإظهار معجزة أخرى والمراد بالجناح
اليد لأن يدي الإنسان بمنزلة جناحي الطائر وإذا أدخل يده اليمنى تحت عضد
يده اليسرى فقد ضم جناحه إليه والثاني أن يراد بضم جناحه إليه تجلده وضبطه
نفسه وتشدده عند انقلاب العصا حية حتى لا يضطرب ولا يرهب استعارة
من فعل الطائر لأنه إذا خاف نشر جناحيه وأرخاهما وإلا فجناحاه مضمومان

الله مشرفان ومنه ما يحكى عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ان كاتبا له كان يكتب بين
يديه فانفلتت منه فلتة ريح فخجل وانكسر فقام وضرب بقلمه الارض فقال
له عمر خذ قلمك واضمم اليك جناحك وليفرخ روعك فاني ما سمعتها من احد
اكثر مما سمعتها من نفسي ومعنى قوله من الرهب من اجل الرهب اي اذا اصابك
الرهب عند رؤية الحية فاضمم اليك جناحك جعل الرهب الذي كان يصيبه
سببا وعلة فيما امر به من ضم جناحه اليه ومعنى واضمم اليك جناحك
وقوله اسلك يدك في جيبك على احد التفسيرين واحد ولكن خولف بين العبارتين
وانما كرر المعنى الواحد لاختلاف الغرضين وذلك ان الغرض في احدهما خروج
اليد بيضاء وفي الثاني اخفاء الرهب فان قلت قد جعل الجناح وهو اليد في
احد الموضعين مضموما وفي الاخر مضموما اليه وذلك قوله واضمم اليك جناحك
وقوله واضمم يدك الى جناحك فما التوفيق بينهما قلت المراد بالجناح المضموم
هو اليد اليمنى وبالمضموم اليه اليد اليسرى وكل واحدة من يمنى اليدين
ويسراهما جناح ومن بدع التفاسير ان الرهب الكم بلغة حمير وانهم يقولون
اعطني مما في رهبك وليت شعري كيف صحته في اللغة وهل سمع من الاثبات
الثقات الذين ترتضى عربيتهم ثم ليت شعري كيف موقعه في الآية وكيف تطبيقه
المفصل كسائر كلمات التنزيل على ان موسى صلوات الله عليه ما كان عليه
ليلة المناجاة الا زرمانقة من صوف لا كمي لها فذانك قرئ مخففا ومشددا
فالمخفف مثنى ذاك والمشدد مثنى ذلك برهانان حجتان بينتان نيرتان
فان قلت لم سميت الحجة برهانا قلت لبياضها وانارتها من قولهم
للمراة البيضاء برهرهة بتكرير العين واللام معا والدليل على زيادة النون
قولهم ابره الرجل اذا جاء بالبرهان ونظيره تسميتهم اياها سلطانا من
السليط وهو الزيت لانارتها يقال ردأته اعنته والردء اسم ما يعان به
فعل بمعنى مفعول به كما ان الدفء اسم لما يدفأ به قال سلامة بن جندل ۝
وردئي كل ابيض مشرفي شحيذ الحد عضب ذي فلول ۝ وقرئ ردا على
التخفيف كما قرئ الخب يصدقني بالرفع والجزم صفة وجواب نحو وليا
يرثني سواء فان قلت تصديق اخيه ما الفائدة فيه قلت ليس الغرض
بتصديقه ان يقول له صدقت او يقول للناس صدق موسى وانما هو ان
يلخص بلسانه الحق ويبسط القول فيه ويجادل به الكفار كما يفعل الرجل المنطيق
ذو العارضة فذلك جار مجرى التصديق المفيد كما يصدق القول بالبرهان
الا ترى الى قوله واخي هارون هو افصح مني لسانا فارسله وفضل الفصاحة
انما يحتاج اليه لذلك لا لقوله صدقت فان سحبان وباقلا يستويان فيه
او يصل جناح كلامه بالبيان حتى يصدقه الذي يخاف تكذيبه فاسند التصديق
الى هرون لانه السبب فيه اسنادا مجازيا ومعنى الاسناد المجازي ان

التصديق حقيقة في المصدق فاسناده اليه حقيقة وليس في السبب تصديق ولكن
استعير له الاسناد لانه لابس التصديق بالتسبب كما لابسه الفاعل
بالمباشرة والدليل على هذا الوجه قوله اني اخاف ان يكذبون وقراءة من قرا
ردا يصدقوني وفيها تقوية للقراءة بجزم يصدقني العضد قوام اليد وبشدتها
تشتد قال طرفة ۝ ابني لبيني لستم بيد الا يدا ليست لها عضد ۝
ويقال في دعاء الخير شد الله عضدك وفي ضده فت الله في عضدك ومعنى
سنشد عضدك باخيك سنقويك به ونعينك فاما ان يكون ذلك لان
اليد تشتد بشدة العضد والجملة تقوى بشدة اليد على مزاولة الامور
واما لان الرجل شبه باليد في اشتدادها باشتداد العضد فجعل كانه
يد مشتدة بعضد شديدة سلطانا غلبة وتسلطا او حجة واضحة باياتنا
متعلق بنحو ما تعلق به في تسع آيات اي اذهبا باياتنا او بنجعل لكما سلطانا
اي نسلطكما باياتنا او بلا يصلون اي تمتنعون منهم باياتنا او هو بيان للغالبون
لا صلة لامتناع تقدم الصلة على الموصول ولو تاخر لم يكن الا صلة له
ويجوز ان يكون قسما جوابه لا يصلون مقدما عليه او من لغو القسم
مفترى سحر تعمله انت ثم تفتريه على الله او سحر ظاهر افتراؤه او موصوف بالافترا
كسائر انواع السحر وليس بمعجزة من عند الله في آبائنا حال منصوبة عن هذا اي
كائنا في زمانهم وايامهم يريد ما حدثنا بكونه فيهم ولا يخلو من ان يكونوا
كاذبين في ذلك وقد سمعوا وعلموا بنحوه او يريدوا انهم لم يسمعوا بمثله
في فظاعته او ما كان الكهان يخبرون بظهور موسى ومجيئه بما جاء به وهذا
دليل على انهم حجوا وبهتوا وما وجدوا ما يدفعون به ما جاءهم من الآيات الا
قولهم هذا سحر وبدعة لم يسمعوا بمثلها يقول ربي اعلم منكم بحال من اهله
الله للفلاح الاعظم حيث جعله نبيا وبعثه بالهدى ووعده حسن العقبى
يعني نفسه ولو كان كما تزعمون كاذبا ساحرا مفتريا لما اهله لذلك
لانه غني حكيم لا يرسل الكاذبين ولا ينبئ الساحرين ولا يفلح عنده الظالمون
عاقبة الدار هي العاقبة المحمودة والدليل عليه قوله عز وعلا اولئك لهم
عقبى الدار جنات عدن وقوله وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار والمراد بالدار
الدنيا وعاقبتها وعقباها ان يختم للعبد بالرحمة والرضوان وتلقي الملائكة
بالبشرى عند الموت فان قلت العاقبة المحمودة والمذمومة كلتاهما
يصح ان تسمى عاقبة الدار لان الدنيا اما ان تكون خاتمتها بخير او بشر
فلم اختصت خاتمتها بالخير بهذه التسمية دون خاتمتها بالشر قلت
قد وضع الله سبحانه الدنيا مجازا الى الآخرة واراد بعباده ان لا يعملوا فيها
الا الخير وما خلقهم الا لاجله ليتلقوا خاتمة الخير وعاقبة الصدق
ومن عمل فيها خلاف ما وضعها الله له فقد حرف فاذن عاقبتها الاصلية
هي عاقبة الخير واما عاقبة السوء فلا اعتداد بها لانها من نتائج تحريف الكفار

وقرأ ابن كثير **قال موسى** بغير واو وعلى ما في مصاحف اهل مكة وهي قراءة حسنة
لان الموضع موضع سؤال وبحث عما اجابهم به موسى عند تسميتهم مثل
تلك الايات الباهرة سحرا مفترى ووجه الاخرى انهم قالوا ذلك وقال
موسى هذا ليوازن الناظر بين القول والمقول ويتبصر فساد احدهما
وصحة الاخر ٥ وبضدها تتبين الاشياء ٥ وقرئ **تكون** بالياء والتاء
روي انه لما امر ببناء الصرح جمع هامان العمال حتى اجتمع خمسون الف
بنّاء سوى الاتباع والاجراء وامر بطبخ الآجر والجص ونجر الخشب وضرب
المسامير فشيدوه حتى بلغ ما لم يبلغه بنيان احد من الخلق فكان الباني
لا يقدر ان يقوم على راسه يبني فبعث الله جبريل عليه السلام عند غروب الشمس
فضربه بجناحه فقطعه ثلث قطع وقعت قطعة على عسكر فرعون فقتلت
الف الف رجل ووقعت قطعة في البحر وقطعة في المغرب ولم يبق احد من
عماله الا قد هلك ويروى في هذه القصة ان فرعون ارتقى فوقه فرمى بنشابة
نحو السما فاراد الله ان يفتنهم فردت اليه وهي ملطوخة بالدم فقال قد قتلت
اله موسى فعندها بعث الله عز وجل جبريل لهدمه والله اعلم بصحته قصد
بنفي علمه باله غيره نفي وجوده معناه ما **لكم من اله غيري** كما قال الله عز وجل
قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض معناه بما ليس فيهن وذلك
لان العلم تابع للمعلوم لا يتعلق به الا على ما هو عليه فاذا كان الشي
معدوما لم يتعلق به موجودا فمن ثم كان انتفا العلم بوجوده لانتفا وجوده
وعبر عن انتفا وجوده بانتفا العلم بوجوده ويجوز ان يكون على ظاهره
وان الها غيره غير معلوم عنده ولكنه مظنون بدليل قوله **واني لاظنه من**
الكاذبين واذا ظن موسى كاذبا في اثباته الها غيره ولم يعلمه كاذبا
فقد ظن ان في الوجود الها غيره ولو لم يكن المخذول ظانا ظنا كاليقين
بل عالما بصحة قول موسى عليه السلام لقول موسى لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب
السموات والارض بصاير لما تكلف ذلك البنيان العظيم ولما تعب في
بنائه ما تعب لعله يطلع بزعمه الى اله موسى وان كان جاهلا مفرط الجهل
به وبصفاته حيث حسب انه في مكان كما كان هو في مكان وانه يطلع اليه
كما كان يطلع اليه اذا كان في عليته وانه ملك السما كما انه ملك الارض
ولا ترى بينة اثبت شهادة على افراط جهله وغباوته وجهله بالله وغباوته
من انه رام ان يبلغ اسباب السموات بصرح يبنيه وليت شعري اكان
يلبس على اهل بلاده ويضحك من عقولهم حيث صادفهم اغبى الناس
واخلاهم من الفطن واشبههم بالبهايم بذلك ام كان بهذه الصفة وان
صح ما حكي من رجوع النشابة اليه ملطوخة بالدم فتهكم به بالفعل كما جا
التهكم بالقول في غير موضع من كتاب الله عز وجل بنظرائه من الكفرة
ويجوز ان يفسر الظن على القول الاول باليقين كقوله ٥ فظنت انهم
ظنوا اني ملاق حسابيه ٥ ويكون بنا الصرح مناقضة لما ادعاه من العلم

واليقين وقد خفيت على قومه لغباوتهم وبلههم او لم تخف عليهم ولكن كلا كان
يخاف على نفسه سوطه وسيفه وانما قال **اوقد لي يا هامان على الطين**
ولم يقل اطبخ لي الآجر واتخذه لانه اول من عمل الآجر فهو يعلمه الصنعة ولان هذه
العبارة احسن طباقا لفصاحة القرآن وعلو طبقته واشبه بكلام
الجبابرة وامر هامان وهو وزيره ورديفه بالايقاد على الطين منادى باسمه
بيا في وسط الكلام دليل التعظم والتجبر وعن عمر رضي الله عنه انه حين سافر
الى الشام وراى القصور المشيدة بالآجر قال ما علمت ان احدا بنى بالآجر غير
فرعون والطلوع والاطلاع الصعود يقال طلع الجبل واطلع بمعنى
الاستكبار بالحق انما هو لله عز وجل وهو المتكبر على الحقيقة اي المتبالغ في
كبريا الشان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حكى عن ربه الكبريا ردائي والعظمة
ازاري فمن نازعني واحدا منهما القيته في النار وكل مستكبر سواه فاستكباره
بغير الحق **يرجعون** بالضم والفتح **فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم** من
الكلام المفخم الذي دل به على عظمة شانه وكبريا سلطانه شبههم استحقارا
لهم واستقلالا لعددهم وان كانوا الكثير الكثر والجم الغفير بحصيات اخذهن
آخذ في كفه فطرحهن في البحر ونحو ذلك قوله وجعلنا فيها رواسي شامخات
وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة وما قدروا الله حق قدره والارض
جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه وما هي الا تصويرات
وتمثيلات لاقتداره وان كل مقدور وان عظم وجل فهو مستصغر الى جنب قدرته
فان قلت ما معنى قوله **وجعلناهم ايمة يدعون الى النار** قلت معناه
ودعوناهم ايمة دعاة الى النار وقلنا انهم ايمة دعاة الى النار كما يدعى خلفا
الحق ايمة دعاة الى الجنة وهو من قولك جعله بخيلا وفاسقا اذا دعاه وقال انه
بخيل وفاسق ويقول اهل اللغة في تفسير بخله وفسقه جعله بخيلا وفاسقا ومنه
قوله عز وعلا وجعلوا الملايكة الذين هم عباد الرحمن اناثا ومعنى دعوتهم الى
النار دعوتهم الى موجباتها من الكفر والمعاصي **ويوم القيمة لا ينصرون**
كما ينصر الايمة الدعاة الى الجنة ويجوز خذلناهم حتى كانوا ايمة الكفر ومعنى
الخذلان منع الالطاف وانما يمنعها من علم انها لا تنفع فيه وهو المصمم على الكفر
الذي لا تغني عنه الايات والنذر ومجراه مجرى الكناية لان منع الالطاف يردف
التصميم والغرض بذكره التصميم نفسه فكانه قيل صمموا على الكفر حتى كانوا
ايمة فيه دعاة اليه والى سوء عاقبته فان قلت واي فايدة في ترك المردوف
الى الرادفة قلت ذكر الرادفة يدل على وجود المردوف فيعلم وجود المردوف
مع الدليل الشاهد بوجوده فيكون اقوى لاثباته من ذكره الا ترى انك تقول لولا
انه مصمم على الكفر مقطوع امره مبتوت حكمه لما منعت منه الالطاف فذكر
منع الالطاف يحصل العلم بوجود التصميم على الكفر وزيادة وهو قيام الحجة
على وجوده وتصبر هذا الوجه قوله ويوم القيمة لا ينصرون كانه قيل خذلناهم
في الدنيا وهم يوم القيمة مخذولون كما قال **واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة** اي

المبعدين
طرداً وإبعاداً عن الرحمة ﴿ويوم القيامة هم من المقبوحين﴾ أي من المطرودين
﴿بصائر﴾ نصب على الحال، والبصيرة نور القلب الذي يستبصر به كما أن البصر
نور العين الذي تبصر به، يريد آتيناه التوراة أنواراً للقلوب لأنها كانت
عمياء لا تستبصر ولا تعرف حقاً من باطل، وإرشاداً لأنهم كانوا يخبطون في ضلال
﴿ورحمة﴾ لأنهم لو عملوا بها وصلوا إلى نيل الرحمة ﴿لعلهم يتذكرون﴾ إرادة
أن يتذكروا، شبهت الإرادة بالترجي فاستعير لها، ويجوز أن يراد به ترجي
موسى عليه السلام لتذكرهم كقوله لعله يتذكر ﴿الغربي﴾ المكان الواقع في شق
الغرب وهو المكان الذي وقع فيه ميقات موسى عليه السلام من الطور وكتب
الله له في الألواح، و﴿الأمر﴾ المقضي إلى موسى الوحي الذي أوحي إليه، والخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول ﴿وما كنت﴾ حاضراً المكان الذي أوحينا فيه ﴿إلى موسى﴾
﴿وما كنت من جملة الشاهدين﴾ للوحي إليه أو على الوحي إليه وهم نقباؤه الذين
اختارهم للميقات حتى تقف من جهة المشاهدة على ما جرى من أمر موسى في
ميقاته وكتبة التوراة له في الألواح وغير ذلك. فإن قلت: كيف يتصل قوله
﴿ولكنا أنشأنا قروناً﴾ بهذا الكلام ومن أي وجه يكون استدراكاً له؟ قلت:
اتصاله به وكونه استدراكاً له من حيث أن معناه ولكنا أنشأنا بعد
عهد الوحي إلى عهدك قروناً كثيرة ﴿فتطاول﴾ على آخرهم وهو القرن الذي
أنت فيه ﴿العمر﴾ أي أمد انقطاع الوحي واندرست العلوم فوجب إرسالك إليهم
فأرسلناك وكسبناك العلم بقصص الأنبياء وقصة موسى كأنه قال: وما كنت
شاهداً لموسى وما جرى عليه ولكنا أوحيناه إليك، فذكر سبب الوحي
الذي هو إطالة الفترة ودل به على المسبب على عادة الله في اختصاراته. فإذن
هذا الاستدراك شبيه الاستدراكين بعده ﴿وما كنت ثاوياً﴾ أي مقيماً ﴿في
أهل مدين﴾ وهم شعيب والمؤمنون به ﴿تتلو عليهم آياتنا﴾ تقرؤها عليهم
تعلماً منهم، يريد الآيات التي فيها قصة شعيب وقومه ﴿ولكنا﴾ أرسلناك
وأخبرناك بها وعلمناكها ﴿إذ نادينا﴾ يريد مناداة موسى عليه السلام ليلة المناجاة
وتكليمه ﴿ولكن﴾ علمناك ﴿رحمة﴾ وقرئ رحمة بالرفع أي هي رحمة ﴿ما أتاهم
من نذير﴾ في زمان الفترة بينك وبين عيسى وهي خمسمائة وخمسون سنة
ونحو قوله لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم. ﴿لولا﴾ الأولى امتناعية وجوابها محذوف
والثانية تحضيضية، وإحدى الفاءين للعطف والأخرى جواب لولا لكونها في
حكم الأمر من قبل أن الأمر باعث على الفعل والباعث والمحضض من وادٍ واحد.
والمعنى ولولا أنهم قائلون إذا عوقبوا بما قدموا من الشرك والمعاصي هلا
﴿أرسلت إلينا رسولاً﴾ محتجين علينا بذلك لما أرسلنا إليهم، يعني أن إرسال
الرسول إليهم إنما هو ليلزموا الحجة ولا يلزموها كقوله لئلا يكون للناس على
الله حجة بعد الرسل، أن يقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير، لولا أرسلت إلينا
رسولاً فنتبع آياتك. فإن قلت: كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت

العقوبة هي السبب في الإرسال لا القول لدخول حرف الامتناع عليها دونه؟
قلت: القول هو المقصود بأن يكون سبباً لإرسال الرسل، ولكن العقوبة لما
كانت هي السبب للقول وكان وجوده بوجودها جعلت العقوبة كأنها سبب
الإرسال بواسطة القول، فأدخلت عليها لولا وجيء بالقول معطوفاً عليها بالفاء
المعطية معنى السببية، ويؤول معناه إلى قولك: ولولا قولهم هذا إذا أصابتهم
مصيبة لما أرسلنا، ولكن اختيرت هذه الطريقة لنكتة وهي أنهم لو لم يعاقبوا
مثلاً على كفرهم وقد عاينوا ما ألجئوا به إلى العلم اليقين لم يقولوا لولا أرسلت
إلينا رسولاً، وإنما السبب في قولهم هذا هو العقاب لا غير، لا التأسف على
ما فاتهم من الإيمان بخالقهم. وفي هذا من الشهادة القوية على استحكام كفرهم
ورسوخه فيهم ما لا يخفى كقوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه. ولما كانت
أكثر الأعمال تزاول بالأيدي جعل كل عمل معبراً عنه باجتراح الأيدي وتقديم
الأيدي وإن كان من أعمال القلوب، وهذا من الاتساع في الكلام وتصيير
الأقل تابعاً للأكثر وتغليب الأكثر على الأقل. ﴿فلما جاءهم الحق﴾ وهو الرسول
المصدق بالكتاب المعجز مع سائر المعجزات وقطعت معاذيرهم وسد طريق
احتجاجهم ﴿قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى﴾ من الكتاب المنزل جملة واحدة
ومن قلب العصا حية وفلق البحر وغيرهما من الآيات، فجاؤوا بالاقتراحات
المبنية على التعنت والعناد كما قالوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك
وما أشبه ذلك ﴿أولم يكفروا﴾ يعني أبناء جنسهم ومن مذهبهم مذهبهم وعنادهم
عنادهم وهم الكفرة في زمن موسى عليه السلام ﴿بما أوتي موسى﴾ وعن الحسن رحمه الله
قد كان للعرب أصل في أيام موسى فمعناه على هذا أو لم يكفر آباؤهم ﴿قالوا﴾
في موسى وهارون عليهما السلام ﴿ساحران تظاهرا﴾ أي تعاونا، وقرئ اظّاهرا على
الإدغام، وسحران بمعنى ذوا سحر أو جعلوهما سحرين مبالغة في وصفهما
بالسحر، أو أرادوا نوعان من السحر ﴿بكل﴾ بكل واحد منهما. فإن قلت: بم
علقت قوله ﴿إنا بكل كافرون﴾ في هذا التفسير؟ قلت: بأولم يكفروا، ولي أن أعلقه بأدنى
تقليب المعنى إلى أن أهل مكة الذين قالوا هذه المقالة كما كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم
وبالقرآن فقد كفروا بموسى عليه السلام وبالتوراة، وقالوا في موسى ومحمد ساحران
تظاهرا، أو في الكتابين سحران تظاهرا، وذلك حين بعثوا الرهط إلى رؤساء
اليهود بالمدينة يسألونهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فأخبروهم أنه نعته وصفته وأنه
في كتابهم، فرجع الرهط إلى قريش فأخبروهم بقول اليهود، فقالوا عند ذلك
ساحران تظاهرا ﴿من عند الله هو أهدى منهما﴾ مما أنزل على موسى ومما أنزل على محمد
هذا الشرط من نحو ما ذكرت أنه شرط المدل بالأمر المتحقق لصحته، لأن
امتناع الإتيان بكتاب أهدى من الكتابين أمر معلوم متحقق لا مجال
فيه للشك، ويجوز أن يقصد بحرف الشرط التهكم بهم. فإن قلت: ما
الفرق بين فعل الاستجابة في الآية وبينه في قوله ﴿فلم يستجبه عند ذاك﴾

حيث عدي بغير اللام قلت هذا الفعل يتعدى الى الدعا بنفسه والى الداعي
باللام ويحذف الدعا اذا عدي الى الداعي في الغالب فيقال استجاب الله دعاءه
او استجاب له ولا يكاد يقال استجاب له دعاءه واما البيت فمعناه فلم يستجب
دعاءه على حذف المضاف فان قلت فالاستجابة تقتضي دعا ولا دعا
هاهنا قلت قوله فاتوا بكتاب امر بالاتيان والامر بعث على الفعل ودعا
اليه فكانه قال فان لم يستجيبوا دعاك الى الاتيان بالكتاب الاهدى فاعلم
انهم قد الزموا الحجة ولم يبق لهم شيء الا اتباع الهوى ثم قال ومن اضل ممن
لا يتبع في دينه الا الهواه بغير هدى من الله اي مطبوعا على قلبه ممنوع
الالطاف ان الله لا يهدي اي لا يلطف بالقوم الثابتين على الظلم الذين
اللاطف بهم عابث وقوله بغير هدى في موضع الحال يعني مخذولا مخلى بينه
وبين هواه قرئ وصلنا بالتشديد والتخفيف والمعنى ان القران اتاهم
متتابعا متواصلا وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا ومواعظ ونصائح ارادة
ان يتذكروا فيفلحوا او نزل عليهم نزولا متصلا بعضه في اثر بعض كقوله
وما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين نزلت في
مومني اهل الكتاب وعن رفاعة بن قرظة رضي الله عنه نزلت في عشرة
انا احدهم وقيل في اربعين من مسلمي اهل الانجيل اثنان وثلاثون جاءوا
مع جعفر من ارض الحبشة وثمانية من الشام والضمير في من قبله للقران
فان قلت اي فرق بين الاستينافين انه وانا قلت الاول تعليل للايمان
به لان كونه حقا من الله حقيق بان يؤمن به والثاني بيان لقوله امنا به
لانه يحتمل ان يكون ايمانا قريب العهد وبعيده فاخبروا ان ايمانهم به
متقادم لان اباءهم القدما قرؤوا في الكتب الاول ذكره وابناءهم من بعدهم
كائنين على دين الاسلام لان
من قبله من قبل وجوده ونزوله مسلمين
الاسلام صفة كل موحد مصدق للوحي بما صبروا بصبرهم على الايمان
بالتوراة والايمان بالقران او بصبرهم على الايمان بالقران قبل نزوله وبعد
نزوله او بصبرهم على اذى المشركين واهل الكتاب ونحوه يؤتكم كفلين
من رحمته بالحسنة السيئة بالطاعة المعصية المتقدمة او بالحلم الاذى
سلام عليكم توديع ومتاركة وعن الحسن كلمة حلم من المومنين لا نبتغي
الجاهلين لا نريد مخالطتهم وصحبتهم فان قلت من خاطبوا بقولهم ولكم
اعمالكم قلت اللاغين الذين دل عليهم قوله واذا سمعوا اللغو لا تهدي من
احببت لا تقدر ان تدخل في دين الاسلام كل من احببت ان يدخل فيه من قومك
وغيرهم لانك عبد لا تعلم المطبوع على قلبه من غيره ولكن الله يدخل في
الاسلام من يشا وهو الذي علم انه غير مطبوع على قلبه وان الالطاف
تنفع فيه فيقرن به الطافه حتى يدعوه الى القبول وهو اعلم بالمهتدين
بالقابلين من الذين لا يقبلون قال الزجاج اجمع المسلمون انها نزلت في

ابى طالب

ابى طالب وذلك ان ابا طالب قال عند موته يا معشر بني هاشم اطيعوا محمدا
وصدقوه تفلحوا وترشدوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا عم تامرهم بالنصيحة لانفسهم
وتدعها لنفسك قال فما تريد يا ابن اخي قال اريد منك كلمة واحدة فانك
في اخر يوم من ايام الدنيا ان تقول لا اله الا الله اشهد لك بها عند الله
قال يا ابن اخي قد علمت انك لصادق ولكني اكره ان يقال جزع عند الموت
ولولا ان تكون عليك وعلى بني ابيك غضاضة ومسبة بعدي لقلتها
ولاقررت بها عينك عند الفراق لما ارى من شدة وجدك ونصيحتك ولكني
سوف اموت على ملة الاشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف قالت
قريش وقيل القائل الحرث بن عثمن بن نوفل بن عبد مناف نحن نعلم انك على
الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب بذلك وانما نحن اكلة راس
اي قليلون ان يتخطفونا من ارضنا فالقمهم الله الحجر بانه مكن لهم في
الحرم الذي امنه بحرمة البيت وامن قطانه بحرمته وكانت العرب في الجا
هلية حولهم يتغاورون ويتناحرون وهم امنون في حرمهم لا يخافون
وبحرمة البيت هم قارون بواد غير ذي زرع والثمرات والارزاق تجبى اليهم
من كل اوب فاذا خولهم الله ما خولهم من الامن والرزق بحرمة البيت
وحدها وهم كفرة عبدة اصنام فكيف يستقيم ان يعرضهم للتخوف و
التخطف ويسلبهم الامن اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة الاسلام واسناد
الامن الى اهل الحرم حقيقة والى الحرم مجاز تجبى تجلب وتجمع وقرئ
بالتاء والياء وقرئ تجنى بالنون من الجنى وتعديته بالى كقولك يجنى الى فيه
ويجنى الى الخافة ثمرات بضمتين وبضمة وسكون ومعنى الكلية الكثرة كقولك
كقوله واوتيت من كل شيء ولكن اكثرهم لا يعلمون متعلق بقوله من لدنا
اي قليل منهم يقرون بان ذلك رزق من عند الله واكثرهم جهلة لا يعلمون
ذلك ولا يفطنون له ولو علموا انه من عند الله لعلموا ان الخوف والامن من
عنده ولما خافوا التخطف اذا امنوا به وخلعوا انداده فان قلت بم انتصب
رزقا قلت ان جعلته مصدرا جاز ان ينتصب بمعنى ما قبله لان معنى تجبى
اليه ثمرات كل شيء ويرزق ثمرات كل شيء واحد وان يكون مفعولا له وان
جعلته بمعنى مرزوق كان حالا من الثمرات لتخصصها بالاضافة كما تنتصب عن
النكرة المتخصصة بالصفة هذا تخويف لاهل مكة من سوء
عاقبة قوم كانوا في مثل حالهم من انعام الله عليهم بالرقود في ظلال الامن
وخفض العيش فغمطوا النعمة وقابلوها بالاشر والبطر فدمرهم الله وخرب
ديارهم وانتصب معيشتها اما بحذف الجار وايصال الفعل كقوله واختار
موسى قومه واما على الظرف بنفسها كقولك زيد ظني مقيم او بتقدير حذف
الزمان المضاف اصله بطرت ايام معيشتها كخفوق النجم ومقدم الحاج
واما بتضمين بطرت معنى كفرت وغمطت وقيل البطر سوء احتمال الغنى وهو

بطرتم

ان لا يحفظها الله سبحانه منه الا قليلا من السكنى قال ابن عباس رضي الله عنه
لم يسكنها الا المسافر ومار الطريق يوما او ساعة ويحتمل ان شؤم معاصي
المهلكين بقي اثره في ديارهم فكل من سكنها من اعقابهم لم يبق فيها
الا قليلا وكنا نحن الوارثين لتلك المساكن من ساكنيها اي تركناها
على حال لا يسكنها احد وخربناها وسويناها بالارض قال ٥ تتخلف
الاثار عن اصحابها حينا ويدركها الفناء فيتبع ٥ وما كانت عادة
ربك ان يهلك القرى في كل وقت حتى يبعث في القرية التي هي امها اي
اصلها وقصبتها التي هي اعمالها وتوابعها رسولا لالزام الحجة وقطع المعذرة
مع علمه انهم لا يؤمنون او وما كان في حكم الله وسابق قضائه ان يهلك
القرى في الارض حتى يبعث في ام القرى يعني مكة رسولا وهو محمد صلعم
خاتم الانبياء وقرئ امها بضم الهمزة وكسرها لاتباع الجر وهذا بيان لعدله
وتقدسه عن الظلم حيث اخبر بانه لا يهلكهم الا اذا استحقوا الاهلاك
بظلمهم ولا يهلكهم مع كونهم ظالمين الا بعد تاكيد الحجة والالزام ببعثة
الرسل ولا يجعل علمه باحوالهم حجة عليهم ونزه ذاته ان يهلكهم وهم
غير ظالمين كما قال وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون فنص
في قوله بظلم انه لو اهلكهم وهم مصلحون لكان ذلك ظلما منه وان حاله
في غناه وحكمته منافية للظلم دل على ذلك بحرف النفي مع لامه كما قال وما
كان الله ليضيع ايمانكم واي شيء اصبتموه من اسباب الدنيا فما هو
الا تمتع وزينة ايام قلائل وهي مدة الحياة المتقضية وما عند الله وهو
ثوابه خير في نفسه من ذلك وابقى لان بقاءه دائم سرمد افلا تعقلون بالياء
وهو ابلغ في الموعظة وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الله خلق الدنيا وجعل
اهلها ثلاثة اصناف المؤمن والمنافق والكافر فالمؤمن يتزود والمنافق
يتزين والكافر يتمتع هذه الاية تقرير وايضاح للتي قبلها والوعد الحسن
الثواب لانه منافع دائمة على وجه التعظيم والاستحقاق واي شيء احسن
منها ولذلك سمى الله الجنة بالحسنى ولاقيه كقوله ولقاهم نضرة وسرورا
وعكسه فسوف يلقون غيا من المحضرين من الذين احضروا النار ونحوه
لكنت من المحضرين فكذبوه فانهم لمحضرون قيل نزلت في رسول الله صلعم
وابي جهل لعنه الله وقيل في علي وحمزة رضي الله عنهما وابي جهل لعنه الله وقيل
في عمار بن ياسر رضي الله عنه والوليد بن المغيرة فان قلت فسر لي الفاءين
وثم واخبرني عن مواقعهما قلت قد ذكر في الاية التي قبلها متاع الحيوة
الدنيا وما عند الله وتفاوتهما ثم عقبه بقوله افمن وعدناه على معنى ابعد
هذا التفاوت الظاهر يسوى بين ابناء الاخرة وابناء الدنيا فهذا معنى الفاء
الاولى وبيان موقعها واما الثانية فللتسبيب لان لقاء الموعود مسبب عن
الوعد الذي هو الضمان في الخبر واما ثم فلتراخي حال الاحضار عن حال

التمتع لا للتراخي في الوقت وقرئ ثم هو بسكون الهاء كما قيل عضْد في
عضُد تشبيها المنفصل بالمتصل وسكون الهاء في فهو وهو ولهو احسن
لان الحرف الواحد لا ينطق به وحده فهو كالمتصل شركاي مبني على زعمهم
وفيه تهكم فان قلت زعم يطلب مفعولين كقوله ولم ازعمك عن
ذاك معزلا فاين هما قلت محذوفان تقديره الذين كنتم تزعمونهم شركاي
ويجوز حذف المفعولين في باب ظننت ولا يصح الاقتصار على احدهما الذين حق
عليهم القول الشياطين وائمة الكفر ورؤوسه ومعنى حق عليهم القول وجب
عليهم مقتضاه وثبت وهو قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين و
هؤلاء مبتدا والذين اغوينا صفته والراجع الى الموصول محذوف واغويناهم
الخبر والكاف صفة مصدر محذوف تقديره اغويناهم فغووا مثل ما غوينا
يعنون انا لم نغو الا باختيارنا لا ان فوقنا مغوين اغوونا بقسر منهم
والجاء او دعونا الى الغي وسولوه لنا فهؤلاء كذلك غووا باختيارهم لان
اغواءنا لهم لم يكن الا وسوسة وتسويلا لا قسرا والجاء فلا فرق اذن
بين غينا وغيهم وان كان تسويلنا داعيا لهم الى الكفر فقد كان في مقابلته
دعاء الله لهم الى الايمان بما وضع فيهم من ادلة العقل وما بعث اليهم من
الرسل وانزل عليهم من الكتب المشحونة بالوعد والوعيد والمواعظ
والزواجر وناهيك بذلك صارفا عن الكفر وداعيا الى الايمان وهذا معنى
ما حكاه الله عز وجل عن الشيطان ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم
فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا
تلوموني ولوموا انفسكم والله عز وجل قدم هذا المعنى اول شيء حيث قال
لابليس ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين
تبرانا اليك منهم ومما اختاروه من الكفر بانفسهم هوى منهم للباطل
ومقتا للحق لا بقوة منا على استكراههم ولا سلطان ما كانوا ايانا يعبدون
انما كانوا يعبدون اهواءهم ويطيعون شهواتهم واخلاء الجملتين من
العاطف لكونهما مقررتين لمعنى الجملة الاولى لو انهم كانوا يهتدون لوجه
من وجوه الحيل يدفعون به العذاب او لو انهم كانوا مهتدين مؤمنين لما
راوه او تمنوا لو كانوا مهتدين او تحيروا عند رؤيته العذاب وسدروا
فلا يهتدون طريقا حكى اولا ما يوبخهم به من اتخاذهم له شركاء ثم ما يقوله
الشياطين او ائمتهم عند توبيخهم لانهم اذا وبخوا بعبادة الالهة اعتذروا
بان الشياطين هم الذين استغووهم وزينوا لهم عبادتها ثم ما يشبه الشماتة
بهم من استغاثتهم آلهتهم وخذلانهم لهم وعجزهم عن نصرتهم
ثم ما يبكتون به من الاحتجاج عليهم بارسال الرسل وازاحة العلل
فعميت عليهم الانباء فصارت الانباء كالعمى عليهم جميعا لا تهتدي اليهم فهم لا
يتساءلون لا يسال بعضهم بعضا كما يتساءل الناس في المشكلات لانهم يتساوون

جميعا فعميت عليهم الأنباء والعجز عن الجواب وقرئ فعمّيت والمراد بالنبأ الخبر عما
ما أجاب به المرسل إليه رسوله وإذا كانت الأنبياء لهول ذلك اليوم يتتعتعون
في الجواب عن مثل هذا السؤال ويفوضون الأمر إلى علم الله وذلك قوله تعالى
يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب
فما ظنك بالضلال من أممهم فأما من تاب من المشركين من الشرك وجمع
وجمع بين الإيمان والعمل الصالح فعسى أن يفلح وعسى من الكرام
تحقيق ويجوز أن يراد ترجي التائب وطمعه كأنه قال فليطمع أن يفلح الخيرة
من التخير كالطيرة من التطير تستعمل بمعنى المصدر وهو التخير وبمعنى المتخير
كقولهم محمد خيرة الله من خلقه ما كان لهم الخيرة بيان لقوله ويختار
لأن معناه ويختار ما يشاء ولهذا لم يدخل العاطف والمعنى أن الخيرة لله في
أفعاله وهو أعلم بوجوه الحكمة فيها ليس لأحد من خلقه أن يختار عليه قيل
السبب فيه قول الوليد بن المغيرة لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين
عظيم يعني لا يبعث الله الرسل باختيار المرسل إليهم وقيل معناه ويختار
الذي لهم فيه الخيرة أي يختار للعباد ما هو خير لهم وأصلح وهو أعلم
بمصالحهم من أنفسهم من قولهم في الأمرين ليس فيهما خيرة لمختار فإن
قلت فأين الراجع من الصلة إلى الموصول إذا جعلت ما موصولة قلت
أصل الكلام ما كان لهم فيه الخيرة فحذف فيه كما حذف منه في قوله إن ذلك
لمن عزم الأمور لأنه مفهوم سبحان الله أي الله بريء من إشراكهم ومما
يحملهم عليه من الجرأة على الله واختيارهم عليه ما لا اختيار لهم ما تكن صدورهم
من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسده وما يعلنون من مطاعنهم وقولهم
هلا اختير عليه غيره في النبوة وهو الله وهو المستأثر بالإلهية المختص بها
ولا إله إلا هو تقرير لذلك كقولك الكعبة القبلة لا قبلة إلا هي فإن قلت
الحمد في الدنيا ظاهر فما الحمد في الآخرة قلت هو قولهم الحمد لله الذي أذهب
عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده وقيل الحمد لله رب العالمين والتحميد
هناك على وجه اللذة لا الكلفة وفي الحديث يلهمون التسبيح والتقديس
وله الحكم القضاء بين عباده أرأيتم وقرئ أرأيتم بحذف الهمزة وليس بحذف قياسي
ومعناه أخبروني من يقدر على هذا والسرمد الدائم المتصل من السرد وهو
المتابعة ومنه قولهم في الأشهر الحرم ثلاثة سرد وواحد فرد والميم مزيدة
ووزنه فعمل ونظيره دلامص من الدلاص فإن قلت هلا قيل بنهار تتصرفون
فيه كما قيل بليل تسكنون فيه قلت ذكر الضياء وهو ضوء الشمس لأن
المنافع التي تتعلق بها متكاثرة ليس التصرف في المعاش وحده والظلام ليس
بتلك المنزلة ومن ثم قرن بالضياء أفلا تسمعون لأن السمع يدرك ما لا يدركه
البصر من ذكر منافعه ووصف فوائده وقرن بالليل أفلا تبصرون لأن
غيرك يبصر من منفعة الظلام ما تبصره أنت من السكون ونحوه ومن رحمته

زاوج بين الليل والنهار لأغراض ثلاثة لتسكنوا في أحدهما وهو الليل ولتبتغوا
من فضل الله في الآخر وهو النهار ولإرادة شكركم وقد سلكت بهذه الآية
طريقة اللف في تكرير التوبيخ باتخاذ الشركاء إيذان بأن لا شيء أجلب لغضب الله
من الإشراك به كما لا شيء أدخل في مرضاته من التوحيد اللهم فكما أدخلتنا
في أهل توحيدك فأدخلنا في الناجين من وعيدك ونزعنا وأخرجنا من كل أمة
شهيدا وهو نبيهم لأن أنبياء الأمم شهداء عليهم يشهدون بما كانوا
عليه فقلنا للأمة هاتوا برهانكم فيما كنتم عليه من الشرك ومخالفة
الرسول فعلموا حينئذ أن الحق لله ولرسله لا لهم ولشياطينهم وضل وغاب
عنهم غيبة الشيء الضائع ما كانوا يفترون من الباطل والكذب قارون اسم
أعجمي مثل هارون ولم ينصرف للعجمة والتعريف ولو كان فاعولا من قرن لانصرف
فإن قلت ما معنى كونه من قوم موسى قلت كان إسرائيليا ابن عم لموسى عليه السلام
هو قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وموسى بن عمران بن قاهث
وقيل كان موسى عليه السلام ابن أخيه وكان يسمى المنور لحسن صورته وكان أقرأ بني
إسرائيل للتوراة ولكنه نافق كما نافق السامري وقال إذا كانت النبوة لموسى
والمذبح والقربان إلى هرون فما لي وروي أنه لما جاوز بهم موسى عليه السلام البحر وصارت
الرسالة لموسى والحبورة لهرون يقرب القربان ويكون رأسا فيهم وكان القربان
إلى موسى عليه السلام فجعله موسى عليه السلام إلى أخيه وجد قارون في نفسه وحسدهما فقال
لموسى عليه السلام الأمر لكما ولست على شيء إلى متى أصبر فقال موسى عليه السلام هذا صنع
الله قال والله لا أصدقك حتى تأتي بآية فأمر رؤساء بني إسرائيل أن يجيء كل
واحد منهم بعصاه فحزمها وألقاها في القبة التي كان الوحي ينزل عليه فيها وكانوا
يحرسون عصيهم بالليل فأصبحوا وإذا بعصا هرون تهتز ولها ورق أخضر وكانت
من شجر اللوز فقال قارون ما هو بأعجب مما تصنع من السحر
من البغي وهو الظلم قيل ملكه فرعون على بني إسرائيل فظلمهم وقيل من البغي
وهو الكبر والبذخ تبذخ عليهم بكثرة ماله وولده وقيل زاد عليهم في
الثياب شبرا المفاتح جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به وقيل هي الخزائن وقياس
واحدها مفتح بالفتح ويقال ناء به الحمل إذا أثقله حتى أماله والعصبة الجماعة
الكثيرة والعصابة مثلها واعصوصبوا اجتمعوا وقيل كانت تحمل
مفاتيح خزائنه ستون بغلا لكل خزانة مفتاح ولا يزيد المفتاح على إصبع وكانت
من جلود قال أبو رزين يكفي الكوفة مفتاح وقد بولغ في ذكر ذلك بلفظ الكنوز
والمفاتح والنوء والعصبة وأولي القوة وقرأ بديل بن ميسرة لينوء بالياء ووجهه
أن تفسر المفاتح بالخزائن وتعطيها حكم ما أضيفت إليه للملابسة والاتصال
كقولك ذهبت أهل اليمامة ومحل إذ منصوب بتنوء كقوله ولا تفرحوا بما
آتاكم وقول القائل ۝ ولست بمفراح إذا الدهر سرني ۝ وذلك أنه لا يفرح بالدنيا
إلا من رضي بها واطمأن إليها وأما من قلبه إلى الآخرة ويعلم أنه مفارق ما

هو فيه عن قريب لم تحدثه نفسه بالفرح وما احسن ما قال القائل وهو ابو الطيب
المتنبي اشد الغم عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا واتبع فيما
اتاك الله من الغنى والثروة الدار الاخرة بان تفعل فيه افعال الخير من
اصناف الواجب والمندوب وتجعله زادك الى الاخرة ولا تنس نصيبك وهو
ان تاخذ منه ما يكفيك ويصلحك واحسن الى عباد الله كما احسن الله اليك او احسن
بشكرك وطاعتك لله كما احسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض ما كان
عليه من الظلم والبغي وقيل ان القائل موسى عليه السلام وقرئ واتبع على علم اى على استحقاق
واستيجاب لما في من العلم الذي فضلت به على الناس وذلك انه كان اعلم
بني اسرائيل بالتوراة وقيل هو علم الكيميا عن سعيد بن المسيب كان موسى علم
يعلم علم الكيميا فافاد يوشع بن نون ثلثه وكالب بن يوفنا ثلثه وقارون
ثلثه فخدعهما قارون حتى اضاف علمهما الى علمه فكان ياخذ الرصاص والنحاس
فيجعلهما ذهبا وقيل علم الله عز وجل موسى علم الكيميا فعلمه موسى اخته
فعلمته اخته قارون وقيل هو بصره بانواع التجارات والدهقنة وساير
المكاسب وقيل عندي معناه في ظني كما يقول الامر عندي كذا كانه
قال انما اوتيته على علم كقوله ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما اوتيته على
علم ثم اراد اى هو في ظني ورايي هكذا تجوز ان يكون اثباتا لعلمه
بان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اقوى منه واغنى لانه
قد قراه في التوراة واخبره به موسى وسمعه من حفاظ التواريخ والايام
كانه قيل اولم يعلم في جملة ما عنده من العلم هذا حتى لا يغتر بكثرة ماله
وقوته ويجوز ان يكون نفيا لعلمه بذلك لانه لما قال اوتيته على علم عندي
فتنفج بالعلم وتعظم به قيل اعنده مثل ذلك العلم الذي ادعاه وراى نفسه
به مستوجبة لكل نعمة ولم يعلم هذا العلم النافع حتى يقي به نفسه مصارع
الهالكين واكثر جمعا للمال او اكثر جماعة وعددا فان قلت ما وجه
اتصال قوله ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون بما قبله قلت لما ذكر قارون
من اهلك من قبله من القرون الذين كانوا اقوى منه واغنى قال على سبيل
التهديد له والله مطلع على ذنوب المجرمين لا يحتاج الى سؤالهم عنها
واستعلامهم وهو قادر على ان يعاقبهم عليها كقوله والله خبير بما تعملون
والله بما تعملون عليم وما اشبه ذلك في زينته قال الحسن في الحمرة والصفرة
وقيل خرج على بغلة شهباء عليه الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه
اربعة الاف على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الاحمر وعن يمينه ثلثمائة
غلام وعن يساره ثلثمائة جارية بيض عليهن الحلي والديباج وقيل في تسعين
الفا عليهم المعصفرات وهو اول يوم رئي فيه المعصفر كان المتمنون
قوما مسلمين وانما تمنوا على سبيل الرغبة في اليسار والاستغنا كما هو
عادة البشر وعن قتادة تمنوه ليتقربوا به الى الله وينفقوه في سبل الخير

وقيل كانوا قوما كفارا الغابط هو الذي يتمنى مثل نعمة صاحبه من غير ان تزول
عنه والحاسد هو الذي يتمنى ان تكون نعمة صاحبه له دونه فمن الغبطة قوله تعالى
يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون ومن الحسد قوله ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم
على بعض وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل يضر الغبط فقال لا الا كما يضر
العضاه الخبط الحظ الجد وهو البخت والدولة وصفوه بانه رجل مجدود
مبخوت يقال فلان ذو حظ وحظيظ ومحظوظ وما الدنيا الا احاظ وجدود
ويلك اصله الدعا بالهلاك ثم استعمل في الزجر والردع والبعث على ترك
ما لا يرتضى كما استعمل لا اباك واصله الدعا على الرجل بالاقراف في الحث
والراجع في ولا يلقاها للكلمة التي تكلم بها العلماء او للثواب لانه في معنى المثوبة
والجنة او للسيرة والطريقة وهي الايمان والعمل الصالح الصابرون على
الطاعات وعن الشهوات وعلى ما قسم الله من القليل عن الكثير كان
قارون يؤذي نبي الله موسى صلى الله عليه وسلم كل وقت وهو يداريه للقرابة التي
بينهما حتى نزلت الزكوة فصالحه عن كل الف دينار على دينار وعن كل الف درهم
على درهم فحسبه فاستكثره فشحت به نفسه فجمع بني اسرائيل وقال ان موسى
اراد كم على كل شي وهو يريد ان ياخذ اموالكم فقالوا انت كبيرنا وسيدنا
فمر بما شئت قال نبرطل فلانة البغي حتى ترميه بنفسها فيرفضه بنو اسرائيل
فجعل لها الف دينار وقيل طستا من ذهب وقيل طستا من ذهب مملوة ذهبا
وقيل حكمها فلما كان يوم عيد قام موسى فقال يا بني اسرائيل من سرق
قطعناه ومن افترى جلدناه ومن زنى وهو غير محصن جلدناه وان احصن
رجمناه فقال قارون وان كنت انت قال وان كنت انا قال فان بني اسرائيل
يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها موسى بالذي فلق البحر وانزل
التوراة ان تصدق فتداركها الله سبحانه فقالت كذبوا بل جعل لي قارون
جعلا على ان اقذفك بنفسي فخر موسى ساجدا يبكي وقال يا رب ان كنت رسولك
فاغضب لي فاوحى الله اليه ان مر الارض بما شئت فانها مطيعة لك فقال
يا بني اسرائيل ان الله بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون فمن كان معه فليلزم
مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا جميعا غير رجلين ثم قال يا ارض خذيهم
فاخذتهم الى الركب ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاوساط ثم قال خذيهم فاخذتهم
الى الاعناق وقارون واصحابه يتضرعون الى موسى عليه السلام ويناشدونه بالله
والرحم وموسى لا يلتفت اليهم لشدة غضبه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم واوحى الله
الى موسى عليه السلام ما افظك استغاثوا بك مرارا فلم ترحمهم اما وعزتي لو اياي دعوا
مرة واحدة لوجدوني قريبا مجيبا فاصبحت بنو اسرائيل يتناجون بينهم انما
دعا موسى على قارون ليستبد بداره وكنوزه فدعا الله تعالى حتى خسف بداره
وامواله من المنتصرين من المنتقمين من موسى او من الممتنعين من عذاب الله
عز وجل يقال نصره من عدوه فانتصر اى منعه منه فامتنع قد يذكر

الامس ولا يراد به اليوم الذي قبل يومك ولكن الوقت المستقرب على سبيل
الاستعارة مكانه منزلته من الدنيا وي مفصولة عن كان وهي كلمة
تنبه على الخطأ وتندم ومعناه ان القوم قد تنبهوا على خطئهم في تمنيهم
وقولهم يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون وتندموا ثم قالوا كانه لا يفلح الكافرون
اي ما اشبه الحال بان الكافرين لا ينالون الفلاح وهو مذهب الخليل وسيبويه
قال ٥ وي كأن من يكن له نشب يحبب ومن يفتقر يعش عيش ضر ٥
وحكى الفراء ان اعرابية قالت لزوجها اين ابنك فقال ويكانه وراء البيت
وعند الكوفيين ان ويك بمعنى ويلك وان المعنى الم تعلم انه لا يفلح
الكافرون ويجوز ان تكون الكاف كاف الخطاب مضمومة الى وي كقوله ٥
ويك عنتر اقدم ٥ وانه بمعنى لانه واللام لبيان المقول له لاجل هذا
القول او لانه لا يفلح الكافرون كان ذلك وهو الخسف بقارون ومن
الناس من يقف على وي ويبتدئ كانه ومنهم من يقف على ويك وقرأ
الاعمش لولا من الله علينا وقرئ لخسف بنا وفيه ضمير الله عز وجل
ولانخسف بنا كقولك انقطع به ولتخسف بنا تلك تعظيم لها وتفخيم
لشأنها اي تلك التي سمعت بذكرها وبلغك وصفها ولم يعلق الموعد
بترك العلو والفساد ولكن بترك ارادتهما وميل القلوب اليهما كما قال ولا تركنوا
الى الذين ظلموا فعلق الوعيد بالركون وعن علي رضي الله عنه ان الرجل ليعجبه
ان يكون شراك نعله اجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها وعن
الفضيل رضي الله عنه انه قرأها ثم قال ذهبت الاماني ههنا وعن عمر بن
عبد العزيز رضي الله عنه انه كان يرددها حتى قبض ومن الطماع من
يجعل العلو لفرعون والفساد لقارون متعلقا بقوله ان فرعون علا في
الارض ولا تبغ الفساد في الارض ويقول من لم يكن مثل فرعون وقارون
فله تلك الدار الاخرة ولا يتدبر قوله والعاقبة للمتقين كما تدبره علي
والفضيل وعمر رضي الله عنهم معناه فلا يجزون فوضع الذين عملوا السيئات
موضع الضمير لان في اسناد عمل السيئة اليهم مكررا فضل تهجين لحالهم
وزيادة تبغيض للسيئة الى قلوب السامعين الا ما كانوا يعملون الا مثل
ما كانوا يعملون وهذا من فضله العظيم وكرمه الواسع ان لا يجزي
السيئة الا بمثلها ويجزي الحسنة بعشر امثالها وبسبعمائة وهو معنى
قوله فلا يجزى الا مثلها فرض عليك القرآن اوجب عليك تلاوته وتبليغه
والعمل بما فيه يعني ان الذي حملك على صعوبة هذا التكليف لمثيبك
عليها ثوابا لا تحيط به الوصف ولرادك بعد الموت الى معاد اي معاد واي
معاد ليس لغيرك من البشر وتنكير المعاد لذلك وقيل المراد به مكة
ووجهه ان يراد رده اليها يوم الفتح ووجه تنكيره انها كانت في ذلك اليوم

معاد له شأن ومرجع له اعتداد لغلبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها وقهره
لاهلها ولظهور عز الاسلام واهله وذل الشرك وحزبه والسورة
مكية فكان الله عز وجل وعده وهو بمكة في اذى وغلبة من اهلها انه
يهاجر به منها ويعيده اليها ظاهرا ظافرا وقيل نزلت عليه حين بلغ
الجحفة في مهاجره وقد اشتاق الى مولده ومولد ابائه وحرم ابراهيم عليه السلام فنزل
جبريل عليه السلام فقال له اتشتاق الى مكة قال نعم فاوحاها اليه فان قلت
كيف اتصل قوله قل ربي اعلم بما قبله قلت لما وعد رسوله الرد
قال قل للمشركين ربي اعلم من جاء بالهدى يعني نفسه وما يستحقه من
الثواب في معاده ومن هو في ضلال مبين يعنيهم وما يستحقونه من العقاب
في معادهم فان قلت قوله الا رحمة من ربك ما وجه الاستثناء
قلت هذا كلام محمول على المعنى كانه قيل وما القي عليك الكتاب الا
رحمة من ربك ويجوز ان يكون الا بمعنى لكن للاستدراك اي ولكن لرحمة
من ربك القي عليك وقرئ يصدنك من اصده بمعنى صده وهي في لغة
كلب قال ٥ اناس اصدوا الناس بالسيف عنهم صدود السواقي عن انوف الحوائم ٥
بعد اذ انزلت اليك بعد وقت انزاله واذ تضاف اليه اسماء الزمان كقولك
حينئذ وليلتئذ ويومئذ وما اشبه ذلك والنهي عن مظاهرة الكافرين
ونحو ذلك من باب التهييج الذي سبق ذكره الا وجهه الا اياه والوجه
يعبر به عن الذات ٥ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة طسم
القصص كان له من الاجر بعدد من صدق موسى وكذب به ولم يبق ملك
في السموات والارض الا شهد له يوم القيمة انه كان صادقا ان كل شيء
هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون ٥

سورة العنكبوت

مكية وهي تسع وستون اية بسم الله الرحمن الرحيم
الحسبان لا يصح تعليقه بمعاني المفردات ولكن بمضامين الجمل الا ترى
انك لو قلت حسبت زيدا وظننت الفرس لم يكن شيئا حتى تقول حسبت زيدا
عالما وظننت الفرس جوادا لان قولك زيد عالم والفرس جواد كلام
دال على مضمون فاردت الاخبار عن ذلك المضمون ثابتا عندك على وجه
الظن لا اليقين فلم تجد في العبارة عن ثباته عندك على ذلك الوجه من
ذكر شطري الجملة مدخلا عليهما فعل الحسبان حتى يتم لك غرضك فان
قلت فاين الكلام الدال على المضمون الذي يقتضيه الحسبان في الاية
قلت هو في قوله ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون وذلك
ان تقديره احسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم امنا فالترك اول مفعولي
حسب ولقولهم امنا هو الخبر واما غير مفتونين فتتمة الترك لانه من
الترك الذي هو بمعنى التصيير كقوله ٥ فتركته جزر السباع ينشنه ٥

الا ترى انك قبل المجي بالحسبان تقدر ان تقول تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا
على تقدير حاصل ومستقر قبل اللام فان قلت ان يقولوا هو علة تركهم
غير مفتونين فكيف يصح ان يقع خبر مبتدا قلت كما تقول خروجه لمخافة الشر
وضربه للتاديب وقد كان التاديب والمخافة في قولك خرجت مخافة الشر
وضربته تاديبا تعليلين وتقول ايضا حسبت خروجه لمخافة الشر وظننت
ضربه للتاديب فتجعلهما مفعولين كما جعلتهما مبتدا وخبرا والفتنة الامتحان
بشدائد التكليف من مفارقة الاوطان ومجاهدة الاعدا وسائر الطاعات
الشاقة وهجر الشهوات والملاذ وبالفقر والقحط وانواع المصائب في
الانفس والاموال ومصابرة الكفار على اذاهم وكيدهم وضرارهم والمعنى
احسب الذين اجروا كلمة الشهادة على السنتهم واظهروا القول بالايمان
انهم يتركون بذلك غير ممتحنين بل يمتحنهم الله بضروب المحن حتى يبلو صبرهم
وثبات اقدامهم وصحة عقائدهم ونصوع نياتهم ليتميز المخلص من غير المخلص
والراسخ في الدين من المضطرب والمتمكن من العابد على حرف كما قال لتبلون
في اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين
اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور وروي
انها نزلت في ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جزعوا من اذى المشركين
وقيل في عمار بن ياسر رضي الله عنه وارضاه وكان يعذب في الله وقيل في ناس
اسلموا بمكة فكتب اليهم المهاجرون لا يقبل منكم اسلامكم حتى تهاجروا
فخرجوا فتبعهم المشركون فردوهم فلما نزلت كتبوا بها اليهم فخرجوا
فاتبعهم المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا وقيل في مهجع بن
عبد الله مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو اول قتيل من المسلمين يوم بدر
رماه عامر بن الحضرمي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الشهدا مهجع وهو
اول من يدعى الى باب الجنة من هذه الامة فجزع عليه ابواه وامراته ولقد فتنا
موصول باحسب او بلا يفتنون كقولك الا يمتحن فلان وقد امتحن من هو
خير منه يعني ان اتباع الانبيا قبلهم قد اصابهم من الفتن والمحن نحو
ما اصابهم او ما هو اشد منه فصبروا كما قال وكاين من نبي قاتل معه ربيون
كثير فما وهنوا الاية وعن النبي صلى الله عليه وسلم قد كان من قبلكم يوخذ فيوضع
المنشار على راسه فيفرق فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه ويمشط
بامشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه
فليعلمن الله بالامتحان الذين صدقوا في الايمان وليعلمن الكاذبين فيه
فان قلت كيف وهو عالم بذلك فيما لم يزل قلت لم يزل يعلمه معدوما ولا
يعلمه موجودا الا اذا وجد والمعنى وليتميزن الصادق منهم من الكاذب
ويجوز ان يكون وعدا ووعيدا كانه قال وليثيبن الذين صدقوا وليعاقبن

الكاذبين

الكاذبين وقرا علي رضي الله عنه والزهري وليعلمن من الاعلام اي وليعرفنهم
الله الناس من هم او ليسمنهم بعلامة يعرفون بها من بياض الوجوه وسوادها
وكحل العيون وزرقتها ان يسبقونا ان يفوتونا يعني ان الجزا يلحقهم لا محالة
وهم لم يطمعوا في الفوت ولم يحدثوا به نفوسهم ولكنهم لغفلتهم وقلة
فكرهم في العاقبة واصرارهم على المعاصي في صورة من يقدر على ذلك
ويطمع فيه ونظيره وما هم بمعجزين في الارض ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا
انهم لا يعجزون فان قلت اين مفعولا حسب قلت اشتمال صلة ان
على مسند ومسند اليه سد مسد المفعولين كقوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة
ويجوز ان يضمن حسب معنى قدر وام منقطعة ومعنى الاضراب فيها ان هذا
الحسبان ابطل من الحسبان الاول لان ذلك يقدر انه لا يمتحن لايمانه وهذا
يظن انه لا يجازى بمساويه ساء ما يحكمون بئس الذي يحكمونه حكمهم هذا او
بئس حكما يحكمونه حكمهم فحذف المخصوص بالذم لقاء الله مثل للوصول
الى العاقبة من تلقي ملك الموت والبعث والحساب والجزا مثلت تلك الحال
بحال عبد قدم على سيده بعد عهد طويل وقد اطلع مولاه على ما كان ياتي ويذر
فاما ان يلقاه ببشر وترحيب لما رضي من افعاله او بضد ذلك لما سخطه
منها فمعنى قوله من كان يرجو لقاء الله من كان يامل تلك الحال وان
يلقى فيها الكرامة من الله والبشرى فان اجل الله وهو الموت لآت لا محالة
فليبادر العمل الصالح الذي يصدق رجاه ويحقق امله ويكتسب به القربة
عند الله والزلفى وهو السميع العليم الذي لا يخفى عليه شي مما يقوله عباده
ومما يفعلونه فهو حقيق بالتقوى والخشية وقيل يرجو يخاف من قول الهذلي
في صفة عسال ۝ اذا لسعته الدبر لم يرج لسعها ۝ فان قلت فان
اجل الله لآت كيف وقع جوابا للشرط قلت اذا علم ان لقاء الله عنيت به
تلك الحال الممثلة والوقت الذي تقع فيه تلك الحال هو الاجل المضروب
للموت فكانه قال من كان يرجو لقاء الله فان لقاء الله لآت لان
الاجل واقع فيه اللقا كما تقول من كان يرجو لقا الملك فان يوم الجمعة
قريب اذا علم انه يقعد للناس يوم الجمعة ومن جاهد نفسه في منعها
ما تامر به وحملها على ما تاباه فانما يجاهد لنفسه لان منفعة ذلك راجعة اليها
وانما امر الله عز وجل ونهى رحمة لعباده وهو الغني عنهم وعن طاعتهم
اما ان يريد قوما مسلمين صالحين قد اساءوا في بعض اعمالهم وسيئاتهم
مغمورة بحسناتهم فهو يكفرها عنهم ويسقط عقابها بثواب الحسنات ويجزيهم
احسن الذي كانوا يعملون اي احسن جزا اعمالهم واما ان يريد قوما
مشركين آمنوا وعملوا الصالحات فالله عز وجل يكفر سيئاتهم بان يسقط عقاب
ما تقدم لهم من الكفر والمعاصي ويجزيهم احسن جزا اعمالهم في الاسلام
ووصى حكمه حكم امر في معناه وتصرفه يقال وصيت زيدا بان يفعل خيرا

كما تقول امرته بان يفعل ومنه بيت الاصلاح ○ وذبيانية وصت بنيها
بان كذب القراطف والقروف ○ كما لو قال امرتهم بان ينهبوها ومنه قوله تعالى
ووصى بها ابرهيم بنيه اي وصاهم بكلمة التوحيد وامرهم بها وقولك وصيت
زيدا بعمرو معناه وصيته بتعهد عمرو ومراعاته ونحو ذلك وكذلك معنى قوله حسنا
الانسان بوالديه حسنا وصاه بايتاء والديه حسنا او بايلاء والديه حسنا
اي فعلا ذا حسن او ما هو في ذاته حسن لفرط حسنه كقوله وقولوا للناس حسنا
وقرئ حسنا واحسانا ويجوز ان يجعل حسنا من باب قولك زيدا باضمار
اضرب اذا رايته متهيئا للضرب فتنصبه باضمار اولهما او افعل بهما لان
التوصية بهما داله عليه وما بعده مطابق له كانه قال قلنا اولهما معروفا
ولا تطعهما في الشرك اذا حملاك عليه وعلى هذا التفسير ان وقف على بوالديه
وابتدا حسنا حسن الوقف وعلى التفسير الاول لا بد من اضمار القول معناه
وقلنا ان جاهداك ايها الانسان ما ليس لك به علم اي لا علم لك بالاهيته
والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كانه قال لتشرك بي شيئا لا يصح ان يكون
الها ولا يستقيم وصاه بوالديه وامره بالاحسان اليهما ثم نهيه عن
طاعتهما اذا ارادا على ما ذكر على ان كل حق وان عظم ساقط اذا جاء حق
الله وانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ثم قال الي مرجعكم مرجع من امن منكم
ومن اشرك فاجازيكم حق جزائكم وفيه شيئان احدهما ان الجزاء الي فلا
تحدث نفسك بجفوة والديك وعقوقهما لشركهما ولا تحرمهما برك ومعروفك
في الدنيا كما اني لا امنعهما رزقي والثاني التحذير من متابعتهما على الشرك
والحث على الثبات والاستقامة في الدين بذكر المرجع والوعيد روي
ان سعد بن ابي وقاص الزهري حين اسلم قالت امه وهي حمنة بنت ابي سفيان
بن امية بن عبد شمس يا سعد بلغني انك صبات فوالله لا يظلني سقف بيت
من الضح والريح وان الطعام والشراب علي حرام حتى تكفر بمحمد وكان احب
ولدها اليها فابى سعد وبقيت ثلاثة ايام كذلك فجاء سعد الى رسول الله صلعم
وشكا اليه فنزلت هذه الاية والتي في لقمان والتي في الاحقاف فامره رسول الله صلعم
ان يداريها ويترضاها بالاحسان وروي انها نزلت في عياش بن ابي ربيعة
المخزومي وذلك انه هاجر مع عمر بن الخطاب رضي الله عنهما مترافقين حتى
نزلا المدينة فخرج ابو جهل بن هشام والحرث بن هشام اخواه لامه اسما
بنت مخرمة امراة من بني تميم من بني حنظلة فنزلا بعياش وقالا له ان من دين
محمد صلة الارحام وبر الوالدين وقد تركت امك لا تاكل ولا تشرب ولا تاوي
بيتا حتى تراك وهي اشد حبا لك منا فاخرج معنا وفتلا منه في الذروة والغارب
فاستشار عمر فقال هما يخدعانك ولك علي ان اقسم مالي بيني وبينك فما زالا به حتى
اطاعهما وعصى عمر رضي الله عنه فقال له عمر رضي الله عنه اما اذا عصيتني فخذ ناقتي فليس
في الدنيا بعير يلحقها فان رابك منهم ريب فارجع فلما انتهوا الى البيداء قال
ابو جهل ان ناقتي قد كلت فاحملني معك قال نعم فنزل ليوطئ لنفسه وله فاخذاه

فشداه وثاقا وجلد كل واحد منهما مائة جلدة وذهبا به الى امه فقالت لا تزال في
عذاب حتى ترجع عن دين محمد فنزلت في الصالحين في جملتهم والصلاح من
ابلغ صفات المومنين وهو متمنى انبياء الله قال الله تعالى حكاية عن سليمن عليه السلام
وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين وقال في ابرهيم عليه السلام وانه في الاخرة لمن
الصالحين او في مدخل الصالحين وهي الجنة وهذا نحو قوله ومن يطع الله والرسول
فاولئك مع الذين انعم الله عليهم الاية هم ناس كانوا يومنون بالسنتهم
فاذا مسهم اذى من الكفار وهو المراد فتنة الناس كان ذلك صارفا
لهم عن الايمان كما ان عذاب الله صارف للمومنين عن الكفر او كما يجب ان
يكون عذاب الله صارفا فاذا نصر الله المومنين وغنمهم اعترضوهم وقالوا
انا كنا معكم اي متابعين لكم في دينكم ثابتين عليه بثباتكم ما قدر احد ان
يفتننا فاعطونا نصيبنا من المغنم ثم اخبر سبحانه انه اعلم بما في صدور العالمين
من العالمين بما في صدورهم ومن ذلك ما تكن صدور هولاء من النفاق وهذا
اطلاع منه للمومنين على ما ابطنوه ثم وعد المومنين واوعد المنافقين
وقرئ ولنحمل بكسر اللام امروهم باتباع سبيلهم وهي طريقتهم التي كانوا
عليها في دينهم وامروا انفسهم بحمل خطاياهم فعطف الامر على الامر وارادوا
ليجتمع هذان الامران في الحصول ان تتبعوا سبيلنا وان نحمل خطاياكم والمعنى
تعليق الحمل بالاتباع وهذا قول صناديد قريش كانوا يقولون لمن امن منهم
لا نبعث نحن ولا انتم فان عسى كان ذلك فانا نتحمل عنكم الاثم وترى في المتسمين
بالاسلام من يستن باولئك فيقول لصاحبه اذا اراد ان يشجعه على ارتكاب
بعض العظائم افعل هذا واثمه في عنقي وكم من مغرور بمثل هذا الضمان من
ضعفة العامة وجهلتهم ومنه ما يحكى ان ابا جعفر المنصور رفع اليه بعض
اهل الحشو حوائجه فلما قضاها قال يا امير المومنين بقيت الحاجة العظمى قال
وما هي قال شفاعتك يوم القيامة فقال له عمرو بن عبيد رحمه الله اياك وهولاء
فانهم قطاع الطريق في المامن فان قلت كيف سماهم كاذبين وانما ضمنوا
شيئا علم الله انهم لا يقدرون على الوفاء به وضامن ما لا يعلم اقتداره على
الوفاء به لا يسمى كاذبا لا حين ضمن ولا حين عجز لانه في الحالين لا يدخل
تحت حد الكاذب وهو المخبر عن الشيء لا على ما هو عليه قلت شبه الله تعالى
حالهم حيث علم ان ما ضمنوه لا طريق لهم الى ان يفوا به فكان ضمانهم عنده
لا على ما عليه المضمون بالكاذبين الذين خبرهم لا على ما عليه المخبر عنه
ويجوز ان يريد انهم كاذبون لانهم قالوا ذلك وقلوبهم على خلافه كالكاذبين
الذين يعدون الشيء وفي قلوبهم نية الخلف وليحملن اثقالهم اي اثقال انفسهم
واثقالا اي اثقالا اخر غير الخطايا التي ضمنوا للمومنين حملها وهي اثقال الذين
كانوا سببا في ضلالهم وليسالن سوال تقريع عما كانوا يفترون اي يختلقون
من الاكاذيب والاباطيل وقرئ من خطاياهم كان عمر يوم علم القار خمسين

سنة بعث على رأس أربعين ولبث في قومه تسعمائة وخمسين وعاش بعد
الطوفان ستين وعن وهب أنه عاش ألفا وأربعمائة سنة فان قلت
هلا قيل تسعمائة وخمسين سنة قلت ما أورده الله عز وجل أحكم لأنه
لو قيل كما قلت لجاز أن يتوهم اطلاق هذا العدد على أكثره وهذا التوهم
زائل مع مجيئه كذلك فكأنه قال تسعمائة وخمسين سنة كاملة وافية
العدد الا أن ذلك أخصر وأعذب لفظا وأملأ بالفائدة وفيه نكتة أخرى
وهي أن القصة مسوقة لذكر ما ابتلي به نوح عليه السلام من أمته وما كابده من
طول المصابرة تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيتا له فكان ذكر رأس
العدد الذي لا رأس أكثر منه أوقع وأوصل الى الغرض من استطالة السامع
مدة صبره فان قلت فلم جاء المميز أولا بالسنة وثانيا بالعام قلت
لأن تكرير اللفظ الواحد في الكلام الواحد حقيق بالاجتناب في البلاغة
الا اذا وقع ذلك لأجل غرض ينتحيه المتكلم من تفخيم أو تهويل أو تنويه أو
نحو ذلك و(الطوفان) ما أطاف وأحاط بكثرة وغلبة من سيل أو ظلام
ليل أو نحوهما قال العجاج ٥ وعم طوفان الظلام الأثأبا ٥ (أصحاب
السفينة) كانوا ثمانية وسبعين نفسا نصفهم ذكور ونصفهم اناث منهم
أولاد نوح عليه السلام سام وحام ويافث ونساؤهم وعن محمد بن اسحق كانوا
عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا ثمانية
نوح وأهله وبنوه الثلاثة وأهلوهم والضمير في (وجعلناها) للسفينة
أو للحادثة والقصة (وابراهيم) نصب باضمار اذكر وأبدل عنه (اذ) بدل
الاشتمال لأن الأحيان تشتمل على ما فيها أو هو معطوف على نوحا واذ ظرف
لأرسلنا يعني أرسلناه حين بلغ من السن والعلم مبلغا صلح فيه لأن يعظ
قومه وينصحهم ويعرض عليهم الحق ويأمرهم بالعبادة والتقوى وقرأ ابرهيم
النخعي وأبو حنيفة رحمهما الله وابرهيم بالرفع على معنى ومن المرسلين ابرهيم
(ان كنتم تعلمون) يعني ان كان لكم علم بما هو خير لكم مما هو شر لكم
أو ان نظرتم بعين الدراية المبصرة دون عين الجهل العمياء علمتم أنه خير
لكم وقرئ (وتخلقون) من خلق بمعنى التكثير في خلق وتخلقون من تخلق
بمعنى تكذب وتخرص وقرئ (افكا) وفيه وجهان أن يكون مصدرا نحو
كذب ولعب والافك مخفف منه كالكذب واللعب من أصلهما وأن يكون
صفة على فعل أي خلقا افكا ذا افك وباطل واختلاقهم الافك تسميتهم
الأوثان آلهة وشركاء لله أو شفعاء اليه أو سمى الأصنام افكا وعملهم
لها ونحتهم خلقا للافك فان قلت لم نكر الرزق ثم عرفه قلت لأنه
أراد لا يستطيعون أن يرزقوكم شيئا من الرزق (فابتغوا عند الله الرزق)
كله فانه هو الرزاق وحده لا يرزق غيره (اليه ترجعون) وقرئ بفتح التاء
فاستعدوا للقائه بعبادته والشكر على أنعمه (وان تكذبوا) فلا تضروني بتكذيبكم

فان الرسل قبلي قد كذبتهم أممهم وما ضروهم وانما ضروا أنفسهم حيث حل
بهم ما حل بسبب تكذيب الرسل وأما الرسول فقد تم أمره حين بلغ البلاغ
المبين الذي زال معه الشك وهو اقترانه بآيات الله عز وجل ومعجزاته أو
وان كنت مكذبا فيما بينكم فلي في سائر الأنبياء أسوة وسلوة حيث كذبوا
وعلى الرسول أن يبلغ وما عليه أن يصدق ولا يكذب وهذه الآية والآيات
التي بعدها الى قوله فما كان جواب قومه محتملة أن تكون من جملة قول ابرهيم
صلوات الله عليه لقومه وأن تكون آيات وقعت معترضة في شأن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وشأن قريش بين أول قصة ابرهيم وآخرها فان قلت اذا كانت
من قول ابرهيم فما المراد بالأمم قبله قلت قوم شيث وادريس ونوح
وغيرهم وكفى بقوم نوح أمة في معنى أمم جمة مكذبة ولقد عاش ادريس عليه السلام
ألف سنة في قومه الى أن رفع الى السماء وآمن به ألف انسان منهم على عدد
سنيه وأعقابهم على التكذيب فان قلت فما تصنع بقوله (قل سيروا في
الأرض) قلت هي حكاية كلام الله عز وجل حكاه ابرهيم عليه السلام لقومه كما يحكي
رسولنا صلى الله عليه وسلم كلام الله على هذا المنهاج في أكثر القرآن فان قلت
فاذا كانت خطابا لقريش فما وجه توسطها في قصة ابرهيم والجملة
أو الجمل الاعتراضية لا بد لها من اتصال بما وقعت معترضة فيه ألا تراك
لا تقول مكة وزيد أبوه قائم خير بلاد الله قلت ايراد قصة ابرهيم ليس
الا ارادة للتنفيس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن تكون مسلاة له ومتفرجا
بأن أباه ابرهيم خليل الله كان ممنوا بنحو ما مني به من شرك قومه وعبادتهم
الأوثان فاعترض بقوله (وان تكذبوا) على معنى انكم يا معشر قريش ان تكذبوا
محمدا فقد كذب ابرهيم قومه وكل أمة نبيها لأن قوله (فقد كذب أمم من قبلكم)
لا بد من تناوله لأمة ابرهيم عليه السلام وهو كما ترى اعتراض واقع متصل ثم سائر الآيات
الواطئة عقبها من أذيالها وتوابعها لكونها ناطقة بالتوحيد ودلائله
وهدم الشرك وتوهين قواعده وصفة قدرة الله وسلطانه ووضوح
حجته وبرهانه وقرئ (يروا) بالتاء والياء (يبدئ) وبدأ وقوله (ثم يعيده)
ليس بمعطوف على يبدئ وليست الرؤية واقعة عليه وانما هو اخبار على حياله
بالاعادة بعد الموت كما وقع النظر في قوله فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله
ينشئ النشأة الآخرة على البدء دون الانشاء ونحوه قولك ما زلت أوثر فلانا
وأستخلفه على من أخلفه فان قلت هو معطوف بحرف العطف فلا بد
من معطوف عليه قلت هو جملة قوله أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق
وكذلك قوله وأستخلفه معطوف على جملة قوله ما زلت أوثر فلانا و
(ذلك) يرجع الى ما يرجع اليه هو في قوله وهو أهون عليه من معنى يعيد
دل بقوله (النشأة الآخرة) على أنهما نشأتان وأن كل واحدة منهما انشاء
أي ابتداء واختراع واخراج من العدم الى الوجود لا تفاوت بينهما الا أن

الاخره انشا بعد النشا مثله والاولى ليست كذلك وقرى النشاه والنشاه
كالرافه والرآفه فان قلت ما معنى الافصاح باسمه مع ايقاعه مبتدا في قوله
ثم الله ينشئ النشاه الاخره بعد اضماره في قوله كيف بدا الخلق وكان
القياس ان يقال كيف بدا الله الخلق ثم ينشئ النشاه الاخره قلت الكلام
معهم كان واقعا في الاعاده وفيها كانت تصطك الركب فلما قررهم في
الابدا بانه من الله عز وجل احتج عليهم بان الاعاده انشا مثل الابدا فاذا كان
الله الذي لا يعجزه شي هو الذي لم يعجزه الابدا فهو الذي وجب ان لا يعجزه
الاعاده فكانه قال ثم ذاك الذي انشا النشاه الاولى هو الذي ينشئ النشاه
الاخره فللدلاله والتنبيه على هذا المعنى ابرز اسمه واوقعه مبتدا يعذب من
يشا بعدله ويرحم من يشا برحمته ويتعلق المشيتين مفسر مبين في مواضع
من القران وهو من يستوجبهما من الكافر والفاسق اذا لم يتوبا ومن المعصوم
والتايب تقلبون تردون وترجعون وما انتم بمعجزين ربكم اي لا تفوتونه
ان هربتم من حكمه وقضايه في الارض ولا في السما التي هي افسح
منهما وابسط لو كنتم فيها كقوله تعالى ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار
السموات والارض فانفذوا او قيل ولا من في السما كما قال حسان رضي الله عنه
امن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سوا اوحمل ان يراد لا تعجزونه
كيفما هبطتم في مهاوي الارض واعماقها او علوتم في البروج والقلاع
الذاهبه في السما كقوله ولو كنتم في بروج مشيده او لا تعجزون امره الجاري
في السما والارض ان يجري عليكم فيصيبكم بلا يخطيكم من الارض او ينزل من
السما بايات الله بدلايله على وحدانيته وكتبه ومعجزاته ولقايه والبعث
اوليك يئسوا من رحمتي وعيد اي يياسون يوم القيمه كقوله تعالى ويوم تقوم
الساعه يبلس المجرمون او هو وصف لحالهم لان المومن انما يكون راجيا
خاشيا فاما الكافر فلا يخطر بباله رجا ولا خوف او شبه حالهم في انتفا
الرحمه عنهم بحال من يئس من الرحمه وعن قتاده ان الله ذم قوما هانوا
عليه فقال اوليك يئسوا من رحمتي وقال انه لا يياس من روح الله الا القوم
الكافرون فينبغي للمومن ان لا يياس من روح الله ولا من رحمته وان لا يامن
عذابه وعقابه فان صفه المومن ان يكون راجيا لله خايفا قرى جواب
بالنصب والرفع قالوا قال بعضهم لبعض او قاله واحد منهم وكان الباقون
راضين فكانوا جميعا في حكم القايلين وروي انه لم ينتفع في ذلك اليوم بالنار
يعني يوم القي ابرهيم في النار وذلك لذهاب حرها قرى على النصب بغير
اضافه وباضافه وعلى الرفع كذلك فالنصب على وجهين على التعليل اي
لتوادوا بينكم وتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها واتفاقكم عليها كما يتفق
الناس على مذهب فيكون ذلك سبب تحابهم وتصادقهم وان يكون مفعولا
ثانيا كقوله من اتخذ الهه هواه اي اتخذتم الاوثان سبب الموده بينكم

على تقدير حذف المضاف او اتخذتموها موده بينكم بمعنى موددوه بينكم
كقوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله وفي
الرفع وجهان ان يكون خبرا لان على ان ما موصوله وان يكون خبر
مبتدا محذوف والمعنى ان الاوثان موده بينكم اي مودوده او سبب موده
وعن عاصم موده بينكم بفتح بينكم مع الاضافه كما قرى لقد تقطع بينكم
ففتح وهو فاعل وفي قراه ابن مسعود رضي الله عنه اوثانا انما موده بينكم في الحيوه
الدنيا اي انما تتوادون عليها او تودونها في الحيوه الدنيا ثم يوم القيمه
يقوم بينكم التلاعن والتباغض والتعادي يتلاعن العبده ويتلاعن العبده
والاصنام كقوله عز وعلا ويكونون عليهم ضدا كان لوط عليه السلام ابن اخت
ابرهيم صلوات الله عليه وهو اول من امن له حين راى النار لم تحرقه وقال
يعني ابرهيم اني مهاجر من كوثى وهو من سواد الكوفه الى حران ثم منها الى فلسطين
ومن ثم قالوا لكل نبي هجره ولابرهيم هجرتان وكان معه في هجرته لوط
وامراته ساره وهاجر وهو ابن خمس وسبعين سنه الى ربي الى حيث
امرني بالهجره اليه انه هو العزيز الذي يمنعني من اعدايي الحكيم الذي
لا يامرني الا بما يصلحني اجره الثنا الحسن والصلاه عليه اخر الدهر
والذريه الطيبه والنبوه وان اهل الملل كلهم يتولونه فان قلت ما بال
اسمعيل عليه السلام لم يذكر وذكر اسحق عليه السلام وعقبه قلت قد دل عليه في قوله
وجعلنا في ذريته النبوه والكتاب وكفى الدليل لشهره امره وعلو
قدره فان قلت ما المراد بالكتاب قلت قصد به جنس الكتاب حتى
دخل تحته ما نزل على ذريته من الكتب الاربعه التي هي التوريه والزبور والانجيل
والقران ولوطا معطوف على ابرهيم او على ما عطف عليه والفاحشه الفعله
البالغه في القبح وما سبقكم بها من احد من العالمين جمله مستانفه مقرره
لفاحشه تلك الفعله كان قايلا قال لم كانت فاحشه فقيل لان احدا قبلهم
لم يقدم عليها اشمئزازا منها في طباعهم لافراط قبحها حتى اقدم عليها قوم
لوط عليه السلام لخبث طينتهم وقذر طباعهم قالوا لم ينز ذكر على ذكر قبل قوم لوط
قط وقرى ايكم بغير استفهام في الاول دون الثاني قال ابو عبيد وجدته
في الامام بحرف واحد بغير يا ورايت الثاني بحرفين اليا والنون وقطع
السبيل عمل قطاع الطريق من قتل الانفس واخذ الاموال وقيل اعتراضهم
السابله بالفاحشه وعن الحسن رضي الله عنه قطع النسل باتيان ما ليس بحرث
والمنكر عن ابن عباس رضي الله عنه هو الخذف بالحصى والرمي بالبنادق
والفرقعه ومضغ العلك والسواك بين الناس وحل الازار والسباب
والفحش في المزاح وعن عايشه رضي الله عنها كانوا يتحابقون وقيل
السخريه بمن مر بهم وقيل المجاهره في ناديهم بذلك العمل وكل معصيه
اظهارها اقبح من سترها ولذلك جا من خرق جلباب الحيا فلا غيبه له

هوم

العزيز الحكيم

ولا يقال للمجلس نادٍ الا ما دام فيه اهله فاذا قاموا عنه لم يسم ناديا ان كنت
من الصادقين فيما تعدنا من نزول العذاب كانوا يفسدون الناس
بحملهم على ما كانوا عليه من المعاصي والفواحش طوعا وكرها ولانهم
ابتدعوا الفاحشة وسنّوها فيمن بعدهم وقال الله الذين كفروا
وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون
فاراد لوط عليه السلام ان يشتد غضب الله عليهم فذكر لذلك صفة المفسدين
في دعائه بالبشرى هي البشارة بالولد والنافلة وهما اسحق ويعقوب
واضافة مهلكوا اضافة تخفيف لا تعريف والمعنى الاستقبال والقرية
سدوم التي قيل فيها اجور من قاضي سدوم ان اهلها كانوا ظالمين معناه ان الظلم
قد استمر منهم الى ايام السالفة وهم عليه مصرون وظلمهم كفرهم
والوان معاصيهم ان فيها لوطا ليس اخبارا لهم بكونه فيها وانما هو
جدال في شأنه لانهم لما عللوا اهلاك اهلها بظلمهم اعترض عليهم بان
فيها من هو بريء من الظلم واراد بالجدال اظهار الشفقة عليه وما يجب للمؤمن
من التحزن لاخيه والتشمر في نصرته وحياطته والخوف من ان يمسه اذى
او يلحقه ضرر قال قتادة لا يرى المؤمن الا يحوط المؤمن الا ترى الى جوابهم
بانهم اعلم منه من فيها يعنون نحن اعلم منك واخبر بحال لوط وحال
قومه وامتيازه منهم الامتياز البين وانه لا يستأهل ما يستأهلون فخفض
على نفسك وهوّن عليك الخطب وقرئ لننجينه بالتشديد والتخفيف وكذلك
منجوك ان صلة اكدت وجود الفعلين مترتبا احدهما على الآخر في
وقتين متجاورين لا فاصل بينهما كانهما وجدا في جزء واحد من الزمان كانه
قيل لما احس بمجيئهم فاجأته المساءة من غير ريث خيفة عليهم من قومه
وضاق بهم ذرعا وضاق بشأنهم وبتدبير امرهم ذرعه اي طاقته وقد جعل
العرب ضيق الذراع والذرع عبارة عن فقد الطاقة كما قالوا رحب الذراع
بكذا اذا كان مطيقا له والاصل فيه ان الرجل اذا طالت ذراعه نال ما لا
يناله القصير الذراع فضرب ذلك مثلا في العجز والقدرة الرجز والرجس
العذاب من قولهم ارتجز وارتجس اذا اضطرب لما يلحق المعذب من القلق
والاضطراب وقرئ منزلون مخففا ومشددا منها من القرية آية بينة
هي آثار منازلهم الخربة وقيل بقية الحجارة وقيل الماء الاسود على وجه الارض
وقيل الخبر عما صنع بهم لقوم يعقلون تركنا وفيه وارجوا وافعلوا
ما ترجون به العاقبة فاقيم المسبب مقام السبب او امروا بالرجاء والمراد
اشتراط ما يسوغه من الايمان كما يؤمر الكافر بالشرعيات على ارادة الشرط
وقيل هو من الرجاء بمعنى الخوف والرجفة الزلزلة الشديدة وعن الضحاك
صيحة جبريل عليه السلام لان القلوب رجفت لها في دارهم في بلدهم وارضهم
او في ديارهم فاكتفى بالواحد لانه لا يلبس جاثمين باركين على الركب ميتين

منصوب باضمار اهلكنا لان قوله فاخذتهم الرجفة يدل عليه لانه في معنى
الاهلاك وقد تبين لكم ذلك يعني ما وصفه من اهلاكهم من جهة
مساكنهم اذا نظرتم اليها عند مروركم بها وكان اهل مكة يمرون
عليها في اسفارهم فيبصرونها وكانوا مستبصرين عقلاء متمكنين من النظر
والافتكار ولكنهم لم يفعلوا او كانوا متبينين ان العذاب نازل بهم لان
الله قد بين لهم على السنة الرسل ولكنهم لجوا حتى هلكوا سابقين فائتين
ادركهم امر الله فلم يفوتوه الحاصب لقوم لوط وهي ريح عاصف فيها حصباء
وقيل ملك كان يرميهم والصيحة لمدين وثمود والخسف لقارون والغرق
لقوم نوح وفرعون الغرض تشبيه ما اتخذوه متكلا ومعتمدا في دينهم
وتولوه من دون الله بما هو مثل عند الناس في الوهن وضعف القوة وهو
نسج العنكبوت الا ترى الى مقطع التشبيه وهو قوله وان اوهن البيوت
لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون فان قلت ما معنى قوله ولو كانوا يعلمون وكل احد يعلم وهن
بيت العنكبوت قلت معناه لو كانوا يعلمون ان هذا مثلهم وان امر دينهم بالغ هذه
الغاية من الوهن ووجه آخر هو انه اذا صح تشبيه ما اعتمدوه في دينهم ببيت
العنكبوت وقد صح ان اوهن البيوت بيت العنكبوت فقد تبين ان دينهم اوهن
الاديان لو كانوا يعلمون او اخرج الكلام بعد تصحيح التشبيه مخرج المجاز
فكانه قال وان اوهن ما يعتمد عليه في الدين عبادة الاوثان لو كانوا يعلمون
ولقائل ان يقول مثل المشرك الذي يعبد الوثن بالقياس الى المؤمن الذي
يعبد الله مثل عنكبوت يتخذ بيتا بالاضافة الى رجل يبني بيتا باجر وجص
او ينحته من صخر وكما ان اوهن البيوت اذا استقريتها بيتا بيتا بيت العنكبوت
كذلك اضعف الاديان اذا استقريتها دينا دينا عبادة الاوثان لو كانوا
يعلمون قرئ يدعون بالياء والتاء وهذا توكيد للمثل وزيادة عليه حيث لم
يجعل ما يدعونه شيئا [illegible] فيه تجهيل لهم حيث عبدوا ما
ليس بشيء لانه جماد ليس معه مصحح العلم والقدرة اصلا وتركوا عبادة القادر
القاهر على كل شيء الحكيم الذي لا يفعل شيئا الا بحكمة وتدبير كان الجهلة والسفهاء
من قريش يقولون ان رب محمد يضرب المثل بالذباب والعنكبوت ويضحكون
من ذلك فلذلك قال اي لا يعقل صحتها وحسنها
وفائدتها الا هم لان الامثال والتشبيهات انما هي الطرق الى المعاني المحتجبة
في الاستار حتى تبرزها وتكشف عنها وتصورها للافهام كما صور هذا التشبيه
الفرق بين حال المشرك وحال الموحد وعن النبي صلعم انه تلا هذه الآية فقال
العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه اي بالغرض الصحيح الذي
هو حق لا باطل وهو ان تكون مساكن عباده وعبرة للمعتبرين منهم ودلائل على
عظم قدرته الا ترى الى قوله ان في ذلك لآية للمؤمنين ونحوه قوله تعالى وما خلقنا

السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا الصلاة يكون لطفا
في ترك المعاصي فكانها ناهية عنها فان قلت كم من مصل يرتكب ولا
ينهاه صلاته قلت الصلاة التي هي الصلاة عند الله المستحق بها الثواب
ان يدخل فيها مقدما للتوبة النصوح متقيا لقوله تعالى انما يتقبل الله من المتقين
ويصليها خاشعا بالقلب والجوارح فقد روي عن حاتم كان رجلي على الصراط
والجنة عن يميني والنار عن يساري وملك الموت من فوقي واصلي بين
الخوف والرجاء ثم يحوطها بعد ان يصليها فلا يحبطها فهي التي
وعن ابن عباس رضي الله عنهما من لم يامره صلاته بالمعروف
وينهه عن المنكر لم يزدد بصلاته من الله الا بعدا وعن الحسن رضي الله عنه من لم
ينهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فليست صلوته بصلاة وهي وبال عليه وقيل
من كان مراعيا للصلاة جره ذلك الى ان ينتهي عن السيات يوما ما فقد روي
انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا يصلي بالنهار ويسرق بالليل فقال ان صلاته
لتردعه وروي ان فتى من الانصار كان يصلي معه الصلوات ولا يدع شيئا من
الفواحش الا ركبه فوصف له فقال ان صلاته ستنهاه فلم يلبث ان تاب وعلى
كل حال فان المراعي للصلاة لا بد ان يكون ابعد من الفحشاء والمنكر ممن لا
يراعيها وايضا فكم من مصلين تنهاهم الصلاة عن الفحشاء والمنكر واللفظ
لا يقتضي ان لا يخرج واحد من المصلين عن قضيتها كما تقول ان زيدا ينهى عن
المنكر فليس غرضك انه ينهى عن جميع المناكر وانما تريد ان هذه الخصلة
موجودة فيه وحاصلة منه من غير اقتضاء للعموم يريد وللصلاة
اكبر من غيرها من الطاعات وسماها بذكر الله كما قال فاسعوا الى ذكر الله
وانما قال ولذكر الله ليستقل بالتعليل كانه قال وللصلاة اكبر لانها ذكر الله
او ولذكر الله عند الفحشاء والمنكر وذكر نهيه عنهما ووعيده عليهما اكبر
فكان اولى بان ينهى من اللطف الذي في الصلاة وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ولذكر الله اياكم برحمته اكبر من ذكركم اياه بطاعته
من الخير والطاعة فيثيبكم احسن الثواب بالخصلة
التي هي احسن وهي مقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم والسورة بالاناة
كما قال ادفع بالتي هي احسن فافرطوا في الاعتداء والعناد
ولم يقبلوا النصح ولم ينفع فيهم الرفق فاستعملوا معهم الغلظة وقيل الا
الذين اذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الا الذين اثبتوا الولد والشريك وقالوا
يد الله مغلولة وقيل معناه ولا تجادلوا الداخلين في الذمة المؤدين للجزية
الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا فنبذوا الذمة ومنعوا الجزية فان اولئك مجادلتهم
بالسيف وعن قتادة الاية منسوخة بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا
باليوم الاخر ولا مجادلة اشد من السيف وقوله

من جنس المجادلة بالتي هي احسن وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما حدثكم اهل الكتاب فلا
تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالله وكتبه ورسله فان كان باطلا
لم تصدقوهم وان كان حقا لم تكذبوهم ومثل ذلك الا انزلنا
اي انزلناه مصدقا لسائر الكتب السماوية تحقيقا لقوله امنا بالذي انزل الينا وانزل
اليكم وقيل وكذا انزلنا اليك الكتب الى من قبلك انزلنا اليك الكتاب
هم عبد الله بن سلام ومن امن معه من اهل مكة
وقيل اراد بالذين اوتوا الكتاب الذين تقدموا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اهل الكتاب ومن هؤلاء من في عهدك منهم مع ظهورها
وزوال الشبهة عنها الا المتوغلون في الكفر المصممون عليه وقيل
هم كعب بن الاشرف واصحابه وانت امي ما عرفك احد قط بتلاوة كتاب
ولا خط اذن لو كان شيء من ذلك اي من التلاوة والخط لارتاب المبطلون
من اهل الكتاب وقالوا الذي نجده في كتبنا امي لا يكتب ولا يقرأ وليس به
او لارتاب مشركو مكة وقالوا لعله تعلمه او كتبه بيده فان قلت لم
سماهم مبطلين ولو لم يكن اميا وقالوا ليس بالذي نجده في كتبنا لكانوا
صادقين محقين ولكان اهل مكة ايضا على حق في قولهم لعله تعلمه
او كتبه فانه رجل قارئ كاتب قلت سماهم مبطلين لانهم كفروا به
وهو امي بعيد من الريب فكانه قال هؤلاء المبطلون في كفرهم به لو لم
يكن اميا لارتابوا اشد الريب فحين ليس بقارئ كاتب فلا وجه لارتيابهم
وشيء اخر وهو ان سائر الانبياء عليهم السلام لم يكونوا اميين ووجب الايمان بهم
وبما جاؤوا به لكونهم مصدقين من جهة الله الحكيم بالمعجزات فهب
انه قارئ كاتب فما لهم لم يؤمنوا به من الوجه الذي امنوا منه بموسى وعيسى
على ان المنزلين ليسا بمعجزين وهذا المنزل معجز فاذن هم مبطلون حيث
لم يؤمنوا به وهو امي ومبطلون لو لم يؤمنوا به وهو غير امي فان قلت
ما فائدة قوله بيمينك قلت ذكر اليمين وهي الجارحة التي يزاول بها
الخط زيادة تصوير لما نفي عنه من كونه كاتبا الا ترى انك اذا قلت في
الاثبات رايت الامير يخط هذا الكتاب بيمينه كان اشد لاثباتك انه
تولى كتبته فكذلك النفي بل هو ايات بينات في صدور العلماء به و
حفاظه وهما من خصائص القران كون اياته بينات الاعجاز وكونه محفوظا
في الصدور وما كانت تقرا الا من المصاحف ومنه ما جاء في صفة هذه الامة
صدورهم اناجيلهم وما يجحد باياتنا الواضحة الا المتوغلون في الظلم
المكابرون وقرئ اية واية ارادوا هلا انزل عليه اية مثل ناقة صالح
ومائدة عيسى ونحو ذلك انما الايات عند الله ينزل ايتها يشاء ولو شاء ان
ينزل ما يقترحونه لفعل وانما انا نذير كلفت الانذار وابانته بما اعطيت من
الايات وليس لي ان اتخير على الله اياته فاقول انزل علي اية كذا دون اية كذا

نقدموا

بمعنى هو على ما هو عليه من ... ما لم يكن معجزات ...

مع علمه ان الغرض من الايات الايضاح وثبوت الدلاله والايات كلها في حكم ايه
واحده في ذلك ثم قال انه معنيه عن سائر الايات ان كانوا
طالبين للحق غير متعنتين هذا القران الذي يدوم تلاوته عليهم في كل
مكان وزمان فلا يزال معهم ايه ثابته لا تزول ولا تضمحل كما تزول كل ايه بعد
كونها وتكون في مكان دون مكان مثل هذه الايه الموجوده في كل
مكان وزمان الى اخر الدهر لنعمه عظيمه لا تشكر وتذكره لقوم يومنون
وقيل اولم يكفهم يعني اليهود محقق
ما في ايديهم من نعتك ونعت دينك وقيل ان ناسا من المومنين اتوا رسول الله صلعم
بكتف قد كتبوا فيها بعض ما تقول اليهود فلما ان نظر اليها القاها
وقال كفى بها حماقه قوم او ضلاله قوم ان يرغبوا فيها عن ما جاهم به
نبيهم الى ما جاء به غيرهم فنزلت والوجه ما ذكرناه كفى بالله
اي قد بلغت ما ارسلت به اليكم وانذرتكم وانكرتم فاللموعى بالجحد
والتكذيب فهو مطلع على امري وامركم وعالم
بحقي وباطلكم منكم وهو ما تعبدون من دون
الله وابائه الغبونون في
صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان الا ان الكلام ورد مورد الانصاف
كقوله تعالى وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين وكقول حسان ٥
الهجوه ولست له بكفو فشركما لخيركما الفداء ٥ وروي ان كعب بن
الاشرف واصحابه قالوا يا محمد من يشهد لك انك رسول الله فنزلت
كان استعجال العذاب استهزاء منهم وتكذيبا والنضر بن الحرث هو
الذي قال اللهم امطر علينا حجاره من السما كما قال اصحاب الايكه
فاسقط علينا كسفا من السما ولولا اجل قد سماه الله في اللوح لعذابهم
وبينهم عاجلا
واوجبت الحكمه تاخيره الى ذلك الاجل المسمى
والمراد بالاجل الاخره لما روى ان الله عز وجل وعد رسوله صلعم
ان لا يعذب قومه ولا يستاصلهم وان يوخر عذابهم الى يوم القيمه
وقيل يوم بدر وقيل وقت فنابهم باجالهم لمحيطه اي ستحيط بهم
او هي محيطه بهم في الدنيا لان المعاصي التي
توجبها محيطه او لانها مالهم ومرجعهم لا محاله فكانها الساعه
محيطه بهم ويوم يغشاهم على هذا منصوب بمضمر اي يوم يغشاهم
العذاب كان كيت وكيت كقوله لهم
وقرى بالنون والياء
من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل
اي جزاء معنى الايه ان المومن اذا لم يتسهل له العباده
في بلد هو فيه ولم يتمشى له امر دينه كما يحب فليهاجر عنه الى بلد يقدر
انه فيه اسلم قلبا واصح دينا واكثر عباده واحسن خشوعا ولعمري ان البقاع

سماوت في ذلك التفاوت الكثير ولقد جربنا وجرب اولونا فلم نجد فيما درنا
وداروا اعون على قهر النفس وعصيان الشهوه واجمع للقلب المتلفت
واضم للهم المنتشر واحث على القناعه واطرد للشيطان وابعد من كثير
من الفتن واضبط للامر الديني في الجمله من سكني حرم الله وجوار بيت الله
فلله الحمد على ما سهل من ذلك وقرب ورزق من الصبر واوزع من الشكر
وعن رسول الله صلعم من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا
من الارض استوجب الجنه وكان رفيق ابراهيم ومحمد وقيل هي في المستضعفين
بمكه الذين نزل فيهم الم يكن ارض الله واسعه فتهاجروا فيها وانما
كان ذلك لان امر دينهم ما كان يستتب لهم بين ظهراني الكفره فاياي
فاعبدون في المتكلم نحو اياه ضربته في الغائب واياك عصيتك في المخاطب
والتقدير واياي فاعبدوا فاعبدون فان قلت ما معنى الفا في فاعبدون
وتقديم المفعول قلت الفا جواب شرط محذوف لان المعنى ان ارضي واسعه
فان لم تخلصوا العباده لي في ارض فاخلصوها لي في غيرها ثم حذف الشرط وعوض
من حذفه تقديم المفعول مع افادة تقديمه معنى الاختصاص والاخلاص
لما امر عباده بالحرص على العباده وصدق الاهتمام بها حتى يتطلبوا لها
اوفق البلاد وان شسعت ابعه قوله كل نفس ذائقه الموت اي
واجد مرارته وكربه كما يجد الذائق طعم المذوق ومعناه انكم ميتون
فواصلون الى الجزا ومن كانت هذه عاقبته لم يكن له بد من التزود لها
والاستعداد بجهده لنبوئنهم من الجنه علالي وقرى
لنثوينهم من الثواء وهو النزول للاقامه يقال ثوى في المنزل واثوى غيره
وثوى غير متعد فاذا تعدى بزياده همزه النقل لم يتجاوز مفعولا واحدا نحو
ذهب واذهبته والوجه في تعديته الى ضمير المومنين والى الغرف اما
اجراوه مجرى لننزلنهم ونبوئنهم او حذف الجار وايصال الفعل او تشبيه
الظرف الموقت بالمبهم وقرا الحسن وثاب فنعم بزياده الفا الذين صبروا
على مفارقه الاوطان والهجره لاجل الدين وعلى اذى المشركين وعلى المحن
والمصائب وعلى الطاعات وعن المعاصي ولم يتوكلوا في جميع ذلك الا
على الله لما امر رسول الله صلعم من اسلم بمكه بالهجره خافوا الفقر
والضيعه فكان يقول الرجل منهم كيف اقدم بلده ليست لي فيها معيشه
فنزلت والدابه كل نفس دبت على وجه الارض عقلت او لم تعقل لا تحمل رزقها
لا تطيق ان تحمله لضعفها عن حمله الله يرزقها واياكم اي لا يرزق تلك الدواب
الضعاف الا الله ولا يرزقكم ايضا ايها الاقوياء الا هو وان كنتم مطيقين
لحمل ارزاقكم وكسبها لانه لو لم يقدركم ولم يقدر لكم اسباب الكسب
لكنتم اعجز من الدواب التي لا تحمل وعن الحسن لا تحمل رزقها لا تدخره انما يصبح
فيرزقها الله وعن ابن عيينه ليس شي يخبا الا الانسان والنمله والفاره

ومن بعضهم رات البلبل يحتكر في حضنيه ويقال للعقعق مخابي الا انه ينساها وهو السميع لقولكم نخشى الفقر والضيعة العليم بما في ضمايركم الضمير في سالتهم لاهل مكة فانى يؤفكون فكيف يصرفون عن توحيد الله وان لا يشركوا به مع اقرارهم بانه خالق السموات والارض قدر الرزق وقتره بمعنى اذا ضيقه فان قلت الذى رجع اليه الضمير في قوله ويقدر له هو من يشاء فكان بسط الرزق وقدره جعلا لواحد قلت يحتمل الوجهين جميعا ان يريد ويقدر لمن يشاء فوضع الضمير موضع من يشاء لان من يشاء مبهم غير معين فكان الضمير مبهما مثله وان يريد تعاقب الامرين على واحد على حسب المصلحة ان الله بكل شى عليم يعلم ما يصلح العباد وما يفسدهم استحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم على انه مما اقر به وما اقروا به بعد ذلك في توحيد الله ونفى الانداد والشركاء عنه ولم يكن اقرارا عاطلا كاقرار المشركين وعلى انهم اقروا بما هو حجة عليهم حيث نسبوا النعمة الى الله سبحانه وقد جعلوا العبادة للصنم ثم قال بل اكثرهم لا يعقلون ما يقولون وما فيه من الدلالة على بطلان الشرك وصحة التوحيد او لا يعقلون ما تريد بقولك الحمد لله ولا يفطنون لم حمدت الله على مقالتهم هذه فيها اذدرا الدنيا وتصغير لامرها وكيف لا يصغرها وهي لا تزن عند الله جناح بعوضة يريد ما هي لسرعة زوالها عن اهلها وموتهم عنها الا كما يلعب الصبيان ساعة ثم يتفرقون وان الدار الاخرة لهي الحيوان اي ليس فيها الا حيوة مستمرة دائمة خالدة لا موت فيها فكانها في ذاتها حيوة والحيوان مصدر حيى وقياسه حييان فقلبت الياء الثانية واوا كما قالوا حيوة في اسم رجل وبه سمى ما فيه حيوة حيوانا قالوا اشتر من الموتان ولا تشتر من الحيوان وفي بناء الحيوان زيادة معنى ليس في بناء الحيوة وهي ما في بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب كالنزوان والغليان واللهبان وما اشبه ذلك والحيوة حركة كما ان الموت سكون فمجيئه على بناء دال على معنى الحركة مبالغة في معنى الحيوة ولذلك اختيرت على الحيوة في هذا الموضع المقتضي للمبالغة لو كانوا يعلمون فلم يؤثروا الحيوة الدنيا عليها فان قلت بم اتصل قوله فاذا ركبوا قلت بمحذوف دل عليه ما وصفهم به وشرح من امرهم معناه هم على ما وصفوا به من الشرك والعناد فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين كائنين في صورة من يخلص الدين لله من المؤمنين حيث لا يذكرون الا الله ولا يدعون معه الها اخر وفي تسميتهم مخلصين ضرب من التهكم فلما نجاهم الى البر وامنوا عادوا الى حال الشرك واللام في ليكفروا محتمله ان تكون لام كي وكذلك في وليتمتعوا في من قراها بالكسر والمعنى انهم يعودون الى شركهم ليكونوا بالعود الى شركهم كافرين بنعمة النجاة قاصدين التمتع بها والتلذذ لا غير على خلاف ما هو عادة المؤمنين المخلصين

على الحقيقة اذا انجاهم الله ان يشكروا نعمة الله عز وجل في انجائهم ويجعلوا نعمة النجاة ذريعة الى ازدياد الطاعة لا الى التمتع والتلذذ وان يكون لام الامر وقراه من قرا وليتمتعوا بالسكون يشهد له ونحوه قوله تعالى اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير فان قلت كيف جاز ان يامر الله تعالى بالكفر وبان يعمل العصاة ما شاؤا وهو ناه عن ذلك ومتوعد عليه قلت هو مجاز عن الخذلان والتخلية وان ذلك الامر متسخط الى غاية ومثاله ان ترى الرجل قد عزم على امر وعندك ان ذلك الامر خطا وانه يؤدى الى ضرر عظيم فتبالغ في نصحه واستنزاله عن رايه فاذا لم تر منه الا الاباء والتصميم حردت عليه وقلت انت وشانك وافعل ما شئت فلا تريد بهذا حقيقة الامر وكيف والامر بالشئ مريد له وانت شديد الكراهة متحسر ولكنك كانك تقول له فاذ قد ابيت قبول النصيحة فانت اهل ليقال لك افعل ما شئت وتبعث عليه ليتبين لك اذا فعلت صحة راى الناصح وفساد رايك كانت العرب حول مكة يغزو بعضهم بعضا ويتغاورون ويتناهبون واهل مكة قارون امنون فيها لا يغزون ولا يغار عليهم مع قلتهم وكثرة العرب فذكرهم الله هذه النعمة الخاصة ووبخهم بانهم يؤمنون بالباطل الذى هم عليه ومثل هذه النعمة المكشوفة الظاهرة وغيرها من النعم التى لا يقدر عليها الا الله وحده مكفور عندهم افترائهم على الله كذبا زعمهم ان لله شريكا وتكذيبهم بما جاءهم من الحق كفرهم بالرسول والكتاب وفي قوله لما جاءه تسفيه لهم يعني لم يتلعثموا في تكذيبه وقت سمعوه ولم يفعلوا كما يفعل المراجيح العقول المتثبتون في الامور يسمعون الخبر فيستعملون فيه الروية والفكر ويستانون الى ان يصح لهم صدقه او كذبه اليس تقرير لثوائهم في جهنم كقوله ۝ الستم خير من ركب المطايا واندى العالمين بطون راح ۝ قال بعضهم ولو كان استفهاما ما اعطاه الخليفة مائة من الابل وحقيقته ان الهمزة همزة الانكار دخلت على النفى فرجع الى معنى التقرير فهما وجهان احدهما الا يثوون في جهنم والا يستوجبون الثواء فيها وقد افتروا مثل هذا الكذب على الله وكذبوا بالحق هذا التكذيب والثانى الم يصح عندهم ان في جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤا مثل هذه الجراة اطلق المجاهدة ولم يقيدها بمفعول ليتناول كل ما يجب مجاهدته من النفس الامارة بالسوء والشيطان واعداء الدين فينا في حقنا ومن اجلنا ولوجهنا خالصا لنهدينهم سبلنا لنزيدنهم هداية الى سبيل الخير وتوفيقا كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى وعن ابى سليمن الدارانى والذين جاهدوا فيما علموا لنهدينهم الى ما لم يعلموا وعن بعضهم من عمل بما يعلم وفق لما لا يعلم وقيل ان الذى نرى من جهلنا بما لا نعلم انما هو من تقصيرنا في ما نعلم لمع المحسنين لناصرهم ومعينهم ۝ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا

سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المومنين والمنافقين

سورة الروم مكية الا قوله فسبحان الله حين تمسون الاية وقيل تسع وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين القراة المشهورة الكثيرة غلبت الروم بضم الغين وسيغلبون بفتح اليا والارض ارض العرب لان الارض المعهودة عند العرب ارضهم والمعنى غلبوا في ادنى ارض العرب منهم وهي اطراف الشام او اراد ارضهم على انابة اللام مناب المضاف اليه اي في ادنى ارضهم الى عدوهم قال مجاهد هي ارض الجزيرة وهي ادنى ارض الروم الى فارس وعن ابن عباس رضي الله عنه الاردن وفلسطين وقرى في ادانى الارض والبضع ما بين الثلث الى العشر عن الاصمعي وقيل احتربت الروم وفارس بين اذرعات وبصرى فغلبت فارس الروم فبلغ الخبر مكة فشق على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين لان فارس مجوس لا كتاب لهم والروم اهل كتاب وفرح المشركون وشمتوا وقالوا انتم والنصارى اهل كتاب ونحن وفارس اميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم ولنظهرن نحن عليكم فنزلت فقال لهم ابو بكر رضي الله عنه لا يقرر الله اعينكم فوالله ليظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له ابي بن خلف كذبت يا ابا فضيل اجعل بيننا اجلا اناحبك عليه والمناحبة المراهنة فناحبه على عشر قلايص من كل واحد منهما وجعلا الاجل ثلث سنين فاخبر ابو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال البضع ما بين الثلث الى التسع فزايده في الخطر ومادّه في الاجل فجعلاها مائة قلوص الى تسع سنين ومات ابي من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك عند راس سبع سنين وقيل كان النصر يوم بدر للفريقين فاخذ ابو بكر رضي الله عنه الخطر من ذرية ابي وجا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدق به وهذه الاية من الايات البينة الشاهدة على صحة النبوة وان القران من عند الله لانها انبا عن علم الغيب الذي لا يعلمه الا الله وقرى غلبهم بسكون اللام والغلب والغلب مصدران كالجلب والجلب والحلب والحلب وقرى غلبت الروم بالفتح وسيغلبون بالضم ومعناه ان الروم غلبوا على ريف الشام وسيغلبهم المسلمون في بضع سنين وعند انقضا هذه المدة اخذ المسلمون في جهاد الروم واضافة غلبهم حلف باحلاف القراتين فهي في احداهما اضافة المصدر الى المفعول وفي الثانية اضافته الى الفاعل ومثالها محرم عليكم اخراجهم ولئن خلا الله وعن قتادة وقلت كيف صحت المناحبة وانما هي قمار قلت عن قتادة انه كان ذلك قبل تحريم القمار ومن مذهب ابي حنيفة رحمه الله ومحمد ان العقود الفاسدة من عقود الربا وغيرها جائزة في دار الحرب بين المسلمين والكفار وقد احتجا على صحة ذلك بما عقده ابو بكر رضي الله عنه بينه وبين ابي بن خلف لله الامر من قبل ومن بعد اي في اول الوقتين وفي اخرهما حين غلبوا وحين يغلبون كانه قيل من

قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين يعني ان كونهم مغلوبين اولا وغالبين اخرا ليس الا بامر الله وقضائه وتلك الايام نداولها بين الناس وقرى من قبل ومن بعد على الجر من غير تقدير مضاف اليه واقتطاعه كانه قيل قبلا وبعدا بمعنى اولا واخرا ويوميذ ويوم تغلب الروم على فارس ويحل ما وعده الله عز وجل من غلبتهم يفرح المومنون بنصر الله وتغليبه من له كتاب على من لا كتاب له وغيظ من شمت بهم من كفار مكة وقيل نصر الله هو اظهار صدق المومنين فيما اخبروا به المشركين من غلبة الروم وقيل نصر الله انه ولى بعض الظالمين بعضا وفرق بين كلمتهم حتى يتفانوا ويتناقضوا وقيل هو لا شوكة هولا وفي ذلك قوة للاسلام وعن ابي سعيد الخدري وافق ذلك يوم بدر وفي هذا اليوم نصر المومنون ينصر من يشا وهو العزيز الرحيم ينصر عليكم تارة وينصركم اخرى وعد الله مصدر موكد كقولك علي الف درهم عرفا لان معناه اعترف لك بها اعترافا ووعد الله ذلك لان ما سبقه في معنى وعد لا يخلف الله وعده ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون وتنكير ظاهرا ... عقلا في امور الدنيا بله في امر الدين وذلك انهم كانوا اصحاب تجارات ومكاسب قال الحسن بلغ من حذق احدهم انه ياخذ الدرهم فينقره باصبعه فيعلم ارديء هو ام جيد وقوله يعلمون بدل من قوله لا يعلمون وفي هذا الابدال من النكتة انه ابدله منه وجعله بحيث يقوم مقامه ويسد مسده ليعلمك انه لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل وبين وجود العلم الذي لا يتجاوز الدنيا وقوله ظاهرا من الحياة الدنيا يفيد ان للدنيا ظاهرا وباطنا فظاهرها ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها والتنعم بملاذها وباطنها وحقيقتها انها مجاز الى الاخرة يتزود منها اليها بالطاعة والاعمال الصالحة وفي تنكير الظاهر انهم لا يعلمون الا ظاهرا واحدا من جملة ظواهرها وهم الثانية يجوز ان يكون مبتدا وغافلون خبره والجملة خبر هم الاولى وان يكون تكريرا للاولى وغافلون خبر الاولى واية كانت فذكرها مناد على انهم معدن الغفلة عن الاخرة ومقرها ومتعلقها وانها منهم تنبع واليهم ترجع اولم يتفكروا في انفسهم يحتمل ان يكون ظرفا كانه قيل اولم يحدثوا التفكر في انفسهم اي في قلوبهم الفارغة من الفكر والتفكر لا يكون الا في القلوب ولكنه زيادة تصوير لحال المتفكرين كقولك اعتقده في قلبك واضمره في نفسك وان يكون صلة للتفكر كقولك تفكر في الامر واجال فيه فكره وما خلق متعلق بالقول المحذوف معناه اولم يتفكروا فيقولوا هذا القول وقيل معناه فيعلموا لان في الكلام دليلا عليه ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمى اي ما خلقها باطلا وعبثا بغير غرض صحيح وحكمة بالغة ولا لتبقى خالدة وانما خلقها مقرونة

بالحق مصحوبة بالحكمة وبتقدير اجل مسمى لابد لها من ان تنتهي اليه وهو
قيام الساعة ووقت الحساب والثواب والعقاب الا ترى الى قوله افحسبتم
انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون كيف سمى تركهم غير
راجعين اليه عبثا والبا في قوله الا بالحق مثلها في قولك دخلت عليه
بثياب السفر واشترى الفرس بسرجه ولجامه تريد اشتريته وهو
وهو ملتبس بالسرج واللجام غير منفك عنهما وكذلك المعنى ما خلقناها
الا وهي ملتبسة بالحق مقترنة به فان قلت اذا جعلت في انفسهم
صلة للتفكر فما معناه قلت معناه اولم يتفكروا في انفسهم التي هي
اقرب اليهم من غيرها من المخلوقات وهم اعلم واخبر باحوالها منهم باحوال
ما عداها فتدبروا ما اودعها الله ظاهرا وباطنا من غرائب الحكم
الدالة على التدبير دون الاهمال وانه لابد لها من انتهاء الى وقت يجازيها
فيه الحكيم الذي دبر امرها على الاحسان احسانا وعلى الاساءة مثلها حتى
يعلموا عند ذلك ان سائر الخلائق كذلك امرها جار على الحكمة والتدبير
وانه لابد لها من الانتهاء الى ذلك الوقت والمراد بلقاء ربهم الاجل المسمى
اولم يسيروا تقرير لسيرهم في البلاد ونظرهم الى آثار المدمرين من عاد
وثمود وغيرهم من الامم العاتية ثم اخذ يصف احوالهم وانهم كانوا اشد
منهم قوة واثاروا الارض وحرثوها قال الله تعالى لا ذلول تثير الارض
وقيل لبقر الحرث المثيرة وقالوا سمي ثورا لاثارته الارض وبقرة لانها
تبقر الارض اي تشقها وعمروها يعني اولئك المدمرين اكثر مما عمروها
من عمارة اهل مكة واهل مكة اهل واد غير ذي زرع ما لهم اثارة ارض
اصلا ولا عمارة لها راسا فما هو الا تهكم بهم وبضعف حالهم في دنياهم
لان معظم ما يستظهر به اهل الدنيا ويتباهون به امر الدهقنة وهم ايضا
ضعاف القوى فقوله كانوا اشد منهم قوة اي من عاد وثمود واضرابهم
من هذا القبيل كقوله اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة وان
كان هذا ابلغ لانه خالق القوى والقدر فما كان تدميره اياهم ظلما لان
حاله منافية للظلم ولكنهم ظلموا انفسهم حيث عملوا ما اوجب تدميرهم
قرئ عاقبة بالنصب والرفع والسوأى تأنيث الاسوأ وهو الاقبح
كما ان الحسنى تأنيث الاحسن والمعنى انهم عوقبوا في الدنيا
بالدمار ثم كان عاقبتهم السوأى الا انه وضع المظهر موضع المضمر
اي العقوبة التي هي اسوأ العقوبات في الآخرة وهي جهنم التي اعدت
للكافرين وان كذبوا بمعنى لان كذبوا ويجوز ان يكون ان بمعنى اي
لانه اذا كان تفسير الاساءة التكذيب والاستهزاء كانت في معنى القول
نحو نادى وكتب وما اشبه ذلك ووجه اخر وهو ان يكون اساءوا
السوأى بمعنى اقترفوا الخطيئة التي هي اسوأ الخطايا وان كذبوا عطف

لهم

بيان لها

بيان لها وخبر كان محذوف كما يحذف جواب لما ولو ارادة الابهام ثم اليه
ترجعون الى ثوابه وعقابه وقرئ بالياء والتاء الابلاس ان يبقى بائسا ساكتا
متحيرا يقال ناظرته فابلس اذا لم ينبس وايس من ان يحتج ومنه الناقة
المبلاس التي لا ترغو وقرئ يبلس بفتح اللام من ابلسه اذا اسكته
من شركائهم من الذين عبدوهم من دون الله وكانوا بشركائهم كافرين
اي يكفرون بالاهيتهم ويجحدونها او وكانوا في الدنيا كافرين بسببهم
وكتب شفعوا في المصحف بواو قبل الالف كما كتب علموا بني اسرائيل
وكذلك كتب السوأى بالف قبل الياء اثباتا للهمزة على صورة الحرف الذي منه
حركتها الضمير في يتفرقون للمسلمين والكافرين لدلالة ما بعده عليه
وعن الحسن رضي الله عنه هو تفرق المسلمين والكافرين هؤلاء في عليين وهؤلاء
في اسفل السافلين وعن قتادة فرقة لا اجتماع بعدها في روضة في بستان
وهي الجنة والتنكير لابهام امرها وتفخيمه والروضة عند العرب كل
ارض ذات نبات وماء وفي امثالهم احسن من بيضة في روضة يريدون
بيضة النعامة يحبرون يسرون يقال حبره اذا سره سرورا تهلل له
وجهه وظهر فيه اثره ثم اختلفت فيه الاقاويل لاحتماله وجوه جميع المسار
فعن مجاهد يكرمون وعن قتادة ينعمون وعن ابن كيسان يحلون وعن ابي بكر
بن عياش التيجان على رؤسهم وعن وكيع السماع في الجنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انه ذكر الجنة وما فيها من النعيم وفي اخر القوم اعرابي فقال يا رسول الله
هل في الجنة من سماع قال نعم يا اعرابي ان في الجنة لنهرا حافتاه الابكار
من كل بيضاء خوصانية يتغنين باصوات لم تسمع الخلائق بمثلها قط فذلك
افضل نعيم الجنة قال الراوي فسالت ابا الدرداء بم يتغنين قال بالتسبيح وروي
ان في الجنة لاشجارا عليها اجراس من فضة فاذا اراد اهل الجنة السماع بعث
الله ريحا من تحت العرش فتقع في تلك الاشجار فتحرك تلك الاجراس باصوات
لو سمعها اهل الدنيا لماتوا طربا محضرون لا يغيبون عنه ولا يخفف عنهم
كقوله وما هم بخارجين منها لما ذكر الوعد والوعيد اتبعه ذكر
ما يوصل الى الوعد وينجي من الوعيد والمراد بالتسبيح ظاهره الذي هو
تنزيه الله من السوء والثناء عليه بالخير في هذه الاوقات لما يتجدد فيها من
نعمة الله الظاهرة وقيل الصلاة وقيل لابن عباس رضي الله عنه هل تجد ذكر الصلوات
الخمس في القران قال نعم وتلا هذه الاية تمسون صلاتا المغرب والعشاء
تصبحون صلاة الفجر وعشيا صلاة العصر وحين تظهرون صلاة الظهر وقوله وعشيا متصل
بقوله حين تمسون وقوله وله الحمد في السموات والارض اعتراض بينهما
معناه ان على المميزين كلهم من اهل السموات والارض ان يحمدوه فان قلت
لم ذهب الحسن رحمه الله الى ان الاية مدنية قلت لانه كان يقول فرضت الصلوات

الخمس بالمدينة وكان الواجب بمكة ركعتين في غير وقت معلوم والقول الاكثر
ان الخمس انما فرضت بمكة وعن عائشة رضي الله عنها فرضت الصلاة ركعتين
فلما قدم رسول الله صلعم المدينة اقرت صلاة السفر وزيدت في صلاة الحضر
وعن رسول الله صلعم من سره ان يكال له بالقفيز الاوفى فليقل فسبحان
الله حين تمسون وحين تصبحون الاية وعنه صلعم من قال حين يصبح فسبحان
الله حين تمسون وحين تصبحون الى قوله وكذلك تخرجون ادرك ما فاته في
يومه ومن قالها حين يمسي ادرك ما فاته في ليلته وفي قراءة عكرمة حينا
تمسون وحينا تصبحون والمعنى تمسون فيه وتصبحون فيه كقوله يوما لا
تجزي نفس عن نفس شيئا بمعنى فيه يخرج الحي من الميت الطائر من البيضة و الميت
من الحي البيضة من الطائر واحيا الارض اخراج النبات منها وكذلك تخرجون
ومثل ذلك الاخراج تخرجون من القبور وتبعثون والمعنى ان الابداء والاعادة
متساويات في قدرة من هو قادر على الطرد والعكس من اخراج الميت من الحي
واخراج الميت من الحي واحياء الميت واماتة الحي وقرئ الميت بالتشديد وتخرجون
بفتح التاء ان خلقكم من تراب لانه خلق اصلهم منه و اذا للمفاجاة وتقديره ثم
فاجأتم وقت كونكم بشرا منتشرين في الارض كقوله وبث منهما رجالا كثيرا
ونساء خلق لكم من انفسكم ازواجا لان حوا خلقت من ضلع آدم عم والنساء بعدها
خلقن من اصلاب الرجال او من شكل انفسكم وجنسها لا من جنس آخر
وذلك لما بين الاثنين من جنس واحد من الالف والسكون وما بين الجنسين
المختلفين من التنافر مودة ورحمة التواد والتراحم بعصمة الزواج بعد
ان لم يكن بينكم سابقة معرفة ولا لقاء ولا سبب يوجب التعاطف من قرابة
او رحم وعن الحسن المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد كما قال ورحمة منا
وقال ذكر رحمة ربك عبده ويقال سكن اليه اذا مال اليه كقولهم انقطع اليه
واطمان اليه ومنه السكن وهو الالف المسكون اليه فعل بمعنى مفعول
وقيل ان المودة والرحمة من قبل الله عز وجل وان الفرك من قبل الشيطان
الالسنة اللغات او اجناس النطق واشكاله خالف عز وعلا بين
هذه الاشياء حتى لا تكاد تسمع منطقين متفقين في همس واحد ولا جهارة
ولا حدة ولا رخاوة ولا فصاحة ولا لكنة ولا نظم ولا اسلوب ولا غير ذلك من
صفات النطق واحواله وكذلك الصور وتخطيطها والالوان وتنويعها
ولاختلاف ذلك وقع التعارف والا فلو اتفقت وتشاكلت وكانت ضربا واحدا
لوقع التجاهل والالتباس ولتعطلت مصالح كثيرة وربما رايت توأمين يشتبهان
في الحلية فيعروك الخطا في التمييز بينهما وتعرف حكمة الله في المخالفة بين الحلى
وفي ذلك آية بينة حيث ولدوا من اب واحد وفرعوا من اصل فذ وهم
على الكثرة التي لا يعلمها الا الله مختلفون متفاوتون وقرئ للعالمين

بفتح اللام

بفتح اللام وكسرها ويشهد للكسر قوله تعالى وما يعقلها الا العالمون هذا
من باب اللف وترتيبه ومن آياته منامكم وابتغاؤكم من فضله
بالليل والنهار الا انه فصل بين القرينين الاولين بالقرينين الآخرين لانهما
زمانان والزمان والواقع فيه كشيء واحد مع اعانة اللف على الاتحاد ويجوز
ان يراد منامكم في الزمانين وابتغاؤكم فيهما والظاهر هو الاول لتكرره في
القرآن واسد المعاني ما دل عليه القرآن يسمعون بالآذان الواعية
في يريكم وجهان اضمار ان وانزال الفعل منزلة المصدر وبهما فسر المثل
تسمع بالمعيدي خير من ان تراه وقول القائل ه وقالوا ما تشاء فقلت الهو
الى الاصباح آثر ذي اثير ه خوفا من الصاعقة او من الاخلاف وطمعا في
الغيث وقيل خوفا للمسافر وطمعا للحاضر وهما منصوبان على المفعول له فان
قلت من حق المفعول له ان يكون فعلا لفاعل الفعل المعلل والخوف والطمع
ليسا كذلك قلت فيه وجهان احدهما ان المفعولين فاعلون في المعنى
لانهم راءون فكانه قيل يجعلكم رائين البرق خوفا وطمعا والثاني ان يكون
على تقدير حذف المضاف اي ارادة خوف وطمع فحذف المضاف واقيم المضاف
اليه مقامه ويجوز ان يكونا حالين اي خائفين وطامعين وقرئ ينزل
بالتشديد ومن آياته ان تقوم السموات والارض واستمساكهما بغير عمد
بامره اي بقوله كونا قائمتين والمراد باقامتهما ارادته لكونهما على صفة
القيام دون الزوال وقوله اذا دعاكم بمنزلة قوله يريكم في ايقاع الجملة موقع
المفرد على المعنى كانه قال ومن آياته قيام السموات والارض ثم خروج
الموتى من القبور اذا دعاهم دعوة واحدة يا اهل القبور اخرجوا والمراد سرعة
وجود ذلك من غير توقف ولا تلبث كما يجيب الداعي المطاع مدعوه كما قال
القائل ه دعوت كليبا دعوة فكانما دعوت به ابن الطود او هو اسرع ه
يريد بابن الطود الصدى او الحجر اذا تدهدى وانما عطف هذا على قيام
السموات والارض بثم بيانا لعظم ما يكون من ذلك الامر واقتداره على
مثله وهو ان يقول يا اهل القبور قوموا فلا تبقى نسمة من الاولين والآخرين
الا قامت تنظر كما قال عز وجل ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون قولك
دعوته من مكان كذا كما يجوز ان يكون مكانك يجوز ان يكون مكان
صاحبك تقول دعوت زيدا من اعلى الجبل فنزل علي ودعوته من اسفل الوادي
فطلع الي فان قلت بم يتعلق من الارض اما الفعل ام المصدر قلت
هيهات اذا جاء نهر الله بطل نهر معقل فان قلت ما الفرق بين اذا واذا
قلت الاولى للشرط والثانية للمفاجاة وهي تنوب مناب الفاء في جواب الشرط
وقرئ تخرجون بضم التاء وفتحها قانتون منقادون لوجود افعاله فيهم لا
يمتنعون عليه وهو اهون عليه فيما يجب عندكم وينقاس على اصولكم ويقتضيه
معقولكم لان من اعاد منكم صنعة شيء كانت اسهل عليه واهون من انشائها وتعتذرون

للصانع اذا اخطى في بعض ما ينشئه اول الغزو اخرق وتسمون الماهر
في صناعته معاودا تعنون انه عاودها كرة بعد اخرى حتى مرن عليها
وهانت عليه فان قلت لم ذكر الضمير في قوله وهو اهون عليه والمراد
به الاعادة قلت معناه وان يعيده اهون عليه فان قلت لم اخرت
الصلة في قوله وهو اهون عليه وقدمت في قوله هو علي هين قلت
هنالك قصد الاختصاص وهو محزه فقيل هو علي هين وان كان مستصعبا
عندكم ان يولد بين هم وعاقر واما ههنا فلا معنى للاختصاص كيف والامر
مبني على ما يعقلون من ان الاعادة اسهل من الابتداء فلو قدمت الصلة
لتغير المعنى فان قلت ما بال الاعادة استعظمت في قوله ثم اذا دعاكم
حتى كانها فضلت على قيام السموات والارض بامره ثم هونت بعد ذلك
قلت الاعادة في نفسها عظيمة ولكنها هونت بالقياس الى الانشاء وقيل
الضمير في عليه للخلق ومعناه ان البعث اهون على الخلق من الانشاء لان
تكوينه في حد الاستحكام والتمام اهون عليه واقل تعبا وكدا من ان ينتقل
في احوال ويتدرج فيها الى ان يبلغ ذلك وقيل الاهون بمعنى الهين ووجه اخر
وهو ان الانشاء من قبيل التفضل الذي يتخير فيه الفاعل بين ان يفعله وبين
ان لا يفعله والاعادة من قبيل الواجب الذي لا بد له من فعله لانها لجزاء الاعمال
وجزاؤها واجب والافعال اما محال والمحال ممتنع اصلا خارج عن المقدور
واما ما يصرف الحكيم عن فعله صارف وهو القبيح وهو رديف المحال لان الصارف
يمنع وجود الفعل كما يمنعه الاحالة واما تفضل والتفضل حالة بين بين
للفاعل ان يفعله وان لا يفعله واما واجب لا بد من فعله ولا سبيل الى الاخلال
به فكان الواجب ابعد الافعال من الامتناع واقربها من الحصول فلما كانت
الاعادة من قبيل الواجب كانت ابعد الافعال من الامتناع واذا كانت
ابعدها من الامتناع كانت ادخلها في التأتي والتسهل فكانت اهون منها واذا
كانت اهون منها كانت اهون من الانشاء وله المثل الاعلى اي الوصف
الاعلى الذي ليس لغيره مثله قد عرف به ووصف في السموات والارض على
السنة الخلائق والسنة الدلائل وهو انه القادر الذي لا يعجز عن شيء من
انشاء او اعادة وغيرهما من المقدورات ويدل عليه قوله وهو العزيز الحكيم
اي القاهر لكل مقدور الحكيم الذي يجري كل فعل على قضايا حكمته وعلمه
وعن مجاهد المثل الاعلى قول لا اله الا الله ومعناه وله الوصف الاعلى الذي
هو الوصف بالوحدانية ويعضده قوله ضرب لكم مثلا من انفسكم وقال الزجاج
وله المثل الاعلى في السموات والارض اي قوله وهو اهون عليه قد ضربه لكم
مثلا فيما يصعب ويسهل يريد التفسير الاول فان قلت اي فرق بين
من الاولى والثانية والثالثة في قوله من انفسكم مما ملكت ايمانكم من شركاء
قلت الاولى للابتداء كانه قال اخذ مثلا وانتزعه من اقرب شيء منكم وهي

انفسكم ولم يبعد والثانية للتبعيض والثالثة مزيدة لتاكيد الاستفهام
الجاري مجرى النفي ومعناه هل ترضون لانفسكم وعبيدكم امثالكم بشر
كبشر وعبيد كعبيد ان يشارككم بعضهم فيما رزقناكم من الاموال وغيرها
تكونون انتم وهم فيه على السواء من غير تفضلة بين حر وعبد تهابون ان
يستبدوا بتصرف دونكم وان يفتاتوا بتدبير عليكم كما يهاب بعضكم بعضا
من الاحرار فاذا لم ترضوا بذلك لانفسكم فكيف ترضون لرب الارباب ومالك
الاحرار والعبيد ان تجعلوا بعض عبيده له شركاء كذلك اي مثل هذا التفصيل
نفصل الايات اي نبينها لان التمثيل مما يكشف المعاني ويوضحها لانه بمنزلة
التصوير والتشكيل لها الا ترى كيف صور الشرك بالصورة المشوهة بل اتبع الذين
ظلموا اي اشركوا كقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم بغير علم اي اتبعوا اهواءهم جا
هلين لان العالم اذا ركب هواه ربما ردعه علمه وكفه واما الجاهل فيهيم
على وجهه كالبهيمة لا يكفه شيء فمن يهدي من اضل الله من خذله ولم يلطف به لعلمه انه
ممن لا لطف له فمن يقدر على هدايته مثله وقوله وما لهم من ناصرين دليل على ان
المراد بالاضلال الخذلان فاقم وجهك للدين فقوم وجهك له وعدله غير
ملتفت عنه يمينا ولا شمالا وهو تمثيل لاقباله على الدين واستقامته عليه
وثباته واهتمامه باسبابه فان من اهتم بالشيء عقد عليه طرفه وسدد اليه
نظره وقوم له وجهه مقبلا به عليه حنيفا حال من المامور او من الدين
فطرة الله الزموا فطرة الله او عليكم فطرة الله وانما اضمرته على خطاب الجماعة
لقوله منيبين اليه ومنيبين حال من الضمير في الزموا وقوله واتقوه و
اقيموا ولا تكونوا معطوف على هذا المضمر والفطرة الخلقة الا ترى الى
قوله لا تبديل لخلق الله والمعنى انه خلقهم قابلين للتوحيد ودين الاسلام غير
نائين عنه ولا منكرين له لكونه مجاوبا للعقل مساوقا للنظر الصحيح حتى لو
تركوا لما اختاروا عليه دينا اخر ومن غوى منهم فباغواء شياطين الانس والجن
ومنه قوله عليه السلام كل عبادي خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وامروهم
ان يشركوا بي غيري وقوله كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه هما اللذان
يهودانه وينصرانه لا تبديل لخلق الله اي ما ينبغي ان تبدل تلك الفطرة او تغير
فان قلت لم وحد الخطاب اولا ثم جمع قلت خوطب رسول الله صلعم اولا
وخطاب الرسول خطاب لامته مع ما فيه من التعظيم للامام ثم جمع بعد ذلك
للبيان والتلخيص من الذين بدل من المشركين فارقوا دينهم تركوا دين الاسلام
وقرئ فرقوا دينهم اي جعلوه اديانا مختلفة لاختلاف اهوائهم وكانوا شيعا
فرقا كل واحدة تشايع امامها الذي اضلها كل حزب منهم فرح بمذهبه
مسرور يحسب باطله حقا ويجوز ان يكون من الذين منقطعا مما قبله ومعناه
من المفارقين دينهم كل حزب فرحين بما لديهم ولكنه رفع فرحون على الوصف
لكل كقوله ۞ وكل خليل غير هاضم نفسه ۞ الصفة الثانية من هزال

او مرض او قحط او غير ذلك والرحمة الخلاص من الشدة واللام في ليكفروا مجاز
مثلها في ليكون لهم عدوا فتمتعوا نظير اعملوا ما شئتم فسوف تعلمون وبال
سعيكم وقرا ابن مسعود رضي الله عنه وليتمتعوا السلطان الحجة وتكلمه مجاز
كما تقول كتابه ناطق بكذا وهذا مما نطق به القرآن ومعناه الدلالة والشهادة
كانه قال فهو يشهد بشركهم وبصحته وما في بما كانوا اي بكونهم بالله
يشركون ويجوز ان تكون موصولة ويرجع الضمير اليها ومعناه فهو يتكلم
بالامر الذي بسببه يشركون ويحتمل ان يكون المعنى ام انزلنا عليهم ذا سلطان
اي ملكا معه برهان فذلك الملك يتكلم بالبرهان الذي بسببه يشركون واذا
اذقناهم رحمة اي نعمة من مطر او سعة او صحة فرحوا بها وان تصبهم سيئة
اي بلاء من جدب او ضيق او مرض والسبب فيها شوم معاصيهم قنطوا من
الرحمة ثم انكر عليهم بانهم قد علموا انه هو الباسط القابض فما لهم يقنطون
من رحمته وما لهم لا يرجعون اليه تائبين من المعاصي التي عوقبوا بالشدة
من اجلها حتى يعيد اليهم رحمته حق ذي القربى صلة الرحم وحق المسكين
وابن السبيل نصيبهما من الصدقة المسماة لهما وقد احتج ابو حنيفة رحمه الله
بهذه الاية في وجوب النفقة للمحارم اذا كانوا محتاجين عاجزين عن الكسب
وعند الشافعي رحمه الله لا نفقة بالقرابة الا على الولد والوالدين قاس
سائر القرابات على ابن العم لانه لا ولاد بينهم فان قلت كيف تعلق قوله
فآت ذا القربى حقه بما قبله حتى جيء بالفاء قلت لما ذكر ان السيئة اصابتهم
بما قدمت ايديهم اتبعه ذكر ما يجب ان يفعل وما يجب ان يترك يريدون وجه
الله يحتمل ان يراد بوجهه ذاته او جهته وجانبه اي يقصدون بمعروفهم اياه
خالصا وحقه كقوله الا ابتغاء وجه ربه الاعلى او يقصدون جهة
التقرب الى الله لا جهة اخرى والمعنيان متقاربان ولكن الطريقة مختلفة
هذه الاية في معنى قوله عز وجل يمحق الله الربا ويربي الصدقات سوا سوا
يريد وما اعطيتم اكلة الربا من ربا ليربو في اموالهم ليزيد ويزكو في اموالهم
فلا يربو عند الله ولا يبارك فيه وما آتيتم من زكاة اي صدقة تبتغون به
وجهه خالصا لا تطلبون به مكافاة ولا رياء ولا سمعة فاولئك هم المضعفون
ذوو الاضعاف من الحسنات ونظير المضعف المقوي والموسر لذي
القوة واليسار وقرئ بفتح العين وقيل نزلت في ثقيف وكانوا يربون وقيل
المراد ان يهب الرجل للرجل او يهدي له ليعوضه اكثر مما وهب واهدى فليست
تلك الزيادة بحرام ولكن المعوض لا يثاب على تلك الزيادة وقالوا الربا ربوان
فالحرام كل قرض يوخذ فيه اكثر او يجر منفعة والذي ليس بحرام ان يستدعي
بهبته او يهديته اكثر منها وفي الحديث المستغزر يثاب من هبته وقرئ
وما آتيتم من ربا بمعنى وما غشيتموه او رهقتموه من اعطاء ربا وقرئ لتربوا
بمعنى لتزيدوا في اموالهم كقوله ويربي الصدقات اي يزيدها وقوله فاولئك

مصدرية

هم المضعفون التفات حسن كانه قال للملائكة وخواص خلقه فاولئك الذين
يريدون وجه الله بصدقاتهم هم المضعفون فهو امدح لهم من ان يقول
فانتم المضعفون والمعنى المضعفون به لانه لا بد من ضمير يرجع الى ما ووجه
اخر وهو ان يكون تقديره فمؤتوه اولئك هم المضعفون والحذف لما في الكلام
من الدليل عليه وهذا اسهل ماخذا والاول املأ بالفائدة الله مبتدا وخبره
الذي خلقكم اي الله هو فاعل هذه الافعال الخاصة التي لا يقدر على شيء منها
احد غيره ثم قال هل من شركائكم الذين اتخذتموهم انداد الله من الاصنام
وغيرها من يفعل شيئا قط من تلك الافعال حتى يصح ما ذهبتم اليه ثم استبعد
حاله من حال شركائهم ويجوز ان يكون الذي خلقكم صفة للمبتدا والخبر
هل من شركائكم وقوله من ذلكم هو الذي ربط الجملة بالمبتدا لان معناه من
افعاله ومن الاولى والثانية والثالثة كل واحدة منهن مستقلة بتاكيد
لتعجيز شركائهم وتجهيل عبدتهم الفساد في البر والبحر نحو الجدب والقحط
وقلة الريع في الزراعات والربح في التجارات ووقوع الموتان في الناس
والدواب وكثرة الحرق والغرق واخفاق الصيادين والغاصة
ومحق البركات من كل شيء وقلة المنافع في الجملة وكثرة المضار وعن ابن
عباس رضي الله عنه اجدبت الارض وانقطعت مادة البحر وقالوا اذا انقطع
القطر عميت دواب البحر وعن الحسن ان المراد بالبحر مدن البحر وقراه التي
على شاطئه وعن عكرمة العرب تسمي الامصار البحار وقرئ في البر والبحور
بما كسبت ايدي الناس بسبب معاصيهم وذنوبهم كقوله تعالى وما اصابكم من
مصيبة فبما كسبت ايديكم وعن ابن عباس رضي الله عنه ظهر الفساد في البر
قتل ابن ادم اخاه وفي البحر بان جلندى كان ياخذ كل سفينة غصبا وعن
قتادة كان ذلك قبل البعث فلما بعث رسول الله صلعم رجع راجعون
عن الضلال والظلم ويجوز ان يريد ظهور الشر والمعاصي بكسب الناس ذلك
فان قلت ما معنى قوله ليذيقهم بعض الذي عملوا
قلت
اما على التفسير الاول فظاهر وهو ان الله قد افسد اسباب دنياهم
ومحقها ليذيقهم وبال بعض اعمالهم في الدنيا قبل ان يعاقبهم بجميعها في
الاخرة لعلهم يرجعون عما هم عليه واما على الثاني فاللام مجاز على معنى
ان ظهور الشرور بسببهم مما استوجبوا به ان يذيقهم الله وبال اعمالهم
ارادة الرجوع فكانهم انما افسدوا وتسببوا لفشو المعاصي في الارض لاجل
ذلك وقرئ لنذيقهم بالنون ثم اكد تسبب المعاصي لغضب الله ونكاله حيث
امرهم بان يسيروا في الارض فينظروا كيف اهلك الله الامم واذاقهم سوء
العاقبة بمعاصيهم ودل بقوله كان اكثرهم مشركين على ان الشرك
وحده لم يكن سبب تدميرهم وان ما دونه من المعاصي يكون سببا لذلك

القيم البليغ الاستقامة الذي لا يتأتى فيه عوج من الله اما ان يتعلق بيأتي فيكون
المعنى من قبل ان يأتي من الله يوم لا يرده احد كقوله تعالى فلا يستطيعون ردها
او بمرد على معنى لا يرده هو بعد ان يجي به ولا رد له من جهته والمرد مصدر
بمعنى الرد يومئذ يصدعون يتصدعون اي يتفرقون كقوله تعالى ويوم تقوم الساعة
يومئذ يتفرقون من كفر فعليه كفره كلمة جامعة لما لا غاية وراءه من المضار لان من
كان ضاره كفره فقد احاطت به كل مضرة فلانفسهم يمهدون اي يسوون
لانفسهم ما يسويه لنفسه الذي يمهد فراشه ويوطئه لئلا يصيبه في مضجعه
ما ينبيه عليه وينغص عليه مرقده من نتوء او قضض او بعض ما يؤذي الراقد
ويجوز ان يريد تعالى انفسهم يشفقون من قولهم في المشفق ام فرشت فانامت
وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على ان ضرر الكفر لا يعود الا على
الكافر لا يعدوه ومنفعة الايمان والعمل الصالح يرجع الى المؤمن لا يتجاوزه
ليجزي متعلق بيمهدون تعليل له من فضله مما يتفضل عليهم بعد توفية
الواجب من الثواب وهذا يشبه الكناية لان الفضل تبع للثواب فلا يكون
الا بعد حصول ما هو تبع له او اراد من عطائه وهو ثوابه لان الفضول
والفواضل هي الاعطية عند العرب وتكرير الذين آمنوا وعملوا الصالحات
وترك الضمير الى الصريح لتقرير انه لا يفلح عنده الا المؤمن الصالح وقوله
انه لا يحب الكافرين تقرير بعد تقرير على الطرد والعكس الرياح هي الجنوب
والشمال والصبا وهي رياح الرحمة واما الدبور فريح العذاب ومنه قوله عليه السلام
اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقد عدد الاغراض في ارسالها وانه
للبشارة بالغيث ولاذاقة الرحمة وهي نزول المطر وحصول الخصب الذي
يتبعه والروح الذي مع هبوب الريح وزكاء الارض قال رسول الله صلعم
اذا كثرت المؤتفكات زكت الارض وازالة العفونة من الهواء وتذرية
الحبوب وغير ذلك ولتجري الفلك في البحر عند هبوبها وانما زاد بامره لان
الريح قد تهب ولا تكون مواتية فلا بد من ارساء السفن والاحتيال لحبسها
وربما عصفت فاغرقتها ولتبتغوا من فضله يريد تجارة البحر ولتشكروا
نعمة الله فيها فان قلت بم يتعلق وليذيقكم قلت فيه وجهان ان
يكون معطوفا على مبشرات على المعنى كانه قيل ليبشركم وليذيقكم وان يتعلق
بمحذوف تقديره وليذيقكم وليكون كذا وكذا ارسلناها احسن الطريق الى
الى الغرض بان ادرج تحت ذكر الانتصار والنصر ذكر الفريقين وقد اخلى
الكلام اولا عن ذكرهما وقوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين تعظيم للمؤمنين
ورفع من شأنهم وتاهيل لكرامة سنية واظهار لفضل سابقة ومزية حيث
جعلهم مستحقين على الله ان ينصرهم مستوجبين عليه ان يظهرهم ويظفرهم ومثبتين
وقد يوقف على حقا ومعناه وكان الانتقام منهم حقا ثم يبتدأ علينا نصر المؤ
وعن رسول الله صلعم ما من امرئ مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا

على الله ان يرد عنه نار جهنم يوم القيامة ثم تلا قوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين
فيبسطه متصلا تارة ويجعله كسفا اي قطعا تارة فترى الودق يخرج من خلاله
في التارتين جميعا والمراد بالسماء سمت السماء وشقها كقوله وفرعها في السماء و
باصابة العباد اصابة بلادهم واراضيهم من قبله من باب التكرير والتوكيد
كقوله تعالى فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها ومعنى التوكيد فيه الدلالة
على ان عهدهم بالمطر قد تطاول وبعد فاستحكم يأسهم وتمادى ابلاسهم فكان
الاستبشار على قدر اغتمامهم بذلك فانظر آثار على الوحدة والجمع وقرأ ابو
حيوة وغيره كيف تحيي اي الرحمة ان ذلك يعني ان ذلك القادر الذي يحيي الارض بعد
موتها هو الذي يحيي الناس بعد موتهم وهو على كل شيء قدير من المقدورات قادر
وهذا من جملة المقدورات بدليل الانشاء فرأوه فرأوا اثر رحمة الله لان رحمة الله
هي الغيث واثرها النبات ومن قرأ بالجمع رجع الضمير الى معناه لان معنى آثار
الرحمة النبات واسم النبات يقع على القليل والكثير لانه مصدر سمي به ما ينبت
ولئن هي اللام الموطئة للقسم دخلت على حرف الشرط ولظلوا جواب القسم
سد مسد الجوابين اعني جواب القسم وجواب الشرط ومعناه ليظلن ذمهم
الله عز وجل بانه اذا حبس عنهم القطر قنطوا من رحمته وضربوا اذقانهم على
صدورهم مبلسين فاذا اصابهم برحمته ورزقهم المطر استبشروا وابتهجوا
فاذا ارسل ريحا فضرب زروعهم بالصفار ضجوا وكفروا بنعمة الله فهم
في جميع هذه الاحوال على الصفة المذمومة كان عليهم ان يتوكلوا على الله
وفضله فقنطوا وان يشكروا نعمته ويحمدوه عليها فلم يزيدوا على الفرح
والاستبشار وان يصبروا على بلائه فكفروا والريح التي اصفر لها النبات يجوز
ان يكون حرورا او حرجفا فكلتاهما مما يصوح له النبات ويصبح هشيما وقال
مصفرا لان تلك صفة حادثة وقيل فرأوا السحاب مصفرا لانه اذا كان كذلك
لم يمطر وقرئ بفتح الضاد وضمها وهما لغتان والضم اقوى في القراءة لما روى
ابن عمر رضي الله عنه قال قرأتها على رسول الله صلعم من ضعف فاقرأني
من ضعف وقوله خلقكم من ضعف كقوله خلق الانسان من عجل يعني ان
اساس امركم وما عليه جبلتكم وبنيتكم الضعف وخلق الانسان ضعيفا
اي ابتدأناكم في اول الامر ضعافا وذلك حال الطفولة والنشء حتى بلغتم وقت
الاحتلام والشبيبة وتلك حال القوة الى الاكتهال وبلوغ الاشد ثم رددتم الى
اصل حالكم وهو الضعف بالشيخوخة والهرم وقيل من ضعف من النطفة لقوله
من ماء مهين وهذا الترديد في الاحوال المختلفة والتغيير من هيئة الى هيئة وصفة
الى صفة اظهر دليل واعدل شاهد على الصانع العليم القدير الساعة القيامة
سميت بذلك لانها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا او لانها تقع بغتة
وبديهة كما تقول في ساعة لمن تستعجله وجرت علما لها كالنجم للثريا والكوكب للزهرة
وارادوا لبثهم في الدنيا او في القبور او فيما بين فناء الدنيا الى البعث وفي الحديث

ما بين فناء الدنيا الى وقت البعث اربعون قالوا لا نعلم اهي اربعون سنة ام اربعون الف
سنة وذلك وقت يفنون فيه وينقطع عذابهم وانما يقدرون وقت لبثهم بذلك
على وجه استقصارهم له او ينسون او يكذبون او يخمنون كذلك كانوا يؤفكون
اي مثل ذلك الصرف كانوا يصرفون عن الصدق والتحقيق في الدنيا وهكذا
كانوا يبنون امرهم على خلاف الحق او مثل ذلك الافك كانوا يؤفكون في
الاغترار بما تبين لهم الان انه ما كان الا ساعة القائلون هم الملائكة
والانبيا والمؤمنون في كتاب الله في اللوح او في علم الله وقضائه او فيما
كتبه اي اوجبه بحكمته ردوا ما قالوه وحلفوا عليه واطلعوهم على الحقيقة
ثم وصلوا ذلك بتقريعهم على انكار البعث بقولهم فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا
تعلمون انه حق لتفريطكم في طلب الحق واتباعه فان قلت ما هذه الفاء وما
حقيقتها قلت هي التي في قوله ٥ فقد جئنا خراسانا ٥ وحقيقتها انها
جواب شرط يدل عليه الكلام كانه قال ان صح ما قلتم من ان خراسان اقصى ما
يراد بنا فقد جئنا خراسان وآن لنا ان نخلص وكذلك ان كنتم منكرين البعث
فهذا يوم البعث اي فقد تبين بطلان قولكم وقرا الحسن يوم البعث بالتحريك
لا ينفع قرئ بالياء والتاء يستعتبون من قولك استعتبني فلان فاعتبته اي
استرضاني فارضيته وذلك اذا كنت جانيا عليه وحقيقة اعتبته ازلت
عتبه الا ترى الى قوله ٥ غضبت تميم ان تقتل عامر يوم النسار فاعتبوا بالصيلم ٥
كيف جعلهم غضابا ثم قال فاعتبوا اي ازيل غضبهم والغضب في معنى العتب والمعنى
لا يقال لهم ارضوا ربكم بتوبة وطاعة ومثله قوله تعالى لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون
فان قلت كيف جعلوا غير مستعتبين في بعض الايات وغير معتبين في
بعضها وهو قوله وان يستعتبوا فما هم من المعتبين قلت اما كونهم غير مستعتبين
فهذا معناه واما كونهم غير معتبين فمعناه انهم غير راضين بما هم فيه فشبهت
حالهم بحال قوم جني عليهم فهم عاتبون على الجاني غير راضين منه فان
يستعتبوا الله اي يسالوه ازالة ما هم فيه فما هم من المجابين الى ازالته ولقد وصفنا
لهم كل صفة كانها مثل في غرابتها وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشان
كصفة المبعوثين يوم القيامة وقصتهم وما يقولون وما يقال لهم وما لا
ينفع من اعتذارهم ولا يسمع من استعتابهم ولكنهم لقسوة قلوبهم ومج
اسماعهم حديث الاخرة اذا جئتهم باية من ايات القران قالوا جئتنا بزور
وباطل مثل ذلك الطبع يطبع الله على قلوب الجهلة ومعنى طبع الله
منع الالطاف التي تنشرح لها الصدور حتى تقبل الحق وانما يمنعها من علم انها
لا تجدي عليه ولا تغني عنه كما يمنع الواعظ الموعظة من يتبين له ان الموعظة
تلغو ولا تنجع فيه فوقع ذلك كناية عن قسوة قلوبهم وركوب الصدا والرين اياها
فكانه قال كذلك تقسو وتصدا قلوب الجهلة حتى يسموا المحقين مبطلين
وهم اعرق خلق الله في تلك الصفة فاصبر على عداوتهم ان وعد الله بنصرتك
واظهار دينك على الدين كله حق لا بد من انجازه والوفاء به ولا يحملنك على الخفة

يقولون ذمم

والقلق جزعا مما يقولون فانهم قوم شاكون ضالون لا يستبدع منهم ذلك و
قرئ بتخفيف النون وقرا ابن ابي اسحق ويعقوب ولا يستحقنك اي لا يفتننك
فيملكوك ويكونوا احق بك من المؤمنين ٥ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
قرا سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح الله بين
السما والارض وادرك ما ضيع في يومه وليلته ٥

سورة لقمن

مكية وهي اربع وثلثون اية وقيل ثلث وثلثون اية ٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الحكيم ذي الحكمة
او وصف بصفة الله عز وجل على الاسناد المجازي ويجوز ان يكون الاصل
الحكيم قائله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فبانقلابه مرفوعا
بعد الجر استكن في الصفة المشبهة هدى ورحمة بالنصب على الحال عن
الايات والعامل فيها ما في تلك من معنى الاشارة وبالرفع على انه خبر
بعد خبر او خبر مبتدا محذوف للمحسنين للذين يعملون الحسنات وهي التي
ذكرها من اقامة الصلاة وايتاء الزكوة والايقان بالاخرة ونظيره قول اوس ٥
الالمعي الذي يظن بك الظن كان قد راى وقد سمعا ٥ حكي عن الاصمعي انه سئل
عن الالمعي فانشده ولم يزد او للذين يعملون جميع ما يحسن من الاعمال
ثم خص منهم القائمين بهذه الثلث لفضل اعتدادها اللهو كل باطل الهى عن الخير
وعما يعني ولهو الحديث نحو السمر بالاساطير والاحاديث التي لا اصل لها و
التحدث بالخرافات والمضاحيك وفضول الكلام وما لا ينبغي من كان وكان ونحو
الغناء وتعلم الموسيقار وما اشبه ذلك وقيل نزلت في النضر بن الحرث وكان
يتجر الى فارس فيشتري كتب الاعاجم فيحدث بها قريشا ويقول ان كان محمد
يحدثكم بحديث عاد وثمود فانا احدثكم بحديث رستم وبهرام والاكاسرة
وملوك الحيرة فيستملحون حديثه ويتركون استماع القران وقيل كان يشتري
المغنيات فلا يظفر باحد يريد الاسلام الا انطلق به الى قينته فيقول اطعميه
واسقيه وغنيه ويقول هذا خير مما يدعوك اليه محمد من الصلاة والصيام
وان تقاتل بين يديه وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم لا يحل بيع المغنيات ولا شراؤهن
ولا التجارة فيهن ولا اثمانهن وعنه صلى الله عليه وسلم ما من رجل يرفع صوته بالغناء
الا بعث الله عليه شيطانين احدهما على هذا المنكب والاخر على هذا المنكب
فلا يزالان يضربانه بارجلهما حتى يكون هو الذي يسكت وقيل الغناء منفدة للمال
مسخطة للرب مفسدة للقلب فان قلت ما معنى اضافة اللهو الى الحديث
قلت معناها التبيين وهي الاضافة بمعنى من وان يضاف الشي الى ما هو منه
كقولك ثوب خز وباب ساج والمعنى من يشتري اللهو من الحديث لان
اللهو يكون من الحديث ومن غيره فبين بالحديث والمراد بالحديث الحديث المنكر
كما جاء في الحديث الحديث في المسجد ياكل الحسنات كما تاكل البهيمة الحشيش
ويجوز ان تكون الاضافة بمعنى من التبعيضية كانه قيل ومن الناس من يشتري

بعض الحديث الذي هو اللهو منه وقوله يشترى اما من الشرا على ما روى
عن النضر من شرا كتب الاعاجم او من شرا القيان واما من قوله اشتروا
الكفر بالايمان اى استبدلوه منه واختاروه عليه وعن قتادة اشتراؤه
استحبابه يختار حديث الباطل على حديث الحق وقرئ ليضل بضم اليا
وفتحها وسبيل الله دين الاسلام او القران فان قلت القراءة بالضم
بينة لان النضر كان غرضه باشترا اللهو ان يصد الناس عن الدخول
في الاسلام واستماع القران ويضلهم عنه فما معنى القراءة بالفتح قلت فيه
معنيان احدهما الثبات على ضلاله الذي كان عليه ولا يصدف عنه ويزيد فيه
ويمده فان المخذول كان شديد الشكيمة في عداوة الدين وصد الناس عنه
والثاني ان يوضع ليضل موضع ليضل من قبل ان من اضل كان ضالا لا
محالة فدل بالرديف على المردوف فان قلت ما معنى قوله بغير علم
قلت لما جعله مشتريا لهو الحديث بالقران قال يشترى بغير علم بالتجارة
وبغير بصيرة بها حيث يستبدل الضلال بالهدى والباطل بالحق ونحوه
قوله تعالى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين اى وما كانوا مهتدين للتجارة
بصراء بها وقرئ ويتخذها بالنصب والرفع عطفا على يشترى او ليضل والضمير
للسبيل لانها مؤنثة كقوله تعالى ويصدون عن سبيل الله من آمن ويبغونها
عوجا ولى مستكبرا زاما لا يعبأ بها ولا يرفع بها رأسا تشبه حاله في ذلك
حال من لم يسمعها وهو سامع كان في اذنيه وقرا اى ثقلا ولا وقر فيهما
وقرئ بسكون الذال فان قلت ما محل الجملتين المصدرتين بكأن
قلت الاولى حال من مستكبرا والثانية من لم يسمعها ويجوز ان يكونا
استئنافين والاصل في كأن المخففة كأنه والضمير ضمير الشان وعد الله
حقا مصدران مؤكدان الاول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره لان قوله
لهم جنات النعيم في معنى وعدهم الله جنات النعيم فأكد معنى الوعد بالوعد
واما حقا فدال على معنى الثبات اكد به معنى الوعد ومؤكدهما جميعا قوله
لهم جنات النعيم وهو العزيز الذي لا يغلبه شيء ولا يعجزه يقدر على الشيء وضده
فيعطي النعيم من شاء والبؤس من شاء وهو الحكيم لا يشاء الا ما توجبه
الحكمة والعدل بغير عمد ترونها الضمير فيه للسموات وهو استشهاد برؤيتهم
لها غير معمودة على قوله بغير عمد كما تقول لصاحبك انا بلا سيف ولا رمح
تراني فان قلت ما محلها من الاعراب قلت لا محل لها لانها مستأنفة
او هي في محل الجر صفة للعمد اى بغير عمد مرئية يعني انه عمدها بعمد
غير لا ترى وهي امساكها بقدرته هذا اشارة الى ما ذكر من مخلوقاته
والخلق بمعنى المخلوق والذين من دونه آلهتهم بكتهم بان هذه الاشيا
العظيمة مما خلقه الله وانشاه فاروني ما خلقته آلهتكم حتى استوجبوا
عندكم العبادة ثم اضرب عن تبكيتهم الى التسجيل عليهم بالتورط في ضلال
ليس بعده ضلال لقمان هو لقمان بن باعورا ابن اخت ايوب او ابن خالته وقيل

وقيل كان من اولاد آزر وعاش الف سنة وادرك داود عليه السلام واخذ منه العلم
وكان يفتي قبل مبعث داود فلما بعث قطع الفتوى فقيل له فقال الا اكتفي اذا كفيت
وقيل كان قاضيا في بني اسرائيل واكثر الاقاويل انه كان حكيما ولم يكن نبيا
وعن ابن عباس رضي الله عنه لقمان لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان راعيا اسود
فرزقه الله العتق ورضي قوله ووصيته فقص امره في القران لتمسكوا بوصيته
وقال عكرمة والشعبي كان نبيا وقيل خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة
وعن ابن المسيب كان اسود من سودان مصر خياطا وعن مجاهد كان عبدا
اسود غليظ الشفتين مشقق القدمين وقيل كان نجارا وقيل راعيا وقيل
كان يحتطب لمولاه كل يوم حزمة وعنه انه قال لرجل ينظر اليه ان كنت تراني
غليظ الشفتين فانه يخرج من بينهما كلام رقيق وان كنت تراني اسود فقلبي
ابيض وروي ان رجلا وقف عليه في مجلسه فقال الست الذي ترعى معي في مكان
كذا قال بلى قال فما بلغ بك ما ارى قال صدق الحديث والصمت عما لا يعنيني
وروي انه دخل على داود عليه السلام وهو يسرد الدرع وقد لين الله له الحديد
كالطين فاراد ان يسأله فادركته الحكمة فسكت فلما اتمها لبسها وقال
نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت حكم وقليل فاعله فقال له داود بحق ما
سميت حكيما وروي ان مولاه امره بذبح شاة وبان يخرج منها اطيب مضغتين
فاخرج اللسان والقلب ثم امره بمثل ذلك بعد ايام وان يخرج اخبث مضغتين
فاخرج اللسان والقلب فسأله عن ذلك فقال هما اطيب ما فيها اذا طابا
واخبث ما فيها اذا خبثا وعن سعيد بن المسيب انه قال لاسود لا تحزن
فانه كان من خير الناس ثلاثة من السودان بلال ومهجع مولى عمر ولقمان
ان هي المفسرة لان ايتاء الحكمة في معنى القول وقد نبه الله سبحانه على ان
الحكمة الاصلية والعلم الحقيقي هو العمل بهما وعبادة الله والشكر له
حيث فسر ايتاء الحكمة بالبعث على الشكر غني غير محتاج الى الشكر حميد حقيق
بان يحمد وان لم يحمده احد قيل كان اسم ابنه انعم وقال الكلبي اشكم وقيل
كان ابنه وامرأته كافرين فما زال بهما حتى اسلما لظلم عظيم لان التسوية
بين من لا نعمة الا هي منه ومن لا نعمة منه البتة ولا يتصور ان يكون منه ظلم
لا يكتنه عظمه اي حملته تهن وهنا على وهن كقولك رجع عودا على بدء
يعني يعود عودا على بدء وهو في موضع الحال والمعنى انها تضعف ضعفا
فوق ضعف اي يتزايد ضعفها ويتضاعف لان الحمل كلما ازداد وعظم ازداد
ثقلا وضعفا وقرئ وهنا على وهن بالتحريك عن ابي عمرو يقال وهن يوهن ووهن
يهن وقرئ وفصله ان اشكر تفسير لوصينا ما ليس لك به علم اراد بنفي
العلم به نفيه اي لا تشرك بي ما ليس بشيء يريد الاصنام كقوله ما يدعون من دونه
من شيء معروفا صحابا او مصاحبا معروفا حسنا بخلق جميل وحلم واحتمال
وبر وصلة وما يقتضيه الكرم والمروءة واتبع سبيل من اناب الى يريد واتبع

سبيل المؤمنين في دينك ولا تتبع سبيلهما فيه وان كنت مامورا بحسن مصاحبتهما في
الدنيا ثم الي مرجعكم ومرجعهما فاجازيك على ايمانك واجازيهما على كفرهما
علم بذلك حكم الدنيا وما يجب على الانسان في صحبتهما ومعاشرتهما من مراعاة
حق الابوة وتعظيمه وما لهما من المواجب التي لا يسوغ الاخلال بها ثم بين حكمهما
وحالهما في الاخرة وروي انها نزلت في سعد بن ابي وقاص وامه وفي القصة
انها مكثت لا تطعم ولا تشرب حتى شجروا فاها بعود وروي انه قال لو كانت لها سبعون
نفسا فخرجت لما ارتددت الى الكفر فان قلت هذا الكلام كيف وقع في اثناء وصية
لقمان قلت هو كلام اعترض به على سبيل الاستطراد تاكيدا لما في وصية لقمان من
النهي عن الشرك فان قلت فقوله حملته امه وهنا على وهن وفصاله في عامين
كيف اعترض به بين المفسر والمفسر قلت لما وصى بالوالدين ذكر ما تكابده الام و
تعانيه من المشاق والمتاعب في حمله وفصاله هذه المدة المتطاولة ايجابا للتوصية
بالوالدة خصوصا وتذكيرا بحقها العظيم مفردا ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن
قال له من ابر امك ثم امك ثم امك ثم قال بعد ذلك ثم اباك وعن بعض العرب انه
حمل امه الى الحج على ظهره وهو يقول في حدائه بنفسه ٥ احمل امي وهي الحماله
ترضعني الدرة والعلاله ولا يجازي والد فعاله ٥ فان قلت ما معنى توقيت
الفصال بالعامين قلت المعنى في توقيته بهذه المدة انها الغاية التي لا تتجاوز والامر
فيما دون العامين موكول الى اجتهاد الام ان علمت انه يقوى على الطعام فلها ان تفطمه
ويدل عليه قوله عز وعلا والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم
الرضاعة وبه استشهد الشافعي رحمه الله على ان مدة الرضاع سنتان لا تثبت
حرمة الرضاع بعد انقضائهما وهو مذهب ابي يوسف ومحمد واما عند ابي حنيفة
رحمه الله فمدة الرضاع ثلثون شهرا وعن ابي حنيفة ان فطمته قبل العامين فاستغنى
بالطعام ثم ارضعته لم يكن رضاعا وان اكل اكلا ضعيفا لم يستغن به عن
الرضاع ثم ارضعته فهو رضاع محرم وقرئ مثقال حبة بالنصب والرفع
فمن نصب كان الضمير للهنة من الاساءة او الاحسان اي ان كانت مثلا في الصغر
والقماءة كحبة الخردل فكانت مع صغرها في اخفى موضع واحرزه كجوف الصخرة او حيث
كانت في العالم العلوي او السفلي يات بها الله يوم القيمة فيحاسب بها عاملها
ان الله لطيف يتوصل علمه الى كل خفي خبير عالم بكنهه وعن قتادة لطيف
باستخراجها خبير بمستقرها ومن قرا بالرفع كان ضمير القصة وانما انث المثقال
لاضافته الى الحبة كما قال ٥ كما شرقت صدر القناة من الدم ٥ وروي
ان ابن لقمن قال له ارايت الحبة تكون في مقل البحر اي مغاصه يعلمها الله تعالى
فقال ان الله يعلم اصغر الاشياء في اخفى الامكنة لان الحبة في الصخرة اخفى
منها في الماء وقيل الصخرة هي التي تحت الارض وهي السجين يكتب فيها اعمال الكفار
وقرئ فتكن بكسر الكاف من وكن الطائر يكن اذا استقر في وكنته وهي
مقره ليلا واصبر على ما اصابك يجوز ان يكون عاما في كل ما يصيبه من المحن

ان علمت ام

وان يكون خا

وان يكون خاصا بما يصيبه فيما امر به من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من اذى
من يبعثهم على الخير وينكر عليهم الشر ان ذلك مما عزمه الله من الامور
اي قطعه قطع ايجاب والزام ومنه الحديث لا صيام لمن لم يعزم الصيام من
الليل اي لم يقطعه بالنية الا ترى الى قوله لمن لم يبيت الصيام ومنه ان الله
يحب ان يوخذ برخصه كما يحب ان يوخذ بعزائمه وقولهم عزمة من عزمات ربنا
ومنه عزمات الملوك وذلك ان يقول الملك لبعض من تحت يده عزمت عليك الا
فعلت كذا اذا قال ذلك لم يكن للمعزوم عليه بد من فعله ولا مندوحة في تركه
وحقيقته انه من تسمية المفعول بالمصدر واصله من معزومات الامور اي
من مقطوعاتها ومفروضاتها ويجوز ان يكون مصدرا في معنى الفاعل اصله من
عازمات الامور من قوله تعالى فاذا عزم الامر كقولك جد الامر وصدق
القتال وناهيك بهذه الاية موذنة بقدم هذه الطاعات وانها كانت مامورا
بها في سائر الامم وان الصلاة لم تزل عظيمة الشان سابقة القدم على ما سواها
موصى بها في الاديان كلها ولا تصعر وتصعر بالتشديد والتخفيف يقال اصعر
خده وصعره وصاعره كقولك اعلاه وعلاه وعالاه بمعنى والصعر والصيد
داء يصيب البعير يلوي منه عنقه والمعنى اقبل على الناس بوجهك تواضعا ولا
تولهم شق وجهك وصفحته كما يفعل المتكبرون اراد ولا تمش يمرح
او اوقع المصدر موقع الحال بمعنى مرحا ويجوز ان يريد لا تمش لاجل المرح والاشر
اي لا يكن غرضك في المشي البطالة والاشر كما يمشي كثير من الناس لذلك لا لكفاية
مهم ديني او دنيوي ونحوه قوله تعالى ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم
بطرا ورئا الناس والمختال مقابل للماشي مرحا وكذلك الفخور للمصعر خده
كبرا واقصد في مشيك واعدل فيه حتى يكون مشيا بين مشيين لا تدب دبيب
المتماوتين ولا تثب وثب الشطار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سرعة المشي تذهب
بهاء المومن واما قول عائشة رضي الله عنها في عمر رضي الله عنه كان اذا مشى اسرع فانما
ارادت السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت وقرئ واقصد بقطع
الهمزة اي سدد في مشيك من اقصد الرامي اذا سدد سهمه نحو الرمية واغضض
من صوتك اي انقص منه واقصر من قولك فلان يغض من فلان اذا قصر به
ووضع منه ان انكر الاصوات اي اوحشها من قولك شي نكر اذا انكرته النفوس
واستوحشت منه ونفرت والحمار مثل في الذم البليغ والشتيمة وكذلك
نهاقه ومن استفحاشهم لذكره مجردا وتفاديهم من اسمه انهم يكنون عنه ويرغبون
عن التصريح به فيقولون الطويل الاذنين كما يكنى عن الاشيا المستقذرة وقد عد
في مساوي الاداب ان يجري ذكر الحمار في مجلس قوم من اولي المروة ومن العرب من
لا يركب الحمار استنكافا وان بلغت منه الرجلة فتشبيه الرافعين اصواتهم
بالحمير وتمثيل اصواتهم بالنهاق ثم اخلاء الكلام من لفظ التشبيه واخراجه
مخرج الاستعارة وان جعلوا حميرا وصوتهم نهاقا مبالغة شديدة في الذم
والتهجين وافراط في التثبيط عن رفع الصوت والترغيب عنه وتنبيه على انه من

كراهة الله تعالى سكان فان قلت لم وحد صوت الحمير ولم يجمع قلت ليس
المراد ان يذكر صوت كل واحد من احاد هذا الجنس حتى يجمع وانما المراد ان كل
جنس من الحيوان الناطق وانكر اصوات هذه الاجناس صوت هذا الجنس
فوجب توحيده [illegible] الشمس والقمر والنجوم والسحاب وعدد كل
[illegible] البحار والانهار والمعادن والدواب وما لا يحصى واسبغ
قرى بالسين والصاد وهكذا كل سين اجتمع معه الغين والخا والقاف يقول في
سلخ صلخ وفي سقر صقر وفي سالغ صالغ وقرئ [illegible] ونعمة ونعمته فان قلت
ما النعمة قلت كل نفع قصد به الاحسان والله تعالى خلق العالم كله نعمة لانه
اما حيوان واما غير حيوان فما ليس بحيوان نعمة على الحيوان والحيوان نعمة
من حيث ان ايجاده حيا نعمة عليه لانه لولا ايجاده حيا لما صح منه الانتفاع
وكلما ادى الى الانتفاع وصحى فهو نعمة فان قلت لم كان خلق العالم
مقصودا به الاحسان قلت لانه لا يخلقه الا لغرض والا كان عبثا والعبث
لا يجوز عليه ولا يجوز ان يكون لغرض راجع اليه من نفع لانه غني غير محتاج
الى المنافع فلم يبق الا ان يكون لغرض يرجع الى الحيوان وهو نفعه
فان قلت ما معنى الظاهرة والباطنة قلت الظاهرة كل ما تعلم بالمشاهدة
والباطنة ما لا تعلم الا بدليل او لا تعلم اصلا فكم في بدن الانسان من نعمة
لا تعلمها ولا تهتدي الى العلم بها وقد اكثروا في ذلك فعن مجاهد الظاهرة
ظهور الاسلام والنصر على الاعدا والباطنة الامداد من الملائكة وعن الحسن
الظاهرة الاسلام والباطنة الستر وعن الضحاك الظاهرة حسن الصورة
وامتداد القامة وتسوية الاعضا والباطنة المعرفة وقيل الظاهرة البصر
والسمع واللسان وساير الجوارح الظاهرة والباطنة القلب والعقل
والفهم وما اشبه ذلك وروي في دعا موسى صلوات الله عليه الهي دلني على اخفى
نعمتك على عبادك فقال اخفى نعمتي عليهم النفس ويروى ان ايسر ما
يعذب به اهل النار الاخذ بالانفاس معناه ايتبعونهم ولو كان
الشيطان يدعوهم اي في حال دعا الشيطان اياهم الى العذاب وقرا علي بن
ابي طالب رضي الله عنه ومن يسلم بالتشديد يقال اسلم امرك وسلم امرك
الى الله فان قلت ما له عدي بالى وقد عدي باللام في قوله بلى من اسلم وجهه
لله قلت معناه مع اللام انه جعل وجهه وهو ذاته ونفسه سالما
لله اي خالصا ومعناه مع الى انه سلم اليه نفسه كما يسلم المتاع الى
الرجل اذا دفع اليه والمراد التوكل عليه والتفويض اليه فقد استمسك
بالعروة الوثقى من باب التمثيل مثلت حال المتوكل بحال من اراد ان يتدلى
من شاهق فاحتاط لنفسه بان استمسك باوثق عروة من حبل متين مامون
انقطاعه والى الله عاقبة الامور اي هي صائرة اليه فلا يحزنك وتحزنك من حزن
واحزن والذي عليه الاستعمال المستفيض احزنه وحزنه والمعنى لا يهمنك كفر
من كفر وكيده للاسلام فان الله عز وجل دافع كيده في نحره ومنتقم منه ومعاقبته

على عمله ان الله يعلم ما في صدور عباده فيفعل بهم على حسبه نمتعهم قليلا زمانا
بدنياهم ثم نضطرهم الى عذاب غليظ شبه الزامهم التعذيب وارهاقهم اياه
باضطرار المضطر الى الشي الذي لا يقدر على الانفكاك منه والغلظ مستعار
من الاجرام الغليظة والمراد الشدة والثقل على المعذب قل الحمد لله الزام
لهم على اقرارهم بان الذي خلق السموات والارض هو الله وحده وانه
يجب ان يكون له الحمد والشكر وان لا يعبد معه غيره ثم قال بل اكثرهم لا يعلمون
ان ذلك يلزمهم واذا نبهوا عليه لم يتنبهوا ان الله هو الغني عن حمد الحامدين
المستحق للحمد وان لم يحمدوه وقرئ والبحر بالنصب عطفا على اسم ان وبالرفع
عطفا على محل ان ومعمولها على ولو ثبت كون الاشجار اقلاما وثبت البحر
ممدودا بسبعة ابحر او على الابتدا والواو للحال على معنى ولو ان الاشجار اقلام
في حال كون البحر ممدودا وفي قراءة ابن مسعود وبحر يمده على التنكير ويجب ان يحمل
هذا على الوجه الاول وقرئ تمده ويمده بالتا واليا فان قلت كان مقتضى الكلام
ان يقال ولو ان الشجر اقلام والبحر مداد قلت اغنى عن ذكر المداد قوله يمده
لانه من قولك مد الدواة وامدها جعل البحر الاعظم بمنزلة الدواة وجعل الابحر
السبعة مملوءة مدادا فهي تصب فيه مدادها ابدا صبا لا ينقطع والمعنى ولو ان
اشجار الارض اقلام والبحر ممدود بسبعة ابحر وكتبت بتلك الاقلام وبذلك
المداد كلمات الله عز وجل لما نفدت كلماته ونفدت الاقلام والمداد كقوله
قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي فان قلت
زعمت ان قوله والبحر يمده حال في احد وجهي الرفع وليس فيه ضمير راجع الى ذي
الحال قلت هو كقوله ۝ وقد اغتدي والطير في وكناتها ۝ وجئت
والجيش مصطف وما اشبه ذلك من الاحوال التي حكمها حكم الظروف ويجوز
ان يكون المعنى وبحرها والضمير للارض فان قلت لم قيل من شجرة على التوحيد
دون اسم الجنس الذي هو شجر قلت اريد تفصيل الشجر وتقصيها شجرة
شجرة حتى لا يبقى من جنس الشجر واحدة الا وقد بريت اقلاما فان قلت الكلمات
جمع قلة والموضع موضع التكثير لا التقليل فهلا قيل كلم الله قلت معناه
ان كلماته لا تفي بكتبتها البحار فكيف بكلمه وعن ابن عباس انها نزلت جوابا
لليهود لما قالوا قد اوتينا التوراة وفيها كل الحكمة وقيل ان المشركين
قالوا ان هذا يعني الوحي كلام سينفد فاعلم الله عز وجل ان كلامه لا ينفد
وهذه الاية عند بعضهم مدنية وانها نزلت بعد الهجرة وقيل هي مكية وانما
امر اليهود وفد قريش ان يقولوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الست تتلو فيما انزل
الينا اوتينا التوراة وفيها علم كل شي ان الله عزيز لا يعجزه شي حكيم لا يخرج من
علمه وحكمته شي ومثله لا ينفد كلماته وحكمه الا كنفس واحدة الا كخلقها
وبعثها اي سواء في قدرته القليل والكثير والواحد والجمع لا يتفاوت ذلك

انه انما كانت تتفاوت النفس الواحدة والنفوس الكثيرة العدد ان لو شغله شان
عن شان وفعل عن فعل وقد تعالى عن ذلك ان الله سميع بصير يسمع كل صوت
ويبصر كل مبصر في حالة واحدة لا يشغله ادراك بعضها عن ادراك بعض
فكذلك الخلق والبعث كل واحد من الشمس والقمر يجري في فلكه ويقطعه الى وقت
معلوم الشمس الى اخر السنة والقمر الى اخر الشهر وعن الحسن الاجل المسمى
يوم القيامة لانه لا ينقطع جريهما الا حينئذ دل ايضا بالليل والنهار وتعاقبهما
وزيادتهما ونقصانهما وجري النيرين في فلكيهما كل ذلك على تقدير وحساب
وباحاطته بجميع اعمال الخلائق على عظم قدرته وحكمته فان قلت
يجري لاجل مسمى ويجري الى اجل مسمى اهو من تعاقب الحرفين قلت كلا
ولا يسلك هذه الطريقة الا بليد الطبع ضيق العطن ولكن المعنيين اعني
الانتهاء والاختصاص كل واحد منهما ملائم لصحة الغرض لان قولك يجري الى
اجل مسمى معناه يبلغه وينتهي اليه وقولك يجري لاجل مسمى تريد يجري
لادراك اجل مسمى تجعل الجري مختصا بادراك اجل مسمى الا ترى ان جري الشمس
مختص باخر السنة وجري القمر باخر الشهر فكلا المعنيين غير ناب به موضعه
ذلك الذي وصف من عجائب قدرته وحكمته التي يعجز عنها الاحياء القادرون
العالمون فكيف بالجماد الذي يدعونه من دون الله انما هو بسبب انه هو
الثابت الالهية وان من دونه باطل الالهية وان الله هو العلي
السان [illegible] السلطان او الذي اوحى الذي من هذه الايات بسبب
بيان وان الها غيره باطل وان الله هو العلي الكبير عن
ان يشرك به قرئ الفلك بضم اللام وكل فعل يجوز فيه فعل كما يجوز في كل
فعل فعل على مذهب التعويض وسبحات الله بسكون العين وعن
فعلات يجوز فيها الفتح والكسر والسكون بنعمة الله باحسانه ورحمته
صبار على بلائه شكور لنعمائه فكانه قال ان في ذلك لايات لكل مومن
يرتفع الموج ويتراكب فيعود مثل الظلل والظلة كل ما اظلك من جبل او
سحاب او غيرهما وقرئ كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال فمنهم مقتصد متوسط
في الكفر والظلم خفض من غلوائه وانزجر بعض الانزجار او مقتصد في
الاخلاص الذي كان عليه في البحر يعني ان ذلك الاخلاص الحادث عند
الخوف لا يبقى لاحد قط والمقتصد قليل نادر وقيل مومن قد ثبت على ما
عاهد عليه الله في البحر والختر اشد الغدر ومنه قولهم انك لا تمد لنا شبرا
من غدر الا مددنا لك باعا من ختر قال
وانك لو رأيت ابا عمير
ملأت يديك من غدر وختر
لا يجزي لا يقضي عنه شيا ومنه قيل للمتقاضي
المتجازي وفي الحديث في جذعة ابن نيار تجزي عنك ولا تجزي عن احد بعدك وقرئ
لا يجزئ لا يغني يقال اجزأت عنك مجزأ فلان والمعنى لا يجزي فيه فحذف والغرور
الشيطان وقيل الدنيا وقيل تمنيكم في المعصية المغفرة وعن سعيد بن جبير الغرة

وفيها صفة المومن

بالله ان يتمادى الرجل في المعصية ويتمنى على الله المغفرة وقيل ذكرك لحسناتك
ونسيانك لسيئاتك غرة وقرئ بضم الغين وهو مصدر غره غرورا وجعل
الغرور غارا كما قيل جد جده او اريد زينة الدنيا لانها غرور وقال قلت قوله
ولا مولود هو جاز عن والده شيا وارد على طريق من التوكيد لم يرد عليه ما هو
معطوف عليه قلت الامر كذلك لان الجملة الاسمية اكد من الفعلية وقد انضم
الى ذلك قوله هو وقوله مولود والسبب في مجيئه على هذا السنن ان الخطاب للمومنين
وعليتهم قبض اباؤهم على الكفر وعلى الدين الجاهلي فاريد حسم اطماعهم واطماع
الناس فيهم ان ينفعوا اباءهم في الاخرة وان يشفعوا لهم وان
يغنوا عنهم من الله شيا فلذلك جي به على الطريق الاكد ومعنى التوكيد في لفظ
المولود ان الواحد منهم لو شفع للاب الادنى الذي ولد منه لم يقبل شفاعته
فضلا ان يشفع لمن فوقه من اجداده لان الولد يقع على الولد وولد الولد بخلاف
المولود فانه لمن ولد منك روي ان رجلا من محارب وهو الحرث بن عمرو
بن حارثة اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اخبرني عن الساعة متى
قيامها واني قد القيت حباتي في الارض وقد ابطات عنها السماء فمتى تمطر واخبرني
عن امراتي فقد اشتملت ما في بطنها اذكر ام انثى واني علمت ما عملت امس فما اعمل
غدا وهذا مولدي قد عرفته فاين اموت فنزلت وعن النبي صلى الله عليه وسلم مفاتح
الغيب خمس وتلا هذه الاية وعن ابن عباس رضي الله عنه من ادعى علم هذه
الخمسة فقد كذب اياكم والكهانة فان الكهانة تدعو الى الشرك والشرك
واهله في النار وعن المنصور انه اهمه معرفة مدة عمره فراى في منامه كان خيالا
اخرج يده من البحر واشار اليه بالاصابع الخمس فاستفتى العلماء في ذلك فتاولوها
خمس سنين وخمسة اشهر وبغير ذلك حتى قال ابو حنيفة رحمه الله تاويلها
ان مفاتح الغيب خمس لا يعلمها الا الله وان ما طلبت معرفته لا سبيل لك
اليه
عن ابن عباس [illegible] ابان مرساها
في ابانه من غير تقديم
ولا تاخير وفي بلد لا يتجاوزه به
اذكر ام انثى اتام ام ناقص
وكذلك ما سوى ذلك من الاحوال
بره او فاجر ماذا تكسب
غدا من خير او شر وربما كانت عازمة على خير فعملت شرا وعازمة على شر
فعملت خيرا بأي ارض تموت وربما اقامت بارض وضربت اوتادها
وقالت لا ابرحها او اقبر فيها فترمي بها مرامي القدر حتى تموت في مكان لم
يخطر ببالها ولا حدثتها به ظنونها روي ان ملك الموت عليه السلام مر على سليمن عليه السلام
فجعل ينظر الى رجل من جلسائه يديم النظر اليه فقال الرجل من هذا قال ملك
الموت فقال كانه يريدني وسال سليمن عليه السلام ان يحمله على الريح ويلقيه ببلاد الهند
ففعل ثم قال ملك الموت لسليمن عليه افضل الصلاة والسلام كان دوام نظري اليه
تعجبا منه لاني امرت ان اقبض روحه بالهند وهو عندك وجعل العلم لله والدراية
للعبد لما في الدراية من معنى الختل والحيلة والمعنى انها لا تعرف وان اعملت حيلها

ماتلصق بها وتختص ولا يتخطاها ولا شيء اخص بالانسان من كسبه وعاقبته فاذا لم يكن له طريق الى معرفتهما كان من معرفة ما عداهما ابعد وقرى بايه ارض وشبه سيبويه تانيث اي بتانيث كل في قولهم كلتهن ٥ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة لقمن كان له لقمن رفيقا يوم القيمة واعطي من الحسنات عشرا عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر ٥

سورة السجدة

مكية وهي ثلثون اية وقيل تسع وعشرون ٥ بسم الله الرحمن الرحيم

على انها اسم السورة مبتدا خبره وان جعلتها تعديدا للحروف ارتفع تنزيل الكتاب بانه خبر مبتدا محذوف او هو مبتدا خبره والوجه ان يرتفع بالابتدا وخبره ولاريب فيه اعتراض لا محل له والضمير في فيه راجع الى مضمون الجملة كانه قيل لاريب في ذلك اي في كونه منزلا من رب العالمين ويشهد لوجاهته قوله لان قولهم هذا مفترى انكار لان يكون من رب العالمين وكذلك قوله وما فيه من تقرير انه من الله وهذا اسلوب صحيح محكم اثبت اولا ان تنزيله من رب العالمين وان ذلك ما لاريب فيه ثم اضرب عن ذلك الى قوله ام يقولون افتراه لان ام هي المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة انكارا لقولهم وتعجيبا منه لظهور امره في عجز بلغائهم عن مثل ثلث ايات منه ثم اضرب عن الانكار الى اثبات انه الحق من ربك ونظيره ان يعلل العالم المسئلة بعلة صحيحة جامعة قد احترز فيها انواع الاحتراز كقول المتكلمين النظر اول الافعال الواجبة على الاطلاق التي لا تعرى من وجوبها مكلف ثم يعترض عليه فيها ببعض ما وقع احترازه منه فيرد بتلخيص انه احترز من ذلك ثم يعود الى تقرير كلامه وتمشيته فان قلت كيف نفى ان يرتاب في انه من الله وقد اثبت ما هو ابطل من الريب وهو قولهم افتراه قلت معنى لاريب فيه ان لا مدخل للريب في انه تنزيل الله لان نافي الريب ومميطه معه لا ينفك عنه وهو كونه معجزا للبشر ومثله ابعد شيء من الريب واما قولهم افتراه فاما قول متعنت مع علمه انه من الله لظهور الاعجاز له او جاهل يقوله قبل التامل والنظر لانه سمع الناس يقولونه

كقوله ما انذر اباؤهم وذلك ان قريشا لم يبعث الله رسولا قبل محمد صلى الله عليه وسلم فان قلت فاذا لم ياتهم نذير لم تقم عليهم حجة قلت اما قيام الحجة بالشرائع التي لا تدرك علمها الا بالرسل فلا واما قيامها بمعرفة الله وتوحيده وحكمته فنعم لان ادلة العقل الموصلة الى ذلك معهم في كل زمان لعلهم يهتدون فيه وجهان احدهما ان يكون على الترجي من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان لعله يتذكر على الترجي من موسى وهرون عليهما السلم وان يستعار لفظ الترجي للارادة فان قلت ما معنى قوله قلت هو على معنيين احدهما انكم اذا جاوزتم رضاه لم تجدوا لانفسكم وليا اي ناصرا ينصركم ولا شفيعا يشفع لكم والثاني ان الله وليكم الذي يتولى مصالحكم وشفيعكم اي ناصركم على

سبيل المجاز لان الشفيع ينصر المشفوع له فهو كقوله وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير فاذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا نصير المامور به من الطاعات والاعمال الصالحة ينزله مدبرا ثم لا يعمل به ولا يصعد اليه ذلك المامور به خالصا كما يريده ويرتضيه الا في مدة متطاولة لقلة عمال الله والخلص من عباده وقلة الاعمال الصاعدة لانه لا يوصف بالصعود الا الخالص ودل عليه قوله على اثره او امر الدنيا كلها لكل يوم من ايام الله وهو الف سنة كما قال وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون اي يصير اليه ويثبت عنده ويكتب في صحف ملئكته كل وقت من اوقات هذه المدة ما يرتفع من ذلك الامر ويدخل تحت الوجود الى ان تبلغ المدة اخرها ثم يدبر ايضا ليوم اخر وهلم جرا الى ان تقوم الساعة وقيل ينزل الوحي مع جبريل من السما الى الارض ثم يرجع اليه ما كان من قبول الوحي او رده مع جبريل وذلك في وقت هو في الحقيقة الف سنة لان المسافة مسيرة الف سنة في الهبوط والصعود لان ما بين السما والارض مسيرة خمس مائة سنة وهو يوم من ايامكم لسرعة جبريل لانه يقطع مسيرة الف سنة في يوم واحد وقيل يدبر امر الدنيا من السما الى الارض الى ان تقوم الساعة ثم يعرج اليه ذلك الامر كله اي يصير اليه ليحكم فيه في يوم كان مقداره الف سنة وهو يوم القيمة وقرا ابن ابي عبلة يعرج على البنا للمفعول وقرى يعدون بالتا واليا حسنه لانه ما من شيء خلقه الا وهو مرتب على ما اقتضته الحكمة واوجبته المصلحة فجميع المخلوقات حسنة وان تفاوتت الى حسن واحسن كما قال لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وقيل علم كيف يخلقه من قولهم قيمة المرء ما يحسن وحقيقته ما يحسن معرفته اي يعرفه معرفة حسنة بتحقيق واتقان وقرى على البدل اي احسن خلق كل شيء وخلقه على الوصف اي كل شيء خلقه فقد احسنه سميت الذرية نسلا لانها تنسل منه اي تنفصل منه وتخرج من صلبه ونحوه قولهم للولد سليل ونجل قومه كقوله في احسن تقويم ودل باضافة الروح الى ذاته على انه خلق عجيب لا يعلم كنهه الا هو كقوله ويسالونك عن الروح الاية كانه قال الشيء الذي اختص هو بمعرفته قبل القائل اي من خلف ولم رضاهم بقوله اسندا اليهم جميعا وقرى ائنا على الاستفهام وتركه ضربنا ترابا ذهبنا مختلطين بتراب الارض لا نتميز منه كما يضل الما في اللبن او غبنا بالدفن فيها من قوله ٥ واب مضلوه بعين جليه ٥ وقرا علي وابن عباس رضي الله عنهما ضللنا بكسر اللام يقال ضل يضل وضل يضل وقرا الحسن رضي الله عنه صللنا من صل اللحم واصل اذا انتن وقيل صرنا من جنس الصلة وهي الارض فان قلت بم انتصب الظرف في اذا ضللنا قلت بما يدل عليه وهو نبعث او يجدد خلقنا هو الوصول الى العاقبة من تلقي ملك الموت وما وراه فلما ذكر كفرهم بالانشا اضرب عنه الى ما هو ابلغ

كيف

في الكفر وهو انهم كفرون بجميع ما يكون في العاقبة لا بالانشاء وحده الا ترى
خوطبوا بتوفي ملك الموت وبالرجوع الى ربهم بعد ذلك مبعوثين للحساب
والجزاء وهذا معنى لقاء الله على ما ذكرنا والتوفي استيفاء النفس وهي الروح
قال الله تعالى الله يتوفى الانفس وقال اخرجوا انفسكم وهو ان يقبض كلها
لا يترك منها شيء من قولك توفيت حقي من فلان واستوفيته اذا اخذته وافيا
كاملا من غير نقصان والتفعل والاستفعال يلتقيان في مواضع منها تقصيته
واستقصيته وتعجلته واستعجلته وعن مجاهد حويت لملك الموت الارض و
جعلت له مثل الطست يتناول منها حيث يشاء وعن قتادة يتوفاهم ومعه اعوان
من الملائكة وقيل ملك الموت يدعو الارواح فتجيبه ثم يامر اعوانه بقبضها
ولو ترى يجوز ان يكون خطابا للرسول صلى الله عليه وسلم وفيه وجهان ان يراد به
التمني كانه قال وليتك ترى كقوله عليه السلام للمغيرة لو نظرت اليها والتمني لرسول الله صلى الله عليه وسلم
كما كان الترجي له في لعلهم يهتدون لانه تجرع منهم الغصص ومن عداوتهم
وضرارهم فجعل الله له تمني ان يراهم على تلك الصفة الفظيعة من الحياء والخزي
والغم ليشمت بهم وان يكون لو الامتناعية قد حذف جوابها وهو لرايت امرا
فظيعا او لرايت اسوا حال ترى ويجوز ان يخاطب به كل احد كما تقول فلان
لئيم ان اكرمته اهانك وان احسنت اليه اساء اليك فلا تريد به مخاطبا بعينه
فكانك قلت ان اكرم وان احسن اليه ولو واذ كلاهما للمضي وانما جاز ذلك
لان المترقب من الله بمنزلة الموجود المقطوع به في تحققه ولا يقدر لترى ما يتناوله
كانه قيل ولو تكون منك الرؤية واذ ظرف له يستغيثون بقولهم ربنا ابصرنا
وسمعنا فلا يغاثون يعني ابصرنا صدق وعدك ووعيدك وسمعنا منك تصديق
رسلك او كنا عميا وصما فابصرنا وسمعنا فارجعنا هي الرجعة الى الدنيا لاتينا
كل نفس هداها على طريق الالجاء والقسر ولكنا بنينا الامر على الاختيار دون
الاضطرار فاستحبوا العمى على الهدى فحقت كلمة العذاب على اهل العمى دون
البصراء الا ترى الى ما عقبه من قوله فذوقوا بما نسيتم فجعل ذوق العذاب
نتيجة فعلهم من نسيان العاقبة وقلة الفكر فيها وترك الاستعداد لها والمراد
بالنسيان خلاف التذكر يعني ان الانهماك في الشهوات اذهلكم والهاكم
عن تذكر العاقبة وسلط عليكم نسيانها ثم قال انا نسيناكم على المقابلة
اي جازيناكم جزاء نسيانكم وقيل هو بمعنى الترك اي تركتم الفكر في العاقبة
فتركناكم من الرحمة وفي استئناف قوله انا نسيناكم وبناء الفعل على ان واسمها
تشديد في الانتقام منهم والمعنى فذوقوا هذا اي ما انتم فيه من نكس الرؤوس
والخزي والغم بسبب نسيان اللقاء وذوقوا العذاب المخلد في جهنم بسبب ما
عملتم من المعاصي والكبائر الموبقة اذا ذكروا بها اي وعظوا سجدوا تواضعا لله
وخشوعا وشكرا على ما رزقهم من الاسلام وسبحوا بحمد ربهم ونزهوا الله من نسبة
القبائح اليه واثنوا عليه حامدين له وهم لا يستكبرون كما يفعل من يصر مستكبرا

كان لم يسمعها مثله قوله ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا
ويقولون سبحان ربنا تتجافى ترتفع وتتنحى عن المضاجع عن الفرش ومواضع
النوم داعين ربهم عابدين له لاجل خوفهم من سخطه وطمعهم في رحمته وهم
المتهجدون وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تفسيرها قيام العبد من الليل وعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الاولين والاخرين يوم القيامة جاء مناد ينادي بصوت يسمع
الخلائق كلهم سيعلم اهل الجمع اليوم من اولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانت
تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادي ليقم الذين
كانوا يحمدون الله في البأساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا
الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وعن انس بن مالك كان اناس من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون من صلاة المغرب الى صلاة العشاء الاخرة فنزلت فيهم
وقيل هم الذين يصلون صلاة العتمة لا ينامون عنها ما اخفي لهم على البناء
للمفعول ما اخفي لهم على البناء للفاعل وهو الله سبحانه وما اخفي لهم وما نخفي لهم
وما اخفيت لهم الثلاثة للمتكلم وهو الله سبحانه وما بمعنى الذي او بمعنى اي وقرئ
من قرة اعين ومن قرات اعين والمعنى لا تعلم النفوس كلهن ولا نفس واحدة
منهن لا ملك مقرب ولا نبي مرسل اي نوع عظيم من الثواب ادخر الله لاولئك
واخفاه من جميع خلائقه لا يعلمه الا هو مما تقر به عيونهم ولا مزيد على هذه
العدة ولا مطمح وراءها ثم قال جزاء بما كانوا يعملون فحسم اطماع المتمنين
وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتهم عليه اقرءوا ان شئتم فلا
تعلم نفس ما اخفي لهم وعن الحسن اخفى القوم اعمالا في الدنيا فاخفى الله لهم
ما لا عين رأت ولا اذن سمعت كان مؤمنا و كان فاسقا محمولان على لفظ من
لا يستوون محمول على المعنى بدليل قوله اما الذين امنوا واما الذين فسقوا
ونحو قوله ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك جنات المأوى
نوع من الجنان قال الله تعالى ولقد راه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة
المأوى سميت بذلك لما روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال تأوي اليها ارواح
الشهداء وقيل هي عن يمين العرش وقرئ جنة المأوى على التوحيد نزلا عطاء بأعمالهم
والنزل عطاء النازل ثم صار عاما فمأواهم النار اي ملجأهم ومنزلهم ويجوز ان
يراد فجنة مأواهم النار اي النار لهم مكان جنة المأوى للمؤمنين كقوله فبشرهم
بعذاب اليم العذاب الادنى عذاب الدنيا من القتل والاسر وما محنوا به من
السنة سبع سنين وعن مجاهد عذاب القبر و العذاب الاكبر عذاب الاخرة اي
نذيقهم عذاب الدنيا قبل ان يصلوا الى عذاب الاخرة لعلهم يرجعون اي يتوبون
عن الكفر او لعلهم يريدون الرجوع ويطلبونه كقوله فارجعنا نعمل صالحا
وسميت ارادة الرجوع رجوعا كما سميت ارادة القيام قياما في قوله اذا قمتم
الى الصلاة ويدل عليه قراءة من قرأ يرجعون على البناء للمفعول فان قلت من اين

صح تفسير الرجوع بالتوبة ولعل من الله ارادة واذا اراد الله شيا كان ولم يمتنع
وتوبتهم مما لا يكون الا ترى انها لو كانت مما تكون لم يكونوا ذائقين العذاب
الاكبر قلت ارادة الله تعالى تتعلق بافعاله وافعال عباده فاذا اراد شيا من
افعاله كان ولم يمتنع للاقتدار وخلوص الداعي واما افعال عباده فاما ان
يريدها وهم مختارون لها او مضطرون اليها بالقسر والالجاء فان ارادها وقد
قسرهم فحكمها حكم افعاله وان ارادها على ان يختاروها وهو عالم انهم
لا يختارونها لم يقدح ذلك في اقتداره كما لا يقدح في اقتدارك ارادتك ان يختار
عبدك طاعتك وهو لا يختارها لان اختياره لا يتعلق بقدرتك واذا لم يتعلق
بقدرتك لم يكن فقده دالا على عجزك وروي في نزولها انه شجر بين علي بن
ابي طالب رضي الله عنه والوليد بن عقبة بن ابي معيط يوم بدر كلام فقال له الوليد
اسكت فانك صبي انا اشب منك شبابا واجلد منك جلدا واذرب منك لسانا
واحد منك سنانا واشجع منك جنانا واملا منك حشوا في الكتيبة فقال له علي
اسكت فانك فاسق فنزلت عامة للمؤمنين والفاسقين فتناولتهما وكل من
في مثل حالهما وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما انه قال للوليد كيف تشتم عليا وقد
سماه الله مؤمنا في القرآن في عشر آيات وسماك فاسقا في قوله
للاستبعاد والمعنى ان الاعراض عن مثل آيات الله في وضوحها
وانارتها وارشادها الى سواء السبيل والفوز بالسعادة العظمى بعد التذكير
بها مستبعد في العقل والعدل كما تقول لصاحبك وجدت مثل تلك
الفرصة ثم لم تنتهزها استبعادا لتركه الانتهاز ومنه ثم في بيت الحماسة ٥
لا يكشف الغماء الا ابن حرة يرى غمرات الموت ثم يزورها استبعد
ان يزور غمرات الموت بعد ان رآها واستيقنها واطلع على شدتها فان قلت
هلا قيل انا منه منتقمون قلت لما جعله اظلم كل ظالم ثم توعد المجرمين
عامة بالانتقام منهم فقد دل على اصابة الاظلم النصيب الاوفر من الانتقام ولو
قاله بالضمير لم يفد هذه الفائدة الكتاب للجنس والضمير في لقائه له ومعناه
انا آتينا موسى مثل ما آتيناك من الكتاب ولقيناه مثل ما لقيناك من الوحي فلا تك
في شك من انك لقيت مثله ولقيت نظيره كقوله فان كنت في شك مما انزلنا اليك
فاسئل الذين يقرءون الكتاب من قبلك ونحو قوله من لقائه قوله وانك لتلقى
القرآن من لدن حكيم عليم وقوله ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا وجعلناه
الكتاب المنزل على موسى هدى لقومه وجعلنا منهم ائمة يهدون
الناس ويدعونهم الى ما في التوراة من دين الله وشرائعه لصبرهم وايقانهم بالآيات
وكذلك لنجعلن الكتاب المنزل اليك هدى ونورا ولنجعلن من امتك ائمة
يهدون مثل تلك الهداية لما صبروا عليه من نصرة الدين وثبتوا عليه من
اليقين وقيل من لقائك موسى ليلة الاسراء او يوم القيمة وقيل من لقاء
موسى الكتاب اي من تلقيه له بالرضا والقبول وقرئ لما صبروا ولما صبروا

اي لصبرهم وعن الحسن صبروا عن الدنيا وقيل انما جعل الله التوراة هدى لبني
اسرائيل خاصة ولم يتعبد بما فيها ولد اسمعيل يفصل بينهم يقضي فيميز المحق في دينه
من المبطل الواو في اولم يهد للعطف على معطوف عليه منوي من جنس المعطوف
والضمير في لهم لاهل مكة وقرئ بالنون والياء والفاعل ما دل عليه
كم اهلكنا لان كم لا يعمل فيها ما قبلها كانه قيل اولم يهد لهم
كثرة اهلاكنا القرون او هذا الكلام كما هو بمضمونه ومعناه كقولك
يعصم لا اله الا الله الدماء والاموال ويجوز ان يكون فيه ضمير الله بدلالة
القراءة بالنون من القرون عاد وثمود وقوم لوط يمشون يعني اهل مكة
يمرون في متاجرهم على ديارهم وبلادهم وقرئ يمشون بالتشديد الجرز
الارض التي جرز نباتها اي قطع اما لعدم الماء واما لانه رعي وازيل ولا يقال
للتي لا تنبت كالسباخ جرز ويدل عليه قوله فنخرج به زرعا وعن ابن عباس
انها ارض اليمن وعن مجاهد ابين به بالماء من الزرع انعامهم من
عصفه وانفسهم من حبه وقرئ يأكل بالياء الفتح النصر والفصل بالحكومة
من قوله ربنا افتح بيننا وكان المسلمون يقولون ان الله سيفتح لنا على
المشركين او يفتح بيننا وبينهم فاذا سمع المشركون قالوا متى هذا الفتح اي
في اي وقت يكون ان كنتم صادقين في انه كائن و يوم الفتح يوم القيمة وهو
يوم الفصل بين المؤمنين واعدائهم ويوم نصرهم عليهم وقيل هو يوم بدر
وعن مجاهد والحسن يوم فتح مكة فان قلت قد سألوا عن وقت الفتح
فكيف ينطبق هذا الكلام جوابا على سؤالهم قلت كان غرضهم في
السؤال عن وقت الفتح استعجالا منهم على وجه التكذيب والاستهزاء فاجيبوا
على حسب ما عرف من غرضهم في سؤالهم فقيل لهم لا تستعجلوا به ولا
تستهزؤوا فكاني بكم وقد حصلتم في ذلك اليوم وآمنتم فلم ينفعكم الايمان
واستنظرتم في ادراك العذاب فلم تنظروا فان قلت فمن فسره بيوم الفتح
او بيوم بدر كيف يستقيم على تفسيره ان لا ينفعهم الايمان وقد نفع الطلقاء
يوم فتح مكة وناسا يوم بدر قلت المراد ان المقتولين منهم لا ينفعهم
ايمانهم في حال القتل كما لم ينفع فرعون ايمانه عند ادراك العذاب
وانتظر النصر عليهم وهلاكهم انهم منتظرون الغلبة عليكم وهلاككم
كقوله فتربصوا انا معكم متربصون وقرأ ابن السميفع منتظرون بفتح الظاء
ومعناه وانتظر هلاكهم فانهم احقاء بان ينتظر هلاكهم يعني انهم
هالكون لا محالة او وانتظر ذلك فان الملائكة في السماء ينتظرونه ٥
قال رسول الله صلعم من قرا الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك اعطي
من الاجر كانما احيا ليلة القدر ومن قرا الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان
بيته ثلثة ايام ٥

سورة الاحزاب مدنية وهي ثلث وسبعون اية ٥

بسم الله الرحمن الرحيم

عن زر قال لي ابي بن كعب كم تعدون سورة الاحزاب قلت ثلثا وسبعين اية
قال فوالذي يحلف به ابي بن كعب ان كانت لتعدل سورة البقرة او اطول
ولقد قرانا منها اية الرجم الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من
الله والله عزيز حكيم اراد ابي رضي الله عنه ان ذلك من جملة ما نسخ من القران
واما ما يحكى ان تلك الزيادة كانت في صحيفة في بيت عائشة رضي الله عنها
فاكلتها الداجن فمن تاليفات الملاحدة والروافض جعل نداءه بالنبي و
والرسول في قوله يا ايها النبي اتق الله يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك يا ايها
الرسول بلغ ما انزل اليك وترك نداءه باسمه كما قال يا ادم يا موسى يا عيسى يا داود
كرامة له وتشريفا وتنويها بمحله وتنويها بفضله فان قلت ان لم يوقع
اسمه في النداء فقد اوقعه في الاخبار في قوله محمد رسول الله وما محمد الا رسول
قلت ذلك ليعلم الناس بانه رسول الله وليلقن لهم ان يسموه بذلك
ويدعوه به فلا تفاوت بين النداء والاخبار الا ترى الى ما لم يقصد به التعليم
والتلقين من الاخبار كيف ذكره بنحو ما ذكر في النداء لقد جاءكم رسول من
انفسكم وقال الرسول يا رب لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة والله
ورسوله احق ان يرضوه النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم ان الله وملائكته يصلون
على النبي ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي اتق الله واثبت على ما انت عليه من التقوى
واثبت عليه وازدد منه وذلك لان التقوى باب لا يبلغ اخره ولا تطع الكافرين
والمنافقين لا تساعدهم على شيء ولا تقبل لهم رايا ولا مشورة وجانبهم واحترس
منهم فانهم اعداء الله واعداء المؤمنين لا يريدون الا المضارة والمضادة
وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة وكان يحب اسلام اليهود
قريظة والنضير وبني قينقاع وقد بايعه ناس منهم على النفاق فكان يلين لهم
جانبه ويكرم صغيرهم وكبيرهم واذا اتى منهم قبيح تجاوز عنه وكان
يسمع منهم فنزلت وروي ان ابا سفيان بن حرب وعكرمة بن ابي جهل
وابا الاعور السلمي قدموا عليه في الموادعة التي كانت بينه وبينهم وقام
معهم عبد الله بن ابي ومعتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا للرسول صلى الله عليه وسلم
ارفض ذكر الهتنا وقل انها تشفع وتنفع وندعك وربك فشق ذلك على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين وهموا بقتلهم فنزلت اي اتق الله في
نقض العهد ونبذ الموادعة ولا تطع الكافرين من اهل مكة والمنافقين من
اهل المدينة فيما طلبوا اليك وروي ان اهل مكة دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى ان يرجع عن دينه ويعطوه شطر اموالهم وان يزوجه شيبة بن ربيعة بنته
وخوفه منافقو المدينة انهم يقتلونه ان لم يرجع فنزلت ان الله كان
عليما بالصواب من الخطا والمصلحة من المفسدة حكيما لا يفعل شيئا ولا يامر به
الا بداعي الحكمة واتبع ما يوحى اليك وترك طاعة الكافرين والمنافقين
وغير ذلك ان الله الذي يوحي اليك خبير بما تعملون فيوحي اليك ما يصلحه

اعمالكم

اعمالكم فلا حاجة بكم الى الاستماع من الكفرة وقرئ يعملون بالياء اي بما يعمل
المنافقون من كيدهم لكم ومكرهم بكم وتوكل على الله واسند امرك اليه
وكله الى تدبيره وكفى بالله حافظا موكولا اليه كل امر ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه
ولا زوجية وامومة في امراة ولا بنوة ودعوة في رجل والمعنى ان الله سبحانه
كما لم ير في حكمته ان يجعل للانسان قلبين لانه لا يخلو اما ان يفعل باحدهما
مثل ما يفعل بالاخر من افعال القلوب فاحدهما فضلة غير محتاج اليها
واما ان يفعل بهذا غير ما يفعل بذلك فذلك يؤدي الى اتصاف الجملة بكونه
مريدا كارها عالما ظانا موقنا شاكا في حالة واحدة لم ير ايضا ان تكون
المراة الواحدة اما لرجل زوجا له لان الام مخدومة مخفوض لها جناح الذل
والزوجة مستخدمة متصرف فيها بالاستفراش وغيره كالمملوكة وهما حالتان
متنافيتان وان يكون الرجل الواحد دعيا لرجل وابنا له لان البنوة اصالة
في النسب وعراقة فيه والدعوة الصاق عارض بالتسمية لا غير ولا يجتمع في
الشيء الواحد ان يكون اصيلا غير اصيل وهذا مثل ضربه الله تعالى في زيد
بن حارثة وهو رجل من كلب سبي صغيرا وكانت العرب في جاهليتها يتغاورون
ويتسابون فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة فلما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهبته له وطلبه ابوه وعمه فخير فاختار رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتقه
وكانوا يقولون زيد بن محمد فانزل الله عز وجل هذه الاية وقوله ما كان محمد
ابا احد من رجالكم وقيل كان ابو معمر رجلا من احفظ العرب وارواهم
فقيل له ذو القلبين وقيل هو جميل بن اسد الفهري وكان يقول
ان لي قلبين افهم باحدهما اكثر مما يفهم محمد فروي انه انهزم يوم بدر
فمر بابي سفيان وهو معلق احدى نعليه بيده والاخرى في رجله فقال له ما
فعل الناس فقال هم ما بين مقتول وهارب فقال له ما بال احدى نعليك
في رجلك والاخرى في يدك فقال ما ظننت الا انهما في رجلي فاكذب الله قوله
وقولهم وضربه مثلا في الظهار والتبني وعن ابن عباس كان
المنافقون يقولون لمحمد قلبان فاكذبهم الله وقيل سها في صلاته فقالت اليهود
له قلبان قلب مع اصحابه وقلب معكم وعن الحسن نزلت في ان الواحد
يقول نفس تامرني ونفس تنهاني والتنكير في رجل وادخال من الاستغراقية
على قلبين تاكيدان لما قصد من المعنى كانه قال ما جعل الله لامة من الرجال
ولا لواحد منهم قلبين البتة في جوفه فان قلت اي فائدة في ذكر الجوف
قلت الفائدة فيه كالفائدة في قوله القلوب التي في الصدور وذلك ما يحصل
للسامع من زيادة التصور والتجلي للمدلول عليه لانه اذا سمع به صور لنفسه
جوفا فاشتمل على قلبين فكان اسرع الى الانكار وقرئ اللائي بياء وهمزة مكسورتين
واللاي بياء ساكنة بعد الهمزة وتظاهرون من ظاهر وتظاهرون من

اظّاهر بمعنى تظّاهر ويظّهّرون من اظّهّر بمعنى تظهّر ويُظهِرون من ظهّر بمعنى ظاهر كعقّد بمعنى عاقد ويظهرون من ظهر بلفظ فعل من الظهور ومعنى ظاهر من امراته قال لها انت علي كظهر امي ونحوه في العبارة عن اللفظ التي المحرم اذا قال لبيك وافف الرجل اذا قال اف واخوات لهن فان قلت فما وجه تعديته واخواته بمن قلت كان الظهار طلاقا عند الجاهلية فكانوا يتجنبون المراة المظاهر منها كما يتجنبون المطلقة فكان قولهم تظاهر منها تباعد منها لجهة الظهار وتظهر منها تحرز منها وظاهر منها حاذر منها وظهر منها وحنثر منها وظهر منها خلص منها ونظيره آلى من امراته لما ضمن معنى التباعد منها عدي بمن والا فآلى في اصله الذي هو معنى حلف واقسم ليس هذا بحكمه فان قلت ما معنى قولهم انت علي كظهر امي قلت ارادوا ان يقولوا انت علي حرام كبطن امي فكنوا عن البطن بالظهر لئلا يذكروا البطن الذي ذكره يقارب ذكر الفرج وانما جعلوا الكناية عن البطن بالظهر لانه عمود البطن ومنه حديث عمر رضي الله عنه يجيء احدهم على عمود بطنه اراد على ظهره ووجه اخر وهو ان اتيان المراة وظهرها الى السما كان محرما عندهم محظورا وكان اهل المدينة يقولون اذا اتيت المراة ووجهها الى الارض جا الولد احول فلقصد المطلق منهم الى التغليظ في تحريم امراته عليه شبهها بالظهر ثم لم يقنع بذلك حتى جعله ظهر امه فلم يترك فان قلت الدعي فعيل بمعنى مفعول وهو الذي يدعى ولدا فما له جمع على افعلا وبابه ما كان منه بمعنى فاعل كتقي واتقيا وشقي واشقيا ولا يكون ذلك في نحو رمي وسمي قلت ان شذوذه عن القياس كشذوذ قتلا واسرا والطريق في مثل ذلك التشبيه اللفظي ... النسب هو ... هذا ابني لا غير من غير ان يواطئه اعتقاد لصحته وكونه حقا والله عز وجل لا يقول الا ما هو حق ظاهره وباطنه ولا يهدي الا سبيل الحق ثم قال ما هو الحق وهدى الى ما هو سبيل الحق وهو قوله ادعوهم لآبائهم وبين ان دعاهم لآبائهم هو ادخل الامرين في القسط والعدل وفي فصل هذه الجمل ووصلها من الحسن والفصاحة ما لا يغبى على عالم بطرق النظم وقرا قتادة وهو الذي يهدي السبيل وقيل كان الرجل في الجاهلية اذا اعجبه جلد الرجل وظرفه ضمه الى نفسه وجعل له مثل نصيب الذكر من اولاده من ميراثه وكان ينسب اليه فيقال فلان بن فلان فان لم تعلموا لهم آبا تنسبونهم اليهم فهم اخوانكم في الدين واولياؤكم في الدين فقولوا هذا اخي وهذا مولاي ويا اخي ويا مولاي يريد الاخوة في الدين والولاية فيه ما تعمدت في محل الجر عطفا على ما اخطاتم ويجوز ان يكون مرتفعا على الابتدا والخبر محذوف تقديره ولكن ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح والمعنى لا اثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين جاهلين قبل

ورود النهي ولكن الاثم فيما تعمدتموه بعد النهي او لا اثم عليكم اذا قلتم لولد غيركم يا بني على سبيل الخطا وسبق اللسان ولكن اذا قلتموه متعمدين ويجوز ان يراد العفو عن الخطا دون العمد على طريق العموم كقوله عليه السلام ما اخشى عليكم الخطا ولكن اخشى عليكم العمد وقوله وضع عن امتي الخطا والنسيان وما اكرهوا عليه ثم تناول لعمومه خطا التبني وعمده فان قلت فاذا وجد التبني فما حكمه قلت اذا كان المتبنى مجهول النسب واصغر سنا من المتبني ثبت نسبه منه وان كان عبدا له عتق مع ثبوت النسب وان كان لا يولد مثله لمثله لم يثبت النسب ولكنه يعتق عند ابي حنيفة رحمه الله وعند صاحبيه لا يعتق واما المعروف النسب فلا يثبت نسبه بالتبني وان كان عبدا عتق وكان الله غفورا رحيما لعفوه عن الخطا وعن العمد اذا تاب العامد النبي اولى بالمؤمنين في كل شي من امور الدين والدنيا ... ولهذا اطلق ولم يقيد فيجب عليهم ان يكون احب اليهم من انفسهم وحكمه انفذ عليهم من حكمها وحقه آثر لديهم من حقوقها وشفقتهم عليه اقدم من شفقتهم عليها وان يبذلوها دونه ويجعلوها فداه اذا اعضل خطب ووقاه اذا لقحت حرب وان لا يتبعوا ما تدعوهم اليه نفوسهم ولا ما تصرفهم عنه ويتبعوا كل ما دعاهم اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصرفهم عنه لان كل ما دعا اليه فهو ارشاد لهم الى سبل النجاة والظفر بسعادة الدارين وما صرفهم عنه فاخذ بحجزهم لئلا يتهافتوا فيما يرمي بهم الى الشقاوة وعذاب النار او هو اولى بهم على معنى انه ارأف بهم واعطف عليهم وانفع لهم كقوله تعالى بالمؤمنين رؤف رحيم وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مؤمن الا انا اولى به في الدنيا والآخرة اقرءوا ان شئتم النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم فايما مؤمن هلك وترك مالا فليرثه عصبته من كانوا وان ترك دينا او ضياعا فالي وفي قراءة ابن مسعود النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وهو اب لهم وقال مجاهد كل نبي فهو ابو امته ولذلك صار المؤمنون اخوة لان النبي صلى الله عليه وسلم ابوهم في الدين وازواجه امهاتهم تشبيه لهن بالامهات في بعض الاحكام وهو وجوب تعظيمهن واحترامهن وتحريم نكاحهن قال الله تعالى ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا وهن فيما وراء ذلك بمنزلة الاجنبيات ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها لسنا امهات النساء تعني انهن انما كن امهات الرجال لكونهن محرمات عليهم كتحريم امهاتهم والدليل على ذلك ان هذا التحريم لم يتعد الى بناتهن وكذلك لم يثبت لهن سائر احكام الامهات كان المسلمون في صدر الاسلام يتوارثون في الدين وبالهجرة لا بالقرابة كما كانت تتالف قلوب قوم باسهام لهم في الصدقات ثم نسخ ذلك لما دجا الاسلام وعز اهله وجعل التوارث بحق القرابة في كتاب الله في اللوح او فيما اوحى الله الى نبيه وهو هذه الآية او في آية المواريث او فيما فرض الله سبحانه كقوله كتاب الله عليكم من المؤمنين والمهاجرين يجوز ان يكون بيانا لاولي الارحام اي الاقربا من هؤلا بعضهم اولى بان يرث بعضا من الاجانب

بالولاية

ويجوز ان يكون لابتدا الغاية اي اولوا الارحام بحق القرابه اولى بالميراث من المومنين
بحق الولايه في الدين ومن المهاجرين بحق الهجره فان قلت مم استثنى ان تفعلوا
قلت من اعم العام في معنى النفع والاحسان كما تقول القريب اولى من الاجنبي
الا في الوصيه يريد انه احق منه في كل نفع من ميراث وهبه وهديه وصدقه
وغير ذلك الا في الوصيه والمراد بفعل المعروف الوصيه لانه لا وصيه
لوارث وعدى تفعلوا بالى لانه في معنى تسدوا وتزلوا والمراد بالاوليا المومنون
والمهاجرون للولايه في الدين ذلك اشاره الى ما ذكر في الايتين جميعا وتفسير
الكتاب ما مر آنفا والجمله مستانفه كالخاتمه لما ذكر من الاحكام واذكر حين
اخذنا من النبيين ميثاقهم جميعا بتبليغ الرساله والدعا الى الدين القيم ومنك
ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى خصوصا وانما فعلنا ذلك ليسال الله
يوم القيمه عند تواقف الاشهاد المومنين الذين صدقوا عهدهم ووفوا به
من جمله من اشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى عن صدقهم عهدهم
وشهادتهم فيشهد لهم الانبيا بانهم صدقوا عهدهم وشهادتهم وكانوا
مومنين او ليسال المصدقين للانبيا عن تصديقهم لان من قال للصادق صدقت
كان صادقا في قوله او ليسال الانبيا ما الذي اجابتهم به اممهم وتاويل
مسله الرسل تبكيت الكفرين بهم كقوله آنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من
دون الله فان قلت لم قدم رسول الله صلعم على نوح فمن بعده قلت
هذا العطف لبيان فضيله الانبيا الذين هم مشاهيرهم وذراريهم فلما كان
محمد صلعم افضل هولا المفضلين قدم عليهم لبيان انه افضلهم ولولا ذلك
لقدم من قدمه زمانه فان قلت فقد قدم عليه نوح عليه السلام في الايه التي
هي اخت هذه وهي قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك
ثم قدم على غيره قلت مورد هذه الايه على طريقه خلاف طريقه تلك وذلك
ان الله عز وجل انما اوردها لوصف دين الاسلام بالاصاله والاستقامه
فكانه قال شرع لكم الدين الاصيل الذي بعث عليه نوح في العهد القديم
وبعث عليه محمد خاتم الانبيا عليهم السلام في العهد الحديث وبعث عليه من توسط
بينهما من الانبيا المشاهير فان قلت فماذا اراد بالميثاق الغليظ قلت اراد
به ذلك الميثاق بعينه معناه واخذنا منهم بذلك الميثاق ميثاقا غليظا و
الغلظ استعاره من وصف الاجرام والمراد عظم الميثاق وجلاله شانه في
بابه وقيل الميثاق الغليظ اليمين بالله على الوفا بما حملوا فان قلت علام
عطف قوله واعد للكفرين قلت على اخذنا من النبيين لان المعنى ان الله تعالى
اكد على الانبيا الدعوه الى دينه لاجل اثابه المومنين واعد للكفرين عذابا اليما
او على ما دل عليه ليسال الصادقين كانه قال فاثاب المومنين واعد للكفرين
اذكروا ما انعم الله به عليكم يوم الاحزاب وهو يوم الخندق اذ جاءتكم
جنود وهم الاحزاب فارسل الله عليهم ريح الصبا قال رسول الله صلعم
نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وجنودا لم تروها وهم الملئكه وكانوا

الفا بعث الله عليهم صبا بارده في ليله شاتيه فاخصرتهم وسفت التراب في
وجوههم وامر الملئكه فقلعت الاوتاد وقطعت الاطناب واطفات النيران
واكفات القدور وماجت الخيل بعضها في بعض وقذف في قلوبهم الرعب
وكبرت الملئكه في جوانب عسكرهم فقال طليحه بن خويلد الاسدي اما
محمد فقد بداكم بالسحر فالنجا النجا فانهزموا من غير قتال وحين سمع رسول الله
صلعم باقبالهم ضرب الخندق على المدينه اشار عليه بذلك سلمان الفارسي
رضي الله عنه ثم خرج في ثلثه الاف من المسلمين فضرب معسكره والخندق بينه
وبين القوم وامر بالذراري والنسا فرفعوا في الاطام واشتد الخوف وظن
المومنون كل ظن ونجم النفاق من المنافقين حتى قال معتب بن قشير كان محمد
يعدنا كنوز كسرى وقيصر ونحن لا نقدر ان نذهب الى الغائط وكانت
قريش قد اقبلت في عشره الاف من الاحابيش وبني كنانه واهل تهامه
وقايدهم ابو سفيان وخرج غطفان في الف ومن تابعهم من اهل نجد وقايدهم
عيينه بن حصن وعامر بن الطفيل في هوازن وضامتهم اليهود من قريظه
والنضير ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم الا الترامي بالنبل
والحجاره حتى انزل الله النصر [illegible] قرى بالنا والثنا من فوقكم من
اعلى الوادي من قبل المشرق بنو غطفان ومن اسفل منكم من اسفل الوادي
من قبل المغرب قريش تحزبوا وقالوا سنكون جمله واحده حتى نستاصل
محمدا واذ زاغت الابصار مالت عن سننها ومستوى نظرها حيره وشخوصا
وقيل عدلت عن كل شي فلم تلتفت الا الى عدوها لشده الروع الحنجره
راس الغلصمه وهي منتهى الحلقوم والحلقوم مدخل الطعام والشراب
قالوا اذا انتفخت الريه من شده الفزع او الغضب او الغم الشديد ربت
وارتفع القلب بارتفاعها الى راس الحنجره ومن ثم قيل للجبان انتفخ سحره
ويجوز ان يكون ذلك مثلا في اضطراب القلوب ووجيبها وان لم تبلغ
الحناجر حقيقه وتظنون بالله الظنونا خطاب للذين امنوا ومنهم الثبت
القلوب والاقدام والضعاف القلوب الذين هم على حرف والمنافقون الذين
لم يوجد منهم الايمان الا بالسنتهم فظن الاولون بالله انه يبتليهم ويفتنهم فخافوا
الزلل وضعف الاحتمال واما الاخرون فظنوا بالله ما حكي عنهم وعن الحسن ظنوا
ظنونا مختلفه ظن المنافقون ان المسلمين يستاصلون وظن المومنون انهم
يبتلون وقرى الظنون بغير الف في الوصل والوقف وهو القياس وبزياده
الف في الوقف زادوها في الفاصله كما زادها في القافيه من قال ○
اقلي اللوم عاذل والعتابا وقولي ان اصبت لقد اصابا ○ وكذلك الرسولا
والسبيلا وقرى بزيادتها في الوصل ايضا اجراء له مجرى الوقف قال ابو عبيد
وهن كلهن في الامام بالف وعن ابي عمرو اشمام زاي زلزلوا وقرى [illegible]
بالفتح والمعنى ان الخوف ازعجهم اشد الازعاج [illegible] قيل قايله معتب بن قشير

حين رأى الاحزاب قال يعدنا محمد فتح فارس والروم واحدنا لا يقدر ان
يتبرز فرقا ما هذا الا وعد غرور طائفة منهم هم اوس بن قيظي ومن
وافقه على رأيه وعن السدي عبد الله بن ابي واصحابه ويثرب اسم
المدينة وقيل ارض وقعت المدينة في ناحية منها لا مقام لكم قرئ
بضم الميم وفتحها اي لا قرار لكم ههنا ولا مقام تقيمون فيه او تقيمون
فارجعوا الى المدينة امروهم بالهرب من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل
قالوا لهم ارجعوا كفارا واسلموا محمدا والا فليست يثرب لكم بمكان.
قرئ عورة بسكون الواو وكسرها فالعورة الخلل والعورة ذات العورة
يقال عور المكان عورا اذا بدا فيه خلل يخاف منه العدو والسارق ويجوز
ان تكون عورة تخفيف عورة اعتذروا ان بيوتهم معرضة للعدو ممكنة
للسراق لانها غير محرزة ولا محصنة فاستأذنوه ليحصنوها ثم يرجعوا
اليه فاكذبهم الله بانهم لا يخافون ذلك وانما يريدون الفرار ولو دخلت عليهم
المدينة وقيل بيوتهم من قولك دخلت على فلان داره من اقطارها من جوانبها
يريد ولو دخلت هذه العساكر المتحزبة التي يفرون خوفا منها مدينتهم وبيوتهم
من نواحيها كلها وانثالت على اهاليهم واولادهم ناهبين سابين ثم سئلوا
عند ذلك الفزع وتلك الرجفة الفتنة اي الردة والرجعة الى الكفر ومقاتلة
المسلمين لاتوها لجاؤها وفعلوها وقرئ لآتوها لاعطوها وما تلبثوا
بها اي وما البثوا اعطاءها الا يسيرا ريثما يكون السؤال والجواب من غير توقف
او وما لبثوا بالمدينة بعد ارتدادهم الا يسيرا فان الله يهلكهم والمعنى انهم
يتعللون باعوار بيوتهم ويتمحلون ليفروا عن نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم و
المؤمنين وعن مصافة الاحزاب الذين ملأوهم هولا ورعبا وهؤلاء الاحزاب
كما هم لو كبسوا عليهم ارضهم وديارهم وعرض عليهم الكفر وقيل لهم كونوا
على المسلمين لسارعوا اليه وما تعللوا بشيء وما ذاك الا لمقتهم الاسلام وشدة
بغضهم لاهله وحبهم الكفر وتهالكهم على حزبه. عن ابن عباس رضي الله عنهما
عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة على ان يمنعوه مما يمنعون منه انفسهم
وقيل هم قوم غابوا عن بدر فقالوا لئن اشهدنا الله قتالا لنقاتلن وعن محمد
بن اسحق عاهدوا يوم احد ان لا يفروا بعد ما نزل فيهم ما نزل مسؤولا مطلوبا
مقتضى حتى يوفى به لن ينفعكم الفرار من ما لا بد لكم من نزوله بكم من حتف
انف او قتل وان نفعكم الفرار مثلا فمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتع الا زمانا
قليلا وعن بعض المروانية انه مر بحائط مائل فاسرع فتليت له هذه الآية
فقال ذلك القليل نطلب. فان قلت كيف جعلت الرحمة قرينة السوء في العصمة
ولا عصمة الا من السوء قلت معناه او يصيبكم بسوء ان اراد بكم رحمة فاختصر
الكلام واجرى مجرى قوله * متقلدا سيفا ورمحا * او حمل الثاني
على الاول لما في العصمة من معنى المنع المعوقين المثبطين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهم المنافقون كانوا يقولون لاخوانهم من ساكني المدينة من انصار رسول الله صلى الله عليه وسلم

ما محمد واصحابه الا اكلة رأس ولو كانوا لحما لالتهمهم ابو سفيان واصحابه فخلوهم
وهلم الينا اي قربوا انفسكم الينا وهي لغة اهل الحجاز يسوون فيه بين
الواحد والجماعة واما تميم فيقولون هلم يا رجل وهلموا يا رجال وهو صوت سمي
به فعل متعد مثل احضر وقرب قل هلم شهداءكم ولا يأتون البأس الا اتيانا قليلا
يخرجون مع المؤمنين يوهمونهم انهم معهم ولا تراهم يبارزون ويقاتلون الا
شيئا قليلا اذا اضطروا اليه كقوله ما قاتلوا الا قليلا اشحة في وقت
الحرب اضناء بكم يترفرفون عليكم كما يفعل الرجل بالذاب عنه المناضل دونه عند
الخوف ينظرون اليك في تلك الحالة كما ينظر المغشي عليه من معالجة سكرات
الموت حذرا وخورا ولواذا بك فاذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم ووقعت
القسمة نقلوا ذلك الشح وتلك الضنة والرفرفة عليكم الى الخير وهو المال والغنيمة
ونسوا تلك الحالة الاولى واجترؤا عليكم وضربوكم بالسنتهم وقالوا وفروا
قسمتنا فانا قد شاهدناكم وقاتلنا معكم وبمكاننا غلبتم عدوكم وبنا نصرتم
عليه ونصب اشحة على الحال او على الذم وقرئ اشحة بالرفع وصلقوكم بالصاد
فان قلت هل يثبت للمنافق عمل حتى يرد عليه الاحباط قلت لا ولكنه
تعليم لمن عسى يظن ان الايمان باللسان ايمان وان لم يواطئه القلب وان
ما يعمل المنافق من الاعمال يجدي عليه فبين ان ايمانه ليس بايمان وان
كل عمل يوجد منه باطل وفيه بعث على اتقان المكلف اساس امره وهو
الايمان الصحيح وتنبيه على ان الاعمال الكثيرة من غير تصحيح المعرفة كالبناء
على غير اساس وانها مما يذهب عند الله هباء منثورا فان قلت ما معنى قوله
وكان ذلك على الله يسيرا وكل شيء عليه يسير قلت معناه ان اعمالهم حقيقة
بالاحباط تدعو اليه الدواعي ولا يصرف عنه صارف يحسبون الاحزاب لم يذهبوا
وقد انهزموا فانصرفوا عن الخندق الى المدينة راجعين لما نزل بهم من الخوف
الشديد ودخلهم من الجبن المفرط وان يأت الاحزاب كرة ثانية تمنوا لخوفهم
مما منوا به هذه الكرة انهم خارجون الى البدو وحاصلون بين الاعراب يسألون
كل قادم منهم من جانب المدينة عن انبائكم عن اخباركم وعما جرى عليكم ولو كانوا فيكم
ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال لم يقاتلوا الا تعلة رياء وسمعة وقرئ بدى
على فعل كغاز وغزى وفي رواية صاحب الاقليد بدا على وزن عدى ويساءلون اي
يتساءلون ومعناه يقول بعضهم لبعض ماذا سمعت ماذا بلغك او يتساءلون الاعراب
كما تقول رأينا الهلال وتراءيناه فكان عليكم ان تواسوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بانفسكم فتوازروه وتثبتوا معه كما آساكم بنفسه في الصبر على الجهاد والثبات
في رحى الحرب حتى كسرت رباعيته يوم احد وشج وجهه فان قلت فما
حقيقة قوله لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة وقرئ اسوة بالضم قلت
فيه وجهان احدهما انه في نفسه اسوة حسنة اي قدوة وهو المؤتسى به اي المقتدى

به كما يقول في السنة عشرون منا حديدا اى هي في نفسها هذا المبلغ من الحديد
والثاني ان فيه خصلة من حقها ان يوتسى بها وتتبع وهي المواساة بنفسه
لمن كان يرجوا الله بدل من لكم كقوله للذين استضعفوا لمن امن منهم يرجوا الله
واليوم الاخر من قولك رجوت زيدا وفضله اى فضل زيد او يرجوا ايام الله
واليوم الاخر خصوصا والرجا يعني الامل او الخوف وذكر الله كثيرا وقرن
الرجا بالطاعات الكثيرة والتوفر على الاعمال الصالحة والموتسي برسول الله صلى الله عليه وسلم
من كان كذلك وعدهم الله ان تزلزلوا حتى يستغيثوه ويستنصروه في قوله ام
حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم فلما جا
الاحزاب وشخص بهم واضطربوا ورعبوا الرعب الشديد قالوا هذا ما
وعدنا الله ورسوله وايقنوا بالجنة والنصر وعن ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم
لاصحابه ان الاحزاب سائرون عليكم تسعا او عشرا اى في اخر تسع ليال او عشر
فلما راوهم قد اقبلوا للميعاد قالوا ذلك و ... اشارة الى الخطب والبلا
ايمانا بالله وتسليما ... لقضايا به واقداره نذر رجال من الصحابة
انهم اذا لقوا حربا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم
عثمن بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وحمزة ومصعب
عمير وغيرهم ... يعني حمزة ومصعبا ... يعني عثمن
وطلحة وفي الحديث من احب ان ينظر الى شهيد يمشي على وجه الارض فلينظر الى
طلحة فان قلت ما قضا النحب قلت وقع عبارة عن الموت لان كل حي لابد له
ان يموت فكانه نذر لازم في رقبته فاذا مات فقد قضى نحبه اى نذره وقوله فمنهم
من قضى نحبه يحتمل موته شهيدا ويحتمل وفاه بنذره من الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فان قلت فما حقيقة قوله صدقوا ما عاهدوا الله عليه قلت يقال صدقني
اخوك وكذبني اذا قال لك الصدق والكذب واما المثل صدقني سن بكره فمعناه
صدقني في سن بكره بطرح الجار وايصال الفعل فلا يخلو ما عاهدوا الله عليه اما
ان يكون بمنزلة السن في طرح الجار واما ان يجعل المعاهد عليه مصدوقا على
المجاز كانهم قالوا للمعاهد عليه ستفى بك وهم وافون به فقد صدقوه ولو
كانوا ناكثين لكذبوه ولكان مكذوبا ... العهد ولا غيروه لا
المستشهد ولا من ينتظر الشهادة ولقد ثبت طلحة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم احد حتى اصيبت يده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوجب طلحة وفيه تعريض
بمن بدلوا من اهل النفاق ومرضى القلوب حين جعل المنافقون كانهم قصدوا عاقبة
السو وارادوها بتبديلهم كما قصد الصادقون عاقبة الصدق بوفائهم لان
كلا الفريقين مسوق الى عاقبته من الثواب والعقاب فكانهما استويا في
طلبها والسعي لتحصيلها ويعذبهم ان شا اذا لم يتوبوا او يتوب عليهم اذا تابوا ورد
الله الذين كفروا الاحزاب بغيظهم متغيظين كقوله تنبت بالدهن ... لم ينالوا خيرا

سوره

غير ظافرين وهما حالان بتداخل او تعاقب ويجوز ان تكون الثانية بيانا للاولى
او استئنافا ... بالريح والملئكة
ظاهروا الاحزاب من اهل الكتاب من بني قريظة من صياصيهم من حصونهم و
الصيصية ما تحصن به يقال لقرن الثور والظبي صيصية ولشوكة الديك
وهي مخلبه التي في ساقه لانه يتحصن بها وروى ان جبريل عليه السلام اتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم صبيحة الليلة التي انهزم فيها الاحزاب ورجع المسلمون الى
المدينة ووضعوا سلاحهم على فرسه الحيزوم والغبار على وجه الفرس
وعلى السرج فقال ما هذا يا جبريل قال من متابعة قريش فجعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم يمسح الغبار عن وجه الفرس وعن سرجه فقال يا رسول الله ان
الملئكة لم تضع السلاح ان الله يامرك بالمسير الى بني قريظة وانا عامد
اليهم فان الله داقهم دق البيض على الصفا وانهم لكم طعمة فاذن في الناس
ان من كان سامعا مطيعا فلا يصلي العصر الا في بني قريظة فما صلى كثير من
الناس العصر الا بعد العشا الاخرة لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاصرهم
خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم رسول الله تنزلون على
حكمي فابوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فقال سعد حكمت فيهم
ان تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم ونساوهم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة ارقعة ثم استنزلهم وخندق في
سوق المدينة خندقا وقدمهم فضرب اعناقهم وهم من ثمان مائة الى تسع مائة
وقيل كانوا ستمائة مقاتل وسبع مائة اسير وقرى سكون
العين وضمها ... تصم السين وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
جعل عقارهم للمهاجرين دون الانصار فقالت الانصار في ذلك فقال انكم
في منازلكم وقال عمر اما تخمس كما خمست يوم بدر قال لا انما جعلت هذه
طعمة لي دون الناس قال رضينا بما صنع الله ورسوله ... لم
تطوها عن الحسن فارس والروم وعن قتادة كان يحدث انها مكة وعن
مقاتل هي خيبر وعن عكرمة كل ارض تفتح الى يوم القيمة ومن بدع
التفاسير انه اراد نساهم اردن شيا من الدنيا من ثياب وزيادة
نفقة وتغايرن فغم ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فبدا بعايشة
وكانت احبهن اليه فخيرها وقرا عليها القران فاختارت الله ورسوله
والدار الاخرة فروى الفرح في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اختارت جميعهن
اختيارها فشكر لهن الله ذلك فانزل لا يحل لك النسا من بعد ولا ان
تبدل بهن من ازواج وروى انه قال لعايشة اني ذاكر لك امرا ولا عليك
ان لا تعجلي فيه حتى تستامري ابويك ثم قرا عليها القران فقالت افي هذا
استامر ابوي فاني اريد الله ورسوله والدار الاخرة وروى انها قالت لا
تخبر ازواجك اني اخترتك فقال انما بعثني الله مبلغا ولم يبعثني متعنتا فان

قلت ما حكم التخيير في الطلاق قلت اذا قال لها اختاري فقالت اخترت نفسي او قال اختاري نفسك فقالت اخترت لا بد من ذكر النفس في قول المخير او المخيرة وتقع طلقة بائنة عند ابي حنيفة واصحابه واعتبروا ان تكون في ذلك المجلس قبل القيام او الاشتغال بما يدل على الاعراض واعتبر الشافعي اختيارها على الفور وهي عنده طلقة رجعية وهو مذهب عمر وابن مسعود وعن الحسن وقتادة والزهري امرها بيدها في ذلك المجلس وفي غيره واذا اختارت زوجها لم يقع شي باجماع فقهاء الامصار وعن عايشة رضي الله عنها خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه ولم يعده طلاقا وروي او كان طلاقا وعن علي رضي الله عنه اذا اختارت زوجها فواحدة رجعية وان اختارت نفسها فواحدة بائنة وروي عنه ايضا انها ان اختارت زوجها فليس بشي اصل تعال ان يقوله من في المكان المرتفع لمن في المكان المستوطي ثم كثر حتى استوت في استعماله الامكنة ومعنى تعالين اقبلن بارادتكن واختياركن لاحد امرين ولم يرد نهوضهن اليه بانفسهن كما تقول اقبل يخاصمني وذهب يكلمني وقام يهددني امتعكن اعطكن متعة الطلاق فان قلت المتعة في الطلاق واجبة ام لا قلت المطلقة التي لم يدخل بها ولم يفرض لها في العقد متعتها واجبة عند ابي حنيفة واصحابه واما سائر المطلقات فمتعتهن مستحبة وعن الزهري متعتان احداهما يقضي بها السلطان من طلق قبل ان يفرض ويدخل بها والثانية حق على المتقين من طلق بعدما يفرض ويدخل وخاصمت امراة الى شريح في المتعة فقال متعها ان كنت من المتقين ولم يجبره وعن سعيد بن جبير المتعة حق مفروض وعن الحسن لكل مطلقة متعة الا المختلعة والملاعنة والمتعة درع وخمار وملحفة على حسب السعة والاقتار الا ان يكون نصف مهرها اقل من ذلك فيجب لها الاقل منهما ولا تنقص من خمسة دراهم لان اقل المهر عشرة دراهم فلا ينقص من نصفها فان قلت ما وجه قراءة من قرا امتعكن واسرحكن بالرفع قلت وجهه الاستيناف

من يات منكن من عصى منكن او اطلاقا بالنسبة

للسان لا للبعض الفاحشة السيئة البليغة في القبح وهي الكبيرة والمبينة الظاهر فحشها والمراد كل ما اقترفن من الكبائر وقيل هي عصيانهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشوزهن وطلبهن منه ما يشق عليه وما يضيق به ذرعه ويغتم لاجله وقيل الزنا والله عاصم رسوله صلى الله عليه وسلم من ذلك كما مر في حديث الافك وانما ضوعف عذابهن لان ما قبح من سائر النساء كان اقبح منهن واقبح لان زيادة قبح المعصية تتبع زيادة الفضل والمرتبة وزيادة النعمة على العاصي من المعصي وليس لاحد من النساء مثل فضل نساء النبي صلى الله عليه وسلم ولا على احد منهن مثل ما لله عليهن من النعمة والجزاء يتبع الفعل وكون الجزاء عقابا يتبع كون الفعل قبيحا فمتى ازداد قبحا ازداد عقابه شدة ولذلك كان ذم العقلاء للعاصي العالم اشد

اشد منه للعاصي

اشد منه للعاصي الجاهل لان المعصية من العالم اقبح ولذلك فضل حد الاحرار على حد العبيد حتى ان ابا حنيفة واصحابه لا يرون الرجم على الكافر وكان ذلك على الله يسيرا ايذان بان كونهن نساء النبي ليس بمغن عنهن شيئا وكيف يغني عنهن وهو سبب مضاعفة العذاب وكان داعيا الى تشديد الامر عليهن غير صارف عنه قرئ يات بالياء والتاء مبينة بفتح الياء وكسرها من بين بمعنى تبين يضاعف ويضعف على البناء للمفعول ونضاعف ونضعف بالياء والنون وقرئ تعمل بالتاء والياء ونوتها بالياء والنون والقنوت الطاعة وانما ضوعف اجرهن لطلبهن رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحسن الخلق وطيب المعاشرة والقناعة وتوفرهن على عبادة الله عز وجل والتقوى احد في الاصل بمعنى وحد وهو الواحد ثم وضع في النفي العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد وما وراءه ومعنى قوله لستن كاحد من النساء لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء اي اذا تقصيت امة النساء جماعة جماعة لم يوجد منهن جماعة واحدة تساويكن في الفضل والسابقة ومثله قوله عز وجل والذين امنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم يريد بين جماعة واحدة منهم تسوية بين جميعهم في انهم على الحق المبين ان اتقيتن ان اردتن التقوى وان كنتن متقيات فلا تخضعن بالقول فلا تجبن بقولكن خاضعا اي لينا خنثا مثل كلام المريبات المومسات فيطمع الذي في قلبه مرض اي ريبة وفجور وقرئ بالجزم عطفا على محل فعل النهي على انهن نهين عن الخضوع بالقول ونهي المريض القلب عن الطمع كانه قيل لا تخضعن فلا يطمع وعن ابن محيصن انه قرا بكسر الميم وسبيله ضم الياء مع كسرها واسناد الفعل الى ضمير القول اي فيطمع القول المريب وقولا معروفا بعيدا من طمع المريب بجد وخشونة من غير تخنيث او قولا حسنا مع كونه خشنا وقرن بكسر القاف من وقر يقر وقارا او من قر يقر حذفت الاولى من راءي اقررن ونقلت كسرتها الى القاف كما تقول ظلن وقرن بفتحها واصله اقررن فحذفت الراء والقيت فتحتها على ما قبلها كقولك ظلن وذكر ابو الفتح الهمداني في كتاب التبيان وجها اخر قار يقار اذا اجتمع ومنه القارة لاجتماعها الا ترى الى قول عضل والديش اجتمعوا فكونوا قارة والجاهلية الاولى هي القديمة التي يقال لها الجاهلية الجهلاء وهي الزمن الذي ولد فيه ابراهيم عليه السلام كانت المراة تلبس الدرع من اللولو فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال وقيل ما بين ادم ونوح عليهما السلام وقيل بين ادريس ونوح عليهما السلام وقيل زمن داود وسليمان عليهما السلام ويجوز ان تكون الجاهلية الاولى جاهلية الكفر قبل الاسلام والجاهلية الاخرى جاهلية الفسوق والفجور في الاسلام فكان المعنى ولا تحدثن بالتبرج جاهلية في الاسلام تتشبهن بها باهل جاهلية الكفر ويعضده ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي الدرداء ان فيك جاهلية قال جاهلية

(في الهامش: لاجتماعها)

(في الهامش: الكفر قبل الاسلام)

كفر ام جاهلية اسلام فقال بل جاهلية كفر امرهن امرا خاصا بالصلاة والزكوة
ثم جاء به عاما في جميع الطاعات لان هاتين الطاعتين البدنية والمالية هما
اصل سائر الطاعات من اعتنى بهما حق اعتنائه جرتاه الى ما وراءهما ثم بين انه
انما نهاهن وامرهن ووعظهن لئلا يقارف اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم المأثم
وليتصونوا عنها بالتقوى واستعار للذنوب الرجس وللتقوى الطهر لان
عرض المقترف للقبيحات يتلوث بها ويتدنس كما يتلوث بدنه بالارجاس
واما المحسنات فالعرض منها نقي مصون كالثوب الطاهر وفي هذه الاستعارة
ما ينفر اولي الالباب عن ما كرهه الله لعباده ونهاهم عنه ويرغبهم في
ما رضيه لهم وامرهم به واهل البيت نصب على النداء او على المدح وفي
هذا دليل بين على ان نساء النبي من اهل بيته ثم ذكرهن ان بيوتهن مهابط
الوحي وامرهن ان لا ينسين ما يتلى فيها من الكتاب الجامع بين امرين هو
ايات بينات تدل على صدق النبوة لانه معجز بنظمه وهو حكمة وعلوم وشرائع
ان الله كان لطيفا خبيرا حين علم ما ينفعكم ويصلحكم في دينكم فانزله عليكم
او علم من يصلح لنبوته ومن يصلح لان يكونوا اهل بيته او حيث جعل الكلام
الواحد جامعا بين الغرضين روي ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم قلن يا رسول الله
ذكر الله الرجال في القران بخير افما فينا خير نذكر به انا نخاف ان لا تقبل
منا طاعة وقيل السائلة ام سلمة وروي انه لما نزل في نساء النبي صلى الله عليه وسلم
ما نزل قال نساء المومنين فما نزل فينا شيء فنزلت والمسلم الداخل في السلم بعد
الحرب المنقاد الذي لا يعاند او المفوض امره الى الله المتوكل عليه من اسلم
وجهه الى الله والمومن المصدق بالله ورسوله وبما يجب ان يصدق به والقانت
القائم بالطاعة الدائم عليها والصادق الذي يصدق في نيته وقوله وعمله
والصابر الذي يصبر على الطاعات وعن المعاصي والخاشع المتواضع لله
بقلبه وجوارحه وقيل الذي اذا صلى لم يعرف من عن يمينه وشماله والمتصدق
الذي يزكي ماله ولا يخل بالنوافل وقيل من تصدق في اسبوع بدرهم فهو من المتصدقين
ومن صام البيض من كل شهر فهو من الصائمين والذاكر الله كثيرا من لا
يكاد يخلو من ذكر الله بقلبه او لسانه او بهما وقراءة القران والاشتغال
بالعلم من الذكر وقال صلى الله عليه وسلم من استيقظ من نومه وايقظ امراته فصليا
جميعا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات والمعنى والحافظاتها
والذاكراته فحذف لان الظاهر يدل عليه فان قلت اي فرق بين العطفين
اعني عطف الاناث على الذكور وعطف الزوجين على الزوجين قلت العطف
الاول نحو قوله ثيبات وابكارا في انهما جنسان مختلفان اذا اشتركا في حكم لم يكن
بد من توسط العاطف بينهما واما العطف الثاني فمن عطف الصفة على الصفة
بحرف الجمع فكان معناه ان الجامعين والجامعات لهذه الطاعات اعد الله لهم
خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب على

مولاه زيد بن حارثة فابت وابى اخوها عبد الله فنزلت فقالا رضينا يا رسول الله
فانكحها اياه وساق عنه اليها مهرها ستين درهما وخمارا وملحفة ودرعا
وازارا وخمسين مدا من طعام وثلثين صاعا من تمر وقيل هي ام كلثوم بنت عقبة
ابن ابي معيط وهي اول من هاجر من النساء وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فقال قد
قبلت وزوجها زيدا فسخطت هي واخوها وقالا انما اردنا رسول الله فزوجها
عبده والمعنى وما صح لرجل ولا امراة من المومنين اذا قضى الله ورسوله
اي رسول الله او لان قضاء رسول الله هو قضاء الله امرا من الامور ان يختاروا
من امرهم ما شاؤوا ابل من حقهم ان يجعلوا رايهم تبعا لرايه واختيارهم
تلوا لاختياره فان قلت كان من حق الضمير ان يوحد كما تقول ما جاءني من رجل
ولا امراة الا كان من شانه كذا قلت نعم ولكنهما وقعا تحت النفي فعما كل مومن
ومومنة فرجع الضمير على المعنى لا على اللفظ وقرئ يكون بالتاء والياء والخيرة
ما يتخير للذي انعم الله عليه بالاسلام الذي هو اجل النعم وتوفيقك
لعتقه ومحبته واختصاصه وانعمت عليه بما وفقك الله فيه فهو متقلب في
نعمة الله ونعمة رسوله وهو زيد بن حارثة امسك عليك زوجك يعني زينب
بنت جحش وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ابصرها بعد ما انكحها اياه فوقعت
في نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وذلك ان نفسه كانت تجفو عنها
قبل ذلك لا تريدها ولو ارادها لاختطبها وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها
لزيد ففطن والقى الله في نفسه كراهة صحبتها والرغبة عنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال لرسول الله اني اريد ان افارق صاحبتي فقال ما لك ارابك منها شيء قال لا
والله ما رايت منها الا خيرا ولكنها تتعظم علي لشرفها وتوذيني فقال له امسك
عليك زوجك واتق الله ثم طلقها بعد فلما اعتدت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما اجد احدا اوثق في نفسي منك اخطب علي زينب قال زيد فانطلقت فاذا
هي تخمر عجينها فلما رايتها عظمت في صدري حتى ما استطيع ان انظر اليها
حين علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليتها ظهري وقلت يا زينب
ابشري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبك ففرحت وقالت ما انا بصانعة شيئا
حتى اوامر ربي فقامت الى مسجدها ونزل القران فتزوجها رسول الله
صلى الله عليه وسلم ودخل بها وما اولم على امراة من نسائه ما اولم عليها ذبح شاة
واطعم الناس الخبز واللحم حتى امتد النهار فان قلت ماذا اراد بقوله
واتق الله قلت اراد واتق الله فلا تطلقها وقصد نهي تنزيه لا تحريم لان الاولى
ان لا تطلق وقيل اراد واتق الله فلا تذمها بالنسبة الى الكبر واذى الزوج
فان قلت ما الذي اخفى في نفسه قلت تعلق قلبه بها وقيل مودة
مفارقة زيد اياها وقيل علمه بان زيدا سيطلقها وسينكحها لان الله
قد اعلمه بذلك وعن عائشة رضي الله عنها لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا مما اوحي
اليه لكتم هذه الاية فان قلت فماذا اراد الله منه ان يقوله حين قال له زيد

اريد مفارقتها وكان من الهجنة ان يقول له افعل فاني اريد نكاحها **قلت** كان
الذي اراد منه عز وجل ان يصمت عند ذلك او يقول له انت اعلم بشانك حتى لا تخالف
في ذلك سره علانيته لان الله عز وجل يريد من الانبيا تساوي الظاهر
والباطن والتصلب في الامور والتجاوب في الاحوال والاستمرار على طريقة
مستتبة كما جا في حديث ارادة رسول الله صلعم قتل عبد الله بن ابي سرح
واعتراض عثمن رضي الله عنه بشفاعته ان عمر قال له لقد كان عيني الى عينك
هل تشير الي فاقتله فقال ان الانبيا لا تومض ظاهرهم وباطنهم واحد
فان قلت كيف عاتبه الله سبحانه في ستر ما استهجن التصريح به ولا
يستهجن النبي صلعم التصريح بشي الا والشي في نفسه مستهجن وقالة الناس
لا تتعلق الا بما يستقبح في العقول والعادات وما له لم يعاتبه في نفس
الامر ولم يامره بقمع الشهوة وكف النفس عن ان تنازع الى زينب وتتبعها
ولم يعصم نبيه عن تعلق الهجنة به وما يعرضه للقالة **قلت** كم من شي
يتحفظ منه الانسان ويستحيي من اطلاع الناس عليه وهو في نفسه
مباح متسع وحلال مطلق لا مقال فيه ولا عيب عند الله وربما كان
الدخول في المباح سلما الى حصول واجبات يعظم اثرها في الدين ويجل
ثوابها ولو لم يتحفظ منه لاطلق كثير من الناس فيه السنتهم الا من اوتي فضلا
وعلما ودينا ونظرا في حقائق الامور ولبوبها دون قشورها الا ترى
انهم كانوا اذا طعموا في بيوت رسول الله صلعم يبقون مرتكزين في
مجالسهم لا يريمون مستانسين بالحديث وكان رسول الله صلعم يوذيه
قعودهم ويضيق صدره حديثهم والحيا يصده ان يامرهم بالانتشار حتى
نزلت ان ذلكم كان يوذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق
ولو ابرز رسول الله صلعم مكنون ضميره وامرهم ان ينتشروا لشق
عليهم ولكان بعض القالة فهذا من ذاك القبيل لان طموح قلب الانسان
الى بعض مشتهياته من امراة او غيرها غير موصوف بالقبح في العقل ولا
في الشرع لانه ليس بفعل للانسان ولا وجوده باختياره وتناول المباح
بالطريق الشرعي ليس بقبيح ايضا وهو خطبة زينب ونكاحها من غير
استنزال زيد عنها ولا طلب اليه وهو اقرب منه من زر قميصه ان يواسيه
بمفارقتها مع قوة العلم بان نفس زيد لم تكن من التعلق بها في شي بل
كانت تجفو عنها ونفس رسول الله صلعم متعلقة بها ولم يكن مستنكرا
عندهم ان ينزل الرجل عن امراته لصديقه ولا مستهجنا عندهم اذا نزل عنها
ان ينكحها الاخر فان المهاجرين حين دخلوا المدينة استهم الانصار بكل
شي حتى ان الرجل منهم اذا كانت له امراتان نزل عن احداهما وانكحها المهاجر
واذا كان الامر مباحا من جميع جهاته ولم يكن فيه وجه من وجوه القبح
ولا مفسدة ولا مضرة بزيد ولا باحد بل كان مستجرا مصالح ناهيك
بواحدة منها ان بنت عمة رسول الله صلعم امنت الايمة والضيعة

ونالت الشرف وعادت اما من امهات المسلمين الى ما ذكر الله عز وجل من
المصلحة العامة في قوله لكيلا يكون على المومنين حرج في ازواج ادعيائهم
اذا قضوا منهن وطرا فبالحري ان يعاتب الله رسوله حين كتمه وبالغ في كتمه
بقوله امسك عليك زوجك واتق الله وان لا يرضى له الا اتحاد الضمير
والظاهر والثبات في مواطن الحق حتى يقتدي به المومنون فلا
يستحيوا من المكافحة بالحق وان كان مرا فان **قلت** الواو في وتخفي
في نفسك وتخشى الناس والله احق ان تخشاه ما هي **قلت** واو الحال اي
تقول لزيد امسك عليك زوجك مخفيا في نفسك ارادة ان لا يمسكها وتخفي
خاشيا قالة الناس وتخشى الناس حقيقا في ذلك بان تخشى الله او واو
العطف كانه قيل واذ تجمع بين قولك امسك واخفا خلافه وخشية
الناس والله احق ان تخشاه حتى لا تفعل مثل ذلك اذا بلغ البالغ حاجته
من شي له فيه همة قيل قضى منه وطره والمعنى فلما لم يبق لزيد فيها حاجة
وتقاصرت عنها همته وطابت عنها نفسه وطلقها وانقضت عدتها زوجناكها
وقراه اهل البيت زوجتكها وقيل لجعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه اليس تقرا
على غير ذلك فقال لا والذي لا اله الا هو ما قراتها على ابي الا كذلك ولا قراها
الحسن بن علي على ابيه علي الا كذلك ولا قراها علي بن ابي طالب رضي الله عنه
على النبي صلعم الا كذلك وكان امر الله مفعولا جملة اعتراضية يعني وكان
امر الله الذي يريد ان يكونه مفعولا مكونا لا محالة وهو مثل لما اراد كونه من تزويج
رسول الله صلعم زينب ومن نفي الحرج عن المومنين في اجرا ازواج المتبنين
مجرى ازواج البنين في تحريمهن عليهم بعد انقطاع علائق الزواج بينهم وبينهن
ويجوز ان يراد بامر الله المكون لانه مفعول بكن وهو امر فرض الله له
قسم الله له واوجب من قولهم فرض لفلان في الديوان كذا ومنه فروض العسكر
لرزقاتهم سنة الله اسم موضوع موضع المصدر كقولهم تربا وجندلا موكد
لقوله ما كان على النبي من حرج كانه قيل سن الله ذلك سنة في الانبيا الماضين
وهو ان لا حرج عليهم في الاقدام على ما اباح لهم ووسع عليهم في باب النكاح
وغيره وقد كانت تحتهم المهاير والسراري وكانت لداود عليه السلام مائة امراة وثلثمائة
سرية ولسليمن ثلثمائة وسبع مائة في الذين خلوا في الانبيا الذين مضوا الذين
يبلغون يحتمل وجوه الاعراب الجر على الوصف للانبيا والرفع والنصب على المدح
على هم الذين يبلغون او على اعني الذين يبلغون وقري رسالة الله قدرا مقدورا
قضا مقضيا وحكما مبتوتا ووصف الانبيا بانهم لا يخشون الا الله تعريض
بعد التصريح في قوله وتخشى الناس والله احق ان تخشاه حسيبا كافيا للمخاوف
او محاسبا على الكلمة الصغيرة والكبيرة فيجب ان يكون حق الخشية من مثله

ما كان محمد ابا احد من رجالكم اى لم يكن ابا رجل منكم على الحقيقة حتى يثبت
بينه وبينه ما يثبت بين الاب وولده من حرمة الصهر والنكاح **ولكن** كان
رسول الله وكل رسول ابو امته فى ما يرجع الى وجوب التوقير والتعظيم له عليهم
ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه لا فى سائر الاحكام الثابتة بين الآباء والابناء وزيد
واحد من رجالكم الذين ليسوا باولاده حقيقة فكان حكمه كحكمهم والادعاء والتبنى
من باب الاختصاص والتقريب لا غير **وخاتم النبيين** كان يعنى انه لو كان له
ولد بالغ مبلغ الرجال لكان نبيا ولم يكن هو خاتم الانبياء كما يروى انه قال فى
ابراهيم حين توفى لو عاش لكان نبيا فان قلت اما كان ابا للطاهر والطيب
والقسم وابراهيم قلت قد اخرجوا من حكم النفى بقوله من رجالكم من وجهين
احدهما ان هؤلاء لم يبلغوا مبلغ الرجال والثانى انه قد اضاف الرجال اليهم وهؤلاء
رجاله لا رجالهم فان قلت اما كان ابا للحسن والحسين قلت بلى ولكنهما
لم يكونا رجلين حينئذ وهما ايضا من رجاله لا من رجالهم وشئ اخر وهو انه
انما قصد ولده خاصة لا ولد ولده لقوله وخاتم النبيين الا ترى ان الحسن
والحسين قد عاشا الى ان نيف احدهما على الاربعين والاخر على الخمسين
قرئ ولكن رسول الله بالنصب عطفا على ابا احد وبالرفع على ولكن هو
رسول الله ولكن بالتشديد على حذف الخبر تقديره ولكن رسول الله من
عرفتموه اى لم يعش له ولد ذكر وخاتم بفتح التاء بمعنى الطابع وبكسرها بمعنى الطابع
وفاعل الختم وتقويه قراءة ابن مسعود ولكن نبيا ختم النبيين فان قلت كيف
كان اخر الانبياء وعيسى ينزل فى اخر الزمان قلت معنى كونه اخر الانبياء انه لا
ينبأ احد بعده وعيسى ممن نبئ قبله وحين ينزل ينزل عاملا على شريعة محمد صلعم
مصليا الى قبلته كانه بعض امته **اذكروا الله** اثنوا عليه بضروب الثناء من
التقديس والتحميد والتهليل والتكبير وما هو اهله واكثروا ذلك **بكرة
واصيلا** اى فى كافة الاوقات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الله على فم كل مسلم
وروى فى قلب كل مسلم وعن قتادة قولوا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله
والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله وعن مجاهد هذه كلمات يقولهن الطاهر
والجنب والغفلان اعنى اذكروا وسبحوا موجهان الى البكرة والاصيل كقولك
صم وصل يوم الجمعة والتسبيح من جملة الذكر وانما اختصه من بين انواعه اختصاص
جبريل وميكائيل من بين الملائكة ليبين فضله على سائر الاذكار لان معناه
تنزيه ذاته عن ما لا يجوز عليه من الصفات والافعال وتبرئته من القبائح ومثال
فضله على غيره من الاذكار فضل وصف العبد بالنزاهة من ادناس المعاصى والطهر
من ارجاس المآثم على سائر اوصافه من كثرة الصلاة والصيام والتوفر على الطاعات
كلها والاشتمال على العلوم والاشتهار بالفضائل ويجوز ان يريد بالذكر و
اكثاره تكثير الطاعات والاقبال على العبادات فان كل طاعة وكل خير من

جملة الذكر ثم خص من ذلك التسبيح بكرة واصيلا وهى الصلاة فى جميع اوقاتها لفضل
الصلاة على غيرها او صلاة الفجر والعشائين لان اداءها اشق ومراعاتها اشد
لما كان من شان المصلى ان ينعطف فى ركوعه وسجوده استعير لمن ينعطف
على غيره حنوا عليه وترؤفا كعائد المريض فى انعطافه عليه والمراة فى
حنوها على ولدها ثم كثر حتى استعمل فى الرحمة والترؤف ومنه قولهم صلى الله
عليك اى ترحم عليك وترأف فان قلت قوله **هو الذى يصلى عليكم** ان
فسرته بترحم عليكم وترأف فما تصنع بقوله **وملائكته** وما معنى صلاتهم
قلت هى قولهم اللهم صل على المؤمنين جعلوا لكونهم مستجابى الدعوة كانهم
فاعلون الرحمة والرأفة ونظيره قولك حياك الله اى احياك وابقاك وحييتك
اى دعوت لك بان يحييك الله لانك لاتكالك على اجابة دعوتك كانك تبقيه
على الحقيقة وكذلك عمرك الله وعمرتك وسقاك الله وسقيتك وعليه قوله
ان الله وملائكته يصلون على النبى يا ايها الذين امنوا صلوا عليه اى ادعوا الله
ان يصلى عليه والمعنى هو الذى يترحم عليكم ويترأف حيث يدعوكم الى الخير
ويامركم باكثار الذكر والتوفر على الصلاة والطاعة
ظلمات المعصية الى نور الطاعة **وكان بالمؤمنين رحيما** دليل على ان المراد بالصلاة
الرحمة ويروى انه لما نزل قوله ان الله وملائكته يصلون على النبى قال ابو بكر
ما خصك الله يا رسول الله بشرف الا وقد اشركنا فيه فانزلت **تحيتهم**
من اضافة المصدر الى المفعول اى يحيون يوم لقائه بسلام فيجوز ان
يعظمهم الله تعالى بسلامه عليهم كما يفعل بهم سائر انواع التعظيم وان يكون
مثلا كاللقاء وقيل هو سلام ملك الموت والملائكة معه عليهم وبشارتهم
بالجنة وقيل سلام الملائكة عند الخروج من القبور وقيل عند دخول الجنة
كما قال والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم والاجر الكريم
الجنة **شاهدا** على من بعثت اليهم وعلى تكذيبهم وتصديقهم اى مقبولا قولك عند
الله لهم وعليهم كما يقبل قول الشاهد العدل فى الحكم فان قلت وكيف كان شاهدا
وقت الارسال وانما يكون شاهدا عند تحمل الشهادة او عند ادائها قلت
هى حال مقدرة كمسئلة الكتاب مررت برجل معه صقر صائدا به غدا اى مقدرا
به الصيد غدا فان قلت قد فهم من قوله انا ارسلناك داعيا انه ماذون
له فى الدعاء فما فائدة قوله **باذنه** قلت لم يرد به حقيقة الاذن وانما جعل
الاذن مستعارا للتسهيل والتيسير لان الدخول فى حق المالك متعذر فاذا
صودف الاذن تسهل وتيسر فلما كان الاذن تسهيلا لما تعذر من ذلك وضع
موضعه وذلك ان دعاء اهل الشرك والجاهلية الى التوحيد والشرائع امر فى
غاية الصعوبة والتعذر فقيل باذنه للايذان بان الامر صعب لا يتاتى ولا يستطاع
الا اذا سهله الله تعالى ويسره ومنه قولهم فى الشحيح انه غير ماذون له فى الانفاق
اى غير مسهل له الانفاق لكونه شاقا عليه داخلا فى حد التعذر جلى الله ظلمات

الشرك واهتدى به الضالون كما يجلى ظلام الليل بالسراج المنير ويهتدى به او امد الله بنور نبوته نور البصائر كما يمد بنور السراج نور الابصار ووصفه بالانارة لان من السرج ما لا يضيء اذا قل سليطه ودقت فتيلته وفي كلام بعضهم ثلثة تضني رسول بطيء وسراج لا يضيء ومائدة ينتظر لها من يجيء وسئل بعضهم عن الموحشين فقال ظلام ساتر وسراج فاتر وقيل وذا سراجا منيرا او وتاليا سراجا منيرا ويجوز على هذا التفسير ان يعطف على كاف ارسلناك. الفضل ما يتفضل به عليهم زيادة على الثواب واذا ذكر المتفضل به وكبره فما ظنك بالثواب ويجوز ان يريد بالفضل الثواب من قولهم للعطايا فضول وفواضل وان يريد ان لهم فضلا كبيرا على سائر الامم وذلك الفضل من جهة الله وانه آتاهم ما فضلوا به. ولا تطع الكافرين معناه الدوام والثبات على ما كان عليه او التهييج. اذاهم يحتمل اضافته الى الفاعل والمفعول يعني ودع ان تؤذيهم بضرر او قتل وخذ بظاهرهم وحسابهم على الله في باطنهم او ودع ما يؤذونك به ولا تجازهم عليه حتى تؤمر وعن ابن عباس رضي الله عنه هي منسوخة باية السيف. وتوكل على الله فانه يكفيكهم. وكفى به مفوضا اليه ولقائل ان يقول وصفه الله بخمسة اوصاف وقابل كلا منها بخطاب مناسب له قابل الشاهد بقوله وبشر المؤمنين لانه يكون شاهدا على امته وهم يكونون شهداء على سائر الامم وهو الفضل الكبير والمبشر بالاعراض عن الكافرين والمنافقين لانه اذا اعرض عنهم اقبل جميع اقباله على المؤمنين وهو مناسب للبشارة والنذير بدع اذاهم لانه اذا ترك اذاهم في الحاضر والاذى لا بد له من عقاب عاجل او آجل كانوا منذرين به في المستقبل والداعي الى الله بتيسيره بقوله وتوكل على الله لان من توكل على الله يسر عليه كل عسير والسراج المنير بالاكتفاء به وكيلا لان من اناره الله برهانا على جميع خلقه كان جديرا بان يكتفى به عن جميع خلقه. النكاح الوطء وتسمية العقد نكاحا لملابسته له من حيث انه طريق اليه ونظيره تسميتهم الخمر اثما لانها سبب في اقتراف الاثم ونحوه في علم البيان قول الراجز ٥ اسنمة الآبال في سحابه ٥ سمى الماء باسنمة الآبال لانه سبب سمن المال وارتفاع اسنمته ولم يرد لفظ النكاح في كتاب الله الا في معنى العقد لانه في معنى الوطء من باب التصريح به ومن آداب القرآن الكناية عنه بلفظ الملامسة والمماسة والقربان والتغشي والاتيان فان قلت لم خص المؤمنات والحكم الذي نطقت به الآية تستوي فيه المؤمنات والكتابيات قلت في اختصاصهن تنبيه على ان اصل امر المؤمن والاولى به ان يتخير لنطفته وان لا ينكح الا مؤمنة عفيفة وينزه عن مزاوجة الفواسق فما بال الكوافر ويستنكف ان يدخل تحت لحاف واحد عدوة الله ووليه فالتي في سورة المائدة تعليم ما هو جائز غير محرم من نكاح المحصنات من الذين

اوتوا الكتاب وهذه فيها تعليم ما هو الاولى بالمؤمن من نكاح المؤمنات فان قلت ما فائدة ثم في قوله ثم طلقتموهن قلت فائدته نفي التوهم عمن عسى يتوهم تفاوت الحكم بين ان يطلقها وهي قريبة العهد من النكاح وبين ان يبعد عهدها بالنكاح وتتراخى بها المدة في حبالة الزوج ثم يطلقها فان قلت اذا خلا بها خلوة يمكنه معها المساس هل يقوم ذلك مقام المساس قلت نعم عند ابي حنيفة واصحابه حكم الخلوة الصحيحة حكم المساس وقوله فما لكم عليهن من عدة تعتدونها دليل على ان العدة حق واجب على النساء للرجال تعتدونها تستوفون عددها من قولك عددت الدراهم فاعتدها كقولك كلته فاكتاله ووزنته فاتزنه وقرئ تعتدونها مخففا اي تعتدون فيها كقوله ٥ ويوم شهدناه ٥ والمراد بالاعتداء ما في قوله ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا فان قلت ما هذا التمتيع اواجب ام مندوب اليه قلت ان كانت غير مفروض لها كانت المتعة واجبة ولا تجب المتعة عند ابي حنيفة الا لها وحدها دون سائر المطلقات وان كانت مفروضا لها فالمتعة مختلف فيها فبعض على الندب والاستحباب ومنهم ابو حنيفة وبعض على الوجوب. سراحا جميلا من غير ضرار ولا منع واجب. اجورهن مهورهن لان المهر اجر على البضع وايتاؤها اما اعطاؤها عاجلا واما فرضها وتسميتها في العقد فان قلت لم قال اللاتي آتيت اجورهن ومما افاء الله عليك واللاتي هاجرن معك وما فائدة هذه التخصيصات قلت قد اختار الله لرسوله صلى الله عليه وسلم الافضل الاولى واستحبه بالاطيب الازكى كما اختصه بغيرها من الخصائص وآثره بما سواها من الاثر وذلك ان تسمية المهر في العقد اولى وافضل من ترك التسمية وان وقع العقد جائزا وله ان يماسها وعليه مهر المثل ان دخل بها والمتعة ان لم يدخل بها وسوق المهر اليها عاجلا افضل من ان يسميه ويؤجله وكان التعجيل ديدن السلف وسنتهم وما لا يعرف منهم غيره وكذلك الجارية اذا كانت سبية مالكها وخطبة سيفه ورمحه ومما غنمه الله من دار الحرب احل واطيب مما يشترى من شق الجلب والسبي على ضربين سبي طيبة وسبي خبثة فسبي الطيبة ما سبي من اهل الحرب واما من كان له عهد فالمسبي منهم سبي خبثة ويدل عليه قوله مما افاء الله عليك لان فيء الله لا يطلق الا على الطيب دون الخبيث كما ان رزق الله يجب اطلاقه على الحلال دون الحرام الخبيث وكذلك اللاتي هاجرن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرائبه غير المحارم افضل من غير المهاجرات معه وعن ام هانئ بنت ابي طالب خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرني ثم انزل الله هذه الآية فلم احل له لاني لم اهاجر معه كنت من الطلقاء واحللنا لك من وقع لها ان تهب لك نفسها ولا تطلب مهرا من النساء المؤمنات ان اتفق ذلك ولذلك

نكرها واختلف في اتفاق ذلك فعن ابن عباس لم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
احد منهن بالهبة وقيل الموهوبات اربع ميمونة بنت الحرث وزينب
بنت خزيمة ام المساكين الانصارية وام شريك بنت جابر وخولة بنت
حكيم وقرئ ان وهبت على الشرط وقرا الحسن ان بالفتح على التعليل بتقدير
حذف اللام ويجوز ان يكون مصدرا محذوفا معه الزمان كقولك
اجلس ما دام زيد جالسا بمعنى وقت دوامه جالسا ووقت هبتها نفسها
وقرا ابن مسعود بغير ان فان قلت ما معنى الشرط الثاني مع الاول
قلت هو تقييد له شرط في الاحلال هبتها نفسها وفي الهبة ارادة
استنكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم كانه قال احللناها لك ان وهبت لك
نفسها وانت تريد ان تستنكحها لان ارادته هي قبول الهبة وما به تتم فان
قلت لم عدل عن الخطاب الى الغيبة في قوله نفسها للنبي ان اراد النبي
ثم رجع الى الخطاب قلت للايذان بانه مما خص به واوثر ومجيئه على لفظ
النبي للدلالة على ان الاختصاص تكرمة له لاجل النبوة وتكريره تفخيم له
وتقرير لاستحقاقه الكرامة لنبوته واستنكاحها طلب نكاحها والرغبة فيه
وقد استشهد به ابو حنيفة على جواز عقد النكاح بلفظ الهبة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم
وامته سوا في الاحكام الا فيما خصه الدليل وقال الشافعي لا يصح وقد
خص رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعنى الهبة ولفظها جميعا لان اللفظ تابع للمعنى
والمدعي للاشتراك في اللفظ يحتاج الى الدليل وقال ابو الحسن الكرخي ان عقد
النكاح بلفظ الاجارة جائز لقوله اللاتي اتيت اجورهن وقال ابو بكر الرازي
لا يصح لان الاجارة عقد موقت وعقد النكاح مويد فهما متنافيان خالصة
مصدر موكد كوعد الله وصبغة الله اي خلص لك احلال ما احللنا لك خالصة
بمعنى خلوصا والفاعل والفاعلة في المصادر غير عزيزين كالخارج والقاعد
والعافية والكاذبة والدليل على انها وردت على اثر الاحلالات الاربع
مخصوصة برسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل التوكيد لها قوله قد علمنا ما فرضنا
عليهم في ازواجهم وما ملكت ايمانهم بعد قوله من دون المومنين وهي جملة
اعتراضية وقوله لكيلا يكون عليك حرج متصل بخالصة لك من دون المومنين
ومعنى هذه الجملة الاعتراضية ان الله تعالى قد علم ما يجب فرضه على المومنين
في الازواج والاما وعلى اي حد وصفة يجب ان يفرض عليهم ففرضه وعلم
المصلحة في اختصاص رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اختصه به ففعل ومعنى
لكيلا يكون عليك حرج لئلا يكون عليك ضيق في دينك حيث اختصصناك
بالتنزيه واختيار ما هو اولى وافضل وفي دنياك حيث احللنا لك اجناس
المنكوحات وزدنا لك الواهبة نفسها وقرئ خالصة بالرفع اي ذلك خلوص
لك وخصوص من دون المومنين ومن جعل خالصة نعتا للمراة فعلى مذهبه
هذه المراة خالصة لك من دونهم وكان الله غفورا للواقع في الحرج اذا تاب
رحيما بالتوسعة على عباده وروي ان امهات المومنين حين تغايرن وابتغين

زيادة النفقة وغظن رسول الله صلى الله عليه وسلم هجرهن شهرا ونزل التخيير فاشفقن
ان يطلقهن فقلن يا رسول الله افرض لنا من نفسك ومالك ما شئت
وروي ان عائشة رضي الله عنها قالت اني ارى ربك يسارع في هواك ترجي بهمز وبغير همز
تؤخر [illegible] يعني تترك مضاجعة من تشاء منهن وتضاجع من تشاء
او تطلق من تشاء وتمسك من تشاء او لا تقسم لايتهن شئت وتقسم لمن
شئت او تترك تزوج من شئت من نساء امتك وتتزوج من شئت وعن
الحسن كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب امراة لم يكن لاحد ان يخطبها حتى
يدعها وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض لانه اما ان يطلق واما ان يمسك
فاذا امسك ضاجع او ترك وقسم او لم يقسم واذا طلق وعزل فاما ان
يخلي المعزولة لا يبتغيها او يبتغيها وروي انه ارجى منهن سودة وجويرية
وصفية وميمونة وام حبيبة فكان يقسم لهن ما شاء كما شاء وكانت ممن اوى
اليه عائشة وحفصة وام سلمة وزينب ارجى خمسا واوى اربعا وروي انه
كان يسوي بينهن مع ما اطلق له وخير فيه الا سودة فانها وهبت ليلتها
لعائشة وقالت لا تطلقني حتى احشر في زمرة نسائك ذلك التفويض الى
مشيتك ادنى الى قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعا لانه اذا
سوى بينهن في الايوا والارجا والعزل والابتغا وارتفع التفاضل ولم يكن
لاحداهن مما تريد ومما لا تريد الا مثل ما للاخرى وعلمن ان هذا التفويض
من عند الله وبوحيه اطمانت نفوسهن وذهب التنافس والتغاير وحصل
الرضى وقرت العيون وسلت القلوب [illegible] فيه وعيد
لمن لم ترض منهن بما دبر الله من ذلك وفوض الى مشيئة رسوله وبعث
على تواطؤ قلوبهن والتصافي بينهن والتوافق على رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما فيه طيب نفسه وقرئ [illegible] بضم التاء ونصب الاعين وتقر
اعينهن على البناء للمفعول وكان الله عليما بذات الصدور حليما لا يعاجل
بالعقاب فهو حقيق بان يتقى ويحذر [illegible] بالتاكيد لنون وقرا
ابن مسعود ويرضين كلهن بما اتيتهن على التقديم وقرئ كلهن تاكيدا
لهن في اتيتهن [illegible] وقرئ بالتذكير لان تانيث الجمع غير حقيقي واذا جاز
بغير فصل في قوله وقال نسوة فهو مع الفصل اجوز من بعد
التسع لان التسع نصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الازواج كما ان الاربع نصاب
امته منهن فلا يحل له ان يتجاوز النصاب [illegible] ولا ان
تستبدل بهولا التسع ازواجا اخر بكلهن او بعضهن اراد الله تعالى
لهن كرامة وجزاء على ما اخترن ورضين فقصر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهن
وهن التسع اللاتي مات عنهن عائشة بنت ابي بكر حفصة بنت عمر
ام حبيبة بنت ابي سفين سودة بنت زمعة ام سلمة بنت ابي امية صفية
بنت حيي الخيبرية ميمونة بنت الحرث الهلالية زينب بنت جحش الاسدية
جويرية بنت الحرث المصطلقية من في من ازواج لتاكيد النفي وفايدته

استغراق جنس الازواج بالتحريم وقيل معناه لا يحل لك النساء من بعد النساء
اللاتي نص احلالهن لك من الاجناس الاربعة من الاعرابيات والغرائب او
من الكتابيات او من الاماء بالنكاح وقيل في تحريم التبدل هو من البدل الذي
كان في الجاهلية كان يقول الرجل للرجل بادلني بامراتك وابادلك بامراتي
فينزل كل منهما عن امراته لصاحبه ويحكى ان عيينة بن حصن دخل على النبي صلى الله عليه وسلم
وعنده عائشة من غير استئذان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عيينة اين الاستئذان
قال يا رسول الله ما استاذنت على رجل قط من مضر منذ ادركت ثم قال من هذه
الجميلة الى جنبك فقال عليه السلام هذه عائشة ام المؤمنين قال عيينة افلا انزل لك
عن احسن الخلق فقال صلى الله عليه وسلم ان الله قد حرم ذلك فلما خرج قالت عائشة
من هذا يا رسول الله قال احمق مطاع وانه على ما ترين لسيد قومه وعن
عائشة رضي الله عنها ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احل له النساء يعني
ان الاية قد نسخت ولا يخلو نسخها اما ان يكون بالسنة واما بقوله انا
احللنا لك ازواجك وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف ولو اعجبك
في موضع الحال من الفاعل وهو الضمير في تبدل لا من المفعول الذي هو
من ازواج لانه متوغل في التنكير وتقديره مفروضا اعجابك بهن وقيل
هي اسماء بنت عميس الخثعمية امراة جعفر بن ابي طالب والمراد انها ممن اعجبه
حسنهن واستثنى مما حرم عليه الاماء وكان الله على كل شيء رقيبا حافظا مهيمنا وهو تحذير
عن مجاوزة حدوده وتخطي حلاله الى حرامه الا ان يؤذن لكم في معنى الظرف تقديره
وقت ان يؤذن لكم و غير ناظرين حال من لا تدخلوا وقع الاستثناء على
الوقت والحال معا كانه قيل لا تدخلوا بيوت النبي الا وقت الاذن ولا تدخلوها
الا غير ناظرين وهؤلاء قوم كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه ومعناه لا تدخلوا يا هؤلاء المتحينين
للطعام الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه والا فلو لم يكن لهؤلاء
خصوصا لما جاز لاحد ان يدخل بيوت النبي الا ان يؤذن له اذنا خاصا وهو
الاذن الى الطعام فحسب وعن ابن ابي عبلة انه قرا غير ناظرين مجرورا
صفة لطعام وليس بالوجه لانه جرى على غير ما هو له فمن حق ضمير ما هو له
ان يبرز الى اللفظ فيقال غير ناظرين اناه انتم كقولك هند زيد ضاربته هي
وإناه الطعام ادراكه يقال انى الطعام انى كقولك قلاه قلى ومنه قوله بين حميم
آن بالغ اناه وقيل اناه وقته اي غير ناظرين وقت الطعام وساعة اكله وروي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اولم على زينب بتمر وسويق وشاة وامر انسا ان يدعو
بالناس فترادفوا افواجا ياكل فوج فيخرج ثم يدخل فوج الى ان قال يا رسول
الله دعوت حتى ما اجد احدا ادعوه فقال ارفعوا طعامكم وتفرق الناس
وبقي ثلاثة نفر يتحدثون فاطالوا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا فانطلق الى حجرة
عائشة فقال السلام عليكم اهل البيت فقالوا وعليك السلام يا رسول الله كيف

وجدت اهلك وطاف بالحجرات فسلم عليهن ودعون له ورجع فاذا الثلاثة جلوس
يتحدثون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد الحياء فتولى فلما راوه متوليا خرجوا
فرجع ونزلت ولا مستانسين لحديث نهوا عن ان يطيلوا الجلوس
يستانس بعضهم ببعض لاجل حديث يحدثه به او عن ان يستانسوا حديث اهل
البيت واستيناسه تسمعه وتوجيسه وهو مجرور معطوف على ناظرين وقيل
هو منصوب على ولا تدخلوها مستانسين لابثين قوله فيستحيي منكم من حذف
المضاف اي من اخراجكم بدليل قوله والله لا يستحيي من الحق يعني ان اخراجكم
حق ما ينبغي ان يستحيى منه ولما كان الحياء مما يمنع الحيي من بعض الافعال قيل
لا يستحيي من الحق بمعنى لا يمتنع منه ولا يتركه ترك الحيي منكم وهذا ادب ادب
الله به الثقلاء وعن عائشة رضي الله عنها حسبك في الثقلاء ان الله تعالى لم يحتملهم
وقال فاذا طعمتم فانتشروا وقرئ لا يستحي بياء واحدة والضمير في سالتموهن لنساء
النبي صلى الله عليه وسلم ولم يذكرن لان الحال ناطقة بذكرهن متاعا حاجة فسئلوهن
المتاع قيل ان عمر رضي الله عنه كان يحب ضرب الحجاب عليهن محبة شديدة وكان
يذكره كثيرا ويود ان ينزل فيه وكان يقول لو اطاع فيكن ما رأتكن عين
وقال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب
فنزلت وروي انه مر عليهن وهن مع النساء في المسجد فقال لئن احتجبتن
فان لكن على النساء فضلا كما ان لزوجكن على الرجال الفضل فقالت زينب
يا ابن الخطاب انك لتغار علينا والوحي ينزل في بيوتنا فلم يلبثوا الا يسيرا حتى نزلت
وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطعم ومعه بعض اصحابه فاصابت يد
رجل منهم يد عائشة فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فنزلت اية الحجاب وذكر
ان بعضهم قال انهى ان نكلم بنات عمنا الا من وراء حجاب لئن مات محمد لاتزوجن
عائشة فاعلم الله ان ذلك محرم وما كان لكم وما صح لكم ايذاء
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نكاح ازواجه من بعده وسمى نكاحهن من بعده عظيما عنده
وهو من اعلام تعظيم الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم وايجاب حرمته حيا وميتا
واعلامه بذلك مما طيب به نفسه وسر قلبه واستغزر شكره فان نحو هذا مما
يحدث به الرجل نفسه ولا يخلي منه فكره ومن الناس من تفرط غيرته على حرمته
حتى يتمنى لها الموت لئلا تنكح من بعده وعن بعض الفتيان انه كانت له جارية
لا يرى الدنيا بها شغفا واستهتارا فنظر اليها ذات يوم فتنفس الصعداء وانتحب
فعلا نحيبه مما ذهب به فكره هذا المذهب فلم يزل به ذلك حتى قتلها تصورا لما
عسى يتفق من بقائها بعده وحصولها تحت غيره وعن بعض الفقهاء ان الزوج
الثاني في هدم الثلاث مما يجري مجرى العقوبة فصين رسول الله صلى الله عليه وسلم عما
يلاحظ ذلك ان تبدوا شيئا من نكاحهن على السنتكم او تخفوه في صدوركم
فان الله يعلم ذلك فيعاقبكم به وانما جاء به على اثر ذلك عاما لكل باد وخاف
ليدخل تحته نكاحهن وغيره ولانه على هذه الطريقة اهول واجزل روي انه

لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب يا رسول الله أو نحن أيضا نكلمهن
من وراء حجاب فنزلت **لا جناح عليهن** أي لا إثم عليهن في أن لا يحتجبن من هؤلاء
ولم يذكر العم والخال لأنهما يجريان مجرى الوالدين وقد جاءت تسمية العم أبا قال الله تعالى
وإله آبائك إبراهيم وإسمعيل وإسحق وإسمعيل عم يعقوب وقيل كره ترك
الاحتجاب عنهما لأنهما يصفانها لأبنائهما وأبناؤهما غير محارم ثم نقل الكلام
من الغيبة إلى الخطاب وفي هذا النقل ما يدل على فضل تشديد فقيل **واتقين الله**
في ما أمرتن به من الاحتجاب وأنزل فيه الوحي من الاستتار واحتطن فيه وفيما
استقبل منه ما قدرتن واحفظن حدودها واسلكن طريقة التقوى في حفظهما
وليكن عملكن في الحجب أحسن مما كان وأنتن غير محجبات ليفضل سركن علنكن
إن الله كان على كل شيء شهيدا من السر والعلن وظاهر الاحتجاب وباطنه
لا تتفاوت في علمه الأحوال وقرئ **وملائكته** بالرفع عطفا على محل إن واسمها
وهو ظاهر على مذهب الكوفيين ووجهه عند البصريين أن يحذف الخبر لدلالة
يصلون عليه **صلوا عليه وسلموا** أي قولوا الصلاة على الرسول والسلام و
معناه الدعاء بأن يترحم عليه الله وسلم فإن **قلت** الصلاة على رسول الله
واجبة أم مندوب إليها قلت بل واجبة وقد اختلفوا في حال وجوبها فمنهم
من أوجبها كلما جرى ذكره وفي الحديث من ذكرت عنده فلم يصل علي فدخل النار
فأبعده الله ويروى أنه قيل يا رسول الله أرأيت قول الله تعالى إن الله وملائكته
يصلون على النبي فقال هذا من العلم المكنون ولولا أنكم سألتموني عنه
ما أخبرتكم به إن الله وكل بي ملكين فلا أذكر عند عبد مسلم فيصلي
علي إلا قال ذانك الملكان غفر الله لك وقال الله وملائكته جوابا لذينك
الملكين آمين ولا أذكر عند عبد مسلم فلا يصلي علي إلا قال ذانك الملكان
لا غفر الله لك وقال الله وملائكته لذينك الملكين آمين ومنهم من قال
تجب في كل مجلس مرة وإن تكرر ذكره كما قيل في آية السجدة وتشميت العاطس
وكذلك في كل دعاء في أوله وآخره ومنهم من أوجبها في العمر مرة وكذا قال في
إظهار الشهادتين والذي يقتضيه الاحتياط الصلاة عليه عند كل ذكر
لما ورد من الأخبار فإن **قلت** فالصلاة عليه في الصلاة أهي شرط في
جوازها أم لا **قلت** أبو حنيفة وأصحابه لا يرونها شرطا وعن إبراهيم
النخعي كانوا يكتفون عن ذلك يعني الصحابة بالتشهد وهو السلام عليك أيها
النبي وأما الشافعي رحمه الله فقد جعلها شرطا فإن **قلت** فما تقول في الصلاة
على غيره **قلت** القياس جواز الصلاة على كل مؤمن لقوله تعالى هو الذي يصلي
عليكم وملائكته وقوله وصل عليهم إن صلواتك سكن لهم وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم
صل على آل أبي أوفى ولكن للعلماء تفصيلا في ذلك وهو أنها إن كانت على سبيل
التبع كقولك صلى الله على النبي وآله فلا كلام فيها وأما إذا أفرد غيره من أهل
البيت بالصلاة كما يفرد هو فمكروه لأن ذلك صار شعارا لذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولأنه يؤدي إلى الاتهام بالرفض وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله
واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم **يؤذون الله ورسوله** فيه وجهان أحدهما
أن يعبر بإيذائهما عن فعل ما يكرهانه ولا يرضيانه من الكفر والمعاصي وإنكار
النبوة ومخالفة الشريعة وما كانوا يصيبونه به رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنواع
المكروه على سبيل المجاز وإنما جعلته مجازا فيهما جميعا وحقيقة الإيذاء
صحيحة في رسول الله صلى الله عليه وسلم لئلا أجعل العبارة الواحدة معطية معنى
المجاز والحقيقة والثاني أن يراد يؤذون رسول الله وقيل في أذى الله
هو قول اليهود والنصارى والمشركين يد الله مغلولة وثالث ثلاثة والمسيح
ابن الله والملائكة بنات الله والأصنام شركاؤه وقيل قول الذين
يلحدون في أسمائه وصفاته وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حكى عن ربه عز وجل
شتمني ابن آدم ولم ينبغ له أن يشتمني وآذاني ولم ينبغ له أن يؤذيني فأما شتمه
إياي فقوله إني اتخذت ولدا وأما أذاه فقوله إن الله لا يعيدني بعد أن
بدأني وعن عكرمة فعل أصحاب التصاوير الذين يرومون تكوين خلق
مثل خلق الله وقيل في أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم قولهم ساحر شاعر كاهن
مجنون وقيل كسر رباعيته وشج وجهه يوم أحد وقيل طعنهم عليه في
نكاح صفية بنت حيي وأطلق إيذاء الله ورسوله وقيد إيذاء المؤمنين
والمؤمنات لأن أذى الله ورسوله لا يكون إلا غير حق وأما أذى المؤمنين
والمؤمنات فمنه ومنه ومعنى **ما اكتسبوا** بغير جناية واستحقاق
للأذى وقيل في ناس من المنافقين يؤذون عليا رضي الله عنه ويسمعونه وقيل
في الذين أفكوا على عائشة رضي الله عنها وقيل في زناة كانوا يتبعون النساء
وهن كارهات وعن الفضيل لا يحل لك أن تؤذي كلبا أو خنزيرا بغير حق
فكيف مؤمنا وقد كان ابن عون لا يكري الحوانيت إلا من أهل الذمة لما فيه
من الروعة عند كر الحول الجلباب ثوب واسع أوسع من الخمار ودون الرداء
تلويه المرأة على رأسها وتبقي منه ما ترسله على صدرها وعن ابن عباس
الرداء الذي يستر من فوق إلى أسفل وقيل الملحفة وكل ما يستتر به
من كساء أو غيره قال أبو زبيد مجلبب من سواد الليل جلبابا
ومعنى يرخينها عليهن ويغطين بها وجوههن
وأعطافهن يقال إذا زل الثوب عن وجه المرأة أدني ثوبك على
وجهك وذلك أن النساء كن في أول الإسلام على هجيراهن في الجاهلية
متبذلات تبرز المرأة في درع وخمار لا فضل بين الحرة والأمة وكان
الفتيان وأهل الشطارة يتعرضون إذا خرجن بالليل إلى مقاضي حوائجهن
في النخيل والغيطان للإماء وربما تعرضوا للحرة بعلة الأمة يقولون حسبناها
أمة فأمرن أن يخالفن بزيهن عن زي الإماء بلبس الأردية والملاحف وستر
الوجوه والرؤوس ليحتشمن ويهبن فلا يطمع فيهن طامع وذلك قوله **ذلك**

اى اولى واجدر بان يعرفن فلا يتعرض لهن ولا يلقين ما يكرهن

فان قلت ما معنى من فى قوله قلت هو للتبعيض الا ان معنى

معنى التبعيض محتمل وجهين احدهما ان يتجلببن ببعض ما لهن من الجلابيب

والمراد ان لا تكون المراة متبذلة فى درع وخمار كالامة والماهنة ولها

جلبابان فصاعدا فى بيتها والثانى ان ترخى المراة بعض جلبابها وفضله

على وجهها تتقنع حتى تتميز عن الامة وعن ابن سيرين سالت عبيدة السلمانى عن

ذلك فقال ان تضع رداءها فوق الحاجب ثم تديره حتى تضعه على انفها وعن

السدى ان تغطى احدى عينيها وجبهتها والشق الاخر الا العين وعن

الكسائى يتقنعن بملاحفهن منضمة عليهن اراد بالانضمام معنى الادناء

لما سلف منهن من التفريط مع التوبة لان هذا مما يمكن

معرفته بالعقل قوم كان فيهم ضعف ايمان وقلة

ثبات عليه وقلة هم الزناة واهل الفجور من قوله فيطمع الذى فى قلبه مرض

ناس كانوا يرجفون باخبار السوء عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم

فيقولون هزموا وقتلوا وجرى عليهم كيت وكيت فيكسرون بذلك قلوب

المومنين يقال ارجف بكذا اذا اخبر به على غير حقيقة لكونه خبرا متزلزلا

غير ثابت من الرجفة وهى الزلزلة والمعنى عن عداوتهم

وكيدهم والفسقة عن فجورهم عما يولفون من اخبار السوء

لنامرنك ان تفعل بهم الافاعيل التى تسوؤهم وتنوء بهم ثم بان تضطرهم

الى طلب الجلاء عن المدينة والى ان لا يساكنوك فيها زمنا ورثما

يرتحلون ويلتقطون انفسهم وعيالاتهم فسمى ذلك اغراء وهو التحريش

على سبيل المجاز نصب على الشتم او الحال اى لا يجاورونك الا ملعونين

دخل حرف الاستثناء على الظرف والحال معا كما مر فى قوله الا ان يوذن لكم

الى طعام غير ناظرين اناه ولا يصح ان ينتصب عن اخذوا لان ما بعد كلمة

الشرط لا يعمل فى ما قبلها وقيل فى قليلا هو منصوب على الحال ايضا ومعناه

لا يجاورونك الا اقلاء اذلاء ملعونين فان قلت ما موقع

قلت لا يجاورونك عطف على لنغرينك لانه يجوز ان يجاب به القسم الا ترى الى

صحة قولك لئن لم ينتهوا لا يجاورونك فان قلت اما كان من حق لا يجاورونك

ان يعطف بالفاء وان يقال لنغرينك بهم فلا يجاورونك قلت لو جعل الثانى

مسببا عن الاول لكان الامر كما قلت ولكنه جعل جوابا اخر للقسم معطوفا

على الاول وانما عطف بثم لان الجلاء عن الاوطان كان اعظم عليهم واعظم

من جميع ما اصيبوا به فتراخت حالة عن حال المعطوف عليه فى

موضع مصدر موكد اى سن الله فى الذين ينافقون الانبياء ان يقتلوا حيثما

ثقفوا وعن مقاتل يعنى كما قتل اهل بدر واسروا كان المشركون يسالون

رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت قيام الساعة استعجالا على سبيل الهزء واليهود

يسالونه امتحانا لان الله سبحانه وتعالى عمى وقتها فى التورية وفى كل كتاب

فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجيبهم بانه علم قد استاثر الله به لم يطلع عليه

ملكا ولا نبيا ثم بين لرسوله صلى الله عليه وسلم انها قريبة الوقوع تهديدا للمستعجلين

واسكاتا للممتحنين شيئا قريبا او لان الساعة فى معنى اليوم او فى زمان

قريب السعير النار المسعورة الشديدة الاتقاد وقرى على البناء

للمفعول وتقلب بمعنى تتقلب ونقلب اى نقلب نحن وتقلب على ان الفعل

للسعير ومعنى تقليبها تصريفها فى الجهات كما ترى البضعة تدور

فى القدر اذا غلت فترامى بها الغليان من جهة الى جهة او تغييرها عن

احوالها وتحويلها عن هيآتها او طرحها فى النار مقلوبين منكوسين

وخصت الوجوه بالذكر لان الوجه اكرم موضع على الانسان من جسده

ويجوز ان يكون الوجه عبارة عن الجملة وناصب الظرف يقولون او

محذوف وهو اذكر واذا نصب بالمحذوف كان يقولون حالا وقرى ساداتنا

وسادتنا وهم رؤساء الكفر الذين لقنوهم الكفر وزينوه لهم يقال ضل

السبيل واضله اياه وزيادة الالف لاطلاق الصوت جعلت فواصل الاى

كقوافى الشعر وفائدتها الوقف والدلالة على ان الكلام قد انقطع وان ما

بعده مستانف وقرى كثيرا اى اعدادا كثيرة وكثيرا ليدل على اشد

اللعن واعظمه ضعفا لضلاله وضعفا لاضلاله يعترفون ويعتنون

ويمنون ولا ينفعهم شىء من ذلك نزلت فى

شان زيد وزينب وما سمع فيه من قالة بعض الناس وقيل فى اذى موسى

عليه السلام هو حديث المومسة التى ارادها قارون على قذفه بنفسها وقيل

اتهامهم اياه بقتل هرون وكان قد خرج معه الى الجبل فمات هناك فحملته

الملئكة ومروا به عليهم ميتا فابصروه حتى عرفوا انه غير مقتول وقيل

احياه الله تعالى فاخبرهم ببراءة موسى عليه السلام وقيل قرفوه بعيب فى جسده من

برص او ادرة فاطلعهم الله على انه برى منه ذا جاه ومنزلة عنده

فلذلك كان يميط عنه التهم ويدفع الاذى ويحافظ عليه لئلا يلحقه وصم

ولا يوصف بنقيصة كما يفعل الملك بمن له عنده قربة ووجاهة وقرا ابن مسعود

والاعمش وابو حيوة وكان عبدا لله وجيها قال ابن خالويه صليت

خلف ابن شنبوذ فى شهر رمضان فسمعته يقرؤها وقراءة العامة اوجه لانها

مفصحة عن وجاهته عند الله كقوله عند ذى العرش مكين وهذه ليست كذلك

فان قلت قوله معناه من قولهم او من مقولهم لان ما مصدرية او

موصولة وايهما كان فكيف يصح البراءة منه قلت المراد بالقول او المقول

مودّاه ومضمونه وهو الامر المعيب الا ترى انهم سموا السبة بالقالة والقالة

بمعنى القول قاصدا الى الحق والسداد القصد الى الحق والقول

بالعدل يقال سدد السهم نحو الرمية اذا لم يعدل به عن سمتها كما قالوا سهم قاصد

والمراد نهيهم عن ما خاضوا فيه من حديث زينب من غير قصد وعدل في القول
والبعث على أن يسدّ قولهم في كل باب لأن حفظ اللسان وسداد القول رأس
الخير كله والمعنى راقبوا الله في حفظ ألسنتكم وتسديد قولكم فإنكم إن فعلتم
ذلك أعطاكم الله ما هو غاية الطلبة من تقبل حسناتكم والإثابة عليها ومن
مغفرة سيئاتكم وتكفيرها وقيل إصلاح الأعمال التوفيق في المجيء بها صالحة
مرضية وهذه الآية مقررة للتي قبلها بنيت تلك على النهي عما يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهذه على الأمر باتقاء الله في حفظ اللسان ليترادف عليهم النهي والأمر مع
اتباع النهي ما يتضمن الوعيد من قصة موسى عليه السلام واتباع الأمر الوعد البليغ
فيقوى الصارف عن الأذى والداعي إلى تركه لما قال ومن يطع الله ورسوله
وعلق بالطاعة الفوز العظيم أتبعه قوله إنا عرضنا الأمانة وهو يريد بالأمانة
الطاعة فعظم أمرها وفخم شأنها وفيه وجهان أحدهما أن هذه الأجرام العظام
من السموات والأرض والجبال قد انقادت لأمر الله عز وعلا انقياد مثلها
وهو ما يتأتى من الجمادات وأطاعت له الطاعة التي تصح منها وتليق بها حيث
لم تمتنع على مشيئته وإرادته إيجادا وتكوينا وتسوية على هيئات مختلفة وأشكال
متنوعة كما قال قالتا أتينا طائعين وأما الإنسان فلم تكن حاله فيما يصح
منه من الطاعة ويليق به من الانقياد لأوامر الله عز وجل ونواهيه وهو حيوان
عاقل صالح للتكليف مثل حال تلك الجمادات فيما يصح منها ويليق بها من الانقياد
وعدم الامتناع والمراد بالأمانة الطاعة لأنها لازمة الوجود كما أن الأمانة
لازمة الأداء وعرضها على الجمادات وإباؤها وإشفاقها مجاز وأما حمل الأمانة
فمن قولك فلان حامل للأمانة ومحتمل لها تريد أنه لا يؤديها إلى صاحبها حتى تزول
عن ذمته ويخرج عن عهدتها لأن الأمانة كأنها راكبة للمؤتمن عليها وهو حاملها
ألا تراهم يقولون ركبته الديون ولي عليه حق فإذا أداها لم تبق راكبة له ولا هو
يكون حاملا لها ونحوه قولهم لا يملك مولى لمولى نصرا يريدون أنه يبذل له النصر
ويسامحه بها ولا يمسكها كما يمسكها الخاذل ومنه قول القائل
أخوك الذي لا تملك الحس نفسه وترفض عند المحفظات الكتائف أي لا يمسك
الرقة والعطف إمساك المالك الضنين ما في يده بل يبذل ذلك ويسمح به
ومنه قولهم أبغض حق أخيك لأنه إذا أحبه لم يخرجه إلى أخيه ولم يؤده وإذا
أبغضه أخرجه وأداه فمعنى فأبين أن يحملنها وحملها الإنسان فأبين
إلا أن يؤدينها وأبى الإنسان إلا أن يكون محتملا لها لا يؤديها ثم وصفه بالظلم لكونه
تاركا لأداء الأمانة وبالجهل لإخطائه ما يسعده مع تمكنه منه وهو أداؤها
والثاني أن ما كلفه الإنسان بلغ من عظمه وثقل محمله أنه عرض على أعظم
ما خلق الله من الأجرام وأقواه وأشده أن يتحمله ويستقل به فأبى حمله
والاستقلال به وأشفق منه وحمله الإنسان على ضعفه ورخاوة قوته إنه
كان ظلوما جهولا حيث حمل الأمانة ثم لم يف بها وضمنها ثم خاس بضمانه فيها

ونحو هذا من الكلام كثير في لسان العرب وما جاء القرآن إلا على طرقهم وأساليبهم
من ذلك قولهم لو قيل للشحم أين تذهب لقال أسوّي العوج وكم وكم لهم من
أمثال على ألسنة البهائم والجمادات وتصور مقاولة الشحم محال ولكن الغرض
أن السمن في الحيوان مما يحسن قبيحه كما أن العجف مما يقبح حسنه فصور أثر السمن
فيه تصويرا هو أوقع في نفس السامع وهي به آنس وله أقبل وعلى حقيقته أوقف
وكذلك تصوير عظم الأمانة وصعوبة أمرها وثقل محملها والوفاء بها
فإن قلت قد علم وجه التمثيل في قولهم للذي لا يثبت على رأي واحد أراك
تقدم رجلا وتؤخر أخرى لأنه مثلت حاله في تميله وترجحه بين الرأيين وتركه
المضي على أحدهما بحال من يتردد في ذهابه فلا يجمع رجليه للمضي في وجهه وكل
واحد من الممثل والممثل به شيء مستقيم داخل تحت الصحة والمعرفة وليس كذلك
ما في الآية فإن عرض الأمانة على الجماد وإباءه وإشفاقه محال في نفسه غير مستقيم
فكيف صح بناء التمثيل على المحال وما مثال هذا إلا أن تشبه شيئا والمشبه
به غير معقول قلت الممثل به في الآية وفي قولهم لو قيل للشحم أين تذهب
في نطاق المفروض والمفروضات تتخيل في الذهن كما المحققات مثلت حال
التكليف في صعوبته وثقل محمله بحاله المفروضة لو عرضت على السموات والأرض
والجبال لأبين أن يحملنها وأشفقن منها واللام في ليعذب لام التعليل على طريق
المجاز لأن التعذيب نتيجة حمل الأمانة كما أن التأديب في ضربته للتأديب
نتيجة الضرب وقرأ الأعمش ويتوب ليجعل العلة قاصرة على فعل الحامل
ويبتدئ ويتوب الله ومعنى قراءة العامة ليعذب الله حامل الأمانة ويتوب
على غيره ممن لم يحملها لأنه إذا تيب على الوافي كان ذلك نوعا من عذاب الغادر
والله أعلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الأحزاب وعلمها
أهله وما ملكت يمينه أعطي الأمان من عذاب القبر

سورة سبأ مكية وهي أربع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ما في السموات والأرض
كله نعمة من الله وهو الحقيق بأن يحمد ويثنى عليه من أجله ولما قال
الحمد لله ثم وصف ذاته بالإنعام بجميع النعم الدنيوية كان معناه أنه المحمود
على نعم الدنيا كما تقول احمد أخاك الذي كساك وحملك تريد احمده على كسوته
وحملانه ولما قال وله الحمد في الآخرة علم أنه المحمود على نعم الآخرة وهي الثواب
فإن قلت ما الفرق بين الحمدين قلت أما الحمد في الدنيا فواجب لأنه على
نعمة متفضل بها وهو الطريق إلى تحصيل نعمة الآخرة وهي الثواب وأما الحمد
في الآخرة فليس بواجب لأنه على نعمة واجبة الإيصال إلى مستحقها إنما هو
تتمة سرور المؤمنين وتكملة اغتباطهم يلتذون به كما يلتذ من به
العطاش بالماء البارد وهو الحكيم الذي أحكم أمور الدارين ودبرها بحكمته
الخبير بكل كائن يكون ثم ذكر مما يحيط به علما ما يلج في الأرض من الغيث كقوله

يسلكه ينابيع في الأرض ومن الكنوز والدفائن والأموات وجميع ما هي له كفات وما يخرج منها من الشجر والنبات وماء العيون والغلة والدواب وغير ذلك وما ينزل من السماء من الأمطار والثلوج والبرد والصواعق والأرزاق والملائكة وأنواع البركات والمقادير كما قال وفي السماء رزقكم وما توعدون وما يعرج فيها من الملائكة وأعمال العباد وهو مع كثرة نعمه وسبوغ فضله الرحيم الغفور للمفرطين في أداء مواجب شكرها

وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه ننزل بالنون والتشديد قولهم لا تأتينا الساعة نفي للبعث وإنكار لمجيء الساعة أو استبطاء لما قد وعدوه من قيامها على سبيل الهزء والسخرية كقولهم متى هذا الوعد أوجب ما بعد النفي ببلى على معنى أن ليس الأمر إلا إتيانها ثم أعيد إيجابه مؤكدا بما هو الغاية في التوكيد والتشديد وهو التوكيد باليمين بالله عز وجل ثم أمد التوكيد القسمي إمدادا بما أتبع المقسم به من الوصف بما وصف به إلى قوله ليجزي لأن عظمة حال المقسم به تؤذن بقوة حال المقسم عليه وبشدة ثباته واستقامته لأنه بمنزلة الاستشهاد على الأمر وكلما كان المستشهد به أعلى كعبا وأبين فضلا وأرفع منزلة كانت الشهادة أقوى وآكد والمستشهد عليه أثبت وأرسخ فإن قلت هل للوصف الذي وصف به المقسم به اختصاص بهذا المعنى قلت نعم وذلك أن قيام الساعة من مشاهير الغيوب وأدخلها في الخفية وأولها مسارعة إلى القلب إذا قيل عالم الغيب فحين أقسم باسمه على إثبات قيام الساعة وأنه كائن لا محالة ثم وصف بما يرجع إلى علم الغيب وأنه لا يعزب عنه شيء من الخفيات اندرج تحته إحاطته بوقت قيام الساعة فجاء ما تطلبه من وجه الاختصاص مجيئا واضحا فإن قلت الناس قد أنكروا إتيان الساعة وجحدوه فهب أنه حلف لهم بأغلظ الأيمان وأقسم عليه جهد القسم فيمين من هو في معتقدهم مفتر على الله كذبا كيف تكون مصححة لما أنكروه قلت هذا لو اقتصر على اليمين ولم يتبعها الحجة القاطعة والبينة الساطعة وهي قوله ليجزي فقد وضع الله في العقول وركب في الغرائز وجوب الجزاء وأن المحسن لا بد له من ثواب والمسيء لا بد له من عقاب وقوله ليجزي متصل بقوله لتأتينكم تعليلا له قرئ لتأتينكم بالتاء والياء ووجه من قرأ بالياء أن يكون ضميره للساعة بمعنى اليوم أو يسند إلى عالم الغيب أي ليأتينكم أمره كما قال هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك وقال أو يأتي أمر ربك وقرئ عالم الغيب وعلام الغيب بالجر صفة لربي وعالم الغيب وعلام الغيوب بالرفع على المدح وقرئ يعزب بالضم والكسر من العزوب وهو البعد يقال روض عزيب بعيد عن الناس مثقال ذرة مقدار أصغر نملة ذلك إشارة إلى مثقال ذرة وقرئ ولا أصغر من ذلك ولا أكبر بالرفع على أصل الابتداء وبالفتح على نفي الجنس كقولك لا حول ولا قوة بالرفع

والنصب وهو كلام منقطع عما قبله فإن قلت هل يصح عطف المرفوع على مثقال ذرة كأنه قيل لا يعزب عنه مثقال ذرة وأصغر وأكبر وزيادة لا لتأكيد النفي وعطف المفتوح على ذرة بأنه فتح في موضع الجر لامتناع الصرف كأنه قيل لا يعزب عنه مثقال ذرة ولا مثقال أصغر من ذلك ولا أكبر قلت يأبى ذلك حرف الاستثناء إلا إذا جعلت الضمير في عنه للغيب وجعلت الغيب اسما للخفيات قبل أن تكتب في اللوح لأن إثباتها في اللوح نوع من البروز عن الحجاب على معنى أنه لا ينفصل عن الغيب شيء ولا يزل عنه إلا مسطورا في اللوح وقرئ معجزين وأليم بالرفع والجر وعن قتادة الرجز سوء العذاب ويرى في موضع الرفع أي ويعلم أولو العلم يعني أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يطأ أعقابهم من أمته أو علماء أهل الكتاب الذين أسلموا مثل كعب الأحبار وعبد الله بن سلام الذي أنزل إليك الحق هما مفعولان ليرى وهو فصل ومن قرأ الحق بالرفع جعله مبتدأ والحق خبرا والجملة في موضع المفعول الثاني وقيل يرى في موضع النصب معطوف على ليجزي أي وليعلم أولو العلم عند مجيء الساعة أنه الحق علما لا يزاد عليه في الإيقان ويحتجوا به على الذين كذبوا وتولوا ويجوز أن يريد وليعلم من لم يؤمن من الأحبار أنه هو الحق فيزدادوا حسرة وغما وقال الذين كفروا قال قريش بعضهم لبعض هل ندلكم على رجل يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم يحدثكم بأعجوبة من الأعاجيب أنكم تبعثون وتنشئون خلقا جديدا بعد أن تكونوا رفاتا وترابا ويمزق أجسادكم البلى كل ممزق أي يفرقكم ويبدد أجزاءكم كل تبديد أهو مفتر على الله كذبا فيما ينسب إليه من ذلك أم به جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه ثم قال سبحانه ليس محمد من الافتراء والجنون في شيء وهو مبرأ منهما بل هؤلاء القائلون الكافرون بالبعث واقعون في عذاب النار وفيما يؤديهم إليه من الضلال عن الحق وهم غافلون عن ذلك وذلك أجن الجنون وأشد إطباقا على عقولهم جعل وقوعهم في العذاب رسيلا لوقوعهم في الضلال كأنهما كائنان في وقت واحد لأن الضلال لما كان العذاب من لوازمه وموجباته جعلا كأنهما في الحقيقة مقترنان وقرأ زيد بن علي رضي الله عنه ينبئكم فإن قلت قد جعل الممزق مصدرا كقوله [illegible] ألم تعلم مسرحي القوافي فلا عيا بهن ولا اجتلابا فهل يجوز أن يكون مكانا قلت نعم ومعناه ما حصل من الأموات في بطون الطير والسباع وما مرت به السيول فذهبت به كل مذهب وما سفته الرياح فطرحته كل مطرح فإن قلت ما العامل في إذا قلت ما دل عليه إنكم لفي خلق جديد وقد سبق نظيره فإن قلت الجديد فعيل بمعنى فاعل أم مفعول قلت هو عند البصريين بمعنى فاعل تقول جد فهو جديد كحد فهو حديد وقل فهو قليل

وعند الكوفيين بمعنى مفعول من جده اذا قطعه وقالوا هو الذي جده الناسج
الساعة في الثوب ثم شاع ولهذا قالوا ملحفة جديد وهي عند البصريين كقوله ان
رحمة الله قريب ونحو ذلك فان قلت لم اسقطت الهمزة في قوله افترى دون
قوله آلسحر وكلتاهما همزة وصل قلت القياس الطرح ولكن امرا اضطرهم
الى ترك اسقاطها في نحو آلسحر وهو خوف التباس الاستفهام بالخبر لكون
همزة الوصل مفتوحة كهمزة الاستفهام فان قلت ما معنى وصف الضلال
بالبعد قلت هو من الاسناد المجازي لان البعد صفة الضال اذا بعد
عن الجادة وكلما ازداد عنها بعدا كان اضل فان قلت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
مشهورا علما في قريش وكان انباؤه بالبعث شائعا عندهم فما معنى قولهم
هل ندلكم على رجل ينبئكم فنكروه لهم وعرضوا عليهم الدلالة عليه كما يدل
على مجهول في امر مجهول قلت كانوا يقصدون بذلك الطنز والسخرية فاخرجوه
مخرج التحلي ببعض الاحاجي التي يتحاجى بها للضحك والتلهي متجاهلين به وبامره
اعموا فلم [illegible] الى [illegible] وانهما حيث ما كانوا واينما ساروا امامهم
وخلفهم محيطتان بهم لا يقدرون ان ينفذوا من اقطارهما وان يخرجوا عما هم
فيه من ملكوت الله عز وجل ولم يخافوا ان [illegible] الله [illegible]
كسفا لتكذيبهم الآيات وكفرهم بالرسول صلى الله عليه وسلم وبما جاء به كما فعل
بقارون واصحاب الايكة [illegible] النظر الى السماء والارض والفكر فيهما
وما يدلان عليه من قدرة الله لآية [illegible] وهو الراجع الى
ربه المطيع له لان المنيب لا يخلو من النظر في آيات الله على انه قادر على كل شيء
من البعث ومن عقاب من يكفر به قرئ يشأ ويخسف ويسقط بالياء لقوله افترى
على الله كذبا وبالنون لقوله ولقد آتينا وكسفا بفتح السين وسكونه وقرأ
الكسائي نخسف بهم بالادغام وليست بقوية [illegible] اما ان يكون بدلا من فضلا
واما من آتينا بتقدير قولنا يا جبال او قلنا يا جبال وقرئ [illegible] واوبي من
التأويب والاوب اي رجعي معه التسبيح او ارجعي معه التسبيح كلما رجع فيه
لانه اذا رجعه فقد رجع فيه ومعنى تسبيح الجبال ان الله سبحانه يخلق فيها تسبيحا
كما خلق الكلام في الشجرة فيسمع منها ما يسمع من المسبح معجزة لداود عليه السلام
وقيل كان ينوح على ذنبه بترجيع وتحزين وكانت الجبال تسعده على نوحه
باصدائها والطير باصواتها وقرئ والطير رفعا ونصبا عطفا على لفظ
الجبال ومحلها وجوزوا ان ينتصب مفعولا معه وان يعطف على فضلا بمعنى
وسخرنا له الطير فان قلت اي فرق بين هذا النظم وبين ان يقال ولقد آتينا
داود منا فضلا تأويب الجبال معه والطير قلت كم بينهما الا ترى ما فيه
من الفخامة التي لا تخفى من الدلالة على عزة الربوبية وكبرياء الالهية حيث جعل
الجبال منزلة منزلة العقلاء الذين اذا امرهم اطاعوا واذعنوا واذا دعاهم

سمعوا واجابوا اشعارا بانه ما من حيوان وجماد وناطق وصامت الا وهو
منقاد لمشيئته غير ممتنع على ارادته [illegible] وجعلناه له لينا
كالطين والعجين والشمع يصرفه بيده كيف يشاء من غير نار ولا ضرب بمطرقة
وقيل لان الحديد في يده لما اوتي من شدة القوة وقرئ صابغات وهي الدروع
الواسعة الضافية وهو اول من اتخذها وكانت قبل صفائح وقيل كان يبيع الدرع
باربعة آلاف درهم فينفق منها على نفسه وعياله ويتصدق على الفقراء وقيل كان
يخرج حين ملك بني اسرائيل متنكرا فيسأل الناس عن نفسه ويقول لهم ما تقولون
في داود فيثنون عليه فقيض الله له ملكا في صورة آدمي فسأله على عادته فقال نعم
الرجل لولا خصلة فيه فريع داود فسأله فقال لولا انه يطعم عياله من بيت
المال فسأل عند ذلك ربه ان يسبب له ما يستغني به عن بيت المال فعلمه صنعة
الدروع وقدر لا تجعل المسامير دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتفصم الحلق والسرد
نسج الدروع واعملوا [illegible] الضمير لداود واهله وسخرنا [illegible] في من نصب
ولسليمن الريح مسخرة في من رفع وكذلك في من قرأ الرياح بالرفع غدوها شهر
جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشي كذلك وقرئ غدوتها وروحتها
وعن الحسن كان يغدو فيقيل باصطخر ثم يروح فيكون رواحه بكابل ويحكى
ان بعضهم رأى مكتوبا في منزل بناحية دجلة كتبه بعض اصحاب سليمن نحن نزلناه
وما بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون منه فبائتون
بالشام ان شاء الله القطر النحاس المذاب من القطران فان قلت ما اراد
بعين القطر قلت اراد بها معدن النحاس ولكنه اساله كما الان الحديد
لداود فنبع كما ينبع الماء من العين فلذلك سماه عين القطر باسم ما آل اليه
كما قال اني اراني اعصر خمرا وقيل كان يسيل في الشهر ثلاثة ايام [illegible]
بامره ومن يزغ منهم ومن يعدل [illegible] الذي امرناه به من طاعة سليمن وقرئ
يزغ من ازاغه ونذقه من عذاب السعير عذاب الآخرة وعن السدي كان معه ملك
بيده سوط من نار كلما استعصى عليه ضربه من حيث لا يراه الجني المحاريب
المساكن والمجالس الشريفة المصونة عن الابتذال سميت محاريب لانه يحامى
عليها ويذب عنها وقيل هي المساجد والتماثيل صور الملائكة والنبيين والصالحين
كانت تعمل في المساجد من نحاس وصفر وزجاج ورخام ليراها الناس فيعبدوا
نحو عبادتهم فان قلت كيف استجاز سليمن عليه السلام عمل التصاوير قلت هذا
مما يجوز ان تختلف فيه الشرائع لانه ليس من مقبحات العقل كالظلم والكذب
وعن ابي العالية لم يكن اتخاذ الصور اذ ذاك محرما ويجوز ان يكون غير صور
الحيوان كصور الاشجار وغيرها لان التمثال كل ما صور على مثل صورة غيره
من حيوان وغير حيوان او تصور محذوفة الرؤوس وروي انهم عملوا له
صورة اسدين في اسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط الاسدان
له ذراعيهما واذا قعد اظله النسران باجنحتهما والجوابي الحياض الكبار

قال الاعشى ۝ نروح على آل المحلق جفنة ۝ كجابية الشيخ العراقي تفهق ۝ لان
الماء يجبى فيها اي يجمع جعل الفعل لها مجازا وهي من الصفات الغالبة كالدابة ۝
قيل كان يقعد على الجفنة الف رجل وقرئ بحذف الياء اكتفاء بالكسرة كقوله يوم
يدع الداع **راسيات** ثابتات على الاثافي لا تنزل عنها لعظمها **اعملوا آل داود**
حكاية ما قيل لآل داود وانتصب **شكرا** على انه مفعول له اي اعملوا لله واعبدوه
على وجه الشكر لنعمائه وفيه دليل على ان العبادة يجب ان تؤدى على طريق الشكر
او على الحال اي شاكرين او على تقدير اشكروا شكرا لان اعملوا فيه معنى اشكروا
من حيث ان العمل للمنعم شكر له ويجوز ان ينتصب باعملوا مفعولا به ومعناه
انا سخرنا لكم الجن يعملون لكم ما شئتم فاعملوا انتم شكرا على طريق المشاكلة
والشكور المتوفر على اداء الشكر الباذل وسعه فيه قد شغل به قلبه ولسانه
وجوارحه اعتقادا واعترافا وكدحا واكثر اوقاته وعن ابن عباس من
شكر على احواله كلها وعن السدي من يشكر على الشكر وقيل من يرى
عجزه عن الشكر وعن داود عليه السلام انه جزأ ساعات الليل والنهار على اهله
فلم يكن تأتي ساعة من الساعات الا وانسان من آل داود قائم يصلي وعن عمر رضي الله عنه
انه سمع رجلا يقول اللهم اجعلني من القليل فقال عمر ما هذا الدعاء فقال الرجل
اني سمعت الله تعالى يقول وقليل من عبادي الشكور فانا ادعوه ان يجعلني من ذلك
القليل فقال عمر كل الناس اعلم من عمر وقرئ فلما قضي عليه الموت و **دابة الارض**
الارضة وهي الدويبة التي يقال لها السرفة والارض فعلها فاضيفت اليه
يقال ارضت الخشبة ارضا اذا اكلتها الارضة وقرئ بفتح الراء من ارضت
الخشبة ارضا وهو من باب فعلته ففعل كقولك اكلت القوادح الاسنان
اكلا فأكلت اكلا و المنساة العصا لانه ينسأ بها اي يطرد ويؤخر
وقرئ بفتح الميم وبتخفيف الهمزة قلبا وحذفا وكلاهما ليس بقياس ولكن اخراج
الهمزة بين بين هو التخفيف القياسي و **منسأته** على مفعالة كما يقال في
الميضاة ميضأة ومن سأته اي من طرف عصاه سميت بسأة القوس على
الاستعارة وفيها لغتان كقولهم قحة وقحة وقرئ اكلت منسأته **تبينت الجن**
من تبين الشيء اذا ظهر وتجلى وان مع صلتها بدل من الجن بدل الاشتمال كقولك
تبين زيد جهله والظهور له في المعنى اي ظهر ان الجن **لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا**
في العذاب او علم الجن كلهم علما بينا بعد التباس الامر على عامتهم وضعفتهم و
توهمهم ان كبارهم يصدقون في ادعائهم علم الغيب او علم المدعون علم الغيب
منهم عجزهم وانهم لا يعلمون الغيب وان كانوا عالمين قبل ذلك بحالهم وانما
اريد التهكم بهم كما تتهكم بمدعي الباطل اذا دحضت حجته وظهر ابطاله
بقولك هل تبينت انك مبطل وانت تعلم انه لم يزل كذلك متبينا وقرئ تبينت الجن
على البناء للمفعول على ان المتبين في المعنى هو ان مع ما في صلتها لانه بدل

وفي قراءة

وفي قراءة ابي تبينت الانس وعن الضحاك تباينت الانس بمعنى تعارفت وتعالمت
والضمير في كانوا للجن في قوله ومن الجن من يعمل بين يديه اي علمت الانس ان
لو كان الجن يصدقون فيما يوهمونهم من علمهم الغيب ما لبثوا وفي قراءة
ابن مسعود تبينت الانس ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب روي انه كان من
عادة سليمان عليه السلام ان يعتكف في مسجد بيت المقدس المدد الطوال فلما دنا اجله
لم يصبح الا رأى في محرابه شجرة نابتة قد انطقها الله فيسألها لاي شيء انت
فتقول لكذا حتى اصبح ذات يوم فرأى الخروبة فسألها فقالت نبت لخراب
هذا المسجد فقال ما كان الله ليخربه وانا حي انت التي على وجهك هلاكي وخراب
بيت المقدس فنزعها وغرسها في حائط له وقال اللهم عم على الجن موتي
حتى يعلم الناس انهم لا يعلمون الغيب لانهم كانوا يسترقون السمع ويموهون
على الانس انهم يعلمون الغيب وقال لملك الموت اذا امرت بي فاعلمني فقال
امرت بك وقد بقيت من عمرك ساعة فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحا من
قوارير ليس له باب فقام يصلي متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها
وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه اينما صلى فلم يكن شيطان ينظر اليه في
صلاته الا احترق فمر به شيطان فلم يسمع صوته ثم رجع فلم يسمع فنظر فاذا سليمان
عليه السلام قد خر ميتا ففتحوا عنه فاذا العصا قد اكلتها الارضة فارادوا ان
يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة على العصا فاكلت منها في يوم وليلة
مقدارا فحسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات منذ سنة وكانوا يعملون بين
يديه ويحسبونه حيا فايقن الناس انهم لو علموا الغيب لما لبثوا في العذاب
سنة وروي ان داود عليه السلام اسس بناء بيت المقدس في موضع فسطاط موسى
عليه السلام فمات قبل ان يتمه فوصى به الى سليمان فامر الشياطين باتمامه فلما بقي
من عمره سنة سأل ان يعمى عليهم موته حتى يفرغوا منه وليبطل دعواهم
علم الغيب وروي ان افريدون جاء ليصعد كرسيه فلما دنا ضرب
الاسدان ساقه فكسراها فلم يجسر احد بعد ان يدنو منه وكان عمر
سليمان عليه السلام ثلاثا وخمسين سنة ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة فبقي في ملكه
اربعين سنة وابتدأ بناء بيت المقدس لاربع مضين من ملكه قرئ
لسبأ بالصرف ومنعه وقلب الهمزة الفا و **مسكنهم** بفتح الكاف وكسرها وهو
موضع سكناهم وهو بلدهم وارضهم التي كانوا مقيمين بها او مسكن
كل واحد منهم وقرئ **مساكنهم** و **جنتان** بدل من **آية** او خبر مبتدأ محذوف
تقديره الآية جنتان وفي الرفع معنى المدح تدل عليه قراءة من قرأ جنتين
بالنصب على المدح فان قلت ما معنى كونهما آية قلت لم يجعل الجنتين
في انفسهما آية وانما جعل قصتهما وان اهلهما اعرضوا عن شكر الله عليهما
فخربهما وابدلهم عنهما الخمط والاثل آية وعبرة لهم ليعتبروا ويتعظوا فلا
يعودوا الى ما كانوا عليه من الكفر وغمط النعم ويجوز ان تجعلهما آية اي
علامة دالة على الله تعالى وعلى قدرته واحسانه ووجوب شكره فان قلت

كيف عظم الله جنتي اهل سبا وجعلهما اية ورب قرية من قريات العراق يحتف بها
من الجنان ما شيت قلت لم يرد بستانين اثنين فحسب وانما اراد جماعتين من
البساتين جماعة عن يمين بلدهم واخرى عن شمالها وكل واحدة من الجماعتين
في تقاربها وتضامها كانها جنة واحدة كما تكون بلاد الريف العامرة وبساتينها
او اراد بستاني كل رجل منهم عن يمين مسكنه وعن شماله كما قال جعلنا
لاحدهما جنتين من اعناب كلوا من رزق ربكم اما حكاية لما قال لهم انبيا الله
المبعوثون اليهم او لما قال لهم لسان الحال او هم احقا بان يقال لهم ذلك و
لما قال كلوا من رزق ربكم واشكروا له اتبعه قوله بلدة طيبة ورب غفور يعني
هذه البلدة التي فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم وطلب شكركم
رب غفور لمن شكره وعن ابن عباس رضي الله عنه كانت اخصب البلاد واطيبها
تخرج المراة وعلى راسها المكتل فتعمل بيديها وتسير بين تلك الشجر فيمتلي المكتل
مما يتساقط فيه من الثمر طيبة لم تكن سبخة وقيل لم يكن فيها بعوض ولا ذباب
ولا برغوث ولا حية وعن ثعلب معناه اسكنوا واعبدوا العرم الجرذ الذي
نقب عليهم السكر ضربت لهم بلقيس الملكة بسد ما بين الجبلين بالصخر
والقار فحقنت به ما العيون والامطار وتركت فيه خروقا على مقدار ما يحتاجون
اليه في سقيهم فلما طغوا وقيل بعث الله اليهم ثلثة عشر نبيا يدعونهم
الى الله ويذكرونهم نعمته عليهم فكذبوهم وقالوا ما نعرف لله نعمة سلط الله
على سدهم الخلد فنقبه من اسفله فغرقهم وقيل العرم جمع عرمة وهي الحجارة
المركومة ويقال للكدس من الطعام عرمة والمراد المسناة التي عقدوها
سكرا وقيل العرم اسم الوادي وقيل العرم المطر الشديد وقرى العرم
بسكون الرا وعن الضحاك كانوا في الفترة التي بين عيسى ومحمد عليهما وقرى
اكل بالضم والسكون وبالتنوين والاضافة والاكل الثمر والخمط شجر الاراك
وعن ابي عبيد كل شجر ذي شوك وقال الزجاج كل نبت اخذ طعما من مرارة حتى
لا يمكن اكله والاثل شجر يشبه الطرفا اعظم منه واجود عودا ووجه من
نون ان اصله ذواتي اكل اكل خمط فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
او وصف الاكل بالخمط كانه قيل ذواتي اكل بشع ومن اضاف وهو ابو عمرو
وحده فلان اكل الخمط في معنى البرير كانه قيل ذواتي برير والاثل
والسدر معطوفان على اكل لا على خمط لان الاثل لا اكل له وقرى واثلا
وشيا بالنصب عطفا على جنتين وتسمية البدل جنتين لاجل المشاكلة
وفيه ضرب من التهكم وعن الحسن قلل السدر لانه اكرم ما بدلوا وقرى
هل يجازى وهل يجازى بالنون وهل يجازي والفاعل الله تعالى وجل
وهل يجزى والمعنى ان مثل هذا الجزا لا يستحقه الا الكافر وهو العقاب
العاجل الاجل وقيل المومن يكفر سياته بحسناته والكافر يحبط عمله فيجازى
بجميع ما يفعله من السو ووجه اخر وهو ان الجزا عام لكل مكافاة

وقرئ بلدة طيبة وربا غفورا بالنصب على المدح

يستعمل تارة في معنى المعاقبة واخرى في معنى الاثابة فلما استعمل في
معنى المعاقبة في قوله جزيناهم بما كفروا بمعنى عاقبناهم بكفرهم قيل وهل
يجازى الا الكفور بمعنى وهل يعاقب وهو الوجه الصحيح وليس لقائل ان
يقول لم قيل وهل يجازى الا الكفور على اختصاص الكفور بالجزا والجزا
عام للكافر والمومن لانه لم يرد الجزا العام وانما اراد الخاص وهو
العقاب بل لا يجوز ان يراد العموم وليس بموضعه الا ترى انك لو قلت
جزيناهم بما كفروا وهل يجازى الا الكافر والمومن لم يصح ولم يسد
كلامك فتبين ان ما يتخيل من السوال مضمحل وان الصحيح الذي لا يجوز غيره
ما جا عليه كلام الله الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه القرى
التي باركنا فيها هي قرى الشام قرى ظاهرة متواصلة يرى بعضها من بعض
لتقاربها فهي ظاهرة لاعين الناظرين او راكبة متن الطريق ظاهرة للسابلة
لم تبعد عن مسالكهم حتى تخفى عليهم وقدرنا فيها السير قيل كان الغادي
منهم يقيل في قرية والرائح يبيت في قرية الى ان يبلغ الشام لا يخاف جوعا ولا عطشا
ولا عدوا ولا يحتاج الى حمل زاد ولا ما سيروا وقلنا لهم سيروا ولا قول
ثم ولكنهم لما مكنوا من السير وسويت لهم اسبابه فكانهم امروا بذلك
واذن لهم فيه فان قلت ما معنى قوله ليالي واياما قلت معناه سيروا
فيها ان شيتم بالليل وان شيتم بالنهار فان الامن فيها لا يختلف باختلاف
الاوقات او سيروا فيها امنين لا تخافون وان تطاولت مدة سفركم فيها
وامتدت اياما وليالي او سيروا فيها لياليكم واياكم مدة اعماركم فانكم في
كل حين وزمان لا تلقون فيها الا الامن وقرى ربنا باعد بين اسفارنا وبعد
ربنا على الدعا بطروا النعمة وسيموا طيب العيش وملوا العافية فطلبوا
الكد والتعب كما طلب بنو اسرائيل البصل والثوم مكان المن والسلوى
وقالوا لو كان جنى جناننا ابعد كان اجدر ان نشتهيه وتمنوا ان يجعل الله
بينهم وبين الشام مفاوز ليركبوا الرواحل فيها ويتزودوا الازواد فعجل
الله عز وجل لهم الاجابة وقرى ربنا بعد بين اسفارنا وبعد بين اسفارنا
على الدعا والندا واسناد الفعل الى بين ورفعه به كما تقول سير فرسخان
وبوعد بين اسفارنا وقرى ربنا باعد بين اسفارنا وبين سفرنا وبعد
برفع ربنا على الابتدا والمعنى خلاف الاول وهو استبعاد مسايرهم على
قصرها ودنوها لفرط تنعمهم وترفههم كانهم يتشاجون على ربهم ويتحازنون
عليه احاديث يتحدث الناس بهم ويتعجبون من احوالهم وفرقناهم
تفريقا اتخذه الناس مثلا مضروبا يقولون ذهبوا ايدي سبا وتفرقوا ايادي
سبا قال كثيرة ايادي سبا يا عز ما كنت بعدكم فلم يحل بالعينين
بعدك منظر لحق غسان بالشام وانمار بيثرب وجذام بتهامة و
صبار عن المعاصي شكور للنعم وقرى صدق بالتشديد والتخفيف

بتهامة والازد بعمان

ورفع ابليس ونصب الظن فمن شدد فعلى حقق عليهم ظنه او وجده
صادقا ومن خفف فعلى صدق في ظنه او صدق يظن ظنا نحو فعلته جهدك
ونصب ابليس ورفع الظن فمن شدد فعلى وجده ظنه صادقا ومن خفف
فعلى قال له ظنه الصدق حين خيله اغواءهم يقولون صدقك ظنك و
بالتخفيف ورفعهما على صدق عليهم ظن ابليس ولو قرئ بالتشديد مع
رفعهما لكان على المبالغة في صدق كقوله ٥ صدقت فيهم ظنوني ٥
ومعناه انه حين وجد آدم ضعيف العزم قد اصغى الى وسوسته قال
ان ذريته اضعف عزما منه فظن بهم اتباعه وقال لاضلنهم ولاغوينهم
وقيل ظن ذلك عند اخبار الله الملائكة انه يجعل فيها من يفسد فيها والضمير
في عليهم واتبعوه اما لاهل سبا او لبني آدم وقلل المؤمنين بقوله الا
[illegible] لانهم قليل بالاضافة الى الكفار كما قال لاحتنكن ذريته الا قليلا
ولا تجد اكثرهم شاكرين وما كان له عليهم من تسلط واستيلاء بالوسوسة
والاستغواء الا لغرض صحيح وحكمة بينة وذلك ان يتميز المؤمن بالآخرة من
الشاك فيها وعلل التسلط بالعلم والمراد ما يتعلق به العلم وقرئ ليعلم على
البناء للمفعول حفيظ محافظ عليه وفعيل ومفاعل متناخيان [illegible] للمشركين
ادعوا الذين [illegible] عبدتموهم من دون الله من الاصنام والملائكة
وسميتموهم باسمه كما تدعون الله والتجئوا اليهم فيما يعروكم كما تلتجئون
اليه وانتظروا استجابتهم لدعائكم ورحمتهم كما تنتظرون ان يستجيب لكم
ويرحمكم ثم اجاب عنهم بقوله لا [illegible] من خير او شر
او نفع او ضر [illegible] في هذين الجنسين من
شركة في الخلق ولا في الملك كقوله ما اشهدتهم خلق السموات والارض وما
له منهم من ظهير يعينه على تدبير خلقه يريد انهم على هذه الصفة من العجز والبعد
عن احوال الربوبية فكيف يصح ان يدعوا كما يدعى ويرجوا كما يرجى فان
قلت اين مفعولا زعم قلت احدهما الضمير المحذوف الراجع منه الى
الموصول واما الثاني فلا يخلو اما ان يكون من دون الله او لا يملكون
او محذوفا فلا يصح الاول لان قولك هم من دون الله لا يلتئم كلاما ولا الثاني
لانهم ما كانوا يزعمون ذلك وكيف يتكلمون بما هو حجة عليهم وبما لو قالوه
قالوا ما هو حق وتوحيد فبقي ان يكون محذوفا تقديره زعمتموهم آلهة
من دون الله فحذف الراجع الى الموصول كما حذف في قوله اهذا الذي بعث
الله استخفافا لطول الموصول بصلته وحذف آلهة لانه موصوف صفته
من دون الله والموصوف يجوز حذفه واقامة الصفة مقامه اذا كان
مفهوما فاذن مفعولا زعم محذوفان جميعا بسببين مختلفين تقول الشفاعة
الشفاعة لزيد على معنى انه الشافع كما تقول الكرم لزيد وعلى معنى انه المشفوع

الشفا

له كما تقول القيام لزيد فاحتمل قوله ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له
ان يكون على احد هذين الوجهين اي لا تنفع الشفاعة الا كائنة لمن اذن له من
الشافعين ومطلقة له او لا تنفع الشفاعة الا كائنة لمن اذن له اي لشفيعه
او هي اللام الثانية في قولك اذن لزيد لعمرو اي لاجله فكانه قيل الا لمن وقع
الاذن للشفيع لاجله وهذا وجه لطيف وهو الوجه وهذا تكذيب لقولهم
هؤلاء شفعاؤنا عند الله فان قلت بم اتصل قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم
ولاي شيء وقعت حتى غاية قلت بما فهم من هذا الكلام من ان ثم انتظارا
للاذن وتوقفا وتمهلا وفزعا من الراجين للشفاعة والشفعاء هل يؤذن
لهم او لا يؤذن وانه لا يطلق الاذن الا بعد ملي من الزمان وطول من التربص
ومثل هذه الحال دل عليه قوله عز من قائل رب السموات والارض وما بينهما
الرحمن لا يملكون منه خطابا يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا
من اذن له الرحمن وقال صوابا كانه قيل يتربصون ويتوقفون مليا فزعين
وهلين حتى اذا فزع عن قلوبهم اي كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع
لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة في اطلاق الاذن تباشروا بذلك وسال بعضهم
بعضا [illegible] قال [illegible] اي القول الحق وهو الاذن بالشفاعة
لمن ارتضى وعن ابن عباس عن النبي صلعم فاذا اذن لمن اذن ان يشفع فزعته
الشفاعة وقرئ أَذِنَ له اي اذن الله له وأُذِنَ له على البناء للمفعول وقرا الحسن
فزع مخففا بمعنى فزع وقرئ فُزِّعَ على البناء للفاعل وهو الله وحده وفُرِّغ اي
نفي الوجل عنها وافني من قولهم فرغ الزاد اذا لم يبق منه شيء ثم ترك ذكر
الوجل واسند الى الجار والمجرور كما تقول دُفع الى زيد اذا علم ما المدفوع وقد
تحذف واصله فرغ الوجل عنها اي انتفى عنها وفني ثم حذف الفاعل و
اسند الى الجار والمجرور وقرئ افرنقع عن قلوبهم بمعنى انكشف عنها وعن ابي علقمة
انه المرار فالتف عليه الناس فلما افاق قال ما لكم تكأكأتم علي تكأكؤكم
على ذي جنة افرنقعوا عني والكلمة مركبة من حروف المفارقة مع زيادة العين
كما ركب اقمطر من حروف القمط مع زيادة الراء وقرئ الحق بالرفع اي
مقوله الحق وهو العلي الكبير ذو العلو والكبرياء ليس لملك ولا نبي ان يتكلم
ذلك اليوم الا باذنه وان يشفع الا لمن ارتضى امره بان يقررهم بقوله من
يرزقكم ثم امره بان يتولى الاجابة والاقرار عنهم بقوله يرزقكم [illegible] وذلك
للاشعار بانهم مقرون به بقلوبهم الا انهم ربما ابوا ان يتكلموا به لان الذي
تمكن في قلوبهم صدورهم من العناد وحب الشرك قد الجم افواههم عن النطق
بالحق مع علمهم بصحته ولانهم ان تفوهوا بان الله رازقهم لزمهم ان يقال لهم فما
لكم لا تعبدون من يرزقكم وتؤثرون عليه من لا يقدر على الرزق الا ترى الى
قوله قل من يرزقكم من السماء والارض امن يملك السمع والابصار حتى قال
فسيقولون الله ثم قال فماذا بعد الحق الا الضلال فكانهم كانوا يقرون بالسنتهم

مره ومره كانوا اسلعثمون عنادًا او ضرارا او حد را من الزام الحجه ونحو قوله عز وعلا
قل من رب السموات والارض قل الله قل افاتخذتم من دونه اوليا لا يملكون لانفسهم نفعا
ولا ضرا وامره ان يقول لهم بعد الالزام والالجام الذى ان لم يزد على اقرارهم
بانفسهم لم يتقاصر عنه وانا او اياكم لعلى هدى او فى ضلال مبين ومعناه وان
احد الفريقين من الذين يتوحدون الرازق من السموات والارض بالعباده
ومن الذين يشركون به الجماد الذى لا يوصف بالقدره لعلى احد الامرين من
الهدى والضلال وهذا من الكلام المنصف الذى كل من سمعه من موال
او مناف قال لمن خوطب به قد انصفك صاحبك وفى درجه بعد تقدمة ما
قدم من التقرير البليغ دلاله غير خفيه على من هو من الفريقين على الهدى
ومن هو فى الضلال المبين ولكن التعريض والتوريه اوصل بالمجادل الى الغرض
واهجم به على الغلبه مع قله شغب الخصم وفل شوكته بالهوينا ونحو قول الرجل
لصاحبه قد علم الله الصادق منى ومنك وان احدنا الكاذب ومنه بيت حسان ٥
اتهجوه ولست له بكفو فشركما لخيركما الفدا ٥ فان قلت كيف خولف
بين حرفى الجر الداخلين على الحق والضلال قلت لان صاحب الحق كانه مستعل
على فرس جواد يركضه حيث شا والضال كانه منغمس فى ظلام مرتبك فيه
لا يدرى اين يتوجه وفى قراءه ابى وانا او اياكم اما على هدى او فى ضلال مبين
هذا ادخل فى الانصاف وابلغ فيه من الاول حيث اسند الاجرام الى المخاطبين
والعمل الى المخاطبين وان اراد بالاجرام الصغاير والزلات التى لا يخلو منها
مومن وبالعمل الكفر والمعاصى العظام وفتح الله بينهم وهو حكمه وفصله
ان يدخل هولا الجنه واولئك النار فان قلت ما معنى قوله ارونى وكان
يراهم ويعرفهم قلت اراد بذلك ان يريهم الخطا العظيم فى الحاق الشركا
بالله وان يقايس على اعينهم بينه وبين اصنامهم ليطلعهم على احاله القياس
اليه والاشتراك به و ردع لهم عن مذهبهم بعد ما كسره بابطال المقايسه
كما قال ابرهيم عليه السلام اف لكم ولما تعبدون من دون الله بعد ما حجهم وقد نبه على
تفاحش غلطهم وان لم يقدروا الله حق قدره بقوله بل هو الله العزيز الحكيم كانه
قال اين الذين الحقتم به شركا من هذه الصفات و هو راجع الى الله وحده او هو
ضمير الشان كما فى قوله قل هو الله احد الا كافه للناس الا ارساله عامه لهم
محيطه بهم لانها اذا شملتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم وقال الزجاج
المعنى ارسلناك جامعا للناس فى الانذار والابلاغ فجعله حالا من الكاف وحق
التا على هذا ان يكون للمبالغه كتا الراويه والعلامه ومن جعله حالا من المجرور
متقدما عليه فقد اخطا لان تقدم حال المجرور عليه فى الاحاله بمنزله تقدم
المجرور على الجار وكم ترى ممن يرتكب هذا الخطا ثم لا يقتنع به حتى يضم اليه ان
يجعل اللام بمعنى الى لانه لا يستوى له الخطا الاول الا الخطا الثانى فلابد له

من ارتكاب الخطايين قرى ميعاد يوم وميعاد يومٌ وميعادٌ يومًا والميعاد
ظرف الوعد من مكان او زمان وهو ها هنا الزمان والدليل عليه قراه من قرا
ميعاد يومٌ فابدل منه اليوم فان قلت فما تاويل من اضافه الى يوم او نصب
يوما قلت اما الاضافه فاضافه تبيين كما تقول سحق ثوب وبعير سانيه
واما نصب اليوم فعلى التعظيم باضمار فعل تقديره لكم ميعاد اعنى يوما
او اريد يوما من صفته كيت وكيت ويجوز ان يكون الرفع على هذا اعنى التعظيم
فان قلت كيف انطبق هذا جوابا على سوالهم قلت ما سالوا عن
ذلك وهم منكرون له الا تعنتا لا استرشادا فجا الجواب على طريق التهديد مطابقا
لمجى السوال على سبيل الانكار والتعنت وانهم مرصدون ليوم يفاجيهم فلا
يستطيعون تاخرا عنه ولا تقدما الذى بين يديه ما نزل قبل القران من كتب
الله يروى ان كفار مكه سالوا اهل الكتاب فاخبروهم انهم يجدون صفه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كتبهم فاغضبهم ذلك وقرنوا الى القران جميع ما تقدمه
من كتب الله عز وجل فى الكفر فكفروا بها جميعا وقيل الذى بين يديه يوم القيمه
والمعنى انهم جحدوا ان يكون القران من الله وان يكون لما دل عليه
من الاعاده للجزا حقيقه ثم اخبر عن عاقبه امرهم وما لهم فى الاخره فقال
لرسول الله صلى الله عليه وسلم او للمخاطب ولو ترى فى الاخره موقفهم وهم يتجاذبون
اطراف المحاوره ويتراجعونها بينهم لرايت العجب فحذف الجواب والمستضعفون
هم الاتباع والمستكبرون هم الروس والمقدمون اولى الاسم اعنى
حرف الانكار لان الغرض انكار ان يكونوا هم الصادين لهم عن الايمان
واثبات انهم هم الذين صدوا بانفسهم عنه وانهم اتوا من قبل اختيارهم
كانهم قالوا انحن اجبرناكم وحلنا بينكم وبين كونكم ممكنين مختارين بعد
اذ جاكم بعد اذ صممتم على الدخول فى الايمان وصحت نياتكم فى اختياره
بل انتم منعتم انفسكم حظها واثرتم الضلال على الهدى واطعتم امر الشهوه
دون امر النهى فكنتم مجرمين كافرين لاختياركم لا لقولنا وتسويلنا فان
قلت اذ واذا من الظروف اللازمه للظرفيه فلم وقعت اذ مضافا اليها
قلت قد اتسع فى الزمان ما لم يتسع فى غيره فاضيف اليها الزمان كما
اضيف الى الجمل فى قولك جيتك بعد اذ جا زيد وحينيذ ويومئذ وكان
ذلك او ان الحجاج امير وحين خرج زيد لما انكر المستكبرون بقولهم
انحن صددناكم ان يكونوا هم السبب فى كفر المستضعفين واثبتوا بقولهم
بل كنتم مجرمين ان ذلك بكسبهم واختيارهم كر عليهم المستضعفون
بقولهم بل مكر الليل والنهار فابطلوا اضرابهم باضرابهم كانهم قالوا ما
كان الاجرام من جهتنا بل من جهه مكركم لنا دايبا ليلا ونهارا وحملكم
ايانا على الشرك واتخاذ الانداد ومعنى مكر الليل والنهار مكركم فى
الليل والنهار فاتسع فى الظرف باجرايه مجرى المفعول به واضافه

المكر الليل او جعل الليل والنهار هم ماكرين على الاسناد المجازي وقرئ بل مكر الليل
والنهار بالتنوين ونصب الظرفين وبل مكر الليل والنهار بالرفع والنصب اي
تكرون الاغواء مكرا دائبا لا تفترون عنه فان قلت ما وجه الرفع و
النصب قلت هو مبتدأ او خبر على معنى بل سبب ذلك مكركم او مكركم
او سبب ذلك والنصب على بل تكرون الاغواء مكر الليل والنهار فان قلت
لم قيل قال الذين استكبروا بغير عاطف وقيل وقال الذين استضعفوا
مع العاطف قلت لان الذين استضعفوا مر اولا كلامهم فجيء بالجواب
محذوف العاطف على طريقة الاستئناف ثم جيء بكلام اخر للمستضعفين فعطف
على كلامهم الاول فان قلت من صاحب الضمير في واسروا قلت
الجنس المشتمل على النوعين من المستكبرين والمستضعفين وهم الظالمون
في قوله اذ الظالمون موقوفون يندم المستكبرون على ضلالهم واضلالهم
والمستضعفون على ضلالهم واتباعهم المضلين في اعناق الذين كفروا
اي في اعناقهم فجاء بالتصريح للتنويه بذمهم والدلالة على ما استحقوا به
الاغلال وعن قتادة اسروا الكلام بذلك بينهم وقيل اسروا الندامة
اظهروها وهو من الاضداد هذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما مني به
من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به والمنافسة بكثرة الاموال والاولاد
والمفاخرة بالدنيا وزخارفها والتكبر بذلك على المؤمنين والاستهانة بهم
من اجله وقولهم اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا وانه لم يرسل قط
الى اهل قرية من نذير الا قالوا له مثل ما قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اهل مكة
وكادوه بنحو ما كادوه به وقاسوا امر الاخرة الموهومة او المفروضة
عندهم على امر الدنيا واعتقدوا انهم لو لم يكرموا على الله لما رزقهم
ولولا ان المؤمنين هانوا عليه لما حرمهم فعلى قياسهم ذلك قالوا وما
نحن بمعذبين ارادوا انهم اكرم على الله من ان يعذبهم نظرا الى احوالهم
في الدنيا وقد ابطل الله حسبانهم بان الرزق فضل من الله يقسمه كما يشاء
على حسب ما يراه من المصالح فربما وسع على العاصي وضيق على المطيع وربما
عكس وربما وسع عليهما وضيق عليهما فلا يقاس عليه امر الثواب الذي
مبناه على الاستحقاق ويقدر الرزق يضيقه فالتعلي دمن قدر عليه رزقه
وقرئ [illegible] بالتشديد والتخفيف اراد [illegible] جماعة [illegible] ولا جماعة
[illegible] بالتي تقربكم وذلك ان الجمع المكسر عقلاؤه وغير عقلائه سواء في
حكم التانيث ويجوز ان التي هي التقوى وهي المقربة عند الله زلفى وحدها
اي ليست اموالكم بتلك الموضوعة للتقريب وقرأ الحسن باللاتي تقربكم
لانها جماعات وقرئ بالذي يقربكم اي بالشيء الذي يقربكم زلفى والزلفة والزلفى
كالقربى والقربة ومحلها النصب اي تقربكم قربة كقوله انبتكم من الارض
نباتا الا من آمن استثناء من كم في تقربكم والمعنى ان الاموال لا تقرب احدا
الا المؤمن الصالح الذي ينفقها في سبيل الله والاولاد لا تقرب احدا الا من

علمهم الخير وفقههم في الدين ورشحهم للصلاح والطاعة جزاء الضعف
من اضافة المصدر الى المفعول اصله فاولئك لهم ان يجازوا الضعف
ثم جزاء الضعف ثم جزاء الضعف ومعنى جزاء الضعف ان تضاعف لهم
حسناتهم الواحدة عشرا وقرئ جزاء الضعف على فاولئك لهم
الضعف جزاء وجزاء الضعف على ان يجازوا الضعف وجزاء الضعف
مرفوعا الضعف بدل من جزاء وقرئ في الغرفات بضم الراء وفتحها
وسكونها وفي الغرفة فهو يخلفه فهو يعوضه لا معوض سواه اما عاجلا
بالمال او بالقناعة التي هي كنز لا ينفد واما آجلا بالثواب الذي كل
خلف دونه وعن مجاهد من كان عنده من هذا المال ما يقيمه
فليقتصد فان الرزق مقسوم ولعل ما قسم له قليل وهو ينفق نفقة
الموسع عليه فينفق جميع ما في يده ثم يبقى طول عمره في فقر ولا يتأولن
وما انفقتم من شيء فهو يخلفه فان هذا في الاخرة ومعنى الاية ما كان من
خلف فهو منه وهو خير الرازقين واعلاهم رب العزة لان كل ما رزق غيره
من سلطان يرزق جنده او سيد يرزق عبده او رجل يرزق عياله فهو من
رزق الله اجراه الله على ايدي هؤلاء وهو خالق الرزق وخالق الاسباب
التي ينتفع بها المرزوق بالرزق وعن بعضهم الحمد لله الذي اوجدني وجعلني
ممن يشتهي فكم من مشته لا يجد وواجد لا يشتهي هذا الكلام خطاب
للملائكة وتقريع للكفار وارد على المثل السائر اياك اعني واسمعي يا جارة
ونحوه قوله عز وعلا أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله وقد
علم الله سبحانه كون الملائكة وعيسى عليهم السلام منزهين برآء مما وجه عليهم من
السؤال الوارد على طريق التقرير والغرض ان يقول ويقولوا ويسأل
ويجيبوا فيكون تقريعهم اشد وتعييرهم ابلغ وخجلهم اعظم وهوانهم
الزم ويكون اقتصاص ذلك لطفا لمن سمعه وزاجرا لمن اقتص عليه
والموالاة خلاف المعاداة ومنها اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وهي
مفاعلة من الولي وهو القرب كما ان المعاداة من العدو وهو البعد
والولي يقع على الموالي والموالى جميعا والمعنى [illegible] الذي نواليه
اذ لا موالاة بيننا وبينهم فبينوا باثبات موالاة الله ومعاداة الكفار براءتهم
من الرضى بعبادتهم لهم لان من كان على هذه الصفة كانت حاله منافية
لذلك [illegible] يريدون الشياطين حيث اطاعوهم في عبادة
غير الله وقيل صورت لهم الشياطين صور قوم من الجن وقالوا هذه صور
الملائكة فاعبدوها وقيل كانوا يدخلون في اجواف الاصنام اذا عبدت
فيعبدون بعبادتها وقرئ نحشرهم ونقول بالنون والياء الامر في ذلك
اليوم لله وحده لا يملك فيه احد منفعة ولا مضرة لاحد لان الدار دار
ثواب وعقاب والمثيب والمعاقب هو الله فكانت حالها خلاف حال الدنيا
التي هي دار تكليف والناس فيها مخلى بينهم يتضارون وينتافعون والمراد

انه لا ضار ولا نافع الا هو ثم ذكر معاقبة الظالمين بقوله ونقول للذين
ظلموا معطوفا على لا يملك الاشارة الاولى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والثانية الى
القران والثالثة الى الحق والحق امر النبوة كله ودين الاسلام كما هو وفي
قوله وقال الذين كفروا وفي ان لم يقل وقالوا وفي قوله للحق لما جاءهم وما في
اللامين من الاشارة الى القائلين والمقول فيه وما في لما من المبادهة
بالكفر دليل على صدور الكلام عن انكار عظيم وغضب شديد وتعجب
من امرهم بليغ كانه قال واولئك الكفرة المتمردون بجراءتهم على الله
ومكابرتهم لمثل ذلك الحق النير قبل ان يذوقوه ان هذا الا سحر مبين
فبتوا القضاء على انه سحر ثم بينوه على انه ظاهر كل عاقل تامله سماه سحرا
وما اتيناهم من كتب يدرسونها فيها برهان على صحة الشرك ولا
ارسلنا اليهم قبلك من نذير ينذرهم بالعقاب ان لم يشركوا كما قال عز وجل ام
انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون او وصفهم بانهم
قوم اميون اهل جاهلية لا ملة لهم وليس لهم عهد بانزال كتاب ولا
بعثة رسول كما قال ام اتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون فليس
لتكذيبهم وجه متشبث ولا شبهة متعلق كما يقول اهل الكتاب وان كانوا
مبطلين نحن اهل كتب وشرائع ومستندون الى رسل من رسل الله ثم
توعدهم على تكذيبهم بقوله وكذب الذين تقدموهم من القرون والامم
الخالية كما كذبوا وما بلغ هؤلاء بعض معشار ما اتينا اولئك من طول الاعمار
وقوة الاجرام وكثرة الاموال فحين كذبوا رسلهم جاءهم انكاري
بالتدمير والاستئصال ولم يغن عنهم استظهارهم بما هم به مستظهرون
فما بال هؤلاء وقرئ يدرّسونها من التدريس وهو تكرير الدرس او من
درس الكتاب ودرّس الكتب ويدّرسونها بتشديد الدال يفتعلون من
الدرس والمعشار كالمرباع وهما العشر والربع فان قلت ما معنى
فكذبوا رسلي وهو مستغنى عنه بقوله وكذب الذين من قبلهم قلت لما كان
معنى قوله وكذب الذين من قبلهم وفعل الذين من قبلهم التكذيب واقدموا
عليه جعل تكذيب الرسل مسببا عنه ونظيره ان يقول القائل اقدم
فلان على الكفر فكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يعطف على قوله وما بلغوا كقولك
ما بلغ زيد معشار فضل عمرو فتفضل عليه فكيف كان نكير للمكذبين
الاولين فليحذروا من مثله بواحدة بخصلة واحدة وقد فسرها بقوله ان تقوموا
على انه عطف بيان لها واراد بقيامهم اما القيام عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتفرقهم عن مجتمعهم عنده واما القيام الذي لا يراد به المثول على القدمين ولكن
الانتصاب في الامر والنهوض فيه بالهمة والمعنى انما اعظكم بواحدة ان
فعلتموها اصبتم الحق وتخلصتم وهي ان تقوموا لوجه الله خالصا متفرقين
اثنين اثنين وواحدا واحدا ثم تتفكروا في امر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به اما

الاثنان فيتفكران ويعرض كل واحد منهما محصول فكره على صاحبه وينظران
فيه نظر متصادقين متناصفين لا يميل بهما اتباع هوى ولا ينبض لهما عرق
عصبية حتى يهجم بهما الفكر الصالح والنظر الصحيح على جادة الحق وسننه وكذلك
الفرد يفكر في نفسه بعدل ونصفة من غير ان يكابرها ويعرض فكره
على عقله وذهنه وما استقر عنده من عادات العقلاء ومجاري احوالهم
والذي اوجب تفرقهم مثنى وفرادى ان الاجتماع مما يشوش الخواطر
ويعمي البصائر ويمنع من الروية ويخلط القول ومع ذلك يقل الانصاف
ويكثر الاعتساف ويثور عجاج التعصب ولا يسمع الا نصرة المذهب واراهم
بقوله ما بصاحبكم من جنة ان هذا الامر العظيم الذي تحته ملك الدنيا و
الاخرة جميعا لا يتصدى لمثله الا رجلان اما مجنون لا يبالي بافتضاحه اذا طولب
بالبرهان فعجز بل لا يدري ما الافتضاح وما رقبة العواقب واما عاقل
راجح العقل مرشح للنبوة مختار من اهل الدنيا لا يدعيه الا بعد صحته
عنده بحجته وبرهانه والا فما يجدي على العاقل دعوى شيء لا بينة له عليه
وقد علمتم ان محمدا صلى الله عليه وسلم ما به من جنة بل علمتموه ارجح قريش عقلا وارزنهم
حلما واثقبهم ذهنا واصلبهم رايا واصدقهم قولا وانزههم نفسا واجمعهم
لما يحمد عليه الرجال ويمدحون به فكان مظنة لان تظنوا به الخير وترجحوا
فيه جانب الصدق على الكذب واذا فعلتم ذلك كفاكم ان تطالبوه بان
ياتيكم باية فاذا اتى بها تبين انه نذير مبين فان قلت ما بصاحبكم بم يتعلق
قلت يجوز ان يكون كلاما مستانفا تنبيها من الله عز وجل على طريقة النظر في
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يكون المعنى ثم تتفكروا فتعلموا ما
بصاحبكم من جنة وقد جوز بعضهم ان تكون ما استفهامية بين يدي عذاب شديد
كقوله عليه السلام بعثت في نسم الساعة فهو لكم جزاء الشرط الذي هو قوله
ما سالتكم من اجر بمعنى اي شيء سالتكم من اجر كقوله ما يفتح الله للناس من رحمة
وفيه معنيان احدهما نفي مسالة الاجر راسا كما يقول الرجل لصاحبه ان
اعطيتني شيئا فخذه وهو يعلم انه لم يعطه شيئا ولكنه يريد البت لتعليقه
الاخذ بما لم يكن والثاني ان يريد بالاجر ما اراد في قوله قل ما اسالكم عليه من
اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا وفي قوله قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة
في القربى لان اتخاذ السبيل الى الله نصيبهم وما فيه نفعهم وكذلك المودة في القربى
لان القرابة قد انتظمته واياهم على كل شيء شهيد حفيظ مهيمن يعلم اني لا
اطلب الاجر على نصيحتكم ودعائكم اليه الا منه ولا اطمع منكم في شيء القذف
والرمي توجيه السهم ونحوه بدفع واعتماد ويستعاران من حقيقتهما لمعنى الالقاء
ومنه قوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب ان اقذفيه في التابوت
ومعنى يقذف بالحق يلقيه وينزله الى انبيائه او يرمي به الباطل فيدمغه ويزهقه
علام الغيوب رفع محمول على محل ان واسمها او على المستكن في يقذف

او هو خبر مبتدا محذوف وقرئ بالنصب صفة لربي او على المدح وقرئ الغيوب
بالحركات الثلث فالغيوب كالبيوت والغيوب كالصبور وهو الامر الذي غاب
وخفي جدا الحق اما ان يبدئ فعلا او يعيد فاذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة
فجعلوا قولهم لا يبدئ ولا يعيد مثلا في الهلاك ومنه قول عبيد
اقفر من اهله عبيد فاليوم لا يبدي ولا يعيد * والمعنى جاء الحق وهلك
الباطل كقوله جاء الحق وزهق الباطل وعن ابن مسعود رضي الله عنه دخل النبي صلى الله عليه وسلم
مكة وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود نبعة ويقول جاء
الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد
والحق القران وقيل الاسلام وقيل السيف وقيل الباطل ابليس اي ما ينشئ
خلقا ولا يعيده المنشئ والباعث هو الله وعن الحسن لا يبدئ لاهله خيرا ولا
يعيده اي لا ينفعهم في الدنيا والاخرة وقال الزجاج اي شيء ينشئ ابليس ويعيده
فجعله للاستفهام وقيل للشيطان الباطل لانه صاحب الباطل او لانه هالك
كما قيل له الشيطان من شاط اذا هلك قرئ ضللت أضِل بفتح العين مع
كسرها وضللت اضل بكسرها مع فتحها وهما لغتان نحو ظللت اظل
وظللت اظل وقرئ اضل بكسر الهمزة مع فتح العين فان قلت اين التقابل
بين قوله فانما اضل على نفسي وقوله فبما يوحي الي ربي وانما كان يستقيم ان
يقال فانما اضل على نفسي وان اهتديت فانما اهتدي لها كقوله من عمل صالحا
فلنفسه ومن اساء فعليها فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها
او يقال فانما اضل بنفسي قلت هما متقابلان من جهة المعنى لان النفس
كل ما عليها فهو بها اعني ان كل ما هو وبال عليها وضار لها
فهو بها وبسببها لانها الامارة بالسوء وما لها مما ينفعها فبهداية ربها
وتوفيقه وهذا حكم عام لكل مكلف وانما امر رسوله ان يسنده الى نفسه
لان الرسول اذا دخل تحته مع جلالة محله وسداد طريقته كان غيره اولى
انه سميع قريب يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله لا يخفى عليه منهما شيء
ولو ترى جوابه محذوف يعني لرايت امرا عظيما وحالا هائلة ولو واذ والافعال
التي هي فزعوا واخذوا وحيل بينهم كلها للمضي والمراد بها الاستقبال
لان ما الله فاعله في المستقبل بمنزلة ما قد كان ووجد لتحققه ووقت الفزع
وقت البعث وقيام الساعة وقيل وقت الموت وقيل يوم بدر وعن ابن عباس رضي الله عنه
نزلت في خسف البيداء وذلك ان ثمانين الفا يغزون الكعبة ليخربوها فاذا
دخلوا البيداء خسف بهم فلا فوت فلا يفوتون الله ولا يسبقونه وقرئ فلا
فوت والاخذ من مكان قريب من الموقف الى النار اذا بعثوا او من ظهر
الارض الى بطنها اذا ماتوا او من صحراء بدر الى القليب او من تحت اقدامهم
اذا خسف بهم فان قلت علام عطف واخذوا قلت فيه وجهان العطف
على فزعوا اي فزعوا واخذوا فلا فوت لهم او على لا فوت على معنى اذ فزعوا
فلم يفوتوا واخذوا وقرئ واخذ وهو معطوف على محل لا فوت ومعناه

فلا فوت هناك وهناك اخذ وقالوا آمنا به بمحمد صلى الله عليه وسلم لمرور ذكره في قوله ما بصاحبكم
من جنة والتناول والتناوش اخوان الا ان التناوش تناول سهل لشيء
قريب يقال ناشه ينوشه وتناوشه القوم وتناوشوا في الحرب ناش بعضهم
بعضا وهذا تمثيل لطلبهم ما لا يكون وهو ان ينفعهم ايمانهم في ذلك الوقت
كما نفع المؤمنين ايمانهم في الدنيا مثلت حالهم بحال من يريد ان
يتناول الشيء من غلوة كما يتناوله الاخر من قيس ذراع تناولا سهلا لا
تعب فيه وقرئ التناؤش همزت الواو المضمومة كما همزت في اجوه وادؤر
وعن ابي عمرو التناؤش بالهمز التناول من بعد من قولهم نأشت اذا
ابطأت وتاخرت ومنه البيت * تمنى نئيشا ان يكون اطاعني * اي
اخيرا ويقذفون معطوف على قد كفروا على حكاية الحال الماضية يعني وكانوا
يتكلمون بالغيب وياتون به من مكان بعيد وهو قولهم في رسول الله
صلى الله عليه وسلم ساحر شاعر كذاب وهذا تكلم بالغيب والامر الخفي لانهم لم
يشاهدوا منه سحرا ولا شعرا ولا كذبا وقد اتوا بهذا الغيب من جهة
بعيدة من حاله لان ابعد شيء مما جاء به الشعر والسحر وابعد شيء من عادته التي
عرفت بينهم وجربت الكذب والزور وقرئ ويقذفون بالغيب على البناء للمفعول
اي ياتيهم به شياطينهم ويلقنونهم اياه وان شئت فعلقه بقوله وقالوا امنا
به على انه مثلهم في طلبهم تحصيل ما عطلوه من الايمان في الدنيا بقولهم
امنا في الاخرة وذلك طلب مستبعد بمن يقذف شيئا من مكان بعيد لا مجال
للظن في لحوقه حيث يريد ان يقع فيه لكونه غائبا عنه شاحطا والغيب
الشيء الغائب ويجوز ان يكون الضمير للعذاب الشديد في قوله بين يدي
عذاب شديد وكانوا يقولون وما نحن بمعذبين ان كان الامر كما تصفون
من قيام الساعة والعقاب والثواب ونحن اكرم على الله من ان يعذبنا
قايسين امر الاخرة على امر الدنيا فهذا كان قذفهم بالغيب وهو غيب و
مقذوف به من جهة بعيدة لان دار الجزاء لا تقاس على دار التكليف ما يشتهون
من نفع الايمان يومئذ والنجاة به من النار والفوز بالجنة او من الرد الى الدنيا
كما حكي عنهم ارجعنا نعمل صالحا باشياعهم باشباههم من كفرة الامم ومن
كان مذهبه مذهبهم مريب اما من اراب الرجل اذا اوقعه في الريبة و
التهمة او من اراب الرجل اذا صار ذا ريبة ودخل فيها وكلاهما مجاز الا
ان بينهما فرقا وهو ان المريب من الاول منقول ممن يصح ان يكون
مريبا من الاعيان الى المعنى والمريب من الثاني منقول من صاحب
الشك الى الشك كما تقول شعر شاعر * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة سبا لم يبق رسول ولا نبي الا كان له يوم القيامة رفيقا ومصافحا

سورة الملئكة مكية وهي خمس واربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

فاطر السموات مبدعها ومبدئها وعن مجاهد عن ابن عباس ما كنت
ادري ما فاطر السموات حتى احتكم الي اعرابيان في بئر فقال احدهما انا
فطرتها اي ابتدأتها وقرئ الذي فطر السموات والارض وجعل الملائكة وقرئ
جاعل الملائكة بالرفع على المدح رسلا بضم السين وسكونها اولي اجنحة اصحاب
اجنحة واولو اسم جمع لذو كما ان اولا اسم جمع لذا ونظيرهما في المتمكنة
المخاض والخلفة مثنى وثلث ورباع صفات لاجنحة وانما لم تنصرف لتكرر
العدل فيها وذلك انها عدلت عن الفاظ الاعداد من صيغ الى صيغ اخر كما
عدل عمر عن عامر وحذام عن حاذمة وعن تكرير الى غير تكرير واما الوصفية
فلا تفترق الحال فيها بين المعدولة والمعدول عنها الا تراك تقول مررت
بنسوة اربع وبرجال ثلثة فلا تعرج عليها والمعنى ان من الملائكة خلقا
اجنحتهم اثنان اي لكل واحد منهم جناحان وخلقا اجنحتهم ثلثة ثلثة
وخلقا اجنحتهم اربعة اربعة اي يزيد في خلق الاجنحة
وفي غيره ما تقتضيه مشيئته وحكمته والاصل الجناحان لانهما بمنزلة اليدين
ثم الثالث والرابع زيادة على الاصل وذلك اقوى للطيران واعون عليه
فان قلت قياس الشفع من الاجنحة ان يكون في كل شق نصفه فما
صورة الثلثة قلت لعل الثالث يكون في وسط الظهر بين الجناحين
يمدهما بقوة او لعله لغير الطيران فقد مر بي في بعض الكتب ان صنفا
من الملائكة لهم ستة اجنحة فجناحان يلفون بهما اجسادهم وجناحان
يطيرون بهما في الامر من امور الله تعالى وجناحان مرخيان على وجوههم
حياء من الله وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأى جبريل ليلة المعراج وله
ستمائة جناح وروي انه سأل جبريل صلوات الله عليهما ان يتراءى له في صورته
فقال انك لن تطيق ذلك قال اني احب ان تفعل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
في ليلة مقمرة فاتاه جبريل في صورته فغشي عليه ثم افاق وجبريل عليه السلام مسنده
واحدى يديه على صدره والاخرى بين كتفيه فقال سبحان الله ما كنت ارى
شيئا من الخلق هكذا فقال جبريل عليه السلام فكيف لو رأيت اسرافيل له اثنا عشر
جناحا جناح منها بالمشرق وجناح بالمغرب وان العرش على كاهله
وانه ليتضاءل الاحايين لعظمة الله حتى يعود مثل الوصع وهو العصفور
الصغير وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله يزيد في الخلق ما يشاء هو
الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن وقيل الخط الحسن وعن
قتادة الملاحة في العينين والاية مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق من
طول قامة واعتدال صورة وتمام في الاعضاء وقوة في البطش وحصافة
في العقل وجزالة في الرأي وجرأة في القلب وسماحة في النفس وذلاقة في
اللسان ولباقة في التكلم وحسن تأت في مزاولة الامور وما اشبه ذلك
مما لا تحيط به الوصف استعير الفتح للاطلاق والارسال الا ترى الى قوله

فلا مرسل له مكان لا فاتح له بمعنى اي شيء يطلق الله تعالى رحمة اي من نعمة
رزق او مطر او صحة او امن او غير ذلك من صنوف نعمائه التي لا تحاط
بعددها وتنكير الرحمة للاشاعة والابهام كانه قال من اية رحمة كانت
سماوية او ارضية فلا احد يقدر على امساكها واي شيء يمسك الله فلا
احد يقدر على اطلاقه فان قلت لم انث الضمير اولا ثم ذكره اخرا وهو
راجع في الحالين الى الاسم المتضمن معنى الشرط قلت هما لغتان الحمل
على المعنى وعلى اللفظ والمتكلم على الخيرة فيهما فانث على معنى الرحمة وذكر
على ان لفظ المرجوع اليه لا تأنيث فيه ولان الاول فسر بالرحمة فحسن اتباع
الضمير التفسير ولم يفسر الثاني فترك على اصل التذكير وقرئ فلا مرسل
لها فان قلت لا بد للثاني من تفسير فما تفسيره قلت يحتمل ان يكون
تفسيره مثل تفسير الاول ولكنه ترك لدلالته عليه وان يكون مطلقا
في كل ما يمسكه من غضبه ورحمته وانما فسر الاول دون الثاني للدلالة
على ان رحمته سبقت غضبه فان قلت فما تقول فيمن فسر الرحمة بالتوبة
وعزاه الى ابن عباس رضي الله عنه قلت ان اراد بالتوبة الهداية
لها والتوفيق فيها وهو الذي اراده ابن عباس ان قاله فمقبول وان
اراد انه ان شاء ان يتوب العاصي تاب وان لم يشأ لم يتب فمردود لان
الله تعالى يشاء التوبة ابدا ولا يجوز عليه ان لا يشاءها من بعد
امساكه كقوله فمن يهديه من بعد الله فبأي حديث بعد الله واياته اي
من بعد هدايته وبعد اياته الغالب القادر على الارسال
والامساك الذي يرسل ويمسك ما تقتضي الحكمة ارساله وامساكه
ليس المراد بذكر النعمة ذكرها باللسان فقط ولكن به وبالقلب وحفظها
عن الكفران والغمط وشكرها بمعرفة حقها والاعتراف بها وطاعة
موليها ومنه قول الرجل لمن انعم عليه اذكر ايادي عندك يريد
حفظها وشكرها والعمل على موجبها والخطاب عام للجميع لان
جميعهم مغمورون في نعمة الله وعن ابن عباس رضي الله عنه يريد يا اهل
مكة حيث اسكنكم حرمه ومنعكم من جميع
العالم والناس يتخطفون من حولكم وعنه نعمة الله العافية وقرئ
بالحركات الثلث فالجر والرفع على الوصف لفظا ومحلا
والنصب على الاستثناء فان قلت ما محل قلت يحتمل ان يكون
له محل اذا اوقعته صفة لخالق وان لا يكون له محل اذا رفعت محل
من خالق باضمار يرزقكم واوقعت يرزقكم تفسيرا له او جعلته
كلاما مبتدأ بعد قوله فان قلت هل فيه دليل

على ان الخالق لا يطلق على غير الله تعالى وان جعلت يرزقكم كلاما مبتدا
وهو الوجه الثالث من الاوجه الثلثة واما على الوجهين الاخرين وهما الوصف
والتفسير فقد تقيد فيهما بالرزق من السما والارض وخرج من الاطلاق فكيف
يستشهد به على اختصاصه بالاطلاق والرزق من السما المطر ومن الارض
النبات لا اله الا هو جملة مفصولة لا محل لها من الاعراب مثل يرزقكم
في الوجه الثالث ولو وصلتها كما وصلت يرزقكم لم يساعد عليه المعنى
لان قولك هل من خالق اخر سوى الله لا اله الا ذلك الخالق غير مستقيم
لان قولك هل من خالق سوى الله اثبات لله فلو ذهبت تقول ذلك كنت
مناقضا بالنفي بعد الاثبات فانى تؤفكون فمن اي وجه تصرفون عن التوحيد
الى الشرك نعى به على قريش سوء تلقيهم لايات الله وتكذيبهم بها وسلى رسوله صلعم
بان له في الانبيا قبله اسوة ثم جا بما يشتمل على الوعد والوعيد من رجوع
الامور الى حكمه ومجازاة المكذِّب والمكذَّب بما يستحقانه وقرى ترجع بضم
التا وفتحها فان قلت ما وجه صحة جزا الشرط ومن حق الجزا ان يتعقب الشرط
وهذا سابق له قلت معناه وان يكذبوك فتأسّ بتكذيب الرسل من قبلك
فوضع فقد كذبت رسل من قبلك موضع فتأسّ استغنا بالسبب عن المسبب
اعني بالتكذيب عن التاسي فان قلت ما معنى التنكير في رسل قلت معناه
فقد كذبت رسل اي رسل ذوو عدد كثير واولوا ايات ونذر واهل اعمار طوال
واصحاب صبر وعزم وما اشبه ذلك وهذا اسلى له واحث على المصابرة
وعد الله الجزا بالثواب والعقاب فلا تغرنكم فلا يخدعنكم الدنيا ولا يذهلنكم
التمتع بها والتلذذ بمنافعها عن العمل للاخرة وطلب ما عند الله ولا يغرنكم بالله
الغرور لا يقولن لكم اعملوا ما شئتم فان الله غفور يغفر كل كبيرة ويعفو عن كل
خطيئة والغرور الشيطان لان ذلك ديدنه وقرى بالضم وهو مصدر غرّه
كاللزوم والنهوك او جمع غارّ كقاعد وقعود اخبرنا الله عز وجل ان الشيطان
لنا عدو مبين واقتص علينا قصته وما فعل بابينا ادم صلوات الله عليه وكيف
انتدب لعداوة جنسنا من قبل وجوده وبعده ونحن على ذلك نتولاه ونطيعه في
ما يريد بنا مما فيه هلاكنا فوعظنا عز وجل بانه كما علمتم عدوكم الذي لا عدو
اعرق في العداوة منه وانتم تعاملونه معاملة من لا علم له بحاله فاتخذوه
عدوا في عقائدكم وافعالكم ولا يوجدن منكم الا ما يدل على معاداته و
مناصبته في سركم وجهركم ثم لخص سر امره وخطا من اتبعه بان غرضه
الذي يؤمّه في دعوة شيعته ومتبعي خطواته هو ان يوردهم مورد الشقوة
والهلاك وان يكونوا من اصحاب السعير ثم كشف الغطا وقشر اللحا
ليقطع الاطماع الفارغة والاماني الكاذبة فبنى الامر كله على الايمان والعمل
وتركهما لما ذكر الفريقين الذين كفروا والذين امنوا قال لنبيه افمن زين

له سوء

له سوء عمله فراه حسنا يعني افمن زين له سوء عمله من هذين الفريقين كمن لم يزين
له فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا فقال فان الله يضل من يشا ويهدي من
يشا فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ومعنى تزيين العمل والاضلال واحد
وهو ان يكون العاصي على صفة لا تجدي عليه المصالح حتى يستوجب بذلك
خذلان الله تعالى اياه وتخليته وشانه فعند ذلك يهيم في الضلال ويطلق امر
النهي ويعتسف طاعة الهوى حتى يرى القبيح حسنا والحسن قبيحا كانما غلب
على عقله وسلب تمييزه ويقعد تحت قول ابي نواس ۞ اسقني حتى تراني حسنا
عندي القبيح ۞ واذا خذل الله المصممين على الكفر وخلاهم وشانهم فان على
الرسول ان لا يهتم بامرهم ولا يلقي بالا الى ذكرهم ولا يحزن ولا يتحسر عليهم
اقتدا بسنة الله في خذلانهم وتخليتهم وذكر الزجاج ان المعنى افمن زين له سو
عمله ذهبت نفسك عليهم حسرة فحذف لدلالة فلا تذهب نفسك عليه او افمن زين
له سوء عمله كمن هداه الله فحذف لدلالة فان الله يضل من يشا ويهدي من
يشا عليه حسرات مفعول له يعني فلا تهلك نفسك للحسرات وعليهم
صلة تذهب كما تقول هلك عليه حبا ومات عليه حزنا او هو بيان للمتحسر عليه
ولا يجوز ان يتعلق بحسرات لان المصدر لا يتقدم عليه صلته ويجوز ان يكون
حالا كان كلها صارت حسرات لفرط التحسر كما قال جرير ۞
مشق الهواجر لحمهن مع السرى ۞ حتى ذهبن كلاكلا وصدورا ۞ يريد
رجعن كلاكلا وصدورا اي لم يبق الا كلاكلها وصدورها ومنه قوله ۞
فعلى اثرهم تساقط نفسي حسرات وذكرهم لي سقام ۞ وقرى فلا تُذهِب
نفسَك ان الله عليم بما يصنعون وعيد لهم بالعقاب على سوء صنيعهم وقرى
ارسل الريح فان قلت لم جا فتثير على المضارعة دون ما قبله وما بعده قلت
ليحكي الحال التي تقع فيها اثارة الرياح السحاب وتستحضر تلك الصورة البديعة
الدالة على القدرة الربانية وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع تمييز وخصوصية
بحال تستغرب او تهم المخاطب او غير ذلك كما قال تابط شرا ۞ باني قد لقيت
الغول تهوي ۞ بسهب كالصحيفة صحصحان ۞ فاضربها بلا دهش فخرت
صريعا لليدين وللجران ۞ لانه قصد ان يصور لقومه الحالة التي تشجع فيها
بزعمه على ضرب الغول كانه يبصرهم اياها ويطلعهم على كنهها مشاهدة
للتعجب من جراته على كل هول وثباته عند كل شدة وكذلك سوق السحاب الى
البلد الميت واحيا الارض بالمطر بعد موتها لما كانا من الدلائل على القدرة
الباهرة قيل فسقنا واحيينا معدولا بهما عن لفظ الغيبة الى ما هو ادخل
في الاختصاص وادل عليه والكاف في كذلك النشور في محل الرفع اي مثل احيا الموات
نشور الاموات روي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يحيي الله الموتى
وما اية ذلك في خلقه فقال هل مررت بوادي اهلك محلا ثم مررت به يهتز
خضرا فقال نعم فقال فكذلك يحيي الله الموتى وتلك ايته في خلقه وقيل يحيي

الله الخلق بما يرسله من تحت العرش كمني الرجال فينبت منه اجساد الخلق كان
الكفرون يتعززون بالاصنام كما قال الله عز وجل واتخذوا من دون الله
الهه ليكونوا لهم عزا والذين امنوا السنتهم من غير مواطاة قلوبهم كانوا
يتعززون بالمشركين كما قال تعالى الذين يتخذون الكفرين اوليا من دون المومنين
ايبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا فبين ان لا عزة الا لله ولاوليايه
وقال ولله العزة ولرسوله وللمومنين والمعنى فليطلبها عند الله فوضع
قوله فلله العزة جميعا موضعه استغنا به عنه لدلالته عليه لان الشي لا
يطلب الا عند صاحبه ومالكه ونظيره قولك من اراد النصيحة فهي عند الابرار
يريد فليطلبها عندهم الا انك اقمت ما يدل عليه مقامه ومعنى فلله العزة
جميعا ان العزة كلها مختصة بالله عزة الدنيا وعزة الاخرة ثم عرف ان ما تطلب
به العزة هو الايمان والعمل الصالح بقوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح
يرفعه والكلم الطيب لا اله الا الله عن ابن عباس يعني ان هذا الكلم لا
يقبل ولا يصعد الى السما فيكتب حيث تكتب الاعمال المقبولة كما قال عز وجل ان
كتاب الابرار لفي عليين الا اذا اقترن بها العمل الصالح الذي يحققها ويصدقها
فرفعها واصعدها وقيل الرافع الكلم والمرفوع العمل لانه لا يقبل عمل الا
من موحد وقيل الرافع الله والمرفوع العمل وقيل الكلم الطيب كل ذكر
من تكبير وتسبيح وتهليل وقراة قران ودعا واستغفار وغير ذلك وعن النبي صلى الله عليه وسلم
هو قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اذا قالها
العبد عرج بها الملك الى السما فحيا بها وجه الرحمن فاذا لم يكن له عمل
صالح لم يقبل منه وفي الحديث لا يقبل الله قولا الا بعمل ولا يقبل قولا وعملا الا بنية
ولا يقبل قولا وعملا ونية الا باصابة السنة وعن ابن المقفع قول بلا عمل
كثريد بلا دسم وسحاب بلا مطر وقوس بلا وتر وقرى اليه يصعد الكلم
الطيب على البنا للمفعول واليه يصعد الكلم الطيب على تسمية الفاعل
من اصعد والمصعد هو الرجل اي يصعد الى الله عز وجل الكلم الطيب واليه
يصعد الكلام الطيب وقرى والعمل الصالح يرفعه بنصب العمل والرافع الكلم
او الله عز وجل فان قلت مكر فعل غير متعد لا يقال مكر فلان عمله فبم
نصب السيات قلت هذه صفة للمصدر او لما في حكمه كقوله ولا يحيق المكر
السيي الا باهله اصله والذين يمكرون المكرات السيات اولاهما
او اصناف المكر السيات وعنى بهن مكرات قريش حين اجتمعوا في دار الندوة
وتداوروا الراي في احدى ثلث مكرات يمكرونها برسول الله صلى الله عليه وسلم اما
اثباته او قتله او اخراجه كما حكى الله سبحانه عنهم واذ يمكر بك الذين كفروا
ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك [ومكر اولئك هو يبور] يعني ومكر اولئك الذين
مكروا تلك المكرات الثلث هو خاصة يبور اي يكسد ويفسد دون
مكر الله بهم حين اخرجهم من مكة وقتلهم واثبتهم في قليب بدر فجمع عليهم
مكراتهم جميعا وحقق فيهم قوله ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين وقوله

ولا يحيق المكر السيي الا باهله ازواجا اصنافا او ذكرانا واناثا كقوله او يزوجهم
ذكرانا واناثا وعن قتادة زوج بعضكم بعضا بعلمه في موضع الحال اي الا
معلومة له فان قلت ما معنى قوله [وما يعمر من معمر] قلت معناه وما يعمر
من احد وانما سماه معمرا بما هو صاير اليه فان قلت الانسان اما معمر اي
طويل العمر او منقوص العمر اي قصيره فاما ان يتعاقب عليه التعمير وخلافه
فمحال فكيف صح قوله [ولا ينقص من عمره] قلت هذا من الكلام
المتسامح فيه ثقة في تاويله بافهام السامعين واتكالا على تسديدهم معناه
بعقولهم وانه لا يلتبس عليهم احالة الطول والقصر في عمر واحد وعليه
كلام الناس المستفيض يقولون لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه الا بحق وما
تنعمت بلدا ولا اجتويته الا قل فيه ثوايي وفيه تاويل اخر وهو انه لا يطول
عمر انسان ولا يقصر [الا في كتاب] وصورته ان يكتب في اللوح ان حج فلان
او غزا فعمره اربعون سنة وان حج وغزا فعمره ستون سنة فاذا جمع بينهما
فبلغ الستين فقد عمر واذا افرد احدهما فلم يتجاوز به الاربعين
فقد نقص من عمره الذي هو الغاية وهو الستون واليه اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم
في قوله ان الصدقة والصلة تعمران الديار وتزيدان في الاعمار وعن كعب
انه قال حين طعن عمر رضي الله عنه لو ان عمر دعا الله لاخر في اجله فقيل لكعب
اليس قد قال الله اذا جا اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون قال فقد
قال الله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره وقد استفاض على الالسنة اطال
الله بقاك وفسح في مدتك وما اشبهه وعن سعيد بن جبير يكتب في الصحيفة
عمره كذا وكذا سنة ثم يكتب في اسفل ذلك ذهب يوم ذهب يومان حتى ياتي على
اخره وعن قتادة المعمر من بلغ ستين سنة والمنقوص من عمره من يموت قبل
ستين سنة والكتاب اللوح عن ابن عباس ويجوز ان يراد بكتاب الله علم
الله او صحيفة الانسان وقرى ولا ينقص على تسمية الفاعل من عمره بالتخفيف
ضرب البحرين العذب والملح مثلين للمومن والكافر ثم قال على سبيل الاستطراد
في صفة البحرين وما علق بهما من نعمته وعطاياه اي ومن كل
واحد منهما تاكلون لحما طريا وهو السمك [وتستخرجون حلية] وهي
اللولو والمرجان وترى الفلك فيه في كل مواخر شواق للما بجريها
يقال مخرت السفينة الما ويقال للسحاب بنات مخر لانها تمخر الهوا و
السفن الذي اشتقت منه السفينة قريب من المخر لانها تسفن الما
كانها تقشره كما تمخره [لتبتغوا] من فضل الله ولم يجر له ذكر في
الاية ولكن فيما قبلها ولو لم يجر لم يشكل لدلالة المعنى عليه وحرف
الرجا مستعار لمعنى الارادة الا ترى كيف سلك به مسلك لام التعليل
كانما قيل لتبتغوا ولتشكروا والفرات الذي يكسر العطش
والسايغ المري السهل الانحدار لعذوبته وقرى سيغ بوزن

سبيله وسمع المصعف وعلى فعل الاجاج الذي يحرق بملوحته ويحتمل غير
طريقة الاستطراد وهو ان يشبه الجنسين بالبحرين ثم يفضل البحر الاجاج على
الكافر بانه قد شارك العذب في منافع من السمك واللؤلؤ وجري الفلك فيه
والكافر خلو من النفع فهو في طريقة قوله ثم قست قلوبكم من بعد
ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة ثم قال وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار
وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله ذلكم
مبتدأ و الله ربكم له الملك اخبار مترادفة او الله وربكم خبران وله الملك
جملة مبتدأة واقعة في قران قوله والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير
ويجوز في حكم الاعراب ايقاع اسم الله صفة لاسم الاشارة او عطف بيان وربكم
خبرا لولا ان المعنى يأباه والقطمير لفافة النواة وهي القشرة الرقيقة الملتفة
عليها ان تدعوهم الاوثان لا يسمعوا دعاءكم لانهم جماد ولو سمعوا على
سبيل الفرض والتمثيل لما استجابوا لكم لانهم لا يدعون ما تدعون لهم
من الالهية ويتبرءون منها وقيل ما نفعوكم ويوم القيامة يكفرون باشراككم
لهم وعبادتكم اياهم يقولون ما كنتم ايانا تعبدون ولا ينبئك مثل خبير
ولا يخبرك بالامر مخبر هو مثل خبير عالم به يريد ان الخبير بالامر وحده
هو الذي يخبرك بالحقيقة دون سائر المخبرين به والمعنى ان هذا الذي
اخبرتكم به من حال الاوثان هو الحق لاني خبير بما اخبرت به وقرئ يدعون
بالتاء والياء فان قلت لم عرف الفقراء قلت قصد بذلك ان يريهم
انهم لشدة افتقارهم اليه هم جنس الفقراء وان كانت الخلائق كلهم
مفتقرين اليه من الناس وغيرهم لان الفقر مما يتبع الضعف وكلما كان
الفقير اضعف كان افقر وقد شهد الله سبحانه على الانسان بالضعف في
قوله وخلق الانسان ضعيفا وقال الله الذي خلقكم من ضعف ولو
نكر لكان المعنى انتم بعض الفقراء فان قلت قد قوبل الفقراء بالغني
فما فائدة الحميد قلت لما اثبت فقرهم اليه وغناه عنهم وليس كل غني
نافعا بغناه الا اذا كان الغني جوادا منعما واذا جاد وانعم حمده المنعم
عليهم واستحق عليهم الحمد ذكر الحميد ليدل به على انه الغني النافع بغناه
خلقه الجواد المنعم عليهم المستحق بانعامه عليهم ان يحمدوه الحميد على السنة
مؤمنيهم بعزيز بممتنع وهذا غضب عليهم لاتخاذهم له اندادا وكفرهم
بآياته ومعاصيهم كما قال وان تتولوا يستبدل قوما غيركم وعن ابن
عباس يخلق بعدكم من يعبده ولا يشرك به شيئا الوزر والوقر اخوان
ووزر الشيء اذا حمله والوازرة صفة للنفس والمعنى ان كل نفس يوم القيامة
لا تحمل الا وزرها الذي اقترفته لا تؤاخذ نفس بذنب نفس كما تأخذ جبابرة
الدنيا الولي بالولي والجار بالجار فان قلت هلا قيل ولا تزر نفس وزر
اخرى ولم قيل وازرة قلت لان المعنى ان النفوس الوازرات لا ترى

منهن واحدة الا حاملة وزرها لا وزر غيرها فان قلت كيف توفق بين هذا وبين
قوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم قلت تلك الآية في الضالين المضلين
وانهم يحملون اثقال اضلال الناس مع اثقال ضلالهم وذلك كله اوزارهم
ما فيها شيء من وزر غيرهم الا ترى كيف كذبهم الله تعالى في قولهم اتبعوا
سبيلنا ولنحمل خطاياكم بقوله وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء فان قلت
ما الفرق بين معنى قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى ومعنى وان تدع مثقلة
الى حملها لا يحمل منه شيء قلت الاول في الدلالة على عدل الله في حكمه وانه
لا يؤاخذ نفسا بغير ذنبها والثاني في ان لا غياث يومئذ لمن استغاث حتى
ان نفسا قد اثقلتها الاوزار وبهظتها لو دعت الى ان يخفف بعض
وقرها لم تجب ولم تغث وان كان المدعو بعض قرابتها من اب او ولد
او اخ فان قلت الام اسند كان في ولو كان ذا قربى قلت الى المدعو
المفهوم من قوله وان تدع مثقلة الى حملها فان قلت فلم ترك ذكر
المدعو قلت ليعم ويشمل كل مدعو فان قلت فكيف استقام اضمار
العام ولا يصح ان يكون العام ذا قربى للمثقلة قلت هو من العموم الكائن
على طريق البدل فان قلت فما تقول فيمن قرا ولو كان ذو قربى على كان
التامة كقوله وان كان ذو عسرة قلت نظم الكلام احسن ملاءمة
للناقصة لان المعنى على ان المثقلة ان دعت احدا الى حملها لا يحمل منه
شيء وان كان مدعوها ذا قربى وهو معنى صحيح ملتئم ولو قلت ولو
وجد ذو قربى لتفكك وخرج من اتساقه والتئامه على ان هاهنا ما
ساغ ان يستتر له ضمير في الفعل بخلاف ما اوردته بالغيب حال من الفاعل
او المفعول اي يخشون ربهم غائبين عن عذابه او يخشون عذابه غائبا
عنهم وقيل بالغيب بالسر وهذه صفة الذين كانوا مع رسول الله صلعم
من اصحابه وكانت عادتهم المستمرة ان يخشوا الله وهم الذين اقاموا الصلاة
منارا منصوبا وعلما مرفوعا يعني انما تقدر على انذار هؤلاء وتحذيرهم من
قومك وعلى تحصيل منفعة الانذار فيهم دون متمرديهم واهل عنادهم
ومن تزكى ومن تطهر بفعل الطاعات وترك المعاصي وقرئ ومن ازكى
فانما يزكى وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم واقامتهم الصلاة لانهما من
جملة التزكي والى الله المصير وعد للمتزكين بالثواب فان قلت كيف
اتصل قوله انما تنذر بما قبله قلت لما غضب عليهم في قوله ان يشا يذهبكم
اتبعه الانذار بيوم القيامة وذكر اهوالها ثم قال انما تنذر كأن رسول الله صلعم
اسمعهم ذلك فلم ينفع فنزل انما تنذر او اخبره الله تعالى بعلمه فيهم الاعمى
والبصير مثل للكافر والمؤمن كما ضرب البحرين مثلا لهما او للصنم ولله عز وعلا
والظلمات والنور والظل والحرور مثلان للحق والباطل وما يؤديان اليه من
الثواب والعقاب ولا الاحياء ولا الاموات مثل للذين دخلوا في الاسلام والذين

لم يدخلوا فيه واصروا على الكفر. والحرور والسموم الا ان السموم يكون بالنهار
والحرور بالليل والنهار، وقيل بالليل. فان قلت لا المقرونة بواو العطف
ما هي؟ قلت اذا وقعت الواو في النفي قرنت بها لتاكيد النفي. فان قلت هل
من فرق بين هذه الواوات؟ قلت بعضها ضمت شفعا الى شفع وبعضها
وترا الى وتر. ان الله يسمع من يشاء يعني انه قد علم من يدخل في الاسلام
ممن لا يدخل فيه فيهدي الذي قد علم ان الهداية تنفع فيه ويخذل من علم
انها لا تنفع فيه. واما انت فخفي عليك امرهم فلذلك تحرص وتتهالك على
اسلام قوم من المخذولين. ومثلك في ذلك مثل من يريد ان يسمع المقبورين
وذلك مما لا سبيل اليه. ثم قال ان انت الا نذير اي ما عليك الا ان تبلغ وتنذر
فان كان المنذر ممن يسمع الانذار نفع وان كان من المصرين فلا عليك.
ويحتمل ان الله يسمع من يشاء انه قادر على ان يهدي المطبوع على قلوبهم
على وجه القسر والالجاء وغيرهم على وجه الهداية والتوفيق. واما انت
فلا حيلة لك في المطبوع على قلوبهم الذين هم بمنزلة الموتى. بالحق حال
من احد الضميرين اي محقا او محقين او صفة للمصدر اي ارسالا
مصحوبا بالحق او صلة لبشير ونذير على بشيرا بالوعد الحق ونذيرا
بالوعيد الحق. والامة الجماعة الكثيرة قال الله تعالى وجد عليه امة من الناس
يسقون ويقال لاهل كل عصر امة وفي حدود المتكلمين الامة هم المصد
قون بالرسول دون المبعوث اليهم وهم الذين يعتبر اجماعهم والمراد
ههنا اهل العصر. فان قلت كم من امة في الفترة بين عيسى ومحمد عليهم السلام
ولم يخل فيها نذير؟ قلت اذا كانت اثار النذارة باقية لم تخل من نذير
الى ان تندرس وحين اندرست اثار نذارة عيسى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم
فان قلت كيف اكتفى بذكر النذير عن البشير في اخر الاية بعد
ذكرهما؟ قلت لما كانت النذارة مشفوعة بالبشارة لا محالة دل ذكرها
على ذكرها لا سيما وقد اشتملت الاية على ذكرها. بالبينات بالشواهد على
صحة النبوة وهي المعجزات. وبالزبر بالصحف. وبالكتاب المنير نحو التوراة
والانجيل والزبور. لما كانت هذه الاشياء في جنسهم اسند المجيء بها اليهم اسنادا
مطلقا وان كان بعضها في جميعهم وهي البينات وبعضها في بعضهم وهي
الزبر والكتاب. وفيه مسلاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم. الوانها اجناسها من الرمان
والتفاح والتين والعنب وغيرها مما لا يحصر او هيئاتها من الحمرة والصفرة
والخضرة ونحوها. والجدد الخطط والطرائق قال لبيد ٥ او مذهب جدد على
الواحه ٥ ويقال جدة الحمار للخطة السوداء على ظهره وقد يكون للظبي
جدتان مسكيتان تفصلان بين لوني ظهره وبطنه. وغرابيب معطوف
على بيض او على جدد كانه قيل ومن الجبال مخطط ذو جدد ومنها
ذو جدد ومنها ما هو على لون واحد غرابيب وعن عكرمة هي الجبال

الطوال السود. فان قلت الغربيب تاكيد للاسود يقال اسود غربيب
واسود حلكوك وهو الذي ابعد في السواد واغرب فيه ومنه الغراب
ومن حق التاكيد ان يتبع المؤكد كقولك اصفر فاقع وابيض يقق وما اشبه
ذلك. قلت وجهه ان يضمر المؤكد قبله ويكون الذي بعده تفسيرا لما اضمر
كقول النابغة ٥ والمؤمن العائذات الطير يمسحها ٥ وانما يفعل
ذلك لزيادة التوكيد حيث يدل على المعنى الواحد من طريقي الاظهار والاضمار
جميعا. ولا بد من تقدير حذف المضاف في قوله ومن الجبال جدد بمعنى ومن
الجبال ذو جدد بيض وحمر وسود حتى يؤول الى قولك ومن الجبال مختلف
الوانه كما قال ثمرات مختلفا الوانها. ومن الناس والدواب والانعام
مختلف الوانه يعني ومنهم بعض مختلف الوانه وقرئ الوانها. وقرأ الزهري
جدد بالضم جمع جديدة وجدد وجدائد كسفينة وسفن وسفائن وقد فسر بها
قول ابي ذؤيب ٥ جون السراة له جدائد اربع ٥ وروي عنه جدد بفتحتين
وهو الطريق الواضح المسفر وضعه موضع الطرائق والخطوط الواضحة المنفصل
بعضها من بعض. وقرئ والدواب مخففا ونظير هذا التخفيف قراءة من قرأ
ولا الضالين لان كل واحد منهما فرار من التقاء الساكنين فحرك ذاك اولهما
وحذف هذا اخرهما. وقوله كذلك اي كاختلاف الثمرات والجبال. المراد
به العلماء الذين علموه بصفاته وعدله وتوحيده وما يجوز عليه وما لا يجوز
فعظموه وقدروه حق قدره وخشوه حق خشيته ومن ازداد به علما ازداد
منه خوفا ومن كان علمه به اقل كان آمن. وفي الحديث اعلمكم بالله اشدكم
خشية له. وعن مسروق كفى بالمرء علما ان يخشى وكفى بالمرء جهلا ان يعجب بعلمه
وقال رجل للشعبي افتني ايها العالم فقال العالم من خشي الله. وقيل نزلت في ابي بكر
الصديق رضي الله عنه وقد ظهرت عليه الخشية حتى عرفت فيه. فان قلت
هل يختلف المعنى اذا قدم المفعول في هذا الكلام او اخر؟ قلت لا بد
من ذلك فانك اذا قدمت اسم الله واخرت العلماء كان المعنى ان الذين يخشون
الله من بين عباده هم العلماء دون غيرهم واذا عملت على العكس انقلب المعنى الى
انهم لا يخشون الا الله كقوله ولا يخشون احدا الا الله وهما معنيان مختلفان
فان قلت ما وجه اتصال هذا الكلام بما قبله؟ قلت لما قال الم تر بمعنى
الم تعلم ان الله انزل من السماء ماء وعدد آيات الله واعلام قدرته واثار صنعته
وما خلق من الفطر المختلفة الاجناس وما يستدل به عليه وعلى صفاته اتبع
ذلك انما يخشى الله من عباده العلماء كانه قال انما يخشاه مثلك ومن على
صفتك ممن عرفه حق معرفته وعلمه كنه علمه. وعن النبي صلى الله عليه وسلم انا ارجو
ان اكون اتقاكم لله واعلمكم به. فان قلت فما وجه قراءة من قرأ انما يخشى
الله من عباده العلماء وهو عمر بن عبد العزيز ويحكى عن ابي حنيفة رحمهما الله

قلت الخشية في هذه القراءة استعارة والمعنى انما يجلّهم ويعظّمهم كما يجلّ المهيب
المخشيّ من الرجال بين الناس من بين جميع عباده تعليل
لوجوب الخشية لدلالته على عقوبة العصاة وقهرهم واثابة اهل الطاعة والعفو
عنهم والمعاقب المثيب حقه ان يخشى يتلون كتاب الله يداومون على تلاوته وهي
شانهم ودابهم وعن مطرف رحمه الله هي اية القراء وعن الكلبي ياخذون بما فيه
وقيل يعلمون ما فيه ويعملون به وعن السدي هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعن عطاء هم المؤمنون يرجون خبر ان والتجارة طلب الثواب بالطاعة وليوفيهم
متعلق بلن تبور اي تجارة ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله ليوفيهم بنفاقها
عنده اجورهم وهي ما استحقوه من الثواب ويزيدهم من فضله التفضل
على المستحق وان شئت جعلت يرجون في موضع الحال على وانفقوا اي راجين
ليوفيهم اي فعلوا جميع ذلك من التلاوة واقامة الصلاة والانفاق في سبيل
الله لهذا الغرض وخبر ان قوله على معنى غفور لهم شكور لاعمالهم
والشكر مجاز عن الاثابة القران ومن للتبيين او الجنس ومن للتبعيض
مصدقا حال مؤكدة لان الحق لا ينفك عن هذا التصديق لما بين يديه لما تقدمه
من الكتب يعني انه خبرك وابصر احوالك فرآك اهلا لان يوحي
اليك مثل هذا الكتاب المعجز الذي هو عيار على سائر الكتب فان
قلت ما معنى قوله قلت فيه وجهان احدهما انا اوحينا
اليك القران ثم اورثناه من بعدك اي حكمنا بتوريثه او قال اورثناه وهو
يريد نورثه لما عليه اخبار الله وهم امته من الصحابة
والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم الى يوم القيمة لان الله اصطفاهم على سائر
الامم وجعلهم امة وسطا ليكونوا شهداء على الناس واختصهم بكرامة
الانتماء الى افضل رسل الله وحمل الكتب الذي هو افضل كتب الله ثم قسمهم
الى ظالم لنفسه مجرم وهو المرجى لامر الله وهو الذي خلط
عملا صالحا واخر سيئا من السابقين والوجه الثاني انه قد ذكر
ارساله في كل امة رسولا وانهم كذبوا رسلهم وقد جاؤوهم بالبينات والزبر
والكتاب المنير ثم قال ان الذين يتلون كتاب الله فاثنى على التالين لكتبه
العاملين بشرائعه من بين المكذبين بها من سائر الامم واعترض بقوله
والذي اوحينا اليك من الكتاب هو الحق ثم قال ثم اورثنا الكتاب الذين
اصطفينا من عبادنا اي من بعد اولئك المذكورين يريد بالمصطفين من عباده
اهل الملة الحنيفية فان قلت فكيف جعلت جنات عدن بدلا من
الفضل الكبير الذي هو السبق بالخيرات المشار اليه بذلك قلت لما كان السبب في
نيل الثواب نزل منزلة المسبب كانه هو الثواب فابدلت عنه جنات عدن وفي
اختصاص السابقين بعد التقسيم بذكر ثوابهم والسكوت عن الآخرين ما فيه

من وجوب الحذر فليحذر المقتصد وليهلك الظالم لنفسه حذرا وعليهما بالتوبة
النصوح المخلصة من عذاب الله ولا يغترا بما رواه عمر رضي الله عنه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له فان شرط ذلك صحة
التوبة لقوله عسى الله ان يتوب عليهم وقوله اما يعذبهم واما يتوب عليهم
ولقد نطق القران بذلك في مواضع كثيرة من استقراها اطلع على حقيقة
الامر ولم يعلل نفسه بالخدع وقرئ سباق ومعنى باذن الله بتيسيره وتوفيقه
فان قلت لم قدم الظالم ثم المقتصد ثم السابق قلت للايذان بكثرة الفاسقين
منهم وغلبتهم وان المقتصدين قليل بالاضافة اليهم والسابقون اقل من القليل
وقرئ جنة عدن على الافراد كانها جنة مختصة بالسابقين وجنات عدن
بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر اي يدخلون جنات عدن يدخلونها
ويدخلونها على البناء للمفعول ويحلون من حليت المراة فهي حالية ولؤلؤا
معطوف على محل من اساور ومن داخلة للتبعيض اي يحلون بعض اساور
من ذهب كانه بعض سابق لسائر الابعاض كما سبق المسورون به غيرهم
وقيل ان ذلك الذهب في صفاء اللؤلؤ وقرئ ولولؤا بتخفيف الهمزة الاولى
وقرئ الحزن والمراد حزن المتقين وهو ما اهمهم من خوف سوء العاقبة
كقوله انا كنا قبل في اهلنا مشفقين فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم وعن
ابن عباس حزن الاعراض والآفات وعنه حزن الموت وعن الضحاك حزن
ابليس ووسوسته وقيل هم المعاش وقيل حزن زوال النعم وقد اكثروا
حتى قال بعضهم كرا الدار ومعناه انه يعم كل حزن من احزان الدين والدنيا
حتى هذا وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في
قبورهم ولا في محشرهم ولا في مسيرهم وكاني باهل لا اله الا الله يخرجون
من قبورهم وهم ينفضون التراب عن وجوههم ويقولون الحمد لله الذي اذهب
عنا الحزن وذكر الشكور دليل على ان القوم كثير والحسنات المقامة بمعنى
الاقامة يقال اقمت اقامة ومقاما ومقامة من عطائه وافضاله
من قولهم لفلان فضول على قومه وفواضل وليس من التفضل الذي هو التفضل
لان الثواب بمنزلة الاجر المستحق والتفضل كالتبرع وقرئ لغوب بالفتح
وهو اسم ما يلغب منه اي لا نتكلف عملا يلغبنا او مصدر كالقبول والولوع
او صفة للمصدر كانه لغوب لغوب كقولك موت مائت فان قلت ما
الفرق بين النصب واللغوب قلت النصب التعب والمشقة التي تصيب
المنتصب للامر المزاول له واما اللغوب فما يلحقه من الفتور بسبب النصب فالنصب
نفس المشقة والكلفة واللغوب نتيجته وما يحدث منه من الكلال
والفترة فيموتوا جواب النفي ونصبه باضمار ان وقرئ فيموتون عطفا على
يقضى وادخالا له في حكم النفي اي الموت فلا يموتون كقوله ولا
يؤذن لهم فيعتذرون اي مثل ذلك الجزاء نجزي وقرئ يجازى ونجزي

كل كفور بالنون يصطرخون يتصارخون يفتعلون من الصراخ وهو الصياح
بجهد وشدة قال كصرخة حبلى واستعمل في الاستغاثة لجهد المستغيث
صوته فان قلت هلا اكتفى بصالحا كما اكتفى به في قوله فارجعنا نعمل
صالحا وما فائدة زيادة غير الذي كنا نعمل على انه يوهم انهم يعملون صالحا
غير الصالح الذي عملوه قلت فائدته زيادة التحسر على ما عملوه من غير
الصالح مع الاعتراف به واما الوهم فزائل لظهور حالهم في الكفر وركوب
المعاصي ولانهم كانوا يحسبون انهم على سيرة صالحة كما قال الله تعالى
وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا فقالوا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي
كنا نحسبه صالحا فنعمله اولم نعمركم توبيخ من الله يعني فنقول لهم
وقرئ ما يذكر فيه من اذكر على الادغام وهو متناول لكل عمر تمكن
فيه المكلف من اصلاح شانه وان قصر الا ان التوبيخ في المتطاول
اعظم وعن النبي صلعم العمر الذي اعذر الله فيه الى ابن ادم ستون سنة وعن
مجاهد ما بين العشرين الى الستين وقيل ثماني عشرة وسبع عشرة والنذير
الرسول وقيل الشيب وقرئ وجاءتكم النذر فان قلت علام عطف
وجاءكم النذير قلت على معنى اولم نعمركم لان لفظه لفظ استخبار ومعناه
معنى اخبار كانه قيل قد عمرناكم وجاءكم النذير انه عليم بذات الصدور
كالتعليل لانه اذا علم ما في الصدور وهو اخفى ما يكون فقد علم كل غيب في
العالم وذات الصدور مضمراتها وهي تانيث ذو في نحو قول ابي بكر رضي الله عنه
ذو بطن خارجة جارية وقوله لتغني عني ذا انائك اجمعا المعنى ما في
بطنها من الحبل وما في انائك من الشراب لان الحبل والشراب يصحبان البطن
والاناء الا ترى الى قولهم معها حبل وكذلك المضمرات تصحب الصدور وهي
معها وذو موضوع لمعنى الصحبة يقال للمستخلف خليفة وخليف فالخليفة
تجمع على خلائف والخليف خلفاء والمعنى انه جعلكم خلفاء في ارضه قد ملككم
مقاليد التصرف فيها وسلطكم على ما فيها واباح لكم منافعها لتشكروه
بالتوحيد والطاعة فمن كفر منكم وغمط مثل هذه النعمة السنية فوبال
كفره راجع عليه وهو مقت الله الذي ليس وراءه خزي وصغار وخسار
الاخرة الذي ما بعده خسار والمقت اشد البغض ومنه قيل لمن ينكح امراة
ابيه مقتي لكونه ممقوتا في كل قلب وهو خطاب للناس وقيل هو خطاب
لمن بعث اليهم رسول الله اي جعلكم امة خلفت من قبلها ورات وشاهدت
فيمن سلف ما ينبغي ان تعتبر به فمن كفر منكم فعليه جزاء كفره من مقت الله عز وجل
وخسار الاخرة كما ان ذلك حكم من قبلكم أروني بدل من ارايتم لان معنى
ارايتم اخبروني كانه قال اخبروني عن هؤلاء الشركاء وعما استحقوا به الالهية
والشركة اروني اي جزء من اجزاء الارض استبدوا بخلقه دون الله ام لهم
مع الله شركة في خلق السموات ام اتيناهم كتابا من عند الله ينطق بانهم

شركاؤه فهم على حجة وبرهان من ذلك الكتاب او يكون الضمير في اتيناهم
للمشركين كقوله ام انزلنا عليهم سلطانا ام اتيناهم كتابا من قبله بل ان يعد
الظالمون بعضهم وهم الرؤساء بعضا وهم الاتباع الا غرورا وهو قولهم هؤلاء
شفعاؤنا عند الله وقرئ بينات ان تزولا كراهة ان تزولا او يمنعهما
من ان تزولا لان الامساك منع انه كان حليما غفورا غير معاجل بالعقوبة
حيث يمسكهما وكانتا جديرتين بان تهدا هدا لعظم كلمة الشرك كما قال
تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وقرئ ولو زالتا وان امسكهما
جواب القسم في ولئن زالتا سد مسد الجوابين ومن الاولى مزيدة لتاكيد
النفي والثانية للابتداء من بعده من بعد امساكه وعن ابن عباس انه قال
لرجل مقبل من الشام من لقيت به قال كعبا قال وما سمعته يقول قال سمعته
يقول ان السموات على منكب ملك قال كذب كعب اما ترك يهوديته
بعد ثم قرا هذه الاية بلغ قريشا قبل مبعث رسول الله صلعم ان اهل
الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا لعن الله اليهود والنصارى اتتهم الرسل
فكذبوهم فوالله لئن اتانا رسول لنكونن اهدى من احدى الامم فلما جاءهم نذير
رسول الله صلعم كذبوه وفي احدى الامم وجهان احدهما من بعض الامم
ومن واحدة من الامم من اليهود والنصارى وغيرهم والثاني من الامة
التي يقال فيها هي احدى الامم تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة
ما زادهم اسناد مجازي لانه هو السبب في ان زادهم في انفسهم نفورا عن
الحق وابتعادا عنه كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم استكبارا بدل من
نفورا او مفعول له على معنى فما زادهم الا ان نفروا استكبارا وعلوا
في الارض او حال بمعنى مستكبرين وماكرين برسول الله صلعم و
المؤمنين ويجوز ان يكون ومكر السيء معطوفا على نفورا فان قلت
ما وجه قوله ومكر السيء قلت اصله وان مكروا السيء اي المكر
السيء ثم ومكرا السيء ثم ومكر السيء والدليل عليه قوله ولا يحيق
المكر السيء الا باهله ومعنى يحيق يحيط وينزل وقرئ ولا يحيق المكر
السيء اي ولا يحيق الله ولقد حاق بهم يوم بدر وعن رسول الله صلعم
لا تمكروا ولا تعينوا ماكرا فان الله تعالى يقول ولا يحيق المكر السيء الا باهله
ولا تبغوا ولا تعينوا باغيا يقول الله تعالى انما بغيكم على انفسكم وعن كعب
انه قال لابن عباس قرات في التوراة من حفر مغواة وقع فيها قال انا وجدت
ذلك في كتاب الله فقرا الاية وفي امثالهم من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا
وقرا حمزة ومكر السيء باسكان الهمزة وذلك لاستثقاله الحركات مع الياء و
الهمزة ولعله اختلس فظن سكونا او وقف وقفة خفيفة ثم ابتدا ولا يحيق
وقرا ابن مسعود ومكرا سيئا سنة الاولين انزال العذاب على الذين كذبوا برسلهم

من الامم قبلهم وجعل استقبالهم لذلك انتظارا له منهم وبين ان
عادته التي هي الانتقام من مكذبي الرسل عادة لا يبدلها ولا يحولها اي
لا يغيرها وان ذلك مفعول لا محالة واستشهد عليهم بما كانوا
يشاهدونه في مسايرهم ومتاجرهم في رحلتهم الى الشام والعراق واليمن
من اثار الماضين وعلامات هلاكهم ودمارهم ليعجزه ليسبقه ويفوته
بما كسبوا بما اقترفوا من معاصيهم على ظهرها على ظهر الارض من دابة
من نسمة تدب عليها من بني ادم وقيل ما يدب من بني ادم وغيرهم من سائر
الدواب بشؤم ذنوبهم وعن ابن مسعود رضي الله عنه كاد الجعل
يعذب في جحره بذنب ابن ادم ثم تلا هذه الاية وعن انس ان الضب
ليموت في جحره هزلا بذنب ابن ادم وقيل يحبس المطر فيهلك كل شي
الى اجل مسمى الى يوم القيمة كان بعباده بصيرا ويجزيهم بالجزا ۝
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الملائكة دعته ثمانية
ابواب الجنة ان ادخل من اي باب شئت ۝

15